العهد القديم

التفسير الكامل للكتاب المقدس

الجزء الأول

www.difa3iat.com

متى هنري

العهد القديم

الجزء الأول- الكتاب الأول

من سفر التكوين إلى سفر التثنية

التفسير الكامل

للكتاب المقدس

متى هنري

مطبوعات إيجلز

Published Originally Under the Title:
MATTHEW HENRY'S Commentary

Copyright © 1992 Marshall Pickering
Marshall Pickering is an imprint of
HarperCollins*Religious*
Part of HarperCollins*Publishers*
77- 85 Fulham Palace Road, London W6 8JB
All rights are reserved.

التفسير الكامل للكتاب المقدس
متى هنرى
العهد القديم
الجزء الأول – الكتاب الأول

© الناشر: مطبوعات إيجلز
ص. ب ١١٠١ هليوبوليس بحري
القاهرة ١١٧٣٧ – مصر
طبعة أولى ٢٠١١
رقم الإيداع: ٥١٤١/ ٢٠١١
الترقيم الدولي: 978-977-387-061-4
المراجعة، والإعداد الفني: إيجلز جروب
طبع في مصر: آلوكس– المنطقة الحرة

لقد اشترك في تعريب وتحرير جميع أجزاء هذا التفسير مجموعة من الخدام المسيحيين الذين لهم معرفة كتابية وافرة، وخبرة باللغتين الإنجليزية والعربية.
وقد أُنجز العمل بأكمله (خمسة أجزاء) تحت إشراف المعلم الأستاذ چوزيف صابر.

جميع حقوق الطبع في اللغة العربية محفوظة للناشر، ولا يجوز استخدام أو اقتباس أو طبع أو نسخ أو نقل أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من أشكال الميديا بدون إذن مسبق، وللناشر وحده حق إعادة الطبع.

المحتويات

مقدمة ٧

التكوين ٩

الخروج ١٤٧

اللاويين ٢٣٥

العدد ٢٨٩

التثنية ٣٥٧

مقدمة

هذا هو الكتاب الأول من الجزء الأول من تفسير متى هنري للعهد القديم ، والذي يحوي أسفار موسى الخمسة وهي رحلة الإنسان منذ خلقه ملكًا متوجًا في جنة عدن (سفر التكوين) ، ثم رعاية الله له في أرض عبوديته وتحريره بواسطة الدم (سفر الخروج) ، ثم تولي الله مسئولية تعليمه أولى دروس حياة القداسة من خلال الذبائح والطقوس (سفر اللاويين) ، ثم قيادة الله له عندما تاه في البرية ، واهتمام الله بتهيئته لدخول أرض الميعاد (سفر العدد) ، ثم رغبة الله في اللقاء معه على جبل سيناء وتجديد عهده مع شعبه (سفر التثنية) .

تأتي أهمية أسفار موسى الخمسة بسبب كونها نواة كتاب العهد القديم ، بالإضافة إلى كونها أول شريعة إلهية (تث ٩: ١٠) ، الأمر الذي أتاح لشعب بني إسرائيل في القديم لأن يكونوا منارة للدين بين الشعوب المختلفة . فإذا كان اليونانيون هم أول من علموا البشرية الفلسفة والمنطق ، والرومان أول من علَّموا البشرية فن الإدارة ، فإن اليهود هم أول من علَّموا البشرية عبادة الله الواحد خالق السموات والأرض . حددت هذه الشريعة ملامح العلاقة بين الله والإنسان ، وجعلت من تنفيذها شرطًا لاستمرار العهد مع الله ، كما نظمت العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان . ومن هنا استمدت معظم الدساتير الحاكمة لمجتمعاتنا حتى عصرنا الحالي قبسًا من نورها .

وأهم ما نلحظه في هذه الشريعة هو العدالة الكاملة ووقوف كل البشر أمامها سواءً لا فرق بين غني أو فقير . كما نظمت التعاملات اليومية بين الناس . وأكدت مفاهيم غاية في الأهمية . . مثل تدرج المسئولية ، والجزاء من جنس العمل ، وضرورة الاهتمام بالضعفاء والطبقات الأقل حظًا في المجتمع . كما حثت على التسامح بين جميع الشعوب بمختلف أطيافها وعقائدها ، وفي هذا يقول سفر التثنية: «لا تكره أدوميًا لأنه أخوك ، ولا تكره مصريًا لأنك كنت نزيلاً في أرضه» (تث ٢٣: ٧) .

كما اقتبست الشرائع والقوانين الكثير من هذه الأسفار إما في صورة دساتير أو أعراف سائدة ، وهذا يُعد دليلاً على أنها ساهمت بقوة في تشكيل الضمير والوجدان البشري منذ فجر التاريخ . ولو طُبقت كما يجب لاستقامت حياة الناس وأصبح العالم أفضل مما هو عليه .

ولا يجب أن نغفل أن هذه الأسفار سطَّرت أولى صفحات قصة تدبير الخلاص ، وأولى النبوات عن شخص المسيّا الفادي ، الذي اكتملت فيه كل المعاني ، وأصبح ناموسه وشريعته بمثابة النسخة الكاملة والمنقحة لشريعة العهد القديم .

إن أسفار موسى الخمسة كان لها تأثير كبير على العهد القديم بأكمله . لقد قُصد بناموس موسى أن يكون

تشريعًا للأفراد والأمة كلها؛ لذا فلا عجب أن نرى خيوطًا واضحة لهذه الأسفار في نسيج كل العهد القديم بأسفاره التاريخية والنبوية والشعرية أيضًا . فلقد أوصى يشوع الشعب بإطاعة تعاليم سلفه موسى (يش ٨: ٣٤ ؛ ٢٣: ٦–١٣) وإلا حلت عليهم اللعنات . . وهذا ما حدث بالفعل في عصر القضاة ، وبداية زمن صموئيل النبي . أما إذا أطاعوا فستحل عليهم البركات كما حدث في زمن داود الملك (٢صم٧: ١٣) . ونرى أيضًا أن آخر كلمات داود لابنه سليمان أن يتمسك بوصايا ناموس موسى (١مل٢: ٣) . وعلى مدار الأجيال التالية اتبع الملوك الصالحون– من أمثال حزقيا ويوشيا– الرب من كل قلوبهم وعملوا بناموس موسى (٢مل ١٨: ٦، ٢٣: ٢٥) . حتى نحميا وعزرا أشارا كثيرًا إلى موسى وأسفاره (نح ٨: ١٤) . ولم تخلُ الأسفار الشعرية من الاقتباسات والتلميحات إلى أسفار موسى . وهكذا أسفار الأنبياء .

يدعو إشعياء النبي الرب إله إسرائيل (يعقوب) ، وهو لقب مستمد من تكوين ٤٩: ٢٤؛ ويدعوه أيضًا الصخرة والمخلص وكلاهما مقتبسان من تثنية ٣٢: ١٥ . وسفر إرميا يدين بالكثير إلى سفر التثنية بصفة خاصة؛ فإرميا يصف الشعب في قساوة قلبه وغلاظة رقبته مستمدًا هذا التوصيف من تثنية ٩: ٢٧ . لقد وصف موسى عابد الوثن قائلاً: «أصل يثمر علقمًا وأفسنتينًا» (تث٢٩: ١٨) ، ونجد إرميا النبي يستخدم نفس التشبيهات في إرميا ٩: ١٤ . وبشكل عام فإن اللعنات التي وردت في لاويين ٢٦ ، وتثنية ٢٨ و٢٩ ذكرت بشكل أو بآخر في أسفار الأنبياء سواء الصغار أو الكبار .

ولأن أسفار موسى الخمسة أولى إعلانات الوحي الإلهي المكتوب ، فإنها تكشف الكثير عن شخص الله وصفاته وأسمائه . فهو الله الخالق (تك ١: ١) الذي خلق السموات والأرض وكل ما فيها بكلمة منه ، وهو الله المخلص الذي خلص شعب إسرائيل من مصر ، ووعد بخلاص البشرية كلها من عبودية إبليس (تك ٣: ١٥) . وهو الله القدوس (لا ١٩: ٢) ، وهو الله السيد ضابط الكل– كما يظهر جليًا في قصة يوسف (تك٥٠: ٢٠) . وهو الله المحب كثير الرحمة والرؤوف (خر ٣٤: ٦) ، وهو الله حافظ العهد لألف جيل (تث ٧: ٩) . وهو الله العادل الذي صب جام غضبه على شرور الناس بالطوفان (تك ٦) ، وأحرق سدوم وعمورة لأجل شرورهم (تك ١٩) .

وهو «ألوهيم» الخالق لكل البشر سواء كانوا يهودًا أو أممًا (تك ١) ، و«يهوه» إله العهد والرؤيا والإعلان (تك ٢٢: ١٤) ، و«أدوناي» السيد الرب الذي يستحق الإكرام والخشوع (تك ١٥: ٢) ، وهو الله «القدير» (تك ١٧: ١) ، وهو الإله «السرمدي» (تك ٢١: ٣٣) ، وهو «عزيز يعقوب» (تك ٤٩: ٢٤) ، وهو «الصخرة» (تث ٣٢) ، وهو الأب لكل الجنس البشري (تث ٣٢: ٦) .

التكوين

أمامنا الآن الكتاب المقدس، أو «الكتاب» لأنه لا يُضاهى، فهو أفضل كتاب بلا منازع. ونحن نطلق عليه الكتاب المقدس، لأنه كُتب بواسطة رجال الله القديسين بوحي من الروح القدس. إن الأمور العظيمة لناموس الله والإنجيل كُتبت لنا هنا، حتى يمكن نقلها إلى العالم أجمع وعبر الأجيال والعصور بشكل نقي وكامل بأكثر مما كان يمكن أن يتم عن طريق الرواية والتقليد. وهو «سراج منير في موضع مظلم» (٢بط ١: ١٩). وبدون الكتاب المقدس يصبح العالم بالفعل موضعا مظلما.

أمامنا الآن جزء من الكتاب المقدس الذي نسميه «العهد القديم». وقد سُمي «عهد» لأنه إعلان ثابت عن مشيئة الله بالنسبة للإنسان في شكل تعاهد أو تحالف، وهذا العهد يستمد قوته من الموت الذي كان مزمعا أن يموته الفادي العظيم «الخروف الذي ذُبح» (رؤ ١٣: ٨). وقد سُمي العهد القديم لصلته بالعهد الجديد، الذي لم يلغه أو يحل بدلا منه، بل توَّجه وأكمله، وذلك لأنه يقدم لنا الرجاء الأفضل الذي أشار إليه العهد القديم بالرموز والنبوات.

أمامنا ذلك الجزء من العهد القديم الذي يُسمى الأسفار الخمسة، أو أسفار موسى الخمسة. وطبقا لتقسيم مخلصنا لأسفار العهد القديم إلى الناموس، والأنبياء، والمزامير، فإن هذه الأسفار الخمسة هي «الناموس».

أمامنا هنا أول وأطول هذه الأسفار الخمسة والذي نسميه «التكوين»، والذي كُتب كما يقول البعض: عندما كان موسى في مديان، وقد كتبه من أجل تعليم وتعزية إخوته الذين كانوا يعانون العبودية في مصر، غير أني أميل إلى الاعتقاد بأنه كتبه في البرية، بعد أن كان على الجبل مع الله، حيث تسلَّم كل التعليمات المتعلقة بكتابته. و«التكوين» اسم مستعار من اللغة اليونانية، وهو يعني أصل أو كتاب ميلاد. فهو كتاب ميلاد كل الخليقة. تاريخ خلق العالم، ودخول الخطية والموت إليه، واختراع الفنون، وقيام الأمم، ولاسيما تأسيس العبادة الحقيقية، وحالتها في أوائل عهدها. ثم إنه أيضا تاريخ الأجيال من آدم ونوح وإبراهيم... إلخ. بداية العهد الجديد تُسمى أيضا «كتاب تكوين»، «كتاب ميلاد (أو أنساب) يسوع المسيح» (مت ١: ١). ليتبارك اسم الله من أجل هذا الكتاب الذي يُعلن لنا علاجنا، بينما يُظهر العهد القديم مرضنا. ليت الرب يفتح عيوننا لنرى عجائب من ناموسه وإنجيله.

الأصحاح الأول

تقرير جلي وكامل عن خلق العالم- وكان ذلك ردا على التساؤل الأول: «أين هو الله خالقي؟» وهو السؤال الذي تخبط فيه الفلاسفة الوثنيون البائسون، فالبعض منهم يؤكد أزلية العالم ووجوده الذاتي، وآخرون يعزونه إلى تصادم للذرات عن طريق الصدفة، وهكذا فالعالم «لم يعرف الله بالحكمة». أما الكتاب المقدس فمن خلال الإعلان الإلهي يضع هذا المبدأ: وهو أن العالم -مع بداية

الزمن- خُلق بواسطة كائن له حكمة غير محدودة، وقدرة لا توصف، إذ كان هو نفسه موجودا قبل كل زمان، وقبل وجود العالم. وأول آية في الكتاب المقدس تعطينا معرفة يقينية عن نشأة الكون أكثر إقناعا وأكثر فائدة من كل ما كتبه الفلاسفة.

ونجد في هذا الأصحاح ثلاثة أمور:

أولا: فكرة عامة عن عمل الله في الخليقة (ع ١ و٢).

ثانيا: وصف خاص لأيام العمل، سُجل بوضوح ونظام كما في دفتر يوميات.

ثالثا: استعراض العمل كله واستحسانه (ع ٣١).

عدد ١ و٢

عمل الخلق في مجمله وفي بدايته:

أولا: في مجمله (ع ١)، حيث نجد البند الأول من قانون الإيمان وهو أن الله الآب هو خالق السماوات والأرض.

(١) ونلاحظ في هذه الآية أربعة أمور:

أ. الناتج النهائي.. بنية الكون كله وتجهيزاته: فالعالم بيت كبير، يتكون من طابق علوي وطابق سفلي، بناؤه فخم رائع، متناغم ومتناسب، وكل حجرة فيه مجهزة بحكمة وبشكل حسن، ولم تُجمَل السماء فقط أمام ناظرينا بمصابيح مجيدة تزينها من الخارج، وهي التي نقرأ عن خلقها هنا، لكنها عامرة بكائنات رائعة (الملائكة) لا يمكننا رؤيتها في العالم المرئي. من السهولة أن نلاحظ:

◄ تنوع رائع لأشكال عديدة من الكائنات تختلف إلى حد كبير فيما بينهما من حيث طبيعتها وتركيبها.

◄ جمال آخاذ: فالسماء اللازوردية والأرض الخضراء تفتن عين المُشاهد المحب للاستطلاع. فكم يسمو جمال الخالق إذًا عن الوصف!

◄ دقة متناهية: وبالنسبة لأولئك الذين يستخدمون الميكروسكوبات للنظر في أعمال الطبيعة الدقيقة يجدونها أكثر جمالا بما لا يُقاس من أية أعمال أبدعها الفنانون.

◄ قوة خارقة: فالأرض ليست كتلة من مادة ميتة خاملة، بل إن لها قوة مغناطيسية.

◄ نظام بديع: ارتباط متبادل بين الكائنات، تناسق دقيق في الحركات وسلسلة عجيبة من العلاقات والمسببات.

◄ سر عظيم: هناك ظواهر في الطبيعة لا يمكن تفسيرها. غير أنه مما نراه من سموات وأرض نستطيع الاستدلال على القوة الأزلية للخالق العظيم، وعلى إلوهيته. أما واجبنا كمسيحيين فهو أن نجعل السماء دائما أمام عيوننا والأرض تحت أقدامنا.

ب. المبدع والسبب وراء هذا العمل العظيم.. الله. وكلمة «الله» في العبرية هي «إلوهيم»، وتعني:

◄ قوة الله الخالق؛ ذلك أن كلمة «إيل» تعني الله القوي، وهل هناك مثل الله القوي كان بمقدوره أن يوجد كل هذه الأشياء من العدم؟

◄ تعدد الأقانيم في الله الواحد، الآب، والابن، والروح القدس؛ لأن الاسم الخاص بالله (إلوهيم) نجده بصيغة الجمع في العبرية مع أن الله واحد، وهذا يؤكد إيماننا بعقيدة الثالوث، والتي على الرغم من أنه أُشير إليها بشكل غامض في العهد القديم، إلا أنها أُعلنت بشكل جلي في العهد الجديد. وكثيرا ما قيل لنا إنه: «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو ١ : ٣؛ أيضا انظر يو ١ : ١٠؛ أف ٣: ٩؛ كو ١: ١٦؛ عب ١: ٢).

ج. الطريقة التي تم بها هذا العمل: «خلق الله» أي أوجده من العدم. فلم تكن هناك مادة سابقة خُلق منها العالم. ولا يمكن لأي مبدع أن يعمل ما لم يكن لديه شيء يعمل به. غير أنه بقوة الله العظيمة لا يمكن خلق شيء من العدم فحسب (إله الطبيعة لا يخضع لقوانين الطبيعة)، بل إنه في عملية الخلق لا يمكن أن يكون الأمر على خلاف ذلك، لأنه ما من شيء يهين كرامة العقل الأزلي قدر افتراض أن المادة أزلية.

د. توقيت تمام هذا العمل: «في البدء»، أي في بدء الزمن، حين بدأت تلك الساعة في العمل لأول مرة. فقد بدأ الزمن بعد أن خُلقت الكائنات التي تُقاس بالزمن. وقبل بداية الزمن لم يكن هناك سوى ذلك الكائن غير المحدود الذي يسكن الأزل. أما بالنسبة لنا، فيكفينا القول إنه «في البدء كان الكلمة» (يو ١: ١).

(٢) ونتعلَّم من هذا:

أ. إنكار وجود الله يُعد حماقة، والملحدون هم أكثر الناس حماقة، لأنهم يرون أنه يوجد عالم لا يمكن أن يكون قد صنع نفسه، ومع ذلك لا يعترفون بوجود إله خلقه.

ب. الله هو السيد رب الكل الذي لا ينازعه في هذا الحق أحد.

ج. عند الله كل شيء مستطاع، ولذلك طوبى لأناس يكون الرب هو إلههم، وعونهم، ورجاؤهم باسمه (مز ١٢١: ٢؛ ١٢٤: ٨).

د. الإله الذي نعبده يستحق كل البركة والحمد (نح ٩: ٥ و٦). وإذا كان منه الكل، فالكل يجب أن يكون ملكا له.

ثانيا: عمل الخلق في بدايته (ع ٢)، حيث نجد تقريرا عن المادة الأولى والمحرك الأول.

(١) كانت المادة الأولى في حالة تشويش كامل، وسُميت هنا الأرض، كما سُميت أيضا «الغمر»، والاسمان مردهما ضخامتها، ولأن المياه كانت عندئذ مختلطة بها لكن فُصلت عنها بعد ذلك. كان بوسع الخالق أن يجعل عمله كاملا منذ البداية، ولكنه بهذه الخطوة التدريجية يبين لنا ما هو في العادة أسلوب عنايته الإلهية ونعمته. ويُلاحظ في وصف هذا التشويش ما يأتي:

أ. ليس فيها شيء يُسر به النظر. لأنها كانت «خربة وخالية»، وقد تُرجمت هاتان الكلمتان في إشعياء ٣٤: ١١ إلى «الخراب» و«الخلاء». وبالنسبة لمن تعلقت قلوبهم بالسماء فإن هذا العالم الدنيوي، إذا ما قورن بالعالم العلوي، تجده لا يزال يبدو لهم خرابا وخلاء.

ب. وحتى لو فرض أنه كان هناك ما يُرغِّب في رؤيته، فإنه لم يكن ثَمة نور لكي تتم الرؤية به، ذلك أنه كانت «على وجه الغمر ظلمة». وهذا التشويش يمثل حالة النفس البعيدة عن النعمة والتي لم تؤمن، ومن ثَمَّ فهي في حالة من التخبط، والفوضى، ومنغمسة في كل عمل شرير، وخالية من كل صلاح، لأنها بدون إله، وتظل مظلمة إلى أن تُجري فيها النعمة تغييرا مباركا.

(٢) كان روح الله هو المحرك الأول، حيث كان «يرف على وجه المياه»، وقد بدأ روح الله يعمل، فمَنْ أو ماذا يعوقه؟ وقد ذُكر أن الله صنع العالم بروحه (مز ٣٣: ٦؛ أي ٢٦: ١٣)، وأيضا تتم الخليقة الجديدة. كان يرف على وجه المياه. والله ليس خالق كل الكائنات فحسب، بل هو نبع الحياة وينبوع الحركة. والمادة الميتة ستظل هكذا إلى الأبد ما لم يعطها الحياة. وهذا ما يحملنا على الإيمان بأن الله يقيم الموتى.

عدد ٣– ٥

نجد هنا رواية أخرى عن عمل اليوم الأول، حيث نلاحظ:

(١) أول شيء مرئي خلقه الله هو النور، الذي بواسطته نستطيع أن نرى أعماله ومجده في المخلوقات المرئية، وحتى ننجز عملنا مادام نهارا. والنور أعظم بركات الكون وجماله. وفي الخليقة الجديدة أول شيء يُؤتى به للنفس هو النور، والروح القدس المبارك يأسر الإرادة والعواطف وذلك بتنوير الفهم. وأولئك الذين كانوا ظلاما بالخطية، بالنعمة أصبحوا نور العالم.

(٢) النور خُلق بقوة الله. فقد قال: «ليكن نور» أراد، فكان في الحال. فكلمة الله سريعة وقوية. والمسيح هو الكلمة، الكلمة الأزلي الذي لا غنى عنه، وبه خُلق النور، لأنه فيه كان النور، وهو «النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العالم» (يو ١: ٩؛ أيضا انظر ٩: ٥). والنور الإلهي يشرق في النفوس المقدسة بقوة الله، ليعطي «معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح»، لأن الله «قال أن يشرق نور من ظلمة» (٢كو ٤: ٦).

(٣) نال النور استحسان الله «ورأى الله النور أنه حسن». وإذا كان النور حسنا، فكم يكون حسنا ذاك الذي هو مصدر النور، والذي منه نستمد النور.

(٤) الله فصل «بين النور والظلمة». ومع ذلك قَسَّم الوقت بينهما، فالنهار للنور، والليل للظلمة، في تعاقب دائم ومنتظم. وعلى الرغم من أن الظلمة قد فُصلت الآن عن النور، إلا أنها تأخذ دورتها معه، ولها مكانها، لأن لها فائدتها، فكما أن نور الصباح يصاحب عمل اليوم، هكذا تصاحب ظلال المساء راحة الليل، ويرخي ستاره حولنا، حتى نستطيع النوم بشكل أفضل.

(٥) وقد فصل الله بينهما بأسماء مميزة: «دعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا». وقد أعطاهما اسميهما باعتباره سيدهما. ليتنا نعترف بالله من خلال عمله في التعاقب المستمر بين النهار والليل. وكرسهما لمجده بالعمل من أجله نهارا وبالراحة فيه ليلا.

(٦) كان هذا عمل اليوم الأول، وكان عملا حسنا. «وكان مساء وكان صباح يوما واحدا». ولم يكن هذا فقط أول يوم للعالم، بل كان أيضا أول يوم في الأسبوع. وإني أُكرِم ذلك اليوم لأن العالم الجديد بدأ في أول أيام الأسبوع، أيضا في قيامة المسيح، باعتباره نور العالم، كان ذلك باكرا في الصباح. لأن فيه «افتقدنا المُشرق من العلاء».

عدد ٦ – ٨

أمامنا هنا نبذة عن عمل اليوم الثاني، خلق الجَلَد، ونلاحظ هنا:

(١) الأمر الذي أصدره الله بهذا الخصوص: «ليكن جَلَد»، أو اتساع بحسب ما تعنيه الكلمة في العبرية كلوح رقيق يُبسط، أو ستارة أُسدلت. وهذا الجَلَد ليس جدارا فاصلا، وإنما هو مكان حيث نلتقي بعظمة الله (انظر أي ٢٦: ٧؛ ٣٧: ١٨؛ مز ١٠٤: ٣؛ عا ٩: ٦).

(٢) خلقه: ولئلا يبدو أن الله أمر فقط بخلقه، وقام آخر بهذه المهمة، فإنه يضيف «فعمل الله الجَلَد» (ع ٧). فما يطلبه الله منا، يعمله هو فينا، وإلا فلن يتم. فالذي يأمر بالإيمان والقداسة والمحبة، يخلقهم فينا بقوة نعمته التي تصاحب كلمته.

(٣) فائدته والغرض منه: «وفصل بين المياه التي تحت الجَلَد، والمياه التي فوق الجَلَد» أي ليميز بين المياه التي تغلِف السحب وتلك التي تغطي البحار. ولله –في جَلَد قوته– غرف ومخازن من المياه التي بواسطتها يروي الأرض. فما أعظمه إله، ذاك الذي يدبر كل هذا على هذا النحو لراحة كل مَنْ يخدمه.

(٤) تسميته: «ودعا الله الجَلَد سماء». وهي السماء المرئية، التي هي «أرضية» المدينة المقدسة، وقيل إن الله جعل عرشه فوق الجَلَد (حز ١: ٢٦). ويجب أن يقودنا التأمل في السماوات التي نراها بأعيننا إلى التفكير في أبينا الذي في السماوات. وعلو السماوات يجب أن يذكرنا بسمو الله، والفرق الشاسع اللانهائي بيننا وبينه، أما لمعان السماء ونقاؤها فيجب أن يذكرانا بمجده وعظمته وقداسته الكاملة، أما اتساع السماوات وتطويقها الأرض وتأثيرها عليها فيجب أن يذكرنا بعظمة عنايته الإلهية الشاملة.

عدد ٩ – ١٣

إلى هنا استُخدمت قوة الخالق في خلق الجزء العلوي من العالم المرئي.. أُضيء نور السماء، وثُبت جَلَد السماء، أما الآن فينزل إلى العالم الأدنى الذي هو الأرض، التي عُينت لسكن وإعالة بني الإنسان، وهنا نرى تهيئتها لتفَي بهذين الغرضين، بناء بيوتهم، وملء موائدهم.

أولا: كيف أُعدت الأرض لسكنى الإنسان، وذلك بتجميع المياه معا، وظهور اليابسة:

(١) أُمرت المياه التي كانت تغمر الأرض بالانسحاب والتجمع في مكان واحد. والمياه التي تجمعت على هذا النحو دعاها «بحار». والمياه والبحار في الكتاب المقدس كثيرا ما ترمز إلى المتاعب والمحن (مز ٤٢: ٧؛ ٦٩: ٢، ١٤ و١٥). وشعب الله لم يُستثن في هذا العالم من هذه المحن، غير أن ما يعزيهم أنها مجرد مياه تحت السماء (ليس هناك متاعب في السماء)، وأنها كلها في المكان الذي حدده لها الله، وفي إطار الحدود التي عينها لها.

(٢) وقال الله لتظهر اليابسة، لتبرز من بين المياه، ودعاها الله «أرضا»، «فأعطاها لبني آدم» (مز ١١٥: ١٦). ويبدو أن اليابسة كانت موجودة من قبل، غير أنه لم تكن لها فائدة لأنها كانت تحت المياه. وهكذا فإن هناك الكثير من عطايا الله التي لا يُنتفع بها لأنها مطمورة، لنعمل على إظهارها، ومن ثَمَّ تصبح نافعة تماما.

ثانيا: كيف تهيأت الأرض لإعالة الإنسان وإمداده بحاجته (ع ١١ و١٢). فما نحصل عليه الآن من مؤن، إنما هو من المنتجات المباشرة التي تقدمها لنا اليابسة التي انكشفت. أصبحت مثمرة، تنتج عُشبا للمواشي، وبقلا لخدمة الإنسان. وقد عُملت الترتيبات أيضا للزمن الآتي حيث يعمل كل منها «ثمرا كجنسه»

حتى إنه طالما وُجد الإنسان على الأرض فبمقدوره الحصول على طعامه من الأرض، لنفعه وفائدته. ونلاحظ هنا:

(١) ليست الأرض وحدها للرب، بل «كل ما فيها»، وأنه المالك والسيد الوحيد الذي له الحق، ليس فيها فقط، بل في كل ما عليها أيضا. كانت الأرض «خربة» (ع ٢)، أما الآن، وبكلمة قالها الله أصبحت عامرة من غناه.

(٢) العناية الإلهية ما هي إلا عملية خلق مستمرة، فيها نجد أبانا «يعمل حتى الآن». ولا تزال الأرض حتى الآن. وبفعالية ذلك الأمر تنبت عشبا وبقلا، وتعطي ثمرها في حينه. تظل هذه أمثلة ثابتة على قوة الله التي لا تعرف كللا، وصلاحه الذي لا يُستقصى باعتباره خالق العالم وسيده العظيم.

(٣) على الرغم من أن الله في العادة ينتفع بفاعلية الأسباب الثانوية طبقا لطبيعتها، غير أنه ليس في حاجة إليها ولا هو مقيد بها.

(٤) إنه لأمر طيب أن نعد الأشياء الضرورية قبل أن نحتاج إليها، ونلاحظ هنا أنه قبل خلق البهائم والإنسان، جُهِز لهم العشب والبقل.

(٥) يجب أن يُمجَد الله من أجل كل الفوائد التي تعود علينا من منتجات الأرض.

عدد ١٤ – ١٩

هذه الفقرة تتضمن تاريخ عمل اليوم الرابع، الذي فيه خلق الله الشمس والقمر والنجوم، والتي تُعد زينة تضفي جمالا رائعا ليس للعالم العلوي فقط، بل تُعد بنفس القدر بركة لكوكب الأرض. ونجد هنا بيانا عن خلق أنوار السماء:

أولا: بوجه عام: تضمن ع ١٤ و١٥ الآتي:

(١) الأمر الذي أُعطي بشأنها: «لتكن أنوار في جَلَد السماء». وكان الله قد قال: «ليكن نور» (ع ٣)، فكان نور، ولكن هذا كان في الواقع نور مشوَّش، متناثر ومضطرب، أما الآن فقد جُمِع وشُكِل فأصبح أكثر روعة وأكثر نفعا. والله هو إله نظام لا تشويش، وكما أنه نور، فإنه أيضا أبو الأنوار وخالقها.

(٢) فائدتها بالنسبة لهذه الأرض:

أ. للفصل بين الأوقات والأزمنة: لتفصل بين النهار والليل، الصيف والشتاء وما إلى ذلك، لأنه «لكل أمر تحت السماوات وقت» (جا ٣: ١).

ب. لتنظيم الأنشطة: ذلك أنها علامات لتغير الطقس، حتى ينظم الفلاح شئونه، إذ يُميز بواسطة وجه السماء مواسم الزراعة، إذا كان الجو صحوا أو عابسا (مت ١٦: ٢ و٣). ثم إنها «تنير على الأرض» حتى نمشي (يو ١١: ٩) ونعمل (يو ٩: ٤) طبقا لمتطلبات كل يوم. فأنوار السماء تضيء من أجلنا، من أجل مسرتنا وفائدتنا. فقد وُجدت لخدمتنا، وهي تقوم بذلك على أكمل وجه، كل منها تضيء بحسب موعدها، ولا تتخلف إطلاقا. لقد وُضعنا نحن بدورنا كأنوار في هذا العالم لخدمة الله، فهل نحن على غرارها نحقق القصد من خلقنا؟ نحن نوقد شموع سيدنا، غير أننا لا نبالي بعمله.

ثانيا: بصفة خاصة (ع ١٦– ١٨).

(١) نلاحظ أن أنوار السماء هي الشمس والقمر والنجوم، وكلها من عمل يدي الله.

أ. الشمس هي النور الأكبر. ليتنا نتعلَّم من مزمور ١٩: ١– ٦ كيف نعطي الله المجد المستحق لاسمه، باعتباره خالق الشمس.

ب. القمر نور أصغر، ومع ذلك اعتُبر هنا من بين الأنوار الكبرى. والذين يخدمون أكثر تكون لهم قيمة أكثر، والذين يعتبرون أنوارا عظيمة ليسوا هم أصحاب المواهب الأفضل، بل الذين بكل تواضع وأمانة يعملون أقصى ما في وسعهم من صلاح.

ج. كما خلق «النجوم»، ولا نعلم كيف تم ذلك، لأن الأسفار المقدسة كتبت لا لكي تشبع غريزة حب الاستطلاع فينا، أو لتجعلنا من علماء الفلك، بل لتقودنا إلى الله وتجعلنا قديسين. هذه الأنوار هي نواب للخالق، وتحت إمرته. هنا قيل عن النور الأصغر الذي هو القمر إنه «لحكم الليل»، غير أنه في مزمور ١٣٦: ٩ ذُكرت النجوم على أنها مشاركة في الحكم: «القمر والكواكب لحكم الليل». وأفضل طريقة للسيادة ولأخذ مكان لائق هي أن ننير ونعمل الصلاح، فالذين يحوزون على احترام الناس، هم أولئك الذين يحيون حياة مفيدة ونافعة، لذلك يضيئون كأنوار.

(٢) نتعلم من هذا:

أ. خطية وحماقة تلك الوثنية العتيقة، التي هي عبادة الشمس والقمر والنجوم التي ذُكر عنها هنا بكل جلاء أنها خليقة الله، ولخدمة الإنسان، ولذلك فإنها إهانة بالغة لله وتوبيخ عظيم لأنفسنا أن نجعلها آلهة ونقدم لها الإكرام المستحق لله وحده.

ب. فواجب العبادة اليومية وغايتها هي أن نمجد الله خالق كل هذه الأشياء، وأن نقدم له ذبيحة الصلاة والسبح كل صباح وكل مساء.

عدد ٢٠ – ٢٣

لا نقرأ عن خلق أي كائن حي حتى اليوم الخامس، الذي تتناوله هذه الأعداد. ذلك أنه في اليوم الخامس خلق الله الأسماك والطيور من المياه. ونلاحظ هنا:

(١) خلق الأسماك والطيور أولا (ع ٢٠ و٢١). لقد كان أمر الله أن يُخلقا. فقد قال: «لتفض المياه». ولقد نفذ هو نفسه هذا الأمر: «فخلق الله التنانين العظام» والزواحف، والتي ربما كانت مختلفة وعديدة –كأي نوع آخر من الحيوانات– وكانت من بين مخلوقات هذا اليوم. نحن نعجب لحكمة الخالق وقدرته التي تظهر في خلقه للنمل كما تظهر في خلقه للفيل. فالتكوين العجيب لأجسام الحيوانات، وتباين أحجامها وأشكالها وطبيعتها، مع القوى العجيبة للحياة ذات التفاصيل الدقيقة التي وُهبت لها، والتي لو أوليت الاعتبار اللائق لكان من شأنها ليس إسكات اعتراضات الملحدين والكافرين وخزيهم فحسب، لكن لجعلت نفوس الأتقياء المكرسين ترفع الحمد والتسبيح لله وتشيد بعلوه وسموه (مز ١٠٤: ٢٥– ٣٥).

(٢) مباركتها لتأمين استمراريتها. الحياة تبلى، وقوتها ليست في قوة الصخر؛ فهي شمعة لابد وأن تحترق وتنتهي، ما لم تُطفأ قبل نهايتها، ولذلك فإن الخالق الحكيم لم يخلق الكائنات لتنقرض، بل عمل على أنها تتوالد وتتكاثر: «أثمري واكثري» (ع ٢٢).

عدد ٢٤ و٢٥

نجد هنا الجزء الأول من عمل اليوم السادس، في هذا اليوم خُلقت وحوش الأرض والبهائم ودبابات الأرض. وهنا كما في السابق نلاحظ الآتي:

(١) أعطى الله الكلمة وقال: «لتُخرج الأرض».

(٢) قام هو أيضا بالعمل، وخلقها كلها كأجناسها، ليس فقط في أشكال مختلفة، بل من طبائع وعادات وأنماط وطرز وأطعمة متباينة– البعض يعيش على الحشائش والأعشاب، والآخر على اللحوم– البعض جريء، والآخر جبان– البعض لخدمة الإنسان وليس لإعالته مثل الخيل، والبعض الآخر لإعالته وليس لخدمته مثل الخراف– وهناك نوعية من أجل الغرضين معا مثل الثيران، وهناك ليس من أجل هذا أو ذلك مثل الوحوش المفترسة.

عدد ٢٦ – ٢٨

الجزء الثاني من عمل اليوم السادس، خلق الإنسان.

أولا: خلق الله الإنسان آخر المخلوقات جميعا، حتى لا يتطرق الشك إلى أحد بأنه كان من أية ناحية مساعدا لله في خلق العالم. ومع ذلك كان شرفا له وفضلا أن يُخلق أخيرا: كان شرفا له من ناحية أن أسلوب الخلق تطور مما هو أقل كمالا إلى ما هو أكثر كمالا. وكان فضلا، لأنه لم يكن من المناسب أن يسكن في المكان الذي خُصص له إلا بعد أن يُجهز له تماما ويُعد لاستقباله. وفور أن خُلق الإنسان وجد كل الخليقة المرئية أمامه، لكي يتأملها وينال منها راحته.

ثانيا: خلق الله الإنسان بطريقة مميزة وفورية تنُم عن حكمة الله وقوته بأكثر مما كان بالنسبة للمخلوقات الأخرى. وإلى هذه المرحلة كان قد قيل «ليكن نور»، «ليكن جَلَد»، «لتجتمع المياه»، «لتظهر اليابسة»، وما إلى ذلك، أما الآن فقد تحول الأمر إلى فكر واستشارة: «نعمل الإنسان»، الذي من أجله جعلنا كل الخليقة، وهذا عمل يجب أن نقوم به بأنفسنا. في الأوامر السابقة كان يتكلم كمَنْ له سلطان، أما في هذا فكان يتكلم كشخص مُحب، وكأن به يقول: وبعد أن انتهينا من كل الأمور الأولية، هيا بنا إلى العمل، هيا «نعمل الإنسان». كان يتعين أن يكون الإنسان مخلوقا مختلفا عن كل المخلوقات التي خُلقت قبله، فالجسد والروح،

السماء والأرض، كل هذه يجب أن توضع فيه معا، ويجب أن يكون مرتبطا بكلا العالمين. ولذلك فإن الله لم يقُم بخلقه فقط، بل سُرَّ أن يوضح كما لو كان قد عقد مجلسا للتشاور في أمر خلقه «نعمل الإنسان». وأقانيم الثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس تشاوروا في ذلك وأقروه. ليسود على الإنسان ذاك الذي قال: «نعمل الإنسان».

ثالثا: خُلق الإنسان على صورة الله كشبهه، وهما كلمتان تعبران عن نفس المعنى، وكل منهما تضفي قوة التعبير على الأخرى، «صورة»، «شبه» تشير إلى الصورة الأكثر شبها. ومع ذلك لا تزال توجد مسافة غير محدودة بين الله والإنسان. والمسيح فقط هو الصورة المُعبِّرة عن ذات الله، باعتباره الابن الذي له طبيعة أبيه. وما أُعطي للإنسان إلا بعضا من كرامة الله، الذي هو صورة الله لكن مثل الخيال في المرآة، أو مثل صورة الملك على قطعة من العملة. وصورة الله في الإنسان تتكون من هذه الأمور الثلاثة:

(١) من جهة طبيعته ووجوده، وليس من جهة صفاته الجسدية (لأنه ليس لله جسد) لكن من جهة نفسه. أما الكرامة التي أضفاها الله بالفعل على جسد الإنسان فقد تمثلت في أن الكلمة صار جسدا، ابن الله اتخذ جسدا مثلنا، وقريبا سنلبس جسدا على صورة جسد مجده. غير أن النفس.. نفس الإنسان العظيمة، هي التي تحمل بالفعل صورة الله. فنفس الإنسان، من ناحية ملكاتها الثلاث: الفهم والإرادة والقوة الفعالة ربما تكون أسطع وأنقى مرآة في الطبيعة يمكن أن نرى فيها الله.

(٢) في مكانته وسلطانه: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون». كون الإنسان يتسلط على المخلوقات الأدنى منه، فإنه بذلك يكون ممثلا لله أو نائبه على الأرض. ومع ذلك فتسلطه على نفسه بواسطة حرية إرادته يحمل في ثناياه صورة الله بأكثر مما يحمله تسلطه على غيره من المخلوقات.

(٣) في نقائه وبره: فصورة الله في الإنسان تقوم على أساس معرفته وبره وقداسته الحقيقية (أف ٤: ٢٤؛ كو ٣: ١٠). وهكذا كان آباؤنا الأولون على هذا القدر من القداسة والسعادة في انطباع صورة الله عليهم.

رابعا: خُلق الإنسان ذكرا وأنثى، وبورك ببركة الإثمار والإكثار. لقد قال الله: «نعمل الإنسان»، وبعد ذلك مباشرة «فخلق الله الإنسان»، نفذ ما استقر عليه رأيه. وبالنسبة لنا القول شيء، والعمل شيء آخر، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة لله. جعل الله للمخلوقات التي على الأرض أزواجا كثيرة، أما بالنسبة للإنسان، ألم يجعلهما (آدم وحواء) «واحدا»؟ ومن هنا اتخذ المسيح حجته ضد الطلاق (مت ١٩: ٤ و٥). فآدم، أبونا الأول، التزم بزوجة واحدة، ولو كان قد طلقها، لما وجد مَنْ يتزوجها غيرها، وهذا ما يُستشف منه أن رابطة الزواج لا يمكن أن تُفصم كلما رغب الإنسان ذلك. لم يخلق الله إلا ذكرا واحدا وأنثى واحدة، غير أن على كل الشعوب أن تعرف أنهم جميعا خُلقوا من دم واحد، وانحدروا من أصل واحد، وعلى هذا فيجب أن يحبوا بعضهم بعضا. وقد أعطاهم:

(١) ميراثا عظيما: «املأوا الأرض»، وهذا هو ما أُعطي لبني الإنسان أنهم «يسكنون على كل وجه الأرض» (أع ١٧: ٢٦). وهذا هو المكان الذي وضع الله فيه الإنسان لكي يؤهله لحالة أفضل.

(٢) عائلة كثيرة العدد وباقية لتتمتع بالميراث.

خامسا: إن الله قد أعطى للإنسان سيطرة على كل المخلوقات الأدنى منه «على سمك البحر وعلى طير السماء»، وعلى الرغم من أن الإنسان لا يعول أيا منها، إلا أنه أُعطي سلطانا عليها. لقد أراد الله بهذا أن يخلع على الإنسان كرامة. فعناية الله مستمرة للإنسان لتوفر له سلامته، ولإعالته في معيشته.

عدد ٢٩ و٣٠

الجزء الثالث من عمل اليوم السادس هو توفير الطعام لكل ذي جسد (مز ١٣٦: ٢٥).

أولا: الطعام لإعالة الإنسان (ع ٢٩)، ويجب أن يكون من بقل وفواكه، ونلاحظ هنا:

(١) أننا كما خُلقنا من تراب الأرض هكذا أيضا نقتات منها، الأمر الذي يحفزنا على التواضع. لكن هناك طعام للحياة الأبدية، الرب مستعد دائما أن يعطيه لنا.

(٢) الرب للجسد، ومنه نحصل على كل ما يلزمنا

وتتطلبه راحتنا في هذه الحياة. وهو يعطينا كل شيء بسخاء لكي نتمتع به، ليس من أجل الاحتياجات الضرورية فقط، بل يعطينا بفيض كل ما هو شهي، ومن نوعيات مختلفة، بل من أجل زينتنا وسرورنا الأمور التي يجب أن نشكره من أجلها.

(٣) أعطانا ما يجعلنا متعففين قانعين، راضين بنصيبنا. وإذا كان الله يعطينا قوتنا اليومي فحسب، فلا يجب علينا أن نتذمر مع إسرائيل بأن نطلب طعاما لشهواتنا (مز ٧٨: ١٨؛ انظر دا ١: ١٥).

ثانيا: أعطى الله طعاما للحيوانات (ع ٣٠)، فهل كان يهتم بالثيران؟ نعم، إنه بكل تأكيد يدبر طعامها، وليس للثيران فقط، بل حتى الأشبال والغربان الصغيرة لها نصيبها من رعاية الله. وهو مُدبر بيت عظيم، غني وسخي جدا، وهو يشبع احتياجات كل كائن حي. والذي يطعم طيوره، لا يترك أطفاله يتضورون جوعا.

عدد ٣١

استحسان كل عمل الخليقة وختامه.

أولا: استعراض الله لعمله: «ورأى الله كل ما عمله». وهو لا يزال يفعل ذلك، وكل أعمال يديه هي تحت عينيه. وعلمه بكل شيء لا يمكن فصله عن قدرته على كل شيء. ولكن هذا كان تأمل العقل الأزلي في عمل حكمته ونتاج قوته. ولقد وضع الله لنا بذلك مثالا يُعلِّمنا كيف نفحص ونراجع أعمالنا. فبعد أن ننهي عمل يوم، ونكون بصدد التأهب للراحة بقية الليل، يجب أن نتشاور في قلوبنا عما قمنا بعمله في ذلك اليوم.

ثانيا: رضاء الله عن عمله. لم يعلن أنه حسن، إلا بعد أن رآه كذلك، لكي يُعلِّمنا ألا نجيب عن أي أمر قبل أن نسمعه جيدا.

(١) كان حسنا، لأن كل شيء كان يتناغم مع فكر الخالق؛ فقد جاء مطابقا لما يريده. وكان حسنا لأنه يوفي بالقصد من خلقته، ومناسبا للغرض الذي صُمم من أجله. كان حسنا لأنه مفيد للإنسان الذي عيَّنه الله سيدا للخليقة المرئية، وكان حسنا لأن ذلك كله كان يؤول لمجد الله.

(٢) كان «حسن جدا». وبالنسبة لعمل كل يوم (ماعدا اليوم الثاني) قيل إنه حسن، أما الآن، فكان حسنا جدا، لأن:

أ. الإنسان كان قد خُلق عندئذ، الذي كان الأساس بالنسبة لتدبير الله، والذي قصد به أن يكون الصورة المرئية لمجد الخالق، وفم الخليقة الذي به تسبحه.

ب. والآن إذ خُلق كل شيء، وكل جزء منه كان حسنا، غير أن الكل في مجموعه كان حسنا جدا. فالمجد والصلاح، والجمال والتناغم في أعمال الله، سواء أعمال عنايته أم أعمال نعمته كما هي في خليقته تظهر على أفضل حال عند كمالها. ولذلك علينا ألا نحكم في أي شيء قبل الوقت.

ثالثا: الزمن الذي أُنجز فيه هذا العمل: «وكان مساء وكان صباح يوما سادسا»، وهكذا خلق الله العالم في ستة أيام. وليس لنا إلا أن نعتقد أنه كان بمقدور الله أن يخلق العالم في لحظة واحدة. فذاك الذي قال: «ليكن نور فكان نور»، كان بوسعه أن يقول: «ليكن عالم»، وكان لابد أن يكون هناك عالم، «في لحظة في طرفة عين» كما سيكون في القيامة (١كو ١٥: ٥٢). ولكنه تمَّم العمل بحسب رؤيته هو، وفي الوقت الذي أراده.

الأصحاح الثاني

هذا الأصحاح يعد ملحقا لتاريخ الخليقة، وهو يركز بصفة خاصة على شرح وتفصيل ذلك الجزء من التاريخ الذي يتعلق بالإنسان بصفة مباشرة. ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: تعيين يوم السبت وتقديسه (ع ١– ٣).

ثانيا: معلومات أخرى خاصة تتعلق بخلق الإنسان (ع ٤– ٧).

ثالثا: وصف لجنة عدن، ووضع الإنسان فيها تحت التزامات طاعة الوصية (ع ٨– ١٧).

رابعا: خلق المرأة، وزواجها بالرجل، وتأسيس فريضة الزواج (ع ١٨– ٢٥).

عدد ١ – ٣

أولا: توطيد مملكة الطبيعة، إذ استراح الله من عملية الخلق (ع ١ و٢). ونلاحظ هنا:

(١) نُظمت المخلوقات سواء في السماء أو على الأرض ووضعت تحت سلطان، وكل منها عرف مكانه والتزم به.

(٢) انتهى خلق السماوات والأرض، وكذلك كل ما فيهما من مخلوقات.

(٣) بعد نهاية الأيام الستة الأولى انتهى الله من جميع أعمال الخليقة. لكنه وضع لها النواميس والقوانين التي تسلك بموجبها، أما عن المعجزات التي أجراها والتي تبدو مخالفة لتلك النواميس، إنما هي سيطرة على الطبيعة وليس تغييرا لمساراتها المحددة لها.

(٤) الله الأزلي استراح ليس لأنه تعب، بل لأنه كان مسرورا بما صنعت يداه.

ثانيا: ابتداء ملكوت النعمة، بتقديس السبت (ع ٣)، ونلاحظ هنا:

(١) ضرورة حفظ أحد الأيام السبعة كيوم راحة مقدسة وعمل مقدس لمجد الله، هو واجب لا غنى عنه لكل الذين أعلن لهم الله سبوته المقدسة.

(٢) أيام السبت قديمة قدم العالم نفسه، ولست أرى أي مبرر للشك في أن السبت إذ أُقيمت شريعته قبل سقوط البشرية كان يُحفظ من الناحية الدينية بواسطة شعب الله طوال عصر الآباء.

(٣) سبت الرب مكرم حقا، ولدينا من الأسباب ما يحملنا على تكريمه في طاعة للرب.

(٤) يوم السبت يوم مبارك، لأن الله باركه، والذي يباركه الله، يكون مباركا حقا. لقد وعد الرب في ذلك اليوم أن يتقابل معنا ويباركنا.

(٥) السبت يوم مقدس، لأن الله قدسه.

عدد ٤ – ٧

في هذه الأعداد:

أولا: نجد هنا اسما للخالق لم نقابله قبل ذلك وهو يهوه «الرب»، نجده دائما بحروف كبيرة في الترجمة الإنجليزية ليشير إلى أنه في الأصل هو «يهوه». وطوال الأصحاح الأول كان يسمى «إلوهيم»– إله القوة، أما الآن فإن اسمه هو «يهوه إلوهيم»– إله القوة والكمال، الإله الذي يتمِّم كل شيء. «ويهوه» هو الاسم العظيم الذي لا يُعبَّر عنه، وهو اسم يدل على أن الله له وجود في ذاته وأنه يعطي الوجود لكل الكائنات.

ثانيا: ذُكرت ملحوظة أخرى عن ثمار الزرع والعشب، لأنها خُلقت وعُينت لتكون طعاما للإنسان (ع ٥ و٦). ونلاحظ هنا:

(١) لم تُخرج الأرض ثمارها من تلقاء نفسها، بل بواسطة قوة الله القدير. هكذا أيضا النعمة للنفس، تلك النبتة الطيبة، لا تنمو من تلقاء نفسها، لكنها من عمل يدي الله نفسه.

(٢) المطر أيضا هو عطية من الله؛ لذلك لم يسقط حتى أمطر الرب الإله على الأرض.

(٣) على الرغم من أن الله يعمل في العادة من خلال وسائل، إلا أنه ليس مقيدا بها.

(٤) يهتم الله بسقي النباتات بطريقة أو أخرى التي هي من غرسه. وعلى الرغم من أنه حتى ذلك الحين لم يكن هناك مطر، فلقد خلق الله الطل معادلا للمطر، وبه سقى «كل وجه الأرض». ونعمة الله تنزل مثل الضباب، أو الندى الهادئ وتروي الكنيسة دونما ضوضاء (تث ٣٢: ٢).

ثالثا: لمحة أكثر دقة عن خلق الإنسان (ع ٧). والإنسان عالم صغير، يتكون من سماء وأرض، روح وجسد. ونجد هنا نبذة عن أصل كل منهما.

(١) الأصل المتواضع لجسد الإنسان على الرغم من تركيبه العجيب.

أ. مادة الصنع كانت حقيرة. فقد خُلق «ترابا من الأرض»، وكان أمرا مستبعدا تماما أن يُخلق الإنسان منه، غير أن نفس القوة غير المحدودة التي خلقت العالم من العدم، خلقت الإنسان، الذي هو أعظم ما في العالم. لم يُخلق من تراب الذهب، أو مسحوق اللآلىء، أو تراب الجواهر، بل من تراب عادي، وهو تراب الأرض. فنسيجنا أرضي، وتشكيله مثل آنية الفخار (أي ١٠: ٩). فماذا لدينا لكي نفتخر به إذًا ؟

ب. ومع ذلك كان الخالق عظيما، وكل ما عمله حسن. وعن المخلوقات الأخرى قيل إنها خُلقت أو عُملت، أما عن الإنسان فقد ذُكر أنه جُبِل، الأمر الذي يُستشف منه أنه تضمن عملية تدريجية تتطلب دقة تامة، وقد تفوقت دقة الصنعة على المواد المستخدمة. ليتنا نقدم أجسادنا ذبيحة حية مقدسة لله (رو ١٢: ١).

(٢) الأصل الرفيع والقيمة العالية لنفس الإنسان.

أ. منشأها نسمة من السماء: لم تُخلق من التراب كالجسد، بل جاءت من عند الله مباشرة. ليت النفس التي خلقها الله فينا تحيا من أجله. ليتنا نستودع نفوسنا في يديه، لأننا من يديه أخذناها.

ب. النفس هي الإنسان. بدون النفس يصبح الجسد جثة كريهة، غير نافع وبلا قيمة. ومن حيث إن مصدر النفس نبيل على هذا النحو، وطبيعتها وملكاتها رائعة إلى هذا الحد، ليتنا لا نكون من ضمن هؤلاء الحمقى الذين يحتقرون نفوسهم ويفضلون أجسادهم عليها (أم ١٥: ٣٢).

عدد ٨- ١٥

يتكون الإنسان من جسد ونفس. جسد مخلوق من تراب، ونفس خالدة عاقلة هي نسمة من السماء، ونجد في هذه الأعداد التدبيرات التي اتُخذت من أجل سعادة كل منهما. فالذي خلق الإنسان اهتم بسعادته، وكان الإنسان سيظل سعيدا لو استمر على هذا الحال.

أولا: وصف لجنة عدن، التي قُصد بأن تكون مسكنا وفردوسا لذلك السيد العظيم. والقصر الخاص بهذا الملك. وكاتب هذا السفر الموحى إليه، وهو يكتب في هذا التاريخ لليهود أولا، ويجمع قصص شعب الله في بدايته، نراه يصف الأشياء بمظاهرها المرئية الخارجية، ثم يترك لنا -من خلال إعلانات أخرى للنور الإلهي- أن نصل إلى فهم الأسرار الكامنة وراءها. ولذلك نراه لا يشدِّد كثيرا على سعادة آدم الذهنية بقدر ما يشدِّد على حالته الخارجية.

(١) المكان الذي عُيِّن لإقامة آدم كان جنة، ليس بيتا عاجيا، ولا قصرا مغشى بالذهب، بل جنة مفروشة ومزينة بالطبيعة، وليس بالمهارة. كانت السماء سقفا لبيت آدم، ولم يسبق أن وُجد سقف مزين رائع مثل هذا السقف الجميل. كانت الأرض هي أرضيته، ولم يسبق أن وُجدت أرضية مزينة بمثل هذا الثراء. كانت ظلال الأشجار موضع راحته، تحتها كانت حجرة طعامه، وتحتها أيضا كانت غرف إقامته، ولم يكن هناك حجرات بهذه الروعة، بل إن قصر سليمان في كل مجده لم يكن مكسوا على هذا النحو من الجمال. والطبيعة تقنع بالقليل وبما هو فطري أصيل، والنعمة تقنع بأقل من ذلك، أما الشهوة فلا تقنع بشيء.

(٢) تصميم وتجهيز هذه الجنة كان عملا مباشرا لحكمة الله وقوته. لقد غرس الرب الإله هذه الجنة. وما من مباهج يمكنها أن تسعد النفس وتلقى قبولها سوى تلك التي دبرها الله نفسه وعينها لها، وليس هناك فردوس حقيقي سوى ما غرسه الله.

(٣) موقع هذه الجنة كان جميلا للغاية. كانت في عدن، والتي تعني «بهجة» و«سرورا». وقد أُشير إلى هذا المكان هنا بعلامات وحدود كافية. ليتنا نولي عنايتنا بالتأكيد من وجود مكان لنا في الفردوس السماوي، وهناك لن نكون في حاجة إلى أن نربك أنفسنا بالبحث عن مكان الفردوس الأرضي.

(٤) الأشجار التي غرست في هذه الجنة:

أ. كان بها أفضل الأشجار وأحسنها. فالله، كأب رحيم، لم يكن يهدف إلى نفع آدم فقط، بل ومسرته أيضا، لأن هناك مسرات تتناغم مع البراءة، والواقع أن هناك مسرة حقيقية وسامية في البراءة، ولكن:

ب. كان بها شجرتان فريدتان في نوعيتهما، ولا يوجد نظير لهما على الأرض. «شجرة الحياة في وسط الجنة»، وكانت خاتما وعلامة أعطيت لآدم، تؤكد له استمرارية الحياة والسعادة، بل حتى الخلود والسعادة الأبدية، من خلال نعمة خالقه وفضله، شريطة محافظته على حالة البراءة والطاعة التي هو عليها. من هذه يمكنه أن يأكل ويعيش. والمسيح بالنسبة لنا الآن هو شجرة الحياة (رؤ ٢: ٧؛ ٢٢: ٢). وكانت هناك «شجرة معرفة الخير والشر»، والتي سُميت هكذا، ليس لأي فضيلة فيها تعطي أو تزيد المعرفة النافعة، بل لأنه كان هناك إعلان إلهي واضح وقاطع عن مشيئة الله بالنسبة لهذه الشجرة، فعن طريقها يعرف الإنسان الخير والشر الأخلاقي. ما هو الخير؟ الخير هو ألا تأكل من هذه الشجرة. وما هو الشر؟ الشر هو أن تأكل منها. والتمييز بين كل ما هو خير وكل ما هو شر من الناحية الأدبية بخلاف ذلك مكتوب بالطبيعة في قلب الإنسان. أما النهي عن الأكل من تلك الشجرة

كانت وصية مكتوبة عليها. لأنه قد أُتفق على أنها تُعطي آدم معرفة اختبارية بالخير، عن طريق فقده، ومعرفة بالشر عن طريق الإحساس به. وكما أن عهد النعمة لا يتضمن فقط «آمن... خلُص»، بل يتضمن أيضا: «ومَنْ لم يؤمن يُدَن» (مر ١٦: ١٦)، فهكذا أيضا عهد البراءة لا يتضمن فقط، «افعل هذا فتحيا»، والذي خُتم وأُكد بواسطة شجرة الحياة، بل تضمن أيضا لا تطع فتموت، والذي تأكد آدم منه بواسطة هذه الشجرة.. المسها فيكون في ذلك هلاكك. وهكذا فإنه من خلال هاتين الشجرتين، وضع الله أمامه الخير والشر، البركة واللعنة (تث ٣٠: ١٩).

(٥) الأنهار التي كانت تروي هذه الجنة (ع ١٠- ١٤). هذه الأنهار الأربعة (أو نهر متفرع إلى أربعة فروع) ساهمت إلى حد كبير في إضفاء الجمال على هذه الجنة، وفي إثمارها. ويوجد في الفردوس السماوي نهر يفوق هذه الأنهار بلا حدود، لأنه نهر ماء الحياة، لا يخرج من عدن، مثل هذه الأنهار، بل يخرج من عرش الله والخروف (رؤ ٢٢: ١)، نهر «سواقيه تُفرِّح مدينة الله» (مز ٤٦: ٤). أرض الحويلة بها ذهب وأطياب وأحجار كريمة، غير أن لدى عدن ما هو أفضل بلا حدود، فلديها شجرة الحياة، والشركة مع الله. وهكذا نستطيع القول إن أهل الحويلة لديهم الذهب، أما نحن فلدينا الإنجيل، والذهب الذي في أرضهم خير، غير أن كنوز ما لدينا أفضل بما لا يُقاس.

ثانيا: وُضع آدم في هذا الفردوس البهيج (ع ١٥)، حيث نلاحظ:

(١) كيف ملَّكه الله عليها:

أ. بعد أن خلقه الله من تراب، وضعه في الجنة. لقد كان مخلوقا من تراب عادي، وليس من تراب الجنة. وما كان بوسعه الادعاء بأنه له حق احتلالها، لأنه لم يُولد فيها، ولم يكن يملك أي شيء سوى ما يعطيه له الله.

ب. نفس الإله الذي أعطاه وجوده، هو الذي باركه. والذي خلقنا هو وحده القادر أن يسعدنا.

ج. إنه لمما يضفي السعادة علينا تحت أية ظروف أن نرى الله بوضوح يتقدمنا ويضعنا فيها. وإذا لم نعاند العناية الإلهية، فإن الله يختار لنا نصيبنا (انظر مزمور ٤٧: ٤).

(٢) كيف عيَّنه الله لكي يعمل في الجنة ويعتني بها. الفردوس نفسه لم يكن مكانا فيه يُعفى الإنسان من العمل، ونلاحظ هنا:

أ. لم يُرسل أحد منا إلى العالم ليركن إلى الكسل. فذاك الذي خلق لنا النفس والجسد أعطانا ما نعمله بهما. ذاك الذي أعطانا وجودنا، كلَّفنا بالعمل، لنخدمه، ونخدم جيلنا، ونعمل من أجل خلاصنا.

ب. الأعمال الدنيوية لا تتعارض أبدا مع حالة البراءة والشركة مع الله.

ج. حرفة الزراعة حرفة عتيقة ومحترمة، وكانت الحاجة إليها حتى في الجنة، وهي حرفة تتيح للإنسان الفرصة للإعجاب بالخالق. وفيما تكون يداه تعمل بأشجاره، يكون قلبه مع الله.

د. هناك سرور حقيقي في العمل الذي يدعونا الله إليه ويستخدمنا فيه.

ثالثا: الأمر الذي أصدره الله للإنسان بشأن الطهارة، والعهد الذي قطعه معه حينئذ. إلى هنا رأينا الله باعتباره الخالق القدير للإنسان، والمحسن الكريم إليه، أما الآن فنراه حاكمه والمشرِّع الذي يعطيه الناموس.

عدد ١٦ و١٧

أولا: سلطان الله على الإنسان، باعتباره مخلوقا له عقله ويتمتع بحرية الإرادة. الرب الإله يوصي الإنسان، الذي يُعد الآن أبا وممثلا للبشرية كلها، لكي يتسلم الشريعة، كما تسلم الطبيعة منذ فترة بسيطة. وكما أُعطيت الوحوش الغريزة الخاصة بكل منها، كذلك أُعطي الإنسان القدرة على أداء خدمة موافقة للعقل ومن ثَمَّ لم يتسلَّم الأوامر من الخالق فقط، بل تسلَّم الأمر من الملك والسيد.

ثانيا: التأثير الخاص لهذا السلطان في تقرير ما ينبغي عليه عمله:

(١) التأكيد على سروره الراهن، وذلك بالمنحة التي أعطاها له: «من جميع شجر الجنة تأكل أكلا». وهذا لا يُعد مجرد سماح بالحرية بالنسبة لآدم، بل

كان يمثل أيضا، تأكيدا بالحياة المعطاة له، حياة أبدية إذا أطاع الوصية. وهكذا فإنه على أساس الطاعة الشخصية الكاملة والدائمة، يتأكد آدم من أن الجنة تكون له ولنسله إلى الأبد.

(٢) اختبار طاعته: كانت عقوبة عدم الطاعة هي الحرمان من كل سعادته: لتعلم يا آدم أنك الآن تسلك حسنا، وقد وُضعت في الجنة تحت الاختبار، كن يقظا ومطيعا، فتنعم بالسعادة إلى الأبد، وإلا فسوف تكون في بؤس بقدر ما أنت عليه الآن من سعادة. ونلاحظ هنا:

أ. هُدد آدم بأنه إذا خالف الوصية موتا يموت ومما تجدر الإشارة إليه هنا:

◄ حتى آدم وهو في حالة البراءة أُرعِب بتهديد.

◄ العقوبة التي هُدد بها هي الموت.

◄ تم التهديد بذلك كنتيجة مباشرة للخطية.

ب. أُختبر آدم بوصية محددة ألا يأكل من «شجرة معرفة الخير والشر».

◄ تلك الوصية نابعة من مشيئة المشرِّع وحده. فآدم بطبيعته لم يعرف الشر، ومن ثَمَّ فهو يُختبر بشيء لا يُعد شرا سوى لأنه ممنوع فقط.

◄ لأن المنع من الأكل موَّجه ضد رغبات الجسد والعقل، واللذين يُعدان من المصادر الكبرى للخطية في الطبيعة الفاسدة للإنسان، وهذا المنع يكبح كلا من شهيته نحو اللذات الحسية، وأيضا من نحو طموحه في إشباع فضوله، فيحكم جسده بواسطة نفسه، ويحكم نفسه بواسطة الله.

عدد ١٨ – ٢٠

أولا: مثال على عناية الخالق بالإنسان واهتمامه الأبوي براحته (ع ١٨). جعله يعرف– تشجيعا له على طاعته– أنه صديق.

(١) كيف أشفق الله بحنانه على الوحدة التي يعانيها آدم. وذاك الذي خلقه كان يعرفه، ويعرف ما هو صالح له، بأكثر مما يعرف آدم نفسه، ومن ثَمَّ قال: «ليس جيدا أن يكون آدم وحده».

أ. ليست في الوحدة راحته؛ لأن الإنسان مخلوق اجتماعي، والوحدة الكاملة تحول الجنة إلى قفر، والقصر إلى زنزانة مظلمة.

ب. ليست في صالح زيادة النوع واستمراريته. وكان بوسع الله أن يخلق عالما مليئا بالناس منذ البداية. غير أن الله رأى أن يأتي ذلك العدد عبر تعاقب الأجيال، وأن يكون ذلك من خلال اثنين، وهذان الاثنان –ذكرا وأنثى– يكونان واحدا.

(٢) كيف أن الله في حنانه قرر أن يدبر شريكا له. ونتج عن هذا التفكير هذا القرار: «فأصنع له معينا نظيره»، ونلاحظ من هذا:

أ. نحن في حاجة إلى معونة كل منَّا للآخر حتى ونحن في أفضل حالة في هذا العالم.

ب. إن الله فقط هو الذي يعرف احتياجاتنا على نحو من الدقة، وهو قادر تماما على أن يدبرها لنا (في ٤: ١٩). ومعونتنا فيه وحده، ومنه يأتينا كل عون.

ج. الزوجة «معين» مناسب، وهي معين من قِبل الرب.

د. مجتمع العائلة، إذا كانت حسنة، تُعد تعويضا كافيا عن عذاب الوحدة. والذي له إله صالح، وقلب صالح، وزوجة صالحة يتحدث معها، ومع ذلك يشكو افتقاره إلى مَنْ يحادثه، ما كان سيشعر بهدوء أو راحة حتى في الجنة.

ثانيا: مثال على خضوع المخلوقات للإنسان، وسلطانه عليها (ع ١٩ و٢٠). هكذا أعطى الله للإنسان حقوقا في التملك الحر للممتلكات العريضة التي منحها له إذ أعطاه سلطانا على جميع المخلوقات. لقد أحضرها له الله لكي يقوم هو بتسميتها، وبذلك يمكنه أن:

(١) يقدم دليلا على معرفته، باعتباره مخلوقا وُهب ملكات العقل والكلام.

(٢) يقدم دليلا على قوته، فرض الأسماء يُعد عملا من أعمال السلطة. لقد أعطى الله الأسماء للنهار والليل، وللسماء والأرض، والبحر ودعا النجوم بأسمائها، لكي يبين أنه سيدها الأعلى. غير أنه سمح لآدم أن يُسمي الحيوانات والطيور، باعتباره السيد المعيَّن عليهم من قِبل الرب، لأنه إذ خلقه على صورته، فإنه بذلك أعطاه بعضا من كرامته.

ثالثا: مثال على عدم كفاية المخلوقات لتكون

سبب سعادة للإنسان، وأما وسط هذه كلها لآدم، لم يجد «معينا نظيره». ويُلاحظ هنا:

(١) كرامة الطبيعة البشرية وسموها.

(٢) بُطلان هذا العالم والأشياء التي فيه، إذا جُمعت كلها معا لن تكون معينا نظيرا للإنسان؛ لأنها لن تتناسب مع طبيعة نفسه، أو تقدم له احتياجاتها، ولن تشبع احتياجاتها المشروعة، أو تتواكب مع استمراريتها الدائمة.

عدد ٢١ – ٢٥

تتضمن هذه الفقرة:

أولا: خلق المرأة، لتكون معينا نظيرا لآدم، ونلاحظ هنا:

(١) خُلق آدم أولا، ثم بعد ذلك حواء (١تي ٢: ١٣). فإذا كان الرجل هو الرأس فالمرأة هي التاج، تاج لزوجها، تاج الخليقة المرئية. كان الرجل من تراب منقى، غير أن المرأة كانت من تراب عالي النقاء. سبق أن أُبعد قبل ذلك عن الأرض.

(٢) كان آدم نائما أثناء خلق الله لزوجته، كواحد ألقى كل همه على الله، حيث كان سعيدا بأن يُسلِّم نفسه وكل شئونه لمشيئة خالقه وحكمته «يهوه يرأه»، ليُعيِّن الله مَنْ يختار، وفي الوقت الذي يراه.

(٣) أوقع «الرب الإله سُباتا على آدم»، فإذ لم يعمل خطية، فإن الله سيعمل على ألا يشعر آدم بأي ألم.

(٤) «وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة»، لم تُخلق من رأسه لتسود عليه، ولا من قدمه حتى لا يدوسها بقدمه، بل من جنبه، لكي تكون مساوية له، أسفل إبطه ليحميها بذراعه، وبالقرب من قلبه، لكي تكون محبوبة لديه.

ثانيا: زواج المرأة بآدم. الزواج مُكرَّم، غير أن هذا كان أكثر حالات الزواج إكراما على وجه الإطلاق، حيث باشرها الله بنفسه. (ويقولون) أن الزيجات تُعقد في السماء، ونحن واثقون أن هذه الزيجة كانت كذلك، لأن الرجل والمرأة والزواج كلها كانت من عمل الله، ذلك أنه بقوته خلق «الاثنين»، أما الآن فبفريضته، أي بترتيبه، جعلهما واحدا.

(١) الله، كأبيها، أحضر المرأة للرجل كنصفه الآخر وكمعين نظيره. والزوجة التي هي من عمل الله بنعمته الخاصة، والتي يأتي بها الله بعنايته الإلهية الخاصة، سوف تثبت أنها معين نظير للرجل.

(٢) ومن الله، كأبيه، تسلمها آدم منه. وعطايا الله لنا يجب أن نتقبلها بتواضع وعرفان وإقرار بحكمته الإلهية التي تجعلها مناسبة لنا، وبنعمته في إعطائها لنا. وفضلا عن ذلك، وكعلامة على قبوله لها، أعطاها اسما لا تتفرد به وحدها، بل هو شائع لكل جنسها: «هذه تُدعى امرأة»، تختلف عن الرجل في الجنس فقط، وليس في الطبيعة.

ثالثا: إقامة فريضة الزواج، ووضع ناموسه (ع ٢٤). حفظ السبت والزواج كانتا فريضتين أُقيمتا أثناء فترة البراءة، الأولى من أجل العبادة، والثانية من أجل حفظ الجنس البشري. ويبدو (مما جاء في متى ١٩: ٤ و٥) أن الله نفسه هو الذي قال هنا: «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته».

(١) نرى هنا مدى عظمة فضيلة الفريضة الإلهية، ذلك أن روابطها أقوى حتى من العلاقات التي بالطبيعة.

(٢) نرى هنا كيف يجب على الأبناء الحصول على موافقة والديهم عند زواجهم.

(٣) نرى هنا مدى الحاجة إلى التعقل والصلاة عند اختيار الطرف الآخر في هذه العلاقة، التي تتسم بالصلة القوية والاستمرارية.

(٤) نرى هنا مدى قوة الرابطة الزوجية، والتي يجب ألا تُفصم أو يتم إضعافها بتعدد الزوجات (ملا ٢: ١٥)، أو نحطمها أو نقطعها بالطلاق، لأي سبب سوى الزنا.

(٥) نرى هنا كيف ينبغي أن تكون المحبة قوية بين الرجل وزوجته، كما هو الحال بالنسبة لأجسادنا (أف ٥: ٢٨).

رابعا: دليل على نقاء وطهارة الحالة التي خُلق عليها أبوانا الأولان (ع ٢٥). كان كلاهما عريانين. لم يكونا في حاجة إلى ملابس لتقيهما من البرد أو الحر. والواقع أنهما لم يحتاجا إليها بغية الاحتشام. «هما لا يخجلان» لم يكونا يعرفان ما هو الخجل

(بحسب الترجمة الأرامية). فالذين لا تؤرق الخطية ضميرهم، لا تعرف وجوههم الخزي، على الرغم من كونهم عرايا.

الأصحاح الثالث

نقرأ هنا عن خطية أبوينا الأولين وبؤسهما.. غضب الله عليهما ولعنته لهما، اضطراب سلام الخليقة، وتشويه جمالها وتلطيخه، أصبح كل شيء سيئا، بل وسيئا جدا.

أولا: إغواء البريء (ع ١– ٥).

ثانيا: خطيئة المجرَّب (ع ٦– ٨).

ثالثا: إدانة المخطئ (ع ٩ و١٠).

رابعا: ثبوت صحة الاتهام وإدانته (ع ١١– ١٣).

خامسا: صدور الحكم بعد الإدانة (ع ١٤– ١٩).

سادسا: إرجاء تنفيذ الحكم (ع ٢٠ و٢١).

سابعا: على الرغم من الإرجاء إلا أن التنفيذ تم جزئيا (ع ٢٢– ٢٤). ولولا الإشارات الكريمة التي أُعطيت هنا عن الفداء بواسطة النسل الموعود، فإنهما وكل ذريتهما الفاسدة الآثمة كانوا سيُتركون في يأس لا نهاية له.

عدد ١ – ٥

أولا: المجرِّب، وكان ذلك الشيطان في شكل وصورة حية.

(١) من المؤكد أن الشيطان هو الذي خدع حواء، والشيطان هو إبليس.. الحية القديمة (رؤ ١٢: ٩) وهو روح ماكر.. خبيث، خُلق كملاك من نور، وكان من الخدام المحيطين بعرش الله مباشرة، غير أنه بالخطية ارتد عن حالته الأولى، وأصبح متمردا ضد سلطان الله وكرامته. وكان يدرك أنه ليس بوسعه أن يُهلك الإنسان إلا عن طريق إفساده. ولذلك فالدور الذي كان على الشيطان أن يقوم به هو أن يستدرج والدينا الأولين إلى الخطية، وبذلك يفصل بينهما وبين إلههم، لقد كان الجنس البشري ممثلا فيهما لذلك سدد إليهما الشيطان طعنته.

(٢) كان الشيطان في صورة حية.

أ. كثير من التجارب الخطيرة تأتي إلينا في ألوان زاهية جميلة، غير أنها في حقيقتها سطحية، وتبدو أنها آتية من فوق، لأن الشيطان يمكن أن يبدو في صورة ملاك من نور، ثم:

ب. لأنه مخلوق ماكر خبيث، ولقد قُدمت أمثلة كثيرة على مكر الحية، ومما تجدر ملاحظته أنه لا يوجد أي شيء يمكن أن يخدم الشيطان به نفسه ومصالحه أكثر من تظاهره بالرقة والبراءة.

ثانيا: الشخص الذي جُرِّب هو المرأة، التي كانت في ذلك الحين تقف وحيدة وعلى مسافة من زوجها، لكنها كانت قريبة من الشجرة المحرَّمة، وكان من ذكاء الشيطان أنه:

(١) يهاجم الآنية الضعيفة بتجاربه.

(٢) كان من سياسته أن يدخل في حديث معها في الوقت الذي كانت فيه وحيدة. هناك تجارب كثيرة توفر لها الوحدة مزايا عظيمة، غير أن شركة القديسين تسهم كثيرا في تقويتهم وسلامتهم.

(٣) استغل فرصة وجودها بالقرب من الشجرة المحرَّمة، ولعلها كانت في ذلك الحين تتفرس في فاكهتها لا لشيء سوى أن تشبع غريزة حب الاستطلاع فيها، والذين لا يريدون الأكل من الثمرة المحرَّمة لا يجب عليهم الاقتراب من الشجرة المحرَّمة.

(٤) لقد جرَّب الشيطان حواء؛ لأنه من خلالها كان يطمع في خداع آدم.

ثالثا: التجربة نفسها، والزيف الذي انطوت عليه. ما استهدفه الشيطان هو إقناع حواء لتأكل من الثمرة المحرَّمة، ولكي يحقق ذلك، سلك نفس السبيل الذي لا يزال يتبعه حتى الآن. تساءل أولا ما إذا كان هذا يُعد خطية أم لا (ع ١)، وأنكر أن ذلك يتضمن أية خطورة (ع ٤). بل ذكر لها كثيرا من الفوائد التي تنتج عن ذلك (ع ٥). وكانت الموضوعات العامة التي خاض فيها:

(١) تساءل ما إذا كان الأكل من هذه الشجرة يُعد خطية أم لا، وهل حقا ثمارها محرَّمة.

أ. قال للمرأة: «أحقا قال الله لا تأكلا ؟» والكلمة الأولى من هذا السؤال تشير إلى أن هناك ما سبق أن قيل، لعله كلام كانت حواء تُحدِّث به نفسها، فالتقطه الشيطان وطعَّم به هذا السؤال. ونلاحظ هنا:

◄ لم يكشف في البداية عن قصده، بل وجَّه سؤالا بدا وكأنه سؤال بريء: لقد سمعت بعض الأخبار،

وأريد التحقق من صحتها، هل منعكما الله من الأكل من هذه الشجرة؟

◄ أورد السؤال بطريقة خادعة بحيث أظهره وكأنه يحرِّم الأكل ليس من تلك الشجرة وحدها، بل من الأشجار كلها.

◄ بدا وكأنه يتكلم بسخرية، حيث يوبخ المرأة على جبنها لعدم اقترابها من تلك الشجرة.

◄ إن من خبث الشيطان أن يشوِّه سمعة الناموس الإلهي فيصوره بأنه غير مؤكد، أو غير معقول، وهكذا يجُر الناس إلى الخطية.

ب. إجابة على سؤاله أعطته المرأة فكرة واضحة وكاملة عن الناموس الذي يحكمهما (ع ٢ و٣). ومما تجدر ملاحظته هنا:

◄ كان ضعفا منها أن تدخل في حديث مع الحية. إنه لأمر خطير أن يدخل الإنسان في مفاوضات مع تجربة كان يتعين عليه رفضها منذ البداية بازدراء وكراهية. فالحامية العسكرية التي تبحث إمكانية التفاوض لا تكون بعيدة عن الاستسلام.

◄ كان من الحكمة أن تذكر الحرية التي منحها الله لهما. نعم، كان يجب أن تقول: لقد قال لنا إنه بوسعنا أن نأكل من ثمار كل الأشجار، وشكرا لخالقنا أنه سمح لنا بالأكل من أشجار كثيرة ومتنوعة.

◄ ويكون هذا مثالا على إصرارها على الالتزام بالأمر، وتردده بأمانة، على أنه أمر يقيني لا يقبل الشك: «لا يجب علينا الأكل، ولذلك لن نلمسها؛ ذلك أنها ممنوعة تماما، ونحن نقدِّس السلطة التي أصدرت هذا التحريم».

◄ بدت وكأنها مترددة بالنسبة للتهديد، وكل ما قالته في هذا الشأن هو «لئلا تموتا».

(٢) أنكر الشيطان أن الأمر يتضمن أية خطورة، وأصرَّ على أنه لا يعد انتهاكا لمبدأ، ولن يجلب أية عقوبة: «لن تموتا» (ع ٤)، فإما:

أ. كما يترجمها البعض «ليس من المؤكد أنكما تموتان». والشيطان يُعلِّم الناس أن ينزعوا إلى الشك ثم الإنكار، في البداية يجعلهم مرتابين، وشيئا فشيئا يجعلهم ملحدين، أو:

ب. «من المؤكد أنكما لن تموتا» هكذا يترجمها آخرون. فهو يؤكد مناقضته بنفس عبارة التأكيد التي استخدمها الله ليؤكد تهديده. لقد أخفى ما يعانيه هو من بؤس، حتى يجُرهما إلى نفس مصيره، وهو لا يزال حتى الآن يخدع الخطاة ويجرهم إلى هلاكهم. والأمل في الإفلات من العقوبة يُعد دعامة عظيمة لكل إثم.

(٣) وعدهم بالإفادة من ذلك (ع ٥). وما كان بوسعه إغراؤهم بأن يقبلوا المخاطرة بهلاك أنفسهم لو لم يقترح لهم أنه ثَمة احتمال كبير في جني فائدة عظمى.

أ. أوعز إليهما بالمزايا العظيمة التي سيجنونها بالأكل من هذه الثمرة. وقد جعل إغراءه يتناسب مع حالة النقاء التي كانا عليها من حيث السرور والرضا الذهني وكان هذا هو الطُعم الذي غطى به سنارته.

◄ «تنفتح أعينكما»، سوف تزداد قدرتكما على التأمل وما يصاحبه من لذة بأكثر جدا مما تستطيعانه الآن، سوف تزداد معرفتكما بالأمور بأكثر مما أنتما عليه الآن.

◄ «وتكونان كالله»، تصبحان إلهين قويين، ليس فقط عالمين بكل شيء، بل وتصبحان أيضا قادرين على كل شيء.

◄ تصبحان «عارفين الخير والشر»، أي تعرفون كل شيء ترغبان معرفته. ولكي يدعم هذا الجزء من التجربة، أساء استخدام اسم هذه الشجرة، وحرف معناه، كما لو أن هذه الشجرة ستعطيهما معرفة تأملية فكرية عن طبيعة الخير والشر ونوعياتهما وأصلهما.

◄ وكل هذا يكون «يوم تأكلان منه»، فسوف يحدث تغيير مفاجئ وفوري إلى الأفضل. وفي كل هذه التلميحات كان ينبغي أن يولِّد فيهما عدم القناعة بحالتهما الحاضرة، ثم الطموح إلى الارتقاء، كما لو أنهما يصلحان لأن يكونا إلهين.

ب. لمح لهما بأن الله لديه خطط شريرة ضدهما، ولذلك منعهما من الأكل من هذه الشجرة، كما لو أنه لم يجرؤ على السماح لهما بالأكل منها لأنهما لو فعلا سيعرفان حينئذ مدى قوتهما، ويستطيعان عندها أن يتعاملا معه معاملة الند للند. ونلاحظ هنا:

◄ إن هذا يتضمن إهانة بالغة لله، بل هو أبلغ إساءة يمكن توجيهها له، وازدراء بقوته، كما لو كان يخشى مخلوقاته، بل والأدهى من ذلك أن هذا يُعد

إهانة لصلاحه، كما لو كان يكره عمل يديه، وأنه لا يريد لِمَنْ خلقهم أن ينعموا بالسعادة.

◄ كانت مصيدة خطيرة بالنسبة لأبوينا الأولين، قُصد بها أن تبعد محبتهما عن الله.

عدد ٦ – ٨

في النهاية بلغ الشيطان مراده، ونجحت حيلته في الاستيلاء على القلاع الحصينة.

أولا: فيما يلي الإغراءات التي دفعتهم إلى التعدي والخطية.

(١) لم تر المرأة ثَمة ضرر في هذه الشجرة، مثل أية شجرة أخرى، وبدت صالحة للأكل مثل بقية الأشجار، ولماذا تُحرم عليهما هذه الشجرة بعينها دون أية شجرة أخرى؟ وكثيرا ما نقع في الشراك بمحاولة إشباع حواسنا برغبات مبالغ فيها. وكانت الشجرة مرغوبة جدا لأنها كانت ممنوعة. وفينا (أي في جسدنا.. في طبيعتنا الفاسدة) يسكن روح غريب يهوى التناقض والإنكار– والممنوع دائما أمر مرغوب.

(٢) تخيلت أن هذه الشجرة لها قوة وفاعلية أكثر من باقي الأشجار، وأنها شجرة لا يجب الخوف منها فحسب، بل إنها مرغوبة لأنها تعطي حكمة. ونرى هنا كيف أن الرغبة في المعرفة غير الضرورية، تحت المفهوم الخاطئ للحكمة، أثبتت أنها رغبة ضارة ومدمرة بالنسبة للكثيرين. وأبوانا الأولان، اللذان كانا يعرفان الكثير، لم يعرفا أنهما يعرفان ما فيه الكفاية.

ثانيا: خطوات التعدي لا تقود لأعلى، بل لأسفل.

(١) «فرأت».. كان الواجب أن تبعد عينيها عن رؤية الباطل، لكنها دخلت في التجربة، بالنظر بسرور للثمرة المحرَّمة. ولنلاحظ أن عددا كبيرا من الخطايا يأتي نتيجة النظر.

(٢) «فأخذت».. كان عملها ومن فِعلها. فالشيطان لم يأخذها ثم وضعها في فمها سواء كانت تريد أم لا، لكنها أخذت الثمرة بنفسها. قد يُجرِب الشيطان ولكنه لا يستطيع أن يُرغِم، قد يغرينا بأن نطرح أنفسنا إلى أسفل، ولكنه لا يستطيع هو أن يطرحنا (مت ٤: ٦).

(٣) «وأكلت».. لعلها حين نظرت لم تكن تنوي أن تأخذ وحين أخذت لم تكن تقصد أن تأكل، ولكن هذه كانت النتيجة. ونلاحظ أن طريق الخطية هو طريق منحدر لا يستطيع الإنسان أن يتوقف فيه إذا شاء، فعليك أن تخمد أول ميول نحو الخطية وتتركها قبل أن تتأصل. اقضِ على الشر في مهده.

(٤) «وأعطت رجلها أيضا معها».. لقد أغرته بنفس الحجج التي ساقتها الحية لها، وأضافت إلى كل ما سبق أنها هي نفسها أكلت منها، ووجدتها أبعد من أن تكون مميتة، بل إنها لذيذة وشهية للغاية. وكما كان الشيطان هكذا أيضا أصبحت حواء؛ فالخاطئ سرعان ما يتحول إلى مصدر إغواء.

(٥) «فأكل»، تحت تأثير زوجته. وإذ أهمل شجرة الحياة التي كان مسموحا له الأكل منها، وأكل من شجرة المعرفة المحرَّمة، فقد أظهر بوضوح ازدراءه بالنعم التي أغدقها الله عليه، وتفضيله الأشياء التي رأى الله أنها ليست مناسبة له. فسوف يختار هو لنفسه، وسيصبح مالكا لأمره، وسوف يأخذ ما يحلو له، ويفعل كل ما يُسره، وبكلمة واحدة كانت خطيته هي العصيان، أو عدم الطاعة (رو ٥: ١٩). وإذ كانت الطبيعة البشرية قد أُودِعت تماما في أبوينا الأولين، إلا أنها انتقلت بعد ذلك تحت خزي الإثم، ووصمة العار، كمرض وراثي يحمل الخطية والفساد. هل بمقدورنا القول بعد كل هذا إن خطية آدم لم تكن تتضمن سوى ضررا بسيطا؟

ثالثا: العواقب المباشرة الناجمة عن التعدي.

(١) تملكهما العار (ع ٧).

أ. الجرم الكبير الذي شعرا به في نفوسهما: «فانفتحت أعينهما». وليس المقصود بأعينهما الجسدية، بل أعين ضميريهما هي التي انفتحت، وأصبح الألم يعتصر قلبيهما لما ارتكباه من إثم. والآن، وبعد فوات الأوان، أدركا حماقة الأكل من الشجرة المحرَّمة، وأدركا السعادة التي حُرما منها، والبؤس الذي انحدرا إليه. رأيا ناموسا في أعضائهما يحارب ناموس ذهنيهما. ويذكر لنا النص أنهما «علما أنهما عريانان»، أي إنهما:

◄ جُردا، أو حُرما من كل الأمجاد والأفراح التي كانا يتمتعان بها في الجنة، نُزع سلاحهما، وتخلت

عنهما دفاعاتهما.

◄ لقد خجلا. رأيا نفسيهما عرضة للازدراء والتوبيخ من قِبل السماء والأرض، بل ومن قِبل ضميريهما كذلك. ونرى هنا:

> العار والقلق اللذان ينجمان عن الخطية التي تؤذي أينما حلت.

> كيف أن الشيطان مخادع كبير. لقد قال لأبوينا الأولين، حين أوقع بهما، إن أعينهما يجب أن تنفتح، وهذا ما حدث، ولكن ليس بحسب ما فهماه، بل انفتحتا على خزيهما وحزنهما.

ب. المحاولة المحزنة التي قاما بها للتخفيف من عاقبة جرمهما ولتحصين نفسيهما ضدها: «فخاطا»، أو ضفرا «أوراق تين»، لكي يسترا على الأقل جزءا من خزيهما، كل عن الآخر، «وصنعا لأنفسهما مآزر». ونرى هنا الحماقة الشائعة لمن وقعوا في الخطية.

◄ تراهم تواقين لتحسين صورتهم أمام الناس بأكثر من السعي للحصول على مغفرة من الله.

◄ الأعذار التي يقدمها الناس لستر وكتمان خطاياهم والتخفيف من بشاعتها، ودائما ما تكون تافهة وعقيمة، ومثل أوراق التين لا يمكن أن تحسِّن الأمر، بل تزيده سوءا، والخزي الذي يُخفى على هذا النحو يزداد ولا ينقص.

(٢) تملكهما الخوف حال أكلهما من الشجرة المحرَّمة (ع ٨) ومما تجدر ملاحظته:

أ. ما هو سبب خوفهما وملابساته: «وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار». كان اقتراب القاضي هو الذي ملأهما خوفا، ومع ذلك فقد جاء بطريقة لا تكون مرعبة إلا لذوي الضمائر الآثمة. جاء عند هبوب ريح النهار، وليس ليلا، حينما تتضاعف كل المخاوف، وليس في حر النهار، لأنه لم يأت في حمو غضبه. لقد سمعا صوته، ولعله كان صوتا خافتا بسيطا، مثل الصوت الذي جاء به يستفسر عن إيليا.

ب. ماذا كانت نتيجة خوفهما والدليل عليه: «فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله»، وهو تغيير محزن، لقد أصبح الرب مصدر رعب لهما، ومن ثَمَّ ليس بغريب أنهما أصبحا مصدر رعب لنفسيهما. ذلك أن ضميريهما أصبحا يحاسبانهما ووضعا خطيتهما أمامهما على حقيقتها، وأوراق التين لم تسعفهما ولم تنفعهما في شيء. وإذ عرفا جرمهما لم يجرؤا على الوقوف للمحاكمة، بل فرا وهربا خوفا من العدالة. ونرى هنا:

◄ زيف المجرِّب: لقد وعدهما بأنهما سيكونان في أمان، ولكنهما الآن أبعد ما يكونان عن ذلك. وعدهما بأنهما سيعرفان كل شيء، ولكنهما وجدا نفسيهما في حيرة لا يعرفان حتى أين يختبئان. وعدهما بأنهما سيصبحان كالآلهة، شجاعة وجرأة، ولكنهما كانا كمجرمين تم كشفهما.

◄ حماقة الخطاة في تفكيرهم: اعتقدا أنه يمكن أن يخفيا نفسيهما عن الله، وأنه عليهما القيام بذلك الآن.

◄ الخوف الذي يلازم الخطية: كل هذا الخوف المحيِّر من ظهور الله وإدانات الضمير واقتراب المتاعب وهجوم المخلوقات الأدنى وهجمات الموت، كل تلك التي نجدها شائعة بين الناس إنما هي نتيجة الخطية.

عدد ٩ و١٠

مثول هؤلاء المنشقين أمام القاضي البار.

أولا: السؤال المفزع الذي لاحق الله به آدم وقبض عليه: «أين أنت؟»، وليس المقصود في أي مكان بل في أية حالة؟ هل هذا كل ما حصلت عليه نتيجة أكلك من الشجرة المحرَّمة؟ ويُلاحظ هنا:

(١) هذا الاستفسار بشأن آدم يمكن اعتباره كمتابعة كريمة في عطف عليه بقصد استعادته.

(٢) إذا ما كلف الخطاة أنفسهم بتأمل الموقف الذي هم فيه، لن يهدأ لهم بال حتى يعودوا إلى الله.

ثانيا: الإجابة المرتعشة التي أجاب بها آدم على هذا السؤال: «سمعت صوتك في الجنة فخشيت» (ع ١٠). لم يعترف بإثمه، ومع ذلك أقر به، لاعترافه بخزيه وخوفه.

عدد ١١ – ١٣

وإذ وُجد المتهمان مذنبان بناء على اعترافهما، فإنهما مع ذلك حاولا إيجاد عذر لخطئهما والتخفيف من خطورته.

أولا: كيف انتُزع منهما اعترافهما؟ وجَّه الله السؤال لآدم: «مَنْ أعلمك أنك عريان؟» (ع ١١) كيف أصبحت تدرك أن عُريك إنما هو خزي؟ «هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟» ومما يجدر ملاحظته أنه على الرغم من أن الله يعرف كل خطايانا، إلا أنه سيعرفها منا، ويطلب منا اعترافا صريحا بها، ليس لكي يعرف أمرا لم يكن يعرفه، بل لكي نتذلل. والسؤال الذي وُجِّه للمرأة هو: «ما هذا الذي فعلت؟» (ع ١٣) لاحظ أنه مطلوب من أولئك الذين أكلوا من الثمرة المحرَّمة، ولاسيما الذين أغروا الآخرين على الأكل منها أيضا، أن يتأملوا بجدية العمل الذي اقترفوه. بأكلنا من الشجرة المحرَّمة نسيء إلى إله عظيم كريم، وفي إغرائنا الآخرين على الأكل منها، فإننا بهذا نقوم بعمل الشيطان، ونجلب على أنفسنا ذنوب أناس آخرين ونُسهم في هلاكهم.

ثانيا: كيف هوَّنوا من جريمتهم في اعترافهم؟ ولا فائدة من الدفاع بالقول: «غير مذنب» وبدلا من تضخم الخطية والشعور بالخزي، برَّروا الخطية، وألقوا بالخزي والتبعة على الآخرين.

(١) ألقى آدم بالتبعة على زوجته. نتعلم من هذا ألا نسمح لأن يجُرنا إلى الخطية شيء سوف لا ينقذنا من عقابها، وعلى هذا لا يجب إطلاقا أن نسلك ضد ما تمليه علينا ضمائرنا، ولا نحاول أن نُغضب الله أبدا من أجل إرضاء أعز صديق لنا في العالم. غير أن هذا ليس أسوأ ما في الأمر، فإنه لم يكتف بإلقاء اللوم على زوجته، بل عبَّر عن ذلك بأسلوب يوحي ضمنا باللوم على الله نفسه. ذلك أنه يلمح إلى أن الله كانت له يد بالنسبة لخطيته؛ لأنه هو الذي أعطاه المرأة التي أعطته الثمرة، ويُلاحظ أن هناك نزعة غريبة بالنسبة لمن يقعون في التجربة بالقول إنهم جُرِّبوا من الله، كما لو أن إساءة استعمالنا لعطايا الله يعفينا من ذنب انتهاك ناموسه.

(٢) ألقت حواء بكل اللوم على الحية: «الحية غرَّتني». فالخطية شيء غير مرغوب فيه، لا يرغب أحد في الاعتراف بصلته بها، فهي أمر مشين. ونتعلم من هذا الآتي:

أ. تجارب الشيطان كلها خادعة، وحججه كلها زيف، وإغراءاته كلها غش وخداع. فالخطية تخدعنا، وبالخداع تغشنا، و«بغرور الخطية» يتقسى القلب (عب ٣: ١٣؛ انظر رو ٧: ١١).

ب. خبث الشيطان لن يبرر سقوطنا في الخطية: فعلى الرغم من أنه المجرِّب، إلا أننا نحن الذين أخطأنا، والواقع أن شهواتنا هي التي تجذبنا وتخدعنا (يع ١: ١٤).

عدد ١٤ و١٥

انتقل الله بسرعة ليصدر حكمه، وفي هاتين الآيتين يبدأ (حيث بدأت الخطية)، بالحية، لأنها قبل ذلك أُدينت (في شخص الشيطان) بالتمرد على الله.

أولا: الحكم الذي صدر ضد المجرِّب نزل كالصاعقة ضد الحية، فالأدوات التي يستخدمها الشيطان يجب أن تشارك في العقوبة التي تُوقع عليه. وعلى هذا:

(١) وقعت الحية هنا تحت لعنة الله: «ملعونة أنت من جميع البهائم». فالدهاء الشرير كثيرا ما يجلب اللعنة على الإنسان، وكلما زاد دهاء ومكر الإنسان في عمل الشر، زاد الأذى الذي يسببه.

(٢) أصبحت محل توبيخ الإنسان وعداوته.

أ. سيُنظر إليها على الدوام كمخلوق حقير ودنيء. وجريمتها هي أنها أغرت حواء على أكل ما كان يتعيَّن عليها ألا تأكله، وكان عقابها هو أنها ستضطر إلى أن تأكل ما كان لا يمكن أن تأكله: «ترابا تأكلين».

ب. يُنظر إليها على الدوام كمخلوق سام ومهلك، ويستحق الكراهية والمقت. والحية مؤذية بالنسبة للإنسان، ودائما تسحق عقبه، لأنها لا تستطيع الوصول إلى أعلى من ذلك، والواقع أنه لوحظ أنها تلسع «عقبي الفرس» (تك ٤٩: ١٧). ولكن الإنسان ينتصر على الحية ويسحق رأسها، أي أنه يلحق بها جرحا مميتا، إذ يهدف أن يدمر جيل الأفاعي بأكمله. وهذا الحكم الذي صدر على الحية تدعَّم كثيرا بذاك الوعد الذي قطعه الله لشعبه «الشبل والثعبان تدوس» (مز ٩١: ١٣)، والوعد الذي أعطاه المسيح لتلاميذه: «يحملون حيات» (مر ١٦: ١٨). ونلاحظ هنا أن الحية والمرأة كانتا منذ قليل في حديث ودي عن الثمرة المحرَّمة،

وكان ثَمة اتفاق عجيب بينهما، أما هنا فقد أصبحتا في عداوة لا يمكن أن تتلاشى. ويُلاحظ أن الصداقات الخاطئة تنتهي -بعدل- إلى عداء مستحكم، فالذين يتفقون في الشر لن يدوم اتفاقهم طويلا.

ثانيا: يمكن اعتبار هذا الحكم أنه صُوِّب ضد الشيطان الذي استخدم الحية فقط كأداة في هذا الظهور، لكنه كان هو المحرك الرئيسي.

(١) توبيخ أبدي صدر ضد هذا العدو البغيض لله والناس، وقد صدر عليه الحكم هنا تحت اسم الحية بالآتي:

أ. حطَّ الله من قدرها ولعنها: «كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح». الذي يريد أن يكون فوق الله ويقود تمردا ضده كان من العدل أن يتعرض للازدراء، والله سوف يذل أولئك الذين لا يتضعون.

ب. تكون ممقوتة ومكروهة من الجنس البشري كله. ولقد أُدينت هنا بأن تكون في حرب وعداوة دائمة معه.

ج. يدمرها الفادي العظيم في نهاية المطاف ويسحقها، وهذا ما أُشير إليه بسحق رأسها. وخطط الشيطان الماكرة سوف تُحبط، وسوف تُسحق تماما القوة التي اغتصبها لنفسه.

(٢) بدأت هنا بين الناس معركة دائمة بين ملكوت الله وملكوت الشيطان، وكان من نتيجة هذه العداوة:

أ. أن هناك صراع مستمر بين النعمة والفساد تدور رحاه في قلوب شعب الله.

ب. هناك أيضا صراع مماثل في هذا العالم بين الأشرار والأبرار.

(٣) وعد كريم أُعطي عن المسيح باعتباره المخلِّص الذي يخلِّص الإنسان الذي سقط في قبضة الشيطان. لقد قيل هذا الوعد على مسمع من أبوينا الأولين، اللذين بلا ريب قد رأيا بابا من الرجاء قد فُتح لهما، وهنا بزغ يوم الإنجيل. فما كاد الجرح ينفتح حتى وُجد له العلاج وأُعلن عنه. وقد ذُكرت لهما هنا ثلاثة أمور عن المسيح:

أ. تجسده: بأنه سيأتي من «نسل المرأة»، نسل تلك المرأة، ولذلك نجد أن سلسلة نسبه في لوقا ٣ تصعد عاليا لتبين أنه ابن آدم، غير أن الله أعطى المرأة شرف أن تسميه نسلها؛ لأنها هي التي خدعها الشيطان وهي أيضا التي ألقى عليها آدم التبعة، والله في هذا يُعظِّم نعمته في أنه على الرغم من أن المرأة كانت أول مَنْ يكسر الوصية، إلا أنها سوف تنال الخلاص عن طريق ولادة الأولاد (كما يترجمها البعض)، أي بواسطة النسل الذي سينحدر منها (١تي ٢: ١٥). إنه سيأتي من نسل المرأة بدون زرع بشر، من عذراء.

ب. موته وآلامه: التي أُشير إليها في قيام الشيطان بسحق «عقبه» أي طبيعته البشرية. لقد جرب الشيطان المسيح في البرية لكي يجُره إلى عمل الخطية، ويعتقد البعض أن الشيطان كان هو الذي روَّع المسيح أثناء آلامه الرهيبة في چثسيماني، وذلك لكي يدفعه إلى اليأس. وكان الشيطان هو الذي قاد يهوذا إلى خيانة المسيح، وحمل بطرس على إنكاره، وجعل رئيس الكهنة يضطهده، والشهود الكذبة ليتهموه، وحمل بيلاطس على أن يحكم عليه، وكان هدفه من وراء كل ذلك، أن يحطم المخلِّص، ليدمر الخلاص. غير أنه على النقيض من ذلك، نجد أن المسيح بموته أباد «بالموت ذاك الذي له سلطان الموت» (عب ٢: ١٤). لقد سُحق عقب المسيح حين ثُقبت قدماه وسُمرتا على الصليب، وآلام المسيح مستمرة في آلام القديسين الذين يتألمون من أجل اسمه. لقد جربهم الشيطان، ألقى بهم في السجون، اضطهدهم وذبحهم، وبهذا سحق عقب المسيح الذي «في كل ضيقهم تضايق». غير أنه في حين أن العقب قد سُحق على الأرض إلا أن الرأس جالس عن يمين العظمة في السماء.

ج. انتصاره على الشيطان من خلال هذا: لقد داس الشيطان المرأة وأهانها، لكن نسل المرأة سيُقام في ملء الزمان وسينتصر عليه (كو ٢: ١٥). «هو يسحق رأسك»، أي إنه سيدمر كل سياساته ويحطم كل قواته، ويطيح بمملكته وسلطانه، بحيث لا تقوم لها قائمة بعد ذلك. لقد أحبط المسيح تجارب الشيطان بموته، ووجَّه ضربة مميتة لمملكة الشيطان، وألحق به جرحا «عديم الشفاء».

عدد ١٦

هنا الحكم الذي صدر ضد المرأة نظير خطيتها:

أولا: وُضعت هنا في حالة من الحزن، أُوضحت

بأنها تختص بولادة الأولاد، ولكن الأمر يتضمن حزنا وخوفا. ويُلاحظ هنا أن الخطية هي التي أدخلت الحزن إلى العالم. ولو لم نكن عرفنا الخطية لما عرفنا الحزن. وذُكر أن الأتعاب تكثر، وليس من الغريب أن تزداد أتعابنا حين تزداد خطايانا: كلاهما شرور لا حصر لها. فأتعاب ولادة الأطفال قد زادت، وإذا ما شب الأولاد أشرارا وحمقى فسوف يكونون -بأكثر من أي وقت مضى- محنة لتلك التي ولدتهم.

ثانيا: «أيها النساء اخضعن لرجالكن»، غير أن دخول الخطية جعلت من هذا الواجب عقوبة، وإلا ما أصبحت كذلك. لو لم تأكل حواء من الشجرة المحرَّمة بنفسها، وأغرت زوجها على أكلها، ما كانت لتشكو أبدا من خضوعها له، ومن ثَمَّ لا يجب الشكوى من ذلك إطلاقا، على الرغم مما فيه من ألم، بل يجب أن تُوجَه الشكوى ضد الخطية التي جعلته هكذا. وهؤلاء الزوجات اللواتي لا يحتقرن ويعصين أزواجهن فحسب، بل ويستبددن بهم، عليهن أن يعرفن بأنهن لا يكسرن ناموسا إلهيا فحسب، بل ويعارضن حكما إلهيا.

ثالثا: يُلاحظ أن الرحمة امتزجت بالغضب في هذا الحكم. المرأة ستحزن وتتعب، ولكن هذا في ولادتها الأطفال، وبعد ذلك «لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح، لأنه قد وُلد إنسان في العالم» (يو ١٦: ٢١). فالحكم لم يكن لعنة لتدميرها ولكنه كان قصاصا ليأتي بها إلى التوبة.

عدد ١٧ - ١٩

الحكم الذي صدر ضد آدم، والذي أُستهِل بتلاوة لجريمته:

أولا: وضع الله علامات غضبه على آدم في أمثلة ثلاثة:

(١) بهذا الحكم لُعن موضع سكناه: «ملعونة الأرض بسببك» وكان من نتيجة هذا اللعن «شوكا وحسكا تنبت لك». فالثمار الطيبة التي تنتجها يجب أن تُنتزع منها بمهارة الإنسان وكدِه. غير أننا نلاحظ مزيجا من الرحمة في هذا الحكم:

أ. لم يُلعَن آدم نفسه مثلما لُعنت الحية (ع ١٤). ذلك أن الله يحتفظ له ببركات.

ب. مازال فوق الأرض. لم تفتح الأرض فاها وتبتلعه على الرغم من إفساد جمالها الأول وإثمارها.

(٢) أعماله ومباهجه ستكون مريرة بالنسبة له:

أ. عمله سيكون كدا وتعبا، وسينجزه «بعرق» وجهه (ع ١٩). كان عمله -قبل أن يقع في الخطية- متعة دائمة له، كانت الجنة حينئذ تُشذَب دون عناء. ولو لم يقع آدم في الخطية، لما سال عرقه. والعمل هو واجبنا، وعلينا أن ننجزه بأمانة.

ب. سوف يصبح طعامه فيما بعد (مقارنة بما كان عليه) كريها «بالتعب تأكل» (ع ١٧) «بعرق وجهك تأكل» (ع ١٩). والجميع، حتى أسعد الناس في هذا العالم، أُفسدت مباهجهم إلى حد ما، فقد دخل إلى العالم جيوش من الأمراض والكوارث والموت بأشكال متباينة ولا تزال تفسده. ومع ذلك نجد في هذا الجزء من الحكم أيضا مزيجا من الرحمة. فسوف يعرق غير أن تعبه سيعطي معنى لراحته حين يعود إلى الأرض كأنه عائد إلى فراشه، سوف يحزن ولكنه لن يتضور جوعا، وسوف يتعب غير أنه بتعبه يأكل خبزا، وهذا ما سوف يقويه في تعبه.

(٣) حياته أيضا تكون قصيرة. وإذا تأملنا كيف أن أيامه شبعانة تعبا، فمن مصلحته أن تكون قليلة، ولو أن الموت مخيف لطبيعتنا (نعم، حتى ولو كانت الحياة متعبة)، وهذا ما يُختتم به الحكم: «حتى تعود إلى الأرض التي أُخذت منها»، أي إن ذلك الجزء منك الذي أُخذ من الأرض، سوف يعود إليها ثانية «لأنك تراب»، وعلى ذلك فإن نفسك ستتخلى عن جسدك، الذي سوف يصبح كتلة من تراب ثم يُودع القبر، وهو المكان الملائم له، ثم يختلط بتراب الأرض.. «وإلى ترابها تعود» (مز ١٠٤: ٢٩): نلاحظ هنا:

أ. الإنسان مخلوق وضيع وضئيل: ضئيل مثل التراب «كغبار الميزان»، ضعيف كالتراب ويفتقر إلى التماسك.

ب. وهو مخلوق فانٍ لابد وأن يموت: فأعظم إنسان ما هو إلا كتلة من التراب، والتراب لابد وأن يعود إلى أرضه.

ج. بالخطية دخل الموت إلى العالم: ولو لم يخطئ

آدم لما مات (رو ٥: ١٢).

ثانيا: لا يجب أن نترك هذا الحكم الذي صدر ضد أبوينا الأولين إلا بعد أن نتأمل أمرين:

(١) كيف أُظهرت عواقب الخطية الوخيمة على نفس آدم ونسله الخاطئ بشكل مناسب. فعلى الرغم من أنه لم يُذكر سوى الشقاء الذي يعانيه الجسد، غير أن هذا كان نموذجا للآلام النفسية، وهي اللعنة التي دخلت إلى النفس.

أ. آلام المرأة في المخاض تمثل الرعب والآلام التي يشعر بها الضمير الآثم، الذي استشعر جرم الخطية.

ب. حالة الخضوع التي أُنزلت إليها المرأة تمثل فقدان الحرية الروحية، وحرية الإرادة وهذا نتيجة الخطية.

ج. لعنة عقم الأرض وإنباتها شوكا وحسكا، تُعد تصويرا مناسبا لعقم النفس الفاسدة الخاطئة لكل ما هو خير، وإثمارها لكل ما هو شر.

د. الكد والتعب يشيران إلى المصاعب التي يعانيها الإنسان. بسبب ضعف الجسد. في خدمة الله والعمل المتعلق بالديانة.

(٢) كيف أن موت ربنا يسوع المسيح وآلامه قدمت ترضية كافية، واستوفت الحكم الذي صدر ضد أبوينا الأولين.

أ. هل آلام المخاض جاءت مع الخطية: نحن نقرأ عن تعب نفس المسيح في إشعياء ٥٣: ١١.

ب. هل جاء الخضوع مع الخطية: لقد جاء المسيح تحت الناموس (غل ٤: ٤).

ج. هل جاءت اللعنة مع الخطية: لقد صار المسيح لعنة لأجلنا، ومات ميتة اللعنة (غل ٣: ١٣).

د. هل جاءت الأشواك مع الخطية: لقد تُوج بإكليل من الشوك لأجلنا.

هـ. هل جاء العرق نتيجة الخطية: لقد نزل عرق المسيح كأنه قطرات من الدم.

و. هل دخل الحزن مع الخطية: كان رجل أوجاع، وكانت نفسه في آلامه حزينة حتى الموت.

ز. هل دخل الموت نتيجة الخطية: أطاع المسيح حتى الموت، وهذه هي الضمادة التي تغطي الجرح. مبارك الله من أجل يسوع المسيح.

عدد ٢٠

إذ سَمى الله الإنسان ودعاه «آدم» ويعني تراب أحمر، فإن آدم بدوره سمى المرأة «حواء» ومعناها «حياة»، ويحمل آدم اسم الجسد المائت، أما حواء فتحمل اسم النفس الحية. ولقد ذُكر هنا السبب في هذا الاسم: «لأنها أم كل حي». وسبق أن دعاها «امرأة»، كأم.

(١) إذا كان هذا قد تم بتوجيه إلهي، فإنه يكون مثالا على نعمة الله، وكان ختما للعهد وتأكيدا لهما بأنه لم ينقض البركة التي باركها بها: «اثمروا واكثروا». كما كان في ذلك تأكيد أيضا للوعد الذي أُعطي الآن بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية.

(٢) إذا كان آدم قد فعل ذلك من تلقاء نفسه، يكون ذلك مثالا على إيمانه بكلمة الله.

أ. بركة تأجيل العقوبة، لكي يستبقي هذين الخاطئين ليكونا والدين لكل «حي».

ب. البركة الخاصة بالفادي، النسل الموعود به، الذي كان آدم يتطلع إليه حين دعا زوجته «حواء» أي حياة.

عدد ٢١

يضمن هذا العدد دليلا آخر على عناية الله بوالدينا الأولين، على الرغم من خطيتهما. فعلى الرغم من أنه يؤدب أولاده العصاة، إلا أنه لا يحرمهم ميراثهم، بل إنه مثل أب حنون يوفر لهم نبات الحقل كطعام و«أقمصة من جلد» كملابس، ويجب أن نقدم شكرا لله ليس فقط لأنه يدبر لنا طعاما، بل لأنه يعطينا اللباس أيضا (تك ٢٨: ٢٠). فالصوف والكتان من عنده وكذلك «القمح والمسطار» (هو ٢: ٨). لقد صنع آدم وحواء لنفسيهما مآزر من أوراق تين، وهو غطاء ضاق على الالتحاف حولهما (إش ٢٨: ٢٠). وهذا هو حال خِرَق برنا. غير أن الله صنع لهما أقمصة من جلد كبيرة وقوية وتتحمل لمدة طويلة ومناسبة لهما، وهذا هو بر المسيح. لذلك: «البسوا الرب يسوع المسيح» (انظر رو ١٣: ١٤).

عدد ٢٢ – ٢٤

صدر الحكم ضد المذنبين، ونرى هنا تنفيذ الحكم

ضدهما بشكل جزئي وفي الحال:

أولا: كيف أنهما استحقا الخزي والعار أمام الله وملائكته المقدسين، وذلك بالتوبيخ الساخر لهما نتيجة عملهما: «هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر». لقد أصبح إلها عظيما، أليس كذلك؟! لقد قيل هذا لإيقاظهما وإذلالهما، ولكي يدركا معنى خطيتهما وحماقتهما، ولكي يتوبا عنهما. لقد ملأ «وجوههم خزيا» ليطلبوا اسمه (مز ٨٣: ١٦). لقد وضعهم في هذه الحيرة والارتباك، ليستدرجهما إلى التغيير.

ثانيا: كيف أنهما عن حق نُبذا وطُردا من الجنة:

(١) السبب الذي أبداه الله لطرده الإنسان من الجنة، لم تكن خطيته أنه مد يده وأخذ من شجرة المعرفة فحسب، بل لئلا يمد يده ثانية ويأخذ أيضا من شجرة الحياة، ويطري نفسه ويملأه الغرور بأنه سوف يحيا إلى الأبد.

(٢) الأسلوب الذي اتبعه الله في طرده واستبعاده من جنة السعادة هذه:

أ. لقد طرده خارجا: طرده من الجنة إلى الأرض العادية. وهذا يعني استبعاده وكل نسله الخاطئ من تلك الشركة التي كانت مع الله حيث نعيم الجنة ومجدها. لقد تضاءلت معرفته بالله ثم تلاشت، وانقطعت الشركة التي كانت قائمة بين الإنسان وخالقه. ولكن إلى أين أرسله بعد أن طرده من جنة عدن ؟ كان يحق له أن يطرده من المسكونة (أي ١٨: ١٨)، لكنه طرده من الجنة فقط. غير أن الإنسان لم يُرسل إلا لكي يفلح الأرض التي أُخذ منها. أُرسل إلى مكان التعب، وليس إلى مكان التعذيب. أُرسل إلى الأرض وليس إلى القبر، إلى مكان العمل وليس إلى بيت السجن. أُرسل إلى الأرض ليمسك المحراث، وليس ليجر أصفاده. وفلاحته الأرض سيكافأ عنها بالأكل من ثمارها، وتعامله مع الأرض التي أُخذ منها كان لأهداف نافعة، أن تجعله متواضعا، وتُذكِّره بالنهاية التي سيؤول إليها أخيرا. ونلاحظ أنه على الرغم من أن أبوينا الأولين قد استُبعدا من الانتفاع بمزايا حالة البراءة، إلا أنهما لم يُتركا لليأس. فأفكار الله المُحبة تخطط لإعطائهما فترة اختبار ثانية ولكن على أسس جديدة.

ب. أبقاه خارجا، وحرمه من كل رجاء في الدخول مرة ثانية لأنه «أقام شرقي جنة عدن» فرقة من «الكروبيم»، الذين هم جيش الله، وهم مسلحون بقوة رهيبة لا تقاوم، لكي يحرسوا الطريق المؤدي إلى شجرة الحياة، حتى لا يستطيع الإنسان الدخول خلسة أو عنوة. وهذا ما يوحي إلى آدم بالآتي:

- أن الله كان غاضبا منه.
- والملائكة في حرب معه، لا سلام له مع الجيش السمائي مادام هو في تمرد ضد ربهم وربنا.
- أُغلق الطريق إلى شجرة الحياة، أي الطريق الذي وُضع فيه أولا، لأنه طريق البراءة التي لا تشوبها شائبة. وبعد ذلك أصبح من العبث بالنسبة له ولنسله أن يتوقعوا برا وحياة وسعادة على أساس العهد الأول لأنه كُسر وأصبح غير قابل للإصلاح.

وإذا ما حُوسبنا على أساس ذلك العهد لهلكنا كلنا. لقد كشف الله لآدم عن هذه الحقيقة، ولم يكن ذلك بهدف دفعه إلى اليأس، بل ليرغمه وينبهه إلى أن يبحث عن الحياة والسعادة في النسل الموعود به، والذي بواسطته أُزيل «لهيب» السيف المتقلب. لقد اصطلح معنا الله وجنوده، وفتح لنا «طريقا كرَّسه لنا حديثا حيا» إلى «الأقداس».

الأصحاح الرابع

في هذا الأصحاح نجد العالم والكنيسة في عائلة واحدة. وكما أن البشرية كلها كانت ممثلة في آدم، فهكذا أيضا تمييز البشرية إلى قديسين وخطاة كان ممثلا هنا في قايين وهابيل، وأُعطي مثال مبكر عن العداوة التي وُضعت مؤخرا بين نسل المرأة ونسل الحية. ونجد هنا:

أولا: ميلاد قايين وهابيل وحرفتهما (ع ١ و٢).

ثانيا: ديانتهما واختلاف النجاح فيها (ع ٣ و٤ وجزء من ع ٥).

ثالثا: غضب قايين من الله، وتوبيخه بسبب هذا الغضب (ع ٥- ٧).

رابعا: قتل قايين أخاه، والإجراء الذي اتخذ حياله بسبب ذلك. ارتكاب الجريمة (ع ٨). الإجراءات التي

اتخذت حياله.

١- استدعاؤه (ع ٩).
٢- دفاعه (ع ٩).
٣- إدانته (ع ١٠).
٤- الحكم الذي صدر ضده (ع ١١ و١٢).
٥- شكواه ضد الحكم (ع ١٣ و١٤).
٦- التصديق على الحكم (ع ١٥)
٧- تنفيذ الحكم (ع ١٥ و١٦).

خامسا: عائلة قايين ونسله (ع ١٧- ٢٤).

سادسا: ميلاد ولد آخر لآدم، وحفيد له (ع ٢٥ و٢٦).

عدد ١ و٢

كان لآدم وحواء الكثير من الأولاد والبنات (تك ٥: ٤). غير أنه يبدو أن قايين وهابيل هما أكبرهم.

أولا: اسمي ابنيهما:

(١) «قايين»: وكلمة «قايين» معناها «اقتنى»، ذلك أن حواء حينما حملته قالت بفرح وشكر وتوقع عظيم: «اقتنيت رجلا من عند الرب». ونلاحظ أن الأولاد هم هبة من عند الله، ويجب أن نشكره لبناء عائلاتنا. إنه لمما يضاعف ويقدس راحتنا بهم أن نرى فيهم أنهم عطية لنا من يد الله، الذي لن يتخلى عن أعمال وعطايا يده.

(٢) «هابيل»: والمعنى المقصود بالاسم أنه شخص ثانوي، فحين اعتقدت أمه أنها حصلت على النسل الموعود به في قايين تملكتها فكرة أن ابنا ثانيا كان بالنسبة لها يُعد شخصا ثانويا.

ثانيا: عمل كل من قايين وهابيل.

(١) كان لكل منهما مهنته. وقد أعطى الله لوالدهما آدم مهنة، حتى وهو في حالة البراءة، وقد أعطاهما بدورهما مهنة. ويُلاحظ أنها إرادة الله أن يكون لكل منا عمل يؤديه في هذا العالم. ويجب على الوالدين أن ينشئوا أولادهم على حب العمل. ولقد قيل: «أعطهم الكتاب المقدس ومهنة، وسوف يكون الله معهم».

(٢) كانت مهنة كل منهما تختلف عن مهنة الآخر، حتى يكون بوسعهما المتاجرة وتبادل المنفعة كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وحتى أعضاء الجسم كل في حاجة إلى الآخر، والمحبة المتبادلة تنمو عن طريق التجارة المتبادلة.

(٣) مهنتهما لها علاقة بالزراعة التي هي مهنة أبيهما.

(٤) وعلى الرغم من أن هابيل هو الأصغر سنا، إلا أنه دخل أولا في مهنته، ولعل ذلك حفز قايين على اتخاذ مهنة.

(٥) اختار هابيل المهنة التي تصاحب التأمل والعبادة، لأنه كان يُنظر إلى حياة الرعي بصفة خاصة على أنها مفضلة لحياة العبادة والتأمل.

عدد ٣- ٥

تتضمن هذه الفقرة:

أولا: تقدمات قايين وهابيل: «وحدث من بعد أيام» أن كلا من قايين وهابيل قدم «قربانا للرب». والله بهذا يختبر إيمانهما في الوعد وطاعتهما للناموس الشافي. وبهذا يعود ويقيم اتصالا بين السماء والأرض. ويجدر أن نلاحظ هنا:

(١) أن عبادة الله ليست بالأمر الجديد، بل إنها فريضة قديمة. وهذا هو «الذي كان من البدء» (١يو ١: ١)، وهذا هو «الطريق الصالح» (إر ٦: ١٦).

(٢) إنه لأمر طيب أن يتعلَّم الأولاد جيدا ومنذ الصغر، وأن يتدربوا منذ وقت مبكر على الخدمات الدينية، حتى إنه حين يصبحون قادرين على الاعتماد على أنفسهم تراهم ومن تلقاء أنفسهم يقدمون «قربانا للرب».

(٣) وإنه يجب على كل واحد منا أن يكرم الله مما لديه، وطبقا لإمكاناته.

(٤) قد يُرى المرائين والأشرار كأفضل شعب الله في الأمور الخارجية للعبادة. لقد أحضر قايين «قربانا» مع هابيل، بل إن قربان قايين ذُكر أولا كما لو كان هو المتقدم في الاثنين. لقد ذهب الفريسي والعشار إلى الهيكل ليصليا (لو ١٨: ١٠).

ثانيا: اختلاف النجاح بالنسبة لعبادتهما. الذي يجب أن يُستهدف من كل الأعمال المتعلقة بالديانة هو قبول الله لها: وننجح تماما إذا حققنا هذا، غير

أن عبادتنا تكون باطلة إذا أخفقنا في هذا (٢كو ٥: ٩). «فنظر الرب إلى هابيل وقربانه»، وأظهر قبوله له، ولعل ذلك كان بواسطة نار من السماء، «لكن إلى قايين وقربانه لم ينظر».

(١) كان ثَمة اختلاف في سمات الشخصين اللذين قدما القرابين. فقد كان قايين شريرا، ولذلك كانت تقدمته «باطلة» (إش ١: ١٣). لم يكن الله يولي أي تقدير لقايين نفسه، ومن ثَمَّ كان الأمر كذلك بالنسبة لتقدمته. غير أن هابيل كان بارا، وسُمي «هابيل الصديق» (مت ٢٣: ٣٥)، كان قلبه مستقيما، وكان تقيا. وكان الله يُقدِّره كرجل تقي، ومن ثَمَّ نظر إلى قربانه على اعتباره أنه تقدمة مقدسة.

(٢) كان ثَمة اختلاف في القربان الذي قدمه كل منهما. ولقد قيل صراحة (عب ١١: ٤) إن قربان هابيل أفضل من قربان قايين، وهذا:

أ. إما من ناحية طبيعة كل قربان.

ب. أو من جهة نوعية التقدمة. فقد قدم قايين «من ثمار الأرض»، أسهل شيء في متناول يده، ومما هو ليس في حاجة إليه. غير أن هابيل كان ينتقي الأفضل في اختيار تقدمته.. لم يختر الأعرج أو الهزيل أو المعيب، بل «من أبكار غنمه ومن سمانها»، أفضل النوعيات من أفضل مواشيه.

(٣) أما الفرق الكبير فتمثل في أن هابيل قدم بالإيمان، الأمر الذي لم يفعله قايين. فكان ثَمة اختلاف في المبدأ الذي ينتهجه كل منهما. كان هابيل ينظر إلى إرادة الله على أنها القاعدة التي يسير عليها، وإلى مجد الله باعتباره غايته، غير أن قايين كان يعمل ذلك من أجل الجماعة، أو ليظهر بمظهر طيب، ولكن ليس بالإيمان، ولذلك تحول الأمر بالنسبة له إلى خطية. كان هابيل تائبا، أما قايين فكان متكبرا، كانت ثقته مُركَّزة على نفسه.

ثالثا: غضب قايين من تمييز الله لذبيحة هابيل عن تقدمته. وكان يبدو من نظرته أنه كان في غاية الغضب. وهذا ما يوحي بالآتي:

(١) عداوته لله. كان يجب أن يغضب من نفسه لريائه وعدم أمانته، والذي بسببهما خسر قبول الله. ويجب أن نلاحظ أنها علامة أكيدة تدل على قلب متكبر أن نتشاجر بسبب التوبيخات التي توجه لنا والتي جلبناها على أنفسنا بسبب خطيتنا.

(٢) حسده لأخيه. كان يكن له عداوة وكأنه عدو. ومما تجدر ملاحظته:

أ. جرت عادة الذين جعلوا أنفسهم غير مستحقين لنعمة الله أن يغضبوا على أولئك الذين ينعموا بها، ولقد سار الفريسيون في طريق قايين هذا، حين لم يدخلوا ملكوت السماوات، بل وحتى الداخلون منعوهم (لو ١١: ٥٢).

ب. الحسد خطية تحمل في العادة عقابها بين ثناياها، كالسوس الذي ينخر في العظام.

عدد ٦ و٧

الله يحاجج قايين لإقناعه بخطيته وحماقة غضبه وسخطه، وليعيده ثانية إلى هدوئه، حتى يمنع المزيد من الأذى. وكذلك كان والد الابن الضال يحاجج ابنه الأكبر (لو ١٥: ٢٨– ٣٢).

أولا: الله يسعى وراء قايين نفسه ليسأله عن سبب غضبه: «لماذا سقط وجهك؟» ومما تجدر ملاحظته:

(١) الله يلحظ كل مشاعرنا الخاطئة وتبرُمنا.

(٢) «لماذا اغتظت؟» هل ثَمة سبب حقيقي، سبب عادل، سبب يتناسب مع غيظي؟ لماذا أغضب سريعا على هذا النحو؟

ثانيا: لكي يعيد قايين إلى صوابه ثانية، أوضح له هنا:

(١) أنه لم يكن لديه من سبب يدعوه إلى الغضب من الله.

أ. وضع الله أمام قايين الحياة والبركة:

◄ لو كنت عملت ما هو صواب، مثلما فعل أخوك، لقُبلت مثله. أو:

◄ إذا ما عملت الآن ما هو صواب، إذا تبت عن خطيتك، وأصلحت قلبك وحياتك، وأحضرت تقدمتك بطريقة أفضل، فسوف تُقبل، وستُغفر خطيتك، وتستعيد راحتك وكرامتك، وستكون على أحسن حال. ونرى هنا كيف أن الكرازة بالإنجيل قد بدأت منذ وقت مبكر، وقُدمت مزاياه هنا لشخص كان رأسا للخطاة.

ب. وضع أمامه موتا ولعنة: ما لم تعمل الآن ما هو صواب، وإذا ما أصررت على غضبك هذا، وبدلا من أن تتضع أمام الله، تقس قلبك عليه «فعند الباب خطية رابضة»، أي إنه:

◄ هناك خطية أخرى. مادام الغضب في قلبك، فالقتل عند الباب.

◄ أو عقوبة الخطية. والخطية والعقوبة كلمتان متقاربتان جدا حتى إن نفس الكلمة في العبرية تشير إلى الأمرين معا. فإذا ما كانت الخطية رابضة في البيت، تكون اللعنة منتظرة عند الباب، مثل الشرطة التي تكمن للقبض على المجرم حين يخرج إلى الخارج. إذا كنت تعمل ما هو صواب، فالخطية (أي ذبيحة الخطية) رابضة عند الباب، وبمقدورك الإفادة منها. ونفس الكلمة تشير إلى الخطية وذبيحة الخطية. والمسيح الذي هو أعظم ذبيحة خطية قيل عنه إنه: «واقف على الباب» (رؤ ٣: ٢٠). وإذا ما تأملنا في كل هذه الأمور، نجد أنه لم يكن لدى قايين أي مبرر ليغضب من الله، بل كان عليه أن يغضب من نفسه فقط.

(٢) لم يكن لديه ما يبرر غضبه من أخيه: «سوف يواصل هابيل احترامه لك كأخيه الأكبر، وأنت باعتبارك البكر «تسود» عليه دائما». إن قبول الله لقربان هابيل لم يحوِّل إليه حق البكورية، فلم يكن هذا قصد الله، ولم يفسر هابيل الأمر على هذا النحو، فلماذا استشاط غضب قايين إلى هذا الحد؟

عدد ٨

مصرع هابيل، الذي يمكن التأمل من خلاله في أمرين:

أولا: خطية قايين، وكانت خطية دموية، خطية جسيمة من الدرجة الأولى ونرى فيها:

(١) أكل آدم من الشجرة المحرَّمة بدا وكأنه خطية صغيرة فحسب، ولكنها فتحت الباب أمام الأعظم.

(٢) ثمار العداوة الموجودة في نسل الحية ضد نسل المرأة. وكم كان مبكرا أن ذاك الذي عاش بحسب الطبيعة الخاطئة أن يضطهد ذاك الذي عاش بحسب الروح.

(٣) نرى هنا نتيجة الحسد والحقد والجفاء، التي إذا ما أُطلق لها العنان وتمكنت من النفس أصبح هناك خطر دفع الناس إلى الإثم العظيم لارتكاب جريمة القتل نفسها. وثَمة أسباب كثيرة فاقمت من خطية قايين:

أ. الذي قتله كان أخاه الأصغر، الذي كان من واجبه أن يحميه.

ب. الذي قُتل كان أخا طيبا، لم يسبق أن أساء إليه إطلاقا.

ج. الله نفسه أخبره بما سينجم عن غضبه، ومع ذلك أصرَّ على مواصلة سلوكه البربري.

د. غطى خطته بادعاء الصداقة والمحبة. وطبقا للترجمة السبعينية، قال قايين لهابيل: «هيا بنا نذهب إلى الحقل». وتضيف الترجمة التفسيرية الأرامية أن قايين قال في نفسه: «إنه ليست هناك دينونة آتية، أو نتائج مستقبلية»، وحين تكلم هابيل يدافع عن الحق اغتنم قايين هذه الفرصة وهاجمه، ومع ذلك:

هـ. الذي ذكره لنا الكتاب المقدس أن السبب الذي من أجله قتله كان كافيا لأن يزيد من شناعة خطية القتل: «لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة». والواقع أنه:

و. بقتله أخاه أعلن تعديه على سلطان الله. لقد كره هابيل لأن الله أحبه.

ثانيا: آلام هابيل. ساد الموت منذ أخطأ آدم، غير أننا لا نقرأ عنه أنه أخذ أحدا في قبضته حتى الآن، ومما تجدر ملاحظته:

(١) أول مَنْ مات كان قديسا، شخصا كان مقبولا لدى الله، وكان الله يحبه. وأول مَنْ ذهب إلى القبر ذهب إلى السماء.

(٢) أول مَنْ مات كان شهيدا، ومات من أجل إيمانه. وموت هابيل لم يكن فيه لعنة، ليس ذلك فقط، بل كان فيه إكليل.

عدد ٩ – ١٢

محاكمة أول قاتل وإدانته:

أولا: محاكمة قايين: «فقال الرب لقايين: أين هابيل أخوك؟» لقد سأله لعله يستخلص منه اعترافا بجريمته، لأن أولئك الذين يتبررون أمام الله يجب أن

يدينوا أنفسهم، والتائب سيفعل ذلك.

ثانيا: دفاع قايين: احتَج بأنه ليس مذنبا، فأضاف عصيانا إلى خطيته، وذلك لأنه:

(١) حاول أن يغطي جريمة قتل مع سبق الإصرار بكذبة متعمدة: «لا أعلم». وهكذا كان الشيطان في قايين قتالا وكذابا منذ البدء. والذين يعتقدون أنه في الإمكان إخفاء خطاياهم عن الله الذي يرى كل شيء هم في حقيقة الأمر عميان بكيفية مذهلة، أما الذين يظنون أنه من الجيد إخفاء خطاياهم عن الله الذي لا يغفر إلا لأولئك الذين يعترفون فقط، هم أناس تقسَّت قلوبهم بدرجة كبيرة.

(٢) بوقاحة يتهم قاضيه، حين وجَّه له هذا السؤال: «أحارس أنا لأخي؟» كان يجب عليه أن يتضع ويقول: «ألست قاتلا لأخي؟» البعض يعتقد أنه كان يشير بقوله «أحارس أنا لأخي» إلى الله وعنايته، كما لو أنه قال: «ألست أنت حارسه؟» فإذا كان مفقودا، فاللوم يقع عليك أنت وليس عليَّ، لأني لم أتعهد إطلاقا بالمحافظة عليه. ونلاحظ هنا أن أولئك الذين يتولون أمر الاهتمام بإخوتهم، ولا يولونهم عنايتهم- إذا أُتيحت لهم الفرصة لذلك- حتى يمنعوا الأذى عنهم، أو عن أجسادهم أو مقتنياتهم أو سمعتهم الطيبة، ولاسيما نفوسهم، فإنهم في واقع الأمر يكونون مثل قايين (انظر لاويين ١٩: ١٧؛ فيلبي ٢: ٤).

ثالثا: إدانة قايين (ع ١٠): الدليل ضدك واضح لا يمكن دحضه: «صوت دم أخيك صارخ إليّ». وهو يتكلم كما لو أن الدم نفسه كان هو الشاهد وهو المدَّعي، وذلك قبل أن تشهد معرفة الله ضده، ومما تجدر ملاحظته:

(١) القتل جريمة صارخة، لا تضارعها في ذلك جريمة أخرى. والضحايا الصابرون يصرخون طالبين المغفرة «يا أبتاه اغفر لهم»، غير أن دماءهم تصرخ طالبة الانتقام.

(٢) ذُكر أن الدم يصرخ من الأرض.. من الأرض «التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك» (ع ١١).

(٣) جاءت الكلمة في الأصل بصيغة الجمع «دماء» أخيك، ليس دمه فقط، بل دماء كل الذين كان يمكن أن ينحدروا من نسله. وكم هو جيد لنا أن دم يسوع «يتكلم أفضل من دم هابيل» (عب ١٢: ٢٤). ذلك أن دم هابيل يصرخ طالبا الانتقام، في حين أن دم يسوع يصرخ طالبا الغفران.

رابعا: الحكم الذي صدر ضد قايين: «فالآن ملعون أنت من الأرض» (ع ١١).

(١) لُعن. لعنة آدم لعصيانه انتهت إلى الأرض: «ملعونة الأرض بسببك»، أما بالنسبة للعنة تمرد قايين فقد انصبت عليه شخصيا: «ملعون أنت». ولقد استحققنا جميعا هذه اللعنة، وفي المسيح وحده ينجو المؤمنون من هذه اللعنة ويرثون بركة (غل ٣: ١٠، ١٣).

(٢) لُعن من الأرض (طُرد من الأرض، بحسب ترجمة أخرى). وجد قايين عقوبته حيث اختار نصيبه وتعلق قلبه. وثَمة أمران نتوقعهما من الأرض حُرم منهما قايين ونزعا منه بهذه اللعنة: القوت والاستقرار.

أ. حُرم قايين من القوت الذي تعطيه الأرض. وهذه لعنة تنغِص عليه ملذاته، ولاسيما بالنسبة لحرفته «متى عملت في الأرض لا تعود تعطيك قوتها».

ب. حُرِم عليه الاستقرار في الأرض «تائها وهاربا تكون في الأرض». وبهذا حُكم عليه:

- بخزي وعار أبدي بين الناس.
- قلق وفزع مستمرين في فكره. فضميره الآثم يتعقبه حيثما ذهب، ويجعله في خوف من كل جانب. وأية راحة أو استقرار يمكن أن يجدهما الذين يحملون قلقهم في صدورهم حيثما ذهبوا؟ والذين يظلون مطاردين على هذا النحو لابد وأن يعيشوا شاردين وهاربين.

كان هذا هو الحكم الذي صدر على قايين، وحتى هذا الحكم نجده وقد جاء ممتزجا بالرحمة، حيث إنه لم يُنفَّذ في الحال، بل أُعطيت له فرصة للتوبة، لأن الله يتمهل علينا ولا يشاء موت الخاطئ.

عدد ١٣ - ١٥

نبذة أخرى عن الإجراءات التي اتخذت ضد قايين:

أولا: شكوى قايين من الحكم الذي صدر ضده،

حيث اعتبره صارما وقاسيا. البعض قالوا إنه يتكلم بلغة اليأس. هناك مغفرة لدى إله الغفران لأعظم الخطايا والخطاة، غير أنه يفقدها أولئك الذين يتملكهم اليأس منها، وإلى هذه اللحظة كان قايين يستهين بخطيته، أما الآن فهو على النقيض من ذلك تماما: لأن الشيطان يدفع بأتباعه من الغطرسة إلى اليأس. اعتقد أنه عُومل بقسوة، مع أنه في حقيقة الأمر لقى معاملة تتضمن شيئا من العطف، كان يصرخ من الظلم مع أنه كان خليق به أن يتعجب لكونه خارج جهنم. ولكي يبرر قايين شكواه، قام بالتعليق على الحكم:

(١) رأى أن الحكم يقصيه عن نعمة إلهه.

(٢) وجد أنه حُرم من جميع وسائل الراحة في هذه الحياة، وانتهى إلى أنه بكونه هاربا، فهو في الواقع قد طُرد «عن وجه الأرض».

(٣) وجد أنه بهذا الحكم أصبح محط كراهية البشر جميعا وحقدهم: «وكل مَنْ يجدني سيقتلني". وأينما هرب يكون مُعرَّضا لخطر الموت، وهذا على الأقل ما كان يفكر هو فيه، ومثل رجل لم يسدد ديونه يعتقد أن كل مَنْ يقابله هو شرطي جاء للقبض عليه. ولم يكن هناك أحياء إلا أقرب أقربائه، ولكنه كان في خوف حتى من هؤلاء لأنه كان هو نفسه على هذا القدر من الوحشية مع أخيه. لقد رأى الخليقة كلها وكأنها قد قامت لتحاربه.

ثانيا: تأكيد الله للحكم، لأنه عندما يحكم فإنه يسود.

(١) كيف تمت حماية قايين من الغضب بواسطة هذا الإعلان الذي نفترض أنه أُعلن لكل ذلك العالم الصغير الذي كان قائما في ذلك الحين؟ إذا قتل أحد قايين سيُنتقم منه سبعة أضعاف، لأن الذي يقتله يحول دون تنفيذ الحكم بالشكل الذي صدر عليه أن يكون «تائها وهاربا». وإذ قال الله بالنسبة لقضية قايين: «لي النقمة، أنا أجازي»، فسوف يكون اغتصاب جريء لسلطة الله أن يحاول أحد أن يأخذ السيف من يد الله.

(٢) «وجعل الرب لقايين علامة»، ليميزه عن بقية البشرية، وللإشارة إلى أنه الرجل الذي قتل أخاه.

عدد ١٦ – ١٨

معلومات أخرى عن قايين، وما آل إليه حاله بعد أن رفضه الله.

أولا: خضع بشكل تام لهذا الجزء من الحكم، الذي به اختبأ من وجه الله (ع ١٦): «فخرج قايين من لدن الرب». معنى هذا أنه بإرادته رفض الإيمان ورفض الله أيضا، وكان راضيا بأن يتنازل عن امتيازاته، حتى لا يلتزم بالوصايا. خرج قايين الآن من لدن الرب، ولا نجد أنه عاد ثانية إلى سابق عهده، أي إلى راحته.

ثانيا: حاول أن يقاوم ذلك الجزء من الحكم الذي جعله تائها وهاربا، وذلك:

(١) بأن اختار أرضه. لقد ذهب «وسكن في أرض نود شرقي عدن»، وهي بعيدة إلى حد ما عن المكان الذي كان يسكنه آدم وعائلته المؤمنة. غير أن محاولته للاستقرار هناك ضاعت سدى، لأن الأرض التي سكنها كانت بالنسبة له «أرض نود» (تهتز أو ترتجف)، وذلك بسبب قلقه وخوفه المستمر الذي يشعر به في نفسه. ويُلاحظ أن أولئك الذين يبتعدون عن الله لا يستطيعون أن يجدوا راحة في أي مكان آخر. وبعد أن خرج قايين من لدن الرب، لم يجد راحة على الإطلاق. «ارجعي يا نفسي إلى راحتك».. إلى راحتك في الله، حتى لا تُحرمين من الراحة إلى الأبد.

(٢) كان يبني مدينة لسكنه (ع ١٧) أي إنه كان مستمرا في بنائها، غير أنه إذ كانت عليه وعلى عمل يديه لعنة، فمن ثَمَّ لم يستطع الانتهاء منها.

أ. تحدي قايين للحكم الإلهي. قال الله: إنه يجب أن يكون «تائها وهاربا». ولو كان قد تاب وتذلل، فلربما كانت هذه اللعنة قد تحولت إلى بركة.

ب. نرى هنا اختيار قايين، بعد أن ابتعد عن الله، اختار أن يقيم في هذا العالم، كموضع راحته إلى الأبد.

ج. نجد هنا الطرق التي اتبعها قايين للدفاع عن نفسه ضد الرعب الذي كان يلاحقه بصفة دائمة. قام بعملية البناء هذه لتصرف أفكاره عن التأمل في بؤسه، وليسكت جلبة ضميره الآثم بأصوات المطارق والفؤوس. وهكذا نجد كثيرين يُسكتون معتقداتهم

بالانغماس في المشاغل الدنيوية.

د. نرى هنا كيف أن الأشرار كثيرا ما يسبقون شعب الله ويفوقونهم في الازدهار المادي. لقد عاش قايين وسلالته الملعونة في مدينة، في حين أن آدم وعائلته المباركة كانوا يقيمون في خيام.

(٣) نمت عائلته أيضا، ونجد هنا إشارة إلى نسله، على الأقل ورثة عائلته للجيل السابع.

عدد ١٩ – ٢٢

بعض المعلومات التي تخص «لامك»، السابع من آدم في سلسلة نسب قايين. على الرغم من أنه أخطأ إذ تزوج باثنتين، إلا أنه بورك بأولاد من كلتيهما، وكانوا مشهورين في جيلهم، ليس بسبب تقواهم، بل بسبب براعتهم. ولم يكونوا فقط رجالا ناجحين في أعمالهم، بل وكانوا نافعين للعالم، وبارزين بالنسبة لمبتكراتهم، أو على الأقل من ناحية الارتقاء ببعض المهارات النافعة.

(١) كان يابال راعيا مشهورا.

(٢) كان يوبال موسيقيا معروفا، ولا سيما بالنسبة للضرب بالعود والمزمار، وكان أول مَنْ وضع قواعد لفن الموسيقى الجميل. ففي حين أن يابال عرفهم الطريق إلى الثراء، نجد يوبال قد عرفهم كيف يمرحون ويسعدون. كان يوبال بالنسبة لهم مثل «بان" إله المراعي، أما يوبال فكان يمثل «أبوللو" إله الشعر والموسيقى والجمال.

(٣) كان توبال قايين حدادا شهيرا، وأدخل تحسينات عظيمة على فن الأعمال النحاسية والحديدية، من الناحيتين الحربية والزراعية. وكان عندهم بمثابة «فلكان" إله النار والمصنوعات المعدنية وحتى أولئك المحرومون من معرفة الله ونعمته قد يُعطون قدرات نافعة تجعلهم معروفين ونافعين في جيلهم. فالمواهب المعروفة تُعطى للجميع حتى الأشرار، في حين أن الله يختار لنفسه أدنياء هذا العالم.

عدد ٢٣ و٢٤

من كلام لامك المسجل هنا، والذي ربما كان حديث الجماهير في ذلك الحين، يبدو أنه كان رجلا شريرا، مثلما كان عليه حال نسل قايين بصفة عامة. ولقد اعترف على نفسه بأنه كان رجلا ذا طباع شريرة وقاسية، كان يُعامل الآخرين بغير رحمة، بل ويقتل كل مَنْ يعترض سبيله. وإذ كانت زوجتاه تعرفان من أي روح هو، وكيف أنه ميال لإغضاب الآخرين، ولا يقبل أن يغيظه أحد، فعلى هذا كانتا تخشيان أن يقوم شخص ما باغتياله. ولكنه كان يقول لهما: لا تخشيا شيئا على الإطلاق. وأتحدى أن يهاجمني أي شخص، أيا كان لأني سأريه مَنْ هو المقاتل الأفضل، وسوف أقتله سواء كان رجلا كبيرا أو شابا صغيرا.

عدد ٢٥ و٢٦

هذه أول مرة يُذكر فيها آدم في هذا الأصحاح. وليس ثَمة شك في أن مقتل هابيل، وارتداد قايين عن الله وعدم توبته كانا يشكلان حزنا عظيما له ولحواء، ذلك لأن شرهما أصبح الآن سبب تأديبا لهما، وابتعادهما عن الله أصبح يوبخهما. غير أننا نجد هنا ما كان مبعث ارتياح لأبوينا الأولين أثناء محنتهما.

أولا: لقد أعطاهما الله أن يشهدا إعادة بناء عائلتهما التي اهتزت بقسوة ووهنت نتيجة هذا الحدث المفجع. فقد:

(١) رأوا نسلهم «نسلا آخر عوضا عن هابيل» (ع ٢٥). ونلاحظ هنا عطف الله وحنانه على شعبه، في معاملات عنايته الإلهية معهم، فحين يأخذ منهم ما كان موضع ارتياحهم، يعطيهم عوضا عنه ما قد يكون بركة أعظم لهم بأكثر مما كان عليه ذاك الذي ربطوا به حياتهم. والذين يقتلون خدام الله يحسبون أنهم بهذا سيقضون تماما على قديسي العلي، ولكنهم بهذا يخدعون أنفسهم، فلا يزال المسيح يرى نسله، وبمقدور الله أن يقيم من الحجارة أولادا له، ويجعل من دم الشهداء بذارا للكنيسة. هذا الابن وبروح النبوة– دعي اسمه «شيثا» (معين أو بديل)، لأنه في نسله تتواصل البشرية حتى نهاية الزمن، ومنه يأتي المسيح. وفي حين أن قايين رأس الارتداد، حُكم عليه بأن يكون تائها، نجد أن «شيث»، الذي منه ستأتي الكنيسة الحقيقية كان شخصا مستقرا. ذلك أنه في المسيح وكنيسته يكون الاستقرار الحقيقي الوحيد.

(٢) لقد رأيا نسل نسلهم (ع ٢٦).

ثانيا: أعطاهما أن يشهدا انتعاش الإيمان في عائلتهما: «حينئذ ابتدئ أن يُدعى باسم الرب» (ع ٢٦). إنها لنوع من التعزية للرجل الصالح أن يرى أبناء أبنائه، وحتى لو لم يحدث هذا فيكفيه أن يرى السلام يحل على شعب الله، ويرى الذين ينحدرون منه يسيرون في الحق.

(١) بدأ مَنْ يعبدون الله في النهوض بأنفسهم في الديانة بأكثر مما فعلوا في السابق. لقد شرع الناس الآن يعبدون الله، ليس فقط في خلواتهم وعائلاتهم، بل في اجتماعاتهم الدينية العامة.

(٢) بدأ مَنْ يعبدون الله يميزون أنفسهم «حينئذ ابتدأ الناس يُدعون باسم الرب" (كما جاء في ترجمة أخرى)، أو يدعون أنفسهم به.

الأصحاح الخامس

نجد هنا لمحة تتعلق بـ:

أولا: آدم (ع ١– ٥).
ثانيا: شيث (ع ٦– ٨).
ثالثا: أنوش (ع ٩– ١١).
رابعا: قينان (ع ١٢– ١٤).
خامسا: مهللئيل (ع ١٥– ١٧).
سادسا: يارد (ع ١٨– ٢٠).
سابعا: أخنوخ (ع ٢١– ٢٤).
ثامنا: متوشالح (ع ٢٥– ٢٧).
تاسعا: لامك وابنه نوح (ع ٢٨– ٣٢).

وكل الأسفار الإلهية الموحى بها من الله نافعة، حتى وإن لم تكن بنفس الدرجة.

عدد ١– ٥

العبارات الافتتاحية في هذا الأصحاح هي عنوانه، أو هي خلاصة ما جاء به، فهو يتضمن «كتاب مواليد آدم»، وتبدأ سلسلة الأنساب بآدم نفسه.

أولا: خلقته (ع ١ و٢)، حيث نجد موجزا مختصرا لما سبق ذكره آنفا فيما يختص بخلق الله لآدم. ويُلاحظ هنا:

(١) «خلق الله الإنسان». فالإنسان لم يخلق نفسه، ولذلك لا يجب أن يكون سيد نفسه، غير أن الذي أعطاه وجوده هو الذي يجب أن يوجه تحركاته ويكون هو محورها.

(٢) كان هناك يوم فيه خلق الله الإنسان، فلم يكن الإنسان موجودا منذ الأزل، بل منذ الأمس.

(٣) الله خلقه على صورته كمثاله، بارا وقديسا، ومن ثَمَّ كان سعيدا دونما شك.

(٤) الله خلقهما «ذكرا وأنثى» (ع ٢)، وذلك ليكون كل منهما عونا للآخر، وكذلك لحفظ الجنس البشري وتكاثره.

ثانيا: ميلاد ابنه شيث (ع ٣). أما أهم ما يجب ملاحظته بالنسبة لشيث هو أن آدم ولده «على شبهه كصورته». وقد خُلق آدم على صورة الله، ولكنه بعد أن سقط في الخطية وفسد أنجب ابنا على صورته هو.

عدد ٦– ٢٠

تتضمن هذه الفقرة كل ما رآه الروح القدس مناسبا للتسجيل بخصوص خمسة من الآباء الأولين قبل الطوفان: شيث وأنوش وقينان ومهللئيل ثم يارد. ولا يوجد ما يميز هؤلاء بصفة خاصة، إلا أننا نعتقد بأنهم كانوا رجالا بارزين في جيلهم من ناحية الفطنة ومن ناحية التقوى.

أولا: قيل بالنسبة لكل منهم إنه «مات» باستثناء أخنوخ. وقد دَل إحصاء عدد سني حياة كل منهم، حين تم حسابها، أنها وصلت إلى نهايتها، ومع ذلك تكررت عبارة «ومات» حتى يبين أن الموت قد مر بكل الناس دونما استثناء. فهذا شخص كان يتمتع بقوة وصحة جيدة، لكنه مات. وذاك شخص كان عظيما وغنيا، غير أنه مات، وكان آخر سياسيا حكيما لكنه مات، وهذا كان رجلا طيبا للغاية، ولعله كان رجلا نافعا جدا، غير أنه أخيرا مات... إلخ.

ثانيا: أما ما تجدر ملاحظته بصفة خاصة أنهم جميعا عاشوا لزمن طويل. والحياة الطويلة بالنسبة للآباء الأتقياء كانت بركة لهم، وجعلتهم بركة للآخرين.

عدد ٢١– ٢٤

القصة هنا تتناول عدة أجيال دون أي شيء بارز

أو أي اختلاف سوى في الأسماء والأرقام، غير أنه في النهاية وجدنا اختلافا بالنسبة لشخص لا يجب أن نمر عليه مرور الكرام، ويجب أن نلتفت إليه بصفة خاصة، وهذا الشخص هو «أخنوخ»، السابع من آدم. أما الآخرون، فلنا أن نفترض أنهم كانوا أتقياء، غير أنه فاقهم جميعا، وكان ألمع النجوم في عصر الآباء. ولم يُذكر عنه سوى القليل، غير أن هذا القليل كان كافيا لأن يصنع له هذا الذكر الحسن، وثَمة أمران يتعلقان به:

أولا: سلوكه القويم في هذا العالم، والذي أُشير إليه مرتين: «وسار أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالح» (ع ٢٢)، ومرة ثانية: «وسار أخنوخ مع الله» (ع ٢٤).

(١) طبيعة إيمانه ومجال ومضمون سيرته: «سار مع الله»، الأمر الذي يشير إلى:

أ. ديانة حقيقية: وماذا تكون التقوى سوى السير مع الله ؟ فالآثم والدنِس بدون إله في هذا العالم، فهم يسيرون على النقيض منه، غير أن الأتقياء يسيرون مع الله، الأمر الذي يفترض فيه المصالحة مع الله، لأنه «هل يسير اثنان معا إن لم يتواعدا» (عا ٣: ٣). وأن نسير مع الله معناه أننا نضعه دائما أمامنا، وأن نسلك باعتبارنا دائما تحت عينيه، وهذا معناه أن نحيا حياة الشركة مع الله سواء من جهة وصاياه، أو من جهة عنايته الإلهية. إنها اتخاذ كلمة الله دستورا لنا، وأن يكون مجده غايتنا في كل أعمالنا، إنها الخضوع لمشيئته والتناغم مع مقاصده، وأن نكون عاملين معه.

ب. ديانة سامية: كان ميتا تماما بالنسبة لهذا العالم، ولم يسر فقط وراء الله، كما يفعل كل الأتقياء، بل سار مع الله، كما لو كان في السماء فعلا.

ج. نشاطه في إحياء الديانة بين الآخرين: كان يُطلق على القيام بوظيفة الكاهن «السير أمام الله» (١صم ٢: ٣٠، ٣٥؛ انظر أيضا زك ٣: ٧). ويبدو أن أخنوخ كان كاهنا لله العلي، وعوض أن يقول الروح القدس إن أخنوخ «عاش» قال «سار... مع الله»، لأن حياة الرجل الصالح هي أن يسير مع الله. وقد كان:

◄ هذا هو العمل الأساسي في حياة أخنوخ.

◄ ذلك بهجة حياته ودعامتها.

ثانيا: رحيله المجيد إلى عالم أفضل: حيث إنه لم يعش مثل الآخرين، فإنه أيضا لم يمت مثلهم (ع ٢٤): «ولم يوجد لأن الله أخذه»، أي إنه، وكما هو واضح في عبرانيين ١١: ٥: «بالإيمان نُقل أخنوخ لكي لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله». وكلما مات رجل صالح، يأخذه الله، يأخذه من هنا، ويأخذه لنفسه. ويضيف كاتب الرسالة بشأن أخنوخ أنه «قبل نقله شُهد له بأنه قد أرضى الله». وأولئك الذين يعيشون حقا بالتقوى في العالم سيجدون أن انتقالهم منه هو السعادة الحقيقية.

عدد ٢٥ – ٢٧

«متوشالح» معناها «يموت". ومع ذلك فقد لوحظ أن الشخص الذي عاش مدة أطول من الآخرين كان يحمل الموت في اسمه، حتى يتذكر بأن الموت آتٍ لا محالة، حتى وإن أبطأ قدومه.

عدد ٢٨ – ٣٢

نجد هنا أول ذكر لنوح الذي سنقرأ عنه الكثير في الأصحاحات التالية.

أولا: اسمه وسبب هذا الاسم: «نوح» وتعني «تعزية" أو «راحة"، وقد أطلق عليه والداه هذا الاسم وهما يتطلعان إلى أن يكون أكثر من بركة عادية لجيله.

ثانيا: أولاده: وَلَد نوح: «ساما وحاما ويافث». ويبدو أن يافث كان أكبرهم (تك ١٠: ٢١)، غير أن «ساما» ذُكر أولا لأن العهد انتقل إليه كما يبدو مما جاء في أصحاح ٩: ٢٦، حيث دُعي الله «إله سام». وربما أُعطي حق البكورية، ومن المؤكد أن منه جاء المسيح الرأس. وعلى ذلك سُميَ سام، ومعناه «اسم"، لأنه في نسله يجب أن يبقى اسم الله دائما، إلى أن يأتي من نسله ذاك الذي اسمه فوق كل اسم، وعلى ذلك فإنه إن وُضع سام أولا، فالواقع يكون المسيح هو الذي وُضع أولا، لأنه في كل شيء يجب أن يكون هو صاحب المكانة السامية.

الأصحاح السادس

من أهم الأشياء البارزة التي سُجلت عن العالم القديم هو الخراب الذي لحق به نتيجة الطوفان الشامل، والذي تبدأ قصته في هذا الأصحاح الذي نجد فيه:

أولا: تفاقم الإثم في هذا العالم الشرير (ع ١– ٥، ١١ و١٢).

ثانيا: استياء الله البار من تفاقم الإثم، وقراره الإلهي بمعاقبته (ع ٦ و٧).

ثالثا: نعمة الله الخاصة لعبده نوح:

(١) في الوصف الذي وصفه به (ع ٨– ١٠).

(٢) في إخباره بقصد الله (ع ١٣، ١٧).

(٣) في التوجيهات التي أعطاها له لكي يعمل فلكا لسلامته (ع ١٤– ١٦).

(٤) في استخدامه لحفظ بقية المخلوقات (ع ١٨– ٢١).

وأخيرا: إطاعة نوح للتعليمات التي أُعطيت له (ع ٢٢).

عدد ١ و٢

نجد هنا سببين نجم عنهما الشر الذي ساد العالم القديم:

(١) زيادة البشر: «ابتدأ الناس يكثرون على الأرض». وكان هذا نتيجة البركة (تك ١: ٢٨) ومع ذلك فإن فساد الإنسان أساء استخدام هذه البركة وأفسدها حتى تحولت إلى لعنة. وكلما زاد الخطاة زادت الخطية. والأمراض المعدية مدمِّرة للغاية في المدن الغاصة بالسكان، والخطية ما هي سوى برص سريع الانتشار.

(٢) الزيجات المختلطة (ع ٢): «أبناء الله» (أي المؤمنون) «رأوا بنات الناس» (أي الناس الدنسين) الغرباء عن الله ولا يعرفون التقوى. ذلك أن نسل شيث لم يحافظوا على أنفسهم كما كان يجب عليهم أن يفعلوا، لقد اختلطوا بنسل قايين المحرومين من شركة الله: «فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا». ولكن ما هو الخطأ في هذه الزيجات؟

أ. لقد اختاروا بعيونهم فقط: «رأوا بنات الناس أنهن حسنات»، وكان هذا هو كل ما شد انتباههم إليهن.

ب. ساروا وراء اختيارهم الذي جاء بناء على ميولهم الفاسدة، ولكن:

ج. ما ثبت أنه كانت له نتائج وخيمة بالنسبة لهم فهو زواجهم من أجنبيات، فأصبحوا «تحت نير مع غير المؤمنين» (٢كو ٦: ١٤). فالرديء يتلف الجيد بأسرع مما يصلح الجيد الرديء.

عدد ٣

جاءت هذه كعلامة على غضب الله.

أولا: إعلان الله بألا يجاهد مع الإنسان بروحه إلى الأبد، ويُلاحظ هنا:

(١) الروح المبارك يجاهد مع الخطاة بإدانة الضمير ولومه المتكرر؛ لكي يحوِّلهم عن الخطية ويردهم إلى الله.

(٢) إذا تمت مقاومة الروح وإطفاؤه ومحاربته، فبرغم أنه يجاهد طويلا لكنه لن يجاهد معهم إلى الأبد (هو ٤: ١٧).

ثانيا: سبب هذا القرار: «هو بشر» (جسد) أي إنه فاسد وجسداني وشهواني. ومما تجدر ملاحظته:

(١) إن الطبيعة الفاسدة وميول النفس لخدمة الجسد هي التي تعارض مقاومات الروح وتجعلها بلا فاعلية.

(٢) ولن يفقد أحد عمل الروح إلا إذا خسره باختياره.

ثالثا: مُنحوا إرجاء تنفيذ العقوبة: «وتكون أيامه مئة وعشرين سنة». ويُلاحظ أن زمن صبر الله وطول أناته بالنسبة لاستفزازات الخطاة قد يكون طويلا في بعض الأحيان، غير أنه دائما لزمن محدود، وإرجاء العقوبة لا يُعد غفرانا.

عدد ٤ و٥

إشارات أخرى إلى فساد العالم القديم.

أولا: الإغراء الذي كان يدفعهم إلى الظلم والعنف. كانوا «طغاة»، كما أنهم «ذوو اسم»:

(١) مع أحجامهم الكبيرة، باعتبارهم من بني عناق (عد ١٣: ٣٣).

(٢) لهم اسم عظيم، مثل ملك أشور (إش ٣٧:

١١)، وأولئك الذين تقوى شوكتهم على الآخرين بحيث يتمكنون من قهرهم غالبا ما لا يستطيعون أن يقمعوا أنفسهم حتى لا يظلمون أحدا.

ثانيا: الاتهام الذي عُرض وثبت ضدهم (ع ٥). فما الذي لاحظه الله؟

(١) لاحظ جميع تيارات الخطية التي تتدفق في حياة الإنسان، واتساع وعمق هذه الروافد. كان الظالمون «في الأرض طغاة» ثم إنهم «ذوو اسم»، ومن ثَمَّ «رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض». ويُلاحظ أن شر الإنسان يكون عظيما حقا حين يكون أعتى الخطاة أشهرهم. «ويكون الشر عظيما، حين يكون العظماء أشرارا". وكل خطايا الخطاة معروفة لله الذي هو قاضي الخطاة.

(٢) رأى نبع الخطية الذي كان في قلوب الناس. وكان بمقدور أي شخص أن يرى أن شر الإنسان كان عظيما، لأنهم أعلنوا خطيتهم مثل سدوم، غير أن عين الله ذهبت إلى أبعد من ذلك، فقد رأى: «أن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم»:

أ. أفكار القلب كانت هكذا.

ب. تصور أفكار القلب كانت هكذا، أي إن خططهم وتدبيراتهم كانت شريرة. وهم لا يرتكبون الشر لمجرد إهمالهم، بل يفعلون ذلك عمدا مع إصرار، إذ إنهم يخططون لعمل الشر.

عدد ٦ و٧

أولا: غضب الله على شر الإنسان. فهو لم يرَ الشر كمشاهد لا يبالي، بل كمن لحقه الأذى والإهانة، رآه كأب حنون يرى حماقة وعناد ابن متمرد عاص، الأمر الذي لا يغضبه فحسب، بل ويحزنه أيضا.

(١) هذه اللغة لا تشير إلى انفعال أو اضطراب في الذات الإلهية (لأنه ما من شيء يمكنه أن يُربك عقل الله)، بل إنها تعبر عن غضبه العادل والمقدس ضد الخطية والخطاة. فهل يكره الله الخطية على هذا النحو، ولا نكرهها نحن؟ وهل أحزنت خطايانا قلب الله؟ أفلا نحزن نحن أيضا وتوجعنا قلوبنا نتيجة الخطية؟

(٢) لا يعني هذا أي تغيير في فكر الله، بل يشير إلى تغيير في طرقه. ولكن مادام الإنسان قد ارتد الآن، فلم يكن في وسع الله إلا أن يظهر غضبه، ولذلك كان التغيير في الإنسان وليس في الله. لقد ندم الله لخلقه الإنسان، ولكننا لا نجده قد ندم إطلاقا على أنه افتداه.

ثانيا: قرار الله بأن يهلك الإنسان بسبب شره (ع ٧): نحن نسخر من الله إذا قلنا أننا ندمنا على خطيتنا، وأنها تحزن قلوبنا، ثم نواصل الانغماس فيها. والكلمة الأصلية لها دلالتها العميقة «أمحو عن وجه الأرض الإنسان"، مثلما تُمحى القذارة أو الوسخ من مكان يجب أن يكون نظيفا. والذين لا يتممون القصد من حياتهم يخسرونها. ولقد اتخذ الله هذا القرار بالنسبة للإنسان بعد أن جاهد روحه معه مدة طويلة دون جدوى. ولا يهلك بعدالة الله سوى الذين يكرهون الإصلاح بواسطة نعمته.

عدد ٨- ١٠

نرى هنا نوحا وقد تميز عن بقية العالم، وأُعطيت له علامة خاصة تدل على مكانته لدى الله.

(١) عندما غضب الله على العالم كله، أحسن إلى نوح، إذ وجده الشخص الوحيد الصالح، فابتسم الله في وجهه، وكان نوح هو الإناء الذي سُكبت فيه رحمة الله بغنى، إذ جعله أكثر كرامة وعظمة من كل جبابرة البأس في تلك الأيام، هؤلاء الذين كانوا أبطالا ورجالا ذوي اسم حسن. فأولئك الذين يكرمهم الله يسمون عاليا.

(٢) حافظ نوح على استقامته: «كان نوح رجلا بارا» (ع ٩) ولقد ذُكرت صفة نوح هذه هنا إما لأنها:

أ. السبب الذي من أجله اختصه الله بنعمته. فالله يحب الذين يحبونه.

ب. أو أنها جاءت وليدة فضل الله عليه. أي إنها نتيجة إحسان الله عليه. كان رجلا فاضلا للغاية، ولكنه لم يكن أفضل مما أوصلته إليه نعمة الله (١كو ١٥: ١٠). ونلاحظ بالنسبة لشخصية نوح:

◄ أنه كان «بارا»، أي إنه كان مبررا أمام الله بالإيمان بالنسل الموعود، لأنه «صار وارثا للبر الذي حسب الإيمان» (عب ١١: ٧). كان الله في بعض الأحيان يختار أدنياء العالم، غير أنه لم يختر إطلاقا اللئام أو المخادعين.

◄ كان «كاملا»، وليس ذلك بمعنى أنه كان بلا خطية، بل كان كاملا في إخلاصه لله، وأنه لحسن لنا أنه بموجب عهد النعمة، وعلى أساس بر المسيح، يُقبل إخلاصنا على أنه كمال الإنجيل.

◄ وسار «مع الله». عاش حياة الشركة مع الله. والله ينظر بعين الإحسان إلى أولئك الذين بكل إخلاص ينظرون إليه بعين الإيمان. إنه لمن السهل أن تكون متدينا حين يكون الجميع متدينين، غير أنه دليل الإيمان والعزم القوي أن تسبح ضد التيار، وأن تتجه صوب السماء، وأن تُظهر أنك لله في الوقت الذي لا يفعل فيه ذلك غيرك.

عدد ١١ و١٢

جاء الحديث هنا مرة ثانية عن شر ذلك الجيل.

(١) وُجدت بينهم جميع نوعيات الخطية، لأنه ذُكر في آية ١١ أن الأرض:

أ. «فسدت... أمام الله».

ب. امتلأت الأرض أيضا من العنف والظلم. وكما أن الشر يُعد وصمة في جبين الطبيعة البشرية، كذلك فهو أساس دمار المجتمع الإنساني. فإذا أُستبعد الضمير ومخافة الله صار الناس وحوشا وشياطين بعضهم لبعض، فالخطية تملأ الأرض عنفا، وبذلك تحولها إلى قفر أو إلى ساحة قتال.

(٢) دليل ذلك وبرهانه لا يمكن إنكاره، فقد «رأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت». كان الله نفسه شاهدا على الفساد الذي كان فيها.

(٣) أما الذي زاد الأمر سوءا فهو انتشار عدوى الفساد على مستوى العالم: «كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض». وعندما يصبح الشر ظاهرة عامة، يكون الدمار العام قريبا أيضا، وحين تكون هناك بقية من شعب مصلٍ في أمة، لتفرغ مكيال غضب الله حين يمتلئ، هناً يمكن تأجيل الدينونة لمدة طويلة.

عدد ١٣ – ٢١

يبدو حقا أن نوحا وجد «نعمة في عيني الرب» (ع ٨).

أولا: الله يجعل نوحا هنا «رجل مشورته» حيث أخبره عن اعتزامه تدمير هذا العالم الشرير بالماء، كما أخبر بعد ذلك إبراهيم عما اعتزمه بالنسبة لسدوم (تك ١٨: ١٧). فالله «يعلن سره لعبيده الأنبياء» (عا ٣: ٧)، ذلك أنه بإعلان إلهي يخبرهم بصفة خاصة عن مقاصده. وهذا ما يحدث مع كل المؤمنين بروح الحكمة والإيمان حتى الذي يمكّنهم من فهم مقاصد الله.

(١) قال الله لنوح بصفة عامة إنه سيهلك العالم (ع ١٣). ومن المحتمل أن نوحا أثناء وعظه لجيرانه حذّرهم، وكان الله يعضده في محاولاته.

(٢) أخبره، بصفة خاصة، أنه سيهلك العالم بالطوفان: «فها أنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض» (ع ١٧). ويجب أن نكون على ثقة من أن أسباب ذلك حكيمة وعادلة، على الرغم من أنها ليست معروفة لنا. وفي جعبة الله سهام كثيرة، وبمقدوره أن يستخدم ما يحلو له منها، وهو يشير إلى حتمية الدينونة: «فها أنا آتٍ... لأُهلِك».

ثانيا: الله يجعل نوحا هنا «رجل عهده"، وهو مصطلح عبري معناه «صديق" (ع ١٨): «ولكن أقيم عهدي معك».

(١) عهد العناية الإلهية: بأن مسار الطبيعة سيتواصل كما هو حتى نهاية الزمن، على الرغم من فترة الارتباك التي ستتبع الطوفان. لقد أُعطي هذا الوعد بصفة مباشرة لنوح وأولاده (تك ٩: ٨– ١٧). وكانوا بمثابة وكلاء هذه الحقبة من الخليقة برمتها.

(٢) عهد النعمة: بأن الله سيكون له إلها، وأن الله سيتخذ لنفسه شعبا من نسله.

ثالثا: جعل الله نوحا هنا رمزا للرحمة المذخرة. فتقوى الفرد تُكافأ بوسائل خلاص عظيمة.

(١) أرشد الله نوح لأن يصنع لنفسه «فلكا» (ع ١٤– ١٦). وكان هذا الفلك يشبه سفينة ضخمة، لا يصلح لأن يبحر على المياه الضحلة (لم تكن هناك مناسبة للإبحار، أيضا لم يكن يوجد ميناء لذلك)، بل يصلح للطفو على المياه الكثيرة التي من المنتظر سقوطها. ولقد رأى الله أن يستخدم نوحا في صنع ما سوف يكون وسيلة استبقائه على قيد الحياة، لكي يمتحن إيمانه وطاعته وليعلّمنا بأنه لن يخلص أحد بالمسيح سوى أولئك الذين يُظهرون خلاصهم عمليا. ونحن لا نستطيع إظهار خلاصنا بدون الله، وهو لن

يفعل ذلك بدوننا. لقد زوده الله بتعليمات دقيقة بخصوص بناء الفلك.

أ. يجب أن يُصنع من خشب «جفر» (خشب السرو).

ب. يجب أن يصنعه من ثلاث طوابق من الداخل.

ج. يجب تقسيمه إلى عنابر منفصلة، أماكن تصلح للنوعيات المختلفة من المخلوقات، بحيث لا يترك أية مساحة دون الاستفادة منها.

د. أُعطيت له الأبعاد الدقيقة. والذين يعملون من أجل الله عليهم أن يأخذوا منه التوجيهات، وعليهم مراعاتها بكل حرص.

هـ. عليه أن يطليه من الداخل والخارج بالقار، من الخارج لحمايته من الأمطار ولمنع المياه من التسرب إلى الداخل. أما من الداخل لمنع رائحة الحيوانات الرديئة حين تُوضع في عنابرها.

و. عليه أن يعمل كوة صغيرة قرب السقف لتسمح للضوء بالدخول.

ز. عليه أن يعمل بابا من الداخل لاستعماله في الدخول والخروج.

(٢) يعد الله نوحا أنه سيحفظ حياته هو وعائلته داخل الفلك (ع ١٨). «فتدخل الفلك»، ويُلاحظ هنا:

أ. عناية الوالدين الصالحين، لم يكونا مهتمين بخلاصهما الشخصي فقط، بل وبخلاص عائلتيهما، ولاسيما أولادهما.

ب. سعادة الأبناء الذين يتسم آباؤهم بالصلاح. فتقوى والديهم كثيرا ما تؤمن لهم خلاصا زمنيا، كما حدث هنا، وتدعمهم في الطريق إلى الخلاص الأبدي، إذا ما استغلوا هذا الامتياز.

رابعا: جعل الله نوحا بركة عظيمة للعالم، وهو بهذا جعله رمزا بارزا للمسيح.

(١) جعله الله كارزا لأهل ذلك الجيل.

(٢) جعله الله مخلصا للمخلوقات الأدنى منه، لكي يحفظ أنواعها المتباينة من الهلاك والضياع في الطوفان (ع ١٩– ٢١).

أ. كان عليه أن يدبر لها مأوى، حتى لا تغرق.

ب. كان عليه أن يعولها، حتى لا تهلك جوعا (ع ٢١). وكان في هذا أيضا يرمز إلى المسيح، الذي بفضله يوجد العالم، وبه كُوِّن كل شيء، والذي يحفظ الإنسان من أن يهلك بالخطية. لقد خلَّص نوح أولئك الذين يطيعونه، وهكذا فعل المسيح أيضا (عب ٥: ٩).

عدد ٢٢

اهتمام نوح واجتهاده في بناء الفلك يمكن النظر إليه باعتباره:

(١) نتيجة إيمانه بكلمة الله.

(٢) كعمل يظهر طاعته لأمر الله. كان جيرانه يسخرون منه لسذاجته. وسوف يكون أغنية السكارى، ويُدعى فلكه «حماقة نوح». غير أن هذه الاعتراضات وآلاف مثلها تغلب عليها نوح بالإيمان. ونفَّذ الأوامر التي أُعطيت له بكل دقة، وإذ كان قد بدأ العمل، فإنه لم يتركه إلا بعد أن أنجزه، هكذا فعل نوح، وهذا ما يجب علينا أن نعمله نحن أيضا.

(٣) علينا أن نكون مستعدين للقاء الرب في دينوناته على الأرض، ونكون مستعدين بصفة خاصة للقائه عند الموت وفي دينونة اليوم العظيم، علينا أن نبني على المسيح «الصخرة» (مت ٧: ٢٤)، وندخل إلى المسيح «الفلك».

(٤) كانت كل ضربة من فأسه ومطرقته تُعد دعوة إلى التوبة، دعوة إليهم لكي يصنعوا هم أيضا فلكا لهم.

الأصحاح السابع

نجد في هذا الأصحاح إتمام ما سبق التنبؤ به في الأصحاح السابق سواء من ناحية هلاك العالم القديم أو خلاص نوح. ونرى هنا نهاية الأمر، نتيجة اهتمامه، وعاقبة تخاذلهم.

ويتضمن هذا الأصحاح:

أولا: دعوة الله الرحيمة لنوح أن يدخل الفلك (ع ١).

ثانيا: طاعة نوح لهذه الرؤيا السمائية (ع ٥)، والتي تكررت في الأعداد ١٣– ١٦، والتي أُضيف إليها عناية الله الرحيمة إذ أُغلق عليه الفلك.

ثالثا: مجيء الطوفان (ع ١٠)، وسببه (ع ١١ و١٢)، وتعاظمه (ع ١٧– ٢٠).

رابعا: الخراب المروِّع الذي نجم عنه.

خامسا: استمرار الطوفان مدة مئة وخمسين يوما قبل أن تنحسر المياه (ع ٢٤).

عدد ١ – ٤

أولا: دعوة كريمة لنوح وعائلته للدخول إلى مكان الأمان (ع ١).

(١) الدعوة نفسها كريمة جدا، كدعوة أب حنون لأولاده، لكي يدخلوا، حين يقبل الليل، أو حين يرى العاصفة وشيكة. لم يأمره الله بأن «يذهب" إلى الفلك، بل «يدخل إليه"، الأمر الذي يُستشف منه أن الله سيصاحبه، ويقوده إليه، ثم يخرجه منه في الوقت المناسب. وهذا ما جعل الفلك الذي كان مثل السجن، يبدو لنوح ليس كملاذ فقط، بل كقصر. ودعوة نوح هذه تماثل الدعوة التي يقدمها الإنجيل للخطاة المساكين. والمسيح فلك أُعد، والذي فيه وحده يكون في أمان حين يأتي الموت والدينونة.

(٢) السبب في هذه الدعوة يُعد شهادة كريمة لاستقامة نوح. ونلاحظ هنا:

أ. الأبرار بالحق هم الذين يكونون أبرارا لدى الله، الذي يفحص القلوب، ولا يمكن أن يخدعه أحد.

ب. الله يرى الذين يسيرون بالاستقامة أمامه ويُسر بهم: «يعلم الرب الذين هم له» (٢تي ٢: ١٩).

ج. والله الذي يرى استقامة شعبه، سيكون شاهدا على ذلك في القريب.

د. الله يُسر بصفة خاصة بأولئك الذين يكونون صالحين في الأوقات الشريرة وفي الأمكنة الشريرة.

هـ. الذين يحتفظون بطهارتهم في أوقات انتشار الإثم سيحفظهم الله في أوقات الكوارث العامة.

ثانيا: نجد هنا الأوامر اللازمة التي صدرت بخصوص البهائم التي يجب استبقاء حياتها مع نوح في الفلك (ع ٢ و٣). ذلك أنها لا تدرك ما هو الإنذار، ولذلك كُلف الإنسان بالعناية بها، إذ إنها تحت سلطانه، وعلى ذلك يجب أن تكون تحت حمايته.

ثالثا: أُعطي هنا إنذار باقتراب مجيء الطوفان.

(١) «لأني بعد سبعة أيام» سوف أفعل ما قلته. لقد منحهم الله فترة يؤجل فيها تنفيذ العقوبة مدتها سبعة أيام، ولكن دون جدوى، لقد استهانوا بهذه الأيام السبعة، كما فعلوا في كل الزمن السابق، واصلوا شعورهم بالأمن وممارساتهم الدنسة حتى اليوم الذي جاء فيه الطوفان.

(٢) لن يتبقى سوى «سبعة أيام». وحين أخبرهم نوح بالدينونة التي كانت لا تزال بعيدة، وقعوا في إغراء تأجيل توبتهم، «لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد»، أما الآن فقد أُمر نوح أن يقول لهم إنها على الأبواب.

عدد ٥– ١٠

نجد هنا طاعة نوح الخالصة للأوامر التي أصدرها له الله، ومما تجدر ملاحظته:

(١) دخل الفلك بناء على إنذار بأن الطوفان سيأتي بعد سبعة أيام، على الرغم من أنه ربما لم تكن ثَمة علامات مرئية على اقترابه، دخل الفلك لإيمانه بهذا التحذير الذي يفيد أن الطوفان سيأتي عاجلا، على الرغم من أنه لم ير أن بوادر الطوفان قد بدأت في الظهور بعد. وفي كل خطوة كان يخطوها، إنما سار بالإيمان وليس بالعيان.

(٢) أخذ عائلته كلها معه، زوجته وأولاده وزوجاتهم، والذين بواسطتهم لن تُبنى عائلته فقط، بل البشرية بأسرها (ع ٣)، ودخلت البهائم معه أيضا.

عدد ١١ و١٢

تاريخ هذا الحدث العظيم، وقد سُجل بكل عناية، لزيادة التأكيد على يقينية القصة:

أولا: تُحسب سنوات العالم القديم ليس على أساس حكم العظماء، بل بحسب حياة الآباء، فالله يهتم بالقديسين بأكثر مما يهتم بالملوك. كان نوح عندئذ رجلا كهلا، وكان في السن المألوف في ذلك الحين، ومما تجدر ملاحظته:

(١) كلما طالت حياتنا في هذا العالم زاد ما نراه فيه من كوارث ومآسي.

(٢) أحيانا يختبر الله عبيده الشيوخ باختبارات غير عادية للصبر والطاعة. وأكبر جنود المسيح سنا

لا يجب أن يمنوا أنفسهم بالإعفاء من الحرب حتى يعفيهم الموت من ذلك. عليهم أن يتمنطقوا بأسلحتهم، ولا يتفاخروا كأنهم خلعوها.

ثانيا: الأسباب الثانوية التي صاحبت الطوفان:

(١) في ذات اليوم الذي أُدخل فيه نوح الفلك بدأ الطوفان. لذا ما حدث في ذلك اليوم كان رهيبا للأشرار.

أ. «انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم» (ع ١١) رجعت مياه البحر لتغطي الأرض، كما كانت في بادئ الأمر. (انظر تكوين ١ : ٩).

ب. «وانفتحت طاقات السماء».. «المياه التي فوق الجَلَد» (تك ١ : ٧). فالأمطار التي تسقط عادة في قطرات، هطلت بغزارة كما لو أن هناك انفجارا مائيا كما يقولون في جنوب آسيا، حيث كثيرا ما «تنفجر" السحب- هكذا يصفون الأمر هناك، حين ينزل المطر بعنف كالسيول الجارفة، وبأعظم مما سبق رؤيته في أعظم وابل من المطر.

(٢) ونتعلم من هذا:

أ. كل الخليقة تحت تصرف الله، وهو يحركها كما يشاء ويرى، سواء كان ذلك للإصلاح أو للرحمة.

ب. كثيرا ما يعمل الله على أن تصر «مائدتهم قدامهم فخا» (مز ٦٩ : ٢٢). ولا شيء نافع ولا يمكن الاستغناء عنه أكثر من الماء، سواء كان في الينابيع على الأرض، أو في سحب السماء، ومع ذلك نجد هنا أكثر الأشياء ضررا وإهلاكا.

ج. من المستحيل الهرب من دينونة الله العادلة حين تأتي على الخطاة بتكليف منه.

عدد ١٣ – ١٦

تكرر هنا ما سبق ذكره عن دخول نوح إلى الفلك، مع عائلته، والمخلوقات التي عينها الله لحفظ جنسها.

أولا: تكررت هكذا تكريما لنوح، الذي ظهر إيمانه وطاعته بشكل جلي وواضح في هذا العمل.

ثانيا: ظهر الاهتمام هنا بدخول البهائم «كأجناسها» وذلك بحسب التعبير الذي استُخدم في تاريخ الخليقة (تك ١ : ٢١– ٢٥)، وأن هذا الاستبقاء كان خليقة جديدة، فالحياة التي لاقت الحماية على هذا الشكل الرائع، إنما هي حياة جديدة.

ثالثا: وأُضيف هنا: «وأغلق الرب عليه» (ع ١٦). وفيما كان نوح يواصل طاعته لله، هكذا كان الله يواصل أيضا اهتمامه بنوح. وأغلق الله الباب للأسباب التالية:

(١) لكي يحميه ويحفظه في الفلك.

(٢) لاستبعاد كل الآخرين. إلى ذلك الوقت كان باب الفلك لا يزال مفتوحا، ولو كان أحد قد تاب وآمن حتى خلال الأيام السبعة الأخيرة، فلابد وأنه كان قد رُحب به للدخول إلى الفلك، غير أن الباب قد أُغلق الآن.

رابعا: هناك الكثير من واجبات الإنجيل ومزاياه يمكننا أن نلمسها في حفظ حياة نوح في الفلك. ومما تجدر ملاحظته:

(١) إن واجبنا العظيم، استجابة لدعوة الإنجيل، بالإيمان الحي بالمسيح، أن نأتي إلى طريق الخلاص الذي أعده الله للخطاة المساكين. وحين دخل نوح الفلك، ترك بيته وأرضه، ولذلك يجب علينا أن نترك برِّنا الذاتي وممتلكاتنا العالمية، إذا ما تعارضت مع علاقتنا بالمسيح. ويتعين على نوح– ولفترة ما– أن يخضع لقيود الفلك وأتعابه، لكي يحقق حفظ حياته لعالم جديد، وهكذا الحال أيضا بالنسبة لمن يأتون إلى المسيح لينالوا بواسطته الخلاص، عليهم أن ينكروا أنفسهم سواء من ناحية الآلام، أو من ناحية الخدمة.

(٢) الذين يدخلون الفلك عليهم أن يأتوا معهم بأكبر عدد ممكن من الناس، وذلك بواسطة التعليم الصحيح والإقناع، والقدوة الحسنة. وهناك مكان لدى المسيح لكل مَنْ يُقبلون إليه.

(٣) الذين يأتون بالإيمان إلى المسيح فلك النجاة، سوف يُغلق عليهم، ويُحفظون كما في قلعة حصينة بقوة الله (١بط ١ : ٥).

عدد ١٧ – ٢٠

أولا: الزمن الذي استمر الفيضان يزداد خلاله. «أربعين يوما» (ع ١٧). فالعالم الدنس الذي لم

يصدق بأن الطوفان سيأتي، لعلهم حين أتى كانوا يمنون أنفسهم بأنه سرعان ما ينحسر، ولكنه طغى. والمجيء التدريجي لدينونات الله، والتي يُقصد بها الإتيان بالخطاة إلى التوبة، كثيرا ما يُساء فهمها الأمر الذي يجعل الأشرار يتقسون في غطرستهم.

ثانيا: إلى أي مدى ازداد الطوفان: ارتفع عاليا جدا حتى إنه لم يغمر البلدان المسطحة المنخفضة فحسب، بل للتأكيد من إتمام غايته، وحتى لا يهرب منه أحد، غطى الطوفان قمم أعلى الجبال- «خمس عشرة ذراعا». وهكذا اكتُسحت الملاذ الكاذبة. فلا يوجد على الأرض مكان عالٍ يحصِّن الناس حتى لا تصل إليهم دينونات الله (إر ٤٩: ١٦؛ عو ٣ و٤).

ثالثا: ما الذي حدث بالنسبة لفلك نوح حينما ازداد الطوفان إلى هذا الحد. ارتفع عن الأرض (ع ١٧)، وكان يسير على وجه المياه (ع ١٨)، ومما تجدر ملاحظته:

(١) المياه التي حطمت كل شيء، هي نفسها التي حملت الفلك.

(٢) كلما زادت مياه الطوفان، زاد ارتفاع الفلك نحو السماء. وهكذا المحن التي تحيق بالمؤمنين ترتفع بهم من الناحية الروحية.

عدد ٢١ - ٢٤

أولا: دمار كل حي بواسطة مياه الطوفان:

(١) كل المواشي والطيور، والحيوانات الزاحفة، جميعها لاقت حتفها، ماعدا القلة التي كانت في الفلك. ودمار المخلوقات كان خلاصا لها من عبودية الفساد، هذا الخلاص الذي تئن كل الخليقة في انتظاره (رو ٨: ٢١ و٢٢).

(٢) كل البشر، من رجال، ونساء، وأطفال، ممن كانوا في العالم (ما عدا الذين كانوا في الفلك) قد ماتوا. وهنا نلاحظ أنه:

أ. يمكننا وبسهولة تخيل الذعر والرعب الذي تملكهم حين رأوا مياه الطوفان تحيط بهم.

ب. لنا أن نفترض أنهم جربوا كل السبل والوسائل الممكنة لنجاتهم، ولكن كل ذلك ذهب دون طائل. والذين لا يوجدون في المسيح فلك النجاة، هم لا محالة هالكون. لنتوقف هنا هنيهة لنتأمل هذه الدينونة الرهيبة، لقد استشهد أليفاز بهذه القصة كتحذير دائم لأي عالم مهمل (أي ٢٢: ١٥ و١٦): «هل تحفظ طريق القدم الذي داسه رجال الإثم. الذين قُبض عليهم قبل الوقت»، وأرسلوا إلى مصيرهم الأبدي، «الغمر انصبَّ على أساسهم».

ثانيا: حفظ حياة نوح وعائلته بصفة خاصة، ونلاحظ هنا:

(١) عاش نوح، في الوقت الذي كان فيه جميع مَنْ حوله علامات شاهدة لعدالة الله، سقط عن يمينه ألوف وعن يساره ربوات، وكان هو رمزا للرحمة. ولدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد أنه فيما كانت أناة الله تنتظر، فإن نوحا لم يكتف بالكرازة لهذا العالم الشرير، بل صلى من أجله، وكان يمكن أن يتحول غضب الله عنهم، لكن صلواته عادت إلى صدره، ولم تُستجب إلا بالنسبة لخلاصه هو، الأمر الذي أُشير إليه صراحة في حزقيال ١٤: ١٤ «نوح ودانيال وأيوب فإنهم إنما يخلِّصون أنفسهم ببرهم».

(٢) ولكنه عاش: ظل نوح حيا، وهذا كل ما في الأمر، والواقع أنه دُفن حيا.. سُجن في مكان مغلق، ولكنه كان يعزي نفسه بأنه في طريق الواجب، وفي طريق الخلاص.

الأصحاح الثامن

في نهاية الأصحاح السابق، تركنا العالم وقد دُمِّر. أما الآن فقد تغير المشهد، ورأينا الجانب المشرق من تلك السحب التي سبق أن ظهرت سوداء مكفهرة، لأنه، على الرغم من أن الله يخاصم طويلا إلا أنه لا يخاصم إلى الأبد، ولن يظل غاضبا أبدا.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: ظهرت الأرض من جديد بانحسار المياه، وظهور اليابسة.

(١) توقف تدفق المياه (ع ١ و٢).

(٢) بدأت تنحسر بوضوح (ع ٣).

(٣) بعد رجوع المياه بستة عشر يوما استقر الفلك (ع ٤).

(٤) وبعد ستين يوما من بدء انحسار المياه، ظهرت

قمم الجبال (ع ٥).

(٥) وبعد أربعين يوما من تناقص المياه، وقبل ظهور الجبال بعشرين يوما، بدأ نوح يرسل جواسيسه ليتبين حالة الأرض، فقد أرسل غرابا وحمامة، لهذا الغرض (ع ٦- ٢١).

(٦) وبعد شهرين من ظهور قمم الجبال، كانت المياه قد اختفت، ووجه الأرض قد جف (ع ١٣)، ولو أنها لم تجف بالقدر الذي يناسب الإنسان إلا بعد ذلك بشهرين تقريبا (ع ١٤).

ثانيا: وُضع الإنسان ثانية على الأرض.

(١) إطلاق سراح نوح ورحيله عن الفلك (ع ١٥- ١٩).

(٢) ذبيحة الشكر التي قدمها لله عند إطلاقه من حبسه في الفلك (ع ٢٠).

(٣) قبول الله لذبيحته، والوعد الذي قطعه هنا بألا يغرق العالم مرة ثانية (ع ٢١ و٢٢). وهكذا تفتخر الرحمة على الحكم في نهاية المطاف.

عدد ١- ٣

أولا: من أعمال رحمة الله: «ذكر الله نوحا وكل الوحوش وكل البهائم». وهذا تعبير بلغتنا البشرية، لأنه ليس من بين مخلوقاته شيئا منسيا أمامه (لو ١٢: ٦)، فكم بالحري يكون الأمر بالنسبة لشعبه (انظر إش ٤٩: ١٥ و١٦). وتذكُر الله لنوح معناه عودة رحمته للبشرية، فهو لن يهلكها تماما. فنوح نفسه، على الرغم من أنه وجد نعمة في عيني الرب، إلا أنه بدا وكأنه أصبح منسيا في الفلك، ولعله هو نفسه بدأ يخامره هذا الشعور، لأننا لا نجد أن الله قد أخبره بالفترة التي سيقضيها حبيسا في الفلك، ومتى يطلق سراحه منه. وثَمة رجال أبرار للغاية أحيانا ينتهون إلى أنهم أصبحوا منسيين من الله، ولاسيما حينما تكون محنتهم شديدة الوطأة وتستمر طويلا بأكثر من المعتاد. ولعل نوحا- على الرغم من إيمانه العظيم- فإنه حين وجد أن الطوفان قد استمر فترة طويلة، بعد أن مرت فترة حُسبت كافية لأن يحقق الطوفان أغراضه- بدا يساوره الخوف بأن ذاك الذي أغلق عليه باب الفلك سيتركه فيه، وبدأ يعاتبه: «إلى متى... تنساني؟» غير أن الله عاد إليه أخيرا في رحمته، وهذا ما عُبر عنه بالقول إنه تذكره.

ثانيا: مثال على سلطان الله على الرياح والمياه، وكلاهما رهن إشارته، على الرغم من أنه لا سيطرة للإنسان على أي منهما.

(١) أمر الريح فذهبت لتحصر مياه الطوفان، «أجاز الله ريحا على الأرض»، ونلاحظ هنا:

أ. ما المقصود بتذكر الله لنوح، المقصود به إطلاقه من الفلك.

ب. سيطرة الله الكاملة على الريح. فحتى الريح العاصفة تخضع لكلمته (مز ١٤٨: ٨). لقد أرسل الله ريحا لتجفف المياه، مثل تلك التي أرسلها الله لتشق البحر الأحمر أمام بني إسرائيل (خر ١٤: ٢١).

(٢) أمر المياه أن تنحصر فانحصرت.

أ. أزال السبب. ونلاحظ هنا أنه كما أن الله لديه مفتاح ليفتح، فإن لديه أيضا مفتاحا ليغلق ثانية. ولإيقاف سير دينوناته وذلك بإيقاف أسبابها. ونفس اليد التي أحدثت الخراب، يجب أن تأتي بالخلاص. فالذي يجرح هو وحده القادر أن يشفي (انظر أيوب ١٢: ١٤ و١٥).

ب. بعد ذلك توقفت هذه المؤثرات، ولكن ليس في الحال، بل شيئا فشيئا. والله في العادة يحقق الخلاص لشعبه تدريجيا، حتى لا يُزْدرىَ «بيوم الأمور الصغيرة»، ولا يسود اليأس بالنسبة ليوم الأمور العظيمة (زك ٤: ١٠؛ انظر أم ٤: ١٨).

عدد ٤ و٥

نجد هنا نتائج انحصار المياه والدليل على ذلك.

(١) استقر الفلك. وكان مما ولَّد في نوح بعض الشعور بالارتياح أن يعلم أن البيت الذي يسكنه كان قائما على أرض صلبة، ولم يعد يتحرك بعد. لقد استقر على جبل، حسب ما تم توجيهه، ليس من تدبير نوح (لأنه لم يكن يقود الفلك)، بل بعناية الله الحكيمة الكريمة، حتى يستقر بأسرع وقت. ونلاحظ أن الله لديه أزمنة وأماكن راحة لشعبه، بعد أن يظلوا فترة تتقاذفهم المياه، وكثيرا ما يدبِّر لاستقرارهم المريح في أوانه، دونما أي تخطيط من قبلهم، وبطرق لا تخطر لهم على بال.

(٢) شُوهدت قمم الجبال كجزُر صغيرة فوق

سطح المياه. ولنا أن نفترض أن نوحا وأولاده قد شاهدوها، لأنه لم يكن هناك غيرها لكي يروها. ولعلهم كانوا ينظرون إلى الخارج كل يوم من كوة الفلك، مثل البحارة المتلهفين الذين يتطلعون ببصرهم -بعد رحلة مُضجرة- لكي يروا ما إذا كانت اليابسة قد ظهرت أم لا. لقد شعروا باصطدام الفلك بالأرض قبل أن يروها بأربعين يوما، الأمر الذي يمكننا أن نستخلص منه أنه إذا كانت المياه قد تناقصت طبقا لمعدلاتها المعروفة، فإن الجزء الغاطس من الفلك في الماء كان بعمق أحد عشر ذراعا.

عدد ٦- ١٢

إشارة إلى الجواسيس التي أرسلها نوح لتجلب له معلومات من الخارج، وهما غراب وحمامة.

أولا: على الرغم من أن الله أخبر نوحا على وجه الدقة بموعد مجيء الطوفان، غير أنه لم يخبره بشيء -عن طريق إعلان إلهي- عن متى وكيف سينتهي.

(١) وذلك لأن معرفته بموعد مجيء الطوفان كان أمرا ضروريا لكي يُعِّد الفلك، أما معرفته بانحصاره ما كانت تفيده بشيء سوى إشباع غريزة حب الاستطلاع فيه، أما إخفاء هذا الأمر عنه، فكان أمرا تطلَّبه اختبار إيمانه وصبره.

(٢) لم يستطع التنبؤ بالطوفان، سوى عن طريق الإعلان الإلهي، غير أنه وبالوسائل العادية، كان بإمكانه اكتشاف انحصار المياه.

ثانيا: على الرغم من أن نوحا توقع بالإيمان إطلاق سراحه، وبالصبر انتظر ذلك، إلا أنه كان كثيرا ما يتساءل عن ذلك، كمن يشعر بطول فترة بقائه حبيسا لمكان ما. فمن يؤمن لا يتعجل الذهاب من أمام وجه الله (إش ٢٨: ١٦)، بل يتعجل الذهاب للقائه. ونرى هنا بصفة خاصة:

(١) أن نوحا أخرج غرابا من كوة الفلك، «فخرج مترددا»، أي إنه كان يطير لبعض الوقت ثم يعود للفلك لأخذ قسط من الراحة، ولعله لم يرجع إلى داخل الفلك، بل فوقه. وهذا لم يعط نوحا سوى قدرا ضئيلا من الراحة وعلى ذلك:

(٢) أرسل حمامة، وقد عادت المرة الأولى دون أخبار طيبة، بل وربما رجعت مبتلة تعلوها القذارة، غير أنها في المرة الثانية عادت وفي منقارها ورقة زيتون، وفي هذا دلالة واضحة على أن الأشجار المثمرة، بدأت الآن تظهر فوق الماء. ونلاحظ هنا:

أ. أن نوحا أرسل حمامة للمرة الثانية بعد سبعة أيام من المرة الأولى كما أرسلها مرة ثالثة بعد سبعة أيام أيضا. ولعل الحمامة أُرسلت في المرة الأولى بعد سبعة أيام من إرسال الغراب. وهذا ما يُستشف منه أن ذلك كان في يوم سبت، والذي يبدو أن نوحا كان يقدسه وهو في الفلك.

ب. الحمامة رمز للنفس الكريمة، التي إذ لم تجد راحة لقدميها، ولم تجد مكانا راسخا أو شبعا في هذا العالم رجعت إلى المسيح كما لو أنها ترجع إلى فلكها. والقلب الجسداني، كان مثل الغراب، ينسجم مع العالم ويتغذى على الجيف التي يجدها فيه. وكما مد نوح يده ليأخذ الحمامة ثم جذبها إليه داخل الفلك، هكذا المسيح أيضا سوف يحفظ ويساعد ويرحب بكل الذين يطيرون إليه طلبا للراحة.

ج. غصن الزيتون، والذي يرمز للسلام، لم يُحضر بواسطة الغراب، وهو طائر جارح، أو بواسطة طائر مثل الطاووس المتكبر والمتباهي بذاته، بل بواسطة حمامة وديعة هادئة صابرة ومتواضعة. إن السمات التي تتحلى بها الحمامة هي التي تولد في النفس الإحساس بالراحة والفرح.

د. البعض يأخذ هذه الأشياء على اعتبار أنها تشبيهات مجازية. فالناموس أُرسل أولا مثل الغراب، ولكنه لم يأت بأخبار، وعلى ذلك في ملء الزمان أرسل الله إنجيله مثل الحمامة التي نزل الروح القدس في هيئتها، ليُقدِّم لنا غصن زيتون ويولِّد فينا رجاء أفضل.

عدد ١٣ و١٤

(١) نشفت الأرض (ع ١٣)، أي إن جميع المياه قد انحصرت، الأمر الذي شهده نوح نفسه في الشهر الأول في أول الشهر (وكانت بداية سعيدة لسنة جديدة). «فكشف... الغطاء عن الفلك» لكي يشاهد الأرض منه. وما رآه بعث الطمأنينة إلى قلبه. لأنه نظر وتعجب أن «وجه الأرض قد نشف». ونلاحظ هنا:

أ. إنها رحمة عظيمة أن نرى اليابسة (دليل رحمة

الله وعنايته) حولنا. وكان نوح أكثر منا إدراكا بهذه الحقيقة، لأن النعم والمراحم التي يستردها الإنسان تؤثر فيه بأكثر مما تفعل المراحم المتواصلة.

ب. القوة الإلهية التي جددت وجه الأرض بمقدورها أن تجدد النفس الحزينة المضطربة، ووجه الكنيسة المضطهدة التي تمر في محنة.

(٢) «جفت الأرض» (ع ١٤)، حتى تصبح مسكنا مناسبا لنوح. ويُلاحظ أن الله يسعى لنفعنا وليس لرغباتنا. فلربما كنا نخرج من الفلك قبل أن تجف الأرض، وإذا كان الباب مغلقا كنا على استعداد لأن نفتحه، لكن الوقت الذي يختاره الله لإظهار رحمته من المؤكد هو أنسب الأوقات، وذلك حين تكون الرحمة قد أصبحت مهيأة لنا، وأصبحنا نحن مهيئين لقبولها.

عدد ١٥ – ١٩

أولا: إخراج نوح من الفلك (ع ١٥– ١٧). ونلاحظ هنا:

(١) لم يتحرك نوح إلا بعد أن أمره الله. فالذين يتبعون إرشاد الله ويخضعون لتعاليمه هم الذين ينعمون بحمايته.

(٢) مع أن الله احتجزه لفترة طويلة، إلا أنه أطلق سراحه أخيرا (ع ٣). سبق أن قال له الله «ادخل» الأمر الذي يشير إلى أن الله دخل معه (انظر التعليق على تكوين ٧: ١). أما الآن فيقول له: «اخرج» الأمر الذي يشير إلى أن الله الذي دخل معه الفلك، ظل معه طوال الوقت إلى أن أخرجه سالما.

ثانيا: مغادرة نوح الفلك بعد أن أُمر بالخروج. حين وجد أنه حُفظ سالما هناك، ليس لحياة جديدة فقط، بل ولعالم جديد، لم يجد سببا للشكوى من طول مدة بقائه في الفلك، ويُلاحظ هنا:

(١) خروج نوح وعائلته من الفلك أحياء.

(٢) أخرج نوح كل المخلوقات التي كان قد أدخلها معه، ماعدا الغراب والحمامة اللذان ربما كانا واقفين لاستقبال زملائهما عند خروجها. واستطاع نوح أن يُقدِّم حسابا طيبا جدا عن وكالته، ذلك أنه لم يفقد أحدا مما أُعطي له.

عدد ٢٠ – ٢٢

أولا: اعتراف نوح بفضل الله عليه وشكره إذ أتم له نعمة خلاصه (ع ٢٠).

(١) «بنى نوح مذبحا». والله يُسر بالتقدمات والتسبيحات التي تُقدم بدافع من إرادة حرة. لقد وجد نوح نفسه الآن في عالم كئيب ومهجور. حيث، يظن أحدنا أن أول شيء يمكن أن يولي عنايته به هو بناء بيتا لنفسه، غير أننا نلاحظ أنه عوضا عن ذلك بدأ حياته خارج الفلك بأن بنى مذبحا لله. الله، الذي هو الأول، يجب أن يُخدم أولا، والذي يبدأ حياته مع الله يكون قد وفق إلى بداية حسنة.

(٢) وأصعد محرقات على مذبحه «من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة» ومما تجدر ملاحظته هنا:

أ. قدم تلك التي كانت طاهرة فقط.

ب. على الرغم من أن عدد مواشيه كان قليلا، وأنها أُنقذت من الهلاك بعناية وتعب شديدين، إلا أنه لم يتراجع في أن يقدم لله استحقاقه منها. وخدمتنا لله بالقليل الذي لنا هو الطريق لجعله كثيرا، ولا يجب إطلاقا أن نظن أن ما نقدمه تمجيدا لله أنه ضاع أو فُقد.

ج. نرى هنا قِدَم الديانة: فأول شيء تم عمله في العالم الجديد متعلق بالعبادة (إر ٦: ١٦). وفي هذه الأيام علينا أن نُعبِّر عن شكرنا لله ليس بالمحرقات، بل بذبائح الحمد، وذبائح البر، بعباداتنا المقدسة وكلامنا المتسم بالتقوى.

ثانيا: قبول الله الكريم للشكر الذي قدمه نوح:

(١) لقد سُر الله بما عمله نوح (ع ٢١): «فتنسم الرب رائحة الرضا»، أو «تقبَّلها الرب بالرضا» كما في ترجمة أخرى. لقد سُر الله كثيرا بحماسة نوح الدينية، وهذه البدايات المشجعة للعالم الجديد. وإذ صب غضبه على عالم الخطاة، نراه يفيض بمحبته على هذه البقية القليلة من المؤمنين.

(٢) إزاء هذا، اتخذ الله قرارا بألا يُغرق العالم ثانية. ولقد قدم الله هنا ضمانا بالطمأنينة يمكن الارتكان إليه.

أ. لن يكرر إطلاقا مثل هذه الدينونة. ولعل نوحا

فكر في نفسه قائلا: ما الفائدة من إصلاح العالم، والاحتمال قائم بتدميره بطريقة مماثلة بسبب شره؟ ولكن الله يقول: كلا، لن يحدث ذلك ثانية: «لا أعود أيضا أُميت كل حي». لن أتبع هذا الأسلوب القاسي مرة ثانية لأنه: أولا، هو جدير بالإشفاق عليه، لأن ذلك كله جاء نتيجة الخطية الساكنة فيه، وهذا هو ما يمكن توقُّعه من جيل فاسق كهذا. وقد وُصف بأنه «شرير منذ حداثته»، ومن ثَمَّ فليس بالأمر الغريب أن يغدر «غدرا» (إش ٤٨: ٨). وهكذا تذكر الله أنه إنسان. ثانيا، سوف يُدمَّر تماما، لأنه إذا عُومل على أساس ما يستحقه، فإن طوفانا يجب أن يتبع آخر إلى أن يُدمَّر الجميع تماما. ونلاحظ هنا:

◄ الدينونات الخارجية، على الرغم من أنها ترعب الناس وتكبحهم، إلا أنها في حد ذاتها، لا تستطيع أن تُقدسهم أو تُخلِّصهم: إذ يجب أن تعمل نعمة الله مع هذه الدينونات.

◄ الأسباب التي ارتكن إليها الله في رحمته تنبع كلها منه هو وليس من أي شيء فينا.

ب. مسار الطبيعة يجب ألا يُعطَل إطلاقا (ع ٢٢): «مدة كل أيام الأرض»، وطالما بقى الإنسان عليها سيكون هناك «صيف وشتاء»، و«نهار وليل»، وليس ليلا دائما على غرار ما حدث أثناء نزول الأمطار أثناء الطوفان. ومن الواضح أنه أُشير هنا إلى هذه الأرض بأنها لن تظل قائمة إلى الأبد. وطالما ظلت هكذا فإن العناية الإلهية ستحافظ بدقة على التعاقب المنتظم للأزمنة والفصول، وتحمل كل منها على أن تعرف ميعادها. لهذا نحن مدينون لله ببقاء العالم، وبقاء عجلة الطبيعة في مسارها. ونلاحظ هنا كيف تتعاقب الأزمنة، ومع ذلك تظل على نمطها دونما تغيير. أولا، مسار الطبيعة في تعاقب دائم. «نهار وليل»، «صيف وشتاء»، فهي تتغير بالتبادل. ثانيا، مع ذلك لا تتغير إطلاقا. فهي ثابتة على هذا التعاقب. فلم تتوقف هذه الفصول إطلاقا، بل ولن تتوقف طالما ظلت الشمس مقياسا ثابتا للزمن على هذا النحو، وطالما ظل القمر شاهدا أمينا في السماء. وهذا هو عهد الله بالنسبة للنهار والليل. ولقد ذُكر ثباتهما من أجل تقوية إيماننا في عهد النعمة، الذي هو أيضا لا يُنقض (إر ٣٣: ٢٠ و٢١).

الأصحاح التاسع

انكمش العالم وكذلك البشر وأصبحا مجرد عائلة، وهي عائلة نوح، وهذا الأصحاح يحدثنا عن شئون هذه العائلة ونجد فيه:

أولا: عهد العناية الإلهية الذي قُطع لنوح وأولاده (ع ١– ١١). ويتضمن هذا العهد:

(١) الله وعدهم بأن يهتم بحياتهم، وذلك:

أ. حتى يملأوا الأرض (ع ١، ٧).

ب. بأن يعيشوا آمنين من تهديدات الوحوش الضارية (ع ٢).

ج. بأن يُسمح لهم بأكل اللحوم، ولكن عليهم ألا يأكلوا الدم (ع ٣ و٤).

د. بألا يخرب العالم ثانية بالطوفان (ع ٨– ١١).

(٢) الله يطلب منهم أن يحافظ كل منهم على حياة الآخر كما يحافظ على حياته (ع ٥ و٦).

ثانيا: ختم العهد، أي «القوس في السحاب» (ع ١٢– ١٧).

ثالثا: قصة تتعلق بنوح وأولاده:

(١) خطية نوح وخزيه (ع ٢٠ و٢١).

(٢) صفاقة حام وعقوقه (ع ٢٢).

(٣) تقوى سام ويافث واتضاعهما (ع ٢٣).

(٤) لعنة كنعان، وبركة سام ويافث (ع ٢٤– ٢٧).

رابعا: العمر الذي عاشه نوح ثم موته (ع ٢٨ و٢٩).

عدد ١ – ٧

بصفة عامة «بارك الله نوحا وبنيه» (ع ١)، بمعنى أنه أكد لهم إرادته الصالحة ومقاصده الطيبة نحوهم. نقرأ في تكوين ٨: ٢٠ كيف بارك نوح الله بمذبحه وذبائحه. أما هنا فنجد الميثاق العظيم لتلك المملكة الجديدة للطبيعة التي كانت تحت التشييد الآن، وقد أُقيم هذا الميثاق وأُدمج في العهد السابق الذي كان قد ضاع.

أولا: هبات هذا الميثاق طيبة وكريمة بالنسبة للإنسان.

(١) منح الأرض بمساحات شاسعة جدا، ووعد بزيادة عظيمة في الناس ليشغلوا هذه الأرض ويتمتعوا بها. وتجددت هنا البركة الأولى: «أثمروا واكثروا» (ع ١). وهنا:

أ. يضع الله الأرض كلها تحت تصرفهم ويخبرهم أنها برمتها لهم، وطالما بقيت تكون لهم ولنسلهم. وعلى الرغم من أنها ليست جنة، بل هي بالأحرى برية، إلا أنها مع ذلك أكثر مما نستحق. تبارك اسم الله أنها ليست جهنم.

ب. باركهم حتى إنها في وقت قصير سوف تُشغل كل أجزاء الأرض الصالحة للسكن. وعلى الرغم من أن الموت لا يزال يسود بعد، إلا أن الأرض لن تصبح خالية من السكان بالشكل الذي كانت عليه عندئذ، بل ستعمر بالسكان (أع ١٧: ٢٤- ٢٦).

(٢) منحهم سلطانا على المخلوقات الأدنى منهم (ع ٢). والإنسان أثناء عهد البراءة كان يُحكم بالمحبة، أما الإنسان الساقط فكان يُحكم بالخوف. هذا الأمر ساري حتى الآن، ولا شك أن له فوائده، ونجد هنا:

أ. الله سيد صالح وهو يمدنا ليس بما نحتاجه لكي نحيا فقط، بل بما يجعلنا نحيا حياة مريحة في خدمته، وهو لا يعطينا الضروريات فقط، بل من أجل المسرة أيضا.

ب. «كل خليقة الله جيدة ولا يُرفض شيء» (١تي ٤: ٤).

ثانيا: شروط هذا الميثاق وبنوده ليست أقل محبة أو كرما، وهي تتضمن أمثلة على مقاصد الله الطيبة نحو الإنسان. يتحدث رؤساء اليهود كثيرا عن مبادئ نوح السبعة، أو أبناء نوح، والتي يقولون إنه يجب أن تتبعها كل الأمم حتى لا تسقط. الأول ضد عبادة الأوثان. والثاني ضد التجديف ويتطلب مباركة اسم الله. أما الثالث فضد القتل. والرابع ضد انتهاك المحارم وكل الممارسات الدنسة الأخرى. والخامس ضد السرقة والنهب. أما السادس فهو يطلب المعاملة بالعدل. والسابع يحرم أكل لحم بحياة دمه.

(١) لا يجب على الناس أن يعرضوا حياتهم للخطر بالأكل من طعام غير صحي وخطر على صحتهم (ع ٤): يجب ألا يكونوا شرهين أو متسرعين في تناولهم طعامهم، ولا يكونوا قساة متوحشين بالنسبة للمخلوقات الأدنى منهم. بينما يستمر ناموس الذبائح، والتي يكفر فيها الدم عن نفوسهم (لا ١٧: ١١)، الأمر الذي يشير إلى أن حياة الذبيحة قد قُبلت من أجل حياة دم الخاطئ، فإن الدم لا يجب أن يُنظر إليه باعتباره شيئا عاديا، بل يجب أن يُسكب للرب (٢صم ٢٣: ١٦). أما الآن إذ تم تقديم الذبيحة العظيمة الحقيقية فقد توقفت الالتزامات المترتبة على الناموس، والسبب الذي كانت تقدم من أجله.

(٢) لا يجب على الإنسان أن يتخلَّص من حياته: «من يد الإنسان أطلب نفس الإنسان» (ع ٥). فحياتنا ليست ملكنا حتى نتخلَّص منها حين يحلو لنا، بل هي ملك لله.

(٣) لا يجب أن يُسمح للوحوش بإلحاق الضرر بحياة الإنسان، وهذا ما أكده ناموس موسى (خر ٢١: ٢٨) ويجب أن نتمسك به. بهذا أظهر الله كراهيته لخطية القتل حتى يكرهها الناس بدرجة أكثر، ولا يقتصر الأمر على عقابها بل يجب منعها.

(٤) الذين يرتكبون القتل عمدا يجب إعدامهم، وهذه هي الخطية التي قُصد كبحها عن طريق بشاعة عقوبتها.

أ. الله يعاقب القتلة في وقت أو آخر سواء في هذا العالم أم في العالم الآتي. وهو سيكشف جرائم القتل التي أُخفيت ولا يراها الناس، وسوف يعاقب جرائم القتل التي أُصر على ارتكابها وتبريرها والتي لم يقم الناس بعقابها.

ب. على القضاة أن يعاقبوا القتلة (ع ٦). وهناك من بين خدام الله مَنْ يُخصَصون لهذه المهمة، لكي يحموا الأبرياء بكونهم مصدر رعب للأشرار والخبثاء، إذ يتعين ألا «يحمل السيف عبثا» (رو ١٣: ٤). والقتل خطية لم يكن الله يرغب في غفرانها لملك (٢مل ٢٤: ٣ و٤)، وعلى ذلك لا يجب على الملك أن يغفر لمن يرتكبها من رعاياه. وقد صاحب هذا الناموس السبب الذي أُعطي من أجله: «لأن الله على صورته عمل الإنسان» في البداية. والإنسان مخلوق بالنسبة لخالقه، وعلى ذلك فيجب أن يكون هذا هو حالنا بالنسبة لله. لقد أعطاه الله كرامة، وعلى ذلك لا ينبغي علينا أن نحتقره. وبقايا صورة الله لا تزال باقية في الإنسان حتى بعد سقوطه، وعلى هذا فإن الذي يقتل إنسانا دون حق يشوه صورة الله ويسيء إليه.

عدد ٨- ١١

تتضمن هذه الفقرة:

أولا: إقامة الله ميثاقه الشامل مع هذا العالم الجديد، وامتداد ذلك الميثاق (ع ٩ و١٠). ومما تجدر ملاحظته:

(١) من رحمة الله أنه وجد مسرته أن يتعامل مع الإنسان من خلال ميثاق، والذي بواسطته يشجع الله الإنسان بدرجة كبيرة على الواجب والطاعة.

(٢) وجميع عهود الله التي قطعها للإنسان كانت بمبادرة منه هو: «وها أنا مقيم...»

(٣) إن عهود الله كانت أكثر ثباتا من أعمدة السماء وأساسات الأرض، ولا يمكن أن تُلغى.

(٤) عهود الله قُطعت لمن دخلوا في عهد معه وكذلك لنسلهم، فالوعد لهم ولأولادهم.

ثانيا: القصد الخاص بهذا الميثاق: قُصد به أن يحمي العالم من طوفان آخر: «ولا يكون أيضا طوفان». إنه من صلاح الله وأمانته –وليس لصلاح العالم– أنه لم يفنِ العالم بطوفان آخر. وكما أن العالم القديم قد تم خرابه ليكون مثالا على عدالته، فهكذا ظل هذا العالم باقيا حتى الآن شهادة على رحمته، وذلك طبقا للقَسم الذي أقسم به بألا تعود مياه طوفان نوح لتغطي الأرض ثانية (إش ٥٤: ٩). وإذا ما فاض البحر ولو لأيام قلائل، كما يفعل، كل يوم مرتين لساعات قليلة، فلنا أن نتصور الخراب الذي كان يمكن أن ينجم عن ذلك. ليتنا نُمجِّد الله لرحمته المتمثلة في وعده وأمانته في تنفيذه.

عدد ١٢ – ١٧

عادة ما تُختم بنود الاتفاق بين الناس. فلذلك «إذ أراد الله أن يظهر أكثر كثيرا لورثة الموعد عدم تغيُّر قضائه، توسط بقسم» (عب ٦: ١٧). وكان ختم عهد الطبيعة من الطبيعة أيضا، فقد كان «القوس في السحاب». وعن ختم هذا العهد نلاحظ الآتي:

(١) أُضيف إلى هذا الختم تأكيدات متكررة عن صدق ذلك الوعد، وكان المقصود بذلك إقراره: «وضعت قوسي في السحاب» (ع ١٣)، «وتظهر القوس في السحاب» (ع ١٤)، حتى يتأثر القلب بما تراه العين فيتثبت الإيمان، وستكون «علامة ميثاق» (ع ١٢ و١٣): «أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم... فلا تكون أيضا المياه طوفانا» (ع ١٥).

(٢) يظهر القوس حين تكون السحب على وشك أن تُسقط الأمطار، ويعود بعد المطر حين تكون لدينا أسباب قوية للخشية من انتشار الأمطار. وبهذا يمنع الله خوفنا.

(٣) كلما كانت السحب أكثر كثافة زاد لمعان القوس فيها، وهكذا كلما كثرت الآلام كثرت تعزيتنا أيضا (٢كو ١: ٥).

(٤) يظهر القوس حين يكون جزء من السماء صافيا، الأمر الذي يلمح إلى تذكر الرحمة في وسط الغضب، وهكذا فإن القوس يحاصر السحب حتى لا تنتشر في السماء. والقوس يوحي بالفزع، ولكن هذا القوس ليس به وتر أو سهم، والقوس وحده يكون آداؤه ضعيفا. إنه قوس ولكنه موجه إلى أعلى، وليس تجاه الأرض، لأن أختام العهد قصد بها التعزية وليس الترويع.

عدد ١٨ – ٢٣

أولا: عائلة نوح وعملها: العمل الذي انخرط فيه نوح هو أن يكون «فلاحا» أي يتعامل مع الأرض، يحفظ الأرض ويعمل فيها. وبناء على مهنته هذه كان نوح يتاجر في ثمار الأرض. كان «فلاحا» أي إنه عاد إلى عمله القديم الذي كان قد تخلى عنه لانشغاله في بناء الفلك أولا، وربما بعد ذلك بسبب انشغاله في بناء بيت على الأرض في اليابسة لنفسه ولعائلته، وكان هذا ما دفعه ليكون نجارا، أما الآن فقد عاد ليصبح فلاحا.

ثانيا: خطية نوح وخزيه: «غرس كرما»، وبعد أن جمع كرمه، لعله عيَّن يوما للمرح والاحتفال مع عائلته، وكان أولاده وأحفاده معه، لكي يشاركوه فرحته للنمو الذي طرأ على بيته وعلى كرمه أيضا، ولعله عيَّن هذا الاحتفال قاصدا أن يقوم في نهايته بمباركة أولاده. وفي هذه الوليمة «شرب من الخمر». ولكنه أفرط في الشراب «فسكر». ونلاحظ كيف أنه الآن قد انغلب بهذه الخطية. وكانت خطيته كبيرة، وزاد من فداحتها أنها جاءت بعد خلاص عظيم،

ولكن الله تركه لنفسه وسمح لهذه الخطية أن تُسجَل، وذلك لكي يعلمنا:

(١) أن أنصع صفحة كتبها الإنسان بعد السقوط بها ما يشينها.

(٢) إن أولئك الذين بيقظتهم وعزيمتهم وبنعمة الله حفظوا استقامتهم وسط التجربة، ولكنهم نتيجة اتكالهم على أنفسهم وإهمالهم وتغافلهم عن نعمة الله يؤخذون على حين غرة في خطية ما، في نهاية التجربة.

(٣) نحن في حاجة إلى أن نكون منتبهين جدا حين نستخدم الأشياء الحسنة التي خلقها الله لئلا نفرط في استعمالها. كان الخزي هو عاقبة خطية نوح. لقد تعرى لخزيه، الأمر الذي سبق وحدث لآدم حين أكل من الثمرة المحرَّمة، ونلاحظ هنا الشر العظيم الذي يأتي نتيجة خطية السكر:

أ. إنها تُعرِي الإنسان: فالضعف الذي يعتريهم ينكشف عند سكرهم، وما أُستودعوه من أسرار يتسرب منهم بسهولة في هذه الحالة. فالحراس السكارى يتركون الأبواب مفتوحة.

ب. إنها تحط من شأنهم وتعرضهم للاحتقار: فالناس يقولون ويعملون أثناء سكرهم ما سيكون محل خزيهم في حالة وعيهم (حب ٢: ١٥ و١٦).

ثالثا: وقاحة حام وشره: فقد رأى عورة أبيه «وأخبر أخويه خارجا» (ع ٢٢).

(١) اتخذ من هذا الأمر مادة للمزاح. ولعل حام كان هو نفسه يسكر في بعض الأحيان. وإنه لأمر شائع لمن يسيرون في طرق رديئة أن يفرحوا بالأخطاء التي يرتكبها غيرهم في بعض الأحيان. غير أن «المحبة... لا تفرح بالإثم».

(٢) «أخبر أخويه» بطريقة تدل على الاحتقار والازدراء، حتى يبدو أبوهم حقيرا في أعينهم. وإنه لمن الخطأ:

أ. الاستهزاء بالإثم (أم ١٤ : ٩)

ب. التشهير بخطايا أي شخص ولاسيما الوالدين الذين من واجبنا احترامهم.

رابعا: تقوى سام ويافث التي تمثلت في ستر عورة أبيهما المسكين (ع ٢٣).

(١) هناك ثوب المحبة الذي يستر خطايا الجميع (١بط ٤: ٨).

(٢) فضلا عن ذلك، هناك ثوب التوقير الذي يجب أن يستر أخطاء الوالدين.

عدد ٢٤ – ٢٧

أولا: نوح يعود إلى نفسه: «استيقظ نوح من خمره».

ثانيا: حل عليه روح النبوة، وعلى غرار ما فعل يعقوب وهو على فراش الموت أخبر أولاده بما سيحدث لهم (تك ٤٩: ١).

(١) أعلن لعن كنعان ابن حام (ع ٢٥) والذي لُعن فيه حام نفسه، واللعنة هي أنه سيكون «عبد العبيد» (أي أشد العبيد فقرا واحتقارا)، حتى بالنسبة «لإخوته». ويُلاحظ هنا:

أ. كثيرا ما يفتقد الله ذنوب الآباء في الأبناء، حين يرث الأبناء ميول آبائهم الشريرة، ويحذو حذوهم في ممارساتهم الآثمة، ولا يفعلون شيئا لكي تزال عنهم اللعنة التي ورثوها.

ب. من العدالة أن يلحق الخزي أولئك الذين يلحقونه بالآخرين، ولاسيما والديهم ويحزنونهم.

(٢) أتبعها بمباركة سام ويافث:

أ. بارك سام، أو بالأحرى بارك الله من أجله. ويُلاحظ:

◄ إنه يدعو الرب «إله سام». وهذا يتضمن كل البركات. وقد كُوفئ سام بسخاء بهذه البركة نتيجة احترامه لوالده، بأن الرب سيخلع عليه هذا الشرف وهو أن يكون إلهه.

◄ أعطى المجد لله للعمل الذي أتاه سام. وحين نرى أعمال الناس الصالحين علينا أن نقدم المجد، ليس لهم، بل لأبينا السماوي (مت ٥: ١٦). إنها لكرامة وفضل أن تعمل من أجل الله وأن يستخدمك في عمل كل ما هو حسن.

◄ تنبأ بأن معاملات الله الكريمة مع سام ونسله ستكون دليلا للعالم كله على أنه إله سام.

◄ أُشير هنا إلى أن العبادة ستُبنى وتستمر في نسل سام، لأن منه جاء اليهود الذين كانوا ولفترة طويلة شعب الله الوحيد الذي يؤمن به في العالم.

ب. بارك يافث وبارك فيه «جزائر الأمم» (انظر تكوين ١٠: ٥) التي سكنها أحفاده: «ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام» (ع ٢٧). والبعض يأخذ هذه البركة على أنها تخص يافث وحده، وأنها تشير إلى ازدهاره الخارجي، أي إن أحفاده سيكونون من الكثرة حتى إنهم سيصبحون أسياد مساكن سام، الأمر الذي تحقق حين خضع شعب اليهود -وهم أبرز نسل سام- لليونانيين أولا، وبعد ذلك للرومانيين، وكلاهما من سلالة يافث. وإما تشير إلى إيمان الأمم، وانضمامهم إلى الكنيسة، وهنا يجب أن تكون الترجمة: ليقنع الله يافث (لأن هذا هو معنى الكلمة)، وبعد أن يقتنع «فيسكن في مساكن سام»، أي إن اليهود والأمميين سيتحدان معا في حظيرة الإنجيل. ويُلاحظ أن الله وحده هو الذي بوسعه أن يعيد إلى الكنيسة أولئك الذين فصلوا أنفسهم عنها. فالنفوس يُؤتى بها إلى الكنيسة، ليس بالقوة، بل بالإقناع (مز ١١٠: ٣).

عدد ٢٨ – ٢٩

(١) نرى هنا كيف أن الله أطال حياة نوح، وكانت هذه الحياة الطويلة بمثابة مكافأة أخرى على تميزه في تقواه، كما كانت بركة عظيمة للعالم.

(٢) كيف أنهى الله حياته في نهاية المطاف. ولقد عاش نوح ليرى عالمين، وإذ كان وارثا للبر بإيمانه، فبموته ذهب ليرى عالما أفضل من كليهما.

الأصحاح العاشر

يبين هذا الأصحاح أصل الأمم، ومع ذلك قد لا توجد أمة سوى اليهود تستطيع أن تكون واثقة إلى أي من هذه الينابيع السبعين (لأنها هنا كثيرة إلى هذا الحد) تنتمي نهيراتها. وبالنظر إلى عدم وجود سجلات مبكرة واختلاط الشعوب وثورات الأمم ومسافات الزمن الشاسعة، فإن معرفة الخط الوراثي لسكان الأرض الحاليين قد فُقدت.

أولا: عن ذرية يافث (ع ٢– ٥).

ثانيا: ذرية حام (ع ٦– ٢٠)، وهنا ذُكر نمرود بصفة خاصة (ع ٨– ١٠).

ثالثا: ذرية سام (ع ٢١– ٣١).

عدد ١ – ٥

وُزعت ذرية يافث على جزائر الأمم (ع ٥)، حيث كانت من نصيبهم، وكل الأماكن فيما وراء البحر من اليهودية سُميت جزرا، وهذا ما يوجهنا لفهم الوعد الذي جاء في إشعياء ٤٢: ٤ «وتنتظر الجزائر شريعته»، وتحول الأمميين إلى الإيمان بالمسيح.

عدد ٦– ١٤

ما يُلفت النظر في هذه الأعداد هو ذكر نمرود (ع ٨– ١٠). وقد ذُكر إنه كان رجلا عظيما في أيامه: وكان مصمما على أن يسمو على كل جيرانه. ونفس الروح الذي حرك العمالقة قبل الطوفان، نراه الآن ينشط من جديد فيه. وهناك البعض ممن يبدو أن الطموح وحب السيطرة ينخران في عظامهم. ولا شيء في هذا العالم يكسر روح التكبر في بعض الرجال. ومما تجدر ملاحظته هنا:

أولا: كان نمرود صيادا عظيما: وقد بدأ بهذه الحرفة، وبها أصبح معروفا تُضرب به الأمثال.

(١) البعض يظن أنه عمل خيرا بحرفته هذه، فقد خدم بلاده بالقضاء على الحيوانات المفترسة التي قامت بغزوها.

(٢) وآخرون يقولون إنه اتخذ من الصيد ذريعة ليجمع رجالا تحت إمرته وذلك لهدف آخر ينتوي تحقيقه، وهو أن يجعل من نفسه سيدا للبلاد. ونلاحظ أن الفاتحين العظماء ما هم إلا صيادين عظماء. فالاسكندر وقيصر ما كان لهما أن يبلغا في تاريخ الكتاب المقدس العظمة التي حققاها في التاريخ العادي. وكان نمرود صيادا جبارا «ضد» الرب كما جاء في الترجمة السبعينية، وهذا يعني:

أ. أنه أقام الوثنية: حتى يستطيع أن يقيم سلطة وديانة جديدة. «بابل العظيمة أم الزواني».

ب. أنه واصل ظلمه وعنفه في تحد لله نفسه.

ثانيا: كان نمرود قائدا عظيما: «وكان ابتداء مملكته بابل» (ع ١٠). وبوسيلة أو بأخرى سواء عن طريق المهارة أو السلاح، تمكّن من الوصول إلى السلطة، وبذلك مهد لقيام مملكة. وإذا ما بدأ نمرود وجيرانه هذا فسرعان ما تبعتهم الأمم الأخرى واتحدت تحت

رئاسة واحدة من أجل سلامها وخيرها المشترك، الأمر الذي ثبت أنه بركة عظيمة للعالم حين أدركوا أن الأمور كانت سيئة حين «لم يكن هناك ملك في إسرائيل».

ثالثا: كان نمرود بانيا عظيما: وربما كان مهندسا في بناء بابل، وهناك بدأ مملكته، غير أنه حين فشل هدفه في الحكم على كل أبناء نوح نتيجة بلبلة الألسنة «من تلك الأرض خرج أشور وبنى نينوى»... إلخ.

عدد ١٥ – ٢٠

ومما تجدر ملاحظته: قصة ذرية كنعان، العشائر والأمم التي انحدرت منه، والأرض التي تملكوها، وموقعها الجميل. وكانت الأرض التي لكنعان أفضل من تلك التي كانت لسام أو يافث، ومع ذلك كان نصيبهما أفضل لأنهما ورثا البركة.

عدد ٢١ – ٣٢

ثَمة أمران جديران بالملاحظة في قصة ذرية سام هذه:

أولا: وصف سام (ع ٢١). فلم يُذكر اسمه فقط وهو «سام». ومعناه «اسم"، بل أُعطي لقبين لتمييزه:

(١) فهو «أبو كل بني عابر». وكان عابر حفيده الأول، ولكن لماذا دُعي أبا لكل بنيه، بدلا من كل أبناء أرفكشاد أو شالح... إلخ؟ لعل ذلك مرجعه أن إبراهيم ونسله، شعب عهد الله، لم يكونوا من نسل عابر فحسب، بل منه دُعوا «عبرانيين" (تك ١٤: ١٣) «أبرام العبراني». واللغة المقدسة التي سميت غالبا باسمه «العبرية»، فمن المحتمل أنه احتفظ بها في عائلته، وذلك إثر بلبلة الألسنة التي حدثت في بابل، كعلامة خاصة لفضل الله عليه. ولذلك نرى أن الكاتب الملهم أراد أن يخلع لقبا مكرما فأسماه «أبا العبرانيين". وكما حدث مع حام الذي على الرغم من أن له أولادا كثيرين، إلا أنه تحقيرا له سُمي «أبا كنعان"، أما بالنسبة لسام فعلى الرغم من أن له أولادا كثيرين، فقد كُرم بلقب «أبو كل بني عابر»، والذي انتقلت البركة إلى كل ذريته. فالصلاح هو العظمة الحقيقية.

(٢) «سام... أخو يافث الكبير». رأى كاتب السفر تكريما لسام أن يُذكر أنه أبو العبرانيين، غير أنه لئلا يُنظر إلى ذرية يافث على أنهم مطرودون من الكنيسة إلى الأبد، فهو يذكِّرنا هنا بأن سام أخو يافث، ليس بالميلاد فقط، بل في البركة أيضا، لأن يافث كان له أن يسكن «في مساكن سام».

الأصحاح الحادي عشر

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: تشتت بني الإنسان في بابل (ع ١– ٩)، حيث نرى:

(١) خططهم الجريئة لبناء مدينة وبرج (ع ١– ٤).

(٢) دينونة الله العادلة ضدهم وذلك ببلبلة ألسنتهم، ومن ثَمَّ شتتهم (ع ٥– ٩).

ثانيا: سلسلة نسب أولاد الله حتى إبراهيم (ع ١٠– ٢٦)، مع إشارة عامة إلى أسرته، وخروجه من موطنه (ع ٢٧– ٣٢).

عدد ١ – ٤

نقرأ في ختام الأصحاح السابق أنه من قبائل بني نوح «تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان»، وإما أن ذلك كان قرارا صادرا عن نوح، أو أنه جاء عن اتفاق بين بنيه: أي طريق يجب أن تسلكه كل قبيلة. غير أنه يبدو أن بني الإنسان كانوا عازفين عن التشتت في أماكن بعيدة، واعتقدوا أنه كلما كثر عددهم ازدادت فرص سرورهم وسلامتهم، وعلى هذا خططوا لأن يظلوا معا، معتقدين أنهم أكثر حكمة من الله ومن نوح على السواء.

ونجد في هذه الفقرة:

أولا: المزايا التي صاحبت خطتهم في البقاء معا:

(١) كانوا «لسانا واحدا» (ع ١). وفيما كانوا يفهمون كل منهم الآخر، فمن الأرجح أن يحبوا بعضهم البعض، وكلما زادت قدرتهم على مساعدة كل منهم الآخر، تقل رغبتهم في الانفصال عن بعضهم.

(٢) وجدوا مكانا مريحا جدا ورحبا للإقامة فيه: «بقعة في أرض شنعار» (ع ٢)، وهي عبارة عن سهل فسيح بمقدوره أن يسعهم جميعا، وهو سهل خصيب، يمكنه أن يسع معيشتهم أجمعين.

ثانيا: الأسلوب الذي اتخذوه ليرتبطوا ببعض ويمكثوا معا في جسد واحد عوض أن يشتهوا توسيع حدودهم وذلك برحيل سلمي تحت الحماية الإلهية، خططوا لتحصين أنفسهم. وكان قرارهم الإجماعي هو: «هَلم نبنِ لأنفسنا مدينة وبرجا». ونلاحظ هنا:

(١) كيف حمَّسوا وشجعوا بعضهم بعضا في الشروع بالبدء في هذا العمل: فقالوا «هلم نصنع لِبنا» (ع ٣)، وكذلك: «هلم نبنِ لأنفسنا مدينة» (ع ٤)، وبالتشجيع المتبادل أكسبوا بعضهم بعضا جرأة وتصميما.

(٢) المواد التي استخدموها في البناء: إذ كانت أرضهم سهلا، فلم تُخرج حجارة أو موادا للبناء، ومع ذلك فإن هذا لم يكن ليثبط عزمهم حتى يتخلوا عن هدفهم، بل صنعوا لِبنا ليستخدموه عوض الحجارة، والحمر (الزفت) مكان الطين. ولنلاحظ التحايل الذي يلجأ إليه مَنْ عقدوا العزم على ألا يعوقهم شيء عن تنفيذ مأربهم. ولو كانت لنا مثل هذه الحماسة لإتمام أمر طيب، ما كنا نوقف عملنا في كثير من الأحيان كما نفعل حاليا بذريعة أننا نفتقر إلى الظروف المناسبة التي تمكننا من مواصلة العمل.

(٣) ما الغاية من بنائهم: يبدو أنهم كانوا يرمزون إلى ثلاثة أمور من وراء قيامهم ببناء هذا البرج:

أ. لعل هذا كان يُقصد به إهانة الله نفسه، لأنهم كانوا يهدفون بناء برج يناطح السماء، الأمر الذي يوحي بتحد لله، أو على الأقل منافسته.

ب. استهدفوا أن يجعلوا لأنفسهم اسما من خلال هذا العمل، ولكي يعرف نسلهم بأنه كان في العالم أناس مثلهم. وسوف يخلفون وراءهم هذا الأثر الذي يدل على كبريائهم وطموحهم وحماقتهم. ولا نجد في التاريخ ولو اسما واحدا من هؤلاء البنائين البابليين.

ج. كانوا يعتقدون أن هذا يحول دون تفرقهم. ومن المرجح أن يد نمرود الطموح كانت وراء كل ذلك. حيث كان يبغي تكوين إمبراطورية عالمية، ولكي يحقق هذا، وتحت ذريعة الاتحاد من أجل سلامتهم جميعا خطط لكي يحفظهم في هيئة واحدة، وإذ يجعلهم جميعا تحت رقابته، فلن يفشل في أن يفرض سلطانه عليهم. إن الامتياز الخاص بالله وحده أن يكون ملك العالم كله، رب الجميع، وملك الملوك، وأي إنسان يحاول الحصول على هذا الامتياز، إنما يحاول في الواقع أن يتطاول على عرش الله، الذي لا يعطي مجده لآخر.

عدد ٥ – ٩

تتضمن هذه الفقرة إبطال مشروع البنائين البابليين.

أولا: عِلم الله بالخطة التي كانت جارية التنفيذ: والله عادل وأمين في كل إجراءاته ضد الخطية والخطاة، ولا يدين أحدا خفية. كانوا بني «آدم»، أي ذرية آدم الخاطئ العاصي الذي كان أولاده بالطبيعة هم أولاد المعصية. أما «عابر» التقي فلم يوجد بين هذه الزمرة الشريرة، لأنه هو ومَنْ له دُعوا أولاد الله.

ثانيا: مشورات وقرارات الله الأزلي بخصوص هذا الأمر:

(١) سمح لهم بأن يقطعوا شوطا كبيرا في مشروعهم قبل أن يوقفه، حتى يتيح لهم فرصة التوبة.

(٢) حاول الله –عن طريق الأوامر والنصائح– أن يثني عزمهم عن القيام بهذا المشروع ولكن دون جدوى، ومن ثَمَّ كان لابد من أن يسلك سبيلا آخر، لكي يحفظ نظام العالم، ويغُل أيدي أولئك الذين لم يردعهم القانون. ونلاحظ هنا رحمة الله في تخفيف العقوبة، فلم يجعلها متناسبة مع خطايانا، فهو لم يقل: لننزل في رعود وبروق، ونهلك هؤلاء المتمردين في لحظة. لم يقل ذلك، بل قال: «هلم ننزل» ونشتتهم. كانوا يستحقون الموت، ولكنهم نُفوا أو نقلوا من مكانهم، وما ذلك سوى لأن الله يصبر ويتأنى على هذا العالم المثير للسخط. وقد تمت هنا ثلاثة أمور:

الأول: تمت بلبلة ألسنتهم: فتلك المجادلات الكئيبة والتي هي قتال بالأقوال، والتي تنجم عن سوء فهمنا للغة بعضنا البعض، إنما هي– بحسب علمي– وليدة بلبلة اللغات والألسنة.

الثاني: توقف العمل في البناء: «فكفوا عن بنيان

المدينة». وكان هذا نتيجة بلبلة ألسنتهم، لأن ذلك أدى إلى عدم قدرتهم على أن يساعد كل منهم الآخر، إنما ولَّد إحباطا في نفوسهم، ومن ثَمَّ لم يستطيعوا مواصلة العمل، ذلك أنهم رأوا أن يد الرب خرجت لتكون ضدهم. وإنه لمن الحكمة التخلي عن أي شيء نرى الله يحاربه.

الثالث: تشتت البنائون بعيدا في جميع أنحاء الأرض (ع ٨ و٩): فقد رحلوا جماعات بحسب عائلاتهم وبحسب لغة كل منهم (تك ١٠: ٥، ٢٠، ٣١)، وذلك في البلدان والأماكن المختلفة التي خُصصت لهم. وقد خلفوا وراءهم تذكارا دائما يشهد على خزيهم تمثل في الاسم الذي أُطلق على تلك المنطقة: «لذلك دعي اسمها بابل». إن الذين يسعون وراء العظمة، عادة ما ينتهون إلى الخزي. لقد تشتت بنو الإنسان بصفة نهائية، ولم يتجمعوا ثانية معا، ولن يفعلوا ذلك حتى اليوم العظيم، حين يجلس ابن الإنسان على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب (مت ٢٥: ٣١ و٣٢).

عدد ١٠ – ٢٦

تتضمن هذه الفقرة سلسلة أنساب، ولكنها ليست بلا هدف، لأنها هنا تنتهي عند أبرام خليل الله، ثم تقودنا حتى المسيح، النسل الموعود به، الذي هو ابن إبراهيم، ومن إبراهيم بدأت سلسلة نسب المسيح (مت ١: ١– ٢٤).

(١) لم يُسجَل شيء يتعلق بأولئك الذين من هذا النسب سوى أسمائهم وأعمارهم، ويبدو أن الروح القدس مر عليهم مرور الكرام ليصل إلى قصة أبرام. وكم هي قليلة معلوماتنا فيما يختص بمَنْ سبقونا في هذا العالم، حتى بالنسبة للذين عاشوا في ذات الأمكنة التي نعيش نحن فيها، كما أننا لا نعرف سوى القليل أيضا عن معاصرينا في الأماكن القاصية، فلدينا الكثير لنهتم به في أعمال يومنا، ولنترك الله وحده «يطلب ما قد مضى» (جا ٣: ١٥).

(٢) كان ثَمة تناقص تدريجي ملحوظ في سني حياتهم. فقد عاش سام ستمائة سنة، ومع ذلك كانت قصيرة بالنسبة لسني عمر الآباء قبل الطوفان، والثلاثة الأجيال التالية نقصت إلى خمسمائة سنة، والأجيال الثلاثة التي تلت ذلك لم تصل إلى ثلاثمائة سنة، ومن بعدهم لا نقرأ عن أحد وصل إلى مائتي سنة باستثناء تارح، وبعد ذلك بأجيال ليست بكثيرة، تجاوز موسى بقليل السبعين أو الثمانين، وهو العمر الذي يصل إليه الإنسان عادة.

(٣) عابر، الذي منه اشتق العبرانيون اسمهم، كان أطول إنسان عمرا، وذلك بالنسبة لمن وُلدوا بعد الطوفان، ولعل ذلك كان مكافأة له نظير تقواه الفريدة وتمسكه الشديد بطرق الله.

عدد ٢٧ – ٣٢

هنا تبدأ قصة أبرام الذي أصبح اسمه شهيرا بعد ذلك في كلا العهدين.

أولا: وطنه.. أور الكلدانيين. وهي الأرض التي وُلد فيها، وكانت من البلدان الوثنية، حيث فسد فيها حتى أولاد عابر أنفسهم. ونلاحظ هنا أن على أولئك الذين ورثوا أرض الموعد بالنعمة، أن يتذكروا أرض ميلادهم، الصخرة التي منها قُطعوا، كيف كانت حالتهم فاسدة وخاطئة بالطبيعة.

ثانيا: أقاربه.. الذين ذُكروا تكريما له، ولأهميتهم في القصة التالية:

(١) أبوه هو «تارح» الذي قيل عنه إنه عَبَد آلهة أخرى (يش ٢٤: ٢)، على الجانب الآخر من الطوفان، كيف رسخت عبادة الأوثان في العالم منذ وقت مبكر، وكان من الصعب حتى بالنسبة لمَنْ يتمسكون ببعض المبادئ القويمة أن يسبحوا ضد التيار. ونجد هنا:

(٢) بعض المعلومات عن إخوته.

أ. «ناحور» الذي أخذ إسحاق ويعقوب زوجتيهما من عائلته.

ب. هاران أبو لوط، وقد قيل عنه هنا (ع ٢٨) إنه مات «قبل تارح أبيه». ومما تجدر ملاحظته أن الأبناء لا يمكن أن يتأكدوا بأنهم سيظلون على قيد الحياة بعد والديهم، لأن الموت لا يأتي وفقا للسن، فيأخذ الأكبر سنا أولا. وقد ذُكر أيضا أنه مات في «أور الكلدانيين»، قبل رحيل الأسرة السعيدة عن هذه البلاد الوثنية.

(٣) امرأته هي «ساراي»، والتي يعتقد البعض

أنها هي نفسها «يسكة» ابنة هاران. ويقول أبرام نفسه عنها أنها ابنة أبيه، ولكنها ليست من أمه (تك ٢٠: ١٢). وكانت تصغر إبراهيم بعشر سنوات.

ثالثا: رحيله عن أور الكلدانيين مع أبيه تارح، وابن أخيه لوط، وبقية أفراد عائلته، وذلك طاعة لأمر الله، الأمر الذي سنقرأ عنه في الأصحاح الثاني عشر. ويتركهم هذا الأصحاح في حاران، وهي مكان يقع في منتصف الطريق بين أور وكنعان، حيث ظلوا هناك حتى مات تارح، ولعل ذلك مرجعه أن الرجل قد تقدمت به الأيام حتى أصبح عاجزا لضعف الشيخوخة على مواصلة رحلته. وكثيرون وصلوا إلى حاران ومع ذلك لم يدخلوا كنعان، لم يكونوا بعيدين عن ملكوت الله ومع ذلك لم يدخلوه إطلاقا.

الأصحاح الثاني عشر

من الآن فصاعدا سيكون أبرام ونسله الموضوع الوحيد تقريبا للتاريخ المقدس. ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: الله يدعو أبرام إلى أرض كنعان (ع ١– ٣).

ثانيا: طاعة أبرام لهذه الدعوة (ع ٤ و٥).

ثالثا: الترحيب به في أرض كنعان (ع ٦– ٩).

رابعا: سفره إلى مصر، مع ذكر ما حدث هناك. هرب أبرام وخطأه (ع ١٠– ١٣). الخطر الذي تعرضت له ساراي وخلاصها منه (ع ١٤– ٢٠).

عدد ١ – ٣

نجد هنا الدعوة التي تلقاها أبرام والتي بمقتضاها خرج من أرض ميلاده وقصد أرض الموعد، الأمر الذي قُصد به اختبار إيمانه وطاعته، وأيضا لكي يفرزه الله ويخصِّصه لنفسه لخدمات خاصة. وربما نستطيع أن نعرف المزيد عن ظروف هذه الدعوة من كلام استفانوس (أع ٧: ٢) حيث ذُكر لنا:

(١) أن رب المجد ظهر لأبرام في لمحات من مجده، بحيث لم يترك له أي مجال للشك في السلطان الإلهي لدعوته. وقد كلمه الله بعد ذلك بطرق عديدة، غير أن هذه المرة الأولى –عندما كان يجب أن تُرسَّخ العلاقة بينهما– ظهر له كإله المجد وتكلم معه.

(٢) وُجهت له هذه الدعوة، وهو في بلاد ما بين النهرين (العراق حاليا) قبل أن يسكن حاران. والبعض يعتقد أن حاران كانت في كلديا جنوب بابل والتي سكنها الكلدانيون. وكانت لا تزال جزء من بلدة أبرام، أو أن أبرام، إذ قد مكث هناك خمس سنوات، بدأ ينظر إليها باعتبارها بلدته وأراد أن يستقر هناك إلى أن عرفه الله أن هذا ليس المكان الذي قُصد له. ونلاحظ هنا أنه إذا ما أحبنا الله وغمرنا برحمته، فإنه لن يسمح لنا بأن نستريح في أي مكان سوى في كنعان، بل سيكرر دعوته الكريمة لنا حتى يُتمِّم العمل الصالح الذي بدأه فينا، وتستريح نفوسنا في الله وحده. أما الدعوة نفسها فنجد فيها أمرا ووعدا:

أولا: أمر لامتحانه: «اذهب من أرضك» (ع ١).

(١) اختُبر أبرام بناء على هذا الأمر ما إذا كان يحب أرضه وأصدقاءه الأعزاء، وما إذا كان يمكن أن يترك الكل طواعية ويذهب مع الله. وبعد أن أصبحت بلاده وثنية وأصبح أقاربه وبيت أبيه بمثابة تجربة مستمرة له، ما كان في وسعه أن يستمر معهم دون خطر أن تنتقل إليه العدوى منهم. وهذا الأمر الذي أصدره الله لإبراهيم يماثل تماما دعوة الإنجيل، والتي بمقتضاها دخل أبناء أبرام الروحيين الأمناء في عهد مع الله، وذلك لأن:

أ. المحبة الطبيعية يجب أن تفسح المجال للنعمة الإلهية.

ب. يجب ترك الخطية وكل ما يتعلق بها، ولاسيما المعاشرات الرديئة، وعلينا أن نهجر كل الأوثان القديمة التي أُقيمت في قلوبنا، ونتخلى طواعية عما هو عزيز لدينا، مادمنا لا نستطيع الاحتفاظ به دون خطر على استقامتنا وأمانتنا.

ج. العالم وكل ما فيه من متع يجب أن ننظر إليه بعدم اكتراث مقدس، ولا يجب أن نعتبره بعد وطنا لنا، بل كفندق أو خان، وبالتالي لا نكون وثيقي الصلة به، بل نسمو عليه ونخرج منه بمحبة.

(٢) بناء على هذا الأمر تم اختباره عما إذا كان يستطيع أن يثق في الله إلى حد أبعد من مجرد رؤيته، فقد كان عليه أن يترك أرضه وأن يذهب إلى

الأرض التي يريها له الله. ولم يقل له "إلى الأرض التي سأعطيها لك»، بل قال له فحسب: «إلى الأرض التي أريك». كان عليه أن يتبع الله بإيمان راسخ، على الرغم من أنه لم يُعط له ضمانات بأنه لن يكون الخاسر بتركه أرضه واتباعه الله.

ثانيا: نجد هنا وعدا مشجِّعا هو في واقع الأمر خليطا من وعود كثيرة، ومتزايدة العظمة وثمينة لِمَنْ يطيعها. إذا ما أطعنا الوصية فلن يتوانى الله عن الوفاء بوعده. ونجد هنا ستة وعود:

(١) «فأجعلك أمة عظيمة». فحين أخذه الله من شعبه وعده بأن يجعله رئيسا لشعب آخر، لقد قطعه وحرمه من أن يكون فرعا في زيتونة برية، لكي يجعله أصلا لزيتونة جيدة. وكان هذا الوعد:

أ. راحة عظمى من العبء الذي يرزح أبرام تحته، لأنه لم يكن في ذلك الحين قد رُزق بنسل. ويُلاحظ أن الله يعرف كيف يوائم إحساناته مع احتياجات وضروريات أولاده. وذاك الذي لديه ضمادة لكل الجروح سوف يدبِّر واحدة أولا للجُرح الأكثر إيلاما.

ب. اختبار عظيم لإيمان أبرام، لأن زوجته كانت عاقرا منذ مدة طويلة.

(٢) «وأباركك». اترك بيت أبيك، فأعطيك بركات الأب.

(٣) «وأعظم اسمك». إذ ترك بلدته لذا فَقَد الشهرة التي كان يتمتع بها هناك. وإذ لم يكن له ولد فقد خشي ألا يكون له اسم، غير أن الله سيجعله أمة عظيمة وبذلك يتعظم اسمه.

(٤) «وتكون بركة» بمعنى:

أ. ستكون سعادتك رمزا للسعادة الحقيقية حتى إن الذين يباركون أصدقاءهم سوف يتضرعون إلى الله أن يجعلهم مثل أبرام، كما فعلت راعوث (را ٤ : ١١).

ب. «إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة».

(٥) «وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه». وهذا ما جعل الأمر كنوع من التحالف، وهو تحالف هجومي ودفاعي بين الله وأبرام.

(٦) «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض». كان هذا الوعد هو الذي توَّج كل الوعود الأخرى ولأنه يشير إلى المسيح الذي «فيه النعم وفيه الآمين» لكل مواعيد الله.

ومما يُلاحظ هنا أن المسيح يسوع هو أعظم بركة للعالم.. أعظم بركة عرفها العالم على الإطلاق، وهو بركة للعائلة كلها، فبواسطته يتحقق للبيت السلام (لو ١٩ : ٩).

عدد ٤ و٥

أولا: رحيل أبرام عن أرضه: أولا من أور، ثم بعد ذلك من حاران، وذلك امتثالا لدعوة الله. «فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي» (عب ١١ : ٨)، ولكنه كان يعرف ذاك الذي يتبعه.

ثانيا: عمره حين رحل: كان «ابن خمس وسبعين سنة»، وهي السن التي كان يتعيَّن بالأحرى أن ينال فيها قسطا من الراحة والاستقرار، غير أنه حتى وإن كلفه الله أن يبدأ عالما جديدا في هذه السن فسوف يخضع له. ونجد هنا مثالا لمتجدد عجوز.

ثالثا: الأشخاص الذين أخذهم في صحبته والأشياء التي حملها معه:

(١) أخذ معه امرأته، ولوطا ابن أخيه. ويُلاحظ أنه أمر معزٍ جدا حين يتفق الزوج وزوجته أن يسيرا سويا في طريق السماء. كما أن لوطا قريبه تأثر بسلوك إبراهيم الحسن، والذي ربما كان وصيا عليه بعد موت أبيه، وكان راغبا أن يذهب معه أيضا.

(٢) أخذوا معهم «كل مقتنياتهما التي اقتنيا». فأن يلقي بمقتنياته بعيدا لأن الله وعد أن يباركه، لكان بذلك يجرب الله، لا أن يتكل عليه.

رابعا: وصولهم السعيد إلى نهاية رحلتهم: «وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان»، وهذا ما فعلوه من قبل في تكوين ١١ : ٣١ وتوقفوا قبل وصولهم، أما الآن فقد واصلوا سيرهم ووصلوا إلى أرض كنعان بمعية إلههم الصالحة، حيث أُخبروا بإعلان إلهي جديد أن هذه هي الأرض التي وعد الله أن يريها لهم.

عدد ٦ – ٩

كان من المتوقع أن أبرام إذ تلقى هذه الدعوة

العجيبة بالذهاب إلى كنعان أن يصاحب وصوله أحداثا عِظام، غير أنه لم يلق أي اهتمام يُذكر لأن الله يريده أن يعيش بالإيمان.

أولا: لم يشعر براحة في نفسه في الأرض التي أتى إليها لأن:

(١) الأرض لم تكن له: فقد وجد الكنعانيين يسكنونها ويمتلكونها، وكان واضحا بأنهم سيكونون جيرانا أردياء.

(٢) لم يكن له مقر فيها: وكل المؤمنين يجب أن يعتبروا أنفسهم غرباء ونزلاء في هذا العالم وبالإيمان لا يتعلقون به، بل يعتبرونه أرضا غريبة. يجب أن نعتبر أنفسنا على سفر، وأننا لا نزال ننتقل من قوة إلى قوة كأننا لم نصل بعد.

ثانيا: التعزية الكثيرة التي وجدها في الله الذي تبعه:

(١) تحدَّث إليه الله بأقوال طيبة وكلمات معزية: «لنسلك أُعطي هذه الأرض». قد يفصل الأعداء بيننا وبين خيامنا، أو بيننا وبين مذابحنا، غير أنه ليس بمقدورهم أن يفصلوا بيننا وبين إلهنا. والنعم التي يحظى بها الأولاد هي نعم للآباء: سوف «أعطي هذه الأرض» ليس لك بل «لنسلك»، وهذه هبة راجعة لنسله، ولقد اعتبرها أبرام أيضا أنها هبة له، لأنه كان يتطلع إلى وطن سماوي (عب ١١: ١٦).

(٢) «فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له... ودعا باسم الرب» (ع ٧ و٨). وبهذا رد على زيارة الله وحفظ علاقته برب السماء كشخص عزم على ألا يُقصِّر من جانبه. وأينما كان يقيم لنفسه خيمة كان يقيم مذبحا للرب ويقدسه بالصلاة. «والنفوس التي امتلكا في حاران» إذ تتلمذوا كان يتحتم تعليمهم. والمذبح العائلي هو مسلك قديم صالح وليس بدعة حديثة، بل وتقليد قديم لجميع القديسين، فحيثما نذهب علينا ألا نهمل عبادتنا.

عدد ١٠ – ١٣

نجد هنا:

أولا: مجاعة في أرض كنعان: «الجوع في الأرض كان شديدا»، وكان يشكل لأبرام اختبارا قاسيا للغاية وأصبحت أفكاره موضع اختبار. وتحت وطأة هذه الظروف لا يمكن الاحتفاظ بأفكار طيبة عن الله إلا إذا توفر إيمان قوي. فقد اختبر الآن ما إذا كان يستطيع أن يحتفظ بثقة لا تتزعزع بأن الإله الذي أحضره إلى كنعان سيرعاه هناك، وما إذا كان بمقدوره أن يبتهج في الله باعتباره إله خلاصه حين لا يزهر التين (حب ٣: ١٧ و١٨). من الممكن للرجل الذي يسير في طريق الواجب وفي طريق السعادة أن يواجه الشدائد والإحباطات.

ثانيا: رحيل أبرام إلى مصر بسبب هذه المجاعة: هنا نرى حكمة الله التي تعمل على أن يكون هناك رخاء في مكان حين تكون هناك حاجة وعوز في مكان آخر، وعلينا ألا نتوقع معجزات لا ضرورة لها. فحين كان عليه أن يغادر كنعان، لفترة ما، اختار الذهاب إلى مصر التي تقع جنوب غرب كنعان، وهو الطريق العكسي حتى لا يحاول أن ينظر إلى الوراء (انظر عب ١١: ١٥ و١٦).

ثالثا: خطأ عظيم ارتكبه أبرام بإنكاره زوجته متظاهرا أنها أخته: والأسفار المقدسة تراها محايدة إذ تروي أخطاء حتى أشهر القديسين، والتي سُجِّلت لا لنتمثل بها، بل من أجل تحذيرنا وإنذارنا، فإذا كنت تظن أنك قائم فلتنظر لئلا تسقط.

كان وراء ذلك غيرة وخوف وهمي من أن بعض المصريين قد يُفتنون بجمال ساراي، وأنهم إذا ما عرفوا أنه زوجها فسوف يسعون لقتله بأية وسيلة لكي يتخذوها زوجة. والنعمة التي اشتهر بها أبرام للغاية هي نعمة الإيمان، ومع ذلك فها هو قد سقط لافتقاره إلى الثقة في العناية الإلهية، على الرغم من أن الله ظهر له مرتين. واحسرتاه، ماذا سيكون عليه حال الصفصاف الضعيف إذا كان الأَرز الشاهق قد اهتز على هذا النحو؟

عدد ١٤ – ٢٠

أولا: الخطر الذي تعرضت له ساراي من أن يعتدي ملك مصر على عفتها. لقد امتدحوها لدى الملك، ثم أُخذت إلى قصر فرعون، كما سبق وأن أُخذت أستير إلى حريم الملك أحشويروش (أس ٢: ٨) حتى تؤخذ بعد ذلك إلى فراشه.

ثانيا: خلاص ساراي من هذا الخطر، فإذا لم

يُخلِّصنا الله لهلكنا سريعا. وهو لا يعاملنا بحسب ما نستحقه.

(١) عاقب الله فرعون، وبذلك حال دون ارتكابه الخطية: والتأديبات التي تحول بيننا وبين الخطية هي تأديبات سعيدة ولها فاعليتها في دفعنا إلى عمل ما يجب علينا.

(٢) وبخ فرعون أبرام، ثم صرفه باحترام:

أ. كان التوبيخ هادئا، ولكنه كان في غاية العدل: «ما هذا الذي صنعت بي ؟» ثم تحدث إليه بالحجة والمنطق: «لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟» بما يُستشف منه أنه لو كان قد عرف هذه الحقيقة لما أخذها إلى بيته. وكثيرا ما نجد فضيلة وشرفا وضميرا في بعض الناس ممن كنا نعتقد أنهم أبعد ما يكونون عن ذلك، ويجب أن يكون مدعاة سرورنا أن تخيب ظنوننا في هذه الناحية، مثلما كان الحال مع أبرام هنا إذ وجد في فرعون شخصا أفضل مما كان يظنه. وتُعلِّمنا المحبة أن نترجى الأفضل.

ب. صرفه فرعون بكل عطف وكرم: أعاد له زوجته دون أن تُمس كرامتها. «فأوصى عليه فرعون رجالا». فقد عيَّنهم، حين رأى أبرام العودة إلى بلاده. لكي يكونوا حراسا لقافلته.

ونلاحظ هنا التشابه بين خلاص أبرام من مصر، وخلاص نسله من هناك: فبعد أربعمائة وثلاثين سنة من ذهاب أبرام إلى مصر بسبب المجاعة، ذهبوا هم نتيجة مجاعة أيضا، خرج هو نتيجة «ضربات عظيمة» لحقت بفرعون، وكذلك كان سبب خروجهم هم أيضا؛ لأن عناية الله بشعبه لا تتغير، «لأنه هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد».

الأصحاح الثالث عشر

يتضمن هذا الأصحاح قصة أخري تتعلق بأبرام.

أولا: تتناول بصفة عامة حالته ومسلكه في أرض الموعد.

(١) تحركاته (ع ١، ٣، ٤، ١٨).

(٢) ثروته الطائلة (ع ٢).

(٣) عبادته (ع ٤، ١٨).

ثانيا: إشارة خاصة بخلاف حدث بينه وبين لوط (ع ٥ و٦).

ثالثا: حسم النزاع نتيجة حصافة أبرام (ع ٨ و٩).

رابعا: انفصال لوط عن أبرام وتوجهه إلى سهل سدوم (ع ١٠– ١٣).

خامسا: ظهور الله لأبرام، لكي يؤكد له وعده بإعطائه أرض كنعان (ع ١٤– ١٨).

عدد ١ – ٤

أولا: رجوع أبرام من مصر (ع ١): رجع بنفسه وأحضر معه كل خاصته إلى كنعان.

ثانيا: ثروته: «كان أبرام غنيا جدا» (ع ٢): كان له وزنه (وهذا معنى الكلمة في العبرية)؛ لأن الثروات عبء. فهناك عبء الحصول عليها والخوف الذي يلازم حفظها والإغراء المتعلق باستعمالها، والإثم الذي ينجم عن سوء استخدامها، والأسف الذي يتولد عند ضياعها. وعبء في النهاية من ناحية الحساب الذي يجب تقديمه بخصوصها. وأحيانا نجد أن الله في عنايته يعطي الصالحين غنى، ويُعلِّمهم كيف يزدادون، كما يُعلِّمهم أيضا كيف يتحملون ضياعه. وعلى الرغم من أنه من الصعوبة بمكان دخول غني إلى ملكوت الله، إلا أن هذا ليس مستحيلا (مر ١٠: ٢٣ و٢٤).

ثالثا: رحيله إلى بيت إيل (ع ٣ و٤): فقد ذهبوا إلى هناك وليس ذلك مرجعه فقط أنه سبق أن أقام خيمته هناك، بل لأنه كان له هناك مذبح أيضا. وبعد ذلك بزمن طويل أرسل الله يعقوب إلى نفس المكان في مهمة مماثلة (تك ٣٥: ١). ونحن في حاجة إلى مَنْ يُذكِّرنا بتعهداتنا المقدسة. ولعل المكان الذي قُطعت فيه تلك التعهدات قد يُذكرنا بها، وعلى هذا فإنه لأمر طيب أن نرجع إليه.

رابعا: عبادته هناك: كان مذبحه قد تهدَّم، ومن ثَمَّ لم يكن بوسعه تقديم ذبيحة، ولكنه دعا هناك «باسم الرب»، على غرار ما سبق أن عمله (تك ١٢: ٨). ولم يترك أبرام عبادته وراءه في مصر، كما يفعل الكثيرون خلال ترحالهم.

عدد ٥ – ٩

نزاع مؤسف بين أبرام ولوط، واللذين كانا حتى هذه الآونة صنوان لا يفترقان.

أولا: السبب وراء الخصام هو ثرواتهما: فالغنى كثيرا ما يكون سبب خصام وعراك. أما الفقر والعناء، الحاجة والترحال، لم تستطع أن تفرق بين أبرام ولوط، غير أن الثروة استطاعت أن تفعل ذلك. والأصدقاء سرعان ما يُفقدون، أما الله فهو صديق لا يستطيع أن يفصلنا عن محبته لا علو النجاح، ولا عمق البلاء.

ثانيا: بدأ النزاع «بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط» (ع ٧). لقد تشاجرا لرغبة كل منهما الاستئثار بالمرعى الجيد، أو المياه الأكثر وفرة.

ثالثا: تفاقُم النزاع يرجع إلى أنه «كان الكنعانيون والفرزيون حينئذ ساكنين في الأرض»، وهذا ما جعل النزاع:

(١) خطيرا للغاية.

(٢) مشينا جدا. فشجار المسيحيين يشين المسيحية، ويتيح فرصة لأعداء الرب أن يجدفوا، شأنه في ذلك شأن أي خطر آخر.

رابعا: تسوية هذا الخصام كان أمرا طيبا جدا: والأفضل أن يُحفظ السلام حتى لا ينكسر، وبنفس القدر، عند حدوث النزاعات فمن الأفضل أن يتم تسويتها بأقصى ما يمكن من سرعة. والمبادرة الخاصة بتسوية هذا النزاع جاءت من قِبل أبرام.

(١) مناشدته السلام اتسمت بمحبة شديدة: «لا تكن مخاصمة بيني وبينك». عرف أبرام كيف يصرف الغضب بجواب لين، وكان هو الذي اتخذ الخطوة الأولى للمصالحة. وشعب الله يجب أن يُثبت دائما أنه شعب مسالم، ومهما كان اتجاه الآخرين عليهم أن يتجهوا هم إلى السلام.

(٢) مبادرته السلمية كانت مُقنعة:

أ. «لا تكن مخاصمة بيني وبينك». دع الكنعانيين والفرزيين يتنازعون على التفاهات، ولكن لا تسمح للخصام بأن يقع بيني وبينك، فنحن نعرف أمورا أفضل ونتطلع إلى وطن أفضل. فإن تذكُر الصداقات القديمة تقضي بسرعة على المخاصمات الجديدة التي تطرأ بين آونة أو أخرى.

ب. تذكر أننا «نحن أخوان». فنحن مخلوقات حباها الله بالعقل، ويجب أن نسلِّم للعقل والمنطق. نحن بشر ولسنا وحوشا، ونحن رجال ولسنا بأطفال. «نحن أخوان» من نفس الطبيعة والعشيرة والعائلة، نعبد الله الواحد رفقاء في الطاعة وزملاء في الصبر.

(٣) وعرض السلام الذي تقدَّم به كان مرضيا تماما. لماذا نتشاجر من أجل المكان، طالما أنه يوجد متسعا لكلينا؟ وقدَّم له نصيبا كافيا من الأرض التي كانوا عليها، بل إنه أعطاه حق الاختيار، وعرض أن يأخذ هو ما يتركه له: «إن ذهبت شمالا فأنا يمينا». وكان من حق أبرام بكل المعايير أن يكون له حق الاختيار أولا، ومع ذلك تخلى عن الحق. إنه انتصار نبيل وكريم أن تستسلم رغبةً في السلام، إنه انتصار على أنفسنا وكبريائنا وأهوائنا (مت ٥).

عدد ١٠ – ١٣

الاختيار الذي فضَّله لوط حين افترق عن أبرام. وإذ قدَّم له أبرام أولوية الاختيار قبله دون أية مجاملة وحدد اختياره. فالأهواء والأنانية تجعل الإنسان فظا.

أولا: كيف اتجه ببصره إلى جودة الأرض «ورأى كل دائرة الأردن»، أي السهول التي تقع بها مدينة سدوم، وإذ هي «جميعها سقي»، الأمر الذي يهيىء له إقامة مريحة. في مثل هذه الأرض الخصبة من المؤكد أن ينجح ويصبح غنيا جدا وكان هذا كل ما يعنيه. ولكن ماذا كانت النتيجة؟ إن الأخبار التالية التي نسمعها عنه هي أنه كان هناك في وسطهم كمَنْ يعيش بين الأشواك، فقد تم أسره هو ومَنْ معه. وأخيرا، أمطر الله نارا فوق المدينة الأمر الذي اضطره للهرب إلى الجبال من أجل سلامته، وهو الذي اختار الوادي من أجل ثرائه ومتعته. فالاختيارات التي تقوم على الشهوات هي اختيارات خاطئة ونادرا ما تنجح.

ثانيا: «وكان أهل سدوم أشرارا وخطاة» (ع ١٣). وبعض الخطاة يزداد شرهم حين يعيشون في أرض طيبة– وهذا ما كان عليه حال أهل سدوم. فقد سكن سدوميون أشرار في المدينة في واد مثمر، في حين أن أبرام المؤمن الصادق وعائلته البارة سكنوا في خيام في الجبال الجرداء. وسكنى لوط بين أهل سدوم قد ينظر

البعض إليه باعتباره رحمة عظيمة لهم، ويُشكِّل فرصة محتملة لكي يقودهم إلى التوبة، إذ أن نبيا يسكن الآن في وسطهم يدعوهم إلى البر، ولو كانوا قد استمعوا له، فلربما كانوا قد قبلوا الإصلاح وتحاشوا الهلاك.

عدد ١٤ – ١٨

إشارة إلى زيارة كريمة قام بها الله لأبرام، لكي يؤكد وعده له ولعائلته.

أولا: متى جدد الله وعده وصادق عليه؟

(١) بعد انتهاء النزاع.

(٢) بعد اتضاع أبرام وتمسكه بإنكار ذاته عن طيب خاطر في معاملته للوط من أجل المحافظة على السلام.

(٣) بعد أن فقد صحبة قريبه المريحة وملأ الحزن قلبه، جاءه الله بهذه الكلمات الطيبة والمعزية. ربما حصل لوط على الأرض الأفضل، غير أن أبرام كان له «الشرف" الأفضل. حصل لوط على الجنة بحسب ما كانت في نظره، ولكن أبرام حصل على الوعد.

ثانيا: المواعيد التي عزى بها الله الآن أبرام، بل وأثراه. لقد أكد له أمرين: أرضا طيبة، ونسلا يتمتع بها.

(١) هنا عطية الأرض الطيبة وهي أرض تفوق شهرتها ما عداها من أراضي، لأنها ستكون الأرض المقدسة، أرض عمانوئيل. ويُلاحظ هنا أن ما يريه لنا الله هو أفضل بما لا يُقاس، وشهي أكثر من أي شيء آخر يمكن أن يُعرض علينا في العالم. وقد ضمن له ولنسله هذه الأرض إلى الأبد (ع ١٥).

(٢) هنا الوعد بإعطائه نسلا كبير العدد يملأ هذه الأرض الطيبة، حتى لا تضيع أبدا لعدم وجود ورثة (ع ١٦). والله الذي يعطي الميراث هو نفسه الذي يعطي الورثة أيضا. وقد ذُكر لنا ما فعله أبرام حين أكد له الله وعده على هذا النحو (ع ١٨).

أ. فنقل «خيامه». امتثالا لمشيئة الله بهذا الخصوص، فقد هيأ نفسه ليكون ملائما لوضع الغريب أو النزيل.

ب. وبنى «مذبحا للرب»، كعلامة شكر لله.

الأصحاح الرابع عشر

قصة هذا الأصحاح تتضمن أربعة أمور:

أولا: حرب مع ملك سدوم وحلفائه (ع ١– ١١).

ثانيا: سبي لوط في تلك الحرب (ع ١٢).

ثالثا: قيام أبرام بإنقاذ لوط من ذلك السبي (ع ١٣– ١٦).

رابعا: عودة أبرام من حملته (ع ١٧). وهنا تحقق جزء من الوعد الذي أعطاه الله لأبرام بأن يعظم اسمه.

عدد ١ – ١٢

نبذة عن أول حرب نقرأ عنها في الأسفار المقدسة.

أولا: الأطراف التي اشتركت في الحرب: كان الغازون أربعة ملوك، اثنان منهم لم يكونا سوى ملك شنعار وملك عيلام (أي كلديا وفارس). أما الملوك الذين تم غزو أراضيهم فهم ملوك الخمس مدن التي تجاور بعضها بعضا في سهل الأردن وهي: سدوم، عمورة، أدمة، وجوييم وصوغر.

ثانيا: يرجع سبب هذه الحرب إلى عصيان الملوك الخمسة على حكومة كدرلعومر. لقد استُعبدوا له اثنتي عشرة سنة، ولم يكونوا يتمتعون سوى بالقليل من خيرات أرضهم الكثيرة، فيما كانوا تحت سيطرة قوى أجنبية. وحتى أملاكهم لم يكونوا يستطيعون القول بأنها ملكهم. وفي السنة الثالثة عشرة إذ بدأوا يتذمرون من عبوديتهم، قاموا بالعصيان ولم يرسلوا الجزية وحاولوا أن يتخلصوا من نير العبودية ويستعيدوا حرياتهم المسلوبة. وفي السنة الرابعة عشرة، بعد فترة توقف واستعداد، قام كدرلعومر وحلفاؤه بحملة لتأديب المتمردين وقهرهم.

ثالثا: تقدم الحرب ونجاحها: قام الملوك الأربعة بتدمير البلدان المجاورة وأثروا أنفسهم بما سلبوه منها (ع ٥– ٧).

(١) هزيمة قوات ملك سدوم وحلفائه.

(٢) تم نهب المدن (ع ١١).

(٣) تم سبي لوط (ع ١٢): أخذوا لوطا ضمن الآخرين، كما أخذوا ممتلكاته. وكم من رجل أمين

تصيبه المحن نتيجة جيرانه الأشرار. لذلك من الحكمة أن ننفصل عن الأشرار وبذلك ننجي أنفسنا (رؤ ١٨: ٤). ويُلاحظ أنه حين نهمل واجبنا فإننا بهذا نحرم أنفسنا من حماية الله لنا، وليس بمقدورنا أن نتوقع راحة نتيجة اختيارات تمت على أساس شهواتنا.

عدد ١٣ – ١٦

نجد هنا العمل العسكري الوحيد الذي خاضه أبرام، وقد دُفع إليه دفعا ليس نتيجة طموحه أو سعيا لتحقيق مكاسب ذاتية، بل بدافع من المحبة، ولم يكن يبغي ثراء، بل مساعدة صديق.

أولا: جاءته الأنباء بأن قريبه في محنة.

(١) سُمي هنا «أبرام العبراني»، أي ابن عابر ومن أتباعه، والذي حافظ بيته على الديانة الحقيقية في وسط جيل فاسق.

(٢) جاء بالأخبار شخص استطاع أن يهرب بحياته.

ثانيا: الاستعدادات التي قام بها لهذه الحملة. وهذا ما يبين أن أبرام:

(١) كان رجلا عظيما: لديه عبيد كثيرون يعتمدون عليه.

(٢) كان رجلا صالحا: لم يكن يعبد الله وحده، بل كان يرشد كل مَنْ هم حوله إلى عبادة الله.

(٣) كان رجلا حكيما: فعلى الرغم من أنه كان داعية سلام، إلا أنه درب عبيده على الحرب. فعلى الرغم من أن ديننا المقدس يُعلِّمنا أن نعمل من أجل السلام، إلا أنه لا يمنعنا من الحرب دفاعا عن الوطن.

ثالثا: حلفاؤه الذين قدموا له الدعم في هذه الحملة: أقنع جيرانه: «ممرا» و«أشكول» و«عانر» بأن يخرجوا معه للحرب. وأولئك الذين يعتمدون على الله، عليهم في وقت المحنة أن يستعينوا بمساعدة الناس بحسب ما تتيحه لهم العناية الإلهية، وإلا كانوا يجربون الله.

رابعا: شجاعته ومسلكه كانا جديرين بالاعتبار:

(١) كانت الحملة نفسها تنطوي على قدر كبير من الشجاعة، إذا ما أخذنا في الاعتبار نقاط الضعف التي كان يحارب في ظلها. فما الذي تستطيع عائلة من الفلاحين والرعاة أن تعمله ضد جيوش أربعة ملوك كانوا راجعين للتو من معركة أخرى منتصرين؟ والديانة تعمل على أن تبث في الرجال، ليس الجبن، بل الشجاعة الحقة. والمسيحي الحقيقي هو بطل حقيقي.

(٢) اتسمت إدارته للمعركة بحكمة بالغة. ويُلاحظ أن الحكمة الخالصة هي صديق نافع لسلامتنا ولنفعنا. ورأس الحية (باعتبار أنه ليس بها ثَمة ما يشبه الحية القديمة) يمكن أن تصبح رأسا جيدا للمسيحي، ولاسيما إذا كانت لها عين حمامة (مت ١٠: ١٦).

خامسا: كان انتصاره عظيما (ع ١٥ و١٦). لقد هزم أعداءه، وأنقذ أصدقاءه، ولا نجد أنه تحمل أية خسارة.

(١) أنقذ قريبه، الذي وُصف هنا بعبارة «لوطا أخاه». وتذكُره الصلة التي كانت تربطه به، سواء بالطبيعة أم بالنعمة، جعلته ينسى النزاع الذي كان قد شبَّ بينهما. ومما تجدر ملاحظته هنا:

أ. علينا أن نكون مستعدين. إذا ما كان في قدرتنا. أن نمد العون وننقذ أولئك الذين هم في محنة.

ب. على الرغم من أن آخرين قد يكونون مُقصِّرين في حقنا، إلا أن ذلك لا يجب أن يكون سببا في عدم قيامنا بواجبنا نحوهم. قال البعض أنه يمكنهم المغفرة لأعدائهم بأسهل مما يمكنهم ذلك بالنسبة لأصدقائهم، غير أننا نرى أنه من واجبنا أن نسامح هذا وذاك.

(٢) أنقذ بقية المسبيين من أجل خاطر لوط، على الرغم من أنهم كانوا غرباء بالنسبة له، ولم يكن عليه أي التزام قِبلهم بأي شكل كان. ويتعين علينا أن نعرف أنه من واجبنا عمل الخير لكل الناس كلما سنحت لنا فرصة لذلك.

عدد ١٧ – ٢٠

تبدأ هذه الفقرة بالاحترام الذي أولاه ملك سدوم لأبرام، غير أنه قبل أن تُذكر تفاصيل ذلك تمت الإشارة باختصار إلى قصة ملكي صادق.

أولا: مَنْ هو ملكي صادق؟ كان «ملك شاليم...

وكان كاهنا لله العلي»، وقد ذُكرت عنه أمور مجيدة أخرى في عبرانيين ٧: ١– ١٠.

(١) يقول الكتبة من معلمي اليهود أن ملكي صادق هو سام بن نوح. ولكن ما الداعي إلى تغيير اسمه؟ وما الذي جاء به للسكن في كنعان؟

(٢) كثيرون من الكتبة المسيحيين يعتقدون أن هذا كان ظهورا لابن الله نفسه. فقد ظهر له كملك بار، يُدعِّم قضية عادلة، ويحقق السلام. ومن الصعب تخيل أنه يمكن أن يُقال عن أي إنسان أنه «بلا أب بلا أم بلا نسب. لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة» (عب ٧: ٣). لكن قيل هذا عنه لأن الوحي لم يذكر له أي نسب.

(٣) وهناك رأي آخر أن ملكي صادق كان ملكا كنعانيا، يحكم «شاليم»، وكان متمسكا بالديانة الحقة.

ثانيا: ماذا عمل؟

(١) «أخرج خبزا وخمرا»، من أجل إنعاش أبرام وجنوده، واحتفاء بهذا الانتصار الذي حققوه. وقد فعل هذا كملك.

(٢) أما كونه كاهن لله العلي، فقد بارك أبرام، الأمر الذي يمكن الافتراض بأنه أنعش أبرام بأكثر مما أنعشه الخبز والخمر. وهكذا فإذ رفع الله ابنه يسوع، فقد أرسله ليباركنا، إذ له سلطان لعمل ذلك، والذين يباركهم هم بالحقيقة مباركون.

ثالثا: ماذا قال (ع ١٩ و٢٠). ثَمة أمران قالهما:

(١) بارك أبرام بركة إلهية. ونلاحظ الألقاب التي يتحدث بها هنا عن الله، وهي ألقاب مجيدة عظيمة.

أ. الله العلي.

ب. مالك السماوات والأرض، أي إنه خالقها ومن ثَمَّ مالكها الشرعي، وهو سيد كل المخلوقات وربها، لأنه هو خالقها.

(٢) بارك الله من أجل أبرام (ع ٢٠): «ومبارك الله العلي».

رابعا: ما الذي عُمل له: قام أبرام «فأعطاه عُشرا من كل شيء»، أي من «الغنائم» (عب ٧: ٤)، وهذا يمكن اعتباره:

(١) كمنحة قُدمت لملكي صادق، مقابل علامات الاحترام التي أبداها.

(٢) كتقدمة نُذرت وكُسرت لله العلي، ومن ثَمَّ قُدمت لملكي صادق كاهنه.

أ. عندما نتمتع بواحدة من مراحم الله، فمن اللائق أن نُعبِّر عن شكرنا بعمل خاص من أعمال الرحمة والبر.

ب. أن عُشر كل خيرات نحصل عليها يُعد نسبة لائقة يجب أن نُكرسها لمجد الله وخدمة بيته.

ج. الرب يسوع المسيح هو ملكي صادق الأعظم بالنسبة لنا، وعلى هذا، يجب أن نقدم له التبجيل والخضوع، ويجب أن يعترف به كل واحد منا باعتباره ملكنا وكاهننا، وأن نقدم له ليس العشور فقط، بل كل ما لدينا.

عدد ٢١– ٢٤

تتضمن هذه الفقرة ما دار بين أبرام وملك سدوم.

أولا: الهبة العظيمة التي قدمها ملك سدوم لأبرام وترجاه شاكرا أن يتقبلها (ع ٢١): «أعطني النفوس وأما الأملاك فخذها لنفسك». أو أعطني الأسرى أما الغنائم فاحتفظ بها لنفسك (بحسب ترجمة أخرى). وهو هنا يلتمس بكل لياقة من أجل الأشخاص، ولكنه يترك الغنائم بكل رضا لأبرام.

ثانيا: رفض أبرام بكرمه هذا العرض. ولم يسلمه الأشخاص فحسب، بل رد له الغنائم أيضا. رفض أن يأخذ منه «لاخيطا ولا شراك نعل». فماذا تكون كل المباهج والملذات بالنسبة لشخص يضع الله والسماء دائما نُصب عينيه؟

(١) وقد أكد أبرام قراره هذا بحلف مقدس. أما العادة المتبعة في مثل هذا الحلف فتمثلت في قوله: «رفعت يدي». ومعنى الحلف أننا نستشهد بمعرفة الله لصدقنا وإخلاصنا ونجلب لعنة غضبه علينا إذا حلفنا كاذبين. «ورفع اليد" له مغزاه، وهو يُعبر عن كلا الأمرين.

(٢) وقد دعم رفضه بسبب وجيه: «فلا تقول أنا أغنيت أبرام» الأمر الذي يُعد تعييرا:

أ. لوعد الله والعهد الذي معه.

ب. لتقوى أبرام ومحبته للخير. وأناس الله –من أجل سمعتهم– عليهم ألا يقدموا على أي عمل يبدو شريرا أو يتسم بالجشع، أو ما يمكن الاشتباه في أنه عمل أناني، أو اشتهاء ما لدى الغير.

الأصحاح الخامس عشر

يتضمن هذا الأصحاح معاهدة مهيبة بين الله وأبرام تختص بعهد يُقطع بينهما. في الأصحاح السابق رأينا أبرام في الميدان مع ملوك، أما هنا فنجده على الجبل مع الله. وعلى الرغم من أنه هناك بدا عظيما، إلا أنه يبدوا لي هنا أعظم بكثير. والعهد الذي سيُقطع بين الله وأبرام كان عهد مواعيد، وطبقا لذلك نجد هنا:

أولا: تأكيد عام لمحبة الله وقصده الطيب نحو أبرام (ع ١).

ثانيا: إعلان خاص عن مقاصد محبته له تضمن أمرين:

(١) سوف يعطيه نسلا كبير العدد (ع ٢– ٦).

(٢) سيعطيه كنعان ميراثا (ع ٧– ٢١). والنسل الموعود به، وكذلك أرض الموعد، اللذان كانا تعزية حقيقية لهذا المؤمن العظيم، إنما كانا يرمزان إلى بركتين ساميتين لا تُستقصيان، وهما: المسيح والسماء.

عدد ١

أولا: الوقت الذي قطع فيه الله هذا الوعد لأبرام:

(١) بعد العمل الشهير الذي يدل على محبة أبرام وكرمه، والذي تمثل في قيامه بإنقاذ أصدقائه وجيرانه في محنتهم، ولم يكن ذلك «لا بثمن ولا بهدية» (إش ٤٥: ١٣).

(٢) بعد ذلك الانتصار الذي حققه على أربعة ملوك.

ثانيا: الطريقة التي تكلم بها الله مع أبرام: والتي يُفترض معها أن أبرام كان مستيقظا، ورأى ظهورا مرئيا لسحابة المجد، أو علامة مرئية تدل على وجود المجد الإلهي.

ثالثا: التأكيد الكريم الذي أعطاه الله له فيما يختص بنعمته عليه:

(١) دعاه باسمه «يا أبرام». وكلمة الله الطيبة تكون سبب خير لنا حين تُقال لنا– بصفة خاصة– بروحه. وتقول الكلمة «تعالوا" وقد جاءت بصيغة الجمع. ويقول الروح: تعال لكل واحد منكم على حِدى.

(٢) وقد حذره ضد القلق والاضطراب: «لا تخف يا أبرام». ليخف الخطاة في صهيون، ولكن لا تخف أنت يا أبرام.

(٣) أكد له سلامته وسعادته، وبأنه سيكون إلى الأبد:

أ. آمنا، بحسب قدرة الله على حفظه.

ب. سعيدا بقدر ما يستطيع الله أن يجعله هكذا: «أجرك كثير جدا» لن أكون مَنْ يكافئك فحسب، بل أكون أنا أجرك. لقد رفض أبرام –بكل إباء– المكافآت التي عرضها عليه ملك سدوم.

عدد ٢ – ٦

التأكيد الذي أُعطي لأبرام بنسل كبير العدد يخرج من صلبه.

أولا: شكوى أبرام المتكررة (ع ٢ و٣). فالمحنة الأليمة التي كانت تثقل قلب أبرام تمثلت في أنه لم يُرزق بنسل. وعلى الرغم من أنه لا يجب علينا أن نتذمر على الله، إلا أن الله يسمح لنا بأن نشكو إليه، وإنه لمما يعطي راحة للنفس المثقلة أن تلقي بهمومها إلى صديق أمين ومحب، ومثل هذا الصديق هو الله. أما شكوى أبرام فتتضمن أربعة أمور:

(١) إنه لم يُرزق بنسل (ع ٣).

(٢) وليس من المحتمل أن يُرزق بنسل على الإطلاق، وهذا ما يُستشف من قوله: «وأنا ماضٍ عقيما»، إذ أتقدم في السن، واندفع إلى الهاوية بسرعة.

(٣) من المحتمل أن يحل خدامه في المستقبل محل أولاده، أي يرثونه عوضا عنهم.

(٤) افتقاره إلى ابن كان يُشكل محنة كبيرة له، تفقده الراحة التي يلقاها من أي شيء آخر: الكل لا شيء بالنسبة لي ما لم أُرزق ولدا. ولكن، إذا افترضنا أن أبرام كان في هذا يفكر في النسل الموعود به، فإن إلحاحه في طلبه كان بالأمر الجيد. فكل شيء أمامه باطل، ما لم يُعط تأكيدا في علاقته بالمسيا، الأمر الذي

سبق أن شجعه الله على أن يتطلع إليه. إن كان لي هذا أو ذاك، ولكن ماذا أنتفع لو مضيت بدون المسيح؟

ثانيا: رد الله الكريم على هذه الشكوى.

(١) أعطاه الله وعدا صريحا بأنه سيرزقه ابنا (ع ٤). الذي وُلد في بيتك «لا يرثك» كما تخشى، «بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك».

(٢) لكي يزيده اقتناعا بهذا الوعد، اخرجه خارجا وأراه النجوم ثم قال له: «هكذا يكون نسلك» (ع ٥).

أ. سوف يكون نسله من الكثرة بحيث لا يُعد، فالنجوم بالنسبة للعين العادية تبدو وكأنها لا يمكن عدها: وكان أبرام يخشى بألا يُرزق نسلا على الإطلاق.

ب. سيكون مجيدا جدا يشبه النجوم في البهاء. ذلك أن نسل أبرام بالجسد، سيكون «كتراب الأرض» (تك ١٣: ١٦)، غير أن نسله الروحي سيكونون كنجوم السماء، ليس من حيث الكثرة فحسب، بل من حيث المجد والقيمة البالغة.

ثالثا: إيمان أبرام الراسخ بالوعد الذي أعطاه له الله الآن، وقبول الله هذا الإيمان برضا (ع ٦). وقد مجد الرسول بولس إيمان أبرام هذا، وجعله مثالا ثابتا يُحتذى به، كما قال عنه (رو ٤: ١٩- ٢٢): «لذلك أيضا حُسب له برا». أي إنه على أساس هذا الإيمان صار له قبول لدى الله، ومثل بقية الآباء، فإنه بالإيمان «شُهد له أنه بار» (عب ١١: ٤)، وقد شدد العهد الجديد على إبراز هذا ليثبت أننا نتبرر بالإيمان دون أعمال الناموس (رو ٤: ٣؛ غل ٣: ٦). وكل المؤمنون يتبررون مثل أبرام، وأنه بسبب إيمانه «شُهد له أنه بار».

عدد ٧- ١١

التأكيد الذي أُعطي لأبرام أنه سيرث أرض كنعان.

أولا: أعلن الله قصده فيما يتعلق بذلك (ع ٧). وأولئك الذين على يقين من اهتمام الله بالنسل الموعود، لن يجدوا مبررا للشك في امتلاكهم لأرض الموعد. فإذا كان المسيح لنا، فالسماء ملكنا. فحين آمن بالوعد السابق (ع ٦) هنا وضَّح الله له هذا الوعد وأقره. ولقد ذكَّر الله أبرام هنا بثلاثة أمور بغية تشجيعه، وذلك بشأن الوعد بهذه الأرض الطيبة:

(١) حقيقة ماهية الله: «أنا الرب»، وبمقدوري أن أعطيها لك ناهيك عن أية معارضة، حتى لو كانت من بني عناق. والله ليس كالإنسان الذي كثيرا ما يعطي وعودا تفوق قدرته على الوفاء بها.

(٢) ما الذي عمله لأبرام؟ أخرجه من أور الكلدانيين. وثَمة تقليد يردده كتبة اليهود بأن أبرام طُرح في أتون نار لرفضه عبادة الأوثان، وأنه تم خلاصه بمعجزة. فالله نبع الرحمة، وبداية الرحمة، أعطى رحمة خاصة لأبرام، وعلى ذلك فهو ضامن لعهد الرحمة المتواصلة (إش ٦٦: ٩).

(٣) ما الذي ينتوي أن يعمله له أيضا بخلاف ذلك: لقد أحضرتك إلى هنا لأعطيك «هذه الأرض لترثها»، ليس لتمتلكها أنت فقط، بل لتمتلكها باعتبارها ميراثا لك، وهذا أحلى وأضمن ميراث. والشيء العظيم الذي ينتوي الله عمله في كل معاملاته مع شعبه هو أن يحضرهم سالمين إلى السماء.

ثانيا: طلب أبرام علامة: «بماذا أعلم أني أرثها» (ع ٨).

(١) لتقوية إيمانه وتثبيته: لقد آمن أبرام (ع ٦)، ولكنه هنا يصلي: «أعن يا رب عدم إيماني". وهو يؤمن الآن، ولكنه يطلب علامة لكي يختزنها حتى ساعة التجربة.

(٢) لإقرار الوعد لنسله أيضا، حتى يُعطوا هم أيضا أن يؤمنوا به.

ثالثا: أمر الله أبرام أن يعمل الترتيبات اللازمة لذبيحة، وكان قصده من وراء ذلك أن يعطيه علامة، وقد نفذ أبرام ما طلبه منه الله (ع ٩- ١١). والذين يُعطون تأكيدات خاصة بنعمة الله، ويترسخ إيمانهم، عليهم ممارسة الفرائض التي رسمها الله، وتوقع تقابلهم مع الله فيها. جهَّز أبرام كل ما عيَّنه له الله، مع أنه لم يكن يعرف بعد كيف ستصبح هذه الأشياء علامة له. ولم تكن هذه أول مثالا على طاعة أبرام الكاملة. لقد شطر الحيوانات من المنتصف طبقا للعُرف المتبع عند التصديق على المعاهدات (إر ٣٤: ١٨ و١٩) حيث قيل إنهم قطعوا العجل «إلى اثنين وجازوا بين

قطعتيه». وفيما تأخر ظهور الله ليأخذ ذبيحته، واصل أبرام الانتظار، وازداد رجاؤه نتيجة هذا التأخير، وحين نزلت «الجوارح على الجثث» لتلتهمها «كان أبرام يزجرها» (ع ١١). وحين تنزل الأفكار الباطلة على ذبائحنا مثل هذه الجوارح، علينا أن نطردها، وعلينا أن نعيش باستقامة قلب أمام الرب.

عدد ١٢ – ١٦

الله يكشف لأبرام بشكل كامل وبصفة خاصة عن مقاصده بالنسبة لنسله:

أولا: الوقت الذي فيه جاء إليه الله بهذا الوعد الإلهي: «لما صارت الشمس إلى المغيب»، في وقت تقدمة المساء تقريبا. والله يترك شعبه فترة طويلة في انتظار التعزيات التي سيعطيها لهم، وذلك من أجل تثبيت إيمانهم، غير أنه على الرغم من أن استجابة الصلاة، وتحقيق المواعيد تأتيان على مهل، إلا أنه من المؤكد أن تأتي التعزيات.

ثانيا: التمهيد لهذا الإعلان الإلهي:

(١) «وقع على أبرام سبات»، ليس نوما عاديا بسبب الإجهاد أو الكسل، بل هي حالة استغراق روحي. لقد أُغلقت أبواب الجسد، حتى تصبح النفس في وحدة وعزلة فتتحرك بمزيد من الحرية.

(٢) وصاحب هذا النوم «رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه». وهذه الظلمة العظيمة التي صاحبها رعب، كان القصد منها:

أ. أن ترعب روح أبرام، وتغمره بتوقير مقدس. والخوف المقدس يُعِّد النفس لفرح مقدس. وروح العبودية تفسح الطريق لروح التبني.

ب. ليكون مثالا على معاملات الله مع نسله. عليهم أولا أن يعانوا رعب وظلمة العبودية في مصر، وبعد ذلك يدخلون الأرض الطيبة بفرح.

ثالثا: النبوة نفسها. وقد تم التنبؤ هنا بعدة أمور:

(١) معاناة نسل أبرام لمدة طويلة (ع ١٣). عليه أن يعرف أن نسله الموعود به سوف يكون مضطهدا. ونلاحظ في هذا الصدد:

أ. سمات آلامهم.

◄ سيكونون غرباء. وهكذا فإن ورثة السماء لابد وأن يكونوا أولا غرباء على الأرض.

◄ سوف يُستعبدون. لقد استُعبد الكنعانيون تحت لعنة، أما العبرانيون فأُستعبدوا تحت بركة.

◄ سيعذبون. فالذين يستعبدونهم سوف يذيقونهم العذاب (انظر خر ١: ١١).

ب. استمرارية آلامهم. «أربع مئة سنة». وهذا زمن طويل، غير أنه زمن محدَّد.

(٢) دينونة أعداء نسل أبرام: «الأمة التي يُستعبدون لها (المصريين) أنا أدينها» (ع ١٣). وعلى الرغم من أن الله قد يسمح للمضطهدين والظالمين أن يقمعوا شعبه لفترة طويلة، إلا أنه بكل تأكيد سيحاسبهم في النهاية لأن «يومه آتٍ» (مز ٣٧: ١٢ و١٣).

(٣) خلاص نسل أبرام من العبودية في مصر. تم التنبؤ هنا بهذا الحدث العظيم: «وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة». وقد جاء الوعد هنا متضمنا الآتي:

أ. سيكون عددهم كبيرا جدا. ودمار الظالمين هو خلاص للمظلومين.

ب. سوف يغتنون. فقد اهتم الله ليس بأن يدبر لهم أرضا طيبة يذهبون إليها فقط، بل أيضا أن تكون لهم أغنام ومواشي كثيرة.

(٤) إقامتهم السعيدة في كنعان (ع ١٦). لن يُكتفى بإخراجهم من مصر فحسب، بل «يرجعون إلى ههنا»، و«ههنا» تعني أرض كنعان، والتي:

(٥) يتم فيها موت أبرام ودفنه بسلام، قبل أن تتحقق هذه الأمور (ع ١٥). ويُلاحظ أن الأبرار أحيانا ما يُكرمَون برحيلهم عن هذا العالم وحفظهم من شر آتٍ (إش ٥٧: ١). وليُقنع هذا أبرام، أنه:

أ. سيمضي إلى آبائه «بسلام». ويُلاحظ هنا:

◄ حتى وارثو السماء لن يُستثنوا من ضربة الموت.

◄ الأبرار يموتون وهم راضون، لا يُنتزعون انتزاعا، ولا يُجبرون، بل يمضون بسلام.

◄ عند الموت نمضي إلى آبائنا، آبائنا الأبرار الذين سبقونا إلى حالة البركة (عب ١٢: ٢٣). وقد وُعد أبرام بسلام مادي حتى النهاية. سلام وأمان في أيامه، مهما كان ما سوف يحدث بعد ذلك (٢مل ٢٠: ١٩)، وثَمة سلام مع الله، سلام دائم، من المؤكد أنه سيكون من نصيب كل نسله.

ب. سوف يُدفن «بشيبة صالحة». فلن يموت في

سلام فحسب، بل وفي كرامة أيضا. والعمر الطويل بركة، وفرصة عظيمة لنفع الآخرين.

عدد ١٧ – ٢١

أولا: تم التصديق على العهد (ع ١٧)، وأُعطيت العلامة التي طلبها أبرام:

(١) «تنور» الدخان يشير إلى محنة نسله إبان وجودهم في مصر.

(٢) «مصباح نار»، يشير إلى العزاء خلال هذه المحنة، وهذا ما أراه الله لأبرام، في ذات الوقت الذي أراه فيه «تنور دخان».

أ. فالنور يشير إلى خلاصهم من التنور.

ب. المصباح يشير إلى التوجيهات والإرشادات في الدخان. فكلمة الله كانت مصباحا لهم، وهكذا كانت هذه الكلمة بالنسبة لأبرام، كانت نورا يضيء في مكان معتم.

ج. ومصباح النار يشير إلى هلاك أعدائهم الذين أبقوهم هذه الفترة الطويلة في التنور.

(٣) ومرور هذه «بين تلك القطع» كان تأكيدا للعهد الذي قطعه الله معه الآن. ومن المحتمل أن التنور والمصباح اللذين جازا بين القطع أحرقاها والتهماها، وبذلك تمت الذبيحة، وكان في ذلك شهادة عن قبول الله لها، كما حدث مع جدعون (قض ٦: ٢١).

(٤) وهذا ما يُستشف منه:

أ. تتم عهود الله مع الإنسان بواسطة ذبيحة (مز ١ : ٥)، من خلال المسيح، ذبيحنا العظيم، وليس ثَمة عهد بدون كفارة أو فدية.

ب. قبول الله لذبائحنا الروحية يُعد عهدا لإحسانات متجددة.

ثانيا: تم تكرار العهد وشرحه: «لنسلك أعطي هذه الأرض» (ع ١٨)، ونجد هنا:

(١) إعادة ذكر الهبة. فمواعيد الله هي عطاياه، هكذا يجب اعتبارها. فالملكية مؤكدة، وستتم في الوقت المعين، كما لو أنها قد سُلمت لهم الآن فعلا. فما يعد به الله يُعد أمرا محتما كما لو كان قد تحقق بالفعل، ولذلك قيل: «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية» (يو ٣: ٣٦)، لأنه سيذهب يقينا إلى السماء كما لو كان قد دخلها بالفعل.

(٢) بيان بما قد تم منحه: على غرار ما هو متبع بالنسبة للمنح الخاصة بالأراضي. فقد وُصفت الأرض الموهوبة هنا في أقصى اتساعها، لأنها ستكون رمزا للميراث السمائي، حيث يوجد مكان كاف للجميع: في بيت أبينا «منازل كثيرة».

الأصحاح السادس عشر

هاجر هي الشخصية التي يُختص بذكرها في هذا الأصحاح وتسليط الضوء عليها أكثر من غيرها. وهي امرأة مصرية مغمورة. ولعلها كانت من بين الإماء اللواتي أعطاهن ملك مصر لأبرام (تك ١٢: ١٦).

ونجد في هذا الأصحاح أربعة أمور تخصها:

أولا: زواجها بأبرام سيدها (ع ١– ٣).

ثانيا: سوء سلوكها تجاه سيدتها ساراي (ع ٤– ٦).

ثالثا: حديثها مع ملاك قابلها أثناء هربها (ع ٧– ١٤).

رابعا: ولادتها ابنا (ع ١٥ و١٦).

عدد ١ – ٣

تتضمن هذه الفقرة زواج أبرام من هاجر، التي أصبحت زوجته الثانية. ويبدو أن هذا مرجعه رغبة غير قانونية في التكاثر من أجل سرعة زيادة الناس في العالم. وبالتأكيد لا يجب أن يتم ذلك على هذا النحو الآن، فلقد أعاد المسيح موضوع الزواج إلى الوضع الذي كان عليه في بدايته، وجعل علاقة الزواج قاصرة على رجل واحد وزوجة واحدة فقط.

أولا: ساراي نفسها هي التي رتبت هذه الزيجة. وسياسة الشيطان تعتمد على إغرائنا بواسطة أعز أقاربنا. وكان من الأفضل كثيرا بالنسبة لساراي لو أن أبرام التزم بقاعدة ناموس الرب عوض أن يسير وفق اقتراحات ساراي الحمقاء.

ثانيا: كان الدافع لذلك هو كون ساراي عاقرا: واستندت إلى ذلك كحجة تقنع بها أبرام للزواج من جاريته، وقد تم إقناعه بهذه الحجة، ومن ثَمَّ تزوج هاجر. ولدينا ما يحملنا على الاعتقاد أن امتثال أبرام لاقتراح ساراي مرده الرغبة العارمة في النسل الذي

وُعد به، والذي سينتقل إليه العهد. ذلك أن الله أخبره بأن وريثه سيكون ابنا من أحشائه، ولكنه لم يخبره بعد أن هذا الابن ستلده ساراي، وعلى هذا قال في نفسه: ولماذا لا تكون هاجر ولاسيما أن ساراي نفسها هي التي اقترحت ذلك؟ والحكمة الجسدية، إذ تتعجل الوقت الذي تأتينا فيه رحمة الله فإنها تدفعنا بهذا بعيدا عن طريقه. وكان يمكن أن نسعد بتفادي ذلك لو كنا قد طلبنا مشورة الله بالكلمة وبالصلاة قبل أن نقدم على أمر خطير ومشكوك في صحته.

عدد ٤ – ٦

أولا: العواقب الوخيمة السريعة للزواج التعيس لأبرام من هاجر. فقد نجم عن ذلك ضرر بالغ وعلى نحو من السرعة. وحين لا نحسن التصرف، تكون المتاعب والخطية رابضة عند الباب. وهذا ما نتبينه من هذه القصة.

(١) أُحتُقرت ساراي وهذا ما أثارها وأغضبها (ع ٤). لقد ظنت هاجر أنها أفضل من ساراي، وأن السماء تفضلها عنها، ومن المحتمل أن أبرام يحبها أكثر منها، وعلى ذلك لن تخضع لها كما فعلت في السابق.

(٢) إنه من العدل أن نعاني على أيدي أولئك الذين تورطنا معهم في الخطية، وكان عدلا من الله أن يستخدم – كأدوات لتكديرنا– أولئك الذين استخدمناهم كأدوات لخطيتنا.

ثانيا: أبرام يُلام: فهو لا يستطيع أن يستريح بعد أن أصبحت ساراي سريعة الانفعال والغضب، فقد اتهمته ظلما أنه سبب بليتها (ع ٥). وقد اندفعت ترفع أمرها إلى الله «يقضي الرب بيني وبينك»، كما لو كان أبرام يرفض أن يعاملها بعدل. وحين يسيطر الغضب، يخرج المنطق من الباب لأنه ليس مَنْ يسمع أو مَنْ يتكلم. أولئك الذين يصيحون إلى الله مندفعين في شكواهم ليسوا دائما على حق. فالاندفاع والتهور عادة ما يكون دليل على الإدانة والقضية الخاسرة.

ثالثا: أُذلت هاجر وطُردت من البيت (ع ٦). ولكنها هي التي بدأت التحرشات، وذلك بأن احتقرت سيدتها.

عدد ٧ – ٩

أولا: أول ذكر في الأسفار المقدسة عن ظهور ملاك.

(١) كيف استوقفها الملاك أثناء هروبها (ع ٧). كانت متجهة صوب مصر، بلدها. إنه لأمر طيب إذا ما وجَّهت المحن أنظارنا إلى وطننا السماوي. غير أن هاجر كانت الآن خارج نطاق واجبها، وتتمادى في ضلالها.

(٢) الله يسمح لأولئك الذين حادوا عن الطريق الصحيح بأن يهيموا لفترة ما، وإذ يدركون حماقتهم، يكونون مهيئين بدرجة أكثر للعودة. ولم تُوقف هاجر إلا بعد أن أصبحت في البرية. فالله يأتي بنا إلى البرية وهناك يقابلنا (هو ٢: ١٤).

ثانيا: كيف اختبرها (ع ٨). ومما تجدر ملاحظته:

(١) خاطبها بقوله: «يا هاجر جارية ساراي». فعلى الرغم من أنها كانت زوجة أبرام إلا أنه وصفها بأنها «جارية ساراي»، وذلك لحملها على التواضع. ومما يُلاحظ هنا أنه على الرغم من أن متطلبات اللياقة تدعونا إلى أن نخاطب الآخرين بأعلى ألقابهم، إلا أن التواضع والحكمة يُعلماننا أن نتحدث عن أنفسنا بأقل الأوصاف. وكان من واجب جارية ساراي أن تكون في خيمتها، لا أن تهيم في البرية، أو تتسكع بجوار عين ماء.

(٢) كانت الأسئلة التي وجهها لها الملاك مناسبة ووثيقة الصلة بالموضوع.

أ. «من أين أتيت ؟» اعلمي أنك تهربين من واجبك وخدمتك.

ب. «إلى أين تذهبين ؟» إنك تدفعين بنفسك إلى الخطية في مصر، وإلى الخطر في الصحراء. ويُلاحظ أن الذين يبتعدون عن الله وعن واجبهم يحسنون عملا إذا ما تذكروا ليس فقط من أين سقطوا، بل وإلى أين سيؤدي بهم سقوطهم.

(٣) كانت صادقة في إجابتها، واعترافها: «أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي».

(٤) كيف أعادها بنصيحة مناسبة ورحيمة: «ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها» (ع ٩).

عدد ١٠ – ١٤

لنا أن نفترض أن الملاك إذ قدم لهاجر تلك النصيحة الطيبة (ع ٩) بأن تعود إلى مولاتها، أنها وعدت بأن تعمل ذلك في الحال، وشرعت تعود أدراجها إلى البيت، وحينئذ واصل الملاك تشجيعها بالتأكيد لها أن الله يحتفظ لها ولنسلها بمراحمه، لأن الله يقابل برحمته أولئك الذين يعودون إلى واجبهم. «قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي» (مز ٣٢: ٥).

أولا: نبوة تتعلق بنسلها، أُعطيت لها لتعزيتها في محنتها الراهنة. ويُلاحظ أنها تعزية عظيمة للنساء اللواتي لديهن أطفال ويعرفن أنهن موضع الرعاية الخاصة للعناية الإلهية. وهنا:

(١) أكَّد لها الملاك بأنها ستلد بسلام وأنها ستلد «ابنا»، وهو ما يريده أبرام. وقد أُنقذت أثناء حملها، ليس من قِبل العناية الإلهية وحدها، بل بموجب هذا الوعد أيضا.

(٢) أُعطي اسم لابنها، وكان ذلك بمثابة تكريم لها بقدر ما كان تكريما له «وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع» والسبب هو أن الله قد سمع لمذلتك. وحتى عندما تصدر صرخة إيمان خافتة، فإن إله الرحمة يسمع برأفته صراخ المنكوبين.. فالدموع تتكلم مثلها مثل الصلوات تماما.

(٣) وعدها بنسل كثير (ع ١٠). ويُعتقد أن الأتراك انحدروا من إسماعيل، وهم شعب عظيم. وقد أعطى الملاك أوصافا للطفل الذي تحمله: «يكون إنسانا وحشيا» فظًّا جسورا، لا يخشى إنسانا. وحشيا، لا يلين، يعيش حُرا كما يحلو له، لا يكبح جماحه أحد: «يده على كل واحد»، وهذه هي خطيته، «ويد كل واحد عليه».. وهذه هي العقوبة. والذين يميلون إلى حياة العنف عادة ما تكون حياتهم عامرة بالمتاعب. ومع ذلك، سيعيش في أمان. ويُلاحظ أن كثيرين ممن يتعرضون للخطر نتيجة حماقتهم من الغريب أن عناية الله تحفظهم على الرغم من ذلك، فالله يتعامل معهم بشكل أفضل كثيرا مما يستحقون.

ثانيا: تقدير هاجر وتقواها لظهور الله الكريم لها (ع ١٣ و١٤)، ونلاحظ الآتي في أقوالها:

(١) إعجابها وتبجيلها لقدرة الله على كل شيء، ولعنايته الإلهية، الأمر الذي تبينته في حالتها: «أنت إيل رئي» (أنت الله الذي رآني). وهذا سيكون اسمه بالنسبة لها إلى الأبد. فالله (كما عبر عنه الأقدمون) هو العين التي ترى. والذي يرى الجميع يراني، وهذا ما عبر عنه داود بقوله: «يا رب قد اختبرتني وعرفتني» (مز ١٣٩: ١). وإنه قول مناسب لكل الذين يتوبون– أنت ترى مدى إخلاصي وجديتي في عودتي إليك وتوبتي.

(٢) تعجبها في تواضع من إحسان الله لها: «أههنا أيضا رأيت بعد رؤية». ولعلها لم تكن تعرف مَنْ هو الذي كان يتكلم معها إلا حين همّ بالرحيل عندئذ نظرت إلى ظهره، وهي تفكر مثلما فكَّر تلميذا عمواس (لو ٢٤: ٣١ و٣٢). فالله يتراءى ليس فقط في خيمة أبرام ومذبحه، بل «هنا» أيضا في البرية؟.. هنا، حيث لم أكن أتوقع إطلاقا، وفيما كنت بعيدة عن أداء واجبي؟ كيف هذا يا سيد (يو ١٤: ٢٢).

ثالثا: الاسم الذي أُطلق على المكان بناء على ذلك (ع ١٤): «بئر لحي رُئي» (بئر الحي الذي يراني). وهذا هو المكان الذي أظهر فيه إله المجد عناية خاصة أولاها لامرأة مسكينة في محنتها.

عدد ١٥ و١٦

من المسلَّم به هنا أن هاجر فعلت ما أمرها به الملاك، من حيث العودة لسيدتها، وبعدئذ، عند اكتمال الوقت ولدت ابنها.

الأصحاح السابع عشر

يحتوي هذا الأصحاح على بنود عهد أُتفق عليه وأُبرم بين أبي المراحم من جهة، وأبرام أبي المؤمنين من جهة أخرى. ولذلك دُعي أبرام «خليل الله"، ليس فقط لأنه رجل مشورته، بل لأنه رجل عهده، وكل من هذين السرَين كانا معه. وقد سبق الإشارة إلى هذا العهد في تكوين ١٥: ١٨، ولكنه هنا أُفرغ في صيغة عهد.

ويتضمن هذا الأصحاح:

أولا: الظروف التي صاحبت عقد هذا العهد، الوقت والكيفية (ع ١)، والوضع الذي كان أبرام عليه (ع ٣).

ثانيا: العهد نفسه:

(١) إنه سيكون أبا لجمهور من الأمم (ع ٤، ٦)، وكعلامة على هذا، تم تغيير اسمه (ع ٥).

(٢) الله سيكون إلها له ولنسله، وسوف يعطيهم أرض كنعان (ع ٧ و٨). وكان الختان هو الختم الخاص بهذا الجزء من العهد (ع ٩- ١٤).

(٣) إنه سيُرزق بولد من ساراي، وكعلامة على ذلك تغير اسمها (ع ١٥ و١٦). تسلم إبراهيم هذا الوعد (ع ١٧) والتماسه من جهة إسماعيل (ع ١٨) استجيب (أع ١٩- ٢٢).

ثالثا: ختان أبرام وعائلته طبقا لما طلبه الله (ع ٢٣- ٢٧).

عدد ١ - ٣

أولا: الوقت الذي قام فيه الله بهذه الزيارة الكريمة لأبرام: كان ذلك بعد مرور ثلاث عشرة سنة على ولادة إسماعيل. هناك بعض المراحم الخاصة لأفضل القديسين التي لا تُعطى يوميا بل تُوهب لهم بين آنٍ وآخر. فالسماء تعطيهم طعاما مناسبا، ولكنها لا تعطيهم وليمة دائمة. ونرى هنا كيف طالت المدة قبل أن يتحقق الوعد الخاص بإسحاق. ولعل ذلك كان القصد منه تقويم أبرام بسبب تسرعه المفرط في الزواج من هاجر.

ثانيا: الكيفية التي عقد بها الله هذا العهد معه: «ظهر الرب لأبرام» في سحابة المجد، وهو نوع من الظهور المرئي لمجد الله يشير إلى حضوره.

ثالثا: الوضع الذي اتخذه أبرام في هذه المناسبة: «فسقط... على وجهه» (ع ٣).

(١) كمن غُلب بنور المجد الإلهي.

(٢) كمن خجل من نفسه، إذ يفكر في الأمجاد التي خُلعت عليه ولا يستحقها شخص مثله.

رابعا: الفكرة العامة، وموجز العهد الذي وُضع ليكون الأساس الذي بُني عليه كل شيء، وهو لا يخرج عن أن يكون عهد النعمة الذي لا يزال ساريا بالنسبة لجميع المؤمنين بيسوع المسيح (ع ١).

(١) ماذا نتوقع أن يكون الله بالنسبة لنا: «أنا الله القدير». وقد اختار أن يُعرف بهذا الاسم لأبرام وليس باسمه يهوه (أي الرب، خر ٦: ٣). وقد استخدم هذا الاسم مع يعقوب (تك ٣٥: ١١) وقد دعوه بهذا الاسم (تك ٢٨: ٣؛ ٤٣: ١٤؛ ٤٨: ٣). وبعد موسى كان الاسم يهوه (الرب) هو الأكثر استخداما، أما هذا الاسم: «الله القدير» فكان استخدامه نادرا، وهو يوحي بقوة الله القادر على كل شيء، إما:

أ. كمنتقم، أو:

ب. كمحسن. فهو الله الذي فيه الكفاية، «أنا الله القدير».

(٢) ما الذي يطالبنا الله به: العهد متبادل: «سر أمامي وكن كاملا»، ويُلاحظ هنا:

أ. أن نكون أتقياء معناه أن نسير أمام الله باستقامة. ومعنى هذا أن نكون في داخلنا معه في جميع واجبات العبادة، لأننا عندئذ نكون بصفة خاصة سائرين أمام الله (١صم ٢ : ٣٠). فأنا لا أعرف ديانة سوى الإخلاص.

ب. وسيرنا باستقامة معه هو شرط انتفاعنا بكفايته الكلية.

عدد ٤ - ٦

عهد النعمة هو عهد صنعه الله نفسه، وهو يتمجد فيه (بالنسبة لي) وهذا ما يجب أن يكون عليه الأمر بالنسبة لنا نحن أيضا.

أولا: أُعطي الوعد لأبرام بأنه يكون «أبا لجمهور من الأمم»، وهذا يعني:

(١) نسله بالجسد سيكونون كثيرين جدا.

(٢) كل المؤمنين، في كل جيل، يجب أن يُنظر إليهم كنسله الروحي، وأنه يجب أن يُدعى، ليس فقط خليل الله، بل أبو المؤمنين.

ثانيا: كعلامة على هذا تم تغيير اسمه من أبرام (أي الأب الرفيع) إلى إبراهيم (أبو جمهور). وكان هذا:

(١) بغية تكريمه.

(٢) لتشجيع إيمانه وترسيخه.

عدد ٧- ١٤

نجد هنا:

أولا: استمرارية العهد، والتي تُستشف من ثلاثة أمور:

(١) وُضع بحيث لا يتغير أو يُلغى.

(٢) لم يوضع ليكون عهدا مع إبراهيم وحده، بل مع نسله من بعده، وليس نسله بحسب الجسد فقط، بل نسله الروحي.

(٣) إنه عهد أبدي بالمعنى والمفهوم الإنجيلي، وبحسب شروطه. فعهد النعمة هو عهد أبدي.

ثانيا: مضمون العهد: إنه عهد المواعيد. وهنا وعدان فيهما كل الكفاية:

(١) الله سيكون لهم إلها (ع ٧ و٨). فما يتمتع به الله نفسه سيستخدمه من أجل شعبه: ستكون لهم حكمته لترشدهم وتقدم لهم المشورة، وقوته لتحميهم وتساندهم، وصلاحه ليرعاهم ويريحهم.

(٢) ستكون كنعان مُلكا أبديا لهم (ع ٨). ويجب أن يُنظر إليها باعتبارها رمزا للسعادة السمائية، تلك الراحة الأبدية المحفوظة لشعب الله (عب ٤: ٩). وقد ذُكر هنا أن كنعان هي الأرض التي تغرَّب فيها إبراهيم، أما كنعان السمائية فهي الأرض التي نحن غرباء بالنسبة لها الآن، لأنه «لم يظهر بعد ماذا سنكون».

ثالثا: علامة العهد، هي الختان، والتي من أجلها سُمي العهد نفسه «عهد الختان» (أع ٧: ٨). وسُمي علامة وختما (رو ٤: ١١)، لأنه كان:

(١) تأكيدا لإبراهيم ونسله بالوعود التي كانت تشكل الجانب الخاص بالله في هذا العهد.

أ. وكان الختان فريضة دموية، لأن كل شيء بالناموس كان يتطهر بالدم (عب ٩ : ٢٢ ؛ انظر خروج ٢٤ : ٨). غير أنه نظرا لأن دم المسيح قد سُفك، فقد تم إلغاء كل الفرائض الدموية، ولذلك استُبدل الختان بالمعمودية.

ب. كان مفروضا على الذكور فقط، على الرغم من أن العهد كان يتضمن النساء أيضا، لأن الرجل رأس المرأة.

ج. والذي يجب قطعه هو لحم الغرلة، لأنه من خلال التوالد العادي انتقلت الخطية. وإذ لم يكن المسيح قد قدم نفسه بعد ذبيحة من أجلنا، فقد أراد الله أن يدخل الإنسان في عهد معه بتقديم قطعة من جسده. وهو جزء خفي من الجسد، لأن الختان الحقيقي هو ختان القلب (١كو ١٢: ٢٣ و٢٤).

د. ويجب أن تتم هذه الفريضة بالنسبة للأطفال لمن بلغ ثمانية أيام من عمره.

هـ. وأبناء الغرباء، الذي كان رب الأسرة هو سيدهم ومالكهم الحقيقي، كان يتعين ختانهم (ع ١٢ و١٣)، وكانت هذه فألاً حسنا للأمم، الذين سيُؤتى بهم في الوقت المعيَّن إلى عائلة إبراهيم بالإيمان (انظر غلاطية ٣: ١٤).

و. احتقار الختان كان يُعد احتقارا للعهد، وإذا لم يقم الآباء بختان أطفالهم، كان في ذلك هلاكهم، كما كان الحال بالنسبة لموسى (خر ٤: ٢٤ و٢٥).

عدد ١٥ – ٢٢

أولا: الوعد الذي قُطع لإبراهيم بأنه سيُرزق بابن من ساراي، لأن «أمما وملوك شعوب منها يكونون» (ع ١٦). ومما تجدر ملاحظته:

(١) الله يكشف تدريجيا عن مقاصده الطيبة تجاه شعبه. وكان الله قد أخبر أبرام منذ مدة طويلة مضت بأنه سيُعطى ولدا، ولكنه لم يخبره إطلاقا سوى الآن بأنه سيُرزق بابن من ساراي.

(٢) بركة الرب لها ثمارها ولا يصاحبها حزن، كذلك الحزن الذي اتسمت به حالة هاجر.

(٣) السلطة المدنية والنظام يُشكلان بركة عظيمة للكنيسة. وقد كان الوعد ليس أن «أمما» فقط، بل «وملوك شعوب» سيأتون منها، ليس رعاعا لا يحكمهم أحد، بل مجتمعا منظما ومحكوما بشكل جيد.

ثانيا: التصديق على هذا الوعد تمثل في تغيير اسم «ساراي» إلى «سارة» (ع ١٥). و«ساراي» تعني أميرتي، كما لو أن كرامتها تقتصر على عائلة واحدة فقط، أما «سارة» فتعني أميرة أي لجماهير كثيرة.

ثالثا: قبول إبراهيم هذا الوعد الكريم بفرح وشكر (ع ١٧). وقد أظهر في هذه المناسبة الآتي:

(١) تواضع عظيم: «فسقط إبراهيم على وجهه».

(٢) فرح عظيم: «وضحك». كان الضحك الذي ينم عن البهجة وليس عدم الثقة. وهناك فرح الإيمان كما أن هناك فرح تحقيق الآمال.

(٣) اندهاش عظيم: «هل يُولد لابن مئة سنة؟»

رابعا: صلاة إبراهيم من أجل إسماعيل: «ليت إسماعيل يعيش أمامك» (ع ١٨). ولم يقل هذا كما لو كان يرغب في أن يتقدم إسماعيل على الابن الذي سيُرزق به من سارة، بل، لأنه خاف لئلا يتخلى الله عنه ويهمله. وعلى الرغم من أنه لا ينبغي علينا أن نملي على الله ما نريده، إلا أنه يأذن لنا في الصلاة لأن نتحدث معه بتواضع وصراحة، ولاسيما من ناحية الإفصاح عن طلباتنا (في ٤: ٦). وإنه من واجب الآباء أن يُصلوا من أجل كل أولادهم، مثلما فعل أيوب، الذي قدم محرقات بعدد أولاده كلهم (أي ١: ٥). وأعظم شيء نطلبه من الله من أجل أولادنا هو أن يعيشوا أمامه، أي أن يحفظوا العهد معه، وأن يعطيهم نعمة ليسيروا أمامه باستقامة.

خامسا: استجابة الله لصلاته، وقد كانت استجابة سلام.

(١) ضُمنت البركات العامة لإسماعيل (ع ٢٠): «وأما إسماعيل»، الذي أنت في غاية القلق عليه، «فقد سمعت لك فيه»، سيجد نعمة بسببك: «ها أنا أباركه»، وستكون ذريته كثيرة العدد «وأثمره وأكثره كثيرا جدا»، بأكثر من جيرانه. سيكون عددهم كبيرا للغاية: «اثني عشر رئيسا يلد».

(٢) حُفظت بركات العهد لإسحاق، وخُصصت له (ع ١٩، ٢١).

أ. كرر له الله الوعد بأن يعطه ابنا من سارة.

ب. أعطي الطفل اسما– «وتدعوا اسمه إسحاق» (أي ضحك) لأن إبراهيم ابتهج بالروح حين تلقى الوعد بهذا الابن. ومراحم الله الموعود بها ستكون في الوقت المناسب محل فرحنا العظيم. وسوف يكون المسيح موضع بهجة كل الذين يسعون إليه.

ج. جعل هذا الابن وارثا للعهد.

عدد ٢٣ – ٢٧

نجد هنا إطاعة إبراهيم لناموس الختان. فهو نفسه وكذلك جميع أفراد عائلته تم ختانهم، وبذلك حصلوا على علامة العهد وميزوا أنفسهم عن العائلات الأخرى، الذين ليس لهم قسم أو نصيب في العهد.

(١) كانت طاعة كاملة.

(٢) وطاعة فورية: «في ذلك اليوم عينه» (ع ٢٣، ٢٦). فالطاعة المخلصة لا تعرف البطء (مز ١١٩: ٦٠).

(٣) كانت طاعة شاملة. فلم يختن أفراد عائلته ويستثني نفسه، بل كان لهم قدوة. بورك إسماعيل، ومن ثَمَّ تم ختانه.

الأصحاح الثامن عشر

يتضمن هذا الأصحاح لقاء آخر بين الله وإبراهيم. ونجد هنا:

أولا: الزيارة الطيبة التي قام بها الله له.

ثانيا: الموضوعات التي تحدثا عنها:

(١) مقاصد محبة الله بالنسبة لسارة (ع ٩– ١٥).

(٢) مقاصد الله من غضبه على سدوم:

أ. الإعلان الإلهي لإبراهيم بأن الله سيهلك سدوم (ع ١٦ – ٢٢).

ب. شفاعة إبراهيم من أجل سدوم (ع ٢٣ – ٣٣).

عدد ١ – ٨

يبدو أن ظهور الله لإبراهيم على هذا النحو اتسم بالمودة والصراحة، وعلى ذلك كان يرمز إلى الزيارة العظيمة التي كان مزمعا أن يقوم بها الكلمة الأزلي حين يأخذ جسدا ويظهر كواحد منا.

أولا: كيف كان إبراهيم يترقب الغرباء، وكيف أُجيب ترقبه بغنى (ع ١). والله بكرمه يزور أولئك الذين سبق أن توقعوا زيارته. والذين كانوا راغبين في استضافة الغرباء، استضافوا ملائكة، الأمر الذي كان من دواعي شرفهم وترضيتهم التي لا توصف. وحين لا نرى داعي لتوقع الشر، فإن المحبة تعلمنا أن نتوقع خيرا، وأن نظهر محبتنا على أساس ذلك.

ثانيا: كيف استضاف إبراهيم هؤلاء الغرباء، وكيف تقبلوا ضيافته بامتنان. وإذ نسي شيخوخته وهيبته، فقد «ركض لاستقبالهم» بكل حفاوة وكرم. والديانة لا توهن السلوك الحسن بل تدعمه، وتُعلمنا إكرام كل الناس. ويليق بأولئك الذين أفاض الله عليهم من بركاته

أن يكونوا أسخياء كرماء. وعلى الرغم من أن استضافته لهم جاءت سخية جدا، إلا أنها تميزت بالبساطة والبعد عن التكلف. وما كانت غرفة الطعام سوى مكان ظليل تحت شجرة. أما وليمته فكانت تتكون من قطع من فخذ عجل مشوي وبعض الفطير. ولا نجد هنا ترفا ومبالغة، بل مجرد طعام جيد وبسيط وصحي، على الرغم من أن إبراهيم كان غنيا جدا، وكان ضيوفه غاية في الاحترام. وقد بذل هو وزوجته كل جهد لكي يقدما لضيوفهما أفضل ما عندهما. وقامت سارة بنفسها بعملية الطهي والخبز، أما إبراهيم فقد أسرع يحضر العجل واللبن والزبد، ولم يعتبرها تقليلا من شأنه أن يقوم بنفسه على خدمة ضيوفه وهم على المائدة. والصداقة التي من القلب تخضع لأي شيء ما خلا الخطية وحدها. وقد علّمنا المسيح نفسه أن نغسل أرجل بعضنا البعض، في تواضع ومحبة.

عدد ٩ – ١٥

قابل هؤلاء الضيوف السمائيون محبته بمحبة. لقد استضاف ملائكة، فكانت له مكافأة ملائكية، وهي رسالة كريمة من السماء (مت ١٠: ٤١).

أولا: أُخذ في الحسبان أن تكون سارة على مرمى السمع. فالنساء لم تكن تجلس على المائدة مع الرجال، ولاسيما مع الغرباء، بل كن يبقين في حجرتهن، ولذلك لم يكن الضيوف هنا يرون سارة، غير أنه لا يجب أن تكون بعيدة عن سماعهم. قالت الملائكة: «أين سارة امرأتك؟» أجاب إبراهيم: «هي في الخيمة»، وأين عساها تكون إلا هناك؟ هي هناك حيث مكانها المعتاد. وأكثر الناس توقعا لنوال تعزية الله ومواعيده هم الذين يوجدون في مكانهم الصحيح، ويراعون واجبهم (لو ٢: ٨).

ثانيا: تم تجديد العهد والتصديق عليه فيما يختص بأنها ستُرزق ابنا (ع ١٠)، ومما تجدر ملاحظته:

(١) نفس البركات التي يحصل عليها الآخرون من العناية الإلهية المألوفة يحصل عليها المؤمنون بناء على العهد، الأمر الذي يضفي عليها حلاوة ويقينية.

(٢) نسل إبراهيم الروحي، يدينون بحياتهم وفرحهم ورجائهم، وبكل شيء إلى الوعد. فقد وُلدوا بكلمة الله (١ بط ١: ٢٣).

ثالثا: اعتبرت سارة هذه الأخبار أعظم من أن تكون حقيقية، ومن ثَمَّ لم يطاوعها قلبها على تصديقها. «فضحكت سارة في باطنها» (ع ١٢) وهو ضحك ينم عن الشك وعدم الثقة. والاعتراض الكبير الذي لم تستطع سارة أن تتغلب عليه هو سنها: «أبعد فنائي...»، لقد بلغت السن التي لا يمكن أن تنجب امرأة عندها. وما هو مستحيل بين الناس كثيرا ما يعترض طريقهم في تصديق وعد الله؛ لأنه من الصعب التمسك بالقضية الأساسية مادامت القضية الثانوية بعيدة المنال.

رابعا: وبخ الملاك التعبيرات غير اللائقة التي تنم عن عدم ثقتها (ع ١٣ و١٤). وقد كان توبيخ الله لسارة من خلال إبراهيم زوجها. فقد قال له: «لماذا ضحكت سارة؟» فعدم إيماننا، وافتقارنا إلى الثقة يشكلان إهانة لرب السماء. وهو يستاء– بعدلٍ– من استنادنا إلى اعتراض حواسنا، في معارضة وعده مثلما جاء في لوقا ١: ١٨. «هل يستحيل على الرب شيء؟»

خامسا: حاولت سارة بغباء أن تخفي خطئها (ع ١٥): «فأنكرت سارة قائلة لم أضحك»، ولقد كذبت «لأنها خافت». ويبدو أن سارة تراجعت عن عدم ثقتها. لقد أدركت الآن، بعد تفكير وترو أن الأمر يتضمن وعدا إلهيا كان قد أُعطي لها، وبذلك نبذت كل فكر من شأنه أن يحملها على الشك وعدم الثقة في هذا الوعد. ومع ذلك ارتكبت محاولة خاطئة حين حاولت أن تغطي الخطية بكذبة. إنه لمما يشيننا أن نرتكب الخطأ، غير أن الأكثر مدعاة للخزي هو إنكار هذا الخطأ.

عدد ١٦ – ٢٢

أنجز رسل السماء الآن جزءا من عملهم، والذي تمثل في مهمة مباركة لإبراهيم وسارة، أما الآن، فأمامهم عمل من نوع آخر، عليهم أن يدمّروا سدوم.

أولا: الإكرام الذي أبداه إبراهيم نحو ضيوفه: «وكان إبراهيم ماشيا معهم ليُشيعهم»، كما لو كان

يعز عليه أن يفترق عن هذه الصحبة الطيبة، وكان يود أن يظهر لهم عظيم احترامه.

ثانيا: الشرف الذي أولوه إياه، لأن الذين يكرمون الله، فإن الله بدوره يكرمهم. لقد أخبر الله إبراهيم عن عزمه تدمير سدوم.

(١) ولكن لماذا يستشير الله إبراهيم؟ يقول اليهود إن ذلك مرجعه أن الله منح أرض كنعان لإبراهيم ونسله، وعلى ذلك لم يود أن يدمر تلك المدن التي تشكل جزءا من هذه الأرض دون معرفة إبراهيم بالأمر وموافقته عليه. غير أن الله يذكر هنا سببين لذلك:

أ. يجب أن يُعرِّف إبراهيم لأنه خليل الله المحبوب. والذين بالإيمان يحيون حياة الشركة مع الله لابد وأن يعرفوا مقاصده بأكثر مما يعرفها الآخرون. ذلك لأن لهم بصيرة أفضل من الآخرين بما يجري في الوقت الراهن (مز ١٠٧ : ٤٣؛ هو ١٤ : ٩) ونظرة أفضل بما هو مزمع أن يأتي.

ب. كان لابد أن يعرف إبراهيم لكي يُعلم أهل بيته. والذين يتوقعون بركات لعائلتهم عليهم أن يضعوا في قلوبهم إتمام واجبهم العائلي. وإذا كان أولادنا للرب، فيجب أن يُربُوا من أجله، وإذا ما تميزوا بعلاماته المميِّزة، فيتعين تدريبهم على عمله. ولقد عمل إبراهيم على أن يكون شغله الشاغل هو تنمية الديانة العملية في عائلته. فلم يملأ عقولهم بموضوعات التأمل، أو المجاملات المشكوك فيها، بل علَّمهم «أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا»، بمعنى أن يكونوا جادين ومخلصين في عبادة الله، وأن يكونوا أمناء في معاملتهم مع كل الناس. وكان إبراهيم مهتما بأن يحفظ أهل بيته من بعده طريق الرب، وأن تزدهر الديانة في عائلته بعد أن يطويه القبر.

(٢) حديث الله الودي مع إبراهيم. وقد أخبره بالدليل الذي لديه ضد سدوم. ذلك أن بعض الخطايا، وخطايا بعض الخطاة تصرخ إلى السماء طالبة الانتقام. وثَمة أناس يميلون إلى القول بأن طريقه ليس عادلا، وعلى هؤلاء أن يعرفوا أن دينوناته ما هي إلا نتيجة مشورة أزلية، وليس بها على الإطلاق ظل من التهور أو الاندفاع. وربما أُشير إلى الحكم المذكور هنا على أنه لم يصبح جازما بعد، حتى يشجع إبراهيم ويفسح له مجال الشفاعة من أجلهم. وهكذا تطلع الله ليرى ما إذا كان هناك شفيع (إش ٥٩: ١٦).

عدد ٢٣ – ٣٣

تُحفظ الشركة مع الله من خلال الكلمة والصلاة. ذلك أن الله يكلمنا من خلال الكلمة، أما في الصلاة فنحن الذين نكلمه. لقد كشف الله لإبراهيم عن مقاصده بالنسبة لسدوم، ومن هذا المنطلق انتهز إبراهيم الفرصة ليتضرع إلى الله من أجل سدوم. ويُلاحظ هنا أن كلمة الله تصنع معنا خيرا حين تعطينا مادة للصلاة وتحفزنا عليها.

أولا: خطورة كلام إبراهيم مع الله في هذه المناسبة: «فتقدم إبراهيم» (ع ٢٣). وهذا التعبير يُفهم منه:

(١) اهتمام مقدس: لأنه «أرهن قلبه» ليدنوا إلى الله (إر ٣٠: ٢١).

(٢) ثقة مقدسة: لأنه تقدم إليه في يقين الإيمان.

ثانيا: القصد العام من صلاته: وهذه أول صلاة مهيبة سجلها الكتاب المقدس، وكانت من أجل الإبقاء على سدوم. وعلى الرغم من أنه يجب علينا كراهية الخطية، إلا أننا يجب أن نشفق على الخطاة ونصلي من أجلهم. فالله لا يُسر بموت الخطاة، وهذا ما يجب أن يكون عليه مواقفنا تجاههم.

(١) بدأ بصلاة من أجل نجاة الأبرار الذين بينهم، وكان في ذهنه بصفة خاصة لوط البار.

(٢) طور من صلاته وجعلها التماسا من أجل نجاة الجميع إكراما للأبرار الذين بينهم. وقد ارتضى الله نفسه بهذا الرجاء.

ثالثا: الفضائل الخاصة التي تبرزها هذه الصلاة:

(١) نرى هنا إيمانا عظيما، وصلاة الإيمان هي الصلاة المستجابة.

أ. نلاحظ هنا:

◄ الأبرار مختلطون مع الأشرار في هذا العالم. وعادة ما تجد بعض الأشرار بين خيار الناس، كما تجد بعض الصالحين بين أسوأهم، فحتى في سدوم، كان هناك لوط.

◄ على الرغم من أن الأبرار قد يكونون وسط

الأشرار، إلا أنه من المؤكد أن الله العادل لن يهلك البار مع الأثيم.

ب. إن البار لن يكون كالأثيم (ع ٢٥). على الرغم من أنهم قد يعانون معهم، إلا أنهم لا يعانون مثلهم.

(٢) نجد هنا اتضاعا عظيما.

أ. شعور عميق بعدم استحقاقه (ع ٢٧): «إني قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد»، وقد تكرر ذلك في آية ٣١. وهو هنا يتحدث كشخص يُعجب من جرأته. ويُلاحظ هنا كيف أنه متاح لنا التقدم إلى عرش النعمة، كما أن حرية الكلام متاحة لنا، الأمر الذي كان محل دهشة كبيرة (٢صم ٧ : ١٨).

ب. خوف رهيب من إغضاب الله. غير أن الذي نتعامل معه هو إله وليس إنسانا، ومهما بدا لنا، إلا أنه لا يغضب في الحقيقة من صلوات المستقيمين (مز ٨٠: ٤)، لأن «صلاة المستقيمين مرضاته» (أم ١٥ : ٨) وهو يُسر حينما نجاهد معه.

(٣) نجد هنا محبة عظيمة:

أ. فكرة طيبة عن طباع سدوم: فعلى الرغم من شرها، إلا أنه كان يعتقد بوجود بعض الأبرار فيها. وحري بنا أن نحسن الظن حتى بالنسبة لأسوأ الأماكن. ومن بين هذين الخيارين، من الأفضل أن نخطئ بحسن ظنوننا.

ب. رغبة صادقة من أجل خير سدوم: لقد استخدم كل دالته لدى عرش النعمة من أجل رحمتهم.

(٤) هنا نرى جرأة عظيمة، وإيمانا واثقا. وإذا فُرض أنه كان هناك خمسون (ع ٢٤). وكان يتقدم في الحصول على تنازل تلو الآخر معتمدا على قبول الله لذلك.

رابعا: نجاح صلاته. وتظهر مقاصد الله الصالحة في أنه وافق على أن يبقي الأشرار من أجل الأبرار. وهنا نرى كيف أن الصالحين يكونون بركة عظيمة لأي مكان يتواجدون فيه. وقد ظهرت محبته الخاصة لإبراهيم في أنه لم يتوقف عن إجابته إلى طلبه إلا بعد أن توقف إبراهيم عن الطلب. وهذه هي قوة الصلاة.

الأصحاح التاسع عشر

يتضمن هذا الأصحاح قصة هلاك سدوم، وإنقاذ لوط من هذا الهلاك. نقرأ في الأصحاح الثامن عشر عن مجيء الله ليلقي نظرة على الحالة الحاضرة لسدوم. أما هنا فنرى نتيجة هذا الاستطلاع.

أولا: اكتُشف بعد الاختبار أن لوطا رجل صالح (ع ١-٣)، ولم يظهر ما يبين أنه كان هناك مثله في سدوم.

ثانيا: تبين أن أهل سدوم كانوا أشرارا جدا (ع ٤ - ١١).

ثالثا: أولى اهتمام خاص لإنقاذ لوط وعائلته، ونقلهم إلى مكان آمن (ع ١٢- ٢٣).

رابعا: انتصرت الرحمة، وأظهرت العدالة نفسها في هلاك سدوم وموت زوجة لوط (ع ٢٤- ٢٦)، مع تكرار عام للقصة (ع ٢٧- ٢٩).

خامسا: خطية بشعة لصقت بلوط (ع ٣٠ - ٣٨).

عدد ١ - ٣

(١) لم يكن في سدوم سوى رجل صالح واحد، وسرعان ما وجده هذان الملاكان.

(٢) تميَّز لوط تماما عن بقية جيرانه في ذلك الحين، الأمر الذي يُحسب له. والذي لا يسلك مثل الآخرين لا يجب أن يعاني مثلهم.

أ. كان لوط جالسا عند باب سدوم في المساء.

ب. كان مضيافا، وسخيا وكريما في دعواته وضيافاته. لقد استضاف هذين الغريبين في بيته، وفي أفضل مكان لديه، وقدم لهما كل الدلائل التي تثبت إخلاصه. فحين قبل الملاكان ضيافته، عاملهما بكل نبل وشهامة. لاحظ أن الأتقياء يجب أن يتصفوا بالكرم والسخاء.

عدد ٤ - ١١

وقد ظهر الآن، ودون أي مجال للشك، أن صرخة سدوم العالية لم تكن أعلى من مسبباتها:

أولا: كان الجميع أشرارا (ع ٤)، فقد عم الشر بينهم وكانوا مُتفقين في أي تدبير شرير.

ثانيا: بلغوا أوج درجات شرهم: «وكان أهل سدوم أشرار وخطاة لدى الرب جدا» (تك ١٣: ١٣)، وذلك لأنهم كانوا بصدد أبشع وأشر الأعمال غير

الطبيعية، وأعظمها شناعة وشرا. وفي اللغة الإنجليزية تحمل اسم هذه الخطية اسم مدينة سدوم (Sadomy) أي «اللواط" أو مضاجعة الذكور. وأولئك الذين تبلغ بهم هذه الدرجة من الفجور، ثبت أنه بصفة عامة لا تُرجى توبتهم عنها، وسوف تؤدي بهم إلى هلاكهم. والذين تقست قلوبهم فعلا هم الذين يرتكبون الخطية عنوة ودونما خجل (إر ٦: ١٥). وحين تدخل لوط بكل لطف يمكن تصوره، ولكي يكبح ثورة وجموح شهوتهم، كانوا في أبشع درجات الوقاحة والإساءة إليه. وإذ انزعج لأقصى درجة نتيجة محاولتهم الشريرة الآثمة، فإنه بتسرع وطيش ودون مبرر عرض أن يقدم لهم ابنتيه (ع ٨). حقا، إنه إذا اقتضى الأمر علينا أن نختار أهون الضررين، غير أنه لا يجب المفاضلة بين خطيتين، ولا نعمل الشر إطلاقا آملين خيرا من وراء ذلك. لقد هددوه، وأمسكوه بعنف وشر.

ثالثا: ليس أقل من قوة ملاك كانت يمكن أن تنقذ رجل صالح من قبضتهم:

(١) أنقذا لوطا (ع ١٠). والقديسون –عند الموت– سوف يُجذبون –مثلما حدث مع لوط– إلى بيت آمن تماما، وسوف يُغلق الباب إلى الأبد في وجه مَنْ يطاردونهم.

(٢) قاما بتأديب أهل سدوم لوقاحتهم: «فضرباهم بالعمى» (ع ١١). ومع ذلك استمر أهل سدوم حتى بعد أن ضُربوا بالعمى، في البحث عن الباب بغية تحطيمه، حتى تعبوا. وليس ثَمة عقوبات –في حد ذاتها– يمكنها أن تغير من طبيعة الأشرار أو مقاصدهم. ولو لم يصب العمى بصيرتهم كما أصاب أبصارهم، لكانوا –على غرار السحرة– قد قالوا: «هذا أصبع الله»، ولرجعوا عن شرهم.

عدد ١٢ – ١٤

تتضمن هذه الفقرة الإعداد لخلاص لوط.

أولا: أُعطي إنذارا بقرب هلاك سدوم: «لأننا مهلكان هذا المكان» (ع ١٣).

ثانيا: طُلب منه أن يحذر أصدقاءه وأقاربه، حتى إذا رغبوا، يمكنهم أن ينجوا معه (ع ١٢). ويُلاحظ أنه من واجب أولئك الذين نالوا الخلاص بالنعمة من حالة الخطية، أن يبذلوا قصارى جهدهم من أجل خلاص الآخرين ولاسيما أقاربهم. عرضا خدمة عظيمة، سألاه عن أقاربه الذين هناك حتى يُنقذوا معه سواء كانوا أبرارا أم لا. وجدير بالملاحظة أن الأشرار في هذا العالم كثيرا ما ينالون خيرا من أجل أقاربهم الأبرار. إنه لأمر طيب أن تكون قريبا لرجل صالح.

ثالثا: كلم أصهاره بناء على ذلك (ع ١٤)، ومما تجدر ملاحظته:

(١) التحذير العادل الذي وجهه لهم لوط: «قوموا اخرجوا من هذا المكان».

(٢) الكيفية التي استخفوا بها بهذا التحذير: «فكان كمازح». لقد ظنوا أنه ربما بسبب الهجوم الذي شنه أهل سدوم على بيته، فقد اختل عقله. والذين عاشوا حياة الهزل والاستهتار، مستخِفين بكل شيء، اتخذوا هذا التحذير على سبيل المزاح، وبذلك هلكوا حين أُطيح بالمدينة.

عدد ١٥ – ٢٣

نجد هنا:

أولا: إنقاذ لوط وإخراجه من سدوم (حز ١٤: ١٤). ذلك أن ضيفيه بدافع من العطف عليه قاما في الصباح الباكر وأخرجاه هو وعائلته من بيته (ع ١٥). أما بناته المتزوجات فقد هلكن مع أزواجهن غير المؤمنين، غير أن الذين لازموه، نجوا معه.

(١) كيف أُخرج لوط من سدوم بشدة مع شفقة (ع ١٦). ويبدو أنه لم يسرع بالقدر المطلوب. وكان سيهلك لو أن الملاكين لم يمسكا بيده... «وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة»، وأنقذاه بالخوف (يه ٢٣). وخلاص أقدس الأبرار يجب أن يستند إلى رحمة الله، وليس لاستحقاقهم. فنحن بالنعمة مُخلَّصون.

(٢) كيف أنه تم حثه بكل قوة على أن يسرع ويهرب بحياته بعد أن «أخرجاه» (ع ١٧). لا يجب عليه أن يشتاق إلى سدوم: «لا تنظر إلى ورائك». ولا ينبغي أن يتلكأ في الطريق: «ولا تقف في كل الدائرة». وعليه ألا يتوانى عن الذهاب إلى المأوى الذي عُيِّن له لكي يحتمي به: «اهرب إلى الجبل». ومثل هذه الأوامر هي التي تُعطى لأولئك الذين يخلصون بالنعمة

من حالة الخطية:

أ. لا تعود إلى الخطية والشيطان، لأن هذا معناه أنك تنظر وراءك إلى سدوم.

ب. لا ترتكن على نفسك والعالم، لأن هذا معناه الوقوف في كل الدائرة.

ج. التجأ إلى المسيح والسماء، لأن هذا هو الهرب إلى الجبل، وهو أمر لا ينبغي التفريط فيه.

ثانيا: تحديد مكان يلجأ إليه. عُين له الجبل في البداية لكي يهرب إليه، غير أنه:

(١) التمس أن يلجأ إلى مدينة، وهي إحدى المدن الخمس التي تقع معا، وتُسمى «بالع» (تك ١٤: ٢، ٨- ١٢). وكان من ضعف لوط أن يظن أن المدينة التي يختارها هو يمكن أن تكون أكثر أمنا من الجبل الذي عيَّنه الله. وذاك الذي أنقذه من شرور أفظع، أليس بمقدوره أن ينجيه من خطر أقل؟ وقد ركز كثيرا في التماسه على صغر المكان «وهي صغيرة... أليست هي صغيرة؟» وهذا ما خلع اسما جديدا على المكان، فسميت «صوغر»، أي صغيرة.

(٢) منحه الله سؤله، على الرغم مما يعتريه من ضعف شديد (ع ٢١ و٢٢). وهنا نرى الإحسان الذي يظهره الله على قديس حقيقي، حتى في ضعفه. تم الإبقاء على صوغر من أجله.

ثالثا: لوحظ أن شروق الشمس واكب دخول لوط إلى صوغر، لأنه حين يحل رجل صالح في مكان، فهو يجلب النور معه، أو أن هذا ما يجب أن يفعله.

عدد ٢٤- ٢٥

«وإذ» دخل لوط بسلام إلى صوغر، هنا جاء هذا الهلاك على سدوم. لأن الصالحين يُبعدون عن الشر الآتي. «وإذ أشرقت الشمس» صافية ساطعة، تعطي الأمل بيوم جميل. هنا هبت هذه العاصفة، الممطرة لتوضح أن الهلاك ليس مرده أسبابا طبيعية. وكانت عقوبة غريبة (أي ٣١: ٣). فلم يسبق أن كان لها مثيل من قبل ولا من بعد. وكانت دينونة أهلكت الزرع والضرع: «قَلَبَ تلك المدن»، وأُهلك كل سكانها، وكل الدائرة ونبات الأرض (ع ٢٥). كان الخراب شاملا وغير قابل للإصلاح. ومنذ ذلك الحين وحتى الآن أصبح ذلك الوادي الخصيب بحيرة عظيمة، أو بحرا ميتا، وسُمي «بحر الملح» (عد ٣٤: ١٢). وطوله ثلاثون ميلا وعرضه عشرة أميال، وليس به أي كائن حي، ولا تُحركه الرياح، ورائحته كريهة، ولا تغرق فيه الأشياء بسهولة. ويسميه اليونانيون «بحر الأسفلت" لأنه يقذف بنوع من الزفت. ويصب الأردن فيه، ويضيع هناك. وكانت عقوبة تتناسب مع خطيتهم. فأولئك الذين سعوا وراء شهوة غريبة، هلكوا بنار غريبة (يه ٧). وكثيرا ما يُشار إلى هذا الحدث في الأسفار المقدسة، وجُعل نموذجا لهلاك إسرائيل (تث ٢٩: ٢٣)، وبابل (إش ١٣: ١٩)، وأدوم (إر ٤٩: ١٨) وموآب وبني عمون (صف ٢: ٩).

عدد ٢٦

وكُتبت هذه أيضا من أجل إنذارنا. وقد أشار مخلصنا إليها (لو ١٧: ٣٢): «اذكروا امرأة لوط». لأنه كما أن ما حدث لسدوم اتُخذ مثالا لتحذير الأشرار لكي يرجعوا عن شرهم، هكذا حُذر الأبرار أيضا بمثال امرأة لوط حتى لا يرجعوا عن برِّهم (انظر حزقيال ٣: ١٨، ٢٠).

أولا: خطية امرأة لوط: «ونظرت... من ورائه». لقد عصت أمرا صريحا. ولعلها كانت تتلهف على بيتها وأمتعتها في سدوم، وكانت حزينة لتركها. وأشار المسيح إلى خطيتها (لو ١٧: ٣١ و٣٢) فقد أولت مقتنياتها اهتماما أكثر من اللازم. ذلك أن قيامها بالنظر إلى الوراء يبيِّن ميلها للرجوع ثانية، ولذلك استخدمها مخلصنا كتحذير ضد الارتداد عن إيماننا المسيحي. لقد رفضنا العالم والجسد، ووجهنا عيوننا تجاه السماء، ونحن الآن في السهل، في فترة اختبار، وسوف يكون هلاكنا محتما إذا ما رجعنا إلى الأمور التي أعلنَّا تركها.

ثانيا: عقوبة امرأة لوط بسبب خطيتها: على الرغم من أنها كانت مثالا للرحمة الفائقة حين أُنقذت من الهلاك في سدوم، إلا أن الله لم يغفر لها عصيانها. وحيث إنه أمر خطير أن ننظر إلى الوراء، فعلينا إذًا أن نمتد إلى قدام (في ٣: ١٣ و١٤).

عدد ٢٧- ٢٩

أولا: نرى هنا علاقة إبراهيم التقوية بالله في هذا

الحدث. فقد «بكر إبراهيم في الغد» لكي يتطلع إلى سدوم، وليشير إلى أن غرضه من ذلك هو أن يرى ماذا تم بشأن صلاته. ونحن يجب أن نوجه صلاتنا كخطاب، ثم نتطلع إلى إجابة، ونوجه صلواتنا كسهام، ثم ننظر إلى فوق لنرى ما إذا كانت قد أصابت الهدف (مز ٥: ٣).

ثانيا: نرى هنا مدى عناية الله واستجابته لصلاة إبراهيم (ع ٢٩). وكما حدث في السابق حين صلى إبراهيم من أجل إسماعيل، استمع له الله بالنسبة لإسحاق، وحين صلى من أجل سدوم استمع له من جهة لوط. «ذكر إبراهيم»، ومن أجله «أرسل لوطا من وسط الانقلاب». ويُلاحظ أن الله لابد وأن يستجيب لصلاة الإيمان، بطريقته الخاصة وفي الوقت الذي يختاره، على الرغم من أنه سيبدو لنا لفترة ما أن صلاتنا قد نُسيت، لكن سيظهر إن عاجلا أم آجلا أن الله يتذكرها.

عدد ٣٠- ٣٨

أولا: المتاعب العظيمة والمحنة التي واجهت لوطا بعد خلاصه (ع ٣٠).

(١) خاف من صوغر، ولم يجد جرأة على السكنى هناك، ولعل ذلك لأنه وجدها شريرة مثل سدوم، ومن ثَمَّ استنتج أنها لن تدوم طويلا. ويُلاحظ أن أي مقر إقامة أو ملاذ نختاره نحن، بمعزل عن الله، عادة ما يثبت أنه يسبب اضطرابنا وانزعاجنا.

(٢) أُجبر على التوجه إلى الجبل، وأن يسكن مغارة هناك. ومما تجدر ملاحظته هنا:

أ. كان سعيدا الآن بذهابه إلى الجبل، وهو المكان الذي عينه له الله لكي يلتجئ إليه.

ب. وذاك الذي منذ فترة وجيزة لم يكن يجد مكانا كافيا يسعه ومواشيه في الأرض كلها، ودخل في نزاع مع إبراهيم، وابتعد عنه إلى أقصى ما أمكنه، نراه الآن محصورا في شق في الجبل يكاد لا يجد فيه مكانا ليتحرك، هناك كان في عزلته يرتعد خوفا.

ثانيا: الخطية العظيمة التي ارتكبها لوط وبنتاه، حين كانوا في هذا المكان المنعزل. وهذه واقعة مفجعة:

(١) دبرت بنتاه مؤامرة شريرة لتجراه إلى الخطية، ولا ريب أن خطيتهما كانت أفدح.

أ. البعض يعتقد أن ذريعتهما كانت مقبولة. فلم يكن لأبيهما نسل، ولم يكن لهما أزواج، بل ولم تكونا تعرفان أين ستحصلان على نسل مقدس، في حين إنهما إذا رزقتا بأولاد من آخرين فإن اسم أبيهما لن يحفظ فيهما. ولكن:

ب. أيا كانت الذريعة التي تعللنا بها، فمن المؤكد أن خطتهما كانت شريرة آثمة، وتشكل إهانة وقحة لناموس الطبيعة وأعرافها.

(٢) أما لوط نفسه، فنتيجة حماقته وغفلته. تم إخضاعه لرغبتهما، وسمح لنفسه بهذا أن يُخدع بواسطة بنتيه في ليلتين متتاليتين، فوقع في خطية السكر والزنى (ع ٣٣- ٣٨). يا إلهي، ما هو الإنسان، بل ماذا يكون أفضل الناس إذا ما تخلى عنهم الله وتركهم لأهوائهم.

أ. خطر الثقة في الذات: فلوط الذي حافظ على نفسه نقيا طاهرا في سدوم، وعلى الرغم من ذلك، حين كان في الجبل وحده، وفيما كان يظن بأنه أبعد ما يكون عن طريق التجربة، إذ به يسقط وكان سقوطه مشينا. فالذي يظن أنه قائم، عليه أن يقف عاليا وثابتا، وأن يكون حريصا لئلا يسقط. فلا جبل هنا في هذا العالم يمكنه أن يحمينا من سهام الشيطان النارية.

ب. خطر السُكْر: فليس السكر في حد ذاته خطية كبيرة فقط، بل هو المدخل لكثير من الخطايا، وقد ثبت أنه المدخل لأسوأ الخطايا غير الطبيعية وأكثرها بشاعة.

(٣) في الختام، نقرأ عن ميلاد ابنين، أو حفيدين (بحسب ما تود تسميتها) للوط، وهما «موآب» و«بن عمي»، وهما أبوان لأُمتين، من جيران بني إسرائيل، واللتين نقرأ عنهما كثيرا في العهد القديم، وهما معا يُسميان «بني لوط» (مز ٨٣: ٨).

ونلاحظ أخيرا، أنه بعد هذا، لا نقرأ شيئا عن لوط، غير أنه من إحجام الأسفار المقدسة عن ذكره بعد ذلك يمكننا أن نعرف أن السُكر، كما أنه يحمل الناس على النسيان، فهكذا يجعلهم أيضا في طي النسيان.

الأصحاح العشرون

نعود هنا إلى قصة إبراهيم، غير أن هذا الجزء الخاص من قصته والذي سُجل هنا لا يُحسب له، بل عليه. فأنقى نوعيات المرمر بها ما يشوبها، وحيث إنه توجد بقع في الشمس، فليس لنا أن نتوقع أي شيء تحتها بلا عيب. ويجب أن نذكر حياد الكتاب المقدس فيما يرويه من مساوئ أكثر شخصياته شهرة. ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: خطية إبراهيم في إنكاره زوجته، وخطية أبيمالك في سرعة أخذها (ع ١ و٢).

ثانيا: كلام الله لأبيمالك في حلم، حيث بيَّن له خطأه (ع ٣)، وقد قبل دفاعه (ع ٤– ٦) ووجهه بأن يقدم تعويضا (ع ٧).

ثالثا: حديث أبيمالك مع إبراهيم، وقد وبخه للخطأ الذي أوقعه فيه (ع ٨– ١٠) واعتذر إبراهيم، وبرر موقفه بقدر ما استطاع (ع ١١– ١٣).

رابعا: النتيجة الطيبة لهذه القصة والتي أعاد على إثرها أبيمالك لإبراهيم زوجته (ع ١٤– ١٦)، أما إبراهيم، فعن طريق الصلاة، التمس من الله أن يرفع دينونته عن أبيمالك (ع ١٧ و١٨).

عدد ١ و٢

رحيل إبراهيم عن ممرا. ولم يُذكر سبب ذلك. وكان لخطيته بإنكاره زوجته نتيجة مزدوجة السوء:

(١) سبق أن ارتكب مثل هذه الخطية من قبل، ووُبخ بسببها. ويلاحظ أنه من الممكن لرجل طيب، ليس أن يسقط في الخطية فحسب، بل أن يقع في نفس الخطية ثانية، بسبب قوة التجربة ومفاجأتها له، فضلا عن ضعف الجسد.

(٢) تبدو الآن سارة، ومعها ابن من النسل الموعود، لذلك كان يجب عليه أن يوليها الآن عناية خاصة، كما جاء في قضاة ١٣: ٤.

عدد ٣– ٧

يبدو من هذه الواقعة أن الله كشف عن نفسه بالأحلام حتى بالنسبة لأولئك الذين كانوا خارج حظيرة الكنيسة والعهد.

أولا: حذر الله أبيمالك من الخطر المحدق به (ع ٣)، وهو خطر الخطية، وأخبره أن المرأة هي زوجة بعل، ولذلك فإنه إذا أخذها فإنه يظلم زوجها، وكان في خطر الموت بسبب هذه الخطية: «ها أنت ميت». فإذا كنت شريرا فأنت لا محالة هالك.

ثانيا: احتجَ بجهله حقيقة الأمر، وأن إبراهيم وسارة قد اتفقا على خداعه، وأنهما لم يعرِّفاه سوى أنهما أخ وأخته (ع ٦). وأن قلبه لم يلمه (١ يو ٣: ٢١). وإذا ما شهدت ضمائرنا على سلامة نيتنا، وإذا ما حدث مع ذلك أن خدعنا ووقعنا في فخ، ولم نخطئ إلى الله عن معرفة أو عمد، فسوف يكون ذلك مبعث فرحنا في يوم الشر.

ثالثا: قدم الله ردا شافيا على كل ما قاله.

(١) قَبِل عذره، وأقره على أن ما عمله كان بسلامة قلب: «أنا أيضا علمت». إنها لتعزية عظيمة للأمناء أن يعرفوا أن الله على علم بأمانتهم، وأنه سيُقرها، على الرغم من أن الذين يتحيزون ضدهم إما أنهم لا يستطيعون الاقتناع بسلامة نياتهم، أو لا يريدون الاعتراف بها.

(٢) وكلفه بأن يقدم تعويضا مناسبا، أما وقد عرفت الحقيقة «الآن رد امرأة الرجل» (ع ٧). والجهل بالشيء لا يعد عذرا إلا في حالة استمراره فقط. وإذا ما انخرطنا في عمل خاطئ نتيجة الجهل، فإن هذا لن يكون عذرا إذا ما ظللنا فيه عن عمد وإصرار (لا ٥: ٣– ٥).

عدد ٨– ١٣

وإذ حذر الله أبيمالك في حلم، فقد قَبِل التحذير، كشخص يخاف حقا من الخطية وعواقبها، وقام مبكرا لينفذ التوجيهات التي صدرت له.

أولا: حذر عبيده (ع ٨).

ثانيا: وبخ إبراهيم.

(١) اللوم الشديد الذي وجهه أبيمالك لإبراهيم (ع ٩ و١٠). كان كلامه مع إبراهيم يستند إلى منطق قوي، مع أنه كلمه بهدوء تام. ولم يكن هناك أفضل مما قيل، فهو لم يسُبه، ولم يوبخه قائلا: أهذا هو إيمانك؟ إني أعرف أنه على الرغم من أنك لن تحلف، إلا أنك تكذب. وإذا كان هذا حال الأنبياء،

فسوف آمل ألا أراهم. لم يقل شيئا من ذلك، لكنه بعدل واعتدال عرض الضرر الذي ألحقه به إبراهيم وبكل هدوء أظهر امتعاضه منه.

أ. سمى الخطية التي وجد نفسه في خطر منها بأنها، خطية عظيمة.

ب. نظر إلى الأمر باعتبار أنه كان من الممكن أن يتعرض هو ومملكته لغضب الله، لو كان قد اقترف هذه الخطية، حتى وإن كان عن جهل بها. ويُلاحظ أن خطايا الملوك كثيرا ما تكون سبب نكبات لممالكهم، وعلى هذا يجب على الحكام أن يخشوا الخطية، من أجل شعوبهم.

ج. اتهم إبراهيم بأنه ارتكب عملا لا يمكن تبريره، وذلك بإنكاره زواجه لسارة.

د. اعتبر أن ثَمة ضررا بالغا لحق به وبعائلته نتيجة تعرضه لخطر الخطية وأن إبراهيم هو سبب ذلك: «بماذا أخطأت إليك ؟» فلو كنت ألد أعدائك، ما كان بوسعك أن تعمل معي أسوأ مما فعلت، وما كان بوسعك أن تنتقم مني بأقسى من هذا الانتقام.

هـ. تحداه أن يذكر سببا واحدا يكون قد حمله على الشك في أنهم شعب شرير. «ما السبب الذي حملك على الظن أننا لو عرفنا أنها زوجتك لتعرضت أنت للخطر نتيجة ذلك؟" يُلاحظ أن الشك في استقامة الإنسان يُعد إهانة أعظم من الاستهانة بعظمته.

(٢) العذر الهزيل الذي دافع به إبراهيم عن نفسه:

أ. يدافع عن نفسه بالفكرة السيئة التي كانت لديه بالنسبة للمكان (ع ١١): «ليس في هذا الموضع خوف الله البتة. فيقتلونني». وهناك أماكن عديدة وأشخاص كثيرون يخشون الله بأكثر مما كنا نعتقد: وربما لا يُدعون باسمنا المميز، ولا ينتمون إلينا، وهم لا يشاركوننا آراءنا، ومن ثَمَّ نستنتج من ذلك أن خشية الله ليست في قلوبهم، وهذا أمر يسيء بشكل بالغ إلى المسيح والمسيحيين، الأمر الذي يعرضنا لدينونة الله (مت ٧ : ١). فعدم التسامح والنقد القاسي من الخطايا التي تجُر إلى كثير من الخطايا الأخرى. لا يمكن للناس أن يرتكبوا الخطأ ما لم يفكِّروا أولا فيما هو خطأ.

ب. يبرر ذنبه بارتكابه كذبة صريحة، وذلك بتقديمه تفسيرا بأنها من جهة ما تُعد أخته (ع ١٢). غير أن أولئك الذين قال لهم: «وبالحقيقة أيضا هي أختي»، أخذوا المعنى على أنها أخته، ومن ثَمَّ لا يمكن أن تكون زوجته، وعلى ذلك فإن هذه مغالطة يقصد بها الخداع.

ج. يبرر نفسه من توجيه إهانة ضد أبيمالك بقوله أنه سبق له أن فعل ذلك قبلا، وذلك طبقا لاتفاق بينه وبين زوجته وذلك حينما أتوا مغتربين حديثا في المكان (ع ١٣).

عدد ١٤ – ١٨

أولا: العطف الذي أبداه أبيمالك نحو إبراهيم. ونرى هنا كيف أن غيرة إبراهيم لم يكن لها ما يبررها.

(١) أعطاه تصريحا ملكيا بأن يسكن في أي جهة تروق له في البلاد.

(٢) أعطاه هبات ملكية: وقد قدم له هذه الهبات بعد أن استرد سارة، كترضية عن الخطأ الذي كان مزمعا أن يرتكبه بأخذها إلى بيته. وقد رتب الناموس بأنه عند عمل التعويض يجب أن يُضاف إلى قيمته شيء (لا ٦ : ٥).

ثانيا: تصرف إبراهيم كنبي بالنسبة لأبيمالك: صلى من أجله (ع ١٧ و١٨). ولقد شفى الله مريم، حين قام موسى، ذاك الذي أهانته إهانة بالغة، بالصلاة من أجلها (عد ١٢ : ١٣)، وقد تمت المصالحة مع أصدقاء أيوب –الذين أساءوا إليه– حين قام أيوب بالصلاة من أجلهم (أي ٤٢ : ٨– ١٠). ويُلاحظ أن صلوات الصالحين قد تكون فضلا وشفقة على أناس عظماء، ومن ثَمَّ يجب أن تُقدَر حق تقديرها.

الأصحاح الحادي والعشرون

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: وُلد لإبراهيم إسحاق ابن الموعد (ع ١– ٨).

ثانيا: إسماعيل ابن الجارية يُطرد من العائلة (ع ٩– ٢١).

ثالثا: تحالف إبراهيم مع جاره أبيمالك (ع ٢٢-٣٢).

رابعا: إخلاصه في عبادة الله (ع ٣٣).

عدد ١ – ٨

قليلون ممن ذُكروا في العهد القديم جاءوا إلى العالم بموجب وعد وانتظار مثلما كان الحال بالنسبة لإسحاق. ولم يكن مجيئه من أجل تحقيق مجد شخص بارز، بل لأنه كان مزمعا أن يكون -بالنسبة لميلاده بالذات- رمزا للمسيح، ذلك النسل الذي وعد به الله القدوس منذ فترة طويلة مضت، وتوقعه رجال الله الأتقياء منذ أمد بعيد.

أولا: تحقيق وعد الله فيما يتعلق بالحمل بإسحاق وولادته (ع ١ و٢).

(١) وُلد إسحاق طبقا للوعد. فقد وُلد «في الوقت الذي تكلم الله عنه» (ع ٢). ونلاحظ أن الله يحافظ دائما على مواعيده، وعلى الرغم من أن مراحمه التي يعد بها لا تأتي في الوقت الذي نعينه نحن، إلا أنها لابد وأن تأتي في الوقت الذي يعينه هو، وهذه أفضل الأوقات.

(٢) لم يُولد إسحاق بناء على قوة التدبيرات الإلهية العادية، بل بناء على وعد خاص. ويجب ملاحظة أن المؤمنين الصادقين، وبناء على مواعيد الله، أُعطوا القدرة على عمل ما يفوق قدرة الطبيعة البشرية، لأنه بواسطتها يصيرون «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١: ٤).

ثانيا: طاعة إبراهيم لأوامر الله بالنسبة لإسحاق: أطلق عليه الاسم الذي أمر به الله (ع ٣): «إسحاق» (أي ضحك) وكانت ثَمة أسباب قوية لهذا الاسم، لأنه:

(١) حين تلقى إبراهيم الوعد بولادته ضحك فرحا (تك ١٧: ١٧).

(٢) حين تلقت سارة الوعد ضحكت لعدم الثقة وعدم تصديقها.

(٣) إسحاق نفسه كان موضع مزاح إسماعيل واستهزائه (ع ٩) ولعل اسمه حمله على أن يتوقع ذلك.

(٤) الوعد الذي سيرثه، كان مزمعا أن يكون محل فرح جميع القديسين، في جميع الأجيال.

ثالثا: الانطباعات التي تركتها هذه الرحمة في سارة:

(١) ملأها فرحا (ع ٦): «قد صنع إليَّ الله ضحكا»، أعطاني سببا لأفرح، وقلبا ليفرح. هكذا كان حال أم ربنا (لو ١: ٤٦ و٤٧). وأيا كان موضوع فرحنا، يجب الإقرار بأنه من قِبل الله، ما لم يكن ذلك ضحك الحمقى. وإنه لمما يزيد من فرحنا بمراحم الرب أن يشاركنا أصدقاؤنا فيها: «كل مَنْ يسمع يضحك لي»، لأن الضحك عدوى (انظر لو ١: ٥٨).

(٢) ملأها عجبا (ع ٧): كان الأمر بعيد الاحتمال، ويكاد يكون مستحيلا حتى إنه لو قال أحد غير الله ذلك ما كنا نصدقه. ويلاحظ أن نعم الله لشعبه دائما ما تفوق توقعاتهم وتوقعات الآخرين وأفكارهم. فمَنْ ذا الذي كان بمقدوره القول بأن الله سيرسل ابنه ليموت عنا، وروحه القدوس ليقدسنا، وملائكته لتخدمنا؟ ومَنْ ذا الذي كان بوسعه أن يقول إن خطايانا العظمى يمكن أن تُغفر؟

رابعا: إطلالة موجزة على طفولة إسحاق: «فكبر الولد» (ع ٨). كبر بحيث لم يعد يحتاج إلى اللبن، ولكنه أصبح قادرا على تحمل الطعام، وبعد ذلك «فُطم» (انظر عب ٥: ١٣ و١٤). وقد أقام إبراهيم وليمة في يوم فطام إسحاق لأن بركة الله في فترة الرضاعة، وحفظهم من أخطار مرحلة الطفولة ما هي إلا أمثلة عن رعاية ومحبة العناية الإلهية (انظر مز ٢٢: ٩ و١٠؛ هو ١١: ١).

عدد ٩ – ١٣

طرد إسماعيل، والتصميم عليه:

أولا: كان إسماعيل نفسه هو السبب في هذا الأمر بسبب الإهانات التي كان يوجهها لأخيه الصغير إسحاق، وكانت سارة نفسها شاهدة عيان على ذلك. وقد سُمي إسماعيل هنا: «ابن هاجر المصرية»، لأن البعض يظن أن فترة الأربعمائة سنة التي عاناها نسل إبراهيم على أيدي المصريين قد بدأت الآن (تك

١٥: ١٣)، وكان إسماعيل أكبر من إسحاق بأربع عشرة سنة، ومما دل على ميول إسماعيل الشريرة أنه أساء معاملة طفل صغير ليس ندا له بأي حال من الأحوال.

ثانيا: جاءت المبادرة من ناحية سارة: «اطرد هذه الجارية» (ع ١٠). ويبدو أنها قالت ذلك وهي في نوبة غضب، ومع ذلك ذُكر في غلاطية ٤: ٣٠ كما لو أنها قالته بروح النبوة، وهذا هو الحكم الصادر ضد كل المرائين والجسدانيين من الشعب، على الرغم من أن لهم مكانا واسما في الكنيسة المرئية.

ثالثا: كان إبراهيم ضد هذا الأمر: «فقبح الكلام جدا في عيني إبراهيم» (ع ١١).

(١) حزن أن يكون إسماعيل محط كل هذا الغضب.

(٢) وأحزنه إصرار سارة على مثل هذه العقوبة. ألا يكفي تقويمه ومعاقبته بدلا من طرده؟ ألا توجد عقوبة أخرى بخلاف الطرد؟

رابعا: الله هو الذي دبر ذلك (ع ١٢ و١٣). فنسل إبراهيم الذين قُطع معهم العهد، يجب أن يكونوا شعبا خاصا، شعبا بذاته منذ البداية، متميزا، وليس مختلطا مع أولئك الذين خارج العهد، ولهذا كان لابد وأن ينفصل إسماعيل عنهم. ثم أن طرده لن يفضي إلى هلاكه (ع ١٣): «سأجعله أمة لأنه نسلك». ومن الحماقة القول بأن أولئك الذين أُبعدوا عن تدابير عهد الله، استُبعدوا من كل مراحمه. فعلى الرغم من أن إسماعيل أُبعد عن عائلة إبراهيم، إلا أنه لم يُنفَ من العالم.. «سأجعله أمة». ومما تجدر ملاحظته:

(١) الأمم هي من صنع الله: فهو يؤسسها ويشكلها ويثبتها.

(٢) كثيرون ينعمون ببركات عناية الله مع كونهم غرباء عن بركات العهد.

عدد ١٤ – ٢١

أولا: طرد الجارية وابنها من عائلة إبراهيم (ع ١٤). طاعة إبراهيم الفورية للأمر الإلهي الصادر بخصوص هذا الموضوع– «فبكر إبراهيم صباحا». وكان خاضعا أيضا، لأن الأمر كان على النقيض من رغبته، غير أنه حالما أدرك أنها خطة الله، لم يبد اعتراضا، ولكنه أطاع في صمت.

ثانيا: هاجر وإسماعيل يهيمان على وجهيهما في البرية بعد أن ضلا الطريق إلى المكان الذي عيَّنه لهما إبراهيم لاستقرارهما:

(١) وقعا في محنة أليمة هناك: فقد نفذت مؤنهما، وأصاب المرض إسماعيل. أخذت هاجر تبكي وأُذلت إلى أبعد درجة. وتملكها اليأس من الخلاص، وما توقعت سوى موت ابنها (ع ١٥ و١٦).

(٢) وفي هذه المحنة «سمع الله صوت الغلام» (ع ١٧). وقد أُرسل ملاك لتعزية هاجر، ولم تكن المرة الأولى التي تتلقى تعزيات الله في البرية (تك ١٦: ١٣).

أ. أكد لها الملاك أن «الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو»، على الرغم من أنه في البرية؛ لأنه حيثما نكون فأمامنا طريق مفتوح إلى السماء، لذلك «قومي احملي الغلام وشدي يدك به» (ع ١٨).

ب. إنه يكرر الوعد بخصوص ابنها بأنه يجب أن يكون أمة عظيمة، وذلك كي تحث نفسها على مساعدته.

ج. أرشدها إلى بئر ماء «فأبصرت بئر ماء». وكثيرون ممن لديهم الكثير لراحتهم، نجدهم يواصلون الأنين يوما بعد يوم. كان هناك بئر بالقرب منهما حيث عهد النعمة، لكنهما لم يعرفا به سوى بواسطة نفس الإله الذي فتح لهما أعينهما لكي يريا جرحهما أولا، ثم بعد ذلك أراهما علاجه (يو ١٦: ٦ و٧). ويقول لنا الرسول بولس إن هذه الأمور الخاصة بهاجر وإسماعيل ما هي إلا رموز (غل ٤: ٢٤)، ويجب تفسيرها تفسيرا مجازيا، وهنا فإنها ستُظهر لنا حماقة:

◄ أولئك الذين هم على غرار اليهود غير المؤمنين الذين يسعون وراء البر من خلال الناموس والفرائض الجسدية، وليس عن طريق الوعد الذي أُعطي في المسيح.

◄ الذين يسعون وراء الرضا والسعادة في العالم والأمور المتعلقة به. وأولئك الذين يتركون تعزيات العهد والشركة مع الله ويسيرون إلى ما لا نهاية بحثا عن الشبع، وفي النهاية لا يجدونه.

ثالثا: استقرار إسماعيل أخيرا في برية فاران (ع ٢٠ و٢١)، وهو مكان موحش، يليق بإنسان وحشي، فهكذا كان إسماعيل (تك ١٦: ١٢). ومما تجدر ملاحظته:

(١) كانت لديه بعض العلامات على وجود الله: «وكان الله مع الغلام».

(٢) من جهة المهنة كان «رامي قوس».

(٣) تزوج من أقارب أمه، فقد اتخذت له زوجة من مصر. ولما كان رامي قوس عظيما، فإنه لم يعتقد أنه يمكنه أن يصيب هدفه على نحو جيد في مسألة الزواج إذا ما سار بدون نصيحة أمه وموافقتها.

عدد ٢٢ – ٣٢

نجد هنا المعاهدة التي وُقعت بين أبيمالك وإبراهيم. فقد قدَّر أبيمالك صداقته وسعى إليها، على الرغم من أنه كان غريبا ونزيلا بين الكنعانيين والفرزيين.

أولا: اقترح هذا التحالف أبيمالك وفيكول رئيس وزرائه ورئيس جيشه.

(١) كان دافعهما على هذا التحالف ما لاحظاه من إحسان الله لإبراهيم (ع ٢٢): «الله معك في كل ما أنت صانع»، وإنه لأمر طيب أن نكون على علاقة طيبة مع أولئك الذين هم على علاقة طيبة مع الله. سوف نسير معك لأننا سمعنا أن الله معك. إننا نحسن إلى أنفسنا إذا ما وطدنا صداقتنا بأولئك الذين هم في شركة مع الله (١يو ١: ٣).

(٢) مضمون هذا التحالف بوجه عام هو إقامة صداقة متينة ودائمة بين العائلتين. فسوف يفيد منها أبيمالك وابنه، وحفيده، وكذلك أرضه.

ثانيا: وافق إبراهيم على هذا التحالف، مع إضافته بندا معينا يختص ببئر الماء. وفيما يختص بإبراهيم في هذا التحالف نلاحظ الآتي:

(١) كان مستعدا للدخول في هذا التحالف مع أبيمالك، إذ اكتشف أنه رجل شريف ذو ضمير حي، وأنه يضع خوف الله أمام عينيه.

(٢) كان حكيما إذ عمل تسوية لموضع الخلاف المتعلق بالبئر الذي تعارك بسببها عبيد أبيمالك معه. ويبدو أن آبار الماء كانت لها أهمية بالغة في هذه البلاد. وقد أخبر إبراهيم أبيمالك عنها بكل هدوء (ع ٢٥)، وماذا يمكن أن يُنتظر من رجل أمين سوى أن يسارع إلى إقرار الحق فور علمه بالظلم الذي تم.

(٣) قدم هدية قيِّمة لأبيمالك (ع ٢٧). وتبادل المنافع الودية يؤدي إلى نمو المحبة، فالذي لي هو لصديقي أيضا.

(٤) صادق على المعاهدة «بحلف"، وقد سجلها بإعطائه اسما جديدا للمكان (ع ٣١)، «بئر سبع. لأنهما هناك حلفا كلاهما».

عدد ٣٣ و٣٤

أقام هناك أياما كثيرة، بحسب ما يتفق مع سماته، فهو إبراهيم العبراني أو المتغرب. وهناك لم يقم عبادة دائمة فحسب، بل وعلانية: «ودعا هناك باسم الرب الإله السرمدي»، ولعل ذلك كان في الغرس الذي غرسه هناك، والذي كان بمثابة محراب له، أو بيت للصلاة. لقد صلى المسيح في بستان، على جبل. وعندما ندعو باسم الرب، فيجب أن ننظر إليه باعتباره «الإله السرمدي»، الذي كان قبل إنشاء العالم، والذي سيكون، حين يزول الزمان (إش ٤٠: ٢٨).

الأصحاح الثاني والعشرون

نجد هنا القصة الشهيرة التي تتحدث عن تقديم إبراهيم ابنه إسحاق محرقة، أو اعتزامه تقديمه محرقة، وهنا:

أولا: الأمر الغريب الذي أصدره الله لإبراهيم (ع ١ و٢).

ثانيا: طاعة إبراهيم الغريبة لهذا الأمر (ع ٣– ١٠).

ثالثا: النتيجة العجيبة لهذا الاختبار:

(١) إلغاء تقديم إسحاق كذبيحة (ع ١١ و١٢).

(٢) تدبير ذبيحة أخرى (ع ١٣ و١٤).

(٣) تجديد العهد مع إبراهيم عند هذه النقطة (ع ١٥– ١٩).

وأخيرا إشارة إلى بعض أقارب إبراهيم (ع ٢٠– ٢٤).

عدد ١ و٢

نجد هنا اختبارا آخر لإيمان إبراهيم. لقد سبق أن

أظهر إبراهيم إنه يحب الله أكثر من أبيه، والآن أظهر أنه يحبه أكثر من ابنه.

أولا: ولعله كان يعتقد الآن أن كل العواصف قد خمدت، غير أنه على كل حال، جاءت هذه العاصفة التي هي أصعب من كل ما سبق أن واجهه حتى الآن.

ثانيا: الذي وضع هذا الاختبار: «الله» امتحنه، ليس ليجُره إلى الخطية، بل ليظهر مراحمه، وكيف أنها قوية حتى إنها تؤول إلى «المدح والكرامة والمجد» (١بط ١: ٧). وهكذا اختبر الله أيوب، لا لكي يظهر أنه رجل صالح فحسب، بل رجل عظيم أيضا. «الله امتحن إبراهيم»، رفع إبراهيم، كما يترجمها البعض، كما يرتفع التلميذ الذي يثبت كفاءته، حيث يوضع في منزلة أعلى.

ثالثا: الاختبار نفسه. ولعله توقع وعدا متجددا كذاك الذي ورد في تكوين ١٥: ١؛ ١٧: ١. ولكن لدهشته الشديدة فإن ما قاله الله له هو بالاختصار: «إبراهيم، اذهب واذبح ابنك". وكل كلمة هنا كانت تشكل سيفا في عظامه، وكان الاختبار يزداد في صعوبته مع كل عبارة تضمنها.

(١) الشخص الذي كان عليه أن يقدمه محرقة: «خذ ابنك»، ليس ثيرانك أو خرافك، «لا آخذ من بيتك ثورا، ولا من حظائرك أعتدة» (مز ٥٠: ٩).. لابد أن تقدم لي ابنك. خذ إسحاق، ابنك وحيدك، الذي تحبه (تك ١٧: ١٩). وقد جاء التعبير في اللغة العبرية بشكل أكثر تشديدا، وأعتقد أنه يمكن قراءته على هذا النحو «خذ ابنك هذا، ابنك وحيدك، الذي تحبه، إسحاق".

(٢) المكان: «أرض المريَّا» على مسيرة ثلاثة أيام، حتى يتاح له الوقت اللازم للتفكير في الموضوع.

(٣) الطريقة: «وأصعده هناك محرقة». فلا ينبغي عليه أن يذبح ابنه فقط، بل يذبحه كمحرقة.

عدد ٣- ١٠

طاعة إبراهيم لهذا الأمر القاسي: «قدم إبراهيم إسحاق وهو مجرَّب» (عب ١١: ١٧).

أولا: الصعاب التي اقتحمها في عمل طاعته هذا:

(١) بدا الأمر وكأنه يتعارض مع وصية إلهية سابقة تُحرِّم القتل، وتحدد له عقوبة صارمة (تك ٩: ٥ و٦).

(٢) كيف يمكن أن يتناغم هذا مع المحبة الطبيعية التي يكنها نحو ابنه؟

(٣) لم يقدم له الله سببا لذلك. فحين كان إسماعيل على وشك أن يُطرد أُعطي سببا معقولا لذلك، غير أنه هنا يجب أن يموت إسحاق، وينبغي أن يقوم إبراهيم نفسه بذبحه، ومع ذلك لا هذا ولا ذاك عرف السبب، ولو كان إسحاق سيموت شهيدا في سبيل الحق، أو كانت حياته فدية لحياة أخرى أكثر قيمة، لكان الوضع قد اختلف. غير أن الأمر ليس على هذا النحو؛ فهو ابن مطيع يعرف واجبه والأمل معقود عليه. يا رب، ما الفائدة التي تعود من سفك هذا الدم؟

(٤) كيف يتفق هذا مع الوعد؟ ألم يسبق القول: «لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل؟»

(٥) كيف يمكنه أن يواجه سارة بعد ذلك؟

(٦) ماذا سيقول المصريون والكنعانيون والفرزيون الذين كانوا في ذلك الحين يسكنون الأرض؟ وسوف يؤدي ذلك إلى خزي أبدي لإبراهيم ومذابحه. فمرحبا بالطاعة، إذا كانت هذه هي النعمة.

ثانيا: الخطوات المختلفة للطاعة:

(١) «فبكر إبراهيم» (ع ٣)؛ لأن الأمر كان جازما وغير قابل للنقاش. ويُلاحظ أن أولئك الذين يعملون مشيئة الله من كل القلب يتممونها سريعا.

(٢) أعد الأشياء اللازمة للمحرقة.

(٣) من المرجح أنه لم يخبر سارة بشيء عن هذا الموضوع.

(٤) تلفت بحرص حوله ليعرف المكان الذي عُين لهذه الذبيحة، وذلك حين قال: «نذهب إلى هناك، ونسجد ثم نرجع إليكما» (ع ٥).

(٥) ترك عبيده على مسافة ما (ع ٥)، لئلا يعترضوا على هذه التقدمة الغريبة. وهكذا حينما كان المسيح على وشك الدخول في آلامه في البستان، لم يأخذ معه سوى ثلاثة من تلاميذه، وترك البقية عند بوابة البستان.

(٦) ألزم إسحاق بأن يحمل الحطب، في حين قام هو نفسه بحمل النار والسكين المهلكة (ع ٦).

(٧) ودون فوضى أو تشويش تحدث مع إسحاق عن هذا الأمر، كما لو أن الموضوع كان يتعلق بذبيحة عادية كان على وشك تقديمها (ع ٧ و٨).

أ. كان سؤال ملهبا لمشاعر إبراهيم ذاك الذي وجهه إسحاق له فيما كانا يسيران معا، حيث قال له: «هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة ؟» «يا أبي» كلمة تذيب الصخر، وأعتقد أنها كانت تطعن قلب إبراهيم في العمق بأكثر مما كانت سكينه ستفعل في صدر إسحاق. ومع ذلك احتفظ برباطة جأشه ورزانته بشكل يدعو إلى الدهشة، كان ينتظر في هدوء سؤال ابنه: «هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة ؟»

◄ كان سؤالا قاسيا ويشكل اختبارا لإبراهيم. كيف استطاع أن يتحمل فكرة أن إسحاق نفسه هو المحرقة؟ هذا ما حدث، غير أن إبراهيم حتى تلك اللحظة لم يجرؤ على إخباره بذلك.

◄ كان سؤالا من أجل تعليمنا كلنا، فحين نذهب إلى العبادة علينا أن نفكر بجدية: أين قلبنا؟ هل هو مستعد لأن يُرفع إلى الله، ويصعد إليه كمحرقة؟

ب. كانت إجابة حاذقة تلك التي قدمها إبراهيم له: «الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني». وكانت هذه العبارة إما أنها تشير إلى:

◄ طاعته. وإما:

◄ إلى إيمانه. وقد دُبرت محرقة عوض إسحاق. وهكذا:

> الله هو الذي قدم المسيح، كذبيح الكفارة العظيم.

> وكل ذبائح اعترافنا هي أيضا من تدبير الله. فهو الذي يهيئ القلب (مز ١٠: ١٧). فالروح المنكسرة والقلب المنسحق هما ذبيحة من الله (مز ٥١: ١٧).

(٨) وقد استمر بعزيمة مقدسة، وبعد عدة خطوات منهكة، وبقلب حزين، وصل أخيرا إلى المكان المحتوم، وبنى المذبح، وهو أكثر المذابح التي بناها بحزن، ووضع الحطب من أجل الكومة التي يُعدها لجنازة إسحاق، وهنا حدَّثه عن الأخبار المذهلة: إسحاق، أنت هو الحمل الذي دبره الله. وكما تدل الشواهد كان إسحاق على نفس القدر من الطاعة الذي كان عليه إبراهيم، فلا نجد أنه بذل أية محاولة للهرب أو أبدى أية مقاومة. ومع ذلك كان لابد من تقييد الذبيحة. ولكن، كيف استطاع إبراهيم ذو القلب الرقيق أن يقيد هاتين اليدين البريئتين، اللتين ربما كثيرا ما رُفعتا إلى أعلى تطلبان بركته، ومُدت لتحتضنه، ولكنها الآن تقيدت بأكثر إحكاما بقيود المحبة والواجب. وبعد أن قيده وضعه على المذبح، ووضع يده على رأس ذبيحته. ولنا أن نتخيَّل الآن –بدموع غزيرة– أنه قبَّل ابنه قبلة الوداع الأخيرة. وبقلب ثابت، وعين شاخصة إلى السماء، أمسك بالسكين ورفع يده ليهوي بها على وحيده. تعجبي من هذا أيتها السماوات! ولتأخذك الدهشة أيتها الأرض! ها هو عمل من أعمال الإيمان والطاعة يستحق أن يكون منظرا لله والملائكة والناس. وطاعة إبراهيم في تقديم ابنه اسحق تُمثل رمزا حيا يشير إلى:

أ. محبة الله لنا إذ أسلم ابنه الحبيب الوحيد لكي يتألم ويموت من أجلنا، كذبيحة. لقد سُر الله «بأن يسحقه» (إش ٥٣ : ١٠ ؛ انظر أيضا زك ١٣ : ٧).

ب. واجبنا نحو الله، مقابل ذلك الحب. وعلينا أن نسير في خطوات إيمان إبراهيم هذا. والله، من خلال كلمته، يدعونا لأن نترك كل شيء من أجل المسيح.

عدد ١١– ١٤

إلى هنا كانت هذه القصة محزنة جدا، وبدت وكأنها تسرع الخطى إلى نهاية مأساوية للغاية، غير أن السماء هنا بغتة تصبح صافية، وتشرق الشمس، ويظهر أمامنا مشهد ساطع جميل. ونفس اليد التي جرحت، وطرحت، هي نفسها التي تعصب وترفع.

أولا: تم إنقاذ إسحاق (ع ١١ و١٢). فالأمر بتقديمه ذبيحة لم يكن سوى اختبار فحسب، ولذلك فقد أُلغي هذا الأمر: «لا تمد يدك إلى الغلام». وكلما كان الخطر وشيكا، كان الخلاص منه أكثر مدعاة للعجب والفرح.

ثانيا: لم يُقبَل إبراهيم فقط، بل وامتُدح أيضا «الآن علمت أنك خائف الله». وأفضل دليل على

خوفنا الله هو أن نكون على استعداد أن نعبده ونكرمه بأعز ما عندنا.

ثالثا: دُبرت ذبيحة أخرى بدلا من إسحاق (ع ١٣). ويجب أن يُقدم الشكر لله لخلاص إسحاق. ولقد تحققت أقوال إبراهيم: «الله يرى له الخروف». ولابد أن هذه إشارة إلى المسيَّا الموعود به، النسل المبارك.

(١) لقد قُدِّم المسيح ذبيحة عنا، كما قُدم هذا الكبش عوض إسحاق، وكان موته تحريرا لنا.

(٢) مع أن هذا النسل المبارك -أي المسيح- قد وُعد به مؤخرا، ورُمز إليه الآن بإسحاق، إلا أن تقديمه كذبيحة يجب أن يُؤجل، وخلال ذلك تُقبل الذبائح الحيوانية، كما حدث بالنسبة لهذا الكبش، كعربون لتلك الكفارة التي لابد وأن تتم في يوم من الأيام بواسطة الذبيح الأعظم. ومما تجدر ملاحظته أن الهيكل، الذي هو مكان الذبيحة، بُني بعد ذلك على جبل المريا هذا (٢أخ ٣: ١)، وجبل الجلجثة -حيث صُلب المسيح- لم يكن بعيدا عنه.

رابعا: أُعطي للمكان اسم جديد، وذلك بغية تشجيع جميع المؤمنين، لكي يثقوا في الله فرحين: «يهوه يرأه»، «الرب يُرى» (ع ١٤)، ولعل في ذلك إشارة إلى ما سبق أن قاله (ع ٨): «الله يرى له الخروف».

عدد ١٥ - ١٩

قبِل الله طاعة إبراهيم برضا، غير أن ذلك لم يكن كل ما في الموضوع، فقد امتدحها هنا، ومما هو جدير بالملاحظة:

(١) سُر الله بأن يذكر طاعة إبراهيم على أنها سبب هذا العهد، وتكلم عن ذلك بإطراء: «من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك» (ع ١٦).

(٢) أكد الله الوعد الآن بقسم. سبق أن قيل هذا الوعد وتم ختمه، أما الآن فقد أقسم: «بذاتي أقسمت». لأن هذا أعظم قسم (عب ٦: ١٣)، بل (إذا تكلمنا بوقار) إنه رهن وجوده على ذلك العهد (بذاتي) -وحيث إنه يستحيل على الرب أن يكذب- فإن المعنى المقصود هنا هو أن نعرف أنه لنا في الله وقدرته أقوى تعزية.

(٣) الوعد الخاص الذي تجدد هنا هو نسل كبير العدد: «وأكثِّر نسلك» (ع ١٧). ويا لها من صورة تلك التي رسمها نسل إبراهيم في التاريخ. كم كانوا كثيري العدد، وكم كانوا مشهورين، فهؤلاء هم نسله المعروفون، الذين يتباهون حتى يومنا هذا، بأن لهم إبراهيم أبا.

(٤) ولا ريب أن الوعد يشير إلى المسيح، وإلى نعمة الإنجيل. وهذا هو القسم الذي حُلف به لأبينا إبراهيم، والذي أشار إليه زكريا (لو ١: ٧٣- ٧٥)، وهكذا نجد هنا وعدا يشير إلى:

أ. بركات الروح العظيمة: «أباركك مباركة»، أي بأعظم البركات، التي هي عطية الروح القدس.

ب. زيادة الكنيسة: فالمؤمنون، الذي هم نسله الروحيون، سيكثرون كنجوم السماء.

ج. الانتصارات الروحية. ولعل زكريا كان يشير إلى هذا الجزء من القسم (لو ١: ٧٤): «أن يعطينا إننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا نعبده». غير أن درة هذه كلها هو الوعد الأخير.

د. يشير إلى تجسد المسيح: «في نسلك»، أي في شخص بعينه، يأتي من نسلك (لأنه لا يتحدث عن كثيرين، بل عن واحد، وهذا ما ذكره الرسول بولس) (غل ٣: ١٦). يتبارك «في نسلك» جميع أمم الأرض.

عدد ٢٠- ٢٤

لقد ذُكر هذا هنا لبيان أنه على الرغم من أن إبراهيم رأى أن عائلته قد أُكرمت إلى حد كبير بمزايا خاصة، إلا أنه كان سعيدا لأن يسمع عن زيادة وازدهار عائلاتهم.

الأصحاح الثالث والعشرون

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: إبراهيم يندب موت سارة (ع ١ و٢).

ثانيا: إبراهيم يشتري مكانا لدفن سارة.

(١) الصفقة اقترحها إبراهيم بتواضع (ع ٣ و٤).

(٢) تفاوض في الشراء بعدل، وذلك بعد تبادل عبارات

التوقير والاحترام الكبير (ع ٥- ١٦).
(٣) دفع ثمن المقبرة (ع ١٦).
(٤) الوعود التي قُطعت لإبراهيم وتم تنفيذها (ع ١٧ و١٨، ٢٠).
(٥) دفن سارة (ع ١٩).

عدد ١ و٢

(١) عمر سارة (ع ١).

(٢) موتها (ع ٢). وقد ماتت في أرض كنعان، حيث كانت قد أمضت بها ما يقرب من ستين عاما.

(٣) حزن إبراهيم عليها. وقد استُخدمت هنا كلمتان «ليندب»، «يبكي». والدموع هي تحية واجبة لأحبائنا المتوفين. وحين يُغرس الجسد، لابد من أن يروى. ولكننا لا يجب أن نحزن مثل الباقين الذين لا رجاء لهم، لأن لنا رجاء عظيم بالنعمة سواء بالنسبة للراحلين، أو بالنسبة لأنفسنا.

عدد ٣- ١٥

أولا: التماس إبراهيم المتواضع الذي توجه به لجيرانه الحثيين، من أجل مكان دفن بينهم (ع ٣ و٤). تحويل انتباه إبراهيم عن الحزن، بصفة مؤقتة، نتيجة انشغاله بهذا الموضوع: «وقام إبراهيم من أمام ميته». ويجب أن يكون ثَمة وقت للقيام من أمام الميت، والتوقف عن الحزن. والبكاء لا يجب أن يعوق الزرع. وموت أقاربنا يجب أن يذكرنا أننا لسنا في موطننا طالما كنا في هذا العالم، فعند رحيلهم علينا أن نقول: سنرحل نحن أيضا.

ثانيا: العرض الكريم الذي قدمه الحثيون (ع ٥ و٦). لقد حيوه:

(١) بلقب تبجيل: «أنت رئيس من الله بيننا».

(٢) بأن عرضوا عليه أفضل أماكن الدفن، حتى الناموس الطبيعي يعلمنا بأن نعامل الجميع بلياقة واحترام، حتى ولو كانوا غرباء ونزلاء.

ثالثا: الاقتراح المحدد الذي قدمه إبراهيم لهم (ع ٧- ٩). لقد شكرهم بدوره. فعلى الرغم من أنه رجل عظيم، ومتقدم في السن -والآن في حالة حزن- إلا أنه مع ذلك وقف وانحنى أمامهم بكل تواضع (ع ٧). ونلاحظ أن الديانة تُعلِّم السلوك الحسن، وأولئك الذين يتصرفون بفظاظة ووقاحة يسيئون إليها.

رابعا: عفرون يقدم حقله لإبراهيم كهدية «الحقل وهبتك إياه...» (ع ١٠ و١١) فظن إبراهيم أنه يجب عليه أن يرجوه لكي يبيعه الحقل، لكن عفرون وهبه إياه مجانا، وقبل أن يقدم إبراهيم التماسه له. بعض الناس يتمتعون بكرم أكثر مما كان يبدو عليهم.

خامسا: رفض إبراهيم بكل تواضع عرض عفرون الطيب (ع ١٢ و١٣). وقد شكره على ذلك شكرا جزيلا (ع ١٢)، غير أنه أصر على أن يعطيه مالا نظير الحقل، بل وصمم على دفع ثمنه كاملا. وكان إبراهيم رجلا غنيا (تك ١٣: ٢)، وبمقدوره دفع ثمن الحقل، وعلى هذا لم يستغل كرم عفرون. فالأمانة والشرف يمنعاننا من استغلال كرم جيراننا.

سادسا: عفرون يحدد ثمن الأرض ولكنه لا يصر عليه. «أرض بأربع مئة شاقل فضة (تعادل أجر خمس سنوات) ما هي بيني وبينك» (ع ١٥). كان يفضل أن يسدي لصديقه جميلا عن أن يملأ جيبه بمال كثير. وحين نتعرض لإغراء الإصرار على طلب حقوقنا، أو نقسو لإنكار أحدهم لإحساننا، علينا أن نواجه التجربة بقولنا: ما هذا بيني وبين صديقي؟

عدد ١٦- ٢٠

نرى هنا إتمام الاتفاق بين إبراهيم وعفرون بخصوص المقبرة. وكان الاتفاق قد تم علانية أمام كل الجيران «في مسامع بني حث» (ع ١٦). وهنا أصبح إبراهيم مالكا، ودفن سارة في المغارة التي كانت في الحقل الذي تم شراؤه. ومما هو جدير بالذكر:

أ. مكان الدفن هذا كان أول قطعة أرض يمتلكها إبراهيم في كنعان. ويلاحظ أنه عند دخولنا العالم، فإنه من الطيب التفكير في الخروج منه، لأنه فور أن نولد فإننا نبدأ في السير نحو الموت.

ب. إنها كانت قطعة الأرض الوحيدة التي تملكها في حياته، على الرغم من أن الأرض كلها كانت له في الأصل. كان إبراهيم يطلب وطنا أفضل، وطنا سمائيا. وكان قانعا بأن ينتقل من مكان إلى آخر طوال حياته، غير أنه اشترى مكانا لكي يرقد فيه جسده عند موته على رجاء.

الأصحاح الرابع والعشرون

تطرأ التغييرات على العائلات نتيجة حالات الزواج والموت، وهي تشكل الأخبار العامة التي يتناقلها أهل القرى. رأينا في الأصحاح السابق إبراهيم يدفن زوجته، أما هنا فنراه يرتب لزواج ابنه. وهذه القصص المتعلقة بعائلته وكل ملابساتها الدقيقة، نجدها مذكورة بإسهاب، في حين أن الصمت قد غلف قصص ممالك العالم التي كانت قائمة في ذلك الحين مع ما صاحبها من ثورات وتقلبات.

وقد تضمن هذا الأصحاح.

أولا: اهتمام إبراهيم بزواج ابنه (ع ١– ٩).

ثانيا: رحلة عبد إبراهيم إلى بلاد سيده للبحث عن زوجة لسيده الصغير إسحاق من بين أقاربه (ع ١٠– ١٤).

ثالثا: عناية الله الرحيمة التي جعلته يتعرف على رفقه، والذي كان والدها ابن عم إسحاق (ع ١٥– ٢٨).

رابعا: اتفاق الزواج الذي تم مع أقاربها (ع ٢٩– ٤٩).

خامسا: الحصول على موافقتهم (ع ٥٠– ٦٠).

سادسا: اللقاء السعيد الذي تم بين إسحاق ورفقة وزواجهما (ع ٦١– ٦٧).

عدد ١ – ٩

نلاحظ هنا ثلاثة أمور بشأن إبراهيم:

أولا: اهتمامه بأن يزوج ابنه الصالح، بزوجة صالحة. قصد إبراهيم في اهتمامه المقدس بابنه:

(١) ألا يتزوج إسحاق من بنات الكنعانيين، بل من أقاربه. لأنه وجد أن الكنعانيين يعيشون في فساد وشر عظيم.

(٢) ألا يغادر إسحاق أرض كنعان لكي يذهب بنفسه بين أقاربه، ولا حتى من أجل اختيار زوجة، حتى لا يقع تحت إغراء الاستقرار هناك.

ثانيا: المهمة التي كُلِّف بها عبده الأمين، وهو أليعازر الدمشقي، الذي اختبر إبراهيم سلوكه وأمانته ومحبته له ولعائلته لمدة طويلة. وقد أوكل إليه هذه المهمة العظيمة، ولم يكلف بها إسحاق نفسه، لأنه لم يكن يود أن يذهب إسحاق إطلاقا إلى تلك البلاد، بل يتزوج عن طريق وكيل، ولم يكن ثَمة وكيل أفضل من «عبده كبير بيته».

(١) كان لابد أن يلزم إبراهيم عبده بحلف لكي يبذل كل ما في وسعه من أجل الحصول على زوجة لإسحاق من بين أقاربه (ع ٢– ٤).

(٢) وإذا بذل كل ما في جهده ولم ينجح في مسعاه فإنه يتبرأ من قسمه.

ثالثا: الثقة التي وضعها في الله الصالح، ذلك أنه لم يشك إطلاقا في أنه سيعطي لعبده النجاح في مهمته (ع ٧). وتذكر أيضا الوعد الذي أعطاه الله وأكده له بأنه سيعطي أرض كنعان لنسله، وقد استدل من هذا على أن الله سيساعده في محاولاته زواج ابنه، ليس من إحدى بنات هذه الأمم الملعونة، بل زوجة تصلح لأن تكون أما لهذا النسل. ومواعيد الله، واختباراتنا الشخصية تُعد كافية لتشجع اتكالنا على الله، وانتظارنا له، في جميع شئون الحياة.

عدد ١٠ – ٢٨

لم يُذكر اسم عبد إبراهيم، إلا أنه قد ذُكر الكثير عن صفاته الحميدة.

أولا: كيف برهن عبد إبراهيم على أمانته التامة لسيده. فبعد أن كُلف بالمهمة، قام على وجه السرعة بالسفر بعد أن جهَّز نفسه بكل ما يلزمه في مهمته (ع ١٠).

ثانيا: كيف أنه اعترف بخشوع بتدخل الله في هذا الأمر، باعتباره أحد أفراد ذلك البيت السعيد الذين أوصاهم إبراهيم «أن يحفظوا طريق الرب» (تك ١٨: ١٩). وقد وصل «وقت المساء» (بعد رحلة استغرقت عدة أيام) إلى المكان المقصود، وجلس يأخذ قسطا من الراحة عند بئر الماء، وليفكر كيف يمكنه أن ينجز مهمته على أفضل وجه، ثم إنه:

(١) اعترف بفضل الله من خلال صلاة خاصة (ع ١٢– ١٤) من خلالها:

أ. تضرع من أجل نجاحه في هذه المهمة: «يسر لي اليوم». فالذين يريدون النجاح عليهم أن يُصلُّوا من أجله.

ب. تضرع إلى الله على أساس عهده مع سيده إبراهيم: «اصنع لطفا إلى سيدي إبراهيم». كان يرغب

أن تكون زوجة سيده متواضعة نشيطة نشأت على حب العمل وعلى استعداد للمساهمة في أي عمل يُطلب منها، وأن تكون طيبة الطباع، محسنة للغرباء. وحين جاء يبحث عن زوجة لسيده لم يذهب إلى مسرح أو منتزه، وصلى من أجل أن يقابل واحدة هناك، بل قصد «بئر الماء» على أمل أن يجد هناك واحدة منهمكة في العمل.

(٢) سانده الله بتدبير خاص. واستجابة صلاته كانت:

أ. على نحو من السرعة: «وإذ كان لم يفرغ بعد من الكلام» (ع ١٥).

ب. بشكل مُرض: فأول مَنْ جاءت تستقي ماء، كانت بالفعل تتحلى بكل الصفات التي تمناها فيها من قلبه.

◄ كانت كفؤا لسيده من كل ناحية، حيث كانت تتحلى بجميع السمات التي كان يتمنى وجودها في مَنْ ستصبح زوجة سيده، فقد كانت جميلة، كريمة، تتمتع بصحة جيدة، متواضعة ومجتهدة، ودودة، عطوفة على الغرباء، وتتوافر فيها كل الطباع الحسنة. وحين جاءت إلى البئر (ع ١٦)، «نزلت إلى العين وملأت جرتها وطلعت» لكي تعود أدراجها إلى بيتها وهي تحمل جرتها. لم تقف لتتطلع إلى ذلك الرجل الغريب وجِمَاله وما تحملها، بل اهتمت بعملها فحسب، ولن يحولها شيء عنه، سوى الفرصة لعمل الخير.

◄ ورتبت العناية الإلهية أن تفعل رفقة ما كان مطابقا تماما للعلامة التي كان ينتظرها، وقد توافر فيها بشكل عجيب كل ما توخاه منها: فهي لم تكتف بأن تعطيه ليشرب، بل وأكثر مما كان متوقعا، إذ إنها عرضت عليه خدمتها فاستقت لكل جماله، وكانت هذه هي العلامة التي كان ينتظرها. وبعملها هذا، فإن رفقة لم تكن تتوقع في ذلك الوقت أنها قد انضمت إلى نسل المسيح وعهده. ربما كان هناك قدرا كبيرا من الإحسان والعطف في عمل لا يُكلّف إلا القليل. فقد وعد مخلصنا بمكافأة نظير كأس ماء بارد (مت ١٠: ٤٢).

◄ بعد الاستفسار، كان مما يسره أنه اكتشف أنها ذو قرابة لسيده، وتنتمي إلى عائلة كبيرة، تستطيع أن تستضيفه (ع ٢٣– ٢٥).

(٣) اعترف بفضل الله وقدم له شكرا خاصا: أبدى احترامه أولا لرفقة، عرفانا بكرمها (ع ٢٢). وبعد ذلك حول تعجبه إلى عبادة (ع ٢١). لقد صلى من أجل أن ينجحه الله في مسعاه (ع ١٢)، وبعد أن تحقق له هذا، كان لزاما عليه أن يشكر الله. وما نناله بالصلاة علينا أن نقابله بالشكر والحمد. لقد اعتبر نفسه سعيدا للغاية أن هداه الرب «إلى بيت إخوة» سيده، الذين خرجوا من أور الكلدانيين. لم يكونوا من عبدة الأوثان، بل كانوا يعبدون الإله الحقيقي، وميَّالين إلى ديانة عائلة إبراهيم.

عدد ٢٩ – ٥٣

تحكي هذه الفقرة كيف تم زواج إسحاق ورفقة.

أولا: الاستقبال الطيب والحار الذي استقبل به أقارب رفقة عبد إبراهيم.

(١) كانت الدعوة كريمة: «ادخل يا مبارك الرب» (ع ٣١). ولعل ذلك مرجعه أنهم سمعوا من رفقة عن الأقوال الطيبة الخارجة من فيه (ع ٢٨). ونحن يجب علينا أن نرحب بأولئك المباركين من قِبل الله؛ لأنه من اللائق أن نكرم الذين يكرمهم الله.

(٢) كان الاستقبال حسنا (ع ٣٢ و٣٣)، لقد أولوا الجِمال عناية خاصة، لأن «الصديق يراعي نفس بهيمته» (أم ١٢: ١٠).

ثانيا: التفاصيل الكاملة التي قدمها لهم عن مهمته، والمودة التي أبداها نحوهم لموافقتهم على خطبة رفقة.

(١) كيف كان عاكفا على مهمته، فعلى الرغم من أنه كان على سفر، وأتى إلى بيت طيب إلا أنه رفض أن يأكل حتى يتكلم بكل ما جاء من أجله (ع ٣٣).

(٢) كيف كان صريحا في تناوله لمهمته:

أ. قدم ملخصا موجزا عن أحوال عائلة سيده (ع ٣٤ – ٣٦). وتحدث عن أمرين يدعمان اقتراحه:

◄ إن سيده إبراهيم نتيجة بركة الله، ذو ممتلكات كثيرة.

◄ وأنه وهب كل أملاكه لإسحاق، الذي جاء الآن ليخطب له.

ب. أخبرهم عن المهمة التي كلفه بها سيده، وهي أن يجد زوجة لابنه من بين أقاربه، وأوضح سبب

إصراره على ذلك (ع ٣٧ و٣٨). ويجب ألا تحرمنا أعلى درجات المحبة الإلهية من المحبة الطبيعية.

ج. حكى لهم عن المعونة الفائقة للعناية الإلهية من أجل تعضيد عرضه وتدعيمه، حيث ظهرت بكل جلاء يد الله في هذا الأمر.

د. وافقوا على العرض بكل سهولة وفرح على أساس مبدأ طيب للغاية وهو: «من عند الرب خرج الأمر» (ع ٥٠). فالعناية الإلهية باركته. وليس لدينا ما نعترض به عليه.

هـ. قدم عبد إبراهيم شكرا لله اعترافا بإنجاحه مهمته، ذلك أنه «سجد للرب إلى الأرض» (ع ٥٢). لقد أرسل الله ملاكه قدامه، وبذلك أنجح طريقه (ع ٧، ٤٠). غير أنه حين نال النجاح المطلوب سجد إلى الله وليس إلى الملاك.

عدد ٥٤– ٦١

رفقة تغادر بيت أبيها: غير أن أقاربها، بدافع من المحبة الطبيعية، وطبقا للعادة المتبعة من ناحية إظهار شعور المحبة في مثل هذه الحالة، رجوها أن تمكث معهم لبعض الوقت (ع ٥٥). لقد وافقوا على الزواج، ومع ذلك كانوا لا يودون مفارقتها. ولكن رفقة نفسها حسمت الأمر. فقد وافقت، ليس على أن تذهب فقط، بل وفي الحال. وهنا شُيعت مع عبد إبراهيم، مع صحبة مناسبة، وتمنيات طيبة. وما دامت ستصبح زوجة، فقد صلُوا لكي تكون أما لذرية كبيرة، ناجحة ومنتصرة.

عدد ٦٢– ٦٧

وهكذا، وفي سعادة تزوج إسحاق برفقة.

أولا: كان إسحاق يقوم بمهمة طيبة حين تقابل مع رفقة: «وخرج إسحاق ليتأمل في الحقل»، أو ليصلي (ع ٦٢ و٦٣). ذهب ليستغل سكون فترة المساء والوحدة في الحقل لكي يقضي بعض الوقت في التأمل والصلاة، هذه هي الممارسات المقدسة التي نتحدث بها مع الله ومع قلوبنا. ومما تجدر ملاحظته هنا:

(١) النفوس المقدسة تحب فترات الخلوة: وإنه لمن المفيد لنا أن نخلو كثيرا بأنفسنا، نسير بمفردنا، ونجلس بمفردنا، وإذا كانت لدينا مهارة الاستفادة الروحية من عزلتنا على نحو طيب، فسوف نكتشف أننا لم نكن وحيدين في الفترة التي خلونا فيها بأنفسنا.

(٢) يجب أن يكون التأمل والصلاة هما شغلنا الشاغل ومصدر سعادتنا حينما نكون وحدنا. وممارسة العبادة يجب أن تكون وسيلة إنعاش أمسيتنا وتسليتنا، ولتهيئتنا للراحة والنوم فترة الليل. والبعض يقول بأن إسحاق كان في ذلك الحين يصلي من أجل نجاح المهمة التي يقوم بها خادمه، والآن، وإذ جلس على مرصده ينتظر كيف سيجيبه الله، كما يقول النبي (حب ٢: ١)، «ونظر وإذا جِمال مقبلة».

ثانيا: تصرفت رفقة تصرفا حسنا حين قابلت إسحاق: فإذ عرفت مَنْ هو: «فنزلت عن الجمل» (ع ٦٤)، «فأخذت البرقع وتغطت» (ع ٦٥)، كعلامة على التواضع والحياء والخضوع.

ثالثا: وهكذا اجتمعا معا من أجل الراحة المتبادلة (ع ٦٧) ومما تجدر ملاحظته:

(١) كيف أنه كان ابنا محبا لوالدته، كان قد مرت على وفاتها ثلاث سنوات، ولم يكن حتى الآن قد تعزى لوفاتها.

(٢) كيف كان زوجا محبا لزوجته.

الأصحاح الخامس والعشرين

أولا: في هذا الأصحاح يختتم الكاتب الحديث عن إبراهيم بقصة عن:

(١) أولاده من زوجة أخرى (ع ١– ٤).
(٢) وصيته الأخيرة (ع ٥ و٦).
(٣) عمره، وموته ودفنه (ع ٧– ١٠).

ثانيا: ينهي حديثه عن إسماعيل بقصة موجزة عن:

(١) أولاده (ع ١٢– ١٦).
(٢) عمره وموته (ع ١٧ و١٨).

ثالثا: يشرع في الكتابة عن تاريخ إسحاق:

(١) ازدهاره (ع ١١).
(٢) حمل وولادة ابنيه مع أقوال إلهية تخصهما (ع ١٩– ٢٦).
(٣) طباعهما المتباينة (ع ٢٧ و٢٨).
(٤) بيع عيسو بكوريته ليعقوب (ع ٢٩– ٣٤).

عدد ١ – ١٠

عاش إبراهيم بعد زواج إسحاق خمسا وثلاثين سنة، وكل ما كُتب عنه في هذه الفترة لا يتجاوز بضعة آيات. فلم نعد نسمع عن ظهورات الله غير العادية له، أو امتحانه، لأنه حتى أيام أفضل القديسين ليست كلها أياما بارزة، فبعضها ينقضي في صمت، يأتي وينقضي دون أن يصاحبه ما يستحق الذكر، وهذا ما كان عليه الحال بالنسبة لأيام إبراهيم الأخيرة.

أولا: إشارة إلى أولاده من قطورة، التي تزوجها بعد وفاة سارة.

ثانيا: توزيع إبراهيم لثروته (ع ٥ و٦). فبعد ولادة هؤلاء الأولاد، شرع يرتب بيته، بكل حكمة وعدل.

(١) جعل إسحاق وريثه، حيث كان ملزما بذلك، من باب العدالة نحو سارة، زوجته الأولى والأساسية، ولرفقة التي تزوجت إسحاق على هذا الأساس (تك ٢٤: ٣٦). وإذ كان الله قد سبق وجعله وريثا للعهد، فمن ثَمَّ جعله إبراهيم وريثا لأملاكه.

(٢) أعطى أجزاء لبقية أولاده، سواء لإسماعيل، على الرغم من أنه طُرد في البداية ويداه خاويتان، أو لأولاده من قطورة. وكان من العدالة أن يعطيهم ما يعينهم، والآباء الذين لا يحذون حذوه في هذا يكونون أسوأ من غير المؤمنين. وكان من حكمته أن يعمل على إقامتهم في أماكن بعيدة عن إسحاق، حتى لا يعطيهم فرصة محاولة منازعته على الميراث أو يشكلون عبئا عليه. ونلاحظ أنه فعل هذا «وهو بعد حي»، خشية ألا يتم ذلك بعد وفاته، أو لا يتم بطريقة صحيحة.

ثالثا: سنو حياة إبراهيم ووفاته (ع ٧ و٨). لقد عاش «مئة وخمس وسبعون سنة»، أي مائة سنة بعد مجيئه إلى كنعان، وطوال هذه الفترة كان نزيلا في أرض غريبة.

(١) أسلم إبراهيم روحه. فلم تُؤخذ منه عنوة، بل أسلمها بفرح في يدي أبي الأرواح.

(٢) «مات بشيبة صالحة»، فهكذا سبق أن وعده الله. وكان في موته راحة له من عناء الشيخوخة. وكان ذلك أيضا تتويجا لمجد عمره المديد.

(٣) مات «شبعان أياما». فلم يعش حتى يسأم العالم منه، بل حتى سئم هو من العالم، اكتفى منه، ولم يعد يرغب في المزيد. والرجل الصالح، على الرغم من أنه قد لا يعيش حتى الشيخوخة إلا أنه يموت شبعان أياما، شبع من الحياة هنا، واشتهى الحياة في مكان أفضل.

(٤) «وانضم إلى قومه». ضُم جسده إلى جماعة الموتى، ونفسه إلى جماعة المباركين. والموت يجمعنا بأهالينا، فأولئك الذين لنا في فترة حياتنا، سواء من شعب الله، أو من أبناء هذا العالم، هم الذين سيجمعنا الموت بهم.

رابعا: دفنه (ع ٩ و١٠).

(١) مَنْ الذي قام بدفنه: «دفنه إسحاق وإسماعيل ابناه». وكان آخر عمل يُظهرا فيه احترامهما لأبيهما الطيب. وكان ثَمة تباعد في السابق بين إسحاق وإسماعيل، غير أنه يبدو أنه إما أن إبراهيم نفسه جمع بينهما وهو على قيد الحياة، أو أن موته على الأقل قارب بينهما.

(٢) أين دفنوه: دفناه في المقبرة الخاصة به، والتي كان قد اشتراها ودفن فيها سارة.

عدد ١١ – ١٨

بعد قصة موت إبراهيم مباشرة، يبدأ موسى قصة إسحاق (ع ١١)، فيخبرنا أين كان يسكن وكيف أن الله باركه بركة عظيمة. غير أنه يترك قصة إسحاق في الوقت الراهن ليذكر فقرة موجزة عن إسماعيل، نظرا لأنه كان أيضا ابن إبراهيم، وكان الله قد أعطى بعض المواعيد الخاصة به.

(١) بالنسبة لأولاده: كان له اثنا عشر ولدا، «اثنا عشر رئيسا»، على مدى الزمن أصبحوا أمما كبيرة العدد ولها شأنها. وقد سكنوا العربية. وقد سُجلت أسماء الأبناء الاثني عشر. وكثيرا ما نقرأ في الأسفار المقدسة عن اسمي مديان وقيدار. وبعض المفسرين المجيدين ذكروا أهمية الأسماء الثلاثة التي ذكرت معا في آية ١٤ باعتبار أنهم يشكلون نصيحة طيبة لنا، ذلك أن «مشماع ودومة ومسا» تعني انصت، اصمت وتحمل، ونجدهم مذكورين معا بنفس الترتيب في يعقوب ١: ١٩: «ليكن كل إنسان مسرعا في الاستماع مبطئا في التكلم مبطئا في الغضب». ولم تكن لذرية إسماعيل خيام فقط ازدهروا فيها في

أوقات السلم، بل كانت لهم أيضا ديار وحصون (ع ١٦) كانوا يحصنون بها أنفسهم في أوقات الحرب.

(٢) بخصوص إسماعيل نفسه، نجد هنا إشارة إلى عمره: فقد عاش مئة وسبع وثلاثين سنة (ع ١٧)، وقد ذُكر عمره لبيان فعالية صلاة إبراهيم من أجله (تك ١٧: ١٨): «ليت إسماعيل يعيش أمامك». ونجد كذلك إشارة إلى موته، وقد «انضم إلى قومه» أيضا، ولكن لم يذكر أنه مات «شبعان أياما»، على الرغم من أنه عاش هذا العمر المديد. وقد مات وأصدقاؤه من حوله، وهذا ما فيه تعزية.

عدد ١٩ – ٢٨

تشير هذه الفقرة إلى ولادة يعقوب وعيسو، ابني إسحاق ورفقة التوأم، ومجيئهما إلى العالم (وكان أمرا على خلاف المعتاد) يُشكل أهم جزء في قصتهما. ويبدو أن إسحاق لم يكن يتميز بالنشاط، حيث لم يُختبر طويلا، بل عاش حياته في هدوء وسكون. أما بالنسبة ليعقوب وعيسو فقد ذُكر عنهما الآتي:

أولا: إنه كانت الصلوات تُرفع من أجلهما. ذلك أن أبويهما، ظلا فترة طويلة دون إنجاب، ثم رُزقا بهما بالصلاة (ع ٢٠ و٢١): «وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة». وكان في الستين من عمره حين وُلد ابناه (ع ٢٦)، وعلى هذا فإنه ظل عشرين سنة بعد زواجه دون أن يُرزق بنسل. غير أنه:

(١) صلَّى: صلى إلى الرب «لأجل امرأته». ويُلاحظ أن الأزواج يجب أن يصلوا مع زوجاتهم. وثَمة تقليد يهودي يقول: إن إسحاق في النهاية أخذ زوجته معه إلى جبل المريا، المكان الذي أعطى الله فيه وعده بأنه سيكثر نسل إبراهيم تكثيرا (تك ٢٢: ١٧)، وهناك في صلاته معها ومن أجلها تضرع من أجل تحقيق الوعد الذي قُطع في نفس هذا المكان.

(٢) استمع الله إلى صلاته، إذ تضرع إليه.

ثانيا: إنه قد تم التنبؤ بهما قبل أن يولدا، وثَمة أسرار عظيمة تضمنتها التنبؤات التي سبقت ولادتهما (ع ٢٢ و٢٣). وإذ أصبحت رفقة أما لهذين الولدين، فإننا نلاحظ هنا:

(١) كيف أنها اضطربت في حالتها الراهنة «تزاحم الولدان في بطنها». وهذه المعركة بين يعقوب وعيسو وهما في بطن أمهما كانت ترمز إلى المعركة القائمة بين ملكوت الله ومملكة الشيطان. والحرب المقدسة أفضل من السلام في قصر الشيطان.

(٢) ما الطريق الذي سلكته لإراحة نفسها: «فمضت لتسأل الرب». إنها لراحة عظيمة لنا أن نطرح ظروفنا أمام الرب، ونطلب المشورة من فمه: «دخلت مقادس الله» (مز ٧٣: ١٧).

(٣) المعلومات التي أُعطيت لها بناء على تساؤلها، والتي فسرت السر: «في بطنك أمتان» (ع ٢٣). كانت الآن حاملا، ليس بطفلين فقط، بل بأمتين، ولن يكونا مختلفين فقط في سلوكهما وميولهما تمام الاختلاف، لكنهما أيضا سيتصادمان ويتعاركان بالنسبة لمصالحهما أيضا، وسوف تكون نتيجة الصراع أن الكبير يُستعبد للصغير. وهذا ما تحقق في خضوع الأدوميين لبيت داود لعدة أجيال، حتى قاموا بالثورة (٢أخ ٢١: ٨). وفي المعركة التي تدور بين النعمة والفساد في النفس، فمن المؤكد أن النعمة، وهي الأصغر، ستكون لها اليد الأعلى في نهاية المطاف.

ثالثا: كان هناك اختلافا بيِّنا بعد ولادتهما:

(١) كان هناك اختلافا كبيرا في تكوينهما الجسماني (ع ٢٥). ذلك أنه حين وُلد عيسو، كان خشنا مشعرا كما لو كان رجلا، ولهذا سُمي عيسو، أي «شعر". وهذا ما كان يشير إلى أنه سيكون قوي البنية، وكان يدعو إلى الاعتقاد بأنه سيكون رجلا عنيفا جريئا ونشيطا. أما يعقوب فكان هادئا لطيفا كبقية الأطفال. فهذه هي طريقة الله المعتادة في أن يختار ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء (١كو ١: ٢٦ و٢٧).

(٢) كان ثَمة صراع واضح في ميلادهما.

(٣) كانا مختلفي الطباع والتفكير، وفي أسلوب الحياة الذي اختاره كل منهما (ع ٢٧).

أ. كان عيسو رجلا من أهل العالم. كرس نفسه للرياضة، لأنه كان صيادا ماكرا، وكان محبا للقتال مثل نمرود وإسماعيل.

ب. أما يعقوب فكان رجلا يهتم بالعالم الآخر. لم يكن رجل دولة، ولم يسع إلى العظمة، بل كان هادئا «يسكن الخيام»، وكان أمينا، صادق النية، ويعامل الناس

بعدل، فضَّل مباهج العزلة والخلوة على كل المباهج الخادعة للرياضة الصاخبة. ولقد سكن في الخيام:

◄ باعتباره راعيا. فقد التصق بمهنة رعي الغنم لما تتميز به من أمن وسكون، وهي المهنة التي درج عليها أولاده أيضا (تك ٤٦: ٣٤)، وإما:

◄ كتلميذ. فقد كان يتردد على خيام ملكي صادق، أو عابر، كما يفهمها البعض، لكي يتعلم على أيديهما الأمور الإلهية. وهذا ما كان عليه ابن إسحاق الذي انتقل إليه العهد.

(٤) فوزهما بمحبة والديهما متباين أيضا. لم يكن لهما سوى هذين الولدين، غير أنه يبدو أن أحدهما كان محبوبا من أبيه، والآخر كان المفضل عند أمه (ع ٢٨).

أ. كان إسحاق يحب أن يكون ابنه نشيطا. وقد عرف عيسو كيف يُسره، وأظهر له احتراما كبيرا، وذلك بأنه كان يهديه دائما لحما مما يصطاده.

ب. كانت رفقة منتبهة للأقوال الإلهية التي أعطت الأفضلية ليعقوب، ولذلك استأثر بحبها.

عدد ٢٩ – ٣٤

تتضمن هذه الفقرة صفقة تمت بين يعقوب وعيسو حول البكورية، التي كانت لعيسو بحسب المولد، ولكنها ليعقوب بحسب الوعد. وكانت البكورية تتضمن امتيازا روحيا، حيث كانت لها في ذلك الحين بركة تابعة لها، وميراثا للوعد.

أولا: رغبة يعقوب المقدسة في البكورية، التي كان يحاول الحصول عليها حتى الآن بطرق غير مباشرة. كان يستحق المديح لكونه اشتهى بحماسة أفضل المواهب، إلا أنه لا يمكن أن يُبرر حين استغل حاجة أخيه لكي يفرض عليه صفقة قاسية كهذه (ع ٣١) حيث قال له: «بعني اليوم بكوريتك». ويلاحظ أن البسطاء من الناس الذين يسلكون ببساطة وإخلاص وبدون حكمة عالمية، تجدهم دائما أحكم الجميع من جهة نفوسهم وأبديتهم. وقد ظهرت حكمة يعقوب في أمرين:

(١) اختار أنسب وقت.

(٢) إذ عقد الاتفاق عمل على تأكيده، وثبته بأن جعل عيسو يؤكد اتفاقه بقسم: «احلف لي اليوم» (ع ٣٣).

ثانيا: خطية عيسو في احتقاره البكورية وحماقته في بيعها. وقد سُمي لذلك «مستبيحا» (عب ١٢: ١٦) «كعيسو الذي لأجل أكلة واحدة باع بكوريته»، وكانت أكلة مكلفة جدا، لم يكن أغلى منها سوى الأكل من الثمرة المنهي عنها، وقد عاش يندم على ذلك طوال حياته، ولكن بعد فوات الأوان. ويُلاحظ أن هناك مَنْ هو مقتصد في التوافه ومسرف في عظائم الأمور، وهناك صيادون ماكرون يخدعون الآخرين ويوقعون بهم في حبائلهم، ومع ذلك، يخدعون هم أنفسهم بحبائل الشيطان، ويقعون في أسره، ويعملون مشيئته. ونلاحظ هنا أمثلة من حماقة عيسو.

(١) كانت شهيته قوية جدا (ع ٢٩ و٣٠). فقد طبخ يعقوب المسكين طبخة عدس (ع ٣٤)، وأحضر خبزا ليتناول طعام الغذاء، في الوقت الذي عاد عيسو من الصيد، حيث كان جائعا ومنهكا. قال عيسو: «أطعمني من هذا الأحمر». وإشباع الشهوات الحسية دائما يكون سبب هلاك الآلاف من النفوس الثمينة. وإذا كان عيسو جائعا ومنهكا، كان بوسعه الحصول على وجبة طعام أرخص من أن يدفع بكوريته ثمنا لها.

(٢) كان منطقه ضعيفا (ع ٣٢): «ها أنا ماض إلى الموت»، ولو كان هذا حاله حقا، أفما كان هناك شيء آخر بخلاف هذه الأكلة يمكنه أن يبقيه على قيد الحياة؟ وإذا كانت هناك مجاعة في الأرض (تك ٢٦: ١)، كما قد يمكننا التخمين، إلا أنه لا يمكننا افتراض أن إسحاق كان فقيرا للغاية، أو أن رفقة كانت طاهية رديئة، ومن ثَمَّ لم يكن باستطاعته أن يحصل على طعام مناسب بأية وسيلة أخرى. ويُلاحظ إنها حماقة بالغة أن نتخلى عن اهتمامنا بالله، والمسيح والسماء من أجل غنى هذا العالم وأمجاده وملذاته، لأنها ستكون صفقة خاسرة مثل تلك التي بيعت فيها البكورية من أجل أكلة عدس.

(٣) لم يكن يفكر إطلاقا في التوبة (ع ٣٤): «فأكل وشرب»، سعيدا بما أكله، وبعد ذلك، قام بكل إهمال ومضى، دون أن يظهر أية علامات تدل على الندم. وهكذا، احتقر عيسو البكورية.

الأصحاح السادس والعشرون

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: إسحاق في محنة نتيجة الجوع.

(١) الشيء الذي أجبره على أن يغير مكان إقامته (ع ١). غير أن:

(٢) الله افتقده بإرشاد وعزاء (ع ٢– ٥).

(٣) أنكر زوجته بحماقةٍ (ع ٦– ١١).

ثانيا: ازدهار إسحاق (ع ١٢– ١٤). وكذلك:

(١) حسده الفلسطينيون (ع ١٤– ١٧).

(٢) يواصل اجتهاده ونشاطه (ع ١٨– ٢٣).

(٣) تشجيع الله له (ع ٢٤ و٢٥).

(٤) أخيرا، عقد الفلسطينيون معه عهدا (ع ٢٦– ٣٣).

(٥) الزواج غير المقبول لابنه عيسو (ع ٣٤ و٣٥).

عدد ١– ٥

أولا: اختبر الله إسحاق بتدبيراته الإلهية. فهناك الآن «في الأرض جوع» (ع ١). ماذا سيكون اعتقاده بالنسبة للوعد حينما لا يجد خبزا في أرض الموعد؟ الإجابة هي أن إسحاق سوف يتعلق بالعهد. فقيمة مواعيد الله العظيمة لا يمكن أن تقل في عين المؤمن نتيجة أي محنة مهما بلغت.

ثانيا: وجهه الله بكلمته في هذه المحنة. كان على إسحاق أن يذهب للبحث عن مؤن. فولى وجهه صوب مصر، حيث كان قد ذهب إليها أبوه في محنة مماثلة، ولكنه في طريقه توجه إلى جرار. أمره الله أن يبقى حيث هو وألا ينزل «إلى مصر». «اسكن في الأرض التي أقول لك» (ع ٢ و٣). كانت ثَمة مجاعة في أيام يعقوب، وقد أمره الله بألا يخاف «من النزول إلى مصر» (تك ٤٦: ٣ و٤)، ومجاعة في عهد إسحاق، وقد أمره الله: «لا تنزل إلى مصر»، كما كانت هناك مجاعة في أيام إبراهيم، وتركه الله لحريته. وهذا التنوع في الإجراءات الإلهية يفسره البعض إلى اختلاف شخصيات هؤلاء الآباء الثلاثة. فقد كان إبراهيم ذي إدراك عال، وكان في شركة وثيقة مع الله، وجميع الأماكن والظروف بالنسبة له متماثلة. وكان إسحاق رجلا طيبا، ولم يكن بطبعه يتحمل الصعاب، ولذلك مُنع من النزول إلى مصر. أما يعقوب فقد تمرس على المصاعب، وكان يتسم بالقوة والصبر، وعلى ذلك كان عليه أن ينزل إلى مصر. وهكذا يجيء الله بالتجارب بحيث تتناسب مع قدرات شعبه. «إبراهيم سمع لقولي» وعليك أن تفعل أنت الآن ذلك، ومن المؤكد أن الوعد سيكون لك. وقد امتُدحت هنا طاعة إبراهيم، وكان ذلك شرفا له، لأنه بواسطتها كانت له شهادة طيبة لدى الله والناس.

عدد ٦– ١١

أقام إسحاق الآن في جرار، وهي البلدة التي وُلد فيها (ع ٦)، ومع ذلك فقد تعرض هناك لتجربة إنكاره لزوجته وادعائه بأنها أخته.

أولا: كيف وقع في هذه الخطية (ع ٧). لأن زوجته كانت جميلة، فتخيل أن الفلسطينيين سوف يقتلونه بأية وسيلة بسببها، وعلى ذلك وجد أنه يجب أن تدَّعي أنها أخته.

ثانيا: كيف أُكتشف وعرف الملك بنفسه غشه. وأبيمالك (وليس هو نفس الشخص الذي كان في أيام إبراهيم (تك ٢٠)، لأنه هذا كان بعد مرور مائة عام على الحادثة الأولى، غير أن هذا كان الاسم المشترك للملوك الفلسطينيين) رأى إسحاق يلاطف رفقة امرأته، الأمر الذي ما كان يفعله مع أخته (ع ٨): فقد رآه يلاعب أو يداعب رفقة، أو يضاحكها، وهي نفس الكلمة التي اشتُق منها اسم «إسحاق». ولا يمكن لرجل أن يمرح ببراءة أكثر مما يفعل مع امرأته وأولاده. وقد اتهمه أبيمالك بالخداع (ع ٩) وعرَّفه العواقب الوخيمة التي ستنجم عن ذلك (ع ١٠)، وبعدئذ أقنعه كيف أنه بلا مبرر، وبظلم كان يغار منهم، ثم أخذه هو وعائلته تحت حمايته الخاصة، ومنع إلحاق أي ضرر به أو بزوجته، وهدد بأن مَنْ يحاول ذلك يعرض نفسه للموت (ع ١١).

عدد ١٢– ٢٥

أولا: دلالات مقاصد الله الطيبة نحو إسحاق:

(١) أنتجت حقوله محصولا غزيرا بشكل مذهل (ع ١٢). ولم يكن يمتلك أرضا، ولكنه أخذ أرضا

من الفلسطينيين وزرعها، (وكان هذا من أجل تشجيع المستأجرين المساكين الذين يتسمون بالأمانة وبذل الجهد) وقد باركه الله فأعطت أرضه زيادة عظيمة في المحصول، بلغت «في تلك السنة مائة ضعف» في الوقت الذي كان فيه جوع في الأرض.

(٢) زادت ماشيته (ع ١٤)، وبعدئذ:

(٣) أصبح لديه «عبيد كثيرون»، كان يستخدمهم ويحتفظ بهم.

ثانيا: علامات سوء نية الفلسطينيين نحوه: «فحسده الفلسطينيون» (ع ١٤). إنه لمبدأ سيئ حقا ذاك الذي يجعل الناس يحزنون لما يصيب الآخرين من خير، كما لو أن الخير الذي يصيب جاري يُعد شرا بالنسبة لي. وبالنظر إلى أنهم لم يكونوا يمتلكون مواشي يسقونها من الآبار، فإنهم لم يتركوها لكي يستعملها آخرون، فالحقد أمر غاية في السوء والشر. لقد بدأ ملك جرار ينظر إليه بعين الحسد. أصبح بيت إسحاق كالبلاط الملكي، وعلى هذا يجب أن يرحل بعيدا. والرجل الحكيم الصالح يُفضل أن ينسحب إلى العزلة، مثلما فعل إسحاق هنا حيث مضى إلى الوادي، بدلا من أن يشغل مكانا بارزا ويصبح هدفا للحسد والحقد.

ثالثا: ثباته وتواصل نجاحه:

(١) استمر في الزراعة وواصل جهوده للعثور على آبار الماء، وكرس نفسه للارتقاء بالأرض التي جاء إليها والوصول بها إلى أفضل حال، الأمر الذي يحرص كل حكيم أن يعمله.

أ. فتح الآبار التي كان قد حفرها أبوه (ع ١٨). وفي بحثنا عن الحق، الذي هو ينبوع الماء الحي، فإنه أمر طيب أن نستفيد من اكتشافات الأجيال السابقة، التي تم التعتيم عليها نتيجة فساد أزمنة لاحقة. اسأل عن الطريق القديم، الآبار التي حفرها آباؤنا، والتي طمسها خصوم الحق.

ب. قام عبيده بحفر آبار جديدة (ع ١٩). وعلى الرغم من أنه يتحتم علينا أن نستخدم نور الأجيال السابقة، فليس معنى هذا أن نكتفي بهذا، ولا نحاول أن نتقدم. علينا أن نواصل البناء على الأساس الذي وضعوه لنا.

ج. واجه مقاومة كثيرة أثناء حفره آباره (ع ٢٠ و٢١). والذين يفتحون ينابيع الحق عليهم أن يتوقعوا معارضة قوية. والبئران الأولان اللذان حفروهما سُميا «عسق» و«سطنة» أي «نزاع» و«خصام».

د. وأخيرا انتقل إلى مكان هادئ، لقد فضل الهدوء عن الانتصار. والذين يتبعون السلام، سيجدونه إن عاجلا أم آجلا. وهذه البئر دُعي اسمها «رحوبوت»، أي «أرحب»، أي مكانا كافيا وأوسع: في البئرين السابقين نرى حقيقة الأرض «نزاع» و«خصام»، أما هذه البئر فتبين لنا حقيقة السماء، إنها «أرحب»، وهي مكان «السلام»، وهناك مكان كاف، لأنه هناك «منازل كثيرة».

(٢) استمر متمسكا بديانته بكل ثبات، وحافظ على شركته مع الله. لقد جاء إلى بئر سبع وهو متعب يتملكه القلق. فقال له الله: «لا تخف لأني معك وأباركك». وكذلك الواثقون من حضور الله معهم، يمكنهم أن يتحركوا آمنين أينما ذهبوا. «فبنى هناك مذبحا ودعا باسم الرب» (ع ٢٥).

عدد ٢٦ – ٣٣

نجد هنا أن النزاعات التي كانت بين إسحاق والفلسطينيين وقد انتهت إلى خاتمة سعيدة بالسلام والمصالحة.

أولا: قام أبيمالك بزيارة ودية لإسحاق، كعلامة على ما يكنه له من احترام (ع ٢٦).

ثانيا: قام إسحاق بحكمة وحرص بسبر أغوار ما وراء هذه الزيارة (ع ٢٧).

ثالثا: أظهر أبيمالك إخلاصه فيما قاله لإسحاق، وقد طلب صداقته بكل حماسة (ع ٢٨ و٢٩). وقد اشتكى إسحاق «قد أبغضتموني وصرفتموني». فرد عليه أبيمالك. كلا، لقد «صرفناك بسلام». وقد اعترف بعلامات إحسان الله عليه، واتخذ من هذا سببا لرغبتهم في الدخول معه في حلف: «الرب كان معك»، «أنت الآن مبارك الرب».

رابعا: صنع إسحاق ضيافة له ولمرافقيه، ودخل في معاهدة صداقة معه (ع ٣٠ و٣١). والديانة تعلمنا حسن الجوار، وعلينا حسب طاقتنا أن نسالم جميع الناس.

خامسا: استحسنت العناية الإلهية ما فعله إسحاق، لأنه في ذات اليوم الذي عقد فيه هذا الحلف مع أبيمالك جاءه عبيده بأخبار البئر الجديدة التي حفروا ووجدوا بها ماء (ع ٣٢ و٣٣).

عدد ٣٤ و٣٥

ونجد هنا:

(١) حماقة عيسو في زواجه- كان أحمقا لزواجه من بنات الكنعانيين، الذين كانوا غرباء عن بركات إبراهيم، ولهذا دُعي ملحدا، لأنه أظهر بهذا أنه لم يكن راغبا في بركة الله، ولم يخش لعنته.

(٢) الحزن والمتاعب التي سببها هذا الزواج لوالديه الطيبين. لقد أحزنهما أنه تزوج من بنات الحثيين البعيدين عن الله.

الأصحاح السابع والعشرون

نعود في هذا الأصحاح إلى قصة الصراع بين عيسو ويعقوب، والتي لها معان رمزية كثيرة. فقد استخف عيسو بالبكورية وباعها ليعقوب. ونجد تفسيرا لذلك في عبرانيين ١٢: ١٦ و١٧ «باع بكوريته... بعد ذلك لما أراد أن يرث البركة رُفض».

ونجد في هذا الأصحاح.

أولا: عزم إسحاق أن يبارك عيسو (ع ١- ٥).

ثانيا: مؤامرة رفقة للحصول على البركة ليعقوب (ع ٦- ١٧).

ثالثا: نجاح يعقوب في مؤامرته، واستيلاؤه على البركة (ع ١٨- ٢٩).

رابعا: غضبة عيسو نتيجة ذلك، وهنا نرى:

(١) إلحاحه بشدة على أبيه ليحصل على بركة (ع ٣٠- ٤٠).

(٢) عداوته الشديدة لأخيه لخداعه والحصول على البركة الأولى (ع ٤١- ٤٥).

عدد ١- ٥

أولا: خطة إسحاق لوضع وصيته، وإعلان عيسو وريثا له.

ثانيا: التوجيهات التي أصدرها لعيسو طبقا لهذه الخطة. فقد استدعاه (ع ١)، لأنه على الرغم من أن عيسو أحزن والديه كثيرا نتيجة هذا الزواج، إلا أنهما على الرغم من ذلك لم يطرداه، بل حاولا أن تسير الأمور على خير حال. والآباء الذين يستاءون من أولادهم، عليهم ألا يوصدوا باب الصفح في وجوههم.

(١) أخبره عن الاعتبارات التي حملته على أن يبت في هذا الموضوع الآن (ع ٢).

(٢) طلب منه أن يعد الأشياء اللازمة للاحتفال بتنفيذ وصيته الأخيرة، والتي بمقتضاها سيجعله وريثه (ع ٣ و٤). ويتعين على عيسو أن يخرج للصيد، وأن يحضر بعض اللحم لكي يأكله أبوه ثم يباركه. والصلاة هي عمل النفس، وليس عمل الشفاه فقط، والبركة لن تصل إلى القلب ما لم تخرج من القلب.

عدد ٦- ١٧

تدبر رفقة مؤامرة لتحصل ليعقوب على البركة التي قُصدت لعيسو.

أولا: كانت النهاية طيبة: ذلك أن الله قال: إن الأمر كان يجب أن يتم على هذا النحو، أن الكبير يُستعبد للصغير، ولذلك أصرت رفقة أن يتم ذلك، غير أن:

ثانيا: الوسيلة التي أُتخذت كانت شريرة، ولا يمكن تبريرها. فإذا لم يكن الأمر يُشكل ظلما لعيسو بأن يُحرم من البركة (لأنه هو نفسه ضحَّى بهذا حين باع البكورية)، إلا أن الأمر يشكل ظلما لإسحاق، بأن يُستغل ضعفه لخداعه، ثم أنه كان يتضمن ظلما ليعقوب أيضا، إذ علَّمته الخداع. كما أن ذلك سيعرضه بصفة دائمة للتشكك في هذه البركة، إذا كان سيحصل عليها بالاحتيال والخداع. ولو كانت رفقة قد توجهت لإسحاق وعرفته كيف احتقر عيسو البركة سواء من ناحية بيعه بكوريته، أو من ناحية الزواج من نساء غريبات، لكان هناك احتمال بأن يستجيب إسحاق، ويعطي البركة ليعقوب.

عدد ١٨- ٢٩

ونرى هنا:

أولا: المهارة والثقة التي أتم بها يعقوب هذه المؤامرة.

ومَنْ كان يعتقد أن هذا الرجل البسيط يمكنه أن ينفذ خطته على هذا النحو من البراعة في مؤامرة كهذه؟ ويُلاحظ هنا أنه من السهل أن تتعلم الكذب. وإني لأتعجب كيف ارتضى يعقوب الأمين وبسهولة أن يسمح للسانه أن يقول: «أنا عيسو بكرك» (ع ١٩) كيف استطاع القول: «قد فعلت كما كلمتني»، مع أنه لم يُكلَّف بشيء من قِبل أبيه، وإنما كان يفعل ما أمرته به أمه. ومن ثَمَّ كيف استطاع القول: «كُل من صيدي»، مع أنه يعرف في قرارة نفسه أن ما يقدمه له لم يأت من صيد، بل من الحظيرة؟ ولكنني أتعجب بصفة خاصة كيف طاوعه قلبه أن ينسب ذلك إلى الله، وأن يستخدم اسمه في عملية الخداع (ع ٢٠): «إن الرب إلهك قد يسَّر لي». هل هذا يعقوب؟ هل هذا إسرائيل حقيقة وبدون خداع؟ وليس ثَمة شك في أن هذا كُتب ليس لنحذو حذوه، بل من أجل تعليمنا.

ثانيا: نجاح هذه المحاولة: تمكَّن يعقوب، رغم بعض الصعاب، من تحقيق هدفه، وحصل على البركة.

(١) لم يكن إسحاق مقتنعا في بداية الأمر، وكان بمقدوره اكتشاف الخديعة لو أنه أطاع ما سمعه «الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو» (ع ٢٢). كان صوته صوت يعقوب، غير أن يديه كانتا يدي عيسو. كان يتكلم لغة القديسين، ولكنه يعمل عمل الخطاة، غير أن الحكم سيكون كما هو الحال هنا، على الأيدي.

(٢) رضخ في النهاية لقوة الخديعة ذلك أن «يديه كانتا مشعرتين» (ع ٢٣) لم يدرِ بخلده أنه من السهل القيام بهذا التزييف، الذي قام به يعقوب ببراعة فائقة. أما الذي يخفف ولو بدرجة ضئيلة من جريمة رفقة ويعقوب هو أن خداعهما لم يكن يستهدف الإسراع بتحقيق أقوال الله بقدر منع إعاقتها: كانت البركة على وشك أن تُوضع على رأس عيسو، وقد اعتقدا أنه قد حان الوقت الذي يتحركان فيه لمنع ذلك. لكن كيف أعطى إسحاق بركته ليعقوب؟ (ع ٢٦- ٢٩).

أ. قبَّله، علامة محبته الخاصة له.

ب. امتدحه، «فشم رائحة ثيابه وباركه. وقال انظر. رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب».

ج. صلى من أجله، وتنبأ له. وقد تبارك يعقوب هنا في ثلاثة أمور:

◄ الخير الوفير (ع ٢٨).

◄ القوة (ع ٢٩).

◄ رضاء الله عنه، واهتمام السماء العظيم به: «ليكن لاعنوك ملعونين. ومباركوك مباركين».

عدد ٣٠- ٤٠

أولا: حُرم عيسو من بركات العهد. فذاك الذي احتقر البكورية «أراد أن يرث البركة» (عب ١٢: ١٧). ومما تجدر ملاحظته:

(١) كيف سعى إليها باهتمام. فحين أدرك أن يعقوب حصل عليها خلسةً «صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا» (ع ٣٤). فالذين لا يهتمون كثيرا بأن يسألوا ويطلبوا الآن، سوف يقرعون قريبا ويصرخون: يا رب. يا رب... فالذين يستهينون بالمسيح، سوف يتذللون في طلبه بعدئذ.

(٢) كيف رُفض: فحين أدرك إسحاق أنه خُدع: «فارتعد... ارتعادا عظيما جدا» (ع ٣٣). ولكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه، وأقر البركة التي أعطاها ليعقوب: «باركته. نعم ويكون مباركا» وإذ وجد أنه قد امتلأ من الروح القدس وبطريقة غير عادية حين بارك يعقوب، أدرك أن هذه مشيئة الله، ولذلك بارك هذه المشيئة وهكذا فإنه:

أ. تثبتت البركة ليعقوب.

ب. رضخ إسحاق لمشيئة الله، على الرغم من أنها كانت تتعارض مع توقعاته وعواطفه.

ج. هكذا حُرم عيسو من انتظاره لتلك البركة الخاصة التي اعتقد أنها محفوظة له بعد أن باع بكوريته. واليهود على غرار عيسو، اتكلوا على ناموس البر (ع ٣١)، ومع ذلك فقدوا بركة البر، لأنهم اعتقدوا أنهم يستطيعون الحصول عليها بأعمال الناموس (ع ٣٢)، في حين أن الأمم، الذين وعلى نهج يعقوب. سعوا وراءها بالإيمان بأقوال الله، حصلوا عليها بالقوة، التي يُغصب بها ملكوت السماوات (انظر متى ١١: ١٢). والذين يستهينون ببكوريتهم الروحية. ويبيعونها لقاء قطعة لحم، يفقدون البركات الروحية. والذين يتخلون عن حكمتهم ونعمتهم، وعن إيمانهم وضميرهم الصالح، من أجل أمجاد

العالم وثرواته أو ملذاته، فمهما تظاهروا بحماستهم في الحصول على البركة، إلا أنهم سبقوا وحكموا على أنفسهم بأنهم غير جديرين بها.

ثانيا: ثَمة بركة عامة أُعطيت لعيسو:

(١) وقد رغب هو في ذلك: «باركني أنا أيضا» (ع ٣٤)، «أما أبقيت لي بركة» (ع ٣٦). إن حماقة الكثيرين تتمثل في رغبة قبول أي خير (مز ٤: ٦)، كما فعل عيسو هنا، إذ أنه رغب في بركة من الدرجة الثانية، بركة ليس لها علاقة بالبكورية. كما لو أن لسان حاله يقول: سأرضى بأي شيء على الرغم من أنني حُرمت من بركة الكنيسة، فمع ذلك أعطني أية بركة.

(٢) حصل على ما طلبه، وليته يفيد من ذلك بأقصى قدر (ع ٣٩ و٤٠).

أ. وقد وُعد بأنه:

◄ سيعيش عيشة رغدة– «دسم الأرض» و«ندى السماء» ويُلاحظ أن أولئك الذين ليس لهم نصيب في بركات العهد، يمكن أن يحصلوا على نصيب طيب من البركات المادية.

◄ سوف يستعيد حريته شيئا فشيئا. سوف يُستعبد، لكنه لن يتضور جوعا. وأخيرا، وبعد كثير من المناوشات سيتمكن من كسر نير العبودية، ويلبس علامات الحرية. وقد تحقق هذا في ٢ملوك ٨: ٢٠، ٢٢ حين قام الأدوميون بالثورة.

ب. بالرغم من ذلك، فهي أقل كثيرا جدا من بركة يعقوب. لأن الله احتفظ للأخير بشيء أفضل. في بركة يعقوب نجد أن «ندى السماء» ذُكر أولا، باعتبار أن ذلك ما يقدره أعظم تقدير. أما بالنسبة لعيسو فقد ذُكر «دسم الأرض» أولا، لأن هذا هو ما كان يهمه بالدرجة الأولى. سوف تكون ليعقوب السيادة على إخوته، وكان من نتيجة ذلك أن الإسرائيليين كثيرا ما سادوا الأدوميين. غير أن الاختلاف العظيم هو أنه ليس في بركة عيسو ما يشير إلى المسيح، وبذلك لن يفيده دسم الأرض كثيرا.

عدد ٤١ – ٤٦

أولا: الحقد الذي تولَّد في عيسو تجاه يعقوب نتيجة البركة التي حصل عليها (ع ٤١). وكانت كراهية عيسو ليعقوب تتسم بأنها:

(١) كانت كراهية بلا داعٍ: كان يكرهه لأن أباه باركه، والله أحبه وليس لأي سبب آخر.

(٢) كانت كراهية تتسم بالقسوة، لن يشبع غليله سوى أن يقتل أخاه.

(٣) كانت كراهية ممزوجة بدهاء وخبث: توقع أن أباه سيموت قريبا، وبعدها سوف يتصارع الإخوة على الميراث والمصالح، الأمر الذي يتيح له فرصة عظيمة للانتقام.

ثانيا: الوسيلة التي انتهجتها رفقة لإزاحة هذا الأذى.

(١) حذرت يعقوب من الخطر المحدق به، ونصحته بالابتعاد لفترة ما، وأن يرحل من أجل سلامته. ومما تجدر ملاحظته:

أ. الأمر الذي كانت رفقة تخشاه. لئلا «أُعدَم اثنيكما في يوم واحد» (ع ٤٥).

ب. ما الذي كانت ترجوه: إذا ابتعد يعقوب عن الأنظار لفترة ما. فسوف تخف وطأة الغضب الشديد الذي تولَّد في أخيه نتيجة شعوره بالإهانة، وشيئا فشيئا سينسى غضبه.

(٢) أقنعت إسحاق بضرورة ذهاب يعقوب إلى أقاربها لمهمة أخرى هي أن يتخذ له منهم زوجة (ع ٤٦).

الأصحاح الثامن والعشرون

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: يعقوب يترك والديه ليذهب إلى فدان أرام، والمهمة التي كلَّفه والده بها (ع ١ و٢)، والبركة التي ودعه بها (ع ٣ و٤)، طاعته للأوامر التي أُعطيت له (ع ٥، ١٠) وتأثير ذلك على عيسو (ع ٦– ٩).

ثانيا: لقاء يعقوب بالله وشركته معه في الطريق، وهناك:

(١) رؤيته للسلم (ع ١١ و١٢).

(٢) الوعود الكريمة التي قطعها الله له (ع ١٣– ١٥).

(٣) الانطباع الذي تركه ذلك عليه (ع ١٦– ١٩).

(٤) النذر الذي نذره لله في هذه المناسبة (ع ٢٠- ٢٢).

عدد ١ - ٥

لم يكد يعقوب يحصل على البركة إلا واضطر على أن يهرب بسرعة من بيت أبيه. وقد «هرب يعقوب إلى صحراء أرام» (هو ١٢: ١٢). كان قد بورك بفيض من الحنطة والخمر، ومع ذلك خرج فقيرا، أُعطي بركة السيادة والسلطة، ومع ذلك خرج ليخدم خدمة شاقة. وكان مرد ذلك:

أولا: ربما لتقويمه لتعامله بغش مع أبيه. وسوف تتثبت البركة له، لكنه سوف يعاني بسبب الطريقة الملتوية التي اتبعها للحصول عليها، ومع ذلك:

ثانيا: لكي نتعلَّم أن أولئك الذين يرثون بركة عليهم أن يتوقعوا الاضطهاد، والذين لهم سلام في المسيح سيواجهون الضيق في العالم (يو ١٦: ٣٣). وقد انصرف يعقوب من أمام أبيه حيث:

(١) كلفه بمهمة جليلة: «باركه وأوصاه» (ع ١ و٢) لنلاحظ أنه على مَنْ يتلقون بركة أن يلتزموا بالمهمة التي تصاحبها، وألا يفكروا في أن يفصلوا بين ما جمعه الله. فإذا ما كان يعقوب وارثا للعهد فعليه ألا يأخذ «زوجة من بنات كنعان»، فالمؤمنون لا يجب أن يتزوجوا بغير المؤمنات.

(٢) وببركة عظيمة (ع ٣ و٤): سبق أن باركه دون أن يقصد، أما الآن فهو يفعل ذلك عن قصد، وذلك لكي يشجع يعقوب تشجيعا كبيرا نظرا لحالته التي يُرثى لها وهو على وشك الرحيل. وهذه البركة كانت أكثر وضوحا وشمولا عن تلك البركة السابقة: إنها ميراث لبركة إبراهيم. إنها بركة الإنجيل (غل ٣: ١٤) وهي بركة من الله القادر على كل شيء، وهو الاسم الذي ظهر به الله للآباء (خر ٦: ٣).

أ. وعد الميراث «ويجعلك مثمرا ويكثِّرك» (ع ٣):

◄ ولم تكن هناك جماهير تجمعت معا في جماعة واحدة مثلما كان حال أسباط إسرائيل في البرية. بعد ذلك.

◄ من خلاله سيأتي، من نسل إبراهيم، الشخص الذي فيه تتبارك جميع شعوب الأرض، لأن كل الأشياء مما في السماء أو على الأرض تتجمع في المسيح (أف ١: ١٠).

ب. وعد بميراث لهؤلاء الورثة: «لترث أرض غربتك» (ع ٤). وبواسطة هذا الوعد أصبحت كنعان ميراثا لنسل يعقوب، ولا تشمل نسل عيسو. لقد أُخبر هنا بأنه سيرث الأرض التي هو متغرب فيها. والذين يتمتعون أكثر بالأمور الحاضرة هم الذين لا يعيرونها اهتماما كثيرا. كانت هذه أفضل أرض في نظر يعقوب والآباء الآخرين، في حين أنه أقر بنفسه بأنهم «غرباء ونزلاء على الأرض» (عب ١١: ١٣). وهكذا سافر بعيدا إلى فدان أرام (ع ٥).

عدد ٦ - ٩

هذه الفقرة التي تخص عيسو جاءت في وسط قصة يعقوب، لكي:

(١) تبين تأثير القدوة الصالحة: فعلى الرغم من أن عيسو كان الأعظم، إلا أنه بدأ يعتقد أن يعقوب هو الأفضل، وندم لأنه لم يحذُ حذوه وبصفة خاصة من ناحية زواجه من بنات إبراهيم، أو

(٢) تبين حماقة الفطنة المتأخرة: لقد أحسن عيسو عملا، غير أن ذاك جاء بعد فوات الأوان، حين «رأى عيسو أن بنات كنعان شريرات في عيني إسحاق أبيه»، وكان بمقدوره أن يدرك ذلك منذ فترة طويلة، لو كان قد طلب مشورة أبيه، بنفس الكيفية التي حقق بها رغبته. وكيف ينصلح الأمر الآن، الواقع أنه إذ أراد تصحيح الوضع فإنه زاده سوءا إذ تزوج بابنة إسماعيل ابن الجارية، الذي سبق أن طُرد. وقد فعل ذلك لكي يرضي أباه وليس مرضاة لله. وقد اكتفى بإصلاح جزئي لحياته.

عدد ١٠ - ١٥

تتحدث هذه الفقرة عن يعقوب وهو في طريقه إلى سورية، وفي حالة يُرثى لها. وقد قطع في الليلة الأولى مسافة طويلة، مسيرة يوم من بئر سبع إلى بيت إيل، وقد صادف هناك:

أولا: مكانا وعرا للإقامة فيه (ع ١١)، فقد اتخذ من الحجارة وسادة، ومن السماء مظلة وغطاء.

ثانيا: رأى حلما سعيدا في هذا المكان القاسي، وأي إسرائيلي في الواقع كان سيرحب بمشاركة يعقوب وسادته الحجرية شريطة أن يحلم حلمه. هناك كان «يسمع أقوال الله»، ورأى «رؤيا القدير». كانت أسعد ليلة نام فيها طوال حياته.

(١) الرؤيا المشجعة التي رآها يعقوب (ع ١٢). رأى سُلَّما يصل من الأرض حتى السماء، وملائكة صاعدة ونازلة عليها، والله نفسه واقف على قمتها. وهذا ما يرمز إلى:

أ. التدبير الإلهي، الذي بمقتضاه نرى اتصالا دائما بين السماء والأرض. والعناية الإلهية تؤدي عملها تدريجيا وعلى خطوات. وحكمة الله عند الطرف الأعلى من السلم، توجه كل الأسباب الثانوية لمجد الهدف الأول الذي هو الله. وقد ولَّدت هذه الرؤيا تعزية ليعقوب جاءت في أوانها تماما، حيث عرَّفته بأن لديه مرشدا أمينا، وحارسا قديرا في دخوله وخروجه.

ب. وساطة المسيح: فهو السلم الذي قدمه على الأرض، حيث طبيعته البشرية، ورأسه في السماء حيث طبيعته الإلهية، أو الحالة الأولى في اتضاعه، والأخيرة في مجده. وإذ سكن الله معنا ونحن معه، فإن ذلك يكون في المسيح. وليس لنا أي طريق يوصلنا إلى السماء سوى عن طريق هذا السلم، وإذا تسلقنا أي طريق آخر فنحن سراق ولصوص. وقد أشار مخلصنا إلى هذه الرؤيا حين تحدث عن ملائكة الله وهم «يصعدون وينزلون على ابن الإنسان» (يو ١: ٥١).

(٢) الكلمات المشجعة التي سمعها يعقوب:

أ. المواعيد السابقة التي أُعطيت لأبيه تكررت له، وتم التصديق عليها (ع ١٣ و١٤). وقد بيَّن له الله بصفة عامة أنه سيكون بالنسبة له كما كان مع إبراهيم وإسحاق.

◄ وُعد بأنه سيُعطى أرض كنعان.

◄ وُعد بأن نسله سيكون كتراب الأرض في الكثرة.

◄ وأُضيف أن المسيح سيأتي من نسله، والذي فيه تتبارك جميع قبائل الأرض.

ب. أُعطيت له وعود جديدة.

◄ كان يعقوب يتوجس خطرا من قِبل أخيه عيسو، لكن الله وعد بأن يحفظه.

◄ كانت أمامه رحلة طويلة، وكان عليه السفر وحده، في طريق غير معروف، وإلى جهة غير معلومة، ولكن الله أخبره: «ها أنا معك».

◄ لم يكن يعلم يعقوب، ولكن الله أخبره بالمصاعب التي ستواجهه في خدمة خاله، ولذلك وعده بأن يحفظه حيثما يذهب.

◄ كان الآن ذاهبا كمنفي في مكان بعيد، لكن الله وعده أن يعيده سالما إلى أرضه.

◄ بدا له أن كل أصدقائه قد تخلّوا عنه، ولكن الله يؤكد له هنا: «لا أتركك». ومَنْ يحبه الله لا يتركه أبدا.

عدد ١٦ – ٢٢

نلاحظ أن نومه كان لذيذا بالنسبة له. ونرى هنا المزيد من دلالات تقوى يعقوب في هذه المناسبة:

أولا: أبدى دهشة عظيمة لما توفر له من دلائل على وجود الله الخاص معه في ذلك المكان: «حقا إن الرب في هذا المكان، وأنا لم أعلم» (ع ١٦). ويُلاحظ أن بمقدور الله أن يعطي دلالات على وجوده لا يمكن إنكارها، وقناعات لا يعرفها الآخرون، ولكنها كافية لمن أُعطيت لهم. والله موجود في كل مكان (تك ١٦: ١٣) وهنا أيضا، أينما كنا سواء في المدينة أو الصحراء، في البيت أو في الحقل، في المتجر أو في الشارع.

ثانيا: وملأه ذلك خوفا (ع ١٧): «خاف وقال ما أرهب هذا المكان» وما رآه في ذلك الوقت وصفه قائلا: «ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء».

ثالثا: اهتم بأن يحفظ ذكرى ذلك بطريقتين:

(١) أقام الحجر عمودا (ع ١٨)، لأن وقته حينئذ لم يكن يتسع لبناء مذبح هناك، على غرار ما فعل إبراهيم في الأماكن التي ظهر له فيها الله (تك ١٢: ٧)، ولذلك «صبَ زيتا على رأسه» كوعد بأنه سيبني مذبحا حين تسمح له الظروف بذلك، الأمر الذي قام به فعلا في وقت لاحق، امتنانا لله على هذه الرؤيا (تك ٣٥: ٧).

(٢) أطلق على المكان اسما جديدا (ع ١٩). كان اسمه «لوز»، أي شجرة لوز، ولكنه دعاه «بيت إيل»، أي بيت الله.

رابعا: ونذر نذرا مقدسا في هذه المناسبة (ع ٢٠– ٢٢). وحين يصادق الله على وعوده لنا، يليق بنا أن نجدد عهودنا له. ونلاحظ في هذا النذر:

(١) إيمان يعقوب: لقد قال له الله: «ها أنا معك... لا أتركك» (ع ١٥). وقد تمسَّك يعقوب بهذا، وقال إني سأتكل على ذلك.

(٢) تواضع يعقوب وبساطة رغباته: لقد تركزت كل طلباته في طعام ليأكل، وثياب ليلبسها. والطبيعة تقنع بالقليل، والنعمة بالأقل.

(٣) تقوى يعقوب، وتقديره العظيم لله، والذي ظهر:

أ. في رغبته، بأن يكون الله معه ويحفظه.

ب. فيما انتوى عمله، وما عقد العزم عليه هو:

◄ بصفة عامة أن يتمسك بالرب، كإله العهد: «يكون الرب لي إلها».

◄ بصفة خاصة، أن يقوم ببعض الأعمال التقوية كعلامة عن شكره لله.

> سأحتفظ بهذا العمود في هذا المكان حتى أعود إليه في سلام، وعندئذ أقيم مكانه مذبحا لمجد الله.

> لن أترك بيت الله دون أثاث، ولا مذبحه دون ذبيحة: «وكل ما تعطيني فإني أعشره لك»، لكي ينفق إما على خدام الله، أو على الفقراء، ولكلاهما تُعطى التقدمات باسمه في هذا العالم.

الأصحاح التاسع والعشرون

يقدم لنا هذا الأصحاح لمحة عن عناية الله بيعقوب:

أولا: كيف أتم رحلته بسلام (ع ١– ١٤).

ثانيا: كيف أُرشد إلى الزواج (ع ١٥– ٣٠).

ثالثا: كيف تكونت عائلته بمولد أربعة بنين (ع ٣١– ٣٥).

عدد ١ – ٨

ذُكر لنا هنا كيف أنه أتم رحلته بسرور بعد شركته الحلوة مع الله في بيت إيل: «ثم رفع يعقوب رجليه» (ع ١ و٢). كيف أنه كان سعيدا إذ وصل إلى نهاية رحلته. ولقد أحضرته العناية الإلهية إلى نفس الحقل الذي كانت تشرب فيه غنم خاله، وهناك تقابل مع راحيل، التي كان مزمعا أن يتزوجها.

(١) يجب أن نشكر العناية الإلهية في كل الظروف التي تعمل لتضفي النجاح والراحة على رحلاتنا أو أي عمل آخر نقوم به. وإذا ما تقابلنا مع أولئك الذين بمقدورهم أن يرشدونا فلا يجب القول إن ذلك جاء وليد الصدفة، بل نعترف بأن ذلك حققته العناية الإلهية، وأن الله حبانا بهذه المساعدة.

(٢) وما قيل هنا عن الرعاية المستمرة التي يوليها الرعاة لأغنامهم (ع ٢ و٣، ٧ و٨) يمكن أن يتخذ لتشبيه الاهتمام الذي يوليه ربنا يسوع، راعي الخراف العظيم، لقطيعه الذي هو الكنيسة، لأنه الراعي الصالح الذي يعرف خرافه، كما أنها تعرفه (يو ١٠: ١٤).

(٣) وحين يجتمع كل الرعاة معا بغنمهم، فإنهم كجيران محبين، يقومون بسقي أغنامهم معا.

(٤) خليق بنا أن نتحدث بلياقة واحترام مع الغرباء. فالكلام بالمعروف له سلطة آسرة (أم ٣١: ٢٦).

عدد ٩– ١٤

تتضمن هذه الفقرة:

(١) تواضع راحيل ونشاطها: كانت تعتني بغنم أبيها (ع ٩).

(٢) رقة يعقوب ومحبته حين عرف أنها قريبته، أخذته الحمية وقام يخدمها بكل إخلاص (ع ١٠).

(٣) لا أساس لما يذهب إليه بعض الكتبة اليهود الذين يقولون إن يعقوب بكى حين قبَّل راحيل. لأن أليفاز، الابن الأكبر لعيسو، هاجم يعقوب أثناء سفره، بتكليف من أبيه وسلبه كل ما كان معه من نقود وجواهر، كانت أمه قد أعطته إياها حين أرسلته للسفر إلى خاله. وكان من الواضح أن مشاعره تجاه راحيل، ومفاجأة مقابلته السعيدة لها هي التي حملته على البكاء.

(٤) أما لابان، فعلى الرغم من أنه ليس من أفضل الناس طباعا، فإنه رحَّب به، وسُر بالكلام الذي أخبره به، وعن سبب مجيئه في هذه الظروف الصعبة.

عدد ١٥- ٣٠

أولا: الاتفاق العادل الذي تم بين لابان ويعقوب، خلال الشهر الذي قضاه يعقوب ضيفا عليه (ع ١٤). وقد أُتيحت ليعقوب الآن فرصة مواتية لكي يعرف لابان مدى محبته لابنته راحيل، وإذ لم يكن يمتلك شيئا يمكنه أن يعطيه لها، فقد وعده بأن يعمل في خدمته سبع سنوات، شريطة أن يعطيها له زوجة في نهايتها.

ثانيا: قيام يعقوب بالتزامه بكل أمانة بالنسبة للاتفاق (ع ٢٠). لقد خدم سبع سنوات بكل أمانة. «وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها»، ذلك لأن رغبته كانت في أن يتعب لكي يكون مستحقا لها، لا أن تُعطى له كهبة.

ثالثا: الحيلة الشريرة التي استخدمها لابان معه بعد أن أنهى زمان خدمته كاملا: «أخذ ليئة ابنته وأتى بها إليه» بدلا من راحيل (ع ٢٣). وكانت هذه خطية لابان، فقد ظلم بذلك كلا من يعقوب وراحيل. ومن السهل أن نلاحظ هنا أنه قد رُد ليعقوب وفق نفس الكيل الذي سبق أن كال به. فقد سبق له أن غش والده حينما تظاهر بأنه عيسو، وها هو حموه بدوره يغشه.

رابعا: العذر الذي أبداه لابان لغشه وتكفيره عن ذلك.

(١) كان العذر تافها: «لا يفعل هكذا في مكاننا» (ع ٢٦). ولم تكن مثل هذه العادة عندهم كما يدَّعي، بل كان يهزأ بيعقوب، ويسخر من غفلته.

(٢) تسويته للموضوع زادت الأمر سوءا: «أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضا» (ع ٢٧). وهو بهذا جر يعقوب إلى الخطية، أوقعه مصيدة الهم الذي ينجم عن تعدد الزوجات، الأمر الذي ظل وصمة عار بالنسبة له. والواقع أن يعقوب لم يكن يقصد ذلك؛ فهو لم يستطع أن يرفض راحيل لأنه أحبها، ولم يكن من ناحية أخرى يستطيع أن يرفض ليئة لأنه تزوجها. وتعدد الزوجات بالنسبة للآباء كان خطية مردها الجهل، ولا يمكن تبرير هذا الأمر الآن، حيث أصبحت وصية الله بالنسبة لهذا الموضوع صريحة ومعروفة: «ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها» (١كو ٧: ٢). والبعض يقول بأن ليئة وراحيل ترمزان إلى اليهود تحت الناموس، والأمم تحت الإنجيل، والأصغر هي الأكثر جمالا، وهي التي شغلت بالأكثر تفكير المسيح، حين جاء في الهيئة كعبد، أما الأخرى، مثل ليئة، فكانت التي جاءت قبلها أولا.

عدد ٣١- ٣٥

تتضمن هذه الفقرة ولادة أربعة أولاد ليعقوب وكلهم من ليئة ويُلاحظ هنا:

(١) أن ليئة التي كانت تحظى بمحبة أقل، بوركت بالبنين، في حين أن راحيل حُرمت من هذه النعمة (ع ٣١).

(٢) الأسماء التي أطلقتها على أولادها تُعبر عن تقديرها لله ثم لزوجها. فقد أسمت ابنها البكر «رأوبين» (نظرتُ ولدا)، وراودها هذا الخاطر السعيد «إنه الآن يحبني رجلي». ودعت اسم ابنها الثالث «لاوي» (مقترن) حيث قالت: «الآن هذه المرة يقترن بي رجلي» (ع ٣٤). وهي هنا تعترف بشكر بعناية الله الرحيمة في هذا الأمر: «الرب قد نظر إلى مذلتي» (ع ٣٢)، «الرب قد سمع أني مكروهة فأعطاني هذا أيضا». أما ابنها الرابع فأسمته «يهوذا» (حمد)، حيث قالت: «هذه المرة أحمد الرب» (ع ٣٥). وهذا هو الذي جاء من نسله المسيح بالجسد، لأنه حمدنا. فهل سكن المسيح قلبي؟ إني «أحمد الرب».

الأصحاح الثلاثون

يحدثنا هذا الأصحاح عن الزيادة في كل من:

أولا: عائلة يعقوب. فقد رُزق بثمانية أولاد بحسب ما جاء في هذا الأصحاح.

ثانيا: ممتلكاته، فقد عقد اتفاقا جديدا مع لابان (ع ٢٥- ٣٤)، وفي خدمته هذه الست سنوات الأخرى بارك الله لابان بشكل مذهل، حتى ازدادت قطعان مواشيه زيادة كبيرة جدا (ع ٣٥- ٤٣).

عدد ١- ١٣

نرى هنا العواقب السيئة لزواج يعقوب الغريب من الأختين.

أولا: خلاف يُؤسف له بينه وبين راحيل (ع ١ و٢)، لم يكن سببه أنها عاقر بقدر ما كان بسبب كثرة إنجاب أختها.

(١) غضب راحيل: «غارت راحيل من أختها» (ع ١). والحسد هو الحزن لما يصيب الآخرين من خير، ولا توجد خطية تغضب الله مثلها، كما أنها تلحق الضرر بجيراننا وبأنفسنا.

(٢) وبخها يعقوب، وكان محقا في ذلك تماما. كان يحب راحيل، ولذلك وبخها على الخطأ الذي قالته (ع ٢). والتوبيخات المخلصة هي نتاج المحبة الحقيقية ودليل عليها (مز ١٤١ : ٤؛ أم ٢٧ : ٥ و٦). كان غاضبا، ليس من شخص راحيل، بل من خطيتها، وقد حدثها بما يظهر استياءه. كانت إجابة مهيبة جدا، وتُعبِّر عن التقوى، تلك التي أجاب بها على طلب راحيل الذي يثير الغيظ: «ألعلي مكان الله؟» والنص الأرامي عبَّر عن ذلك بشكل جيد: «هل تطلبي مني أولادا، ألا يجدر بك أن تطلبيهم من الرب» والترجمة العربية «ألعلي أقدَّر من الله»، هل أستطيع أن أُعطيك ما حرمك منه الله؟

ثانيا: اتفاق غير موفق بينه وبين الجاريتين:

(١) وبناء على إلحاح راحيل أخذ بلهة جاريتها زوجة له، وطبقا للعرف الجاري في ذلك الحين فإن أولاد الجارية يمكن تبنيهم ويُعترف بهم كأولاد سيدتها (ع ٣– ٨). لقد فضلت أن يكون لها أولاد بالسمعة على ألا يكون لها ذلك إطلاقا، حيث يمكنها في هذه الحالة أن تتخيل أنهم أولادها، وتدعوهم كذلك على الرغم من أنهم حقيقة الأمر ليسوا كذلك. وكانت تُسر بأن تطلق عليهم أسماء تحمل دلالات منافستها لأختها، كما لو أنها تغلبت عليها:

أ. من الناحية القانونية: حيث دعت الابن الأول لجاريتها «دانا» (قاض)، حيث قالت: «قضى لي الله» (ع ٦) أي إن الله أصدر حكما لصالحي.

ب. في معركة: حيث أطلقت على الثاني اسم «نفتالي» (مصارعتي) وقالت: «قد صارعت أختي وغلبت» (ع ٨)، كما لو كان كل أبناء يعقوب يجب أن يولدوا رجال قتال.

(٢) وبإقناع من ليئة، أخذ «زلفة» جاريتها زوجة له أيضا (ع ٩). وقد ولدت له زلفة ابنين، اعتبرت ليئة نفسها صاحبة الحق فيهما، ودلالة على ذلك دعت اسم احدهما «جادا» (ع ١١) حيث منت نفسها بأن يكون لها جيش صغير من الأولاد. وقد أطلقت على الآخر اسم «أشير» (سعيد)، حيث اعتقدت أنه سيسعدها. وكان ثَمة خطأ كبير في هذا الصراع وهذه المنافسة القائمة بين هاتين الأختين، ومع ذلك فإن الله يخرج من الشر خيرا. وهكذا عُمرت عائلة يعقوب باثني عشر ولدا، رؤساء ألوف في إسرائيل، انحدر منهم الاثنا عشر سبطا المعروفون والذين تسموا بأسمائهم.

عدد ١٤– ٢٤

أولا: أما «رأوبين» وهو صبي في الخامسة أو السادسة من عمره، فإذ كان يلعب في الحقل فوجد «لفاحا». وليس من المؤكد ما إذا كان ذلك من الفواكة أم من الأزهار ذات الرائحة العطرة. وهو من نبات الأرض في الحقول المكشوفة، وكذلك في الحدائق المزروعة المحمية، وكانت له قيمة وفائدة كبيرة. وثَمة عادة محببة لدى اليهود المؤمنين، وهي أنهم إذا وجدوا مسرة في أكل تفاحة مثلا فإنهم يرفعون قلوبهم قائلين: «مبارك ذاك الذي جعل هذه الثمرة لذيذة»، أو عندما يشمون زهرة، فيقولون: «مبارك الذي جعل هذه الزهرة عطرة». والبعض يعتقد أن اللفاح المشار إليه هنا هو زهرة الياسمين، وأيا كان هذا اللفاح، فلم يكن في وسع راحيل أن تراه في يد ليئة حيث وضعه الطفل، دون أن تشتهيه. ويقول البعض أن السبب الحقيقي وراء هذه المنافسة بين زوجات يعقوب على صحبته وتقديم جواريهن لتكون زوجات له، كان مرده الرغبة الحماسية في أن تحققن الوعد الذي أُعطي لإبراهيم بأن يكون نسله مثل نجوم السماء في الكثرة. وكان مما يقلل من شأن هذا التاريخ المقدس أن تتولى هذه الأمور مثل هذا الاهتمام الخاص لو لم تكن وراءه مثل هذه الاعتبارات العظيمة. ولقد أكرمت ليئة الآن بولدين، دعت اسم الأول «يساكر» (أجرة) إذ اعتبرت أنها أخذت أجرة جيدة مقابل لفاحها. أما الابن الثاني فدعت اسمه «زبولون» (يسكن)، واعترفت بسخاء الله معها: «قد وهبني الله هبة حسنة» (ع ٢٠) واعتبرت مجموعة الأطفال ليست عبئا مثل صك واجب السداد، بل هبة طيبة من الله (مز ١١٣ : ٩). وقد ورد ذكر ميلاد ابنة اسمها «دينة»، لأن القصة التالية

تخصها (تك ٣٤).

ثانيا: أخيرا انتهى عقم راحيل (ع ٢٢). ودعت اسم ابنها «يوسف» وهو في العبرية يماثل كلمتين متناقضتين المعنى هما: آساف (أي ينزع) «قد نزع الله عاري»، وياساف (أي يجمع): «يزيدني الرب ابنا آخر»

عدد ٢٥ – ٣٦

أولا: حنين يعقوب إلى مسقط رأسه: لقد قضى وقته في خدمة لابان بكل أمانة حتى بالنسبة لمدته الثانية. وكان يكِّن حبا لأرض كنعان، وليس ذلك فقط لأنها مسقط رأسه، وأن أباه وأمه كانا هناك، وهما اللذان كان يتوق إلى رؤيتهما، بل لأنها كانت أرض الموعد.

ثانيا: رغبة لابان في بقائه (ع ٢٧): وذلك محبة لنفسه، وليس حبا في يعقوب أو زوجاته أو أولاده. وحاول لابان أن يقنعه بالاستمرار في عمله لديه كرئيس للرعاة. والرجال الذين يتسمون بالفظاظة والأنانية يعرفون كيف ينطقون بأقوال طيبة في وقتها لتحقيق مآربهم. وقد وجد لابان أن مواشيه زادت جدا نتيجة إدارة يعقوب الحسنة، وقد اعترف بهذه الحقيقة بتعبيرات طيبة تنم عن تقديره لله وليعقوب: «قد تفاءلت فباركني الرب بسببك».

ثالثا: الاتفاق الجديد الذي توصلا إليه: انتفع لابان –بدهائه وطمعه– من صراحة يعقوب وأمانته ودماثة أخلاقه. ولقد تقدم يعقوب بناء على ذلك باقتراح جديد.

(١) بيَّن السبب في إصراره الشديد على ذلك:

أ. إن لابان كان ملزما أن يحسن إليه نظير ما قدمه له من خدمات. ومع ذلك نلاحظ هنا كيف أنه تكلم كعادته بتواضع شديد. والقديسون المتواضعون يسعدون بعمل الخير بأكثر مما يسعدهم شكرهم عليه.

ب. إنه هو نفسه كان ملزما بأن يولي عائلته عنايته.

(٢) كان راغبا في أن يسلِّم نفسه لعناية الله، وهو يدرك أنها تشمل حتى أبسط الأمور، بل حتى لون الماشية، وسوف يكون قانعا بأن يأخذ نظير أجره من المعزى والخراف، المخططات والرقط والبلقاء، وكل ما يولد بهذه الألوان بعد ذلك (ع ٣٢ و٣٣). وقد قبل لابان هذه الاتفاق لأنه قال في نفسه إذا كانت الأغنام القليلة التي عنده الرقطاء والبلقاء قد فصلت عن بقية الأغنام، الأمر الذي طبقا للاتفاق سيتم في الحال، فإن غالبية القطيع الذي سيرعاه يعقوب، والذي له لون واحد إما أسود وإما أبيض تلد صغارا من ألوان مختلفة، أو ستلد القليل منها، وبذلك فإنه سيحصل على خدمة يعقوب مجانا، أو تقرُب من أن تكون كذلك.

عدد ٣٧ – ٤٣

وكانت خطة يعقوب تتمثل في الآتي: أن يضع قضبانا مكشوطة أمام الغنم حينما تجيء لتشرب، فإنها إذ تنظر كثيرا إلى تلك القضبان الملونة جزئيا ذات المنظر غير العادي، فإنها نتيجة قوة تخيلها قد تلد صغارا ملونة جزئيا أيضا (ع ٣٧– ٣٩). ولعل هذه العادة كانت شائعة الاستعمال بين الرعاة في كنعان، الذين كانوا يحبون أن تكون أغنامهم متعددة الألوان على هذا النمط. وحين بدأ يكون له قطيع من الغنم المخططة والرقط والبلقاء، خطط بأن يضعها في المقدمة وأن يوجه أنظار بقية القطيع نحوها، لتعطي نفس النتيجة التي حققتها الخطة السابقة. وهكذا «فاتسع الرجل (يعقوب) كثيرا جدا» (ع ٤٣) وأصبح غنيا جدا في فترة قصيرة. وأولئك الذين يبدأون بداية صغيرة، إذا ما كانوا متواضعين أمناء، قانعين، ومُجِّدين، فإنهم سيرون أنهم قد حققوا في النهاية زيادة عظيمة. فالأمين على القليل يُقام على الكثير. والذي يكون أمينا فيما لغيره، سيوكل إليه ما سيكون ملكا له. فيعقوب، الذي كان خادما أمينا، أصبح سيدا غنيا.

الأصحاح الحادي والثلاثون

كان يعقوب رجلا متدينا ومستقيما للغاية، ومع ذلك لاقى متاعب ومضايقات أكثر من أي أحد غيره من الآباء. ونجد هنا:

أولا: قراره بالعودة (ع ١– ١٦).

ثانيا: رحيله سرا (ع ١٧– ٢١).
ثالثا: ملاحقة لابان له في غضب (ع ٢٢– ٢٥).
رابعا: الكلمات الحادة التي جرت بينهما (ع ٢٦– ٤٢).
خامسا: اتفاقهما الودي في النهاية (ع ٤٣– ٥٥).

عدد ١ – ١٦

اتخذ يعقوب قرارا بأن يترك خدمة خاله فورا، وأن يأخذ ما له ويعود إلى كنعان. وقد اتخذ هذا القرار:

أولا: لغضبه الذي كان له ما يبرره: ذلك لما أبداه لابان وأولاده من سوء الطبع والشر نحوه.

(١) أظهر بنو لابان سوء نيتهم فيما قالوه (ع ١).

(٢) تحدَّث لابان قليلا، لكن لم يكن وجهه كسابق عهده مع يعقوب، وكان يعقوب يلحظ ذلك جيدا (ع ٢، ٥). كان رجلا فظا وجافي الطباع في أحسن حالاته، لكنه الآن أصبح أكثر فظاظة عن ذي قبل.

ثانيا: بواسطة إرشاد إلهي، وبواسطة وعد: «قال الرب ليعقوب ارجع... فأكون معك» (ع ٣). كان قد أتى إلى هنا بأوامر سمائية، وكان عليه أن يمكث إلى أن يُؤمر بالعودة. إنه لمن واجبنا أن نضع أنفسنا تحت التوجيه الإلهي سواء في مجيئنا أو ذهابنا. ولقد شجع يعقوب أيضا ما قيل في آية ١٣: «أنا إله بيت إيل». ذلك المكان الذي جدد فيه العهد معه. «الآن قم اخرج من هذه الأرض» (ع ١٣)، «وارجع»:

(١) إلى مكان عبادتك في كنعان، ولعل نظام عبادته كان يُعطَّل كثيرا حين كان مع لابان.

(٢) إلى مكان راحتك في كنعان: «إلى أرض ميلادك».

ثالثا: يُعلِم زوجتيه ويأخذ موافقتهما: فقد استدعى راحيل وليئة لتأتيا إليه في الحقل (ع ٤) حتى يمكنه أن يتحدث إليهما في جو من الخصوصية. والأزواج الذين يحبون زوجاتهم يطلعونهن على نواياهم، وما ينتوون عمله. وفيما تكون المحبة متبادلة تكون الثقة متبادلة. أطلعهما على الأمر الذي صدر إليه من الله في حلم بالرجوع إلى بلده (ع ١٣) حتى لا يتشككا في أن القرار مرده تغيير في موقفه، أو عدم محبته لبلادهما أو عائلتهما، وحتى تعرفان أنه نابع من مبدأ إطاعته لأوامر إلهه.

لقد تقبلت زوجاته هذا القرار بفرح. كانتا راغبتين في مصاحبة زوجهما ووضعا نفسيهما معه تحت الإرشاد الإلهي: «كل ما قال لك الله افعل».

عدد ١٧ – ٢٤

أولا: هروب يعقوب من عند لابان: وبأمانة لم يأخذ معه سوى ما يخصه فقط: «مواشي اقتنائه التي اقتنى في فدان أرام» (ع ١٨). أخذ ما أعطته له العناية الإلهية، وكان قانعا به. ومع ذلك لم تكن راحيل على مستوى أمانة زوجها، ذلك أنها سرقت «أصنام أبيها» (ع ١٩) وأخذتها معها. ويسميها العبرانيون «الترافيم». البعض يقول إنها نماذج صغيرة لأسلاف العائلة، سواء كانت تماثيل أو صورا، وكانت لها مَعزَة خاصة عند راحيل. وكانت ترغب أن تأخذها معها بعد أن كانت ذاهبة للعيش في بلدة أخرى. غير أنه يبدو أنها كانت بالأحرى تماثيل للاستعمال الديني، فكانت «آلهة البيت"، وكانت تُعبد أو تُستشار باعتبارها وسيطا للوحي. ونحن نأمل أنها ربما تكون قد أخذتها بقصد إقناع أبيها بحماقة تبجيله لهذه الآلهة التي لا تستطيع حماية نفسها (إش ٤٦: ١ و٢).

ثانيا: تعقب لابان ليعقوب: وصلته في اليوم الثالث أنباء هرب يعقوب، وفي الحال استنهض أفراد العائلة أجمعين. وقد تتبعه في مسيرة استغرقت سبعة أيام (ع ٢٣). وفي الحقيقة فإن الأشرار يبدون أكثر عنفا في غضبهم عنه في محبتهم. وقد تدخل الله في نزاعهم، ووبخ لابان وقام بحماية يعقوب، حتى أمر لابان بأن يحترز من أن يكلم يعقوب «بخير أو شر» (ع ٢٤). ونفس هذا المصطلح العبري نجده في تكوين ٢٤: ٥٠. فقد جاء الله إليه، وبكلمة واحدة قيد يديه، على الرغم من أنه لم يحول قلبه. وسلامة الصالحين من الناس تعود إلى حد كبير إلى سيطرة الله على ضمائر الأشرار وقدرته على التحكم فيهم.

عدد ٢٥ – ٣٥

أمامنا هنا المجادلة والنقاش، ولا نقول نقطة التلاقي

والتفاهم، والتي تمت بين لابان ويعقوب عند لقائهما في ذلك الجبل الذي أُطلق عليه فيما بعد جبل جلعاد (ع ٢٥).

أولا: التهمة الكبرى التي وجهها له لابان؛ فقد اتهمه بالآتي:

(١) كخائن ترك خدمته دون وجه حق. وقد أظهر يعقوب في صورة مجرم، ليُظن بأنه كان ينوي عمل الخير لابنتيه (ع ٢٧ و٢٨). ومن عادة الاشرار، حين تُحبط مقاصدهم الشريرة، أن يتظاهروا بأنهم ما يبغون سوى ما هو حق وعدل.

(٢) أن يُظهره كلص (ع ٣٠): «لماذا سرقت آلهتي؟» ويا لحماقة الإنسان، أن يطلق صفة آلهة على أشياء يمكن سرقتها! وكيف له أن يتوقع حماية من أشياء لا تستطيع أن تقاوم أو تكتشف مَنْ يهاجمونها؟ إن الأعداء يستطيعون أن يسرقوا ممتلكاتنا لا إلهنا!

ثانيا: دفاع يعقوب عن نفسه:

(١) بخصوص اتهامه بسرقة زوجاته فقد برأ نفسه منها بمنطق صحيح. خشى أن يحتجز لابان بالقوة ابنتيه، ولهذا، وبدافع حبه لزوجتيه يرغمه على الاستمرار في خدمته.

(٢) أما بالنسبة للاتهام بأنه سرق آلهة لابان فقد احتَج بأنه غير مذنب (ع ٣٢). فهو نفسه لم يأخذها (لأنه لم يكن يحب هذه الآلهة)، بل إنه لم يكن يعرف أنها سُرقت.

ثالثا: التفتيش الدقيق الذي قام به لابان بحثا عن آلهته (ع ٣٣– ٣٥): لا نجد أنه بحث في مواشي يعقوب عن غنم مسروقة، بل بحث في مقتنياته عن آلهة مسروقة. وبالرغم من كل ما بذله من جهد في البحث إلا أنه لم يعثر على آلهته، وقد خُدع في بحثه بواسطة حيلة. غير أن إلهنا لن يوجد فقط للذين يطلبونه، بل إنهم سيجدون فيه أيضا مَنْ يكافئهم بسخاء.

عدد ٣٦– ٤٢

أولا: قوة الاستفزاز: كان يعقوب بطبيعته هادئا لطيفا، غير أن تحامل لابان عليه الذي ليس له ما يبرره أثاره إلى درجة الغضب (ع ٣٦ و٣٧).

ثانيا: سلام الضمير الصالح: فالذين يتعاملون بأمانة في كل أعمالهم، حتى إذا لم ينالوا ما يستحقون من الناس، فسوف يشعرون بسلام وراحة عظمى في قلوبهم.

ثالثا: سمات الخادم الصالح ولاسيما الراعي الأمين:

(١) كان حريصا جدا، ولذلك لم تجهض الغنم نتيجة غفلته أو إهماله.

(٢) كان أمينا جدا، ولم يأخذ شيئا ليأكله مما ليس من حقه.

(٣) كان مجتهدا جدا (ع ٤٠). ثابر في عمله تحت كل الأجواء.

رابعا: سمات السيد القاسي: هكذا كان لابان بالنسبة ليعقوب. وهذه هي سمات السادة الأشرار:

(١) الذين يظلمون عبيدهم. بأن يجبروهم ظلما على تعويض أية خسارة لم يتسببوا هم فيها من قريب أو بعيد. وهذا هو ما عمله لابان (ع ٣٩)

(٢) السادة الأشرار هم الذين ينكرون على عبيدهم كل ما هو حق وعدل. وقد فعل لابان ذلك (ع ٤١). كان شيئا منافيا للعقل أن يطلب من يعقوب أن يخدم من أجل ابنتيه، في حين أنه على العكس من ذلك كانت لديه أملاك عظيمة مضمونة له بناء على وعد من الله نفسه.

خامسا: اهتمام العناية الإلهية بحماية الأبرياء المظلومين (ع ٤٢) لقد عرف الله الظلم الذي لحق بيعقوب، وعوضه عنه، في الوقت الذي كان لابان سيصرفه فارغا. وقد تحدَّث يعقوب عن إله إبراهيم وهيبة إسحاق، لأن إبراهيم كان قد توفى وانتقل إلى ذلك العالم الذي تطرح فيه المحبة الكاملة الخوف إلى الخارج، غير أن إسحاق كان لا يزال على قيد الحياة، يقدس الرب في قلبه بمخافته وخشيته.

عدد ٤٣– ٥٥

تتضمن هذه الفقرة تسوية النزاع بين لابان ويعقوب. لم يكن لدى لابان ما يقوله بالنسة لما أثاره يعقوب من احتجاجات، لم يستطع تبرئة نفسه أو إدانة يعقوب، غير أنه قد دين بواسطة ضميره على ما ألحق به من ظلم.

أولا: توقف لابان عن لومه ليعقوب، واعترف بمحبته لزوجتيه وأولاده (ع ٤٣): «البنات بناتي». فحين عجز عن تبرير ما فعله، اعترف في واقع الأمر بما كان يتحتم عليه أن يعمله، كان يتعيَّن عليه أن يعاملهن باعتبارهن ابنتيه، ولكنه اعتبرهن كغريبتين عنه (ع ١٥).

ثانيا: اقترح لابان عهد مودة بينهم، الأمر الذي وافق عليه يعقوب فورا، دون الإصرار على خضوع لابان، ناهيك عن تعويضه. فالسلام والمحبة من الجواهر الثمينة التي بالكاد يمكن شراؤها بثمن باهظ. فالخسارة أفضل من الاستمرار في القتال.

(١) أساس هذا العهد: ترك يعقوب الأمر برمته للابان لإقراره.

أ. أن يكون يعقوب زوجا صالحا لزوجتيه: ولم يحدث من يعقوب إطلاقا ما يحمله على الشك في أنه خلاف ذلك، إلا أنه، وبافتراض أنه لم يكن هذا الزوج الأمين، فقد ارتضى أن يلتزم بهذا الشرط.

ب. ألا يكون أبدا جارا سيئا للابان (ع ٥٢). تم الاتفاق على أن ينسى يعقوب، ويغفر كل المظالم التي لحقت به.

(٢) الاحتفال بهذا العهد. فلقد تم وضعه والتصديق عليه باحتفال عظيم طبقا للأعراف التي كانت سارية في ذلك الحين.

أ. أقيم عمود (ع ٤٥)، عملوا رجمة من حجارة (ع ٤٦) لكي يخلدوا ذكرى هذا الأمر.

ب. قُدمت ذبيحة (ع ٥٤)، ذبيحة سلامة. وسلامنا مع الله هو الذي يولد تعزية حقيقية في سلامنا مع أصدقائنا. وإذا ما تصارع طرفان، فإن مصالحة كل منهما مع الله ستسهل المصالحة بينهما.

ج. أكلوا معا (ع ٤٦)، اشتركوا معا في وليمة الذبيحة (ع ٥٤). وكان التصديق على معاهدات الصداقة قديما يتم بأن يشترك أطراف المعاهدة في الأكل والشرب معا. وكان ذلك يتم في صورة وليمة محبة.

د. ابتهلوا إلى الله أن يهبهم إخلاصا لهذا العهد،

◄ كشاهد عليهم (ع ٤٩): «ليراقب الرب بيني وبينك». حين يكون كل منا بعيدا عن نظر الآخر، ليكون ما يقيدنا، هو علمنا بأنه أينما نذهب فإننا تحت نظر الله.

◄ كقاضٍ بينهما (ع ٥٣): «إله إبراهيم (الذي جاء يعقوب من نسله)، وآلهة ناحور (الذي جاء لابان من نسله)، آلهة أبيهما (أسلافهم معا، والذين جاءوا معا من نسلهم)، يقضون بيننا». وظهرت علاقة الله بهما على هذا النحو لتبين أنهما يعبدان نفس الإله الواحد، وعلى هذا الأساس لا يجب أن تقوم العداوة بينهما.

هـ. أطلقوا على المكان اسما جديدا (ع ٤٧ و٤٨). وقد دعا لابان بلغة أرامية، ويعقوب باللغة العبرية «جلعيد» (أي رجمة الشهادة)، كما سُميت (ع ٤٩): «المصفاة» (أي برج مراقبة). وهذه الأسماء تنطبق على أختام عهد الإنجيل، التي تشهد لنا إذا كنا أمناء، غير أنها تشهد علينا إذا كنا خائنين. والاسم الذي أطلقه يعقوب على هذه الرجمة (جلعاد) ظل ملتصقا بها، وليس الاسم الذي أطلقه عليها لابان، وطوال هذا اللقاء كان لابان يتكلم كثيرا ويحدث جلبة، يحاول التأثير بكثرة كلامه، في حين أن يعقوب ظل صامتا، ولم يقل سوى القليل.

وأخيرا، وبعد كل هذه المداولات الغاضبة انصرف الجميع أصدقاء (ع ٥٥).

الأصحاح الثاني والثلاثون

لا نزال نقرأ في هذا الأصحاح عن رحلة يعقوب صوب كنعان. ولم يحدث أن وقعت أمور كثيرة لا تُنسى إبان أية رحلة كتلك التي نجدها في رحلة عائلة يعقوب الصغيرة هذه. فقد تقابل أثناء رحلته مع:

أولا: أخبار سارة من الله (ع ١ و٢).

ثانيا: أخبار سيئة من أخيه، الذي بعث إليه برسالة يخبره فيها بعودته (ع ٣– ٦)، ثم إنه في محنته:

(١) قسَّم جماعته (ع ٧ و٨).

(٢) رفع صلاة إلى الله (ع ٩– ١٢).

(٣) أرسل إلى أخيه هدية (ع ١٣– ٢٣).

(٤) تصارع مع ملاك (ع ٢٤– ٣٢).

عدد ١ و٢

(١) نجد هنا ركب الحراسة ليعقوب وهو في طريقه إلى كنعان (ع ١): «ولاقاه ملائكة الله»، في ظهور مرئي، وليس من المؤكد ما إذا كان ذلك في رؤيا بالنهار، أو في حلم بالليل، على غرار رؤيته السابقة لهم على سلم (تك ٢٨: ١٢). ولا شك أنهم كانوا يصاحبونه طوال الرحلة دون أن يراهم، أما الآن فقد ظهروا له، لأنه كان يشعر بأن ثَمة أخطار تنتظره أعظم من كل ما سبق أن واجهه حتى الآن. والله يريدنا حينما نكون في سلام أن ندخر لوقت المتاعب، وحين تأتي علينا المتاعب أن نعيش على اختباراتنا السابقة، لأننا «بالإيمان نسلك لا بالعيان». وشعب الله، عند الموت يعودون إلى كنعان، إلى بيت أبيهم، وهناك يرون ملائكة الله.

(٢) الملاحظة المشجعة التي رآها في هذا الركب (ع ٢): «هذا جيشُ الله». ولكي يحفظ ذكرى هذا الفضل، أطلق يعقوب على المكان اسما مأخوذا من هذه الملاحظة وهو «محنايم» (أي معسكرين)، واحد على كل جانب، أو أحدهما في المقدمة والآخر في الخلف، وذلك لحمايته من لابان في الخلف وعيسو في الأمام، وبذلك تكون الحراسة كاملة. هكذا كان يعقوب محاطا بإحسان الله. ولعله إشارة إلى ذلك سميت الكنيسة محنايم «صفين» وذلك في نشيد الأنشاد ٦: ١٣. وهنا نرى عائلة يعقوب التي تكوِّن جيشا واحدا، تمثل الكنيسة وهي في معركة أثناء تجوالها على الأرض، والملائكة، وهي جيش آخر، يمثل الكنيسة المنتصرة في راحة في السماء.

عدد ٣ – ٨

انتهز هذه الفرصة ليذكر نفسه بأعدائه، ولاسيما عيسو. ومن المحتمل أن تكون رفقة قد أرسلت لتخبره بأن عيسو يسكن في أرض سعير، وأنه لا يزال يكِّن له عداء. فكيف يواجه يعقوب المسكين هذا الأمر؟ كان يتوق لرؤية أبيه، ومع ذلك كان يرتعد من رؤية أخيه.

أولا: بعث برسالة طيبة ومتواضعة إلى عيسو. والسلوك بلطف ولياقة ربما يساعد على قتل العداوات.

(١) وصف عيسو بأنه سيده، وأنه هو عبده، ليبين له أنه لا يصر على امتيازات البكورية والبركة التي حصل عليها لنفسه.

(٢) أعطاه موجزا قصيرا عن حالته، وأنه كان هاربا شريرا، وأنه ليس متسولا، بل ولم يعد إلى البيت مثل الابن الضال، يفتقر إلى الضروريات، ومن المحتمل أن يشكل عبئا على أهله.

(٣) التمس رضاه: «وأرسلت لأخبر سيدي لكي أجد نعمة في عينيك».

ثانيا: وصلته أنباء مروِّعة عن استعدادات عيسو للحرب ضده (ع ٦): «وهو أيضا قادم للقائك وأربع مئة رجل معه».

(١) تذكر عيسو شجارهما القديم، وقال إنه سينتقم الآن منه لسلبه البكورية والبركة منه، وإن أمكن يُدمِّر توقعات يعقوب لهما. والغضب يُحيي ذاكرة الناس.

(٢) حسد عيسو يعقوب على ما لديه من ممتلكات قليلة. وعلى الرغم من أنه هو نفسه يقتني الكثير الآن، إلا أنه لن يُشفى غليله إلا بأن يرى بعينيه هلاك يعقوب، ويملأ حقوله بما يسلبه منه.

(٣) اختتم عيسو أفكاره بقوله إنه من السهل عليه أن يحطمه، ولاسيما وأنه لا يزال منهكا من عناء الطريق والسفر، غير مستقر، وبدون حراسة (بحسب اعتقاده).

(٤) قرر أن يفعل ذلك فجأة، وقبل أن يصل يعقوب إلى أبيه لئلا يتدخل ويتوسط بينهما. وها هو يتقدم في حماسة غضبه، وفي صحبته أربعمائة رجل مدجَجين بالسلاح، ولا يشغل باله الآن سوى التهديد والقتل. وعُشر هذا العدد كان كافيا لدحر يعقوب المسكين وعائلته البريئة التي لا حول لها ولا قوة، فلا يبقى لها أصلا أو فرعا. وعلى الرغم مما عُرف عن إيمان يعقوب، إلا أنه كان الآن في خوف عظيم. ويُلاحظ أن الخوف الشديد من خطر وشيك يمكنه أن يسير جنبا إلى جنب مع الثقة المتواضعة في قوة الله ووعده.

ثالثا: اتخذ يعقوب أفضل وضع للدفاع تسمح به ظروفه الراهنة. وكان من الحماقة التفكير في إبداء أية

مقاومة، وركز كل براعته في وضع خطة للهرب (ع ٧ و٨). وقد قسم جماعته، ليس كما فعل إبراهيم (تك ١٤: ١٥) استعدادا للقتال، بل بغية الهرب.

عدد ٩ – ١٢

القاعدة التي ننتهجها هي أن نلجأ إلى الله في وقت الشدة، ونرى هنا مثالا لهذه القاعدة، ففي بليته طلب الرب، والرب سمعه. وأوقات الخوف يجب أن تكون أوقات صلاة، وأيا كان ما يخيفنا، يجب أن يدفعنا إلى السجود لإلهنا. وجدير بنا أن نتساءل: ما هو الأمر الغريب في هذه الصلاة حتى إنها تكسب قائلها كل هذا الإطراء؟

أولا: الالتماس نفسه فريد، وقد جاء معبرا: «نجني من يد أخي» (ع ١١).

ثانيا: الحجج كثيرة وقوية، وجاءت في ترتيب حسن (أي ٢٣: ٤). لقد رفع التماسه بإيمان عظيم، وحرارة وتواضع.

(١) خاطب الله باعتباره إله آبائه (ع ٩). وهنا الشعور المتواضع بإنكار الذات، والذي كان يشعر به في عدم استحقاقه، ولذلك لم يخاطبه بقوله «إلهي»، بل كإله العهد مع أسلافه. وعهد الله مع آبائنا يمكن أن يعزينا في وقت الشدة.

(٢) قدم حجته: أنت الذي قلت لي «ارجع إلى أرضك». وقد نكون ذاهبين إلى حيث دعانا الله، ومع ذلك نجد أن طريقنا محفوف بالأشواك. وإذا كان الله مرشدنا، فسوف يكون هو حارسنا أيضا.

(٣) بكل تواضع اعترف بعدم استحقاقه لأي فضل من الله (ع ١٠): «صغير أنا»، وهذه حجة غير عادية. ولم يمتدح المسيح أيا ممن طلبوا مساعدة بمثل ما امتدح ذاك الذي قال: «يا سيد لست مستحقا أن تدخل تحت سقفي» (مت ٨: ٨)، وتلك التي قالت: «والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها» (مت ١٥: ٢٧)، ويُلاحظ هنا:

أ. كيف يتحدث بعظمة وإجلال عن مراحم الله نحوه.

ب. كيف تحدَّث عن نفسه باتضاع بالغ، نافيا عن نفسه أي استحقاق: «صغير أنا عن جميع ألطافك، وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك»، ناهيك عن عدم استحقاقي للفضل العظيم الذي ألتمسه الآن. أنا أصغر من كل إحساناتك (بحسب معنى الكلمة). وأولئك الذين يدركون أنهم ليسوا أهلا للحد الأدنى من مراحم الله، دائما تكون لهم أعظم وأسمى هذه المراحم.

(٤) بكل شكر يعترف بصلاح الله نحوه في غربته، وكيف أن مراحمه فاقت كل توقعاته: «فإني بعصاي عبرت هذا الأردن»، مسكينا بائسا، كغريب وحيد محتقر، «والآن قد صرت جيشين»، فالآن تحيطني حاشية كبيرة العدد من الأبناء والعبيد، الأمر الذي يعزيني.

(٥) يحتج بشدة عن الخطر الذي يحدق به: «نجني»، أتضرع إليك «من يد عيسو. لأني خائف منه أن يأتي ويضربني» (ع ١١)، ولا يستحي شعب الله من إخبار الله عن مخاوفه، والخوف الذي يدفع إلى الصلاة هو خوف صالح.

(٦) يركِّز بصفة خاصة على الوعد الذي قطعه له الله (ع ٩)، أيها الرب الذي قال لي «فأحسن إليك» (ع ٩)، وكذلك في خاتمة الصلاة في آية ١٢: «وأنت قد قلت إني أحسن إليك». وأفضل ما نقوله لله في الصلاة هو ما سبق أن قاله لنا في مواعيده.

عدد ١٣ – ٢٣

يعقوب بصلاته وتقواه جعل الله صديقا له، نراه هنا بكل حكمة يحاول أن يجعل من عيسو صديقا له، وذلك بتقديمه هدية له. سبق أن صلى إلى الله لكي يُخلصه من يد عيسو، وما كانت صلاته تجعله يجرب رحمة الله، بدون استخدام وسائل أخرى. وحين نصلي إلى الله من أجل أي رحمة، علينا أن ندعم صلاتنا بمحاولاتنا. وبغية تخفيف حدة غضب عيسو:

أولا: أرسل له يعقوب هدية قيِّمة من الماشية، تصل في مجموعها إلى ٥٨٠ رأسا (ع ١٣– ١٥). كانت هدية، يرى أنها ستكون مقبولة من عيسو، الذي عمل كثيرا في صيد الحيوانات المفترسة حتى إنه ربما لا يكون لديه إلا القليل جدا من الماشية الأليفة التي تسانده في غزواته الجديدة. وعلى الرغم من أن السلام

والمحبة ثمنهما غال، إلا أنهما صفقة رابحة للمشتري. ويعقوب كان ممن يغفرون وينسون.

ثانيا: بعث له برسالة متواضعة، طلب من عبيده تسليمها بأفضل أسلوب (ع ١٧ و١٨). وعليهم أن يخاطبوا عيسو بكلمة «يا سيدي»، ويعقوب «عبده»، كما يتعين أن يخبروه أن الماشية التي معهم ما هي سوى هدية بسيطة أرسلها له يعقوب. وعليهم أن يهتموا بصفة خاصة بإخباره أن يعقوب آتٍ خلفهم (ع ١٨- ٢٠)، حتى لا يشك في أنه هرب من الخوف. وإذ تظاهر يعقوب بأنه ليس خائفا من عيسو، فيُرجى ألا يكون عيسو رعبا له.

عدد ٢٤- ٣٢

تتضمن هذه الفقرة القصة الرائعة التي جاء فيها أن يعقوب جاهد مع الملاك وقدر، وهي القصة التي أُشير إليها في هوشع ١٢: ٤. وفي الصباح الباكر جدا، وقبل طلوع النهار بوقت طويل، كان يعقوب قد ساعد زوجاته وأولاده على اجتياز النهر، ورغب في أن يختلي بنفسه، فتُرك وحده، وكان يقصد من ذلك أن تُتاح له الفرصة بأن يطرح همومه ومخاوفه بشكل أوسع أمام الله في الصلاة. وفيما كان يعقوب يصلي بحرارة ويجاهد ليتمسك بالله (إش ٦٤: ٧) أمسك به ملاك. والبعض يظن أن هذا هو «ملاك حضرته» (إش ٦٣: ٩)، وهو من بين الملائكة الذين يخدمون على «سحابة المجد»، أو العظمة الإلهية. آخرون يقولون إنه رئيس الملائكة ميخائيل، وهناك مَنْ يقولون إنه الكلمة الأزلي، «ملاك العهد». ومما تجدر ملاحظته:

أولا: كيف تصارع يعقوب وهذا الملاك (ع ٢٤): كان يعقوب في ذلك الحين يتملكه القلق والخوف بالنسبة للقاء المرتقب بينه وبين أخيه في اليوم التالي، وقد بدا له أن الله نفسه يعارض دخوله إلى أرض الموعد. وقد ذكر لنا النبي هوشع ١٢: ٤ كيف «جاهد» يعقوب، لقد بكى والتمس معونة الله، وكانت الصلوات والدموع هي أسلحته.

ثانيا: كيف سار نجاح هذا الاشتباك:

(١) قاوم يعقوب، مع أن الصراع استمر طويلا، غير أن الملاك لم يستطع أن يتغلب عليه (ع ٢٥)، بمعنى أن هذا الإحباط لم يزعزع إيمانه، أو يسكت صلاته. ولم يكن يجاهد بقوته الشخصية، ولم يغلب بواسطتها، بل بواسطة قوة حصل عليها من السماء. ويُلاحظ أننا لا نستطيع أن نغلب مع الله إلا بواسطة قوته الإلهية. إن روحه هو الذي يتشفع فينا، و«يعين ضعفاتنا» (رو ٨: ٢٦).

(٢) خلع الملاك حق فخذ يعقوب. ويظن البعض أن يعقوب لم يشعر بألم نتيجة هذه الإصابة، أو أنه شعر بألم بسيط، ومن المحتمل أنه لم يشعر بألم، لأنه لم «يعرج» إلا بعد أن انتهى الصراع (ع ٣١)، وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا دليل على لمسة إلهية حقا تجرح وتعصب في آن واحد.

(٣) بكل لطف، يطلب الملاك من يعقوب أن يطلقه (ع ٢٦)، مثلما قال الله لموسى (خر ٣٢: ١٠): «فالآن اتركني». وهذا ما يرفع من شأن إيمان يعقوب وصلاته، فضلا عن اختبار ثباته.

(٤) يعقوب يواصل إلحاحه المقدس: «لا أطلقك إن لم تباركني». فالشهادة بانتصاره ما كانت تفيده شيئا بدون تعزية الحصول على بركة. وفي التماسه هذه البركة اعترف بعدم استحقاقه، على الرغم مما بدا من أنه كانت له اليد الطولى في الصراع.

(٥) جعل له علامة دائمة لكرامته، وذلك بأن غير اسمه (ع ٢٧ و٢٨)، قال له الملاك إنك محارب شجاع، رجل ذو عزيمة صلبة، وقال له: «ما اسمك؟» رد عليه قائلا: «يعقوب» الذي معناه «المتعقب» أو «مَنْ يحل محل» قال الملاك، حسنا، سوف تُدعى «إسرائيل» أي «أمير مع الله». وبذا تم تنصيب يعقوب فارسا في الميدان، وحصل على لقب شرف سوف يظل علامة فخر له، إلى نهاية الزمان. ومع ذلك، لم يكن هذا هو كل ما في الأمر. فإذ قدر مع الله، فسوف يقدر أيضا مع الناس.

(٦) أطلقه ببركة (ع ٢٩). وبدلا من أن يقول له اسمه أعطاه بركته، وهي الأمر الذي جاهد في سبيله. والاهتمام ببركة الملاك أفضل من معرفة اسمه. وشجرة الحياة أفضل من شجرة المعرفة.

(٧) أطلق يعقوب اسما جديدا على المكان، فقد دعاه «فنيئيل» وتعني «وجه الله» (ع ٣٠). وللاسم

الذي أطلقه على المكان لا يحفظ ويُخلِّد شرف شجاعته أو انتصاره، بل يُخلِّد فحسب فضل نعمة الله الغنية. في هذا المكان «نظرت الله وجها لوجه» وحُفظت نفسي، ولم يقل: «لقد كان شرفا لي أن خرجت منتصرا، بل إنها رحمة من الله أن نجوت بحياتي».

(٨) أما التذكار الذي حمله يعقوب نتيجة هذا، فقد كان في عظامه، فقد كان «يخمع على فخذه» (ع ٣١). والكرامة والتعزية التي حصل عليها من هذا الصراع كانتا أكثر كثيرا –بل وفاقتا– ما أصابه من ضرر، على الرغم من أنه كان يخمع على فخذه إلى أن مات. وقد أُشير إلى شروق الشمس عليه حين عبر «فنوئيل»، لأن النفس التي لها شركة مع الله تكون في شروق. ويذكر الكاتب بالوحي عادة تقليدية احتفظ بها نسل يعقوب، وهو ألا يأكل بنو إسرائيل العصب أو العضلة التي تثبت عظمة الفخذ في مفصلها إلى هذا اليوم، وذلك بالنسبة لأية بهيمة، وبهذا احتفظوا بذكرى هذه القصة.

الأصحاح الثالث والثلاثون

قرأنا في الأصحاح السابق كيف جاهد يعقوب مع الله وغلب، أما في هذا الأصحاح فنجد القوة التي كانت له مع الناس أيضا، وكيف هدأ غضب أخيه عيسو، وتصالح معه، ويتضمن هذا الأصحاح:

أولا: لقاء ودي للغاية بين يعقوب وعيسو (ع ١– ٤).

ثانيا: الاجتماع الذي عقداه عند لقائهما، كيف عانق كل منهما الآخر وقبَّله، وقد دار حديثهما حول:

(١) عائلة يعقوب (ع ٥– ٧).

(٢) عن الهدية التي أرسلها (ع ٨– ١١).

(٣) عن كيفية سير رحلتهم (ع ١٢– ١٥).

ثالثا: إقامة يعقوب في كنعان، بيته وأرضه ومذبحه (ع ١٦– ٢٠).

عدد ١ – ٤

نجد هنا:

أولا: اكتشف يعقوب اقتراب عيسو منه (ع ١). ويظن البعض أن رفع يعقوب لعينيه يشير إلى فرحته وثقته، وذلك على النقيض من الوجه العابس المغتم، فإذ كان قد استودع أمره لله بالصلاة، فقد سار في طريقه، ولم يكن وجهه بعد مغيَّرا (١صم ١: ١٨).

ثانيا: رتب عائلته على أفضل نحو مستطاع لاستقباله: ونلاحظ هنا كيف كان هذان الأخوان يشكلان شخصيتين متباينتين. فقد كان بصحبة عيسو «أربع مئة رجل»، وبدا عظيما، أما يعقوب فكان تتبعه زمرة متعبة ومربكة من النساء والأطفال الذين كان عليه رعايتهم، وقد بدا رقيقا ومهتما للغاية بسلامتهم، ومع ذلك كان يعقوب قد حصل على البكورية، وكانت السيطرة مقدَّرة له، وكان الأفضل من كافة الوجوه. ويعقوب وهو على رأس عائلته كان يُشكِّل قدوة أفضل من عيسو وهو على رأس رجال فرقته.

ثالثا: تبادلا عبارات الود عند لقائهما على أفضل شكل ممكن:

(١) سجد يعقوب لعيسو (ع ٣). وعلى الرغم من أنه كان يخاف من عيسو باعتباره عدوا، إلا أنه مع ذلك اظهر له احترامه باعتباره أخاه الأكبر. وكثيرون يحفظون أنفسهم بتواضعهم، فالرصاصة تخطئ رأس مَنْ ينحني أمامها.

(٢) عانق عيسو يعقوب (ع ٤): «فركض عيسو للقائه»، ليس في غضب، بل في محبة، كشخص تصالح معه من كل قلبه. وإذا لم يكن ثَمة تغيير عجيب قد طرأ على نفس عيسو في ذلك الحين، ما كنت أرى كيف يمكن أن يُقال عن يعقوب المصارع أنه نال قوة على الناس بحيث يُسمى أميرا (انظر تكوين ٣٢: ٢٨). والله يمتلك في يده جميع قلوب الناس، وبمقدوره أن يحولها في الوقت وبالكيفية التي يراها، وذلك بقسوة خفية صامتة ولا يمكن مقاومته في ذلك. وهو يستطيع –وعلى حين غرة– أن يحول الأعداء إلى أصدقاء، كما فعل في شاول العهد القديم، وشاول العهد الجديد، الأول بنعمته الكابحة (١صم ٢٦: ٢١، ٢٥)، والأخرى بنعمته المجدِّدة (أع ٩: ٢١ و٢٢). وقد بكى كلاهما. بكى يعقوب من الفرح، لأنه استقبل من أخيه بهذه المحبة، وربما بكى عيسو حزنا وخجلا.

عدد ٥- ١٥

تتضمن هذه الفقرة الحديث الذي دار بين الأخوين إثر لقائهما، وقد تحدثا عن:

أولا: الحاشية التي كانت تصاحب يعقوب (ع ٥- ٧). كان معه أحد عشر أو اثنا عشر ولدا، أكبرهم لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، وكان يتبع يعقوب عن كثب. قال عيسو: «ما هؤلاء منك»، فرد يعقوب بإجابة لها أهميتها الكبرى: «الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك». وهنا يتحدث يعقوب عن أولاده باعتبارهم هبة من الله «ميراث من عند الرب» (مز ١٢٧: ٣؛ انظر أيضا ١١٢: ٩؛ ١٠٧: ٤١).

ثانيا: عن الهدية التي أرسلها له:

(١) بكل تواضع رفض عيسو الهدية لأنه كان لديه ما يكفيه، وهو ليس في حاجة إليها (ع ٩). إنه لأمر طيب بالنسبة لأولئك الذين لديهم الكثير أن يقنعوا بما يمتلكون، على الرغم من أن ما لديهم ليس بالكثرة التي للآخرين، حتى عيسو استطاع القول: «لي كثير».

(٢) بكل محبة حثه يعقوب على قبولها، وقد نجح في ذلك (ع ١٠ و١١). كان يعقوب قد أرسلها بدافع من خوفه (تك ٣٢: ٢٠)، ولكن إذ تلاشى الخوف، فقد ألح على أخيه لكي يقبلها، لكي يبين أنه يرغب في صداقة أخيه، ولا يخشى غضبه فحسب. وقد حياه بتحية عظيمة جدا: «لأني رأيت وجهك كما يرى وجه الله». والمعنى هنا هو أن يعقوب رأى فضل الله عليه متمثلا في رضاء عيسو عنه. كان ذلك يمثل دلالة طيبة بالنسبة له لأنه يشير إلى أن الله قد قبل صلواته. «لأن الله قد أنعم عليَّ ولي كل شيء» فالذي لعيسو كان كثير، أما الذي ليعقوب فكان الكل، ذلك أن الكل كان وشيكا أن يكون له، وقريبا سيحصل عليه، حين يأتي إلى السماء، وعلى هذا الأساس حث يعقوب عيسو، فقبل الأخير عطيته.

ثالثا: بالنسبة لمدى سير رحلتهم.

(١) عرض عيسو على يعقوب أن يكون مرشده ورفيقه، كعلامة على المصالحة المخلصة (ع ١٢). وأصبح عيسو مغرما بصحبة يعقوب، ودعاه ليصحبه إلى جبل سعير، وهذا ما يُعلمنا ألا نيأس من أحد، وألا نرتاب في الله الذي بيده قلوب الجميع. غير أن يعقوب بكل تواضع وجد سببا مقنعا لرفض هذه الدعوة (ع ١٣ و١٤) وبذلك أظهر اهتماما ومحبة لعائلته وماشيته، كراع صالح، وأب حنون. عليه أن يراعي حالة أولاده، والبقر المرضعة، وعليه ألا يقود هذا، أو يدفع ذاك بسرعة كبيرة. وهذا الحذر وتلك المحبة اللذان أبداهما يعقوب يجب أن يحذو حذوه هؤلاء الذين تقع عليه مسئولية رعاية الأحداث في الإيمان، فلا يجب أن يُدفعوا بسرعة في البداية إلى واجبات دينية ثقيلة، بل يقادوا على قدر احتمالهم، بحيث نسهِّل لهم واجبهم بقدر المستطاع، وهذا ما فعله المسيح، الراعي الصالح (إش ٤٠: ١١).

(٢) عرض عيسو أن يكلِّف بعض رجاله ليكونوا حرسا ويصاحبوه في سفره (ع ١٥).

أ. كان يعقوب متواضعا، ولم يرغب في هذه الحراسة لأجل الفخامة والأبهة.

ب. وكان تحت الحماية الإلهية، ولم يكن يحتاج إليها لأجل سلامته.

عدد ١٦- ٢٠

(١) وإذ فارق يعقوب عيسو بطريقة ودية، قصد الأخير إلى بلدته (ع ١٦) وجاء يعقوب إلى مكان، يبدو أنه استراح فيه لبعض الوقت. وقد عُرف هذا المكان بعدئذ باسم «سكُوت»، وهي مدينة في سبط جاد، على الجانب الآخر من الأردن (وسكوت تعني مأوى)، حتى تتذكر ذريته بعد أن تسكن في بيوت فيما بعد أن «آراميا تائها» كان أبوهم، الذي كان سعيدا إذ وجد مأوى (تث ٢٦: ٥).

(٢) جاء «إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان». وبعد رحلة خطيرة واجه فيها مصاعب عديدة، وصل أخيرا إلى أرض كنعان بسلام، ويُلاحظ هنا أنه:

أ. ابتاع حقلا (ع ١٩). وعلى الرغم من أن أرض كنعان كانت له بحسب الوعد، غير أنه نظرا إلى أن وقت امتلاكها لم يكن قد حان بعد، فقد كان قانعا بأن يدفع مقابل هذا الحقل.

ب. بنى مذبحا (ع ٢٠):

◄ كتعبير عن شكره لله.

◄ لكي يحتفظ بعبادة الله بين أفراد عائلته. وحيثما يكون لنا خيمة يجب أن يكون لله مذبح. وحيثما يكون لنا بيت يتعين أن يكون له فيه كنيسة. وكرَّسه باسم «إيل إله إسرائيل». وكان الله منذ فترة بسيطة قد أطلق عليه اسم «إسرائيل»، أما الآن فهو يدعو الله باسم «إله إسرائيل»، وعلى الرغم من أنه أُطلق عليه أمير مع الله، إلا أن الله لا يزال بالنسبة له ربه وإلهه.

الأصحاح الرابع والثلاثون

بهذا الأصحاح تبدأ قصة أحزان يعقوب بسبب أولاده، وقد سُجلت لتبين:

أولا: بطلان هذا العالم. فأعز شيء لدينا قد يصبح أكثر ما يكدِّرنا.

ثانيا: الأحزان الشائعة للصالحين من الناس. فأولاد يعقوب، على الرغم من أنهم كانوا سبب حزنه في بعض الأمور، إلا أنهم دخلوا جميعا في العهد مع الله.

ونجد في هذا الأصحاح:

(١) إذلال دينة (ع ١– ٥).

(٢) معاهدة زواج بينها وبين شكيم الذي نجسها (ع ٦– ١٩).

(٣) ختان أهل شكيم طبقا لتلك المعاهدة (ع ٢٠– ٢٤).

(٤) الانتقام الدموي الغادر الذي أوقعه شمعون ولاوي ضدهم (ع ٢٥– ٣١).

عدد ١ – ٥

كانت دينة، ابنة يعقوب الوحيدة، في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة حين تسببت في هذا الأذى البالغ، ومما تجدر ملاحظته هنا:

(١) حب الاستطلاع الباطل عندها: لقد ذهبت «لتنظر»، غير أن ذلك لم يكن كل ما في الأمر، لقد خرجت لكي ينظروها أيضا. خرجت لتنظر «بنات الأرض»، غير أنه ربما كان يدور بذهنها رؤية أبناء الأرض أيضا. ولست أشك في أنها خرجت لتتعرف على هؤلاء الكنعانيين، ولتتعلّم طرقهم.

(٢) فقدانها لشرفها نتيجة ذلك (ع ٢). لقد خرجت دينة لتنظر حولها، ولكنها لو كانت قد نظرت حولها كما يجب أن تفعل، لما وقعت في هذا الفخ.

(٣) محاولة شكيم خطبتها بعد أن نجسها.

(٤) وصول هذه الأنباء إلى يعقوب المسكين (ع ٥). ولكن هذا الرجل الطيب «سكت» ولم يفعل شيئا، وكأن الأخبار أذهلته، حتى إنه لم يكن يعرف ماذا يقول. وكان قد ترك إدارة شئونه إلى حد كبير (كبير جدا بحسب اعتقادي) لأولاده، ولم يكن يفعل شيئا بدونهم. ومما تجدر ملاحظته أنه لا تسير الأمور على ما يرام حين يضعف سلطان الوالدين في العائلة.

عدد ٦ – ١٧

حين سمع أولاد يعقوب بالأذى الذي لحق بدينة، أظهروا حُمو غضبهم، ولعل ذلك مرده غيرتهم على شرف عائلتهم، وليس نتيجة إحساس بالفضيلة.

كثيرون يقلقهم خزي الخطية، حتى إنهم يكرهونها من كل قلوبهم. وقد سُميت هنا «قباحة في إسرائيل» (ع ٧). وجدير بالملاحظة:

(١) النجاسة أمر مشين، لأنها تحرمنا من نعمة الله، وسلام الضمير وكل ما هو مقدس وكريم، وتملأ النفس بالشر والشهوة الحيوانية.

(٢) هذا الخزي مشين للغاية «في إسرائيل»، في أية عائلة من بني إسرائيل، حيث توجد معرفة الله وعبادته.

جاء حمور بنفسه ليبحث هذا الأمر مع يعقوب، غير أنه أحاله إلى أولاده وهنا نرى نبذة خاصة عن المعاهدة، التي كان فيها الكنعانيون أكثر أمانة من الإسرائيليين.

أولا: عرض حمور وشكيم موضوع الزواج عرضا منصفا، لكي يقيما تحالفا تجاريا. وكان شكيم متيَّما بحب دينة، وكان يود الزواج منها مهما كانت الشروط (ع ١١ و١٢). ولم يوافق أبوه على ذلك فقط، بل خطبها له، وأصر على المزايا التي ستنتج عن التزواج بين العائلات (ع ٩ و١٠).

ثانيا: تظاهر أبناء يعقوب بخبث على أنهم يصرون على تحالف ديني، في حين أن ذلك كان آخر شيء يمكنهم أن يوافقوا عليه. ذلك أنهم كانوا يسعون إلى وضع مكيدة للانتقام. وأصروا على وجوب ختان

أهل شكيم، ولم يكن الهدف دينيا بالطبع (فهم لم يقصدوا ذلك إطلاقا)، بل لكي يعرِّضوهم للأوجاع، حتى يصبحوا فريسة سهلة لسيفهم.

(١) ظهر ادعائهم بمظهر حسن.

(٢) وكان قصدهم خبيثا، كما يتبين من تطورات القصة، فكل ما كانوا يرمون إليه هو أن يعدوهم ليوم الذبح. ولا يُساء إلى الدين إطلاقا، أو تُدنس مقادس الله أكثر من اتخاذها ستارا لأعمال شريرة خبيثة.

عدد ١٨ – ٢٤

وافق حمور وشكيم على أن يُختتنا (ع ١٨ و١٩). ولعل ما شجعهما على ذلك هو ما سمعاه عن المقاصد المقدسة المجيدة لهذه العلامة في عائلة إبراهيم، والتي ربما كانت لديهم بعض الأفكار المشوشة عن هذا الأمر. ويُلاحظ أن كثيرين ممن لا يعرفون سوى القليل عن الديانة، إلا أن هذا القليل يكون كافيا لجعلهم راغبين في الانضمام إلى المؤمنين. كان أولاد يعقوب مجدين ناجحين، وقد منوا أنفسهم وجيرانهم بمزايا كثيرة تنتج عن التحالف معهم، لأن هذا سيحسن الأرض والتجارة، ويجلب الأموال إلى بلادهم. ويُلاحظ في هذا الشأن:

(١) إنه لأمر سيئ أن يقوم زواج على هذا الأساس.

(٢) الأسوأ من هذا أن يتم الختان لهذا الغرض. وثَمة كثيرون ديانتهم هي لغرض تحقيق الكسب، هؤلاء يُقادون ويتأثرون بمصالحهم الدنيوية بأكثر من أي مبدأ ديني.

عدد ٢٥ – ٣١

قام شمعون ولاوي –وهما من أبناء يعقوب، لم يتجاوزا العشرين من العمر– وذبحا أهل شكيم، وبذلك كدرا قلب والدهما.

أولا: الجريمة الوحشية التي ارتكبت ضد أهل شكيم:

(١) ذَبْح سكان شكيم: «كل ذكر»، ولاسيما حمور وشكيم، وهما اللذان كانا يتفاوضان معهما بالأمس فقط للدخول معهما في معاهدة صداقة، ولكن هذه لم تكن سوى ستار لإخفاء مؤامرتهما للقضاء على حياة سكان شكيم أجمعين. وكما أنه لا يحمينا شيء أفضل من التدين الصحيح، فهكذا أيضا لا يعرضنا شيء للخطر أكثر من الديانة الظاهرية. ولكن شمعون ولاوي كانا شريرين:

أ. حقا إن شكيم «صنع قباحة في إسرائيل»، وذلك بتنجيسه دينة، غير أنه كان ينبغي الأخذ في الاعتبار أن الفتاة نفسها كانت شريكة في هذه الجريمة.

ب. لا ينكر أحد أن شكيم ارتكب خطأ كبيرا، غير أنه كان يحاول التكفير عن هذا الخطأ، وكان أمينا ومخلصا بالنسبة للاتفاق الذي كان يسعى إليه، بحسب ما سمح له الوضع.

ج. حقا أخطأ شكيم، ولكن ما ذنب كل أهل شكيم في ذلك؟ فهل يجب أن يسقط البار مع الأثيم؟

د. أما الذي زاد من بشاعة هذا العمل الوحشي، هو ما تضمنه من خيانة وخسة.

(٢) الانقضاض على الفريسة الممثلة في سكان شكيم ونهب المدينة، كان أهل شكيم مستعدين لإرضاء ابني يعقوب والخضوع لعقوبة الختان، على هذا الأساس: «تكون مواشيهم ومقتناهم وكل بهائمهم لنا» (ع ٢٣)، ولكن لننظر ماذا كانت النتيجة؟ بدلا من أن يصبحوا أسيادا ويسيطروا على ثروة عائلة يعقوب، فإن عائلة يعقوب هي التي سلبت ثروتهم.

ثانيا: غضب يعقوب من هذا العمل الدموي الذي ارتكبه شمعون ولاوي (ع ٣٠). وقد اشتكى بمرارة من أمرين:

(١) العار الذي جلباه عليه نتيجة عملهما هذا: ماذا سيقولون عنا وعن ديانتنا؟

(٢) الخراب الذي عرَّضاه له: فماذا كان بوسعه أن يتوقع سوى أن الكنعانيين –والذين كانوا يتسمون بالقوة والكثرة– سوف يتحدون ضده، وسوف يقع هو وعائلته الصغيرة فريسة سهلة لهم؟ ويُلاحظ أنه حين تكون الخطية في البيت، يكون هناك الدمار والهلاك رابضين على الباب. ولعل أحد يعتقد أن ذلك حملهم على الندم، إلا أن الحقيقة هي أنهم برروا موقفهم، وردوا بغطرسة قائلين: «أنظير زانية يفعل بأختنا؟»

الأصحاح الخامس والثلاثون

يتضمن هذا الأصحاح ثلاثة لقاءات وثلاث جنازات.

أولا: ثلاثة لقاءات بين الله ويعقوب.

(١) أمر الله يعقوب بالانتقال إلى بيت إيل (ع ١– ٥).

(٢) يعقوب يبني مذبحا في بيت إيل تكريما لله الذي ظهر له (ع ٦ و٧).

(٣) ظهر له الله ثانية وأكد له تغيير اسمه والعهد معه (ع ٩– ١٣)، وأقام يعقوب تذكارا للتعبير عن عرفانه بهذا الظهور (ع ١٤ و١٥).

ثانيا: ثلاث جنازات:

(١) دبورة (ع ٨).

(٢) راحيل (ع ١٦– ٢٠).

(٣) إسحاق (ع ٢٧– ٢٩). وهنا أيضا خطية رأوبين مع سرية أبيه (ع ٢٢) وفقرة عن أولاد يعقوب (ع ٢٣– ٢٦).

عدد ١ – ٥

أولا: يذكِّر الله يعقوب بنذره عند بيت إيل، ويرسله هناك ليوفي به (ع ١). وسبق ليعقوب أن قال في أيام محنته «وهذا الحجر الذي أقمته عمودا يكون بيت الله» (تك ٢٨: ٢٢). وقد مضت الآن سبع أو ثمان سنوات على وصوله إلى كنعان، وقد اشترى هناك حقلا، وبنى مذبحا تذكارا لظهور الله الأخير له حين دعاه «إسرائيل» (تك ٣٣: ١٩ و٢٠)، غير أنه لم يتذكر بيت إيل بعد. ومما تجدر ملاحظته:

(١) بقدر ما يحب الله، نراه يُذكِّر الإنسان بواجباته المنسية بطريقة أو بأخرى، سواء كان ذلك عن طريق الضمير أو العناية الإلهية.

(٢) إذا ما نذرنا نذرا لله، فمن الأفضل ألا نؤجل الوفاء به (جا ٥: ٤)، ومع ذلك فالوفاء به مؤخَرا أفضل من عدم الوفاء به على الإطلاق. ويجب أن نشتاق إلى السكن في بيت إيل، بيت الرب (مز ٢٧: ٤). يجب أن يكون هذا بيتنا، وليس مثل فندق بالنسبة لنا. والله لا يُذكِّره بنذره صراحة، بل بالمناسبة التي دفعته إليه: «حين هربت من وجه عيسو أخيك».

ثانيا: أمر يعقوب أهل بيته للاستعداد لهذا الاحتفال، ليس للرحلة والانتقال فقط، بل للخدمات الدينية التي سيؤدونها (ع ٢ و٣). ونلاحظ هنا الأوامر التي أصدرها لأهل بيته، على غرار ما فعل إبراهيم (تك ١٨: ١٩).

(١) «اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم». ووجود آلهة غريبة في وسط عائلة يعقوب أمر غريب حقا. فهل تسمح هذه العائلة –التي تعلمت معرفة الرب– بوجودها بينهم؟ وفي تلك العائلات المعروفة بتدينها، وحيث يوجد عندها مذبح لله، كثيرا ما تجد بها عيبا ما، كما توجد بينها آلهة غريبة بأكثر مما كان يُعتقد.

(٢) «تطهروا وابدلوا ثيابكم». كانت أيدي شمعون ولاوي مخضبة بالدماء، ومطلوب منهما بصفة خاصة أن يتطهرا وأن يخلعا ثيابهما التي تلوثت على هذا النحو. وما كانت هذه سوى طقوس تشير إلى التطهير وتغير القلب. فماذا تنفع الملابس الطاهرة، والثياب الجديدة، بدون قلب طاهر، وقلب جديد؟

(٣) يتحتم عليهم الذهاب معه إلى بيت إيل (ع ٣).

ثالثا: تنازلت عائلته عن كل شيء له علاقة بالأوثان أو الخرافات (ع ٤). وقد حرص يعقوب على طمر تماثيلهم، حتى لا يجدونها بعد ذلك ويعودون إليها.

رابعا: تحرك من شكيم دون أية مضايقات حتى وصل إلى بيت إيل (ع ٥). «وكان خوف الله على المدن». ويُلاحظ أن طريق الواجب هو طريق السلامة. فحين كانت ثَمة خطية في بيت يعقوب، كان خائفا من جيرانه، أما وقد تخلَّص الآن من الآلهة الغريبة، وكانوا جميعا في طريقهم إلى بيت إيل، فقد كان جيرانهم يخافونهم.

عدد ٦– ١٥

وبعد أن وصل يعقوب وأسرته بسلام إلى بيت إيل، ذُكر لنا ما حدث هناك:

أولا: بنى هناك مذبحا (ع ٧)، وقدم عليه ذبيحة. ومع هذه الذبائح سبَّح الله وشكره على مراحمه السابقة. وأطلق على المكان (أي المذبح) اسم «إيل بيت إيل»، إله بيت إيل. والتعزية التي يحصل عليها

القديسون من الفرائض المقدسة ليست من بيت الله بقدر ما هي من إله البيت. والفرائض تكون خاوية وجافة ما لم نتقابل فيها مع الله.

ثانيا: هناك دفن دبورة، مرضعة رفقة (ع ٨). وربما لم تكن رفقة على قيد الحياة في ذلك الحين، ولكن مرضعتها العجوز (التي ورد ذكرها في تكوين ٢٤: ٥٩) عاشت بعدها. وقد أكرمت عائلة يعقوب هذه المرضعة عند موتها، مع أنها ليست من أقاربهم، بالرغم من كبر سنها. المحن قد تصيب العائلة حتى وهي في خضم الإصلاح والتمسك بالدين.

ثالثا: ظهر الله له (ع ٩) لكي يقبل مذبحه، وحتى يتحقق الاسم الذي أطلقه عليه «إيل (إله) بيت إيل» (ع ٧)، ولكي يعزيه في محنته (ع ٨). وجدد العهد معه وصادق عليه بالاسم «أنا الله القدير» (ع ١١) الله الذي فيه كل الكفاية، والقادر أن يحقق الوعد في الوقت المناسب. وقد وعده بأمرين:

(١) إنه سيكون أبا لأمة عظيمة.

(٢) سيكون سيدا لأرض طيبة (ع ١٢). ولن يكون أولاده بدون ممتلكات كما هو حال الفقراء في غالبية الأحوال، ولن تكون له ممتلكات بدون أولاد، الأمر الذي كثيرا ما يكون سبب حزن الأغنياء، بل سيكون له الاثنان معا. وهذان الوعدان لهما مغزى روحي، لأنه ليس ثَمة شك في أن المسيح هو النسل الموعود به، والسماء هي أرض الميعاد. بعد ذلك «صعد الله عنه» في ظهور مرئي لمجده، حيث كان يرفرف فوقه حين كان يتكلم معه (ع ١٣).

رابعا: هناك أقام يعقوب نصبا تذكاريا لهذه الواقعة (ع ١٤). فقد أقام عمودا، كدلالة على أنه يقصد به أن يكون ذكرى مقدسة لشركته مع الله، وقد سكب فوقه زيتا وجزءا آخر من سكيب التقدمة. وكان نذره هو، سيكون هذا الحجر «بيت إيل»، بيت الله، أي إنه سيُقام لمجده، كما أن البيوت تكون لمجد مَنْ بناها.

عدد ١٦ – ٢٠

هنا نجد قصة موت راحيل، زوجة يعقوب المحبوبة. فقد فاجأها المخاض في الطريق، ولم تستطع الوصول إلى بيت لحم، المدينة التالية، على الرغم من أنهم كانوا على مقربة منها. وعلى إثر ذلك ولدت طفلا، ولكنها ماتت أثناء ولادته. وموتها أُشير إليه هنا بعبارة «خروج نفسها». ويُلاحظ أن موت الجسد، ما هو إلا رحيل النفس إلى عالم الأرواح. وقد أطلقت على مولودها الجديد وهي تنازع سكرات الموت اسم «بن أوني» (ابن حزني). غير أن يعقوب، إذ لم يكن يريد تجديد تذكر الواقعة الحزينة الخاصة بموت الأم في كل مرة ينادي فيها على ابنه باسمه، فقد غير اسمه، ودعاه «بنيامين» (ابن يدي اليمنى)، أي «العزيز جدا لديّ" الذي يوضع على يدي اليمنى كبركة، ودعامة شيخوختي، مثل العصا في يدي اليمنى. وقد دفنها يعقوب بالقرب من المكان التي ماتت فيه. وإذا كانت النفس في راحة بعد الموت، فلا أهمية للمكان الذي يرقد فيه الجسد. وقد أقام يعقوب عمودا على قبرها، ولذلك، كان يُعرف بعد موتها بزمان طويل، أنه قبر راحيل (١صم ١٠: ٢)، وقد رتبت العناية الإلهية أن يقع هذا المكان بعد ذلك في نصيب بنيامين.

عدد ٢١ – ٢٩

(١) رحيل يعقوب (ع ٢١): بعد قصة موت راحيل مباشرة، نراه يُدعى هنا «إسرائيل» (ع ٢١ و٢٢)، ولا يُدعى بهذا الاسم كثيرا بعد ذلك. ويقول اليهود: إن المؤرخ يضفي عليه هذا الشرف هنا، لأنه تحمَّل هذه المحنة بصبر عجيب وخضوع تام لمشيئة الله.

(٢) خطية رأوبين: الخطية التي ارتكبها هي شر عظيم (ع ٢٢). وعلى الرغم من أنه قد تكون «بلهة» هي المجرم الأول، وربما تخلى عنها يعقوب بسبب ذلك، إلا أن جريمة رأوبين كانت كبيرة حتى إنه فقد بكوريته وبركته نتيجة ذلك (تك ٤٩: ٤). كانت هذه خطية رأوبين. لكنها كانت محنة يعقوب.

(٣) قائمة كاملة بأسماء أبناء يعقوب بعد أن وُلد أصغرهم وهو بنيامين، وهي المرة الأولى التي تُذكر فيها أسماء رؤساء الأسباط الاثني عشر معا.

(٤) الزيارة التي قام بها يعقوب لأبيه إسحاق في حبرون: ولعله قام بها الآن بمناسبة وفاة رفقة، وبذلك أصبح إسحاق وحيدا.

(٥) سُجل هنا عمر إسحاق وموته. وإسحاق وهو

رجل هادئ معتدل، كان أطول الآباء عمرا. وقد أُشير بصفة خاصة إلى الاتفاق الحبي الذي تم بين عيسو ويعقوب بشأن اشتراكهما في إقامة جنازة والدهما (ع ٢٩) لتوضيح كيف أن الله غير بشكل عجيب من سلوك عيسو الذي سبق أن أقسم أن يقتل أخاه فور موت والده مباشرة (تك ٢٧: ٤١).

الأصحاح السادس والثلاثون

نجد في هذا الأصحاح ذكرا لمواليد عيسو، والذين دُعوا «أدوميين» نسبة إلى اسمه.

أولا: لأنه ابن إسحاق، ومن ثَمَّ من أجله أُعطي هذا الشرف.

ثانيا: لأن الأدوميين كانوا جيرانا لإسرائيل.

ثالثا: لكي يبين الوعد الذي أُعطي لإبراهيم بأنه سيكون «أبا لجمهور من الأمم»، والإجابة التي أُعطيت لرفقة بالإعلان الإلهي «في بطنك أمتان»، ومباركة إسحاق، «دسم الأرض يكون مسكنك». ونجد هنا:

(١) زوجات عيسو (ع ١– ٥).
(٢) انتقاله إلى جبل سعير (ع ٦– ٨).
(٣) أسماء أولاده (ع ٩– ١٤).
(٤) الرؤساء الذين ولدوا لأبنائه (ع ١٥– ١٩).
(٥) رؤساء الحوريين (ع ٢٠– ٣٠).
(٦) ملوك أدوم وأمرائها (ع ٣١– ٤٣). وقد أوجز هذا الأصحاح في ١أخبار ١: ٣٥– ٥٣.

عدد ١ – ٨

(١) فيما يختص بعيسو نفسه (ع ١). سُمي «أدوم» (كلمة أدوم تعني أحمر) (ومرة ثانية في آية ٨). وقد خلد هذا الاسم الصفقة الخاسرة التي باع بها بكوريته قائلا: «أطعمني من هذا الأحمر».

(٢) بالنسبة لزوجاته والأبناء الذين ولدتهن له في أرض كنعان.

(٣) بخصوص رحيله إلى جبل سعير، وهي الأرض التي أعطاها له الله ملكا له، في حين حفظ أرض كنعان لنسل يعقوب. وقد أقر الله هذا بعد ذلك بمدة طويلة: «لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثا» (تث ٢: ٥؛ انظر أيضا يش ٢٤: ٤)، ولهذا السبب فإنه لا يجب إزعاج الأدوميين في ميراثهم. وقد انسحب بالكامل إلى جبل سعير، وأخذ معه، نصيبه من مقتنيات أبيه الشخصية، وترك كنعان ليعقوب، ليس فقط لأنه وُعد بها، بل لأن عيسو أدرك أنه لو واصلا الصراع بينهما كما بدآه هناك فلن يكون ثَمة وجود لأي منهما.

عدد ٩ – ١٩

(١) سُجلت أسماء بني عيسو وأحفاده واقتصر التسجيل على أسمائهم فقط دون تاريخهم. بل إن سلسلة الأنساب لم تتعد الجيل الثالث والجيل الرابع. فسلسلة أنساب بني إسرائيل فقط، الذين سيرثون كنعان، والذين منهم سيأتي النسل الموعود، والنسل المقدس، هي التي تمتد إلى أي حد كلما دعت الضرورة إلى ذلك، بل وتشمل كل الأسباط إلى أن تُقسَم أرض كنعان بينهم، وحتى النسل الملكي إلى أن يأتي المسيح.

(٢) أبناء عيسو وأحفاده هؤلاء دُعوا أمراء أو رؤساء لهم جنود تحت إمرتهم، لأن عيسو وعائلته كانوا بالسيف يعيشون (تك ٢٧: ٤٠). وكان أبناء عيسو أمراء، في حين أن أولاد يعقوب كانوا مجرد رعاة بسطاء (تك ٤٧: ٣). وهذا ليس بسبب يدعو إلى عدم استعمال المسيحيين لهذه الألقاب، ولكنه سبب يدعو الناس إلى عدم المبالغة في تقديرهم لأنفسهم أو للآخرين، بسبب هذه الألقاب.

(٣) توسع عيسو وحقق الثراء مبكرا، أما وعد الله ليعقوب فلم يبدأ تحقيقه إلا مؤخرا، غير أن نتيجته ظلت فاعليتها لمدة طويلة، ثم تحققت بالكامل في إسرائيل الروحي.

عدد ٢٠ – ٣٠

في وسط سلسلة أنساب الأدوميين هذه ذُكرت سلسلة أنساب الحوريين، أولئك الكنعانيون أو الحثيون (قارن تكوين ٢٦: ٣٤)، الذين سكنوا جبل سعير. ولم يأت هذا هنا لإلقاء الضوء على القصة فقط، بل ليكون إشارة إلى موقف الأدوميين من التزواج بينهم. وإذ باع عيسو بكوريته، وفقد بركته، ودخل في حلف مع الحثيين، فقد حُسبت ذريته وأبناء سعير هنا معا.

عدد ٣١- ٤٢

ويبدو أن الأدوميين شيئا فشيئا سرقوا الحوريين، وامتلكوا الأرض بالكامل، وتسلطوا عليها.

(١) كان يحكمهم ملوك، ويبدو أنهم كانوا يعتلون العرش بالانتخاب، وليس بالوراثة. وقد «ملكوا في أرض أدوم قبلما مَلَك مَلِك لبني إسرائيل». وأصبح لعيسو دم ملكي قبل أن يصبح أي من آل يعقوب كذلك. ولنا أن نفترض أنه كان اختبارا عظيما لإيمانهم بإله إسرائيل أن يسمعوا عن أبهة وقوة ملوك أدوم في حين أنهم كانوا عبيدا مسخرين في مصر، غير أن الذين يتطلعون أن يحقق الله لهم أمورا عظيمة عليهم أن يقنعوا بانتظارها، والوقت الذي يختاره الله هو أفضل الأوقات لنا.

(٢) بعد ذلك كان يحكمهم رؤساء، وقد ذُكروا هنا أيضا، والذين، كما يُعتقد، كانوا يحكمون في نفس الوقت في أماكن متفرقة من البلاد. فنقرأ عن أمراء أدوم (خر ١٥: ١٥)، إلا أننا بعد ذلك بوقت طويل نعود ونسمع عن ملوكهم ثانية.

(٣) سُمي جبل سعير «أرض ملكهم» (ع ٤٣). وفيما كان بنو إسرائيل يسكنون أرض العبودية، ولم تكن كنعان بالنسبة لهم سوى أرض الموعد، كان الأدوميون يستوطنون في منازلهم، وكانت سعير ملكا لهم. ويُلاحظ أن أبناء هذا العالم لديهم كل ممتلكاتهم في هذا الزمان، وليس لهم ما يرجونه (لو ١٦: ٢٥)، في حين أن أبناء الله يملكون كل شيء بالرجاء، ولا يمتلكون في العالم شيئا. ولكن، إذا ما تأملنا في الأمر، فإنه من الأفضل أن تكون لنا كنعان بحسب الوعد من أن نمتلك الآن جبل سعير.

الأصحاح السابع والثلاثون

بهذا الأصحاح تبدأ قصة يوسف، وفي جميع الأصحاحات التالية وحتى نهاية السفر باستثناء أصحاح واحد يشكل يوسف الشخصية الرئيسية. وتنقسم قصته بشكل رائع إلى قسمين بين إذلاله، ثم مجده حتى إننا لا نستطيع إلا أن نرى فيه رمزا للمسيح، الذي أُحتقر أولا ثم تمجد. ثم أن هذه القصة تشير أيضا إلى نصيب المسيحيين، الذين بضيقات كثيرة ينبغي أن يدخلوا الملكوت.

ويتضمن هذا الأصحاح،

أولا: الكراهية التي كان يكنها له إخوته:

(١) لأنه أخبر أباهم عن شرهم (ع ١ و٢).

(٢) ولأن أباه كان يحبه أكثر منهم (ع ٣ و٤).

(٣) لأنه حلم بأنه سيكون سيدا لهم (ع ٥- ١١).

ثانيا: الأذى الذي ألحقه إخوته به:

(١) الزيارة الحنونة التي قام بها لهم أعطتهم فرصة لذلك (ع ١٢- ١٧).

(٢) انتووا قتله، إلا أنهم بعد ذلك اتفقوا على أن يميتوه جوعا (ع ١٨- ٢٤).

(٣) بعد ذلك عادوا وغيروا رأيهم ثانية، وباعوه كعبد (ع ٢٥- ٢٨).

(٤) حملوا أباهم على الاعتقاد أن وحشا مزقه (ع ٢٩- ٣٥).

(٥) بيع إلى فوطيفار في مصر (ع ٣٦). وكل هذه الأمور كانت تعمل معا للخير.

عدد ١- ٤

قصة عائلة يعقوب: «هذه مواليد يعقوب». وسلسلة أنسابه ليست عقيمة كسلسلة أنساب عيسو (تك ٣٦: ١)، بل تتضمن تاريخا نافعا يستحق الذكر، ونجد هنا:

(١) يعقوب غريبا ونزيلا مثل أبيه إسحاق، وقد كان لا يزال على قيد الحياة (ع ١).

(٢) يوسف يعمل راعيا: «يرعى مع إخوته» (ع ٢). ومع أنه كان صاحب الحظوة عند أبيه، إلا أنه لم يُربِّه على الكسل والرفاهية. والذين يكبرون وهم لا يعملون شيئا لن يصلحوا لأي شيء.

(٣) يوسف، محبوب أبيه (ع ٣). كان أعظم تعزية له في شيخوخته، وقد أعلن يعقوب عن محبته الفائقة له فألبسه أفضل من بقية إخوته: «فصنع له قميصا ملونا».

(٤) يوسف مكروها من إخوته:

أ. لأن أباه أحبه أكثر منهم، وحين يضع الآباء تفرقة، سرعان ما يلحظها الأبناء الأمر الذي كثيرا ما يسبِّب تولد الضغائن والنزاع في العائلة.

ب. ولأنه أتى «بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم». فعل أبناء يعقوب ذلك لأنهم كانوا بعيدين عن رقابته، الأمر الذي ما كانوا يجرؤون على عمله لو

كانوا معه في البيت، غير أن يوسف أبلغ أباه عن مسلكهم الشرير.

عدد ٥- ١١

أولا: يوسف يروي أحلامه النبوية (ع ٦ و٧، ٩ و١٠) التي تضمنت:

(١) أن حِزَم إخوته سجدت لحزمته، الأمر الذي يشير إلى المناسبة التي سيأتون فيها إليه ليقدموا له فروض الإجلال والتعظيم، والمقصود هنا حين يذهبون إليه طلبا للقمح، فحزمهم الخالية ستسجد لحزمته المليئة.

(٢) أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا سجدوا له (ع ٩). وكان يوسف نبيا أكثر منه سياسيا، وإلا لكان قد أبقى هذا الأمر سرا، ولاسيما وأنه كان على علم بأن إخوته يبغضونه، وأن هذا الحلم سيزيد حنقهم عليه.

ثانيا: استاء إخوته جدا بسبب هذه الأحلام، وازداد غضبهم عليه (ع ٨): «ألعلك تملك علينا مُلكا؟» ونرى هنا مدى احتقارهم لهذا الأمر: «ألعلك...» وأنت مجرد شخص واحد «تملك علينا» ونحن عصبة؟ أنت أصغر مَنْ فينا، تملك علينا نحن الذين نكبرك سنا؟

ثالثا: وبخه أبوه على ذلك، ومع ذلك حفظ الأمر (ع ١٠ و١١). ولعله زجره، ولمح إلى أن ذلك ما هو سوى حلم تافه. ويعقوب مثل مريم (لو ٢: ٥١) كان يحفظ هذه الأمور في قلبه. ولا ريب أنه تذكرها بعد ذلك بمدة طويلة، حيث جاءت الأحداث مطابقة للنبوات.

عدد ١٢- ٢٢

أولا: الزيارة الودودة التي قام بها يوسف لإخوته، إطاعةً لأمر أبيه، حيث كانوا يرعون قطيعهم في شكيم، التي تبعد عدة أميال. ونرى في يوسف هنا:

(١) مثالا للخضوع والطاعة لأبيه. وعلى الرغم من أنه كان محبوب أبيه، إلا أنه كان مستعدا لأن يكون خادمه أيضا. ونرى هنا كيف أنه أسرع إلى تنفيذ أمره.

(٢) مثالا لمحبته لإخوته: وعلى الرغم من علمه بأنهم كانوا يكرهونه ويحسدونه، إلا أنه لم يعترض على أوامر أبيه بالذهاب إليهم. لقد أُرسل يوسف إلى شكيم من قِبل والده للاطمئنان على إخوته هناك، لئلا يكون أهلها قد هاجموهم، وقتلوهم انتقاما من قتلهم أهل شكيم بطريقة وحشية منذ عدة سنوات خلت.

ثانيا: مؤامرة إخوته الدموية الدنيئة، الذين قابلوا الخير بالشر؛ فلم يفكروا في قتله إثر مناقشة حامية، أو إثر استفزاز مفاجئ، بل فكروا في ذلك من قبل، ونتيجة حقد دفين. وكلما زاد التخطيط للخطية، وزادت براعة تنفيذها ازدادت شرا. إنه أمر سيئ أن تعمل شرا، غير أن الأسوأ هو أن تخطط له. كيف وبخوه باحتقار على أحلامه (ع ١٩): «هوذا هذا صاحب الأحلام»، (ع ٢٠): «فنرى ماذا تكون أحلامه». وهذا يبين ما الذي كان يثير سخطهم وغضبهم. ما كانوا يتحملون فكرة قيامهم بالخضوع له. ثم نرى هنا كيف اتفقوا على تغطية الجريمة بكذبة: «ونقول وحش رديء أكله».

ثالثا: خطة رأوبين لإنقاذه (ع ٢١ و٢٢). كان لدى رأوبين -دون بقية إخوته- سبب قوي للغيرة من يوسف، لأنه كان البكر، ومع ذلك أثبت أنه أفضل صديق له. فلقد قدم رأوبين اقتراحا ظنوه يحقق قصدهم تماما من ناحية هلاك يوسف، ومع ذلك فإن ما اقترحه كان يستهدف به إنقاذه من أيديهم، وإعادته إلى أبيه. غير أن الله سخر كل الأمور لتخدم قصده في استخدام يوسف أداة لإنقاذ كثيرين من الموت.

عدد ٢٣- ٣٠

تتضمن هذه الفقرة تنفيذ خطتهم ضد يوسف:

(١) خلعوا عنه قميصه، وكل منهم يحاول أن يأخذ القميص الملون الذي كان يحسدونه عليه (ع ٢٣). وهكذا، بحسب تصورهم، حرموه من البكورية التي اعتقدوا أن القميص كان رمزا لها. وهكذا أيضا نُزع قميص الرب يسوع الذي كان بدون خياطة، كذلك حُرم قديسيه من مزاياهم وأمجادهم، ثم جُعلوا نفاية كل شيء.

(٢) رأوا أن يميتوه جوعا، فألقوه في بئر لم يكن بها ماء، لكي يهلك هناك من الجوع. وحين يسود الحسد تنتفي الرحمة، ويطاح بالشفقة بعيدا (انظر أمثال ٢٧: ٤). فهل هذا هو الذي سيسجد له إخوته؟

ويُلاحظ أن العناية الإلهية تبدو في كثير من الأحوال وكأنها تتعارض مع مقاصده، حتى وإن كانت تخدم هذه المقاصد.

(٣) استخفوا به حين كان في محنته، لم يحزنوا لما كان فيه يوسف من محنة، بل «جلسوا ليأكلوا طعاما» (ع ٢٥). ولم يلومهم ضميرهم إطلاقا على خطيتهم، لأنه لو حدث ذلك لفقدوا شهيتهم واستمتاعهم بالطعام، بل على النقيض من ذلك كانوا الآن في سرور لاعتقادهم بأنهم قد تحرروا من خوف سيادة أخيهم عليهم.

(٤) باعوه: وقد حدث أن مرت قافلة من التجار، وجاء ذلك في وقت مناسب، واستغل يهوذا الفرصة، واقترح عليهم أن يبيعوا لهم يوسف، لكي يأخذوه بعيدا إلى مصر، حيث من المرجح أن يُفقد هناك، ولن يسمع أحد عنه شيئا بعد الآن:

أ. وقد اقترح يهوذا ذلك مدفوعا بمحبته ليوسف (ع ٢٦): «ما الفائدة أن نقتل أخانا ؟»

ب. وافقوا على هذا الاقتراح لأنهم قالوا إنه لو بيع عبدا فلن يكون بعد سيدا على الإطلاق. وقد اعتقد رأوبين أنه فشل في إنقاذ يوسف، مادام قد بيع: «وأنا إلى أين أذهب ؟» (ع ٣٠). فلأنه أكبر إخوته، فقد توقع أن يطلب منه والده تفسيرا عما حدث ليوسف، ولكن كما أثبتت الأحداث فإنهم جميعا كانوا سيهلكون لو لم يُبَع.

عدد ٣١ – ٣٦

أولا: سوف يُكتشف غياب يوسف سريعا، وسيُبحث عنه بشكل مكثف، ولهذا فكر إخوته في خطة أخرى، حتى يعتقد الجميع أن وحشا قد مزق يوسف إربا. وقد نفذوا هذه الخطة بالفعل.

(١) أرادوا بذلك تبرئة ساحتهم، حتى لا يشك أحد في أنهم ألحقوا به أي أذى. ويُلاحظ أنه عندما يحث الشيطان الناس على ارتكاب جريمة واحدة، يُعلمهم في ذات الوقت أن يخفوها بخطية أخرى، فالسرقة والقتل تُخفى بالكذب والحلف الباطل، ولكن مَنْ يكتم خطاياه لا ينجح.

(٢) ليحزنوا والدهم: ويبدو أنهم فعلوا ذلك عمدا لينتقموا منه لمحبته المتميزة ليوسف. أرسلوا له قميص يوسف الملون، ولكن بلون زائد على ألوانه السابقة، ألا وهو لون الدم (ع ٣٢). وقد ادَّعوا أنهم وجدوه في الحقل، وقد رأوا أن يسألوا يعقوب بكل ازدراء: «أقميص ابنك هو أم لا؟» وليتخيل الذين يعرفون قلب الأب مدى معاناة يعقوب المسكين وحزنه عندئذ. فسواء في نومه أو في يقظته، كان يتصور أنه يرى الوحش وهو يهجم على يوسف. ويتخيل كيف أنه مزقه إربا إربا، بل إنه التهمه، ولم يترك منه شيئا سوى القميص الملون:

أ. بُذلت المحاولات لتعزيته: وتظاهر أولاده الأشرار أنهم يعملون ذلك (ع ٣٥)، لكنهم جميعا كانوا معزين متعبين. فلو كانوا يودون تعزيته حقا لكان من السهل عليهم أن يخبروه بالحقيقة وهي أن يوسف حي، والحقيقة أنه بيع في مصر، ولكنهم لو قالوا هذا لكان من السهل أن يرسل إلى مصر ويدفع فديته، ولكن:

ب. ذهبت جهودهم أدراج الرياح: ذلك أن يعقوب أبى «أن يتعزى» (ع ٣٥).

ثانيا: لم يبتعه الإسماعيليون والمديانيون سوى ليعيدوا بيعه ويربحوا من ذلك، ولذلك نراه هنا يُباع ثانية لفوطيفار (ع ٣٦). وسرعان ما أصبحت أرض مصر بيت العبودية لنسل يعقوب! ولم يدر بخلد يعقوب إطلاقا أن يُباع حبيبه يوسف كعبد.

الأصحاح الثامن والثلاثون

يقدم هذا الأصحاح قصة تتعلق بيهوذا وعائلته. وإذا كان علينا أن نعطي فكرة بناء على هذه القصة فلن نقول: «يهوذا، إياك يحمد إخوتك» (تك ٤٩: ٨).

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: زواج يهوذا ونسله، وموت ابنيه الكبيرين في سن مبكرة (ع ١– ١١).

ثانيا: يهوذا يزني مع كنته ثامار دون أن يدري (ع ١٢– ٢٣).

ثالثا: ارتباكه حين اكتُشف الأمر (ع ٢٤– ٢٦).

رابعا: ولادة ابنيه التوأم، واللذان قامت عليهما عائلته (ع ٢٧– ٣٠).

عدد ١ – ١١

(١) حماقة يهوذا في صداقته لرجل كنعاني.

(٢) حماقة زواجه بامرأة كنعانية، وقد تم الزواج بعيدا عن مشورة أبيه، الذي يبدو أنه لم يُسأل في الأمر، بل من خلال صديقه الجديد «حيرة» (ع ١). وقد أنجبت له ثلاثة أبناء «عير»، «أونان»، «شيلة». ولقد تزوج يهوذا وهو لا يزال صغيرا، وكان مندفعا في زواجه، كما أنه زوَّج ابنيه في صغرهما، حيث كانا يفتقران إلى الفطنة والكياسة لتدبير أمورهما، وكانت عواقب ذلك وخيمة جدا.

أ. ابنه البكر «عير» كان شريرا للغاية، هكذا كان «في عيني الرب»، بمعنى أنه كان يحتقر الله وشريعته.

ب. أما ابنه الثاني «أونان» فطبقا للعادة القديمة، تزوج بأرملة أخيه ليقيم له نسلا، حيث مات دون أن يُرزق بذرية. وقد أصبح العرف الخاص بزواج الشخص بأرملة أخية بعد ذلك ضمن ناموس موسى (تث ٢٥: ٥). وعلى الرغم من أن أونان قد وافق على أن يتزوج الأرملة، فإنه أساء إساءة بالغة لجسده، وللمرأة التي تزوجها، ولذكرى أخيه المتوفي، برفضه أن يقيم لأخيه نسلا.

ج. أما «شيلة»، وهو الابن الثالث، فقد حُجز من أجل الأرملة (ع ١١)، على ألا يتزوج وهو صغير. ومع ذلك فقد وافقت ثامار على ذلك في الوقت الراهن وانتظرت النتيجة.

عدد ١٢ – ٢٣

قصة مخزية تلك التي ذُكرت عن يهوذا في هذه الفقرة. كان ظالما بالنسبة لكنته، سواء كان ذلك بقصد أم بغير قصد، وذلك لعدم زواجها من ابنه المتبقي، الأمر الذي عرضها للفتنة.

أولا: كانت ثامار شريرة في تقديم نفسها ليهوذا كزانية، حتى إنه مادام قد رفض الابن أن يقيم نسلا لأخيه المتوفي، فإنها ستحقق ذلك بواسطة الأب. ومن المحتمل أنها كانت تأمل أن يأتي شيلة –الذي كان يُعد زوجها بحسب العرف السائد– مع أبيه، وأنها ربما تمكنت من إغرائه للارتماء في أحضانها.

(١) انتهزت فرصة عزم يهوذا على قضاء وقت مرح في الاحتفال مع جزازي غنمه.

(٢) عرضت نفسها كزانية في مدخل عينايم (ع ١٤). ويبدو أنه كان من عادة الزانيات، في تلك الأوقات، أن تغطين وجوههن، حتى إنه على الرغم من عدم خجلهن، إلا أنهن كن يبغين الظهور وكأنهن خجلات. ولم تكن خطية النجاسة تكشف عن وجهها بوقاحة كما هي الآن.

ثانيا: وقع يهوذا في هذا الفخ، وعلى الرغم من أنه ارتكب خطية الزنا مع كنته دون علمه بذلك. فلم يكن يعرف مَنْ هي تلك المرأة التي زنى بها، إلا أنه ارتكب هذه الخطية بإرادته: فأيا كانت، كان يعرف أنها ليست زوجته وعلى ذلك ما كان يجب عليه أن يمسها– ومما تجدر ملاحظته:

(١) بدأت خطية يهوذا بعينيه (ع ١٥) «فنظرها». ونحن في حاجة إلى أن نعقد عهدا مع عيوننا، ونبعدها عن رؤية الباطل، حتى لا تُفسد القلب.

(٢) مما يزيد من الفضيحة أنه طلب استئجار الزانية (ولا شيء يفوق ذلك خزيا) وعُرض الأمر وتم قبوله– «جدي معزى من الغنم». يا له من ثمن عظيم قدرته لعفتها وشرفها! والحقيقة ولو كان العرض ألوفا من الكباش، وعشرة آلاف نهر من الزيت، لما كان عرضا ذو قيمة. فنعمة الله، وطهارة النفس، وسلام الضمير، والرجاء في السماء، هي من الأمور الثمينة للغاية والتي لا يمكن أن تُقدر بمال.

(٣) كان مما يشين يهوذا أنه ترك مقتنياته الثمينة كرهن لجدي معزى.

ثالثا: فَقَد أشياءه الثمينة نتيجة هذا الاتفاق، فقد أرسل الجدي، بحسب وعده، ليسترد الرهن، غير أنهم لم يجدوا للزانية المزعومة أثرا. وقد قنع يهوذا بأن يفقد خاتمه وعصابته وعصاه، وأوقف البحث عنها «لئلا نصير إهانة» (ع ٢٣). لم يعر خطيته اهتماما، ولم يحاول أن يطلب الغفران، كل ما كان يهمه هو ألا يتعرض للخزي، ليمنع فقده سمعته.

عدد ٢٤ – ٣٠

أولا: قسوة يهوذا على ثامار حين سمع أنها قد زنت، لأنها من الناحية الشرعية زوجة شيلة، ولذلك فكونها تحمل طفلا من آخر كان يُنظر إليه باعتباره إهانة وخزيا لعائلة يهوذا، ولذلك وباعتبار أن يهوذا سيد العائلة فقد قال: «أخرجوها فتُحرق». ويُلاحظ أنه من الشائع

بالنسبة للناس أن يكونوا قساة جدا في مواجهة خطايا الآخرين رغم أنهم يسمحون لأنفسهم بارتكاب نفس هذه الخطايا. وعلى ذلك فإنهم إذ يدينون الآخرين، فإنما هم يدينون أنفسهم (رو ٢: ١؛ ١٤: ٢٢).

ثانيا: عار يهوذا، حين اكتُشف أنه هو الزاني. لقد قدمت «الخاتم والعصابة والعصا»، وبواسطتهم ثبت أن يهوذا كان أبا للطفل التي كانت حبلى به.

ثالثا: تكوين عائلة يهوذا بميلاد «فارص» و«زارح»، واللذان انحدرت منهما معظم العائلات البارزة لسبط يهوذا الشهير. وأبناء يعقوب الكبار الأربعة سقطوا في خطايا شنيعة. فرأوبين ويهوذا وقعا في خطية الزنى، شمعون ولاوي ارتكبا خطية القتل، ومع ذلك كانوا من الآباء، ومن لاوي جاء الكهنة، ومن يهوذا جاء الملوك والمسيح. وهكذا أصبح هؤلاء أمثلة للتوبة، ورمزا للرحمة الغافرة.

الأصحاح التاسع والثلاثون

نعود بهذا الأصحاح إلى قصة يوسف. ونجده هنا:

أولا: عبد في خدمة بيت فوطيفار (ع ١)، ومع ذلك لاقى هناك حظوة وتقديرا عظيما.

(١) بالعناية الإلهية، التي جعلته في واقع الأمر سيدا (ع ٢- ٦).

(٢) وبنعمة الله، جعلته أكثر من منتصر على تجربة قوية لإغرائه إلى خطية النجاسة (ع ٧- ١٢).

ثانيا: نراه هنا يعاني بسبب اتهام كاذب (ع ١٣- ١٨)، حيث أُلقي به في السجن (ع ١٩ و٢٠) ومع ذلك كان في سجنه مستريحا ومكرَّما، نتيجة علامات وجود الله معه (ع ٢١- ٢٣).

عدد ١- ٦

أولا: بيع يوسف إلى أحد ضباط فرعون، ومن خلاله أُتيح له أن يتعرف على المشاهير، وعلى أعمال السلطة والإدارة، وبذلك تهيأ للمكانة المرموقة التي تُعده لها العناية الإلهية. وحين يرغب الله في إسناد مهمة إلى شخص ما، فلابد وأن يعده لذلك بطريقة أو بأخرى.

ثانيا: بارك الله يوسف ببركة عظيمة، حتى وهو في بيت العبودية:

(١) أنجحه الله (ع ٢ و٣): وعلى الرغم من أننا نعتقد أنه في البداية كُلِّف بأدنى الخدمات، إلا أنه حتى في هذه أظهر أمانته واجتهاده، وكانت ثَمة بركة سمائية خاصة تلازمه، وكلما ترقى في عمله كانت تزداد وضوحا. لقد نزع عنه إخوته قميصه الملون، غير أنه لم يكن بمقدورهم أن ينزعوا عنه فضيلته وحصافته. لقد عُزل يوسف عن إخوته، ولكن ليس عن إلهه، لقد نُفي من بيت أبيه، ولكن «الرب كان معه»، وأنجحه، وهذا ما عزَّاه وأراحه.

(٢) رقاه سيده، وشيئا فشيئا وكَّله على بيته (ع ٤). إنه لمن حكمة مَنْ هم في أي موقع من مواقع السلطة أن يشجِّعوا ويستخدموا أولئك الذين تبدو عليهم علامات وجود الله معهم (مز ١٠١: ٦). وكان فوطيفار يعرف ما يفعله حين وكَّل يوسف على بيته.

(٣) لقد أعطى الله بركة لسيده من أجل خاطره (ع ٥): «الرب بارك بيت المصري»، على الرغم من أنه كان مصريا لا يعرف الإله الحقيقي، ولكنه باركه «بسبب يوسف». فالناس الصالحون هم بركة للمكان الذي يعيشون فيه.

عدد ٧- ١٢

أولا: مثال صارخ على وقاحة سيدة يوسف وبذاءتها، والتي كانت خزيا وعارا لبنات جنسها، حيث فقدت تماما كل فضيلة وشرف.

(١) بدأت خطيتها في عينيها، «رفعت عينيها إلى يوسف» (ع ٧)، حيث كان «حسن الصورة وحسن المنظر» (ع ٦). نحن في حاجة ماسة أن نقطع عهدا مع عيوننا (أي ٣١: ١)، حتى لا تفسد القلب.

(٢) كانت بلا حياء من جهة الخطية، لا تشعر معها بخزي.

(٣) كانت ملحة وعنيفة في إغرائها. كانت تلح عليه «يوما فيوما» (ع ١٠)، وكان ذلك:

أ. يُعد شرا مستطيرا من جانبها.

ب. وأيضا إغراء عظيما ليوسف.

ثانيا: هنا نجد مثالا رائعا في الفضيلة والإصرار

على التمسك بها من جانب يوسف، الذي استطاع بنعمة الله أن يقاوم ما تعرض له من إغراء، وينتصر على هذه التجربة. وإذا ما تأملنا الأمر من جميع جوانبه نجد مثالا على القوة الإلهية، والتي تجلت في خلاص الفتية الثلاثة من أتون النار.

(١) التجربة التي هاجمته كانت قوية للغاية: ولاسيما أن مَنْ كانت تغويه هي سيدته، ولها مكانتها، وكان عمله يحتم عليه طاعتها، وارضاؤه لها يعد ربحا له، لأنه إذا نال حظوة عندها لترقى في عمله بأكثر مما يكفله له أي سبب آخر. ومن ناحية أخرى، كان ثَمة خطر عظيم في استهانته بها، وحملها على معاداته، وكانت الفرصة متاحة للتجربة. كانت مُجرِّبته معه في البيت، ذلك أن عمله قاده إلى مكان تواجدها دون أدنى شبهة.

(٢) كان شجاعا للغاية في مقاومته للإغواء، وكان انتصاره مشرفا حقا.

أ. رفض الإساءة إلى سيده، ورفض إغضاب الله. وكانت هذه هي الحجة الرئيسية التي زادت من كراهيته للخطية: «فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله». وكانت ثَمة ثلاث حجج أقنع بها يوسف نفسه:

◄ نظر أولا إلى مَنْ هو الشخص الذي يواجه التجربة: «أنا»، ربما آخرون يفعلون هذا، أما «أنا» فلا أستطيع.

◄ ما هي الخطية التي أُغري على ارتكابها: هي شر عظيم. ربما ينظر إليها آخرون على أنها شيء بسيط، هفوة أو زلة شباب، غير أن يوسف كان ينظر إليها نظرة أخرى. لتظهر الخطية خاطئة (رو ٧: ١٣)، أعطى للخطية اسمها، ولم يقلل من شأنها أبدا.

◄ ضد مَنْ جُرب يوسف أن يخطئ– «إلى الله»، ضد طبيعة الله وسيادته، ضد محبته وقصده. ولهذه الأسباب فإن كل مَنْ يحبون الله يكرهون الخطية.

ب. بصلابة العزيمة، لقد مكنته نعمة الله من التغلب على التجربة، وذلك بتجنب المجرِّب. فلم يكن ليتفاوض مع التجربة، بل فر بعيدا عنها مدفوعا بكراهيته العظيمة لها، ترك ثوبه، ليهرب بحياته. فمن الأفضل أن تفقد ثوبا جيدا بدلا من أن تفقد ضميرا صالحا.

عدد ١٣ – ١٨

وإذا ضاعت جهود سيدة يوسف التي بذلتها لتجعل منه مجرما، فقد اجتهدت الآن لتظهره على هذا النحو، وذلك لتنتقم منه بسبب فضيلته. فالمحبة المقدسة الطاهرة تستمر حتى لو اُستخف بها أو تم تجاهلها، أما الحب الآثم مثل حب أمنون لثامار هو الذي يتحول بسرعة إلى كراهية. لقد أدانته أمام زملائه من العبيد (ع ١٣– ١٥) وشوهت سمعته. ثم شكته إلى سيده، الذي يملك سلطة معاقبته، ونلاحظ هنا:

(١) كيف أنها ادعت قصة مستحيلة الحدوث، غير أنها اختلقتها للانتقام منه لفضيلته، وكانت كذبة شائنة، ومع ذلك:

(٢) روتها بكيفية تثير زوجها عليه، وتنسب إليه خطأ أنه أحضر إلى البيت هذا العبد العبراني.

عدد ١٩ – ٢٣

(١) يوسف يتعرض للظلم على يدي سيده: لقد صدَّق سيده الاتهام، ولم يكن أمامه سوى أن يحكم على يوسف بالسجن المؤبد (ع ١٩ و٢٠). رأى أنه يجب أنه يُسجن مع أسرى الملك كسجين سياسي. ومن المحتمل أن فوطيفار اختار ذلك السجن لأنه أسوأها. لقد أُودع سجن الملك حتى يُؤخذ من هناك إلى محضر الملك.

(٢) أُبعد يوسف عن كل أصحابه: «ولكن الرب كان مع يوسف وبسط إليه لطفا» (ع ٢١). ذلك أنه لا توجد أبواب أو مصاريع يمكنها أن تحول دون حضوره الكريم مع شعبه، لأنه وعد بألا يتركهم أبدا. والذين لهم ضمير صالح يكون الله معهم حتى وإن كانوا في السجن، ولم يمضِ يوسف وقتا طويلا في السجن حتى أصبح رئيسا صغيرا. فقد جعل الله له نعمة «في عيني رئيس بيت السجن». ويُلاحظ أن الله يستطيع أن يوجد أصدقاء لشعبه من حيث لا يدرون. لقد لاحظ رئيس السجن أن الله كان مع يوسف ومهما صنع كان ينجحه، وعلى ذلك أوكل إليه إدارة شئون السجن (ع ٢٢ و٢٣).

الأصحاح الأربعون

تجد الأمور في هذا الأصحاح تسير لخير يوسف، وإن كان ذلك ببطء.

أولا: أُلقي اثنان من عبيد فرعون في السجن، وهناك شملهما يوسف بعنايته، وبذلك أصبحا شاهدين على سلوكه الرائع (ع ١– ٤).

ثانيا: كل منهما حلم حلما، قام يوسف بتفسيره لهما (ع ٥– ١٩) وقد أثبتت الأحداث صحة هذا التفسير، وبذلك أصبحا شاهدين على مهارته غير العادية.

ثالثا: أوصى يوسف أحدهما به خيرا، وهو الذي تنبأ له بترقيته (ع ١٤ و١٥)، ولكنه نسيه (ع ٢٣).

عدد ١– ٤

ما ذكرت قصة ساقي فرعون وخبازه في الأسفار المقدسة إلا لأنها نافعة في قصة ترقي يوسف. ومما تجدر ملاحظته هنا:

(١) اثنان من كبار حاشية فرعون إذ أغضبا الملك، أمر بإيداعهما السجن. وثَمة تخمينات عديدة فيما يتعلق بالخطأ الذي ارتكبه هذان العبدان. البعض يقول إنهما كانا متهمين بمحاولة القضاء على حياته، وآخرون يقولون إن التهمة لم تخرج عن أن تكون اكتشاف ذبابة في كأس الملك، وبعضا من الرمل في خبزه.

(٢) «رئيس الشرط» نفسه –وهو فوطيفار– هو الذي أقام يوسف عندهما لخدمتهما (ع ٤)، الأمر الذي يُستشف منه أنه بدأ الآن يتصالح معه، أو لعله اقتنع ببراءته، على الرغم من أنه لم يجرؤ على إطلاق سراحه خشية غضب زوجته.

عدد ٥– ١٩

أولا: عناية الله الخاصة التي شغلت أفكار هذين السجينين بحلمين غريبين، الأمر الذي ولَّد فيهما مشاعر غير عادية، وقد جاء الحلمان في نفس الليلة، وكانا يحملان في طياتهما دلائل التدخل الإلهي.

ثانيا: الانطباعات التي تولدت في ذهن هذين السجينين نتيجة حلميهما (ع ٦): «إذ هما مغتَمّان».

ثالثا: رقة يوسف البالغة وتعاطفه معهما: لقد سألهما باهتمام: «لماذا وجهاكما مكمدان اليوم» (ع ٧). كان يوسف حارسا لديهما، أما الآن فهو سجين معهما، وكان صاحب أحلام أيضا مثلهما. والشركة في الآلام تولد التعاطف بين شركاء المحن. وإنه لمما يعطي بعض التعزية لمن يجتازون محنة ما، أن يروا أن هناك مَنْ يهتم بأمرهم.

رابعا: الحلمان وتفسيرهما: «وليس مَنْ يعبره» هنا في السجن (ع ٨)، وفي الحال أرشدهما يوسف إلى الجهة التي يتعين عليهما اللجوء إليها: «أليست لله التعابير؟» وإذا كانت التفاسير لله، فإنه حر في أن يعطي مَنْ يشاء القدرة على التفسير، ومن ثَمَّ أخبراني بحلميكما، ونلاحظ هنا:

(١) كان حلم رئيس السقاة يتضمن نبوة سعيدة تشير إلى تحسن وضعه، وإعادته إلى وظيفته السابقة خلال ثلاثة أيام. وهكذا فسر له يوسف حلمه (ع ١٢ و١٣).

(٢) أما حلم رئيس الخبازين فكان ينذر بنهايته المشينة (ع ١٨ و١٩). والتفسير السعيد للحلم الأول شجع الثاني على سرد حلمه. ولم يكن خطأ من جانب يوسف ألا يخبره بأنباء طيبة. فالخدام ما هم إلا مفسرون، ولا يمكنهم تغيير حقيقة الأمر.

خامسا: استغلال يوسف هذه الفرصة لاكتساب صديق له في البلاط الملكي (ع ١٤ و١٥): وبكل تواضع طلب من رئيس السقاة أن يسدي له معروفا، وهو الذي تنبأ له بترقيته: «وإنما إذا ذكرتني عندك حينما يصير لك خير تصنع إليَّ إحسانا». وهنا نرى تواضعه في عرض قضيته (ع ١٥). ولم يشر بسوء إلى إخوته الذين باعوه عبدا. ولم يشر إلى الظلم الذي ألحقته به سيدته الأمر الذي انتهى إلى سجنه، ولا إلى سيده الذي حكم عليه بهذا، بكل هدوء أكد براءته. وحين نُدعى إلى تبرئة أنفسنا فعلينا بقدر المستطاع ألا نتكلم بسوء عن الآخرين؛ لنقنع ونثبت براءتنا، ولا نلجأ إلى تعيير الآخرين بإثمهم.

عدد ٢٠– ٢٣

تحقق تفسير يوسف للحلمين في نفس اليوم عينه. فقد استُدعي رئيس السقاة ورئيس الخبازين، أحدهما

إلى وظيفته، والآخر إلى المشنقة، وكلا الأمرين وقع في نهاية مدة الأيام الثلاثة. والبعض يرون تشابها بين يوسف والمسيح في هذه القصة. فرفيقي يوسف في آلامه كانا يشبهان اللصين اللذين صُلبا مع المسيح– حيث خَلُصَ أحدهما وأُدين الآخر. وأحدهما، حين قال له يوسف: «حينما يصير لك خير تصنع إليَّ إحسانا وتذكرني»، لكنه نسيه، غير أن أحد اللصين، حين قال للمسيح: «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك» (لو ٢٣: ٤٢) فإنه لم ينسه.

الأصحاح الحادي والأربعون

أمران أتمَتهما العناية الإلهية هنا:

أولا: ارتقاء يوسف إلى مرتبة عالية.

ثانيا: إعالة يعقوب وعائلته أثناء المجاعة.

(١) حلما فرعون (ع ١– ٨).

(٢) تزكية يوسف لديه كمفسر للأحلام (ع ٩– ١٣).

(٣) تفسير الحلمين، والتنبوء بسبع سنوات رخاء وسبع سنوات يشتد فيها الجوع في مصر، مع النصيحة الحكيمة التي أُعطيت لفرعون نتيجة ذلك (ع ١٤– ٣٦).

(٤) ترقية يوسف إلى أسمى مكانة من حيث القوة والثقة في مصر (ع ٣٧– ٤٥).

(٥) تحقق نبوة يوسف، وأمانته فيما أُوكل إليه (ع ٤٦– ٥٧).

عدد ١– ٨

(١) تأخُر إطلاق سراح يوسف: لم يتم ذلك إلا «بعد سنتين» (ع ١) فهناك وقت محدد لخلاص شعب الله، وسوف يأتي هذا الوقت، على الرغم مما يبدو لنا أنه تأخير، لكن حين يأتي سيتبين لنا أنه أفضل الأوقات.

(٢) وسيلة إطلاق سراح يوسف كانت حُلمي فرعون اللذين ذُكرا في هذا الأصحاح. وإذا ما نظرنا إليهما كحلمين عاديين سنلاحظ فيهما حماقات وسخافات وهمية للخيال، حيث يصور لنا بقرات أليفة كحيوانات مفترسة (والواقع أنها بالغة الوحشية لأنها تفترس من نفس نوع جنسها)، وسنابل قمح تلتهم بعضها. والأحلام السخيفة التي تروى لا تزيد عن كونها حديثا تافها. غير أن هذين الحلمين اللذين رآهما فرعون يحملان بين ثناياهما ما يثبت أنهما من الله، ولذلك فإنه فور استيقاظه انزعجت نفسه (ع ٨). وقد تحير سحرته في الأمر، ولم تسعفهم قواعد وفنون سحرهم، وهذا ما جعل عمل يوسف بإرشاد روح الله يبدو عجيبا للغاية. قارن هذه القصة مع ما جاء في دانيال ٢: ٢٧؛ ٤: ٧؛ ٥: ٨، ونلاحظ أن أحلام يوسف نفسه كانت سبب متاعبه، أما أحلام فرعون فكانت سببا لإطلاق سراحه.

عدد ٩– ١٦

(١) تزكية يوسف لدى فرعون باعتباره مفسرا للأحلام. ولقد قام رئيس السقاة بذلك كتحية لفرعون، لكي يسديه معروفا، وليس كاعتراف بفضل يوسف عليه، أو تعاطفا مع ظروفه. والقصة التي اضطر لسردها تقول بإيجاز أنه كان ثَمة شاب مغمور في سجن الملك فسَّر له حلمه بشكل دقيق للغاية، وكذلك حلم رئيس الخبازين (وقد جاءت الأحداث مطابقة للحلم)، ولذلك فقد رأى أن يزكيه لدى سيده الملك كمفسر للأحلام. ويُلاحظ أن الوقت الذي يختاره الله لإطلاق شعبه سيظهر في النهاية أنه أنسب الأوقات. ولو كان رئيس السقاة وجَّه اهتمامه لإطلاق سراح يوسف، ونجح في ذلك، فلربما كان يوسف قد عاد ثانية إلى «أرض العبرانيين»، والتي تحدَّث عنها بحرارة في تكوين ٤٠: ١٥. حينئذ لن يكون في إمكانه الحصول لنفسه على مثل هذه البركة، ولا على بركة لعائلته، على نحو ما أثبتته الحقائق بعدئذ. غير أن بقاءه في السجن مدة سنتين، وخروجه الآن أخيرا، في هذه المناسبة، لكي يفسر حلمي الملك، فإن ذلك ما فتح الطريق أمامه لكي يحقق هذا التقدم العظيم.

(٢) تقديم يوسف لفرعون: وقد تم ذلك بأقصى سرعة ممكنة، وقد أُحضر يوسف إلى الملك وهو في غاية الدهشة كما كان بطرس في أعمال الرسل ١٢: ٩. وللتو –ودون أن يسأل عمَنْ يكون، أو من أين جاء– أخبره فرعون بما يريده منه، وهو أنه يريده أن يفسر له حلمه (ع ١٥). وقد رد عليه يوسف بإجابة رقيقة متواضعة (ع ١٦)، نراه فيها:

أ. يعطي المجد لله. «ليس لي. الله يجيب».

ب. يظهر احترامه لفرعون، وتمنياته الطيبة له ولحكومته، وذلك بقوله «الله يجيب بسلامة فرعون».

عدد ١٧ – ٣٢

أولا: فرعون يحكي حلمه: حلم أنه كان يقف على شاطئ النيل، ورأى بقرات، منها السمين ومنها الهزيل وقد خرجت من النهر.

ثانيا: يوسف يفسر له حلمه: أخبره بأن ذلك يشير إلى سبع سنوات رخاء ووفرة، تبدأ في التو، سوف يتبعها سبع سنوات من المجاعة. ومما تجدر ملاحظته:

(١) الحلمان يشيران إلى الشيء نفسه، غير أن التكرار يشير إلى يقينية الحدث، وقرب وقوعه وأهميته (ع ٣٢).

(٢) ومع ذلك فإن الحلمين يشيران بكل وضوح إلى الشيئين اللذين كثيرا ما نختبر وفرتهما وندرتهما، وهما العشب والحبوب. ووفرة وندرة الحشائش للماشية أشير إليهما بالبقرات السمينات والهزيلات، ووفرة النباتات التي تخدم الإنسان وندرتها، رُمز إليهما بالسنابل الممتلئة والسنابل الهزيلة.

(٣) نرى هنا التقلبات التي تطرأ على وسائل الراحة في هذه الحياة. فبعد الوفرة العظيمة قد تأتي ندرة بالغة.

(٤) نرى هنا صلاح الله في جعله سنوات الرخاء قبل سنوات المجاعة، حتى يمكن اتخاذ اللازم على ضوء ذلك. ونرى هنا حكمة العناية الإلهية العظيمة التي تدبر وترتب شئون هذه العائلة الكبيرة منذ البداية وحتى الآن؛ فهناك تباين عظيم بين الفصول، ونتاج الأرض يأتي أحيانا في وفرة، وأحيانا أخرى في ندرة. إلا أن ما كان معجزيا في حادثة إرسال المن هو التوازن الذي أحدثته العناية الإلهية: «لم يفضل المكثر والمقلل لم ينقص» (خر ١٦: ١٨).

(٥) نرى قصر أمد المسرات العالمية: فالزيادة العظيمة في سنوات الوفرة، ابتُلعت تماما في سنوات المجاعة، والفائض الذي بدا كثيرا جدا، لم يكف إلا ليبقي الناس على قيد الحياة (ع ٢٩– ٣١). ونلاحظ أن الله كشف هذا الأمر لفرعون مقدما، وهو باعتباره ملك مصر، عليه أن يكون أبا لرعيته، وأن يوفر لهم المؤونة بكل فطنة.

عدد ٣٣– ٤٥

أولا: النصيحة الحكيمة التي قدمها يوسف لفرعون، والتي تضمنت:

(١) في سنوات الوفرة عليه أن يدَّخر لسنوات المجاعة، وأن يشتري القمح عندما يرخص سعره، وبذلك يثري نفسه، وفي ذات الوقت يوفر حاجات البلاد حين يصبح القمح شحيحا ونادرا.

(٢) نظرا لأنه قد ثبت أن عدم تحديد مسئولية كل فرد في العمل العام تفشل هذا العمل، فمن ثَمَّ نصح فرعون بأن يعين موظفين تُسند إليهم هذه المهمة، وأن يختار شخصا واحدا ليشرف على هذه العملية (ع ٣٣).

ثانيا: الشرف العظيم الذي خلعه فرعون على يوسف:

(١) شهد له شهادة مشرفة: «هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله»، وهذا يشير إلى امتياز عظيم بالنسبة لأي رجل، ويجب تقدير مثل هؤلاء الأشخاص (ع ٣٨). ولا يجاريه أحد في فطنته: «ليس بصير وحكيم مثلك» (ع ٣٩). وهكذا تمت مكافأة يوسف وبسخاء عظيم تعويضا له عن الإهانة التي لحقت به.

(٢) عيَّنه في عمل كريم، فلم يكلفه بشراء القمح، بل جعله رئيسا للوزراء، وقيِّما على بيته.

(٣) أعطاه كل كرامة ممكنة، ليزكيه لتقدير الشعب واحترامه باعتباره المفضَّل لدى الملك، والشخص الذي سُر الملك أن يكرمه. وقد أعطاه اسما جديدا، لكي يبين سلطانه عليه، ومع ذلك كان الاسم يحمل تقدير الملك العظيم له. «صفنات فعنيح»– كاشف الأسرار. وزوَّجه بكل مظاهر الإكبار لابنة كاهن. وفيما أغدق الله عليه من الحكمة والأفضال الأخرى، فلم يبخل عليه فرعون بأن يخلع عليه كل ألقاب الشرف والكرامة.

عدد ٤٦– ٥٧

نلاحظ هنا:

أولا: بناء عائلة يوسف بولادة اثنين من أولادهما

هما «منسى» و«أفرايم» (ع ٥٠- ٥٢). وفي الاسمين اللذين أطلقهما عليهما اعترف بفضل العناية الإلهية في هذا التحول السعيد في مجرى حياته. فقد جعله «مثمرا في أرض» مذلته. كانت أرض بليته، ومن ناحية ما كانت لا تزال كذلك، لأنها لم تكن كنعان، أرض الموعد. وكان بُعده عن أبيه لا يزال يُشكِّل له محنة. وبلايا القديسين تزيد من إثمارهم. والاسم «أفرايم» يعني «أثمارا»، و«منسى» يعني «نسيانا»، لأن هذين الأمرين كثيرا ما يأتيان معا، فحين سَمَن «يشورون» نسي الله خالقه.

ثانيا: تحقق نبوات يوسف: وكان لفرعون ثقة عظيمة في صدقها. وقد جاءت السنوات السبع الوفيرة (ع ٤٧)، وأخيرا وصلت إلى نهايتها (ع ٥٣). ولابد لسنوات الوفرة أن تنتهي، ولذلك، كل ما وجدت يدك لتعمله فاعمله، واجمع في وقت الجمع. «وابتدأت سبع سني الجوع» (ع ٥٤). وهذا الجوع، يبدو أنه لم يكن قاصرا على مصر وحدها، بل في أراض أخر، «في جميع البلدان»، أي في كل البلدان المجاورة. ولقد ذُكر هنا: «وأما جميع أرض مصر فكان فيها خبز».

ثالثا: أداء يوسف للمهمة التي أُوكلت إليه: لقد وُجد أمينا في مهمته، كما يجب أن يكون عليه الوكيل.

(١) كان مُجدا في الادخار، طوال استمرار الوفرة (ع ٤٨ و٤٩).

(٢) كان حذرا وحريصا في التوزيع حين جاءت المجاعة، وجعل المعروض قليلا في الأسواق، وذلك بتذويدها بمعدلات معقولة من مخازنه. والناس في محنتهم صرخوا إلى فرعون. فأرسلهم إلى وزير خزانته: «اذهبوا إلى يوسف». ولا ريب أن يوسف بحكمة وعدالة حدد ثمن القمح الذي باعه، حتى لا تُظلم البلاد، أو ينتهز أحد فرصة الحاجة الملحة لمصلحته. وجعل الأسعار تتمشى مع القاعدة الذهبية للعدالة: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم».

الأصحاح الثاني والأربعون

في هذا الأصحاح والأصحاحات التالية نرى الأحلام التي حلمها يوسف نفسه قد تحققت. إن عائلة أبيه سوف تقدم له فروض الطاعة والولاء. والقصة طويلة وتروي على نحو خاص ما دار بين يوسف وإخوته، لأنها تحتوي على أمور كثيرة ينبغي أن نتعلمها، وهي التي مهدت لانتقال عائلة يعقوب إلى مصر، الأمر الذي ترتب عليه بعد ذلك أحداث عظيمة.

ويتضمن هذا الأصحاح:

أولا: التماس أبناء يعقوب الذليل ليوسف ليشتروا قمحا (ع ١- ٦).

ثانيا: الخوف الذي ولَّده يوسف فيهم، بغية اختبارهم (ع ٧- ٢٠).

ثالثا: قناعتهم الآن بالخطية التي ارتكبوها في حق يوسف منذ مدة طويلة مضت (ع ٢١- ٢٤).

رابعا: عودتهم إلى كنعان بالقمح، والحزن العظيم الذي ألمَّ بوالدهم الطيب لدى سماعه ما حدث أثناء سفرهم (ع ٢٥- ٣٨).

عدد ١ - ٦

على الرغم من أن جميع أولاد يعقوب كانوا متزوجين، إلا أنهم كانوا يعيشون معا تحت رئاسة أبيهم يعقوب وإرشاده.

أولا: الأوامر التي أصدرها إليهم بأن يذهبوا إلى مصر ويبتاعوا قمحا (ع ١ و٢). ومما تجدر ملاحظته هنا:

(١) كانت المجاعة طاحنة في أرض كنعان. ويلاحظ أن الآباء الثلاثة كلهم، الذين كانت كنعان بالنسبة لهم أرض الموعد، واجهوا مجاعة في هذه الأرض، ولم يكن ذلك فقط لاختبار إيمانهم، وما إذا كانوا يستطيعون أن يثقوا في الله على الرغم من المجاعة التي واجهتهم، بل ليعلِّمهم أيضا البحث عن وطن أفضل، وهو الوطن السماوي (عب ١١: ١٤- ١٦).

(٢) ومع ذلك، حينما كانت هناك مجاعة في كنعان، كان هناك قمح في مصر. والعناية الإلهية ترتب أن يكون أحد الأمكنة عونا وموردا للآخر، لأننا

جميعا إخوة.

(٣) «رأى يعقوب أنه يوجد قمح في مصر».

(٤) وبخ أولاده لتأخيرهم في تدبير قمح لعائلاتهم، وقال لهم: «لماذا تنظرون بعضكم إلى بعض؟»

(٥) شجعهم على الذهاب إلى مصر: «انزلوا إلى هناك».

ثانيا: طاعتهم لهذه الأوامر (ع ٣). «فنزل عشرة... ليشتروا قمحا»، لم يرسلوا خدمهم، لكنهم بكل حذر ذهبوا بأنفسهم، لينفقوا نقودهم بأنفسهم. ويجب ألا يعتقد أحد أنه أعظم، أو أفضل من أن يواجه الآلام. غير أن بنيامين لم يذهب معهم، لأنه كان محبوب أبيه. وقد وصلوا إلى مصر، وإذ كانوا سيشترون شحنة كبيرة من القمح، فقد أُخذوا إلى يوسف نفسه، وقد «سجدوا له» (ع ٦). وها هي سنابلهم الفارغة تسجد لسنبلته المليئة.

عدد ٧ – ٢٠

يجدر بنا أن نتعجب من عدم قيام يوسف خلال العشرين سنة التي أمضاها حينئذ في مصر برحلة واحدة إلى كنعان لزيارة والده المسِن الذي تقدمت به الأيام، مع أنه في مصر المتاخمة لأرض كنعان. والتخمين الأرجح هو أن كل تدبيراته لنفسه في هذا الأمر كانت بتوجيه خاص من السماء، حتى يتحقق قصد الله بالنسبة ليعقوب وعائلته. وحين جاء إخوة يوسف إلى مصر، عرفهم بناء على عدة علامات كافية، غير أنهم لم يعرفوه إذ إنهم لم يتوقعوا أن يجدوه هناك (ع ٨). وفي سلوك يوسف تجاه إخوته كان يتذكر أحلامه، وقصد أن يقودهم إلى التوبة عن خطيتهم السابقة.

أولا: في معاملته لهم: بدا فظا قاسيا، واتهمهم بنوايا سيئة ضد السلطة (ع ٩)، وعاملهم كأشخاص خطرين وقال لهم: «جواسيس أنتم»! ولكن لماذا كان يوسف بهذه الغلظة في معاملته لإخوته؟ ولنا أن نتأكد أن ذلك لم يكن مرده الانتقام منهم. بل كان يود أن يقودهم إلى التوبة، ثم إنه كان يريد أن يستخلص منهم معلومات عن أحوال عائلتهم، حيث كان يتلهف إلى ذلك. وإذ لم ير أخاه بنيامين معهم فقد داخلته الريبة في أن يكونوا قد تخلصوا منه هو الآخر، فمن ثَمَّ استدرجهم إلى الحديث عن أبيهم وأخيهم.

ثانيا: عند هذه النقطة تصرفوا بخضوع تام: وتحدثوا معه بكل ما يمكن تصوره من تبجيل واحترام: «يا سيدي» (ع ١٠) وهذا ما يدل على تغيير عظيم منذ أن قالوا: «هوذا هذا صاحب الأحلام». وبكل تواضع أنكروا الاتهام: «ليس عبيدك جواسيس». وأخبروه عما جاء بهم: «ليشتروا طعاما».

ثالثا: سجنهم جميعا مدة ثلاثة أيام (ع ١٧).

رابعا: وأخيرا، انتهى معهم إلى أنه عليهم أن يتركوا أحدهم كرهينة، وأن يعود الباقون إلى بلادهم لإحضار بنيامين. وقال لهم كلمة مشجعة للغاية (ع ١٨): «أنا خائف الله»، كما لو كان يقول لهم: عليكم أن تكونوا على ثقة لن ألحق بكم أذى، فلست أجرؤ على ذلك لأني إن كنت عاليا، فهناك مَنْ هو أعلى. ولنا من الأسباب ما يدعونا إلى أن نتوقع معاملة عادلة من أولئك الذين يخافون الله. وخوف الله يشكل وسيلة لكبح جماح مَنْ هم في السلطة، حتى لا يسيئون استغلال سلطتهم في القمع والظلم. والذين ليس لديهم ما يخافونه عليهم أن يخافوا ضمائرهم. (انظر نحميا ٥: ١٥): «وأما أنا فلم أفعل هكذا من أجل خوف الله».

عدد ٢١ – ٢٨

أولا: إشارة إخوة يوسف إلى الظلم الذي سبق أن ألحقوه به (ع ٢١). ذكروا ذلك باللغة العبرية، إذ لم يساورهم الشك في أن يوسف، الذي كانوا يعتقدون أنه مواطن مصري، يمكنه أن يفهم لغتهم، ناهيك عن أنه كان الشخص الذي يدور حوله حديثهم. لقد تذكروا نادمين المعاملة الوحشية التي عاملوه بها، ويُلاحظ هنا:

(١) عمل الضمير: وكما أن الزمن لن يمحو إثم الخطية، فإنه لن يمحو أيضا سجلات الضمير.

(٢) فائدة المحن: كثيرا ما تثبت أنها أسعد الوسائل وأكثرها فعالية في إيقاظ الضمير.

ثانيا: رقة يوسف في تعامله معهم في هذه المناسبة:

وهذا ما يرمز إلى مراحم إلهنا الواسعة تجاه الخطاة التائبين (انظر إرميا ٣١: ٢٠): «لأني كلما تكلمت به أذكره بعد ذكرا» (انظر أيضا قضاة ١٠: ١٦).

ثالثا: سجن شمعون (ع ٢٤): ولعله اختاره ليكون رهينة لأنه تذكر أنه كان عدوه اللدود، أو لأنه لاحظ أنه أقلهم انسحاقا واهتماما.

رابعا: انصراف بقيتهم: لقد جاءوا من أجل القمح، وها هم حصلوا عليه، وليس ذلك فحسب، بل إن نقود كل واحد منهم قد رُدت له في عُدله.

(١) كان هذا أمرا يتسم بالرحمة حقا، لأنه لم يكن يقصد أن يلحق بهم أذى حين رُدت إليهم نقودهم، بل كان عملا يدل على المحبة، ومع ذلك أدخل هذا العمل الرعدة إلى قلوبهم. والضمائر الملوثة دائما ما تأخذ التدبيرات الطيبة بمحمل سيئ. ولو كانت نقودهم قد سُرقت منهم لما تملك منهم الرعب كما حدث حين وجدوا نقودهم في أكياسهم.

(٢) كانوا يعرفون أن المصريين يمقتون العبرانيين (تك ٤٣: ٣٢) وعلى ذلك، فماداموا لا يستطيعون أن يتوقعوا منهم خيرا، فقد انتهوا إلى أن هذا إنما عمل لافتعال عراك معهم، لأن سيد الأرض اتهمهم بأنهم جواسيس. وقد استيقظت أيضا ضمائرهم، ومثُلت خطاياهم أمامهم، وهذا ما سبَّب ارتباكهم. وحين تتدنى الروح المعنوية لأي إنسان، فكل ما حوله يُسهم في إحباطه.

عدد ٢٩ – ٣٨

(١) التقدير الذي أبلغ به أولاد يعقوب أباهم عن المحنة العظيمة التي واجهتهم في مصر، كيف تعرضوا للشك فيهم كجواسيس، والتهديد الذي تعرضوا له، واضطرارهم إلى ترك شمعون سجينا هناك، إلى أن يأخذوا معهم بنيامين حين يسافرون إلى هناك.

(٢) الانطباع العميق الذي تولَّد في هذا الرجل الطيب نتيجة ذلك. فأكياس النقود التي أعادها يوسف بدافع محبته لأبيه، كانت هي نفسها سبب ذعره (ع ٣٥)، لأنه استخلص من ذلك أنها خطة مدبرة لهم.

أ. انتابته مخاوف مؤلمة فيما يتعلق بحالة عائلته الراهنة. كان يعقوب سلَّم بأن يوسف مفقود، وهو يرى الآن أن شمعون وبنيامين في خطر، ومن ثَمَّ انتهى إلى القول: «صار كل هذا عليَّ». غير أنه ثبت أن الأمر على العكس من ذلك، فكل ما حدث كان لخيره، وكل شيء كان يعمل لصالحه ولصالح عائلته. ونتيجة جهلنا وخطأنا وضعف إيماننا، كثيرا ما نتخوف من أمر باعتباره شر لنا، مع أنه في واقع الحال يكون فيه خيرنا.

ب. عقد عزمه على ألا ينزل بنيامين معهم. فما استقر عليه فكره هو: «لا ينزل ابني معكم». وهو هنا يشير بوضوح إلى عدم ثقته فيهم، حيث تذكر أنه لم ير يوسف أبدا منذ أن كان معهم.

الأصحاح الثالث والأربعون

تستمر هنا قصة إخوة يوسف.

أولا: تركهم أباهم يعقوب في كنعان والحزن يغمرهم جميعا (ع ١– ١٤).

ثانيا: لقاؤهم البهيج مع يوسف في مصر (ع ١٥– ٣٤).

عدد ١ – ١٠

(١) يعقوب يحث أولاده على الذهاب إلى مصر لابتياع مزيدا من القمح (ع ١ و٢). ولقد استمرت المجاعة، ونفذ القمح الذي سبق أن اشتروه.

(٢) حثه يهوذا على الموافقة على أن يصحبهم بنيامين: وكان يهوذا مُعذَّب من ضميره في هذه المدة الأخيرة، على ما سبق أن فعله ضد يوسف منذ أمد بعيد (تك ٤٢: ٢١)، ولإثبات صدق توبته فقد قرر أن يعوض الأذى الذي ألحقه بيوسف بأن يضاعف رعايته لأخيه بنيامين.

عدد ١١ – ١٤

أولا: استعداد يعقوب للاقتناع. وقد استسلم للمنطق: «إن كان هكذا فافعلوا... وخذوا أخاكم». فإذا لم يمكننا الحصول على قمح إلا على أساس هذه الشروط، فإن تعرُّضه لأخطار السفر لا يقل عن تعرُّضنا نحن وعائلاتنا وبنيامين معنا لخطر الموت

جوعا. فالثبات والصبر فضيلة، أما العناد وصلابة الرأي فليس هكذا.

ثانيا: حكمة يعقوب وعدله، وهذا ما ظهر في ثلاثة أمور:

(١) أعاد ثانية النقود التي وجدوها في عدالهم، مع تأويل حصيف: «لعله كان سهوا». فإذا كنا قد حصلنا عليها نتيجة خطأ، فإن احتفاظنا بها بعد اكتشاف هذا الخطأ، يُعد خداعا.

(٢) أرسل النقود مضاعفة، أكثر من ضعف ما أخذوه في المرة السابقة، على افتراض أنه ربما ارتفع ثمن القمح، أو ليظهروا كرما في معاملتهم، حتى يكون ثَمة احتمال كبير في أن يلقوا معاملة كريمة من «الرجل سيد الأرض».

(٣) أرسل هدية من نتاج الأرض، ومن الأشياء التي يندر وجودها في مصر- «قليلا من البلسان وقليلا من العسل» وما إلى ذلك (ع ١١)، من السلع التي تصدرها كنعان (تك ٣٧: ٢٥). ولا يمكن للعسل والتوابل أن يُعوضا نقص القمح اللازم لعمل الخبز. كانت المجاعة على أشدها في كنعان، ومع ذلك كان لديهم بلسان ولاذن وفستق... إلخ. وبمقدورنا أن نعيش اعتمادا على الطعام البسيط دون أطعمة الترف، ولكننا لا نستطيع العيش على هذه الأخيرة دون الطعام البسيط. ليتنا نشكر الله لأنه جعل الأشياء الضرورية والمفيدة التي نحن في أمس الحاجة إليها في متناول اليد بصفة عامة.

ثالثا: تقوى يعقوب تظهر في صلاته: «والله القدير يعطيكم رحمة أمام الرجل» (ع ١٤). وسبق ليعقوب أن حوَّل أخاه الغاضب إلى أخ طيب عن طريق هدية وصلاة، وهنا نراه يلجأ إلى نفس الأسلوب الذي سبق له اختباره ووجده ناجحا.

عدد ١٥ - ٢٥

وإذ حصل أبناء يعقوب على موافقة أبيهم في اصطحاب بنيامين معهم، أخذوه ونزلوا إلى مصر للمرة الثانية ليشتروا قمحا. وإذا عرفنا ماذا يعنيه الجوع إلى الكلمة، لأدركنا أنه ليس بالكثير أن نقطع مثل هذه الرحلة من أجل الطعام الروحي مثلما فعل إخوة يوسف بغية الحصول على الطعام الجسدي. ونجد هنا ذكرا لما دار بينهم وبين وكيل يوسف. «فخاف الرجال إذ أُدخلوا إلى بيت يوسف» (ع ١٨). فقد ظنوا عندئذ أنهم سيُحاسبون على النقود التي كانت في عدالهم، وسوف يُتهمون بالغش. ولذلك عرضوا موقفهم على الوكيل، وكدليل مؤكَد على أمانتهم، وقبل أن يُتهموا بأنهم أخذوا نقودهم ثانية، عرضوا دفعها. ولكن الوكيل شجعهم بقوله (ع ٢٣): «سلام لكم. لا تخافوا». ولفت انتباههم إلى أن العناية الإلهية كانت وراء عودة نقودهم إليهم: «إلهكم وإله أبيكم أعطاكم كنزا في عدالكم». وبهذا أوقف مزيدا من استفساراتهم عن هذا الأمر. لا تسألوا كيف وجدتموها هناك، العناية الإلهية هي التي كانت وراء ذلك، وليكن هذا كافيا للقضاء على مخاوفكم. ويبدو مما قيل إنه بناء على تعاليم سيده أصبح يعرف الإله الحقيقي، إله العبرانيين.

عدد ٢٦ - ٣٤

أولا: الاحترام العظيم الذي لاقاه يوسف من إخوته. ذلك أنهم حين أحضروا له الهدية: «سجدوا له إلى الأرض» (ع ٢٦)، ثم إنه حين أخبروه عن حالة والدهم الصحية عادوا أيضا «وخروا وسجدوا» وخاطبوه بقولهم «عبدك أبونا» (ع ٢٨). وهكذا تحققت أحلام يوسف بصورة متزايدة.

ثانيا: المحبة العظيمة التي أولاها لهم يوسف، في حين أنه لم يطرأ على أذهانهم أنها محبة أخوية، ومما تجدر ملاحظته:

(١) سؤاله الودود عن يعقوب، هل «هو حي بعد»؟

(٢) اهتمامه الحنون ببنيامين أخيه الشقيق:

أ. رفع صلاة من أجله: «الله ينعم عليك يا ابني» (ع ٢٩).

ب. بكى من أجله (ع ٣٠): ودموع العطف والمحبة لا تعد أمرا يحط من شأن العظماء والحكماء على الإطلاق.

(٣) وبعد أن هدأت حدة بكائه واستعاد رباطة جأشه، عاد وجلس يتناول الطعام معهم، وعاملهم بنبل، ودبَّر كل ما من شأنه أن يُسرهم.

أ. أمر بترتيب ثلاث موائد، واحدة لإخوته، وأخرى

لبعض المصريين ممن تمت دعوتهم للغداء (ذلك أن عاداتهم تباينت تباينا كبيرا حتى إنهم لم يكونوا يهتمون بالجلوس جميعا إلى مائدة واحدة)، ومائدة ثانية لنفسه حيث لم يجرؤ على الكشف عن هويته بأنه عبراني، ولأنه لم يرغب في الجلوس على مائدة المصريين.

ب. وقد أجلس إخوته طبقا لترتيب أعمارهم (ع ٣٣).

ج. وقدم لهم مائدة عامرة، وأرسل لهم حصصا من مائدته الشخصية (ع ٣٤). وكان هذا كرما زائدا منه، وفضلا عظيما لهم، ولا سيما في ظل الظروف الحاضرة التي تشهد ندرة في الطعام. تلاشت الآن هواجسهم ومخاوفهم، وتناولوا طعامهم بفرح، إذ استخلصوا من هذه الحفاوة أن صلتهم أصبحت طيبة بسيد الأرض. ولقد حملهم يوسف على إدراك أن بنيامين هو حبيبه المفضل، لأن حصته كانت «أكثر من حصص جميعهم خمسة أضعاف».

الأصحاح الرابع والأربعون

بعد أن احتفى يوسف بإخوته صرفهم، غير أننا نجد هنا أنهم أُعيدوا ثانية إلى خوف أعظم لم يَمُروا بمثله من قبل. ومما تجدر ملاحظته:

أولا: الأسلوب الذي اتبعه للمزيد من إذلالهم، وكذلك لاختبار مدى محبتهم لأخيه بنيامين، الأمر الذي سيكون بمقتضاه قادرا على الحكم على مدى إخلاصهم في توبتهم، وندمهم على ما ألحقوه به من أذى، وهذا ما كان يود الاقتناع به أن يعلن مصالحته معهم. وقد خطط لأن يحقق هذا من خلال إيقاع بنيامين في محنة (ع ١– ١٧).

ثانيا: النجاح العظيم الذي حققته هذه التجربة، فقد وجد منهم جميعا اهتماما قلبيا، وبصفة خاصة يهوذا، بسلامة بنيامين، وراحة أبيهم المُسِن (ع ١٨– ٢٨).

عدد ١ – ١٧

لقد أظهر يوسف المزيد من المحبة لإخوته، فملأ أوعيتهم قمحا، وأعاد أموالهم لهم، وأرسلهم والسعادة تغمرهم؛ لكنه أجازهم في بعض الاختبارات أيضا. فإن يوسف أمر مساعده أن يضع كأسه الفضية الثمينة (والتي استخدمها على الأغلب عندما جلس ليأكل مع إخوته) في عدل بنيامين، حتى يبدو الأمر وكأن بنيامين قد سرقها من على المائدة وخبأها في عدله بعدما أخذه ممتلئا بالقمح.

أولا: كيفية مطاردة أولئك المجرمين الأبرياء، وكيف تم القبض عليهم بتهمة سرقة الكأس الفضية. ولقد اتهمهم الوكيل بالجحود.

ثانيا: كيف دافعوا عن أنفسهم: فقد احتجوا ببراءتهم، وعرضوا أن يتحملوا أقسى عقوبة إذا ما ثبتت التهمة عليهم (ع ٩ و١٠).

ثالثا: كيف أُتهم بنيامين باطلا بالسرقة: وقد وُجدت الكأس في عدله. ولم يجرؤوا على التشكيك في عدالة يوسف، أو على التلميح بأن ذاك الذي سبق أن وضع نقودهم في عدالهم، هو نفسه الذي وضع الكأس هناك، غير أنهم لم يجدوا سبيلا إلا أن يضعوا أنفسهم تحت رحمة يوسف.

رابعا: هنا خضوعهم الذليل (ع ١٦).

(١) اعترفوا بعدالة الله: «الله وجد إثم عبيدك»، ولعلهم بهذا يشيرون إلى الأذى الذي سبق وأن ألحقوه بيوسف، الأمر الذي حملهم على الاعتقاد بأن الله يحاسبهم الآن عليه.

(٢) أخضعوا أنفسهم ليوسف كسجناء: «ها نحن عبيد لسيدي». وهنا تحققت أحلام يوسف تماما.

خامسا: أما يوسف، وكأنه لا يريد سوى العدالة، فقد أصدر الحكم ضد بنيامين وحده، وعليه أن يبقى في الأسر، أما الباقون فيجب إطلاق سراحهم. لأنه لماذا يُعاقب أحد آخر سوى المذنب؟ ومن الجلي أنه فعل هذا لاختبار مدى محبة إخوته لبنيامين ولأبيهم. فإذا ما انصرفوا راضين، وتركوا بنيامين في السجن، فلا ريب أن يوسف كان سيسرع بإطلاق سراحه ورفع شأنه، ويبعث ليخبر أبيه بوجوده، ثم يترك بقية إخوته يجنون بحق عاقبة قساوة قلوبهم، غير أنهم أثبتوا محبتهم لبنيامين بشكل تبددت معه مخاوفه. فالذين باعوا يوسف لن يتخلوا الآن عن بنيامين. فأعتى الأشرار يمكن أن ينصلحوا بعد مدة.

عدد ١٨ – ٣٤

تتضمن هذه الفقرة حديثا في قمة البراعة ومشحون بالمشاعر وجهه يهوذا ليوسف بشأن بنيامين حتى يُخلي سبيله. وربما كانت صداقة يهوذا لبنيامين تفوق صداقة إخوته الآخرين له، أو أن يكون إخوته قد اختاروه ليكون متحدثا باسمهم، لأنه يجيد الحديث أفضل من أي واحد منهم.

أولا: ثَمة قدر كبير من البراعة والبلاغة المرتجلة التي لا تقاوم في كلامه.

(١) وجه كلامه إلى يوسف في إطار من الاحترام والخضوع البالغين.

(٢) قدم بنيامين كشخص يستحق عطفه (ع ٢٠)، فقد كان «ابن شيخوخة صغير»، إذا ما قورن ببقية إخوته، فهو أصغرهم، وتعلق به أبوه وحاباه بمحبة فائقة، ومما جعل الحالة تستحق الشفقة أنه الوحيد المتبقي من بني أمه، وأن أخاه ميت (وهو بهذا يقصد يوسف).

(٣) وركَّز على حقيقة أن يوسف نفسه هو الذي حثهم على إحضار بنيامين معهم. ولم يؤت به إلى مصر سوى طاعة لأمر يوسف وليس لأي سبب آخر، أفلا يعامله بقدر من الرحمة لذلك؟

(٤) أما الحجة القوية التي استند إليها، فهي الحزن البالغ الذي سيلم بأبيه الشيخ إذا ما عادوا إليه وتركوا بنيامين وراءهم في العبودية: «وإن ترك أباه يموت»، ولا يعود إطلاقا إليه. وهذا ما شدد يهوذا على إبرازه بحماسة فائقة: «نفسه مرتبطة بنفسه» (ع ٣٠).

(٥) واحتراما من يهوذا لعدالة الحكم الذي أصدره يوسف، ولكي يبين له إخلاصه في التماسه هذا، عرض أن يُؤخذ هو نفسه عبدا بدلا من بنيامين (ع ٣٣). ولم يكن يعقوب أو بنيامين في حاجة إلى مَنْ يتشفع لهما لدى يوسف، لأنه هو نفسه يحبهما.

ثانيا: وبالنسبة للموضوع برمته علينا ملاحظة الآتي:

(١) كيف أن يهوذا بكل حكمة لم يشر إطلاقا إلى الجريمة التي اتُهم بها بنيامين.

(٢) ويا له من سبب وجيه ذاك الذي حمل يعقوب وهو على فراش الموت أن يقول: «يهوذا إياك يحمد إخوتك» (تك ٤٩: ٨)، لأنه فاقهم جميعا في جرأته وحكمته وفصاحته، ولا سيما محبته لأبيهم وللعائلة.

(٣) التصاق يهوذا ببنيامين أخيه بكل أمانة في محنته هذه، وقد كوفئ على ذلك بعد وقت طويل، وذلك من خلال ارتباط سبط بنيامين بسبط يهوذا برباط وثيق وبصفة دائمة في الوقت الذي تنكرت له الأسباط العشرة الأخرى.

(٤) كيف كان الرسول موفقا، حين كان بصدد الحديث عن وساطة المسيح إنه قال: «فإنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا» (عب ٧: ١٤)، لأنه على غرار أبيه يهوذا لم يشفع في المذنبين فحسب، بل أصبح ضامنا لهم.

الأصحاح الخامس والأربعون

كان من الأفضل ألا يُفصل هذا الأصحاح عن الأصحاح الذي سبقه، وألا يُقرأ كل منهم على حدة. فهناك قرأنا عن شفاعة يهوذا من أجل بنيامين. وقد تركه يوسف يتحدث دون مقاطعة، وسمع كل ما قاله، وبعدئذ أجاب على كل ما طرحه بعبارة واحدة: «أنا يوسف». لقد اكتشف الآن أن إخوته تذللوا نتيجة خطاياهم، ويذكرون جرمهم نحوه (لأن يهوذا أشار إليه مرتين في كلامه)، كما أظهروا احترامهم لأبيهم، وكانوا في غاية المحبة لأخيهم بنيامين. وكان الأمر بالنسبة لإخوة يوسف كالسماء الصافية بعد المطر، والواقع أنه كان في الحقيقة كحياة من الموت.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: إعلان يوسف عن نفسه لإخوته (ع ١– ١٥).

ثانيا: الأوامر التي أعطاها فرعون على إثر ذلك بالذهاب لإحضار يعقوب وعائلته إلى مصر، وإرسال يوسف إخوته بناء على ذلك لأبيهم لإخطاره بهذه الأوامر (ع ١٦– ٢٤).

ثالثا: وصول هذه الأخبار السعيدة إلى يعقوب (ع ٢٥– ٢٨).

عدد ١ – ١٥

كان يهوذا وإخوته ينتظرون إجابة.

أولا: أمر يوسف كل مساعديه بأن ينصرفوا عنه (ع ١). فحين يتحادث الأصدقاء دون وجود الغرباء يتمتعون بحرية أكثر. وهكذا أيضا نجد أن المسيح أعلن عن نفسه وعن محبته الحانية لشعبه، بعيدا عن مرأى العالم ومسمعه.

ثانيا: كانت الدموع هي المقدمة لحديثه أو التمهيد له (ع ٢). كانت دموع الحنان والمشاعر الفياضة.

ثالثا: على حين غرة أخبرهم عن حقيقة شخصه: «أنا يوسف». كانوا لا يعرفونه إلا باسمه المصري «صفنات فعنيح»، فقد نُسي اسمه العبري في مصر، أما الآن فهو يطلب منهم أن ينادوه بهذا الاسم. وهكذا أيضا حين أقنع المسيح بولس قال له: «أنا يسوع»، ولقد شجع تلاميذه إذ قال لهم: «أنا هو لا تخافوا» (يو ٦: ٢٠). وهكذا أيضا حين يعلن المسيح لشعبه عن ذاته تراه يشجعهم على الاقتراب منه بقلب سليم.

رابعا: حاول أن يخفف من حزنهم على الأذى الذي ألحقوه به، وذلك بأن أوضح لهم أن الله أخرج من ذلك خيرا وفيرا (ع ٥): «لا تتأسفوا ولا تغتاظوا». والخطاة يجب أن يحزنوا على خطاياهم، غير أن الذين يتوبون حقا يجب أن تتحرك عواطفهم فرحا حين يرون أن الله يخرج على هذا النحو من الشر خيرا. وهنا، أخبرهم بالمدة التي من المحتمل أن تستمر فيها المجاعة «وخمس سنين أيضا» (ع ٦)، لكن يا لها من مقدرة تلك التي تعامل بها بلطف مع أقاربه وأصدقائه: «فقد أرسلني الله قدامكم» (ع ٥، ٧).

(١) شعب الله هو موضع لرعاية خاصة من قبل العناية الإلهية.

(٢) والعناية الإلهية تتطلع إلى المستقبل البعيد، وتحقق مقاصدها. وقد سبح المرنم الله على ذلك (مز ١٠٥: ١٧): «أرسل أمامهم رجلا»- يوسف. والله يعرف عمله من بدايته وحتى نهايته. أما نحن فلا نستطيع ذلك (جا ٣: ١١).

(٣) كثيرا ما يعمل الله بالمتناقضات فكثيرون من الذين صلبوا المسيح نالوا الخلاص بموته.

(٤) يجب أن يُعطى كل المجد لله: «ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله» (ع ٨). ليس لهم أن ينسبوا لأنفسهم أي فضل في ذلك، لأنه كان عمل الله ولم يكن لهم فيه يد.

خامسا: وعدهم برعاية والده وجميع أفراد العائلة في الفترة الباقية من سنوات المجاعة.

(١) ينبغي على إخوته أن يسرعوا إلى كنعان، وعليهم أن يخبروا يعقوب أنهم وجدوا ابنه يوسف «متسلطا على كل أرض مصر» (ع ٩)، وإذا كان ثَمة شيء يعيد إليه شبابه فسيكون هذا الخبر.

(٢) كان جادا في حضور أبيه وكل عائلته بأكملها إلى مصر: «انزل إليَّ. لا تقف» (ع ٩). وحدد له مسكنه في أرض جاسان. ووعد بأن يمده بكل ما يحتاج إليه: «وأعولك هناك» (ع ١١). وربنا يسوع المسيح، على غرار ما فعله يوسف هنا- إذ ارتفع إلى أعلى أمجاد وسلطات العالم العلوي، فإن مشيئته هي أن كل خاصته تكون معه حيث يكون هو (يو ١٧: ٢٤).

سادسا: تبادل عبارات المحبة والود بينه وبين إخوته. وقد بدأ بأصغر إخوته، أخيه شقيقه بنيامين، والذي كان في السنة الأولى من عمره حين أُبعد يوسف عن إخوته. وبعد أن عانق بنيامين، قبلهم جميعا (ع ١٥)، «وبعد ذلك تكلم إخوته معه».

عدد ١٦- ٢٤

أولا: اللطف الذي أبداه فرعون تجاه يوسف وتجاه أقاربه من أجله: لقد رحب بإخوته (ع ١٦)، على الرغم من أنها كانت أيام عوز ومجاعة، وكان من المحتمل أن يشكلوا عبئا عليه. وقد كلف يوسف بأن يرسل ليحضر أباه إلى مصر، ووعد بأن يمدهم بكل وسائل الراحة سواء ما يُسهل مغادرته أرض كنعان، أو بالنسبة لإقامته في مصر. لأن خيرات جميع أرض مصر لكم، وقال لهم «لا تحزن عيونكم على أثاثكم» (ع ٢٠). وما كان له في كنعان لا يُعد شيئا بما أعده لهم في مصر.

ثانيا: حنان يوسف على أبيه وإخوته: كان فرعون يحترم يوسف، عرفانا له، لأنه كان أداة خير كثير تحقق له. وهكذا كان يوسف يعامل أباه وإخوته باحترام. لقد أمدهم بعربات ومؤن للطريق، سواء في ذهابهم أو عودتهم. وأعطى لكل من إخوته حُلتين من أجود الملابس، كما أعطى لبنيامين خمس حلل ثياب فضلا

عما وضعه في جيبه من نقود (ع ٢٢). أما بالنسبة لوالده فقد أرسل له هدية قيمة للغاية من أفضل ما كان موجودا في مصر (ع ٢٣). وقد صرفهم بتحذير مناسب: «لا تتغاضبوا في الطريق». وإذ سامحهم يوسف جميعا، فقد ألزمهم بألا يلوم أحدهم الآخر. وهذا ما كلفنا به الرب يسوع بأن نحب بعضنا بعضا، لأنه:

(١) نحن إخوة، ولجميعنا أب واحد.

(٢) نحن إخوته، ونحن نسيء إلى علاقتنا به «لأنه هو سلامنا» (أف ٢: ١٤) إذا ما تشاجرنا.

(٣) نحن آثمون، آثمون حقا، وعوض أن نتعارك بعضنا مع بعض، فإنه لدينا الكثير مما يدعونا إلى أن يلوم كل منا نفسه.

عدد ٢٥ – ٢٨

هنا تصل الأخبار السارة ليعقوب. وحين سمعها في بداية الأمر جمد قلبه. كذلك سماعه أن «يوسف حي». كانت أخبارا طيبة إلى الدرجة التي فيها لم يستطع أن يصدقها، وقد غشيَّ عليه نتيجة ذلك. ويُلاحظ أنه يغشى علينا نحن أيضا لعدم إيماننا. وسبق ليعقوب أن صدق بسهولة حين أُخبر أن يوسف قد مات، ولكنه كان من الصعب عليه أن يصدقهم الآن حين أخبروه أن «يوسف حي». وتتأثر النفوس الضعيفة الرقيقة بالخوف أكثر مما تتأثر بالرجاء. إلا أنه في النهاية اقتنع يعقوب بصحة القصة، ولاسيما حين رأى العربات التي أُرسلت لتحمله (لأن مَنْ رأى لابد أن يؤمن). ولم يعلق بشيء عن أمجاد يوسف التي أُخبر بها، لأنه كان يكفيه أن يسمع أن يوسف حي.

الأصحاح السادس والأربعون

هنا يرحل يعقوب إلى مصر وهو في شيخوخته، حيث اضطر أن يترك كنعان بسبب المجاعة، ودُعي إلى هناك بواسطة ابنه.

ويتضمن هذا الأصحاح:

أولا: الله يرسله إلى هناك (ع ١– ٤).

ثانيا: ذهبت معه كل عائلته (ع ٥– ٢٧).

ثالثا: يوسف يرحب به (ع ٢٨– ٣٤).

عدد ١ – ٤

كانت أمام يعقوب مهمة عظيمة جدا.

أولا: كيف اعترف بفضل الله وهو في طريقه إلى مصر. لقد «أتى إلى بئر سبع» من حبرون، وهناك «ذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق» (ع ١). وقد سبق لإبراهيم أن دعا باسم الرب هناك (تك ٢١: ٣٣)، وهكذا فعل إسحاق أيضا (تك ٢٦: ٢٥). وفي عبادته:

(١) كان فكره مركزا على الله إله أبيه إسحاق، أي الإله الذي دخل إسحاق في عهد معه.

(٢) «ذبح ذبائح»:

أ. كتعبير شكر لله للتغيير المبارك الجديد الذي ينتظر عائلته، ومن أجل الأخبار السارة التي تلقاها بخصوص يوسف، وللأمل الذي ملأه بأنه سيرى يوسف.

ب. كالتماس أن يكون الله معه في رحلته المزمع أن يقوم بها.

ج. كالتماس لمشورة الله: كان الوثنيون يستشيرون آلهتهم بالذبائح. أما يعقوب فلن يذهب إلا بعد استئذان الله.

ثانيا: كيف أرشده الله في طريقه: «في رؤى الليل» (ع ٢). فإذا تكلمنا معه كما ينبغي، فإنه لن يتوانى عن الكلام معنا. ولكن ما الذي قال الله له؟

(١) جدَّد معه العهد: «أنا الله إله أبيك» (ع ٣).

(٢) شجعه على الانتقال مع عائلته: «لا تخف من النزول إلى مصر». كانت لدى يعقوب أفكار كثيرة تقلقه بخصوص هذه الرحلة، اهتم الله بها:

أ. كان شيخا متقدما في الأيام والرحلة طويلة.

ب. كان يخشى أن ينزلق أولاده إلى الوثنية بعد انتقالهم إلى مصر، وينسوا إله آبائهم، أو ينغمسوا في ملذات مصر، وينسوا أرض الموعد.

(٣) وعده بالراحة في ارتحالهم:

أ. إنه سيتعاظم عددهم في مصر.

ب. أن الله سيكون معه: «أنا أنزل معك إلى مصر».

ج. إنه لن يُفقد هو ولا أحد من عائلته في مصر: وعلى الرغم من أن يعقوب مات في مصر، إلا أن هذا الوعد قد تحقق:

◄ في إصعاد جسده ليُدفن في كنعان.

◄ في إخراج نسله لكي يستقروا في كنعان. ومهما كان ظلام الوادي الذي نُدعى إليه في أي وقت، علينا أن نثق أنه إذا ما نزل الله معنا فيه، فإنه لابد وأن يصعدنا ثانية منه. وإذا نزل معنا إلى الموت فمن المؤكد أنه سيصعدنا ثانية إلى المجد.

د. سواء كان حيا أو ميتا، فإن حبيبه يوسف سيكون عزاء له: «ويضع يوسف يده على عينيك».

عدد ٥- ٢٧

هنا ينتقل يعقوب في شيخوخته: ولم يسبق له أن فكر في أن يترك كنعان في يوم من الأيام، ولا ريب أنه توقع أن يسلم الروح في وكره (أي ٢٩: ١٨)، وأن يترك نسله وقد امتلك بالفعل أرض الميعاد. غير أن العناية الإلهية رتبت أن يكون الأمر على النقيض من ذلك. إنه لأمر طيب أن تكون مستعدا، ليس للقبر فقط، ولكن لأي شيء يحدث فيما بين الميلاد والقبر، ونرى هنا فقرة معينة تتضمن أسماء عائلة يعقوب، وأحفاده، والذين ذُكروا بعد ذلك كرؤساء بيوت في الأسباط المختلفة، وحين انتقل يعقوب نفسه إلى أرض الرخاء، لم يترك أحدا من أبنائه لكي يموت جوعا في أرض عقيمة. لقد مرت الآن ٢١٥ سنة منذ أن وعد الله إبراهيم بأن يجعله أمة عظيمة (تك ١٢: ٢)، ومع ذلك فإن هذا الفرع من نسله الذي انتقل إليه الوعد لم يزد عن سبعين فردا. وحين يريد الله فإن «الصغير يصير ألفا» (إش ٦٠: ٢٢).

عدد ٢٨- ٣٤

أولا: اللقاء البهيج بين يعقوب وابنه يوسف، ومما يجدر ذكره:

(١) حكمة يعقوب التي حملته على أن يرسل يهوذا قبله إلى يوسف، لكي يخطره بوصوله إلى جاسان.

(٢) احترام يوسف النبوي لأبيه: ذهب في مركبته للقائه، وأظهر في اللقاء:

أ. مدى احترامه العظيم له.

ب. كيف أنه يحبه كثيرا: وللوقت لم يقتل فيه إحساسه بالتزاماته، بل إن دموعه الغزيرة انهمرت على رقبة أبيه نتيجة فرحه لرؤيته، كانت دلائل حقيقية على محبته المخلصة القوية له.

(٣) رضاء يعقوب التام عما حدث خلال اللقاء.

ثانيا: اهتمام يوسف وحرصه فيما يتعلق باستيطان إخوته: كان هناك وقت خططوا فيه للقضاء عليه، أما الآن فهو الذي يخطط من أجل راحتهم ونفعهم، وهذا هو مقابل الشر بالخير، وهنا:

(١) يريدهم أن يعيشوا في أرض جاسان، وهي الأقرب إلى كنعان، والتي ربما لم يكن بها مصريون كثيرون، وبها مراع كثيرة للماشية. أرادهم أن يعيشوا في عزلة، حتى يكونوا أقل عرضة للتلوث برذائل المصريين، أو الإهانة نتيجة حقدهم.

(٢) أرادهم أن يستمروا في مهنة الرعي، وألا يستنكفوا من ذكر مهنتهم أمام فرعون. لأنه من الأفضل أن تنال الاستحسان وأنت تمتهن مهنة متواضعة من أن تنال الخزي في مهنة عالية.

الأصحاح السابع والأربعون

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: يوسف يقدم إخوته أولا ثم أبيه لفرعون (ع ١- ١٠)، وقد أسكنهم أرض جاسان (ع ١١ و١٢)، أظهر تبجيله لأبيه حين أرسل في طلبه (ع ٢٧- ٣١).

ثانيا: عدالة يوسف بين الملك والشعب في موضوع خطير جدا، حيث باع قمح فرعون لرعاياه بأرباح معقولة (ع ١٣- ٢٥). وهكذا أثبت حكمته وصلاحه، وذلك في قدرته الخاصة والعامة.

عدد ١- ١٢

أولا: الاحترام الذي أظهره يوسف للملك كأحد رعاياه. فعلى الرغم من أنه تلقى منه أوامر خاصة بأن يرسل إلى أبيه ويحضره إلى مصر، إلا أنه لم يسمح بالإقامة إلا بعد أن أخطر فرعون بالأمر (ع ١).

ثانيا: الاحترام الذي أولاه يوسف لإخوته باعتباره أخاهم:

(١) فعلى الرغم من أنه رجل عظيم، وكانوا هم

أدنى منه ومحتقرين بالنسبة له، ولاسيما في مصر، إلا أنه اعترف بهم. وليس كل فرع في الشجره هو الفرع الأعلى، وهكذا هل لأنه أدنى لا يكون فرعا من الشجرة؟ وربنا يسوع المسيح، مثل يوسف في هذا الموقف، «لا يستحي» أن يدعونا إخوة (عب ٢: ١١).

(٢) إذ كانوا غرباء، ولا صلة لهم بالقصر الملكي، قدم بعضا منهم إلى فرعون. وحين وقفوا أمام فرعون، وبناء على تعليمات يوسف لهم أخبروه بالآتي:

أ. عن عملهم: أنهم رعاة (ع ٣). وكل مَنْ وُجد في العالم يجب أن يكون له عمل طبقا لقدراته. وعلى الرؤساء أن يسألوا عن عمل رعاياهم، باعتبار أنهم يهتمون بالصالح العام، لأن الذين لا يعملون يشبهون ذكور النحل في الخلية، ويشكلون عبئا لا طائل منه على الصالح العام.

ب. ماذا كان عملهم في مصر: أن يقيموا بها لفترة ما، وهي المدة التي تجتاح المجاعة فيها أرض كنعان.

(٣) حصل على منحة الإقامة في أرض جاسان (ع ٥ و٦). وكان في هذا دلالة على اعتراف فرعون بصنيع يوسف معه. وقد عرض عليهم ترقيةً بأن يجعلهم رؤساء مواشي على قطعانه.

ثالثا: الاحترام الذي أولاه يوسف لوالده باعتباره ابنه

(١) قدمه لفرعون (ع ٧)، ونلاحظ هنا:

أ. وجَّه فرعون ليعقوب سؤالا عاما: «كم هي أيام سني حياتك» (ع ٨) وهو سؤال عادة ما يُوجَه لرجل عجوز، لأنه من الطبيعي أن نعجب بالسن الكبير ونحترمه (لا ١٩ : ٣٢).

ب. يعقوب يرد على فرعون بإجابة غير مألوفة (ع ٩). وهو هنا يتكلم كما يليق بأحد الآباء، وبأسلوب يتسم بالجدية، بغية تعليم فرعون. ومما تجدر ملاحظته:

◄ يسمي حياته «غربتي»، حيث يعتبر نفسه غريبا في العالم، ومسافرا إلى عالم آخر. وهذه الأرض هي النزل الذي يقيم فيه، وليست بيته.

◄ يحسب حياته بالأيام.

◄ والسمة التي أطلقها عليها هي:

> إنها قليلة.

> إنها رديئة: حياة يعقوب تميزت بالأيام الرديئة. لكن أسعد أيام حياته كانت لم تزل أمامه.

> إنها قصيرة: فلم تبلغ أيام آبائه التي كانت طويلة، فلم تكن كثيرة أو سعيدة كأيامهم.

ج. تجاذب يعقوب أطراف الحديث مع فرعون ثم انصرف بعد أن باركه (ع ٧): «وبارك يعقوب فرعون»، وكذلك في آية ١٠، وقد صلى من أجله باعتبار أنه يتمتع بسلطة نبي من بين الآباء.

عدد ١٣ – ٢٦

عاد يوسف إلى إدارة تلك الأمانة العظيمة التي وضعها فرعون في يده. كان سيُسر كثيرا لو أنه استطاع أن يذهب ويعيش مع أبيه وإخوته في أرض جاسان، غير أن عمله لم يكن يسمح له بذلك. ونلاحظ الآتي في معاملات يوسف مع المصريين:

أولا: التدهور البالغ الذي حل بمصر والمناطق المتاخمة لها، وذلك بسبب المجاعة.

(١) نرى هنا مدى اعتمادنا على العناية الإلهية. فإذا توقفت عن إحساناتها المعتادة ولو لفترة وجيزة، فسوف نموت ونهلك جميعا. فكل ثرواتنا لن تنقذنا من الموت جوعا لو أمسكت السماء مطرها لسنتين أو ثلاث. وهنا نرى إلى أي مدى نعتمد على رحمة الله، فلنحفظ أنفسنا دائما في محبته.

(٢) نرى هنا كيف أننا نعاني كثيرا سوء تقديرنا: لو كان كل المصريين قد عملوا لأنفسهم ما عمله يوسف من أجل فرعون، لما كانوا الآن في محنة.

ثانيا: الثمن الذي وافقوا عليه للحصول على حاجتهم أثناء هذه الأزمة:

(١) دفعوا كل المال الذي كانوا قد ادخروه (ع ١٤). فالفضة والذهب لا يصلحان كطعام، ولابد من الحصول على القمح.

(٢) وحين نفذ المال، استغنوا عن كل مواشيهم، وكذلك عن حيوانات الخدمة كالخيل والحمير، أيضا الغنم والبقر (ع ١٧). ورأى فرعون في الحقيقة ما سبق أن رآه في حلم، لا شيء سوى بقرات هزيلة.

(٣) وبعد أن باعوا جميع أغنامهم ومواشيهم

كان من السهل إغراؤهم ببيع أراضيهم أيضا، لأنه ما الفائدة التي سيجنونها منها، طالما لا تتوافر لديهم بذوره للزرع أو مواشي ليأكلوا منها؟ ولذلك باعوا الأراضي بعد ذلك، ولم يتبق لهم شيء يعيشون عليه.

(٤) وعلى ذلك كان لابد وأن يبيعوا أنفسهم حتى يعيشوا على ما يحصلون عليه نتيجة كدهم. والإنسان مستعد أن يقدم كل ما يملك، حتى حريته ومقتنياته (وهما أغلى ما لديه) من أجل حياته، لأن الحياة عزيزة.

ثالثا: النهج الذي اتبعه يوسف لكي يسوي الأمر بين الملك والشعب:

(١) بالنسبة لأراضيهم، لم يكن الأمر يتطلب مساومة طالما استمرت سنوات الجوع، إلا أنه بعد أن انقضت توصل إلى اتفاق معهم، يبدو أنه أرضى الطرفين، وبمقتضاه يُنقل الشعب إلى الأراضي التي تُخصص له على أن يقوموا بالعمل فيها والتمتع بخيراتها شريطة أن يُقدم خُمس المحصول السنوي للملك كإيجار أساسي. وقد أصبح هذا قانونا ثابتا (ع ٢٦). ويُلاحظ هنا كيف أن يوسف كان مخلصا لذاك الذي عيَّنه في وظيفته. فلم يأخذ النقود لنفسه، ولم يُعط الأراضي لعائلته، بل حولهما لمنفعة فرعون.

(٢) بالنسبة للأشخاص فقد نقلهم إلى مدن (ع ٢١). وثبتهم في الجهات التي نُقلوا إليها. ومهما بدا الأمر صعبا عليهم إلا أنهم هم أنفسهم في ذلك الحين استقبلوا الأمر حينئذ على أنه أمر ينطوي على شفقة عظيمة، وكانوا شاكرين لعدم معاملتهم على نحو أسوأ: «فقالوا أحييتنا» (ع ٢٥).

رابعا: الإجراء الذي اتخذه لصالح الكهنة. لقد كانوا يُعالون بدون مقابل، وعلى ذلك لم تكن ثَمة حاجة تدعوهم إلى بيع أراضيهم (ع ٢٢).

عدد ٢٧ – ٣١

(١) السعة التي عاش فيها يعقوب (ع ٢٧ و٢٨)، وفيما كان المصريون يعيشون في ضنك في أرضهم، كان يعقوب يعيش في سعة من العيش في أرض غريبة.

(٢) العناية التي لاقاها يعقوب عند موته: وأخيرا «قربت أيام إسرائيل أن يموت» (ع ٢٩). وكان اهتمام يعقوب الآن منصبا على موضوع دفنه:

أ. طلب أن يُدفن في كنعان، لأنها كانت أرض الموعد، ولأنها كانت ترمز إلى السماء، الوطن الأفضل الذي قال إن هذه الأمور ما هي سوى رمز وإن «الذين يقولون مثل هذا... يطلبون وطنا» (عب ١١ : ١٤). كان يتطلع إلى وطن أفضل يكون موضع راحته وبركته بعد موته.

ب. طلب يعقوب من يوسف أن يحلف له بأن يدفنه هناك (ع ٢٩، ٣١).

ج. بعد أن تم ذلك، «سجد إسرائيل على رأس السرير» مسلما نفسه للموت.

الأصحاح الثامن والأربعون

قرب الزمان الذي لابد أن يموت فيه إسرائيل، وقد ودع حفيديه (ابني يوسف). ومواهب الله ونعمه تسطع بالنسبة لبعض القديسين وهم على فراش الموت بأكثر من البعض الآخر.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: إذ سمع يوسف بمرض والده ذهب لزيارته وأخذ معه ابنيه (ع ١ و٢).

ثانيا: تبنَّى يعقوب ابني يوسف، وأخذهما لنفسه (ع ٣– ٧).

ثالثا: باركهما (ع ٨– ١٦).

رابعا: شرح وبرر تقاطع يديه عند مباركتهما (ع ١٧– ٢٠).

خامسا: ترك ميراثا خاصا ليوسف (ع ٢١ و٢٢).

عدد ١ – ٧

أولا: ذهب يوسف ليرى أبيه الذي طحنته الشيخوخة (ع ١). ومن واجبنا زيارة المريض الذي تفرض علينا التزاماتنا زيارته، أو المريض الذي يكون بمقدورنا أن نفيده بشيء سواء من الناحية البدنية أو الروحية. ولقد أخذ يوسف ابنيه معه حتى يتلقيان بركة جدهما وهو في نزعه الأخير. ولن ينسى منسى وأفرايم أبدا ما حدث في هذه الزيارة.

ثانيا: إذ عرف يعقوب بزيارة ابنه، أعد نفسه على قدر ما استطاع لاستقباله (ع ٢). وإنه لأمر طيب

للغاية بالنسبة للمرضى أو المسنين أن يكونوا مبتسمين مرحين على قدر استطاعتهم، حتى لا يخوروا في يوم المحنة، «فتشدد» كما فعل يعقوب هنا، والله سوف يقويك.

ثالثا: ومكافأة ليوسف نظير كل العناية والرعاية التي أولاهما إياه، تبنى ولديه. وفي ميثاق التبني هذا، نجد الآتي:

(١) ذكر بصفة خاصة وعد الله له، الذي أشار إليه بقوله: «الله... باركني» (ع ٣)، وأعطاهما هذه البركة.

(٢) قبولُ ابني يوسف بشكل واضح في عائلته: «ابناك... هما لي» (ع ٥)، ليس باعتبارهما حفيديَّ، بل كابنيَّ. وقد فسر هذا في العدد السادس عشر: «وليُدع عليهما اسمي واسم أبويَّ». وهكذا فإن هذا الأب الشيخ- وهو على فراش الموت علَّم هذين الصغيرين ألا ينظرا إلى مصر كوطنهما، وألا يندمجا مع المصريين، بل ليأخذا نصيبهما مع شعب الله، كما فعل موسى بعد ذلك في تجربة مماثلة (عب ١١: ٢٤- ٢٦). والذين بنعمة الله يتغلبون على تجارب الثروة والأمجاد العالمية، ويتمسكون بالله في ذُل وفقر يستحقون مكافأة مضاعفة. وقد أشير إلى موضوع موت راحيل ودفنها (وهي أم يوسف وزوجة يعقوب المفضلة) (ع ٧)، مشيرا إلى ما جاء في تكوين ٣٥: ١٩.

عدد ٨- ٢٢

أولا: البركة التي بارك بها يعقوب ابني يوسف، والتي لها أهميتها لأن كاتب العبرانيين يشير إليها بصفة خاصة في عبرانيين ١١: ٢١.

(١) كان يعقوب قد فقد بصره بسبب الشيخوخة (ع ١٠)، وهذا ما حدث لأبيه من قبل حين تقدمت به الأيام حيث أصبح كليل البصر، ونلاحظ هنا:

أ. الذين لهم كرامة الشيخوخة عليهم أن يقنعوا بتحمُّل أعبائها.

ب. عين الإيمان قد تكون أكثر صفاء حين تصيب العين الجسدية العتامة.

(٢) كان يعقوب مفتونا بابني يوسف. وهنا نلمح مدى رضاء يعقوب، حين قال (ع ١١): «لم أكن أظن أني أرى وجهك (إذ لسنوات عديدة سلم بأنه قد مات) وهوذا الله قد أراني نسلك أيضا».

(٣) قبل أن يعطي بركته، ذكر مراحم الله وصلاحه الذي فعله معه:

أ. رعاه منذ وجوده إلى هذا اليوم (ع ١٥). ويلاحظ أنه طوال حياتنا في هذا العالم نختبر صلاح الله نحونا، في إمدادنا بما يلزم لحياتنا. فذاك الذي رعانا منذ وجودنا من المؤكد أنه لن يخذلنا في النهاية.

ب. بواسطة هذا الملاك خلَّصه «من كل شر» (ع ١٦).

(٤) بعد أن باركهما ببركة واسم إبراهيم وإسحاق، أوصاهما بأن يسيرا على نهجهما ومثالهما (ع ١٥). وقد دعا الله «الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحاق»، أي الذي آمنا به، والذي أطاعا وصاياه.

(٥) عند مباركته لهما وضع عليهما يداه متقاطعتين. وكان يوسف قد أجلسهما بحيث توضع يد يعقوب اليمنى على رأس منسى البكر (ع ١٢ و١٣). غير أن يعقوب وضعها على رأس أفرايم وهو الأصغر (ع ١٤). وعرَّفه يعقوب بأنه قصد ما فعل، ليس عن خطأ أو كنذوة منه، أو لمحبة تنحاز إلى أحدهما أكثر من الآخر، بل بروح النبوة، وخضوعا للمشورات الإلهية، سيكون منسَى عظيما، غير أن أفرايم سيكون الأعظم، وكان يشوع من هذا السبط، وكذلك يربعام. وقد قُسم سبط منسى إلى نصفين، أحدهما على أحد جانبي الأردن، والنصف الثاني على الجانب الآخر، الأمر الذي جعله أقل قوة وأهمية. وفي نبوته عن ذلك، عكس يعقوب يديه. ونلاحظ أن النعمة لا تخضع لنظام الطبيعة، فالله لا يفضل أولئك الذين نعتقد نحن أنهم الأصلح، بل بحسب ما يراه هو متفقا مع مشيئته. وجدير بالملاحظة أن الله -عن طريق إحسانات عهده المميزة- كثيرا ما يقدم الأصغر على الأكبر، فقد قدم هابيل على قايين، وسام على يافث، وإبراهيم على ناحور وحاران، وإسحاق على إسماعيل، ويعقوب على عيسو، وقد قدم يهوذا ويوسف على رأوبين، وموسى على هارون، وداود وسليمان على إخوتهم الأكبر سنا (انظر ١صموئيل ١٦: ٧).

ثانيا: العلامات الخاصة بتفضيله يوسف: ترك له الوعد بعودتهم من مصر، كأمانة مقدسة: «ها أنا

أموت ولكن الله سيكون معكم ويردكم إلى أرض آبائكم» (ع ٢١). وكلمات يعقوب هذه تعطينا عزاء بالنسبة لموت أحبائنا. ذلك أنه سيردنا إلى أرض آبائنا، إلى أورشليم السمائية، حيث سبقنا إليها آباؤنا الأبرار. وإذا كان الله معنا ونحن نعيش في هذا العالم، وسوف يستقبلنا قريبا لكي نكون مع أولئك الذين سبقونا إلى عالم أفضل، فيتعين علينا إذًا ألا نحزن كالباقين الذين لا رجاء لهم.

الأصحاح التاسع والأربعون

هذا الأصحاح يُعَد نبوة، فيعقوب وهو على فراش الموت، وضع وصيته. وأبناء يعقوب الاثنا عشر، كانوا في أيامهم، من الرجال البارزين، غير أن أسباط إسرائيل الاثني عشر، الذين انحدروا منهم وسموا بأسمائهم كانوا أكثر شهرة. وتطلعا إلى هذا قال أبوهم وهو على فراش الموت كلمة أثيرة بالنسبة لكل ابن، أو بالنسبة للسبط الذي يحمل اسمه.

ويتضمن هذا الأصحاح:

أولا: المقدمة (ع ١ و٢).

ثانيا: النبوة الخاصة بكل سبط (ع ٣- ٢٨).

ثالثا: كرر تكليفه لهم بخصوص دفنه (ع ٢٩- ٣٢).

رابعا: موته (ع ٣٣).

عدد ١- ٤

أولا: مقدمة النبوة، وجاء بها:

(١) دعى الجميع ليجتمعوا معا. وكان مما يعزي يعقوب وهو على فراش الموت أن يرى أولاده حوله. ودعوته لهم جميعا بين آونة وأخرى وجمعهم معا، يشير إلى أنه يريد أن يغرس فيهم أن يتحدوا في محبة وأن يكوِّنوا من مجموعهم شعبا واحدا.

(٢) أعطاهم فكرة عامة عن الموضوع الذي سيتناوله (ع ١): «لأنبئكم بما يصيبكم (ليس بالنسبة لأشخاصكم، بل لنسلكم) في آخر الأيام».

(٣) طلب منهم الانتباه (ع ٢): «وأصغوا إلى إسرائيل أبيكم»، وعسى إسرائيل الذي جاهد مع الله وقدر، يقدر معكم أنتم أيضا.

ثانيا: النبوة الخاصة برأوبين: فقد بدأ به (ع ٣ و٤) لأنه بكره، غير أنه إذ ارتكب نجاسة مع زوجة أبيه فقد خسر امتيازات البكورية. وسوف يتمتع بكل امتيازات الابن، ولكن ليس الابن البكر. ولم يوجد في هذا السبط قاض أو نبي، أو ملك، ولا أي شخص له شهرة سوى داثان وأبيرام اللذان عُرفا بعصيانهم الشرير ضد موسى. ويبدو أن رأوبين نفسه فَقَد كل تأثير له على إخوته مما يخوله له كونه البكر، لأنه حين كلمهم لم يسمعوا (تك ٤٢: ٢٢)، والصفة التي وُصف بها رأوبين، والتي لحقت به كعلامة عار هي كونه «فائرا كالماء».

(١) سمته أنه كان فائرا، لا يتحكم في نفسه، أو في شهواته. ولا ينجح كل الذين لا يتمتعون بالثبات والاتزان.

(٢) كذلك كانت كرامته فائرة، ومن ثَمَّ فارقته، وأصبحت كالماء المهراق على الأرض. والذين يستهينون بفضيلتهم عليهم ألا يتوقعوا سلامة سمعتهم.

عدد ٥- ٧

(١) سمة شمعون ولاوي: وكانا أخوين حتى في ميولهما، غير أنهما على النقيض من أبيهما، كانا سريعي الغضب، ميالين إلى الانتقام، عنيفين، من الصعب التحكم فيهما، وسيوفهما التي كان من المفترض أن تُستخدم في الدفاع، تحولت إلى «آلات ظلم». وليس بمقدور الوالدين -بل ولا حتى التعليم- أن يشكلا طباع أولادهم. فلقد ربى يعقوب ابنيه هذين على كل ما هو هادئ ومعتدل، ومع ذلك ثبت أنهما على هذا القدر من الشدة والعنف.

(٢) وكان قيامهما بقتل أهل شكيم دليلا على هذا، وهو الأمر الذي امتعض منه يعقوب للغاية (تك ٣٤: ٣٠) ولا يزال ممتعضا من ذلك العمل. ولم يقبل كل من شمعون ولاوي نصيحة والدهما الشيخ المجرب، بل كانا يندفعان وراء غضبهما وليس وراء فطنته.

(٣) احتجاج يعقوب على عملهما البربري «في مجلسهما لا تدخل نفسي». وهو بهذا لا يعلن بغضه الشديد لممارستهما بصفة عامة فقط، بل يعلن براءته

التامة من هذا الموضوع بصفة خاصة.

(٤) مقته لهذه الشهوات الوحشية التي أدت بهما إلى هذا الشر: «ملعون غضبهما». لم يلعن شخصياتهما، بل نزواتهما البغيضة. وعلينا أن نفرق بحرص بين الخاطئ والخطية، بحيث لا نحب الخطية من أجل الشخص، أو نكره الشخص من أجل الخطية.

(٥) علامة عدم رضائه أنه تنبأ بأن ذريتهما ستعاني تحت هذه اللعنة «أقسمهما». ولقد تشتت اللاويون بين كل الأسباط، ولم يكن نصيب شمعون مماثلا. ولقد تحولت هذه اللعنة بعد ذلك إلى بركة بالنسبة للاويين، أما بالنسبة للشمعونيين فقد ظلوا تحت هذه اللعنة نتيجة خطية زمري (عد ٢٥: ١٤).

عدد ٨- ١٢

ذُكرت هنا أشياء مجيدة عن يهوذا، واسم يهوذا يعني «حمد»، وإشارة إلى ذلك يقول: «إياك يحمد إخوتك» (ع ٨). وتضمنت النبوة:

(١) سيكون سبط يهوذا ناجحا ومنتصرا في الحرب.

(٢) سيكون أسمى من بقية الأسباط، ليس من جهة الكثرة والامتياز والشهرة فقط، بل سيسود عليهم: «يهوذا صولجاني» (مز ٦٠: ٧). وهذا السبط هو الذي قاد مقدمة الجيش في البرية وفي غزو كنعان (قض ١: ٢).

(٣) سوف يكون سبطا يتسم بالقوة والشجاعة، ومؤهلا تماما للقيادة والغزو: «يهوذا جرو أسد» (ع ٩). والأسد هو ملك الوحوش، وإذا ما تملَّك من فريسته لا يمكن لأحد مقاومته. وبهذا جاءت النبوة أن سبط يهوذا سيكون مرعبا، ولن يحقق انتصارات عظيمة فقط، بل إنه سيتمتع أيضا بما حصل عليه من غزواته في سلام وهدوء- وأنهم سيشنون حروبا، ليس من أجل الحرب، بل سعيا وراء السلام. ولم يُشبَّه يهوذا بأسد مزمجر، يميل دائما إلى التمزيق والغضب والتجوال، بل كأسد «ربض»، يتمتع بما حققه بقوته ونجاحه، دون أن يضايق الآخرين: وهذه هي العظمة الحقيقية.

(٤) سيكون السبط الملكي، والسبط الذي يأتي منه المسيح، الملك الآتي: «لا يزول قضيب من يهوذا... حتى يأتي شيلون» (ع ١٠). ويتنبأ يعقوب هنا بالآتي:

أ. يجب أن يأتي صولجان المُلْك في سبط يهوذا، وقد تحقق هذا في داود، الذي انتقل التاج إلى عائلته.

ب. وأن شيلون سيكون من هذا السبط. نسله، نسله الموعود، الذي به تتبارك كل الأرض. المسيح المخلص، الذي يأتي من يهوذا.

ج. بعد مجيء المُلْك من سبط يهوذا سوف يستمر في هذا السبط، وحتى السبي ومنذ عهد داود، كان المُلْك في يهوذا، وبناء على ذلك، كان حكام اليهودية من هذا السبط، أو من سبط اللاويين الذين التصقوا به إلى أن أصبحت اليهودية جزءا من الإمبراطورية الرومانية، وذلك عند ولادة مخلصنا، حيث تم فرض الضرائب عليها كإحدى المقاطعات التابعة للإمبراطورية (لو ٢: ١). وعند موته صرخ اليهود معترفين صراحة «ليس لنا ملك إلا قيصر». ومن هذا جاء الاستدلال الذي لا يمكن إنكاره ضد اليهود بأن ربنا يسوع هو الملك الآتي.

(٥) سيكون سبطا مثمرا، وسوف يمتلئ بصفة خاصة باللبن للأطفال، وبالخمر ليسعد قلب الرجال الأقوياء (ع ١١). وكثيرا مما قيل هنا عن يهوذا يجب تطبيقه على ربنا يسوع المسيح. ففيه وحده الكفاية مما يُعزي النفس ويُنعشها، ومما يدعم ويبهج الحياة الروحية، لنا فيه خمرا ولبنا، من ثروات سبط يهوذا بلا فضة ولا ذهب، وبدون ثمن (إش ٥٥: ١).

عدد ١٣- ٢١

نبوة يعقوب من جهة ستة من أبنائه.

أولا: بالنسبة لزبولون (ع ١٣): سيكون نصيب نسله على ساحل البحر، وسيكونون تجارا وبحَّارة ولهم سفنهم في البحر. وقد تحقق هذا بعد مائتي أو ثلاثمائة سنة، حين قُسمت أرض كنعان بالقرعة، وكانت حدود زبولون تصل إلى البحر (يش ١٩: ١١).

ثانيا: بالنسبة ليساكر (ع ١٤ و١٥): سيكون

رجال هذا السبط أقوياء مثابرين، لائقين للعمل ويحبونه، ولاسيما الكد في الزراعة، مثل الحمار الذي يحمل أثقاله بصبر، وإذ يعوِّد نفسه على ذلك، يسهل الأمر عليه. ولقد خضع يساكر لعبئين: فلاحة الأرض والجزية. كان سبطا يتحمل المشاق، وإذ كان ناجحا هكذا ومزدهرا، طُلب منه سداد الضرائب والإيجارات.

ثالثا: بالنسبة لدان (ع ١٦ و١٧): ما قيل بالنسبة لدان إما أنه إشارة إلى ذلك السبط بصفة عامة، أو إشارة إلى «دان» الذي هو ابن سرية، إلا أنه بمهارته وحيلته، ستكون له اليد العليا على أعدائه، مثل الحية التي تلدغ على حين غرة عقب أحد المسافرين. وسوف يُدمج سبط دان في العهد مثل الأسباط الأخرى. والبعض، مثل دان، قد يبرزون في الحكمة كالحية، وآخرون مثل يهوذا قد يتفوقون في الشجاعة كالأسد، وكلاهما سيكونان نافعين لمقاصد الله ضد الكنعانيين. على هذا النمط كان يعقوب يواصل كلامه، ولكنه يخفف عن نفسه بهذه العبارة التي وردت وكأنها بين قوسين: «لخلاصك انتظرت يا رب» (ع ١٨).

رابعا: بالنسبة لجاد (ع ١٩). وهو يشير إلى اسمه الذي يعني «جند»، ويتنبأ بسمة هذا السبط، بأنه سيكون سبطا محاربا، وهكذا نجده في ١أخبار ١٢: ٨ «جبابرة البأس رجال جيش للحرب». وتنبأ بأن موقع هذا السبط على الجانب الآخر من الأردن سيُعرضه لغارات جيرانه الموآبيين والعمونيين، وأن جيوش أعدائهم في حالات كثيرة ستتغلب عليهم، ومع ذلك يؤكد لهم «ولكنه يزحم مؤخره»، الأمر الذي تحقق أيام شاول وداود حين دُحر الموآبيون والعمونيون (انظر ١أخ ٥: ١٨– ٢٢)، خسرنا معركة ولم نخسر الحرب. والنعمة في النفس كثيرا ما تُهزم في معاركها، ولكن القضية هي لله والنعمة ستظهر في النهاية منتصرة، نعم «يعظم انتصارنا» (رو ٨: ٣٧).

خامسا: بالنسبة لأشير (ع ٢٠): بأنه سيكون سبطا غنيا جدا، مليئا ليس بالخبز الذي يكفي الضرورة فقط، بل بالدسم والسمين، وكانت هذه تُصدَّر من أشير إلى الأسباط الأخرى، وربما لبلدان أخرى.

سادسا: بالنسبة لنفتالي (ع ٢١): وهو سبط يحمل في اسمه ما يشير إلى الكفاح وهو يعني «مصارعتي». والبركة التي كانت من نصيبه تعني أنه يسود، «أيلة مسيَّبة». وكان هذا السبط:

(١) كالأيلة (الظبية) المحبوبة، ودودة ولطيفة.

(٢) مثل الأيلة المسيبة، متحمسة لحريتها.

(٣) مثل الأيلة السريعة (مز ١٨: ٣٣)، سريعة في أداء العمل. ويُلاحظ أنه بين شعب الله نجد طباعا متباينة للغاية، تتعارض بعضها مع بعض، غير أنها كلها تسهم في جمال وقوة الجسد، فيهوذا مثل أسد، ويساكر مثل حمار، ودان مثل حية، ونفتالي مثل أيلة.

عدد ٢٢– ٢٧

اختتم حديثه بمباركة أحب أبنائه إليه وهما يوسف وبنيامين، وبعدهما يسلم الروح.

أولا: مباركة يوسف، وهي بركة كبيرة وعامرة. وقد شُبه بغصن «شجرة مثمرة» (ع ٢٢)، لأن الله جعله مثمرا في أرض مذلَّته، وقد اعترف هو بذلك (تك ٤١: ٥٢). وكان ابناه كفروع كرمة، أو أية نباتات أخرى ممتدة «قد ارتفعت فوق حائط».

(١) أعمال العناية الإلهية بالنسبة ليوسف (ع ٢٣ و٢٤)، ومما تجدر ملاحظته:

أ. محنة يوسف ومتاعبه (ع ٢٣)، وعلى الرغم من أنه يعيش الآن في يُسر وكرامة، إلا أن يعقوب يُذكِّره بالمصاعب التي اجتازها في السابق. كان له أعداء كثيرون، أُشير إليهم هنا بعبارة «أرباب السهام» إذ كانوا ماهرين في الأذى. أما إخوته، حين كان في بيت أبيه «فقد اعتقدوا أنهم قتلوه». سيدته في بيت فوطيفار، بكل وقاحة هاجمته في عفته، وأطلقت أسهما لم يكن لديه أي دفاع ضدها سوى سيطرة الله على ضمائر أسوأ الناس. ولا ريب أنه كان له أعداء في حاشية فرعون، حسدوه على مركزه الرفيع، وسعوا إلى إضعافه.

ب. قوة يوسف والمساعدة التي ساندته خلال كل هذه المتاعب: «ثبتت بمتانة قوسه» (ع ٢٤)، أي إن إيمانه لم يهن. «وتشددت سواعد يديه» أي إن فضائله الأخرى كان لها دورها: حكمته وشجاعته وصبره وهي أفضل من أسلحة الحرب.

ج. مصدر هذه القوة ونبعها مرده «القادر على كل شيء». وكل ما لدينا من قوة لمقاومة التجارب، وتحمل الشدائد تأتينا من الله، ونعمته كافية وقوته تكمل في ضعفنا.

د. حالة الكرامة ونفع الآخرين التي ارتقى إليها بناء على ذلك. كان يوسف في هذا يرمز إلى:

- المسيح.
- والكنيسة بصفة عامة.

(٢) مواعيد الله ليوسف: اختباراتنا لقوة الله وصلاحه في تقويتنا إلى هذا اليوم، هي المشجِّع لنا في أن نظل نرجو معونته لنا دائما. فنحن يمكننا أن نتكل دائما على حجر معونتنا. ونلاحظ هنا البركات التي أُعطيت ليوسف. «بركات السماء من فوق» (الأمطار في موسمها والطقس المعتدل في أوانه، والتأثيرات الكريمة للأجرام السمائية)، «وبركات الغمر الرابض تحت» هذه الأرض، والتي إذا ما قورنت بالعالم العلوي، لا تعد سوى عمقا عظيما حيث مناجم وينابيع تحتها. بركات سامية فائقة «بركات أبيك فاقت على بركات أبويَّ» (ع ٢٦). وبركات دائمة وممتدة: «إلى منية الآكام الدهرية»، متضمنة منتجات أكثر الآكام خصبا، لا تزول أبدا (إش ٥٤: ١٠).

ثانيا: بركات بنيامين (ع ٢٧): هو «ذئب يفترس»، وواضح من هذا أن يعقوب كان مقودا بروح النبوة فيما كان يقوله، وليس بدافع من محبة طبيعية، وإلا لكان قد تكلَّم بأكثر رقة عن ابنه المحبوب بنيامين الذي يتنبأ عنه بقوله أن نسله سيكون سبطا محاربا قويا وجريئا، وأنهم سيثرون عن طريق ما يغتنمونه من أعدائهم، وأنهم سيكونون نشيطين ومنهمكين في أعمالهم، وسيشكلون سبطا يخشاه جيرانه والآخرون أيضا. وكان الرسول بولس المبارك من هذا السبط (رو ١١: ١؛ في ٣: ٥) وأنه في الصباح يلتهم فريسته كظالم، لكنه في المساء يقسم الغنيمة كواعظ.

عدد ٢٨ – ٣٣

أولا: موجز لبركات أبناء يعقوب (ع ٢٨). وعلى الرغم من أن رأوبين وشمعون ولاوي قد ذُكرت عنهم عبارات تنُم عن عدم رضاء أبيهم عنهم، إلا أنه قال: «كل واحد بحسب بركته باركهم». وليس من بينهم مَنْ رُفض على غرار عيسو.

ثانيا: المهمة التي كلَّفهم يعقوب بها بالنسبة لدفنه، وهي تكرار لما سبق أن طلبه من يوسف. ولنر هنا كيف يتكلم عن الموت: «أنا أنضم إلى قومي» (ع ٢٩). فعلى الرغم من أن الموت يفصلنا عن أولادنا وأهلنا في هذا العالم، إلا أنه يجمعنا بآبائنا وقومنا في العالم الآخر.

ثالثا: موت يعقوب (ع ٣٣): وكشخص بكل سرور يهيئ نفسه للراحة، إذ كان متعبا: «بسلامة أضطجع بل أيضا أنام» (مز ٤: ٨). وبكل ارتياح «أسلم الروح». وروحه التي انفصلت ذهبت إلى مجمع أرواح المؤمنين، والتي بعد أن تخلّصت من أثقال الجسد، أصبحت في فرح وسعادة عظيمة: «وانضم إلى قومه».

الأصحاح الخمسون

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: الاستعداد لمراسم دفن يعقوب (ع ١– ٦).

ثانيا: المراسم نفسها (ع ٧– ١٤).

ثالثا: رسوخ التفاهم والود بين يوسف وإخوته بعد موت يعقوب (ع ١٥– ٢١).

رابعا: موت يوسف وعمره (ع ٢٢– ٢٦). وهكذا فإن سفر التكوين الذي بدأ بأصل النور والحياة، لم ينته بشيء سوى الموت والظلام، ويا له من تغيير حزين ذاك الذي ولَّدته الخطية.

عدد ١ – ٦

يوسف يُقدِّم الإجلال والتوقير لأبيه الميت:

(١) بدموع وقبلات، وكل تعبيرات الوفاء البنوي ودَّع جسد أبيه (ع ١). والروح التي خرجت لا تفيدها الدموع والقبلات، غير أنه من اللائق أن نبدي احترامنا للجسد الميت، الذي ننتظر له قيامة مجيدة سعيدة.

(٢) أمر بتحنيط الجسد (ع ٢) ليس لأنه مات في مصر فحسب، بل ليتسنى نقله إلى كنعان.

(٣) اهتم بعمل مناحة له (ع ٣). بل إن كثيرين

من المصريين بدافع احترامهم العظيم ليوسف، اشتركوا في البكاء على أبيه.

(٤) حصل على موافقة فرعون على الذهاب إلى كنعان لحضور جنازة أبيه (ع ٤– ٦). ووعده بالعودة: «وأرجع». وحين نعود إلى بيوتنا بعد دفن أجساد أقاربنا نقول: لقد تركناهم وراءنا، غير أنه إذا كانت أرواحهم قد صعدت إلى بيت أبينا السماوي، هنا يكون لنا مبرر للقول: لقد تركونا هم وراءهم.

عدد ٧– ١٤

تتضمن هذه الفقرة نبذة عن جنازة يعقوب. لقد مات في كرامة، وشيعه أبناؤه إلى مثواه الأخير.

(١) كانت جنازة مهيبة: فقد شيعه إلى قبره، ليس أفراد عائلته فقط، بل رجال البلاط، وجميع عظماء المملكة، وكتعبير منهم عن الاعتراف بجميل يوسف أظهروا احترامهم لأبيه، وشيعوه بإكرام إلى قبره. ثم أن يعقوب الطيب أحسن سلوكه بينهم ولذلك أولوه تقديرا كبيرا. ويُلاحظ أنه يجب على المؤمنين، وعن طريق الحكمة والمحبة، أن يحاولوا إزالة إية تحاملات قد يكنها كثيرون ضدهم لأنهم لا يعرفونهم.

(٢) كانت جنازة حزينة (ع ١٠ و١١). والبكاء بحرارة على يعقوب أكسب المكان اسما جديدا هو «آبل مصرايم»، أي مناحة المصريين، والذي كان يُعد شهادة ضد الجيل التالي من المصريين، الذين اضطهدوا نسل يعقوب هذا الذي أولاه أسلافهم كل تبجيل واحترام.

عدد ١٥– ٢١

نقرأ هنا عن رسوخ الصلة الودية الحميمة بين يوسف وإخوته بعد وفاة والدهم. وحين يغيب الوالدان بالموت، يجب اتخاذ أفضل الوسائل للحفاظ على المحبة المتبادلة حتى تستمر الوحدة بين الأبناء حتى وإن غاب مركزها:

أولا: بكل خشوع يتقدم إخوة يوسف إليه طالبين رضاءه وعفوة:

(١) فيما كان والدهم على قيد الحياة، حسبوا أنفسهم في أمان تحت رعايته، أما وقد مات فقد توقعوا أن ينتقم منهم يوسف. والضمير الآثم يُعرِّض صاحبه لخوف دائم. والذين لا يريدون أن يعرفوا الخوف، عليهم أن يحفظوا ضمائرهم دون إثم.

(٢) تذللوا أمامه واعترفوا بخطيتهم والتمسوا عطفه: «اصفح عن ذنب إخوتك... نحن عبيدك».

(٣) واستندوا إلى صلة القربى التي تربطهم بيعقوب، وبإله يعقوب.

أ. بالنسبة ليعقوب فقد قالوا إنه أرشدهم قائلا: «هكذا تقولون ليوسف...».

ب. بالنسبة لإله يعقوب: توسلوا قائلين: نحن «عبيد إله أبيك» (ع ١٧). ليسوا أبناء يعقوب فحسب، بل وعبيد نفس الإله أيضا.

ثانيا: أما يوسف، وبعطف عظيم أكد لهم مصالحته وحبه لهم. وقد ظهرت محبته ورقة قلبه في أنه «بكى يوسف حين كلموه» (ع ١٧). كانت هذه دموع الحزن لشكّهم فيه، ودموع المحبة لخضوعهم. ونلاحظ في إجابته:

(١) طلب منهم أن يتطلعوا إلى الله في توبتهم: «هل أنا مكان الله؟» (ع ١٩) ليكن لكم سلام مع الله، وبعدئذ تجدون أنه من السهولة بمكان أن يكون لكم معي سلام.

(٢) خفف من شرهم، على أساس الخير العظيم الذي ولَّده الله منه، ولو أن ذلك لا يجب أن يقلل من ضرورة أسفهم على خطيتهم، إلا أن ذلك يزيده رغبة في العفو عنهم (ع ٢٠). وكثيرا ما يُخرج الله من الشر خيرا، ويحقق مقاصد عنايته الإلهية حتى عن طريق خطايا الناس، وليس معنى ذلك أنه منشئ الخطية– حاشا لنا أن نظن ذلك، بل إن حكمته غير المحدودة تتحكم في الأحداث، حتى تنتهي أخيرا إلى مجده مع أنها كانت في طبيعتها تميل بصفة مباشرة إلى الإساءة إليه، مثلما كان الحال عندما صلبوا المسيح حتى الموت (أع ٢: ٢٣).

(٣) أكد لهم استمرارية عطفه عليهم: «لا تخافوا. أنا أعولكم» (ع ٢١).

عدد ٢٢– ٢٦

أولا: امتداد حياة يوسف في مصر: فقد عاش «مئة

وعشر سنين» (ع ٢٢).

ثانيا: إقامة عائلة يوسف: لقد عاش حتى رأى أولاده حتى الجيل الثالث (ع ٢٣)، ولعله رأى ابناه كرئيسين لسبطين بين أسباط إخوته.

ثالثا: آخر رغبة أبداها يوسف في حضور إخوته، عندما رأى موته يقترب، وفي حضور مَنْ كانوا على قيد الحياة من الآباء ومن الأبناء الذين حلوا محل آبائهم الذين رحلوا، قال الآتي:

(١) لقد عزَّاهم بتأكيده أنهم سيعودون إلى كنعان في الوقت المناسب: «أنا أموت. ولكن الله سيفتقدكم» (ع ٢٤)، وطالبهم بأن يكونوا على ثقة بأن الله «يصعدكم من هذه الأرض» ولذلك:

أ. عليهم ألا يعتبروها مكان إقامتهم إلى الأبد، عليهم أن يتوقوا إلى أرض الموعد، ويسمونها وطنهم.

ب. عليهم ألا يخافوا من أن يهلكوا هناك: «الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض» إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب.

(٢) واعترافا بإيمانه هو، ولكي يثبت إيمانهم، طلب منهم ألا يدفنوه إلا بعد أن يستقروا في أرض الموعد (ع ٢٥). وطلب أن يعدوه بحلف أنهم سيدفنوه في أرض كنعان.

رابعا: موت يوسف، وحفظ جسده لدفنه في كنعان (ع ٢٦). «فحنطوه ووُضع في تابوت في مصر»، ولكنه لم يُدفن حتى تسلَّم أولاده ميراثهم في أرض كنعان (يش ٢٤: ٣٢).

الخروج

بينما حفظ موسى ونقل لنا في سفره الأول تاريخ الآباء البطاركة الذي دارت أحداثه في عائلات معينة، نجده هنا، في هذا الكتاب الثاني، يُقدِّم لنا قصة نمو هذه العائلات إلى أمة عظيمة. وإذا كانت بداية السفر السابق تبين لنا كيف اختار الله العالم لنفسه، فإن بداية هذا السفر تُعرِّفنا كيف اختار إسرائيل لنفسه، وكيف أنه خلق الاثنين من أجل تسبيحه (إش ٤٣: ٢١). قرأنا في السفر السابق عن خلق العالم في التاريخ، أما هنا فنقرأ عن رموز تشير إلى فداء العالم. ولقد أطلق المترجمون اليونانيون على هذا السفر اسم «الخروج» (بمعنى رحيل أو هجرة) لأنه يبدأ بقصة خروج بني إسرائيل من مصر. وكان تكوين إسرائيل كشعب بمثابة خليقة جديدة. ويحدثنا هذا السفر عن:

أولا: تحقيق الوعود السابق قطعها لإبراهيم (الأصحاحات ١– ١٩).

ثانيا: تأسيس الفرائض التي التزم بها بنو إسرائيل بعد ذلك (الأصحاحات ٢٠– ٤٠).

وموسى، في هذا السفر يبدأ بكتابة تعليقاته الشخصية. غير أننا نجد بعد ذلك أن الكاتب هو نفسه البطل، حيث يقدم لنا تاريخ هذه الأمور التي وقعت تحت سمعه وبصره– والتي قام فيها بدور بارز. ونحن نجد في هذا السفر رموزا عن المسيح بأكثر مما نجد في أي سفر آخر من أسفار العهد القديم، لأن موسى كتب عنه (يو ٥: ٤٦). وقد وضح لنا هنا وبطرق مختلفة طريق المصالحة مع الله، والدخول في عهد وشركة معه من خلال وسيط، وهذا أمر نافع للغاية لتوضيح العهد الجديد، الذي يساعدنا بدوره على تفسير العهد القديم.

الأصحاح الأول

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: محبة الله لإسرائيل التي تجلت في زيادة أعدادهم إلى حد كبير (ع ١– ٧).

ثانيا: الأذى الذي ألحقه المصريون بهم.

(١) ظلمهم واستعبادهم (ع ٨– ١٤).

(٢) قتل أطفالهم (ع ١٥– ٢٢). وهكذا فإن الذين باركتهم السماء، لعنهم المصريون.

عدد ١ – ٧

(١) سرد لأسماء «الآباء الاثني عشر»، بحسب تعبير سفر أعمال الرسل (أع ٧: ٨).

(٢) الاهتمام بذكر عدد أفراد عائلة يعقوب حين جاءوا إلى مصر. وقد أُشير هنا إلى أن نموهم وتكاثرهم في مصر كان أمرا عجيبا.

(٣) موت يوسف (ع ٦): «وجميع ذلك الجيل» مات على التوالي. ولعل جميع أبناء يعقوب ماتوا في وقت متقارب، لأن الفرق في السن بين أكبرهم وأصغرهم لم يتجاوز سبع سنوات، باستثناء بنيامين.

(٤) الزيادة المدهشة في عدد بني إسرائيل في مصر (ع ٧). وهذا ما تشير إليه عبارة «فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرا جدا». وهذه الزيادة العجيبة كانت تحقيقا للوعد الذي قُطع للآباء منذ زمن طويل.

عدد ٨- ١٤

عندئذ تحولت أرض مصر إلى سجن بالنسبة لبني إسرائيل، على الرغم من أنها ظلت لفترة طويلة ملاذا سعيدا ومستقرا لهم.

أولا: أُهمل العهد الذي التزموا به تجاه يوسف، ذلك أن «قام ملك جديد» -بعد عدة ملوك تعاقبوا الجلوس على العرش في أيام يوسف- «لم يكن يعرف يوسف» (ع ٨). وإذا ما عملنا من أجل الناس فقط، فإن أعمالنا في النهاية ستموت معنا، أما إذا كانت من أجل الله فإنها تتبعنا (رؤ ١٤: ١٣).

ثانيا: الأسباب التي دعت مصر للتعامل بقسوة مع بني إسرائيل (ع ٩ و١٠).

(١) قيل إنهم أقوى من المصريين ويفوقونهم عددا، ومن المؤكد أنهم لم يكونوا كذلك، غير أنه حينما عزم ملك مصر على اضطهادهم عمل على إظهارهم على هذا النحو ووصفهم بأنهم يشكلون قوة كبيرة.

(٢) وهكذا ألمح إلى أنه ما لم يتم إذلالهم سيشكلون خطرا على المملكة. ومما تجدر ملاحظته بأن ما كان المصريون يخشونه هو أنهم قد «يصعدون من الأرض»، ولعلهم سمعوهم يتحدثون عن الوعد الذي قُطع لآبائهم بأنهم سيُعطون أرض كنعان.

(٣) ولذلك اقتُرح وجوب اتخاذ إجراء للحيلولة دون زيادتهم: «هلم نحتال لهم لئلا ينموا».

ثالثا: الأسلوب الذي اتبعوه لقمعهم، وللحيلولة دون نموهم (ع ١١، ١٣ و١٤).

(١) حرصوا على أن يجعلوهم فقراء عن طريق فرض ضرائب باهظة.

(٢) بهذا الأسلوب نجحوا في تحويلهم إلى عبيد. ويبدو أن الإسرائيليين كانوا شعبا مُجدا يعمل بكل اجتهاد، وأنهم من هذه الناحية كانوا يفوقون المصريين، ولذلك عمل فرعون على تسخيرهم للعمل في مشروعات البناء وفي الزراعة، واتبعوا معهم أقسى الأساليب صرامة وقسوة لكي ينجزوا ما عُهد إليهم من أعمال. «فجعلوا عليهم رؤساء تسخير»، وصدرت لهم الأوامر «لكي يُذلوهم بأثقالهم». وقد «أذلوهم» الأمر الذي مرر حياتهم، وكانوا يرمون من وراء ذلك:

أ. تحطيم روحهم المعنوية.

ب. تدمير صحتهم، وتقصير أيامهم، وبهذا يقل عددهم.

ج. إثناء عزمهم على الزواج، مادام أولادهم سيولدون للعبودية. وكان ثَمة خوف بسبب القمع الذي يعيشون في ظله، فقد يكون من شأنه أن ينضم كثيرون منهم إلى مشاركة المصريين في عبادة الأوثان. وعلى الرغم من ذلك، ظل بنو إسرائيل كجماعة مميزة لم يختلطوا بالمصريين، وعملت عاداتهم الخاصة على حفظهم بمعزل عنهم، و«من قِبل الرب كان هذا وهو عجيب» (مز ١١٨: ٢٣).

رابعا: الزيادة المدهشة في أعداد بني إسرائيل: «ولكن بحسبما أذلُوهم هكذا نموا وامتدوا»، الأمر الذي ملأ المصريين بالأسى والحنق وأثار حفيظتهم. وما كانت دماء الشهداء سوى البذار التي أنبتت الكنيسة.

عدد ١٥- ٢٢

ازداد سخط المصريين بسبب نمو الإسرائيليين على الرغم من المصاعب التي أثقلوهم بها، حتى أنهم فكَّروا أخيرا في أكثر الوسائل همجية ووحشية لإذلالهم، وذلك بقتل أطفالهم. وقد أثبت كل من فرعون وهيرودس بشكل كاف أنهما وكلاء ذاك التنين العظيم الأحمر الذي «وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت» (رؤ ١٢: ٣ و٤). لقد أسلم بيلاطس المسيح للصلب، رغم اعترافه بأنه لم يجد فيه علة. وإنه جيد لنا أن نعرف أن الإنسان يستطيع أن يقتل الجسد، ولكنه لا يستطيع أن يفعل أكثر من هذا.

أولا: أُمرت القابلات بأن يقتلن الأطفال، ومما يُذكر هنا:

(١) الأوامر التي أعطيت لهن (ع ١٥ و١٦): إنه لمما زاد من وحشية عملية الإبادة هذه أن «قابلتي العبرانيات» هما اللتان كُلفتا بتنفيذ هذه العملية الإجرامية. وكانت خطة فرعون تتضمن أن تقوم القابلتان سرا بخنق الأولاد حال ولادتهم، ثم التحجج بصعوبة الولادة، أو بأي ظرف سيئ مما هو شائع في

مثل هذه الحالات (انظر أيوب ٣: ١١).

(٢) عصيانهما المقدس لهذه الأوامر الشريرة (ع ١٧): «خافتا الله»، حيث حفظتا ناموسه، وخشيتا غضبه أكثر من غضب فرعون، ومن ثَمَّ أنقذتا حياة الأولاد.

(٣) تبرير عدم طاعتهما حين اتُهمتا بجريمة العصيان (ع ١٨). ولقد عللنا ذلك، بأنهما تصلان بعد الولادة، لأن الأولاد بصفة عامة يولدون قبل وصولهما (ع ١٩). ويفسر بعض اليهود القدامى هذا الأمر بقولهم إنه قبل وصول القابلة، كانت النسوة تصلين إلى أباهن الذي في السماوات وكان يستجيب لصلواتهن، فيلدن.

(٤) المكافأة التي وهبها الله لهما نتيجة شفقتهن على شعبه: «فأحسن الله إلى القابلتين» (ع ٢٠)، ثم وبصفة خاصة «صنع لهما بيوتا» (ع ٢١)، بارك أولادهما، وأنجحهما في كل ما فعلتا.

ثانيا: وحين فشلت هذه الخطة، أصدر فرعون تعليمات صريحة لكل شعبه بأن يُغرقوا في النهر كل أطفال العبرانيين (ع ٢٢).

الأصحاح الثاني

بهذا الأصحاح تبدأ قصة موسى، ذلك الرجل المعروف، والذي اشتهر بعلاقته الوثيقة بإله السماء، ونفعه العظيم على الأرض، وكان من أعظم شخصيات العهد القديم التي ترمز بشكل ملحوظ إلى المسيح، كنبي، ومخلص، ومُشَرِع، ووسيط. ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: الأخطار التي واجهها في مولده وطفولته (ع ١- ٤).

ثانيا: حفظه من الأخطار، ورفعته وسموه في طفولته وصباه (ع ٥- ١٠).

ثالثا: اهتمامه بشعب الله:

(١) أبدى رغبته في خدمتهم في ذلك الوقت (ع ١١- ١٤).

(٢) هربه. حتى ينجو بحياته لكي يخدمهم فيما بعد (ع ١٥- ٢٢).

رابعا: بزوغ فجر يوم خلاص إسرائيل (ع ٢٣- ٢٥).

عدد ١- ٤

كان موسى لاويا، سواء من ناحية أبيه أو من ناحية أمه. وكان يعقوب قد ترك لاوي تحت لعنة العار (تك ٤٩: ٥)، ومع ذلك، فسرعان ما جاء موسى من نسله، حتى يرمز إلى المسيح الذي جاء في شبه جسد الخطية والذي صار لعنة من أجلنا. وبدأ هذا السبط يتميز عن بقية الأسباط بمولد موسى، حيث أصبح بعد ذلك بارزا في كثير من النواحي الأخرى.

أولا: كيف تم إخفاؤه. كان والدا موسى قد أنجبا مريم وهارون -وهما أكبر منه سنا- وذلك قبل صدور المرسوم. ولعل أم موسى كانت نهبا للقلق مما قد يحدث له عقب ولادته بعد أن صدر هذا المرسوم. ومع ذلك، فقد ثبت أن هذا الطفل كان مجدا لبيت أبيه. ففي الوقت الذي بلغ فيه فرعون ذروة القسوة على بني إسرائيل، وُلد هذا المخلِّص. ومما يجدر ذكره أنه فيما يخطط الناس لدمار الكنيسة، نرى الله يدبِّر لخلاصها.

(١) لاحظ أبواه أنه «حسن»، جماله فوق العادة، «وكان جميلا جدا» (أع ٧: ٢٠) أو «جميلا جدا في نظر الله».

(٢) ومن أجل هذا كانوا أكثر خوفا على حياته، لأنهم رأوا في نجاته دلالة على أن الله سوف يستخدمه لتحقيق أمر عظيم. فأمه «خبأته ثلاثة أشهر» في مكان خاص في بيتهم. وكان موسى في هذا يرمز إلى المسيح، الذي أُجبر في طفولته على الفرار سرا إلى مصر أيضا (مت ٢: ١٣)، وحُفظت حياته بشكل عجيب، في الوقت الذي ذُبح فيه كثيرون من الأبرياء. ويتعيَّن علينا إتمام واجبنا، ونترك مجرى الأحداث بين يدي الله. والإيمان بالله يحفظنا من الوقوع في شراك الخوف من الناس.

ثانيا: كيف ظهر بعد ثلاثة أشهر: وضعته أمه في سفط من البردي وتركته «على حافة النهر» (ع ٣)، وجعلت أخته الصغيرة تراقب من على بُعد ماذا سيحدث له، أو مَنْ الذي سيلتقطه (ع ٤). ولقد ألهمهما الله أن تتصرفا على هذا النحو، ليحقق قصده، بأن يصل موسى إلى يدي ابنة فرعون. وبدا الأمر كما لو أن أصدقاء موسى قد تخلوا عنه، حتى

أمه لم تجرؤ على الاعتراف به. غير أن الله اهتم به وضمَّه (مز ٢٧: ١٠).

عدد ٥- ١٠

أولا: تم إنقاذ موسى من الموت. وها هو الآن في سفط من البردي على جانب النهر. ولو كان قد تُرك هناك، لهلك من الجوع بعد وقت وجيز، ناهيك عن أنه ربما سقط في النهر والتهمه أحد التماسيح. ولو وقع بين يدي أحد بخلاف ابنة فرعون فلابد وأنه لم يكن يجرؤ إلا على أن يُلقي به إلى النهر، غير أن العناية الإلهية لم ترشد أحدا إلى مكانه في ذلك الوقت بالذات سوى ابنة فرعون، حيث قادتها تلك العناية إلى العثور على ذلك الطفل المسكين في وحدته، ورققت قلبها لكي تحنو عليه، فلم يكن في وسع أحد غيرها أن يفعل ذلك. ولم يسبق لطفل فقير أن بكى في الوقت المناسب وحصل على أفضل استجابة مثل هذا الطفل. وكثيرا ما يوجِد الله أصدقاء لشعبه حتى من بين أعدائهم. لقد سعى فرعون بكل قسوة ليبدد شعب إسرائيل، غير أن ابنته بكل حنان أظهرت شفقتها على هذا الطفل العبراني، بل والأكثر من هذا، ودون أن تدري حافظت على مخلِّص إسرائيل.

ثانيا: تدبير مرضعة جيدة لموسى، والتي لم تكن سوى أمه العزيزة (ع ٧- ٩). فقد رأت ابنة فرعون أنه من المناسب أن تحضر له مرضعة من العبرانيات، وعملت أخت موسى بمهارتها وتصرفها الحكيم، على أن تقدم أمها على أنها مرضعة، الأمر الذي عاد على الطفل بنفع عظيم، ذلك أن الأمهات هن خير المرضعات.

ثالثا: ترقى موسى، ليكون ابنا لابنة فرعون (ع ١٠). ويقول التقليد اليهودي إنه لم يكن ثَمة أولاد لابنة فرعون، وإنها كانت الابنة الوحيدة لوالدها، وعلى هذا فحين تبنت موسى واتخذته ابنا لها، أصبح السبيل أمامه ممهدا للوصول إلى العرش. والذين يختارهم الله لمهام عظيمة، يُوجد لهم مقدما سُبل تأهيلهم وإعدادهم لها. وإذ تلقى موسى تعليمه في البلاط الملكي، أصبح أفضل شخص ليكون أميرا. وليصلح «في يشورون ملكا» (تث ٣٣: ٥) وعن طريق تعليمه في البلاط الملكي منبع المعرفة (لأنه هكذا كان الأمر في مصر في ذلك الحين)، كان لائقا به أن يكون مؤرخا، وإذ حصل على تعليمه في البلاط الملكي المصري، فقد تأهل بالأكثر لأن يستخدمه الله كسفير لذلك البلاط.

رابعا: تسمية موسى: ابنة فرعون «دعت اسمه موسى وقالت إني انتشلته من الماء» وهذا معنى الاسم بلغة المصريين. وتسمية المشرع اليهودي باسم مصري كانت تمثل فألاً حسنا للعالم الأممي، وتعطي رجاء لذلك اليوم الذي سيُقال فيه: «مبارك شعبي مصر» (إش ١٩: ٢٥). وكان تعليمه في البلاط عربونا لتحقيق الوعد القائل: «ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك» (إش ٤٩: ٢٣).

عدد ١١- ١٥

أمضى موسى الآن الأربعين سنة الأولى من حياته في بلاط فرعون، يُعد نفسه للعمل، وها قد آن أوان انخراطه فيه.

أولا: بكل شجاعة اعترف بقضية شعبه وتبناها: «لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم» (ع ١١). وأفضل تفسير لهذه العبارة نجده بقلم الوحي المقدس في عبرانيين ١١: ٢٤- ٢٦، حيث أخبرنا أنه كان بهذا يُعبِّر عن:

(١) احتقاره المقدس لأمجاد البلاط الملكي المصري ومباهجه: «أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون».

(٢) محبته واهتمامه بإخوته المساكين وهم في العبودية، «مفضلا بالأحرى أن يُذَل» معهم (على الرغم من أنه كان بمقدوره أن يتفادى ذلك بكل بساطة).

ثانيا: قدم نموذجا للأمور العظيمة التي سيعملها بعد ذلك من أجل الله، ومن أجل إسرائيل شعبه، وذلك في مثالين بسيطين، ذكرهما استفانوس على وجه الخصوص (أع ٧: ٢٣- ٤٣).

(١) قتل موسى المصري الذي ضرب رجلا عبرانيا (ع ١١ و١٢)، وربما كان ذاك أحد رؤساء التسخير المصريين، حيث وجده يسيء معاملة عبده العبراني. ويقول التقليد العبراني إنه لم يقتله بأي

سلاح، بل بكلمة من فمه كما فعل بطرس مع حنانيا وسفيرة.

(٢) كان موسى مزمعا أن يتولى حكم إسرائيل فيما بعد، وكمثال على ذلك، نراه هنا يحاول أن ينهي نزاعا بين اثنين من العبرانيين:

أ. موسى يلاحظ مشاجرة يُؤسف لها نشبت بين اثنين من العبرانيين (ع ١٣). وحين يدبر الله آلات لخلاص شعبه، سيجدون أمامهم الكثير ليعملوه، ليس فقط من ناحية مقاومة ظلم المصريين، بل أيضا من ناحية تسوية النزاعات التي تنشأ بين الإسرائيليين أنفسهم.

ب. الوسيلة التي اتبعها في التعامل معهم: انتبه أولا إلى ذاك الذي سبَّب هذا الشجار، والذي ارتكب الظلم، وبكل هدوء ناقشه قائلا: «لماذا تضرب صاحبك؟» لقد حاول موسى أن يصلح بينهما، وهذا عمل طيب. والتوبيخ الذي وجهه موسى في هذه المناسبة لا يزال يصلح لأن يُستخدم إلى الآن: «لماذا تضرب صاحبك؟»

ج. فشل محاولته (ع ١٤): «فقال مَنْ جعلك رئيسا وقاضيا علينا؟» ولا يحتاج الإنسان إلى سلطة كبيرة لكي يوجه لزميله توبيخا وديا، لأنه من أعمال المحبة، ومع ذلك، نجد هذا الرجل يفسِّره بأنه عمل يُقصد به التسلط، ويتهم موبخه بأنه متعجرف ومدَّعٍ. وهكذا فإنه حين لا يتقبل الناس محادثة طيبة، أو عتابا في حينه، نراهم يسمونه «وعظا»؛ كما لو أن الإنسان لا يستطيع أن ينطق بكلمة لأجل الله، أو يتكلم ضد الخطية إلا وكان يدعي لنفسه العظمة. وهنا عنفه بقوة بسبب قتله المصري: «أمفتكر أنت بقتلي؟» ولو كان العبرانيون قد فهموا الإشارة وقبلوا موسى كرئيس وقائد لهم، لكان من المحتمل أن ينالوا الخلاص من العبودية حينئذ، غير أنهم، إذ احتقروا مخلصهم، فقد كان حقا وعدلا أن يتأخر خلاصهم وتمتد عبوديتهم أربعين سنة، كما حدث بعد ذلك أن احتقروا كنعان فحُرموا مدة أربعين سنة أخرى من دخولها. وعلينا أن نحذر من التحيز ضد طرق الله وشعبه نتيجة حماقة وتهور بعض الأشخاص من مدعي التدين. والمسيح نفسه، استخف به البناؤون، ولا يزال يلاقي الرفض من أولئك الذين يريد أن يُخلِّصهم.

د. هروب موسى إلى مديان، نتيجة لذلك. وقد رتب الله ذلك لغايات حكيمة ومقدسة. ولم تكن الأمور قد تهيأت بعد لخلاص إسرائيل. فسوف يتم المزيد لإعداد موسى لهذه الخدمة، ولذلك طلب منه الانسحاب في الوقت الراهن. وقد أرشد الله موسى إلى التوجه إلى المديانيين لأن هؤلاء من نسل إبراهيم. ومن خلال هذه البقعة سيقود بعد ذلك إسرائيل، وهكذا وصل إلى مديان وجلس عند البئر منهمكا ومرتبكا، غارقا في التفكير، منتظرا إلى أين ستدفع به العناية الإلهية. وكان ثَمة تغيير كبير هذا الذي طرأ على حياته، حيث كان بالأمس فقط مستريحا في بلاط فرعون. وهكذا اختبر الله إيمانه.

عدد ١٦ – ٢٢

حصل موسى على مكان لإقامته في مديان، مثلما سبق وأن حصل أبوه يعقوب على مكان له في سورية (تك ٢٩: ٢– ٢٠). وكثيرا من الأحداث التي تبدو لنا غير ذات أهمية، وأنها جاءت من قبيل الصدفة، يتضح بعد ذلك أنه كان مخططا لها من قِبَل العناية الإلهية ولأغراض صالحة. وثَمة نقلة عارضة تحدث أحيانا، تكون لها أسعد التأثيرات على حياة الإنسان.

أولا: بخصوص بنات رعوئيل السبع، والذي كان كاهنا أو رئيسا لمديان.

(١) كنَّ متواضعات، ومُجدات للغاية، فقد «ملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن» (ع ١٦). والكسل لا يُشرِّف الإنسان بأي حال.

(٢) كنَّ خجولات ومحتشمات في سلوكهن: فلم يدعين هذا المصري الغريب لزيارة بيتهن إلا بعد أن بعث أبوهن يستدعيه. فالحياء تاج المرأة.

ثانيا: بالنسبة لموسى: كان الظن أنه مصري (ع ١٩).

(١) كيف أسرع لمساعدة بنات رعوئيل وسقى غنمهن. والذين تلقوا تعليما فكريا وثقافيا عاليا لا يجب أن يتجاهلوا أبسط أعمال الخدمة، لأنهم لا يعرفون الحاجة التي قد تدفعهم إليها العناية الإلهية، حيث يضطرون في بعض الظروف إلى خدمة أنفسهم، أو قد لا ينتبهون إلى الفرص التي تتيحها لهم لكي

يخدموا الآخرين بها. وكان موسى يحب أن يعمل خيرا. وحيثما تدفع بنا العناية الإلهية علينا أن نحاول أن نكون نافعين، وحين لا نستطيع عمل الخير الذي نريده، علينا أن نكون على أهبة الاستعداد لعمل الخير الذي بمقدورنا عمله.

(٢) كيف كوفئ بسخاء نظير الخدمة التي تطوع بعملها. وحين أخبرت الفتيات والدهن بالخدمة التي أسداها موسى إليهن، دعاه إلى بيته واحتفى به كثيرا (ع ٢٠). وسرعان ما اكتسب موسى تقدير ومحبة رئيس مديان هذا الذي أسكنه معه، وبعد فترة زوَّجه إحدى بناته (ع ٢١)، التي أنجبت له ولدا «فدعا اسمه جرشوم لأنه قال كنت نزيلا في أرض غريبة» (ع ٢٢). وهكذا فإن إقامة موسى في مديان رتبتها العناية الإلهية:

أ. لإيوائه في الوقت الراهن.

ب. ولإعداده للخدمات العظيمة التي كان مزمعا أن يعملها. وعلى ذلك فإن أسلوب حياته في مديان سيكون ذا نفع له.

◄ لكي يتمرس على المصاعب والفقر.

◄ ليتعود على التأمل والعبادة. لقد أهلته مصر ثقافيا وتعليميا، ليكون له مكانا في الطبقة الاجتماعية، ليكون رجل دولة أو جنديا، إلا أنه كان لا يزال في حاجة إلى شيء واحد، لم يكن بمقدور البلاط الملكي في مصر أن يهيئه له، كان عليه أن يعرف ما هي حياة الشركة مع الله، وسوف يتقدم كثيرا في هذه الناحية نتيجة الوحدة والعزلة التي تُهيئها له حياته كراعي غنم في مديان. علَّمته حياته السابقة كيف يحكم في يشورون، أما حياته الأخيرة فقد علمته كيف يتكلم مع الله في جبل حوريب، والذي قضى إلى جواره كثيرا من وقته.

عدد ٢٣ – ٢٥

(١) استمرار عبودية بني إسرائيل في مصر (ع ٢٣). ولعل قتل أولادهم لم يستمر، فقد تقبل المصريون الآن حقيقة زيادة أعدادهم، إذ وجدوا أن مصر ازدادت ثراء نتيجة عملهم، ولذلك قرروا استمرار بقائهم كعبيد، ولم يعودوا يبالون بكثرة عددهم. وحين كان أحد الفراعنة يموت، كان يخلفه آخر ويسير على نفس نهجه، ولم يكن أقل قسوة من سابقيه في معاملته لبني إسرائيل.

(٢) وأخيرا، جاء وقت التمهيد لخلاصهم.

أ. «وتنهد بنو إسرائيل» (ع ٢٣). أخيرا بدأوا يتجهون بتفكيرهم إلى الله لكي ينقذهم من متاعبهم، وأن يرجعوا إليه ويتركوا الأوثان التي كانوا يعبدونها (حز ٢٠: ٨). غير أن الله، قبل أن يحررهم من العبودية، وضع في قلوبهم أن يصرخوا إليه، على النمط الذي تم شرحه في سفر العدد ٢٠: ١٦.

ب. «فسمع الله» (ع ٢٤ و٢٥):

◄ «فسمع الله أنينهم». كان يعرف الأثقال التي يئنون تحتها، والبركات التي يتوقون إلى طلبها.

◄ «فتذكر الله ميثاقه».

ج. «ونظر الله بني إسرائيل». نظر موسى إلى أثقالهم وتألم لحالهم (ع ١١) أما الآن فقد نظر الله إليهم وقام إلى معونتهم.

د. «وعلم الله»، لقد اهتم بهم كخاصته.

الأصحاح الثالث

أولا: الإعلان الإلهي الذي سُر الله أن يعطيه لموسى عن مجده عند العليقة، والتي مُنع من الاقتراب منها (ع ١– ٥).

ثانيا: إعلان عام عن نعمة الله وإحسانه إلى شعبه، الذين أحبهم من أجل أبيهم (ع ٦).

ثالثا: إعلان خاص عن قصد الله بشأن خلاص إسرائيل من العبودية في مصر.

(١) أكد لموسى أنه سيفعل ذلك الآن (ع ٧– ٩).

(٢) كلَّفه بأن يعمل كسفير له لدى فرعون (ع ١٠)، ولدى إسرائيل (ع ١٦).

(٣) رد الله على الاعتراضات التي أبداها موسى من حيث عدم جدارته (ع ١١ و١٢).

(٤) أعطاه الله كل التعليمات الخاصة بما يجب أن يقوله لفرعون، ولإسرائيل (ع ١٣– ١٨).

(٥) أخبره مقدما ماذا ستكون النتيجة (ع ١٩– ٢٢).

عدد ١ – ٦

قُسمت حياة موسى بشكل واضح إلى ثلاث حقبات كل منها تمتد إلى أربعين سنة. قضى الحقبة الأولى كأمير في بلاط فرعون، والثانية كراع في مديان، والثالثة كملك في يشورون. وكان قد أنهى الآن الحقبة الثانية، حين كُلف بأن يُخرج بني إسرائيل من مصر. لاحظ أنه قد ينقضي أحيانا وقت طويل قبل أن يستدعينا الله للعمل الذي كان في قصده منذ فترة طويلة لنا، لأنه خلال ذلك كان يُهيئنا بنعمته لهذا العمل.

أولا: كيف كان حين ترائى له هذا الظهور الإلهي. كان يرعى الغنم على مقربة من جبل حوريب (ع ١). وكان هذا عملا تافها بالنسبة لرجل له مثل مواهبه وتعليمه. ولكن موسى اعتقد أن هذا هو مصيره أن يحيا ويموت كراعي غنم فقير. وحين تكون بلا رفيق يكون الآب معنا. لقد رأى موسى الله في البرية بأكثر مما رآه وهو في بلاط فرعون.

ثانيا: كيف بدا هذا الظهور الإلهي: لدهشته البالغة رأى «العليقة تتوقد بالنار»، علما بأنه لم ير نارا توقدها سواء من الأرض أو من السماء، أما الأمر الذي يثير الدهشة بالأكثر هو أن العليقة «لم تكن تحترق» (ع ٢). كان هذا إعلانا إلهيا غير عادي عن حضور الله ومجده.

(١) رأى لهيب نار: وحين وعد الله إبراهيم بخروج بني إسرائيل من مصر، رأى «مصباح نار» (تك ١٥: ١٧)، حيث كان يرمز إلى نور الفرح الذي سيأتي نتيجة هذا الخلاص، أما الآن فقد رأى النور أكثر لمعانا، إذ رأى لهيب نار.

(٢) لم تكن هذه النار وسط شجرة أرز فارهة وضخمة، بل في «عليقة».

(٣) كانت «العليقة تتوقد بالنار» ورغم ذلك فإنها «لم تكن تحترق».

ثالثا: تملك حب الاستطلاع من موسى، الأمر الذي دفعه إلى محاولة معرفة حقيقة هذا المنظر الغريب، ومن ثَمَّ قال: «أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم» (ع ٣).

رابعا: الدعوة التي تلقاها للاقتراب، بالرغم من تحذيره بألا يقترب أكثر من اللازم، وألا يندفع اندفاعا.

(١) وجه له الله دعوة كريمة، تقبَّلها على الفور (ع ٤). ذلك أنه حين التفت جانبا، ناداه الله. «اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم». لقد ناداه الله باسمه: «موسى موسى». وكلمة الرب دائما تصاحب مجده، لأن كل رؤيا إلهية إنما يكون القصد منها إعلانا إلهيا (أي ٤: ١٦– ٢١؛ ٣٣: ١٤– ١٦). والدعوات الإلهية تكون فعالة حين تُقابل بالطاعة، مثلما فعل موسى هنا: «هأنذا»، ماذا يريد ربي أن يقول لعبده؟

(٢) وجه له الله تحذيرا هاما: عليه أن يقترب، غير أنه يتعين عليه ألا يقترب أكثر من اللازم. عليه أن يرضي ضميره، لا أن يشبع غريزة حب الاستطلاع فيه. عليه أن يُعبِّر عن تبجيله لله واستعداده لطاعته: اخلع حذاءك كعبد. وكان خلع الحذاء في ذلك الحين يماثل خلع القبعة الآن، أي إنه علامة الاحترام والخضوع.

خامسا: الإعلان المهيب الذي أعلن به الله عن اسمه، والذي يجب أن يعرفه موسى به: «أنا إله أبيك» (ع ٦). كان إبراهيم قد مات، ومع ذلك فإن الله هو إله إبراهيم، وعلى هذا فلابد وأن نفس إبراهيم حية، وهي التي لها علاقة مع الله، ولكي يجعل نفسه سعيدة تماما، لابد وأن يعود جسده ثانية للحياة في الوقت المناسب. ومن هذا القول يبدو أن الله تذكر عهده (خر ٢: ٢٤).

سادسا: الانطباع المهيب الذي تولَّد في موسى: «فغطى موسى وجهه»، كشخص كان يشعر بالخجل والخوف اللذين يمنعاه من النظر إلى الله. ولم يخف من العليقة إلا بعد أن أدرك أن الله كان فيها.

عدد ٧– ١٠

الآن، وبعد مرور أربعين سنة على عبودية إسرائيل في مصر، وابتعاد موسى، وفي الوقت الذي قد نعتقد فيه أن اليأس بدأ يتسرب إلى قلبه وإلى قلوبهم، جاء الوقت أخيرا، بل بالحري جاءت سنة المفديين.

أولا: ملاحظة الله لمحنة بني إسرائيل (ع ٧، ٩): «إني قد رأيت»، لاحظت الأمر بكل دقة وأعطيت له اهتمامي. لقد لاحظ الله ثلاثة أمور:

(١) «مذلة» شعب بني إسرائيل (ع ٧). ومن المحتمل أنه كان غير مسموح لهم أن يرفعوا تظلماتهم إلى فرعون، غير أن الله رأى دموعهم.

(٢) صراخهم: «وسمعت صراخهم» (ع ٧)، ذلك أنه «قد أتى إليَّ» (ع ٩).

(٣) طغيان ظالميهم: «ورأيت أيضا الضيقة التي يضايقهم بها المصريون» (ع ٩).

ثانيا: الوعد الذي قطعه الله بسرعة خلاصهم وإطلاق سراحهم: «فنزلت لأنقذهم» (ع ٨). وحين يأتي الله شيئا عجيبا يُقال: إنه نزل ليعمله، وذلك على غرار ما جاء في إشعياء ٦٤: ١. وكان هذا الخلاص يرمز إلى خلاصنا بالمسيح يسوع، والذي من أجله نزل الكلمة الأزلي فعلا من السماء لكي يخلصنا. كما وعدهم أيضا بإقامة سعيدة في أرض كنعان، وبذلك يستبدلون العبودية بالحرية، والفقر بالسعة، والكد بالراحة.

ثالثا: المهمة التي كلِّف بها موسى لإنجاز هذا الوعد (ع ١٠). فلم يُرسل كنبي إلى إسرائيل فحسب، بل وكسفير إلى فرعون، لكي يتفاوض معه، وقد أُرسل كملك إلى بني إسرائيل، لكي يحكمهم ويقودهم. ونفس اليد التي أحضرت الآن راعيا من الصحراء، لكي يقوم بتخصيص شعب خاص لله، هي التي جاءت بعد ذلك بصيادين من سفنهم ليقوموا بتأسيس الكنيسة المسيحية.

عدد ١١ – ١٥

وبعد أن كلم الله موسى، سمح له أيضا بأن يتكلم:

أولا: احتج بأنه ليس كفؤا للخدمة التي دُعي إليها (ع ١١): «مَنْ أنا؟» كان ينظر إلى نفسه على أنه ليس جديرا بهذا الشرف. كان يظن أنه يفتقر إلى الشجاعة والمهارة، وعلى هذا ليس في وسعه إخراج بني إسرائيل من مصر، فهم غير مسلحين، وغير مدربين، ومُحبَطين.

(١) ولا عجب أن موسى كان أصلح رجل على الإطلاق للقيام بهذه المهمة، فقد تميز بالتعليم والحكمة والخبرة والشجاعة والإيمان والتقوى، وعلى الرغم من كل هذا، يقول عن نفسه: «مَنْ أنا؟» ويُلاحظ أنه كلما كان الإنسان أهلا للخدمة نراه أكثر تواضعا في نظرته إلى نفسه (انظر قضاة ٩: ٨– ٢١).

(٢) كانت المهمة في الواقع بالغة الصعوبة. ومع ذلك كان موسى هو الرجل الذي قام بها في النهاية، لأن الله يعطي نعمة للمتضعين.

ثانيا: رد الله على هذا الاعتراض (ع ١٢).

(١) وعده الله بحضوره معه: «إني أكون معك»، وهذا ما فيه الكفاية.

(٢) أكد له نجاحه، وأن بني إسرائيل سيعبدون الله على هذا الجبل.

ثالثا: التمس إعطاءه توجيهات بشأن تنفيذ هذه المهمة، ورغب أن يعرف الاسم الذي يريد الله أن يُعرَف به هذه المرة (ع ١٣).

(١) افترض أن بني إسرائيل سوف يسألونه «ما اسمه؟» وكان هدفهم من السؤال:

أ. إما أن يربكوا موسى، أو

ب. لمعلوماتهم الشخصية.

(٢) طلب تعليمات بخصوص الإجابة التي يعطيها لهم: «فماذا أقول لهم؟» ما الاسم الذي أقوله لهم كدليل على سلطتي؟

رابعا: ثَمة اسمان يُعرف بهما الله الآب:

(١) اسم يشير إلى ماهية الله في ذاته (ع ١٤): «أهيه الذي أهيه» وهذا ما يفسر اسمه «يهوه»، وهو ما يشير إلى:

أ. إنه كائن بذاته، كائن من نفسه، ولا يستمد وجوده من آخر. وإذ هو كائن في ذاته فلا يمكن إلا أن يكون مكتفيا ذاتيا، ولذلك فهو كُلي الكفاية، والنبع الذي لا ينضب للوجود والبركة.

ب. إنه أزلي وليس عنده تغيير.

ج. نحن لا نستطيع أن نجده بالبحث عنه. ليعرف إسرائيل هذا «أهيه أرسلني إليكم».

(٢) اسم يشير إلى ماهيته بالنسبة لشعبه: «يهوه إله آبائكم... أرسلني إليكم» (ع ١٥). وبهذا جعل الله نفسه معروفا له (ع ٦)، وبهذا يجب أن يجعلهم يعرفونه:

أ. حتى يحيي وينعش بينهم ديانة آبائهم.

ب. حتى يزيد من توقعاتهم في التحقيق السريع للوعود التي قطعها لآبائهم. وبهذا الاسم سوف يُعرف الله إلى الأبد، وقد كان، وسوف يكون هو اسمه الذي يعرفه به مَنْ يعبدونه، ويميزونه عن جميع الآلهة الزائفة (انظر ١ ملوك ١٨: ٣٦).

عدد ١٦ – ٢٢

أُعطيت لموسى هنا تعليمات أكثر دقة بشأن عمله وأُخبر مقدما بأن النجاح سيكون حليفه.

(١) عليه أن يتعامل مع شيوخ إسرائيل، ويزيد رجاءهم في ارتحالهم سريعا إلى أرض كنعان (ع ١٦ و١٧). كما أُخبر أنه سيحقق نجاحا طيبا مع شيوخ إسرائيل (ع ١٨): «فإذا سمعوا لقولك...»، ولن ينبذوك كما سبق أن فعلوا منذ أربعين سنة خلت.

(٢) عليه أن يتعامل مع ملك مصر (ع ١٨)، عليه هو وشيوخ إسرائيل ألا يبدأوا بمطالبة، بل بالتماس: «فالآن نمضي». وفضلا عن ذلك، ليس عليهم سوى أن يلتمسوا من فرعون أن يسمح لهم بالذهاب حتى جبل سيناء فقط لكي يذبحوا للرب. فإذا لم يسمح لهم بالذهاب لكي يذبحوا للرب في سيناء، عندئذ يكون من حقهم أن يذهبوا إلى كنعان بدون إذنه ليستقروا فيها. أما بالنسبة لمدى نجاحه مع فرعون، فقد قيل له في هذا الصدد:

أ. إن التماسه لن ينجح: «ولكني أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون» (ع ١٩).

ب. إن الضربات ستجبره على الخضوع لذلك: «وأضرب مصر... وبعد ذلك يطلقكم» (ع ٢٠).

ج. إن شعب مصر سيزودهم عند رحيلهم بوافر من المجوهرات والجواهر، بحيث يصبحون أثرياء: «وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين» (ع ٢١ و٢٢).

الأصحاح الرابع

أولا: يواصل هذا الأصحاح حديث الله مع موسى، ثم يختتمه عند العليقة بشأن هذا الموضوع العظيم وهو إخراج بني إسرائيل من مصر:

(١) يعترض موسى بعدم تصديق الشعب له (ع ١)، وقد رد الله على هذا الاعتراض بأن أعطاه قدرة على عمل معجزات:

أ. أن يحوِّل عصاه إلى حية، ثم يعيدها ثانية إلى عصا (ع ٢– ٥).

ب. أن يجعل يده برصاء، ثم يرجعها كأصلها ثانية (ع ٦– ٨).

ج. أن يحوِّل الماء إلى دم (ع ٩).

(٢) يعترض موسى متعللا بثقل فمه ولسانه (ع ١٠) ويلتمس إعفاءه (ع ١٣)، لكن الله يرد على هذا الاعتراض:

أ. بأن وعده بأنه سيكون معه (ع ١١ و١٢).

ب. وبأنه سيضم هارون لمساعدته في مهمته (ع ١٤– ١٦).

ج. بإعطاء كرامة لنفس العصا التي في يده (ع ١٧).

ثانيا: بداية تنفيذ موسى لمهمته.

(١) طلب من حميه السماح له بالعودة إلى مصر (ع ١٨)

(٢) تلقيه تعليمات وتشجيعات أخرى من الله (ع ١٩، ٢١– ٣٢).

(٣) أسرع بالرحيل بعد أن أخذ معه عائلته (ع ٢٠).

(٤) الصعوبة التي واجهها أثناء سفره بشأن ختان ابنه (ع ٢٤– ٢٦).

(٥) ارتياحه حين قابل أخاه هارون (ع ٢٧ و٢٨).

(٦) عرض مهمته أمام شيوخ إسرائيل فتقبلوها بفرح عظيم (ع ٢٩– ٣١). وهكذا بدأ تحرك المسيرة لتحقيق الخلاص العظيم.

عدد ١ – ٩

أولا: يعترض موسى بأن الشعب على الأرجح «لا يصدقونني» (ع ١)، أي أنهم لن يصدقوا كلامه إلا إذا أراهم معجزة ما. إن كان من بينهم بعض المعارضين لمهمته، كيف يتعامل معهم؟

ثانيا: أعطاه الله قدرة على عمل المعجزات، ووجَّهه لعمل ثلاث معجزات معينة، أجرى اثنين منهما في الحال بغية إقناعه.

(١) كانت العصا التي في يده موضوع معجزة، وهي معجزة مزدوجة، ذلك أنه ليس عليه سوى أن

يطرحها من يده فإذا هي حية تسعى، ثم إذا عاد وأمسكها بيده تعود عصا كما كانت (ع ٢– ٤). وهنا أُعطي موسى كرامة بأن التغيير يتم عند طرحه العصا، أو العودة إلى مسكها، دون سحر أو تعويذة ما. وإذ أُعطي القدرة للتصرف على هذا النحو تحت عناية الله، وبما يتنافى مع مجريات الطبيعة أو العناية، إنما كان إثباتا للسلطان الذي أُعطي له من الله، لكي يضع تدبيرا جديدا لملكوت النعمة. وكانت المعجزة في حد ذاتها لها مغزاها.. لقد حوَّل فرعون عصا السلطة إلى حية للظلم والطغيان، هرب منها موسى نفسه إلى مديان، غير أن المشهد تغير ثانية بواسطة موسى.

(٢) بعد ذلك جُعلت يده أيضا موضوعا لمعجزة. فهو يضعها في عبه ويخرجها فإذا هي برصاء، فيعود ويضعها في ذات المكان فترجع صحيحة من غير سوء (ع ٦ و٧)، وهذا ما يشير إلى الآتي:

أ. سيجلب موسى، بقوة الله، أمراضا مؤلمة على مصر، ستُزال بصلاته.

ب. وأنه فيما أُصيب بنو إسرائيل في مصر بالبرص نتيجة تلوثهم بالخطية، إلا أنهم إذ أُخذوا إلى حضن موسى فإنهم سيتطهرون ويشفون.

ج. لن يعمل موسى المعجزات بقوته الشخصية.

(٣) طُلب منه، أنه عند ذهابه إلى مصر عليه أن يأخذ قدرا من ماء النيل ويحوله إلى دم (ع ٩).

عدد ١٠– ١٧

لا يزال موسى مترددا في القيام بالمهمة التي أراده الله أن يقوم بها، ولا يمكننا الآن القول بأن هذا مرده تواضعه وبساطته، بل يجب الاعتراف بأن الأمر يتضمن قدرا كبيرا من الجبن والكسل وعدم الإيمان.

أولا: كيف حاول موسى التملُّص من هذه المهمة:

(١) احتج بأنه لا يُحسن الكلام: «استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام» (ع ١٠). والله أحيانا يرى في مسرته أن يختار رسله ممن لا يتمتعون بالطبيعة بأية مزايا أو مهارة. فلم يكن تلاميذ المسيح من الخطباء، إلى أن أعطاهم الروح القدس القدرة على ذلك.

(٢) وبعد أن تم التغلب على حجته هذه، وفُندت كل الأعذار التي تعلل بها إلا أنه مع ذلك عاد يلتمس من الله أن يرسل شخصا آخر سواه للقيام بهذه المهمة ويتركه لرعي الغنم في مديان (ع ١٣).

ثانيا: كيف تنازل وذلل له كل الصعاب التي تعلل بها. وعلى الرغم من أنه «حمي غضب الرب على موسى» (ع ١٤)، إلا أنه استمر في إقناعه حتى تغلب على كل ما أورده من حجج:

(١) فلكي يعالج ضعف موسى، ذكَّره هنا بقوته هو (ع ١١): «مَنْ صنع للإنسان فما... أما هو أنا الرب؟» وموسى يعرف أن الله هو الذي خلق الإنسان، إلا أنه يجب تذكيره الآن أن الله هو الذي جعل للإنسان فما، وتذكيره أيضا بقوته بصفة عامة على جميع الملكات الأخرى. فكمال ملكاتنا إنما هو من صنعه، فهو يخلق البصر، فهو «الصانع العين» (مز ٩٤: ٩)، وهو الذي يفتح الأذهان للفهم (لو ٢٤: ٤٥).

(٢) وبغية تشجيعه في هذه المهمة العظيمة كرر له الوعد بحضوره، ليس بصفة عامة، بل بصفة خاصة «إني أكون معك» (خر ٣: ١٢)، «وأعلمك ما تتكلم به»، وبذلك لن يكون النقص لعدم قدرتك على الكلام ذريعة تعوقك عن القيام برسالتك، وإذا كان هناك مَنْ يتحدثون بطلاوة ولباقة، إلا أنه لن يفوقك أحد في الكلام بقوة وفعالية.

(٣) كلَّف هارون بالاشتراك معه في هذه المهمة، ووعده بأن هارون سيقابله في الوقت المناسب، وأنه سيفرح لرؤيته. ومن المحتمل ألا يكونا قد تقابلا معا منذ عدة سنوات (ع ١٤). وطلب منه أن يستخدم هارون كمتحدث باسمه (ع ١٦)، ثم أن محبة كل منهما للآخر ستكون عاملا لتدعيم الوحدة بينهما في تنفيذ مهمتهما المشتركة. وقد أرسل المسيح تلاميذه اثنين اثنين، وكان بعضهما أخوين. فمن لسان هارون وعقل موسى وقلبه، تتشكل وحدة متكاملة تصبح قادرة على القيام بهذه المهمة. وقد وعد الله: «وأنا أكون مع فمك ومع فمه». فحتى هارون الذي يجيد الكلام، لن ينجح في كلامه ما لم يكن الله مع فمه.

(٤) أمره أن يأخذ العصا في يده (ع ١٧). فالعصا التي يحملها كراع، ستكون بالنسبة له عوض السيف والصولجان.

عدد ١٨ – ٢٣

أولا: موسى يحصل على إذن حميه بالعودة إلى مصر (ع ١٨).

ثانيا: تلقى من الله تشجيعات وتوجيهات أخرى بخصوص عمله، فقد:

(١) أكد لموسى أن الأمور مهيأة؛ فأيا كان الأعداء الذين سيكون عليه مواجهتهم نتيجة مهمته الجديدة، فإنه «قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون» نفسه (ع ١٩).

(٢) أمره أن يعمل المعجزات، ليس أمام شيوخ إسرائيل فقط، بل أمام فرعون أيضا (ع ٢١).

(٣) لا يجب أن يكون عناد فرعون مفاجأة بالنسبة له، أو مدعاة ليأسه، فقد سبق أن أخبره الله بأنه سيشدد قلبه.

(٤) وضع الله في فمه الكلام الذي يقوله لفرعون (ع ٢٢ و٢٣).

أ. عليه أن يسلم رسالته باسم الرب العظيم: «هكذا يقول الرب»، وهذه أول مرة يستخدم فيها إنسان هذه المقدمة، التي أصبحت بعد ذلك تتردد كثيرا على ألسنة جميع الأنبياء.

ب. عليه أن يُعرِّف فرعون علاقة إسرائيل بالله، واهتمام الله بهم.

ج. عليه أن يطلب إطلاق سراحهم: «أطلق ابني»، ليس فقط عبدي الذي لم يكن لك حق في احتجازه، بل ابني الذي أغار جدا على حريته وكرامته.

د. عليه أن يهدد فرعون بموت ابن مصر البكر، وإذا رفض: «أنا أقتل ابنك البكر».

ثالثا: موسى يشرع في القيام بمهمته.

عدد ٢٤ – ٣١

هنا يتوجه موسى للذهاب إلى مصر، وقد ذُكر بهذا الصدد:

أولا: كيف قابله الله بغضب (ع ٢٤– ٢٦). وهذه الفقرة عسرة الفهم إلى حد بعيد.

(١) كانت خطية موسى، هي إهماله ختان ابنه. ولعل ذلك جاء نتيجة زواجه غير المتكافئ بامرأة مديانية كانت تدلل ابنها وتتساهل معه أكثر من اللازم.

(٢) غضب الله على موسى، فالإهمال خطية. والله يعرف خطايا شعبه، ويغضب بسببها. وإذا كانوا يهملون واجبهم، عليهم أن يتوقعوا أن تذكرهم بها ضمائرهم، أو لعلهم يشعرون بها نتيجة ظروف أليمة تواجههم.

(٣) سرعة أداء الواجب الذي وبخهم الله الآن بسبب إهمالهم له. فقد كان يتوجب ختان ابنهما، وعلى ذلك، ونظرا للحالة الملحة التي فرضتها الظروف، قامت صفورة نفسها بهذه العملية.

(٤) إطلاق سراح موسى بعد أن تم ذلك: «فانفك عنه»، وأصبحت الأمور على ما يرام. غير أن صفورة لم تستطع نسيان الخوف الذي تملكها، ولعل موسى أعادهما ثانية إلى حميه نظرا لهذه الظروف.

ثانيا: كيف استقبله هارون بمحبة (ع ٢٧ و٢٨). لقد أرسل الله هارون للقائه، وأرشده إلى المكان الذي يجده فيه، وكان ذلك في البرية المقابلة لمديان. وقد «التقاه في جبل الله» وهو المكان الذي التقى فيه مع الله. وقد تعانقا كتعبير عن اتفاقهما القلبي للاشتراك في العمل الذي دُعيا إليه معا. وقد أخبر موسى أخاه بالمهمة التي كُلف بها (ع ٢٨).

ثالثا: كيف قابله شيوخ إسرائيل في إيمان وطاعة: وحين استهل موسى وهارون مهمتهما في مصر، لقيا استقبالا أفضل مما توقعا (ع ٢٩– ٣١). لقد «آمن الشعب» بحسب ما سبق وقاله الله (خر ٣: ١٨)، و «خروا وسجدوا».

الأصحاح الخامس

هنا يتعامل موسى وهارون مع فرعون، لكي يسمح لهما بالذهاب للعبادة في البرية.

أولا: التمسوا الذهاب باسم الله (ع ١)، ورد التماسهم بتحدٍ لله (ع ٢).

ثانيا: التمسوا الرحيل باسم إسرائيل (ع ٣)، فكانت إجابته على ذلك هي زيادة قمعهم وإذلالهم (ع ٤– ٩). وهذه الأوامر القاسية:

(١) نُفذت بواسطة مسخري الشعب (ع ١٠– ١٤).

(٢) اشتكوا منها إلى فرعون، ولكن بدون جدوى

(ع ١٥– ١٩).

(٣) اشتكى الشعب منها إلى موسى (ع ٢٠ و٢١)، ورفع موسى شكواهم إلى الله (ع ٢٢ و٢٣).

عدد ١ و٢

كان على موسى وهارون أن يتعاملا الآن مع فرعون:

أولا: كان طلبهم يتسم بجرأة مقدسة: «هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي» (ع ١). وقد طلب من موسى عند تعامله مع شيوخ إسرائيل أن يدعو الله «إله آبائهم»، غير أنه عند تعامله مع فرعون عليه أن يدعوه «إله إسرائيل»، وهذه أول مرة يُدعى الله بهذا الاسم في الكتاب المقدس: فقد سبق أن دُعي «إله إسرائيل»، كشخص (تك ٣٣: ٢٠)، أما هنا فهو «إله إسرائيل»، كشعب. وكانوا في مستهل تكوينهم كشعب حين دُعي الله «إلههم». بهذا الاسم العظيم قدموا رسالتهم القائلة: «أطلق شعبي».

ثانيا: كان رد فرعون يتسم بجرأة شريرة وعدم إيمان: «مَنْ هو الرب حتى أسمع لقوله» (ع ٢). فهو لن يتفاوض في هذا الأمر، بل ولن يسمح حتى بالخوض فيه. ونرى هنا كيف أنه تحدث باحتقار عن إله إسرائيل: «مَنْ هو الرب»، أنا لا أعرفه، ولا يهمني أمره في شيء، ولا أقدره ولا أخشاه. فالجهل واحتقار الله هو أساس الشر الذي في العالم. ونرى هنا الغطرسة التي تحدث بها عن نفسه: «حتى أسمع لقوله». وهل أنا، الذي أحكم شعب إسرائيل، أطيع إله إسرائيل؟ وهنا جوهر الخلاف: يجب أن يحكم الله، ولكن الإنسان لا يقبل حكمه.

عدد ٣– ٩

وإذ وجد موسى وهارون أن فرعون لا يَكِن أي توقير لله، حاولا أن يختبرا ما إذا كان يَكِن أي عطف نحو بني إسرائيل.

أولا: كان التماسهما بسيطا ومتواضعا (ع ٣). لم يشيرا بأي شكل إلى القسوة التي يُعامل بها الشعب. وما يطلبانه كان منطقيا جدا، ولا يعدو أن يكون سوى أجازة قصيرة «سفر ثلاثة أيام في البرية»، «ونذبح للرب إلهنا»، كما تفعل الشعوب الأخرى لآلهتها.

ثانيا: كان رفض فرعون لطلبهما أمرا وحشيا ولا منطق له (ع ٤– ٩).

(١) قال إن أفراد الشعب من الكسالى وعلى هذا يطلبون الذهاب لتقديم ذبيحة غير أن المدن التي بنوها لفرعون تشهد على أنهم ليسوا كذلك. وحقد الشيطان كثيرا ما يدفعه إلى تصوير أن خدمة الله وعبادته تُعد عملا مناسبا لأولئك الذين ليس لديهم عمل آخر يؤدونه.

(٢) ازدادت قراراته وحشية بعد ذلك:

أ. على موسى وهارون أن يذهبا إلى أثقالهما (ع ٤)، عليهما المشاركة في العبودية التي يرزح تحتها شعبهما.

ب. يجب عمل نفس حصة الطوب المعتادة، دون أن تُقدم لهم حصة التبن التي يخلطونها بالطمي، أو التي يُحرق الطوب بها.

عدد ١٠– ١٤

تم تنفيذ تعليمات فرعون، ولم يُقدم التبن، ومع ذلك لم تقِل كمية العمل.

(١) كان مسخرو العمل في غاية القسوة، إذ أصروا على ضرورة إنجاز الحصة اليومية، كما كان عليه الحال حين كان التبن يُقدم لهم (ع ١٣).

(٢) تطلب الأمر تفرق الشعب في جميع أنحاء أرض مصر لجمع القش (ع ١٢).

(٣) عُومل مدبرو بني إسرائيل بكل قسوة (ع ١٤). فيا لها من عبودية بشعة، ويا له من سبب يحملنا إلى أن نشكر الله لأننا شعب حر، وليس مستعبدا. فالحرية والملكية الشخصية تُعد جواهر نفيسة في عيون أولئك الذين تقع خدماتهم وممتلكاتهم تحت رحمة قوة مستبدة. ويا لها من خطوات غريبة تلك التي يتخذها الله أحيانا لخلاص شعبه، فأقصى انحسار للجزر يسبق أعلى حالات المد، والصباح الملبد بالغيوم ينبئ في العادة بنهار صحو (تث ٣٢: ٣٦).

عدد ١٥– ٢٣

كانت محنة قاسية تلك التي يواجهها مدبرو بني إسرائيل.

أولا: كيف كانت شكواهم إلى فرعون عادلة: «وصرخوا إلى فرعون قائلين» (ع ١٥): «وهوذا عبيدك مَضروبون وقد أخطأ شعبك»، أي مسخرو الشعب، الذين لم يقدموا لنا ما هو ضروري لتنفيذ عملنا. ولكن ما الذي جنوه نتيجة هذه الشكوى؟ لم يكن من نتيجتها إلا أن سارت الأمور من سيئ إلى أسوأ. لقد سخر منهم فرعون (ع ١٧)، ففي الوقت الذي كانوا فيه في أقصى حالات الإجهاد من العمل، إذا به يصفهم بأنهم كسالى. وإنه حسن لنا ألا يكون الناس قضاتنا، بل الله، الذي يعرف ما هي المبادئ التي نسير على هديها.

ثانيا: كيف أنهم بظلم اشتكوا من موسى وهارون: «ينظر الرب إليكما ويقضي» (ع ٢١). ولم يكن هذا عدلا. لقد قدم موسى وهارون دليلا كافيا على اهتمامهما القلبي بحرية شعب إسرائيل، ومع ذلك، ولأن الأمور لم تنجح في الحال فقد وبخوهما على أنهما متواطئان على إذلالهم. فماذا يفعل موسى إزاء هذه المحنة؟

(١) عاد إلى الرب (ع ٢٢) لكي يعرض عليه الأمر. وحين نجد أنفسنا في أي وقت مرتبكين ومتحيرين من جهة ما هو واجب علينا، هنا يتحتم أن نلجأ إلى الله بصلاة تتسم بالإيمان والحماسة. وإذا ما تراجعنا فليكن ذلك إليه، وليس لأية جهة أخرى.

(٢) وهنا يتساءل موسى:

أ. «يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟»

ب. «لماذا أرسلتني؟» وعلى هذا:

◄ فهو يشكو من عدم نجاحه: لقد ألحق فرعون الأذى بهذا الشعب ويبدو أنه لم تُتخذ خطوة واحدة في سبيل خلاصهم. أو

◄ أنه كان يسأل عن الخطوات الأخرى التي يتعين اتخاذها: «لماذا أرسلتني؟» أي ما الذي يجب عليَّ اتخاذه لمواصلة مهمتي؟

الأصحاح السادس

هذا الأصحاح يتضمن الآتي:

أولا: الله يُقنع موسى نفسه باستجابة على شكواه الواردة في ختام الأصحاح السابق (ع ١).

ثانيا: يعطيه تعليمات وافية بأكثر مما فعل حتى الآن بشأن ما يقوله لبني إسرائيل لإقناعهم (ع ٢– ٨)، ولكن دون جدوى (ع ٩).

ثالثا: أرسله ثانية إلى فرعون (ع ١٠ و١١). غير أن موسى اعترض على ذلك (ع ١٢)، الأمر الذي نجم عنه أن كُلف هو وأخوه بصورة حازمة بأن ينفذا مهمتهما دون إبطاء (ع ١٣).

رابعا: نجد هنا موجزا لسلسلة أنساب رأوبين وشمعون، لكي يقدما سبط لاوي، وذلك حتى يتم إيضاح شجرة أنساب موسى وهارون (ع ١٤– ٢٥)، ثم يُختتم الأصحاح بتكرار الكثير مما سبق ذكره في القصة السابقة، وبحسب ما تطلبه الأمر للتمهيد للأصحاح التالي.

عدد ١– ٩

أولا: أزال الله شكاوى موسى بأن أكد له النجاح في هذه المفاوضات، وكرر الوعد الذي سبق أن قطعه في خروج ٣: ٢٠ «وبعد ذلك يطلقكم». «فقال الرب لموسى»، وذلك لتهدئة مخاوفه: «الآن تنظر ما أنا أفعل بفرعون» (ع ١). «الآن أقوم يقول الرب» (مز ١٢: ٥) ويُلاحظ أنه كلما اشتدت محنة الإنسان أسرع الله بالعون والخلاص. ويتولى الله الأمر بنفسه. «فإنه بيد قوية»، أي إذ يُرغم فرعون على ذلك بيد قوية فإنه «يطلقهم».

ثانيا: أعطاه تعليمات أخرى، بأنه هو وشعب إسرائيل عليهم أن يتشجعوا وينتظروا نتيجة مجيدة لهذا الأمر. احصل على تعزية من الآتي:

(١) من اسم الله «يهوه» (ع ٢ و٣). فسوف يُعرف الله باسمه الذي هو «يهوه»، وهذا يعني أنه:

أ. الله الذي يفي بما وعد به.

ب. الله الذي يتمم ما بدأه. وفي تاريخ الخليقة، لم يُدع الله يهوه إلا بعد خلق السماوات والأرض (تك ٢: ٤). وحين يتم خلاص القديسين في الحياة الأبدية، فسوف يُعرف الله باسمه: «يهوه» (انظر رؤيا ٢٢: ١٣)، وفي الوقت الحالي فسوف يجدونه «الإله القادر على كل شيء»، الله الذي فيه كل الكفاية.

(٢) من عهده: «وأيضا أقمت معهم عهدي» (ع ٤). ونحن مستعدون للمخاطرة بكل شيء من أجل هذا العهد.

(٣) من عطفه (ع ٥): «وأنا أيضا قد سمعت

أنين بني إسرائيل».

(٤) ومن قراراته الراهنة (ع ٦– ٨): «وأنا أخرجكم... وأنقذكم... وأخلصكم... وأدخلكم إلى الأرض... وأعطيكم إياها».

(٥) ومن مقاصده الكريمة في كل هذا:

أ. يستهدف سعادتهم: «وأتخذكم لي شعبا».

ب. كما قصد مجده: «فتعلمون أني أنا الرب». غير أنه على الرغم من مواعيد الله (ع ٩) فإنهم «لم يسمعوا لموسى من صغر النفس». وإننا إذ نستسلم للسخط والقلق فإننا بذلك نحرم أنفسنا من الراحة والتعزية التي كان من الممكن أن نحصل عليها من كلمة الله ومن عنايته الإلهية. وإذا تغلب علينا القلق والهم فلا نلوم إلا أنفسنا.

عدد ١٠– ١٣

أولا: الله يرسل موسى للمرة الثانية إلى فرعون (ع ١١)، ولنفس المهمة التي أُرسل له بخصوصها في المرة السابقة. وهي أن يأمره «أن يطلق بني إسرائيل» وإلا ليتحمل عواقب رفضه.

ثانيا: موسى يعترض مستندا إلى:

(١) عدم احتمال أن يطيع فرعون الأمر: «هوذا بنو إسرائيل لم يسمعوا لي»، لم يعيروا كلامي انتباها ولم يصدقوه، فكيف لي أن أتوقع أن يسمعني فرعون. فإذا كان مَنْ يعلنون إيمانهم بالله لا يسمعون لرسله، فكيف يمكن أن يسمع لهم أعداؤه؟

(٢) استند إلى ضعفه وعدم استعداده للكلام: «أنا أغلف الشفتين». ورد الله على هذا الاعتراض بإجابة شافية، لأن كفاية نعمة الله يمكنها أن تعوض نقائص الطبيعة في أي وقت من الأوقات.

ثالثا: يضم الله هارون أيضا في مهمة موسى، ويضع حدا للجدال بفرض سلطانه، وتكليفهما معا بهذه المهمة العظيمة. وكان موسى نفسه في حاجة إلى هذا التكليف، وهكذا كان الحال أيضا بالنسبة لتيموثاوس (١تي ٦: ١٣؛ ٢تي ٤: ١).

عدد ١٤– ٣٠

أولا: تتضمن هذه الفقرة سلسلة أنساب، غير أنها ليست بلا نهاية كتلك التي يشجبها معلمنا بولس الرسول (١تي ١: ٤)، ذلك أنها تنتهي بهذين الرجلين العظيمين، موسى وهارون، وقد ذُكرت هنا لتبين أنهما إسرائيليان، وقد أُرسلا ليخلِّصا الذين هم عظم من عظامهم ولحم من لحمهم. وقد ذُكرت هنا أسماء رؤساء بيوت ثلاثة من الأسباط، وجاءت متفقة مع البيانات التي تضمنها الأصحاح السادس والأربعون من سفر التكوين. ولعل رأوبين وشمعون ولاوي قد أُولوا إكراما شخصيا هنا لأن أباهم وهو على فراش الموت تركهم تحت لعن وخزي، ولذلك أولاهم موسى هذا الشرف الخاص ليمجد رحمة الله التي تجلت عند توبتهم ومغفرتهم. ويبدو أن الاثنين الأولين ذُكرا بالأحرى من أجل الثالث، الذي هو لاوي، والذي من نسله جاء موسى وهارون، وجميع كهنة شعب الله. وجدير بالذكر:

(١) قهات، والذي أخذ منه موسى وهارون وجميع الكهنة سلسلة أنسابهم، كان ابنا أصغر للاوي (ع ١٦).

(٢) هارون تزوج أليشابع بنت عميناداب، وهو من رؤساء آباء سبط يهوذا، ذلك أن سبطي لاوي ويهوذا كانا يتزاوجان (ع ٢٣).

ثانيا: يعود موسى في نهاية الأصحاح إلى قصته، التي انقطع عنها على حين غرة (ع ١٣)، وهو هنا يكرر:

(١) المهمة التي كلَّفه بها الله بأن يُسلم رسالته لفرعون (ع ٢٩): «كلم فرعون... بكل ما أنا أكلمك به»، باعتبارك رسولا أمينا.

(٢) اعتراضه على هذه المهمة (ع ٣٠)، ويُلاحظ أن أولئك الذين يتحدثون بطيش وبغير روية مرة، عليهم أن يأسفوا كلما تذكروا ذلك، مثلما فعل موسى هنا على ما يبدو.

الأصحاح السابع

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: ينتهي الحوار بين الله وموسى، ويشرع موسى في تنفيذ مهمته إطاعةً لأمر الله (ع ١– ٧).

ثانيا: يبدأ الجدال بين موسى وفرعون، وتمثل ذلك في اختبار شهير للبراعة. ويطلب موسى من فرعون، باسم الله أن يطلق بني إسرائيل، ولكن فرعون يرفض ذلك. ويدور الصراع هنا بين قوة إله عظيم، وقوة ملك متغطرس.

(١) يؤكد موسى الطلب الذي تقدم به لفرعون بواسطة معجزة، إذ حوَّل عصاه إلى ثعبان، غير أن فرعون يقسي قلبه برغم ذلك (ع ٨– ١٣).

(٢) تأديب الله لعصيانه بواسطة ضربة، وهي أول العشر ضربات، حيث حول المياه إلى دم، غير أن فرعون شدد قلبه ضد هذا التأديب (ع ١٤– ٢٤).

عدد ١– ٧

أولا: الله يشجع موسى على الذهاب إلى فرعون.

(١) سربله الله بقوة وسلطان عظيمين (ع ١): «أنا جعلتك إلها لفرعون» أي جعلتك ممثلا لي في هذا الأمر، وقد سبق أن دُعي القضاة آلهة، لأنهم رُسل الله. وقد أُعطي السلطان بأن يتكلم ويتصرف باسم الله ونيابة عنه. وكان موسى على هذا إلها، غير أنه جُعل إلها، ولم يكن إلها بالطبيعة، فهو إله بالتكليف وحسب. كان إلها، ولكنه لم يكن كذلك سوى بالنسبة لفرعون فقط، فالإله الحي الحقيقي هو وحده إله العالم بأسره.

(٢) وللمرة الثانية يعين له مساعدا وهو أخوه هارون، الذي يُعرف بأنه متحدث لبق: «يكون نبيك». فأنت كإله ستوقع الضربة ثم تزيلها، أما هارون فكنبي عليه أن يبلغها ويهدد فرعون بها.

(٣) أخبره أن فرعون لن يسمع له، ومع ذلك فسوف يرضخ أخيرا. والمصريون الذين لا يعرفون الله، سوف يعرفونه.

ثانيا: شرع موسى وهارون يؤديان عملهما دونما أي اعتراض: «كما أمرهما الرب. هكذا فعلا» (ع ٦). وقد امتدح المرنم طاعتهما (مز ١٠٥: ٢٨): «ولم يعصوا كلامه»، ويقصد بذلك موسى وهارون اللذين ذكرهما في خروج ٦: ٢٦. وهكذا أيضا كان حال يونان، فعلى الرغم من أنه ماطل أولا، إلا أنه ذهب في النهاية إلى نينوى.

عدد ٨– ١٣

في المرة الأولى التي خاطب موسى فرعون، عرض تعليماته فقط، أما الآن فقط طُلب منه أن يعرض أوراق اعتماده، وقد فعل بحسب ما أُمر به.

(١) سوف يقول فرعون: «هاتيا عجيبة»، ولن يكون هدفه من ذلك أن يقتنع، بل على رجاء ألا يستطيعا أن يعملا أية معجزة.

(٢) ولذلك صدرت الأوامر أن يحول العصا إلى ثعبان وطبقا للتعليمات (خر ٤: ٣). طرح هارون عصاه على الأرض، وفي الحال صارت ثعبانا (ع ١٠). وكان هذا أمرا مناسبا، ليس للتأثير على فرعون بمعجزة فحسب، بل لإثارة الرعب فيه.

(٣) وهذه المعجزة، على الرغم من وضوحها التام الذي لا يمكن معه إنكارها إلا أنها وهنت وزال أثرها بتقليد السحرة لها (ع ١١ و١٢). سبق لموسى أن تهذب بتعليم المصريين، ودار الشك حوله من جهة إجادته فنون السحر، في عزلته الطويلة في مصر، وعلى ذلك تم استدعاء السحرة لمنافسته. فصارت عصيهم ثعابين. ويقول البعض إن ذلك تم بقوة الله ليتقسى قلب فرعون. ويظن آخرون أن ذلك جاء بقوة ملائكة أشرار. ويُلاحظ أن الله يسمح لروح الكذب بأن يأتي بأشياء غريبة حتى يختبر إيمان البعض فيتزكى (تث ١٣: ٣؛ ١كو ١١: ١٩). وكانت الغلبة لموسى في هذا الصراع، ذلك أن الثعبان الذي تحول من عصا هارون ابتلع الثعابين الأخرى، وكان هذا يكفي لإقناع فرعون أي منهم كان إلى جانب الصواب. غير أن فرعون لم يتأثر نتيجة ذلك. وإذ صارت عصي السحرة ثعابين، فقد استند فرعون إلى ذلك وقال بأن القضية بين الجانبين لا تزال محل جدال.

عدد ١٤– ٢٥

تتضمن هذه الفقرة أولى الضربات العشر، وهي تحويل الماء إلى دم، حيث كانت ضربة رهيبة ومحزنة للغاية. ذلك أن السمك كان يشكل طعاما (عد ١١: ٥)، غير أن تغيير الماء إلى دم كان من شأنه موت السمك، وكان هذا الأمر بمثابة وباء للسمك (ع ٢١): «ومات السمك». قتل الرب أسماكهم وحين صدر تهديد آخر بخراب مصر بعد ذلك بمدة طويلة، لُوحظ بصفة خاصة الإحباط الذي تملك أولئك الذين يقيمون مزارع أو بركا للسمك على النيل (إش

١٩: ١٠). وكانت هذه ضربة عادلة وكان المصريون يستحقونها، وذلك لأن النيل كان معبودهم، حيث كانوا يحصلون منه لأنفسهم ولأراضيهم على منافع كثيرة حتى إنهم عبدوه أكثر مما عبدوا الخالق. ولقد عاقبهم الله وحوَّل إلى دم ما سبق أن حولوه هم إلى إله. ويُلاحظ أن ذلك المخلوق الذي نعبده، يزيله الله من بيننا أو يجعله سبب مرارة لنا، والذي نجعله نحن منافسا له يحوِّله إلى سوط لنا. وكانت مصر تعتمد بشكل كبير على النيل (زك ١٤: ١٨)، وعلى ذلك فإن ضرب النيل كان يُعد تحذيرا لهم بدمار كل منتجات بلادهم، إلى أن بلغ الأمر أخيرا هلاك أبكارهم، وكان هذا النهر الأحمر، نذير شؤم بهلاك فرعون وكل جنوده في البحر الأحمر. ومن بين أول المعجزات التي عملها موسى تحويله الماء إلى دم، غير أن من أول المعجزات التي أجراها ربنا يسوع هي تحويل الماء إلى خمر، ذلك لأن الناموس بموسى أُعطي وكان تدبير موت وفزع، أما النعمة والحق، واللذان يشبهان الخمر من جهة إسعاد القلب، فبيسوع المسيح صارا.

أولا: أُمر موسى بأن ينذر فرعون بهذه الضربة. غير أن قلب فرعون كان غليظا (ع ١٤)، ولذلك اذهب لترى ما إذا كان ذلك سينجح في تغيير قلبه (ع ١٥). وقد طُلب من موسى أن يقابله على حافة النهر، حيث كان الله يعرف بأن سيحضر إلى هناك في الصباح ليقدم عبادته الصباحية للنهر. وهناك ينبغي أن يكون موسى مستعدا ليوجه له نداءات جديدة لكي يستسلم، وفي حالة الرفض عليه أن يخبره بالدينونة التي ستحل بنفس النهر الذي يقفون الآن على شواطئه. وهكذا وصل إنذارا بهذه الضربة مقدما، حتى لا تُتاح لهم أية فرصة للقول بأن ذلك كان محض صدفة، أو يفسر الأمر بأي سبب آخر، بل يتضح أن ذلك قد تم بقوة إله العبرانيين. فالله يُحذِّر قبل أن يجرح، لأنه «يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة» (٢ بط ٣: ٩).

ثانيا: أما هارون (الذي يحمل العصا) فقد طُلب منه أن يستدعي الوباء بأن يضرب النهر بعصاه (ع ١٩ و٢٠). ونرى هنا قدرة الله العظيمة. فكل مخلوق يكون لنا على النحو الذي جعله الله لنا، سواء كان ماء أم دما، لنلاحظ سمة التغيير التي يتصف بها كل شيء تحت الشمس، والتغييرات التي نلحظها فيه. فالنهر في أفضل حالاته ما هو إلا ضيف عابر، غير أن العدالة الإلهية يمكنها أن تجعله وعلى نحو من السرعة شيئا خبيثا ضارا. ونرى هنا الأذى البالغ الذي تحدثه الخطية. وإذا ما رأينا أن الأشياء التي كانت سبب راحتنا قد تحولت لتكون نكبات علينا، فعلينا ألا نلوم سوى أنفسنا، فالخطية هي التي تحول مياهنا إلى دم.

ثالثا: حاول فرعون أن يواجه المعجزة، لأنه لم يرد أن يذل نفسه تحت وطأة البلاء. استدعى سحرة، وبسماح من الله قلدوا المعجزة بسحرهم (ع ٢٢)، وهذا ما أتاح لفرعون عذرا بألا يلين قلبه إلى هذا أيضا (ع ٢٣)، وكم كان عذرا يدعو إلى الرثاء. فلو كان بوسعهم أن يحولوا نهر الدم إلى ماء ثانية، لكان لفرعون عذر يستند إليه، ولكانوا أثبتوا قوتهم، ولكانوا قد طوقوا عنق فرعون بجميلهم.

رابعا: كان المصريون في ذات الوقت يبحثون عن مهرب من الوباء، ومن ثَمَّ حفروا حول النهر بحثا عن ماء ليشربوا (ع ٢٤). ولعلهم وجدوا بعض الماء بعد جهد بالغ، ذلك أن الله يتذكر رحمته في وسط الغضب، لأنه الحنان كله، ولن يسمح للرعايا بأن يعانوا كثيرا نتيجة عناد ملكهم.

خامسا: استمر الوباء سبعة أيام (ع ٢٥) وطوال هذا الوقت كله فإن قلبه المتغطرس لم يسمح له أن يطلب من موسى أن يتشفع من أجل رفع هذه البلية.

الأصحاح الثامن

تضمن هذا الأصحاح ثلاث ضربات أخري لمصر:

أولا: ضربة الضفادع التي:

(١) تم التهديد بها (ع ١– ٤).

(٢) ثم نُفذت (ع ٥ و٦).

(٣) قلدها السحرة (ع ٧).

(٤) تم إزالتها بناء على تذلل فرعون وطلبه (ع ٨– ١٤)، والذي مع ذلك اشتد قلبه على الرغم من الوعد الذي قطعه أثناء الضربة (ع ٨)، ورفض أن يطلق إسرائيل (ع ١٥).

ثانيا: ضربة البعوض (ع ١٦ و١٧)

(١) والتي بواسطتها، أُسقط في يد السحرة (ع ١٨ و١٩)، ومع ذلك.

(٢) تصلب قلب فرعون (ع ١٩).

ثالثا: ضربة الذباب.

(١) تحذير فرعون قبل وقوعها (ع ٢٠ و٢١)، وأُخبر بأن أرض جاسان مستثناة من هذه الضربة (ع ٢٢ و٢٣).

(٢) تمت الضربة (ع ٢٤).

(٣) فرعون يتفاوض مع موسى في موضوع إطلاق إسرائيل، ويذلل نفسه (ع ٢٥– ٢٩).

(٤) هنا أُزيلت الضربة (ع ٣١)، ولكن غلظ قلب فرعون مرة أخرى (ع ٣٢).

عدد ١– ١٥

هنا، تم تهديد فرعون بضربة الضفادع، وبعد ذلك نُفذ التهديد، وهكذا الحال أيضا، بالنسبة لما حدث بعد ذلك من ضربتي البعوض والذباب، فالضفادع، وهي حيوانات صغيرة حقيرة، ومع ذلك ألحقت بالمصريين ضربات قاسية بأعدادها الهائلة. والبعض يقولون إن قدرة الله ظهرت في خلقه بعوضة بقدر ما ظهرت في خلقه فيلا، وهكذا الحال أيضا في العناية الإلهية التي تحقق مقاصده سواء كان ذلك بواسطة أقل المخلوقات أو أقواها لأنه هو الذي يعطي لكلا النوعين فاعليتهما، وكان يبغي بذلك إذلال فرعون لغطرسته وتأديبه لوقاحته. ولابد أن هذا الملك المتكبر قد شعر بإذلال شديد إذ يرى نفسه وقد ركع على ركبتيه واضُطر إلى الخضوع بواسطة هذه الوسائل الحقيرة. وبالنسبة لضربة الضفادع، يتعيَّن علينا أن نلاحظ الآتي:

أولا: كيف تم التهديد بها: أُمر موسى أن يحذر فرعون بأنه ثَمة ضربة أخرى ستحيق به إذا ما واصل عناده. ونلاحظ أن الله لا يعاقب الناس على الخطية إلا إذا أصروا على التمسك بها. وجاء التهديد بأنه في حالة الرفض ستكون الضربة رهيبة واسعة النطاق.

ثانيا: كيف تمت: حيث أن فرعون لم يكن بأي حال مستعدا لأن يرضخ للنداءات التي وُجهت له، فقد أُمر هارون أن يعطي إشارة المعركة. وقامت جحافل من الضفادع بغزو الأرض، ولم يستطع المصريون إيقاف زحفها. (قارن هذه بنبوة جيوش الجراد الواردة في يوئيل ٢: ٢– ١٠، وانظر إشعياء ٣٤: ١٦ و١٧).

ثالثا: كيف سُمح للسحرة أن يقلدوها (ع ٧). فقد أحضروا ضفادع أيضا، غير أنهم لم يستطيعوا إبعاد تلك التي ضربهم الله بها. لجأ السحرة إلى الخداع، لكن الله قصد هلاك أولئك الذين ارتضوا أن يُخدعوا.

رابعا: كيف استجاب فرعون على إثر هذه الضربة، وكانت أول مرة يفعل فيها ذلك (ع ٨). وقد ترجى موسى أن يصلي من أجل رفع الضفادع ووعد بأنه سيطلق الشعب.

خامسا: كيف حدد موسى الوقت بالاتفاق مع فرعون، ثم توسل إلى الله بالصلاة من أجل إزالة الضفادع. وقد حدد فرعون الميعاد بأنه «غدا» (ع ١٠). واستجابة لصلاة موسى فإن الضفادع التي صعدت في يوم هلكت اليوم التالي أي إنها بقيت يوما واحدا.

سادسا: ماذا كانت نتيجة هذه الضربة (ع ١٥): «فلما رأى فرعون أنه حصل الفرج»، ودون أن يفكر فيما ألمَّ به أخيرا، أو الأسباب التي تدعوه إلى الخوف لو رجع عن وعده فإنه «أغلظ قلبه». ومما تجدر ملاحظته:

(١) إلى أن يتجدد القلب بنعمة الله، فإن التأثيرات الناجمة عن قوة البلية، سرعان ما تزول وتبلى القناعات، وتُنسى الوعود التي انتُزعت.

(٢) ومما يُؤسف له أن الخطاة غير التائبين يسيئون استغلال صبر الله وطول أناته. فهو بكرمه يعطيهم هدنة ليتيح فرصة لتحقيق السلام. ولكنهم يستغلون هذه الفرصة لجمع شتات قوات الخطية التي في عنادهم استمرأوها (انظر مزمور ٧٨: ٣٤– ٦٤؛ جا ٨: ١١).

عدد ١٦– ١٩

نجد هنا قصة موجزة عن ضربة البعوض.

أولا: كيف ضُرب المصريون بالبعوض (ع ١٦ و١٧): خرجت الضفادع من الماء، أما البعوض فمن «تراب الأرض». لقد انتهى الويل الثاني، غير أن الويل الثالث جاء بأقصى سرعة.

ثانيا: كيف فشل السحرة حيالها (ع ١٨): حاولوا أن يحاكوا موسى، غير أنهم لم يستطيعوا، الأمر الذي حملهم على الاعتراف بهزيمتهم، وقالوا: «هذا إصبع الله» (ع ١٩). فإن عاجلا أم آجلا، سوف ينتزع الله –حتى من أعدائه– اعترافا بسيادته وبقوته الغالبة. فمن المؤكد أنهم جميعا سيُهزمون في النهاية، وكما قال يوليانوس الجاحد، في اعترافه الذي أدلى به وهو في النزع الأخير: «لقد غلبتني أيها الجليلي». ولن يكون الله صارما في مواجهة كل المعاندين فحسب، بل سيجبرهم على الاعتراف بقوته.

ثالثا: كيف أن فرعون، على الرغم من هذا ازداد تصلبا (ع ١٩). ويُلاحظ أن الذين لا ينصلح حالهم بكلمة الله وعنايته الإلهية تراهم في العادة ينحدرون بهما إلى الأسوأ.

عدد ٢٠– ٣٢

تتضمن هذه الفقرة ضربة الذباب.

أولا: كيف تم التهديد بها على غرار ما حدث بالنسبة لضربة الضفادع، وذلك قبل وقوعها. فقد طُلب من موسى (ع ٢٠) أن يبكر في الصباح لكي يقابل فرعون حين يحضر إلى الماء. عليه أن يقف «أمام فرعون» المتغطرس كعادته، ويخبره بما يُعد أمرا مهينا للغاية، وهو أن يتحداه (إذا ما رفض إطلاق مسبييه) بأنه سيحاربه بجيش من الذباب، الذي سوف يطيع أوامر الله إذا لم يُطِعها فرعون.

ثانيا: كيف سيتم التفريق بشكل عجيب بين المصريين والعبرانيين بالنسبة لهذه الضربة (ع ٢٢ و٢٣). ويجب أن يُحمل فرعون على معرفة «أني أنا الرب في الأرض»، وهو بهذه الضربة سيعرف ذلك دون أي جدال. ونلاحظ هنا كيف كرر القول: «وأجعل فرقا بين شعبي وشعبك» (ع ٢٣). فالله يعرف الذين هم له، وسوف يُظهر أنه أفرزهم لنفسه ربما في هذا العالم وبالتأكيد في العالم الآخر. وسيأتي يوم «فتعودون وتميزون بين الصديق والشرير» (ملا ٣: ١٨)، وبين الخراف والجداء (مت ٢٥: ٣٢؛ حز ٣٤: ١٧)، على الرغم من أنهم مختلطون الآن.

ثالثا: كيف تمت الضربة في اليوم التالي للتهديد بها: «فدخلت ذبان كثيرة» (ع ٢٤).

رابعا: كيف أن فرعون –بعد هذه الضربة– عقد معاهدة مع موسى وهارون بشأن تسليم الشعب المستعبد، غير أنه يجب ملاحظة بأي مقاومة أبدى استسلامه:

(١) اقتنع بأنه يجب أن يذبحوا لله، ولكنه اشترط أن يتم ذلك في أرض مصر (ع ٢٥). ولكن موسى رفض هذا التنازل، قائلا: إنه لا يستطيع أن يفعل هذا (ع ٢٦). وأصرَّ قائلا: «نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية» (ع ٢٧). والذين يريدون تقديم ذبيحة مقبولة لدى الله عليهم الانسحاب بعيدا عن صخب العالم. ولا يستطيع بنو إسرائيل أن يقيموا وليمة الرب بين أتون الآجر أو أواني الطهي في مصر. وعلى الرغم من أنهم كانوا في أقسى درجات العبودية لفرعون، إلا أنه فيما يتعلق بعبادة الله، فإنهم راعوا إطاعة وصاياه، وليس وصايا فرعون.

(٢) حين رفض هذا الاقتراح، وافق على ذهابهم إلى البرية شريطة ألا يذهبوا «بعيدا». ونرى هنا صراعا بين اقتناع فرعون ومفاسده، فقناعته الداخلية كانت تحثه على تركهم يذهبون، ولكن مفاسده تقول: بشرط ألا يكون ذلك بعيدا، غير أنه انحاز لمفاسده ضد قناعاته، وكان في هذا هلاكه. وقد وافق موسى على قبول هذا الاقتراح إلى حد أنه وعد بإزالة الوباء نتيجة لذلك (ع ٢٩). وكان من شأن ذلك أن الله أزاح الوباء (ع ٣٠ و٣١)، غير أن فرعون رجع بغدر إلى قساوة قلبه «فلم يطلق الشعب» (ع ٣٢). ذلك أن غطرسته لم تسمح له أن يتخلى عن زهرة تاجه الممثلة في سيادته على بني إسرائيل، فضلا عن أن جشعه لم يكن ليسمح له أن يتخلى عن أحد مصادر دخله المتمثل في نتاج عملهم بالسخرة.

الأصحاح التاسع

يتضمن هذا الأصحاح قصة ثلاث ضربات أخري ضرب الله بها مصر:

أولا: وباء أهلك المواشي (ع ١– ٧).

ثانيا: دمامل على الناس والبهائم (ع ٨– ١٢).

ثالثا: بَرَد برعد ونار

(١) تحذير بهذا الوباء (ع ١٣– ٢١).

(٢) حدوث الضربة الأمر الذي نجم عنه رعب عظيم (ع ٢٢- ٢٦).

(٣) نتيجة فزع فرعون جدد معاهدته مع موسى، غير أنه سرعان ما كسر وعده (ع ٢٧- ٣٥).

عدد ١- ٧

أولا: تحذير بضربة أخرى تصيب المواشي:

(١) «أطلق شعبي» (ع ١). إنهم شعبي، ومن ثَمَّ دعهم يذهبون.

(٢) وصف الضربة التي ستأتي إذا ما رفض ذلك (ع ٢ و٣): «فها يد الرب تكون على مواشيك»، وسوف يموت الكثير منها بضربة تشبه الطاعون. «غدا يفعل الرب هذا الأمر». نحن لا نعرف ما يأتي به الغد، وعلى ذلك ليس لنا أن نقول ما الذي سنفعله غدا، ولكن الأمر ليس هكذا مع الرب.

ثانيا: وقوع الضربة نفسها: نفقت المواشي (ع ٦). قام المصريون بعد ذلك بعبادة مواشيهم، وقد تعلم بنو إسرائيل ذلك منهم وعملوا عجلا ذهبيا، وعلى ذلك كانت الضربة التي أُشير إليها هنا مناسبة تماما.

ثالثا: التمييز بين مواشي المصريين ومواشي إسرائيل طبقا لكلمة الله: «وأما مواشي بني إسرائيل فلم يمت منها واحد» (ع ٦ و٧).

عدد ٨- ١٢

بخصوص ضربة الدمامل والبثور:

أولا: حين لم يتأثروا بموت مواشيهم، أرسل الله عليهم وباء أمسك بأجسامهم، فضربهم في الصميم. وإذ كانت الدينونات الأقل شدة لم تُجْدِ نفعا، فإن الله سيرسل الأقسى.

ثانيا: العلامة التي جُلب بها هذا الوباء. والله أحيانا يبين للناس خطيتهم من خلال عقابهم: لقد أذلوا إسرائيل في أتون الآجر، والآن تحول رماد الآتون ليصير لهم رعبا كما كان مسخرو الشعب بالنسبة لبني إسرائيل.

ثالثا: الضربة نفسها كانت أليمة- فهذا الطفح الجلدي الملتهب كان يماثل قروح أيوب. وقد سُمي بعد ذلك «قرحة مصر». (تث ٢٨: ٢٧).

رابعا: أصابت هذه القروح السحرة أنفسهم (ع ١١). وهكذا تمت معاقبتهم بسبب مساهمتهم في تقسي قلب فرعون. وسوف يعاقب الله بشدة أولئك الذين يقوون أيدي الأشرار في شرورهم.

خامسا: واصل فرعون عناده، فقد «شدد الرب» قلبه (ع ١٢). سبق لفرعون أن قسى قلبه وقاوم نعمة الله، أما الآن فقد أسلمه الله لشهوات قلبه الرديئة.

عدد ١٣- ٢١

أولا: إعلان عام عن غضب الله على فرعون لعناده. فعلى الرغم من أن الله شدد قلبه (ع ١٢)، إلا أنه على موسى أن يجدد تحذيره له. وهكذا أيضا يظهر الله طول أناته، وكيف أنه يتمهل برحمته على شعب عنيد مقاوم. ورغم أن طلب موسى رُفض ست مرات، إلا أن عليه أن يتقدم بطلبه لسابع مرة: «أطلق شعبي» (ع ١٣). وقد أُمر موسى هنا بأن يبلغه برسالة رهيبة جدا، سواء أطاع أم عصى. سوف «أرسل جميع ضرباتي إلى قلبك»، وليس فقط ضربات زمنية على جسمك، بل ضربات روحية على نفسك. عليه أن يخبره بأنه سيظل في التاريخ شهادة على عدل الله وعلى شدة غضبه (ع ١٦): «لأجل هذا أقمتك» على العرش هذه المرة، وقد أعطيتك أن تصمد أمام شدة الضربات حتى الآن «لكي أريك قوتي». وكل شيء وقع لكي يبرز حقيقة اسم الله (سيادته التي يتفرد بها، قوته التي لا تُقاوم، وعدله الذي لا يلين) يجب أن يُعلن في جميع أرجاء الأرض، ليس لكل الأمكنة فحسب، بل وعبر كل الأجيال طالما بقيت الأرض. كان فرعون ملكا عظيما، وكان شعب الله في أفضل حالاتهم رعاة غنم فقراء، وهم الآن عبيد مساكين، ومع ذلك سوف يهلك فرعون إذا تكبر وطغى عليهم لأنه في هذه الحالة يكون قد تحدى الله.

ثانيا: نبوءة خاصة عن البَرَد (ع ١٨)، وتحذير كريم لفرعون وشعبه بأن يعودوا بعبيدهم ومواشيهم من الحقول لحمايتهم من البرد (ع ١٩). ونرى هنا مدى عناية الله ليس من ناحية التمييز بين المصريين والإسرائيليين فحسب، بل بين بعض المصريين

والبعض الآخر. ذلك أن البعض منهم كانوا يخافون «كلمة الرب»، وعلى ذلك هربوا بعبيدهم ومواشيهم إلى البيوت (ع ٢٠)، وذلك على غرار ما فعله نوح (عب ١١: ٧)، وهكذا تصرفوا بحكمة. فحتى بين عبيد فرعون كان هناك مَنْ يخشون كلمة الله.

عدد ٢٢- ٣٥

استُدعيت هنا ضربة البرد السابق التهديد بها.

أولا: الخراب العظيم الذي أحدثته على الأرض. فقد قتلت الناس والبهائم، كما ضربت ليس عشب الحقل فحسب، بل والأشجار أيضا (ع ٢٥). فالحنطة التي كانت على سطح الأرض قد دُمرت، ولم تنج سوى تلك التي لم تكن قد ظهرت بعد (ع ٣١ و٣٢). وقد ذُكر هنا أنه قد حُفظت أرض جاسان من كل أذى (ع ٢٦).

ثانيا: الذعر الذي تملك فرعون. تذلل لموسى بلغة التوبة (ع ٢٧ و٢٨). وأدان نفسه وشعبه: «أنا وشعبي الأشرار» ونستحق ما لحق بنا. والتمس من موسى أن يصلي من أجلهم: «صليا إلى الرب» حتى يزيل هذا الوباء العظيم... وأخيرا، وعد بإطلاق سراح مسبييه: «فأطلقكم». وهنا أصبح موسى شفيعا له عند الله. وعلى الرغم من أنه كان لديه كل المبررات التي تحمله على الاعتقاد بأنه سرعان ما سوف يرجع عن توبته، بل وأخبره بذلك فعلا (ع ٣٠)، إلا أنه مع ذلك وعده بأن يكون حليفه في البلاط السماوي. ومن هنا نتعلم أنه حتى بالنسبة لأولئك الذين لا يرجى منهم خيرا، فإنه من واجبنا أن نواصل الصلاة من أجلهم، ونستمر في إسداء النصح لهم (١صم ١٢: ٢٣). أما بخصوص المكان الذي اختاره موسى لشفاعته، فقد كان «عند خروجي من المدينة». لأن السلام مع الله يحمي الإنسان من الرعد، ذلك أن الرعد هو صوت أبيهم. ونجحت صلاته:

(١) نجح مع الله (ع ٣٣)، ولكنه:

(٢) لم يستطع النجاح مع فرعون: ذلك أنه «عاد يخطئ وأغلظ قلبه هو وعبيده» (ع ٣٤ و٣٥). ولا يجب أن يُعوَّل كثيرا على الاعترافات التي تأتي تحت وطأة الألم الشديد.

الأصحاح العاشر

تضمن هذا الأصحاح الضربتين الثامنة والتاسعة، وهما ضربتا الجراد والظلام:

أولا: فيما يختص بضربة الجراد:

(١) الله يعلم موسى مغزى هذه التدبيرات الإلهية (ع ١ و٢).

(٢) التهديد بضربة الجراد (ع ٣- ٦).

(٣) بناء على إقناع عبيده، أبدى فرعون رغبته في التفاوض ثانية مع موسى (ع ٧- ٩)، ولكنهما لم يتوصلا إلى اتفاق (ع ١٠ و١١).

(٤) مجيء الجراد (ع ١٢- ١٥).

(٥) فرعون يصرخ لقد أخطأت (ع ١٦ و١٧)، وعلى هذا صلى موسى من أجل رفع هذه الضربة، وقد رُفعت فعلا، ولكن قلب فرعون لا يزال في تشدده (ع ١٨- ٢٠).

ثانيا: بخصوص ضربة الظلام،

(١) تمت الضربة (ع ٢١- ٢٣).

(٢) عودة فرعون للتفاوض مع موسى من أجل إطلاق أسره، غير أن المفاوضات انقطعت في غضب (ع ٢٤- ٢٩).

عدد ١- ١١

أولا: الله يُعرف موسى مغزى الضربات. ذلك أنها تُعد شاهدا بارزا على عظمة الله، وسعادة الجماعة، وبشاعة الخطية، وتُعد دليلا باقيا لبني الإنسان في كل آن بألا يحاولوا إثارة غيرة الرب وألا يختلفوا مع خالقهم.

ثانيا: توبيخ فرعون: «هكذا يقول الرب إله العبرانيين (المحتقرين المضطهدين) إلى متى تأبى أن تخضع لي؟» (ع ٣) والذين لا يذللون أنفسهم سيذلهم الله.

ثالثا: تم التهديد بضربة الجراد (ع ٤- ٦). كان البَرَد قد حطم جميع ثمار الأرض، غير أن هذا الجراد سوف يأتي على ما تبقى منها ويلتهمها. وبعد أن أبلغ موسى هذه الرسالة، ولم يكن يتوقع أي رد أفضل مما تلقاه في السابق، فمن ثَمَّ «تحول وخرج من لدن فرعون» (ع ٦). وهكذا طلب يسوع من تلاميذه أن

يتحولوا عن كل الذين لا يقبلونهم، وطلب منهم قائلا: «انفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم».

رابعا: تدخل وزراء فرعون، أو مستشاروه، لكي يقنعوه بأن يحاول الاتفاق مع موسى (ع ٧). أصبح الإسرائيليون عبئا ثقيلا على المصريين وفي آخر المطاف، أراد أمراء مصر أن يتخلصوا منهم (زك ١٢: ٣).

خامسا: عند هذه النقطة وُضعت معاهدة جديدة بين فرعون وموسى، يوافق فرعون بمقتضاها على أن يذهب بنو إسرائيل لتقديم ذبيحتهم في البرية، غير أن نقطة الخلاف تركزت حول تحديد مَنْ هم الذين يذهبون (ع ٨)؟

(١) أصر موسى على أن يأخذوا معهم كل عائلاتهم وكل مقتنياتهم (ع ٩).

(٢) لم يوافق فرعون على هذا بأي حال من الأحوال، كان مستعدا لأن يسمح بذهاب الرجال، مدَّعيا بأن هذا هو كل ما يرغبونه، على الرغم من أن هذه النقطة لم تتعرض لها أي من المعاهدات السابقة، غير أنه أصر على الاحتفاظ بالنساء والأطفال كرهائن حتى يجبرهم على العودة (ع ١٠ و١١).

(٣) عند هذه النقطة توقفت المفاوضات بغتة.

عدد ١٢ - ٢٠

أولا: غزو الجراد للأرض- عسكر الله الكثير (يوئيل ٢: ١١). وقد أطاع الجراد النداء وطار على أجنحة الريح، الريح الشرقية، وجاء الجراد «غوغاء بلا عدد» كما ذُكر في مزمور ١٠٥: ٣٤ و٣٥. وكان يمكن مواجهة جيش رهيب من الخيل والمشاة بسهولة أكثر من مواجهة هذا الجيش الذي قوامه الحشرات.

ثانيا: الخراب الذي أحدثوه فيها (ع ١٥): «وغطى وجه كل الأرض... وأكل جميع عشب الأرض وجميع ثمر الشجر الذي تركه البَرَد». ومع ذلك، فإنه حين يشاء الله، فإن هذه الحشرات الحقيرة لن تشارك الإنسان في قوته فحسب، بل ستسلبه وتأكل خبزه من فمه أيضا.

ثالثا: اعتراف فرعون عند هذه النقطة (ع ١٦ و١٧).

(١) اعتراف فرعون بخطئه: «أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما». أدرك الآن حماقته في استهانته بالله ورسله والإهانات التي وجهها لهم، ويبدو أنه تاب عنها أخيرا.

(٢) التمس الغفران، ليس من الله، كما يفعل أولئك الذين يتوبون، بل من موسى.

(٣) توسل إلى موسى وهارون لكي يصليا من أجله. وقد طلب صلاتهما من أجل أن يُرفع عنه هذا الموت فقط، وليس لكي تُرفع عنه خطيته، استنكر ضربة الجراد، وليس ضربة القلب المتصلب التي كانت مع ذلك أشد خطورة.

رابعا: إزالة الحكم، بعد صلاة موسى (ع ١٨ و١٩)، وكان هذا:

(١) كمثال عظيم على قدرة الله كالدينونة نفسها. وقد جلبت الجراد ريح شرقية، والآن أبعدته ريح غربية. ويُلاحظ أنه أينما كان اتجاه الريح، فهي تحقق كلمة الله، وتغير اتجاهاتها حسب مشورته.

(٢) كان دليلاً على سلطان موسى، وتصديقًا على صلاحيات مكانته.

(٣) كان هذا يمثل أيضا حجة قوية تدعوهم إلى التوبة بنفس قوة الدينونة ذاتها، لأنه تبين من هذا أن الله مستعد أن يغفر، وأنه يسرع في إظهار رحمته.

خامسا: عودة فرعون إلى قراره الشرير بألا يطلق الشعب (ع ٢٠).

عدد ٢١ - ٢٩

أولا: ضربة الظلام، ويجب أن نلاحظ بصفة خاصة الآتي بشأن هذه الضربة.

(١) كان الظلام تاما.. «لم يبصر أحد أخاه». والجحيم هو ظلام تام. «ونور سراج لن يضيء فيك في ما بعد» (رؤ ١٨: ٢٣).

(٢) كان الظلام شديدا، لدرجة أنه كان من الممكن أن «يُلمس الظلام» (ع ٢١).

(٣) لا ريب في أن هذا أدهشهم وأدخل الرعب على قلوبهم. ويقول التقليد اليهودي إنهم في هذا الظلام كانوا يلاقون الرعب بظهور الأرواح الشريرة، أو بالأحرى نتيجة أصوات رهيبة كانت تصدر عنهم، أو نتيجة الرعب

الناجم عن ضمائرهم (وهذا ليس أقل رعبا).

(٤) استمر «ثلاثة أيام». والظلام الروحي ما هو إلا عبودية روحية. ففيما يقيد الشيطان عيون الناس حتى لا يبصرون، فإنه يقيد أيديهم وأرجلهم. لكي يمنعهم من العمل لله، أو أن يتحركوا نحو السماء. لقد جلسوا في «ظلام دامس». ولم يكن ثَمة عقل مظلم مثل عقل فرعون، ولم يسبق أن رأينا جوا مظلما مثلما كان عليه الحال في مصر في ذلك الحين. كان المصريون يريدون بقسوتهم أن يطفئوا سراج إسرائيل، ويخمدوا جمرتهم، ولذلك كان عدلا أن يطفئ الله أنوارهم.

ثانيا: نجد هنا الانطباع الذي خلفته هذه الضربة في فرعون:

(١) حرَّكته إلى حد أنه جدد المعاهدة مع موسى وهارون، ووافق الآن على أن يأخذوا معهم أولادهم، شريطة أن يتركوا مواشيهم فقط كرهينة (ع ٢٤) لحين عودتهم. ولكن موسى صمم على ألا يخفف من شروطه، ولذلك قال: «فتذهب مواشينا أيضا معنا» (ع ٢٦). ولقد قدم موسى سببا قويا لأخذهم المواشي معهم: عليهم الذهاب ليذبحوا، ومن ثَمَّ يتعين أن يأخذوا معهم ما يلزم لذلك.

(٢) ومع ذلك فقد اغتاظ للغاية حتى أنه فض الاجتماع فورا وعلى حين غرة. وصرف موسى في غضب، وحرم عليه العودة إلى البلاط ثانية وإلا سيكون جزاؤه الموت. ولقد وافقه موسى على ما ذهب إليه (ع ٢٩): «أنا لا أعود أرى وجهك أيضا»، ولذلك لم يتوجه موسى ثانية إلى البلاط بعد هذا الاجتماع إلا حين تم استدعاؤه.

الأصحاح الحادي عشر

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: التعليمات التي أعطاها الله لموسى، والتي يتحتم عليه الآن اتباعها (ع ١ و٢)، هذا إلى جانب التقدير الذي أصبح المصريون يكنونه لإسرائيل وموسى (ع ٣).

ثانيا: آخر رسالة أبلغها موسى لفرعون وتتعلق بموت أبكار المصريين (ع ٤– ٨).

ثالثا: تكرار النبوءة بأن فرعون سيشدد قلبه (ع ٩)، وأثبتت الأحداث صحة ذلك (ع ١٠).

عدد ١– ٣

أولا: إحسان الله وعطفه نحو موسى وإسرائيل: كان موسى يتوق أن يرى نهاية لهذا العمل البغيض، فيرى مصر وقد تخلصت من النكبات، وبني إسرائيل وقد تخلصوا من الطغيان. كان بنو إسرائيل محبوبين للسماء. وكان هذا الوقت هو آخر عهدهم بحياة العبودية والقهر، حيث كانوا على وشك أن يغادروا مصر. وكان أسيادهم الذين استغلوهم في أعمالهم يريدون حرمانهم من أجورهم وإرسالهم فارغين. وعلى الرغم من أن بني إسرائيل كانوا في صبرهم على استعداد لخسارة أجورهم، إلا أن الله لم يكن ليرضى أن يخرجوا بدونها.

ثانيا: الاستحسان الذي ناله موسى وبنو إسرائيل في عيون المصريين (ع ٣).

(١) حتى الشعب الذي كان موضع كراهية واحتقار أصبح الآن محل احترام.

(٢) «وأيضا الرجل موسى كان عظيما جدا». وكيف يمكن أن يكون الأمر غير ذلك ماداموا قد رأوا القوة الحالَّة فيه، والعجائب التي أُجريت على يده؟ وهكذا كان الحال بالنسبة للرسل، على الرغم من أنهم كانوا محتقرين، إلا أن الشعب بدأ يعظمهم (أع ٥: ١٣) والذين يكرمون الله لابد وأن يكرمهم الله. وعلى الرغم من أن فرعون كان يكره موسى، إلا أنه كان هناك من عبيد فرعون مَنْ يبجلونه. وهكذا كان الحال أيضا في بيت قيصر، فحتى بين حاشية نيرون كان هناك مَنْ يقدرون الرسول بولس المبارك (في ٤: ٢٢).

عدد ٤– ١٠

حُذر فرعون هنا من الضربة الأخيرة القاضية، والتي كان مزمعا أن تحل به الآن، وكانت تتمثل في أنه «يموت كل بكر» في أرض مصر في الحال، الأمر الذي سبق التهديد به (خر ٤: ٢٣) «أنا أقتل ابنك البكر» غير أنه نُفذ أخيرا. ولو كان موت مواشيهم قد أدى إلى إذلالهم وإصلاحهم، لما كانت هناك حاجة لموت أبكارهم. وقد وُصف مدى هذه الضربة في آية ٥.

والأمير الذي كان مقدرا له أن يعتلي العرش لم يكن أعلى من أن تصيبه هذه الضربة، وهكذا أيضا العبيد العاملون في المعصرة لم يكونوا أدنى من أن يُؤخَذوا بها. وقيل إنه بعد أن سلم موسى رسالته «خرج من لدن فرعون في حمو الغضب»، مع أنه كان «حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض». ولعله كان قد توقع أن مجرد التهديد بموت الأبكار كان من شأنه أن يحمل فرعون على الاستجابة- غير أن النتيجة لم تكن هكذا، ذلك أن قلبه المتعالي لم يكن ليطاوعه على التنازل، بل ولا حتى من أجل إنقاذ أبكار مملكته، وهذا هو ما أثار غضب موسى (كما حدث بالنسبة لمخلصنا بعد ذلك) نتيجة غلاظة قلب فرعون (انظر مرقس ٣: ٥). ويُلاحظ أنه مما يثير غضب نفوس الخدام الأمناء بدرجة كبيرة أن يروا الناس وقد سدوا آذانهم عن سماع التحذيرات التي توجَه لهم، ويندفعون مباشرة إلى هلاكهم، على الرغم من كل الطرق النبيلة التي اتُخذت للحيلولة دون ذلك. وهكذا خرج حزقيال «مرا في حرارة» روحه (حز ٣: ١٤) لأن الله أخبره أن بيت إسرائيل لن يستمعوا له (ع ٧). وألا تغضب لسبب آخر سوى للخطية هو الطريق إلى عدم الوقوع في خطية الغضب.

الأصحاح الثاني عشر

أولا: لم يكن هناك من بين فرائض الديانة اليهودية ما يفوق فريضة الفصح، بل ولم تُذكر فريضة أكثر منها في العهد الجديد. وهذه الفريضة تتكون من ثلاثة أجزاء:

(١) ذبح خروف الفصح وأكله (ع ١- ٦، ٨- ١١).

(٢) رش الدم على العتبة العليا والقائمتين لكل باب، وجاء الكلام عنه كأمر واضح وجلي (عب ١١: ٢٨) وخاص بهذا الفصح الأول فقط (ع ٧)، مع ذكر سببه (ع ١٣).

(٣) عيد الفطير مدة سبعة أيام بعد الفصح (ع ١٤- ٢٠). أُعلنت هذه الفريضة للشعب، وطُلب منهم ضرورة مراعاة:

أ. عيد الفصح الأول هذا (ع ٢١- ٢٣).

ب. أعياد الفصح التالية (ع ٢٤- ٢٧). وقد أطاع الإسرائيليون هذه الأوامر (ع ٢٨).

ثانيا: ليس من بين كل أعمال العناية الإلهية الخاصة بالديانة اليهودية ما كان أبرز، أو ذُكر أكثر من خلاص بني إسرائيل وخروجهم من العبودية في مصر.

(١) قتل أبكار المصريين (ع ٢٩ و٣٠).

(٢) صدرت الأوامر بانطلاقهم فورا (ع ٣١- ٣٣).

(٣) بدأوا مسيرتهم:

أ. حملوا حاجاتهم معهم (ع ٣٤).

ب. أثروا بما سلبوه من المصريين (ع ٣٥ و٣٦).

ج. صاحبهم لفيف كثير (ع ٣٧ و٣٨).

د. اتخذوا تدابير سريعة لمؤنتهم (ع ٣٩).

عدد ١- ٢٠

تسلَّم موسى وهارون من «الرب» ما كان عليهم أن يكلما به بعد ذلك «كل جماعة إسرائيل»، وذلك فيما يتعلق بفريضة الفصح، والتي مُهِّد لها بأسلوب جديد يجب مراعاته في شهورهم (ع ١ و٢): «هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور». كانوا حتى ذلك الحين يبدأون السنة من منتصف سبتمبر، إلا أنه بعد ذلك كان عليهم أن يبدأوها من منتصف مارس، على الأقل في جميع حساباتهم الدينية. إنه لأمر حسن أن نبدأ اليوم، ونبدأ السنة، بل ونبدأ حياتنا بصفة خاصة، مع الله. وبهذا الحساب الجديد تبدأ السنة بفصل الربيع الذي يجدد وجه الأرض، والذي استُخدم كرمز لمجيء المسيح (نش ٢: ١١ و١٢). وفيما كان موسى يجلب الضربات العشر على المصريين، كان يوجِّه الإسرائيليين للاستعداد للرحيل بعد لحظات من التنبيه عليهم. ومن السهل أن نتصور مدى دهشتهم وسرعتهم البالغة، ومع ذلك كان يتعين عليهم الآن مراعاة حفظ طقس مقدس تمجيدا لله.

أولا: في الليلة التي فيها يخرجون من مصر، رسم الله أن تذبح كل عائلة خروفا، ويمكن للعائلات الصغيرة أن تشترك مع عائلتين أو ثلاث في خروف واحد. ويجب أن يُحفظ قبل الفصح بأربعة أيام، وفي ذلك المساء كان عليهم أن يذبحوه (ع ٦)، كاحتفال ديني، اعترافا بصلاح الله نحوهم. ليس لحفظهم من الضربات التي أُنزلت على المصريين فحسب، بل ولخلاصهم من العبودية بواسطة هذه الضربات.

ثانيا: الخروف الذي يُذبح على هذا النحو، كان عليهم أن يأكلوه مشويا بالنار مع فطير وأعشاب مُرة، كما يتحتم أكله «بعَجلة» (ع ١١)، وألا يتركوا منه شيئا حتى الصباح، ذلك أن الله يريدهم أن يعتمدوا عليه في خبزهم اليومي، فالذي قادهم هو يطعمهم.

ثالثا: قبل أن يأكلوا لحم الخروف عليهم أن يرشوا الدم على العتبة العليا والقائمتين (ع ٧). وبهذا تتميز بيوتهم عن بيوت المصريين.

رابعا: عليهم أن يقيموا هذه الفريضة سنويا كعيد للرب في أجيالهم، وقد ضُم إليه عيد الفطير، تذكارا لاضطرارهم إلى أكل مثل هذا الفطير للضرورة الملِّحة ولعدة أيام بعد خروجهم من مصر (ع ١٤– ٢٠).

(١) وكان خروف الفصح رمزا، فالمسيح هو «فصحنا» (١كو ٥: ٧).

أ. كان يجب أن يكون حَمَلا، فالمسيح هو «حمل الله» (يو ١: ٢٩)، وكثيرا ما يُدعى في سفر الرؤيا «الخروف»، خروفا بريئا وديعا صامتا أمام جازيه.

ب. يجب أن يكون «ابن سنة» (ع ٥) في كامل قوته. وقد قدم المسيح ذاته في منتصف حياته، وليس في طفولته مع أطفال بيت لحم.

ج. يجب أن يكون شاة «صحيحة» (ع ٥)، بلا عيب، الأمر الذي يشير إلى طهارة الرب يسوع «حمل بلا عيب» (١بط ١: ١٩).

د. يجب أن يكون تحت الحفظ مدة أربعة أيام (ع ٣، ٦) الأمر الذي يشير إلى اختيار الرب يسوع ليكون مُخلِّصا. ومما تجدر ملاحظته أنه كما ذُبح المسيح في الفصح، فهكذا أيضا دخل أورشليم قبل ذلك بأربعة أيام، نفس اليوم الذي وُضع فيه خروف الفصح تحت الحفظ.

هـ. يجب أن يُذبح ويُؤكل مشويا بالنار (ع ٦– ٩) الأمر الذي يشير إلى الآلام الرهيبة التي تحملها الرب يسوع حتى الموت.. موت الصليب.

و. يجب أن تذبحه كل جماعة إسرائيل. وقد تألم المسيح «عند انقضاء الدهور» (عب ٩: ٢٦) على أيدي اليهود في جملتهم (لو ٢٣: ١٨) ومن أجل صالح شعب إسرائيل الروحي أي جميع شعبه.

ز. «وعظما لا تكسروا منه» (ع ٤٦) والذي قيل بكل وضوح إنه تم في المسيح (يو ١٩: ٣٣، ٣٦)، الأمر الذي يرمز إلى قوة الرب يسوع التي لم تكسر.

(٢) كان رش الدم عملا رمزيا.

أ. كان يكفي مجرد سفك دم الخروف، غير أنه كان يتوجَب رشه، الأمر الذي يشير إلى تطبيق جدارة واستحقاق موت المسيح عنا، أي إنه يتحتم علينا أن ننال «المصالحة» (رو ٥: ١١).

ب. كان يجب رشه بواسطة «باقة زوفا» (ع ٢٢) تُغمس «في الدم الذي في الطست». والإيمان هو باقة زوفا بواسطته نطبق على أنفسنا هذه المواعيد.

ج. يجب أن يُرش على العتبة العليا والقائمتين، الأمر الذي يشير إلى إعلان إيماننا صراحة بالمسيح، وطاعتنا له.

د. كان يتعين رشه على العتبة العليا والقائمتين، ولكن ليس على العتبة السفلى (ع ٧) الأمر الذي يحذرنا من أن ندوس بأقدامنا دم العهد (عب ١٠: ٢٩).

هـ. وكان رش الدم على هذا النحو هو وسيلة حفظ الإسرائيليين من الملاك المهلك، الذي لا يقترب من أي مكان مرشوش بالدم.

(٣) أكل الخروف على هذا النحو كان يرمز إلى الواجب الذي يفرضه علينا الإنجيل نحو المسيح.

أ. ذُبح خروف الفصح، ليس لكي يُنظر إليه فحسب بل ليُؤكل، وهكذا الأمر أيضا بالنسبة لحياتنا مع المسيح؛ فبالإيمان علينا أن نستمد منه قوتنا الروحية، وغذاءنا الروحي، كما نستمد القوة من طعامنا الجسدي (انظر يو ٦: ٥٣– ٥٥).

ب. يجب أن يُؤكل كله، والذين بالإيمان يأكلون المسيح عليهم أن يأكلوه كله، أي إن عليهم أن يقبلوا المسيح ونيره، المسيح وصليبه، كما قبلوا المسيح وتاجه.

ج. يجب أن يؤكل في الحال ولا يؤجل حتى الصباح (ع ١٠). «اليوم» المسيح مُقدَّم، ويجب قبوله فيما يُسمى باليوم.

د. يجب أكله «على أعشاب مرة» (ع ٨)، تذكارا لمرارة عبوديتهم في مصر. وحينما تكون الخطية مُرة بالنسبة لنا، هنا يكون المسيح حلوا لنا.

هـ. يجب أن يؤكل في وضع مَنْ هم على سفر (ع ١١)، وحين نأكل المسيح بالإيمان علينا أن

نترك تماما الخطية وسيادتها علينا، بل يجب أن نترك كل شيء من أجل المسيح، ونعتبر ذلك ربحا (عب ١٣: ١٣ و١٤).

(٤) عيد الفطير كان يرمز إلى الحياة المسيحية (١كو ٥: ٧ و٨). فإذ قد قبلنا الرب يسوع المسيح فإنه:

أ. يجب أن نقيم عيدا بفرح مقدس، ونفرح دائما في المسيح يسوع. وإذا لم يكن للمؤمنين الحقيقيين عيد مستمر، فالخطأ هنا يرجع إليهم.

ب. يجب أن يكون عيد فطير، يتم في المحبة دون خمير الحقد، وفي إخلاص دون خمير الرياء.

عدد ٢١ – ٢٨

أولا: موسى هنا يظهر كوكيل أمين في بيت الله.

(١) في الليلة التي كان مقدرا فيها هلاك الأبكار، كان لا يجب على أي إسرائيلي أن يخرج «من باب بيته حتى الصباح». عليهم ألا يخرجوا من الأبواب لئلا يتيهوا بعيدا حين كان يجب عليهم التجمع للرحيل.

(٢) عليهم فيما بعد أن يهتموا بتعليم أولادهم مغزى هذه العبادة (ع ٢٦ و٢٧).

أ. السؤال الذي سيسأله الأبناء: ما معنى «هذه الخدمة لكم؟» ولماذا كل هذا الاهتمام وهذه الدقة التي تراعونها عند أكل هذا الخروف، وهذا الفطير أكثر مما تفعلون بالطعام العادي؟ إنه يعنينا بحق أن نفهم معنى هذه الفرائض المقدسة التي نعبد بها الله، ما هي طبيعتها، وما المقصود بها.

ب. الإجابة التي كان على الوالدين الرد بها على هذا السؤال: «هي ذبيحة فصح للرب» (ع ٢٧)، أي إنه بذبح هذا الخروف وتقديمه للرب فإنما نحن نحفظ ذكرى العمل العجيب والنعمة اللذان عملهما مع آبائنا، حين:

◄ أراد أن يوجد طريقا لخلاصنا من العبودية فإنه ضرب أبكار المصريين.

◄ وعلى الرغم من أننا كنا قد أخطأنا ضد الرب إلهنا، إلا أن الله برحمته عيَّن خروفا كذبيحة عن العائلة وقَبِلها، كما عمل في السابق حين قَبِل الكبش بدلا من إسحاق، وفي كل بيت ذُبح فيه الحمل أُنقذ أبكاره. وكلمة الفصح تعني في الأصل وثبة أو نقلة، أي عبور، لأن الملاك المهلك عبر عن بيوت الإسرائيليين، ولم يهلك أبكارهم. وكان القصد من ذلك هو التطلع إلى الأمام باعتبار ذلك نبوءة عن فصحنا العظيم الذي هو حمل الله الذي جاء في ملء الزمان، والذي قُدِّم عنا وعن أبكارنا. «لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذُبح لأجلنا»، وكان موته هو حياتنا، وهكذا كان هو الحمل الذي دمه معروف قبل تأسيس العالم، ولقد تأسست العبادة اليهودية على الرموز والظلال التي تشير إليه حفظ موسى الفصح بالإيمان بالمسيح، «لأن غاية الناموس هي المسيح للبر».

ثانيا: تقبل الناس هذه التعليمات بوقار وطاعة فورية.

(١) «فخرَّ الشعب وسجدوا» (ع ٢٧).

(٢) «وفعلوا كما أمر الرب» (ع ٢٨). ولا نجد هنا تذمرا أو سخطا بينهم مثلما كان الحال في خروج ٥: ٢٠ و٢١. فقد كان للضربات التي لحقت بمصر فائدتها بالنسبة لهم، حيث زادت من تطلعاتهم إلى خلاص مجيد، كانوا قد يئسوا منه أما الآن فقد خرجوا للقائه في الطريق الذي عُين له.

عدد ٢٩ – ٣٦

أولا: تم قتل أبكار المصريين (ع ٢٩ و٣٠). لو كان فرعون قد قبل التحذير الذي وُجه له من هذه الضربة وأطلق بني إسرائيل في الحال، لكان قد حافظ على الحياة الغالية للكثيرين. ولكن لاحظ ما يجرُّه العناد والشر على الناس. وقد امتدت الضربة من العرش حتى الزنزانة. فالأمير والفقير يقفان على حد سواء أمام دينونة الله، لأن الله لا يحابي الوجوه (انظر أي ٣٤: ١٩ و٢٠). ليتنا نتعلم من هذا:

(١) أن نرتعب أمام الله وأن نجزع من أحكامه (مز ١١٩: ١٢٠).

(٢) أن نشكر الله من أجل حفظه لنا ولعائلاتنا كل يوم.

ثانيا: أُذل الآن كبرياء فرعون، ورضخ لكل ما أصر عليه موسى: «اذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم» (ع ٣١)، «خذوا غنمكم أيضا وبقركم كما تكلمتم» (ع ٣٢).

(١) أُمروا بأن يرحلوا: «قوموا اخرجوا» (ع ٣١). سبق أن أمر فرعون موسى قائلا: «لا تَرَ وجهي»، أما الآن فهو الذي يستدعيه. أما وأنه أطلقهم ليس كمن يكرههم بل كمن يخشاهم، فهذا واضح من قوله لهم بكل اتضاع: «وباركوني أيضا» (ع ٣٢)، صلوا من أجلي، حتى لا يصيبني ضرر كما حدث في الماضي بعد رحيلكم.

(٢) المصريون هم الذين حثوهم على الرحيل، فقد صرخوا قائلين: «جميعنا أموات» (ع ٣٣). وبعد أن طلب منهم المصريون الرحيل، كان من السهل عليهم القول بأن المصريين أبقوهم فقراء، وأنه ليس بوسعهم تحمل هذه الرحلة وهم مفلسون، غير أنه إذا ما أعطوهم نفقات السفر فإنهم يرحلون، وهكذا كان على الإسرائيليين أن يأخذوا ما استعاروه من المصريين ويحتفظوا به، أو بالأحرى ما طلبوه من المصريين، مثلما يفعل العبيد حين يتسلمون ما يتسحقونه من أجور من سادتهم نظير العمل الذي أدوه، ويطالبون بهذا الأجر إذا ما تأخر سداده.

عدد ٣٧- ٤٢

تتضمن هذه الفقرة خروج بني إسرائيل من مصر. وكان فرعون عندئذ يتمتع بروح عالية من جهتهم، غير أنه كان لديهم ما يبرر اعتقادهم بأنه لن يستمر على هذا النحو طويلا، وعلى ذلك يجب ألا يتباطأوا. ونجد هنا إشارة إلى:

(١) عددهم، وكان حوالي «ست مئة ألف ماشي من الرجال» (ع ٣٧) عدا النساء والأطفال، والذين يُعتقد أن عددهم لم يقل عن ١٫٢٠٠٫٠٠٠ نسمة آخرين. ويا لها من زيادة كبيرة، نتجت عن سبعين نسمة في خلال فترة لا تتعدى مائتي سنة أو أكثر بقليل!!

(٢) عن الحاشية التي رافقتهم: «وصعد معهم لفيف كثير أيضا» (ع ٣٨)، وهم مَنْ صاحبوا هذه العائلة الكبيرة. ولعل البعض منهم أراد أن يهاجر من بلاده التي أصبحت خرابا نتيجة الضربات التي لحقت بها، وآخرون دفعهم حب الاستطلاع إلى مصاحبتهم ليروا طقوس تقديم بني إسرائيل الذبائح لإلههم، الأمر الذي سبق أن كان موضع كلام كثير، فضلا عن أنهم كانوا يتوقعون بعض ظهورات الله المجيدة لهم في البرية. ولعل غالبية هذا الحشد الكبير كان من الغوغاء الذين يفتقرون إلى التفكير السليم، والذين رافقوا هذه الجماهير دون أن يعرفوا لذلك سببا، وثبت بعد ذلك أنهم كانوا فخا لهم (عد ١١: ٤) ومن المحتمل إذ عرفوا بعد ذلك أنه كان على بني إسرائيل أن يقضوا أربعين سنة في البرية تركوهم وعادوا إلى مصر.

(٣) بالنسبة لمقتنياتهم: «غنم وبقر مواشي وافرة جدا».

(٤) بالنسبة للمؤن التي أعدوها لمخيمهم: كانت قليلة وهزيلة. فقد أخذوا بعض العجين معهم من مصر قبل أن يختمر (ع ٣٤). كانوا قد تهيأوا للخبز في اليوم التالي، وذلك استعدادا لرحيلهم، إذ كانوا يعلمون أنه وشيك، غير أنهم إذ استُعجلوا للرحيل قبل ساعات من الموعد المعتقد، فقد أخذوا العجين بحالته قبل أن يختمر، وحين وصلوا إلى سكُوت، وكانت أول محطة لهم قاموا بخبزه فطيرا، وعلى الرغم من أنه خلا من حلاوة المذاق، إلا أن الحرية التي أصبحوا يتمتعون بها جعلته أشهى طعاما أكلوه طوال حياتهم. وكان ذلك بعد مرور ٤٣٠ سنة على الوعد الذي قُطع لإبراهيم عند مجيئه الأول إلى كنعان (كما وضح بولس الرسول ذلك في غلاطية ٣: ١٧). وطوال هذه المدة ظل الوعد معلقا دون أن يتحقق. أما الآن، فها هو قد انتعش أخيرا من جديد. وأول ليلة فصح كانت ليلة الرب «هي ليلة تُحفظ للرب»، غير أن آخر ليلة للفصح وهي الليلة التي تم فيها تسليم المسيح (والتي فيها استُبدل الفصح مع بقية الفرائض الطقسية التي أُبطلت) كانت ليلة تُحفظ بالأكثر للرب، حين رُفع عن رقابنا نير أكثر ثقلا من نير العبودية في مصر، وجُعلت لنا أرض أفضل من أرض كنعان. وكان هذا خلاصا زمنيا يُحتفى به «من جميع بني إسرائيل في أجيالهم»، أما هذا فكان فداء أبويا يُحتفى به في تسبيحات القديسين، في عالم ليس له نهاية.

عدد ٤٣ – ٥١

بعض المبادئ الأخرى الخاصة بالفصح ذُكرت هنا، تبين كيفية الاحتفال به في الأزمنة التالية:

أولا: «كل جماعة إسرائيل يصنعونه» (ع ٤٧). وكل الذين يشاركون في مراحم الله يجب عليهم المشاركة في حمده وشكره من أجلها. وفصح العهد الجديد الذي هو عشاء الرب، لا يجب إهماله من كل مَنْ يستطيع الاحتفال به.

(١) لا يُسمح لأي غريب غير مختون بالأكل منه (ع ٤٣، ٤٥، ٤٨). ويجب أن نولد ثانية بالكلمة، قبل أن نستطيع الأكل منه. بل ولن يشترك أحد في المنافع الناتجة عن ذبيحة المسيح، أو يأكل منها، ما لم يكن قد خُتن أولا في القلب (كو ٢: ١١).

(٢) وأي غريب تم ختانه يمكن أن يشارك في أكل الفصح حتى العبيد (ع ٤٤). وإذا ما سلمنا أنفسنا لله بإخلاص وبالحماسة التي يتطلبها هذا الأمر ويستحقها، فإننا، إلى جانب أنفسنا سنسلم له كل ما لنا، ونبذل قصارى جهدنا في أن يكون كل ما لنا له أيضا. ونرى هنا إشارة مبكرة للنعمة المقدمة للأمميين المساكين، وتتمثل في أن الغريب، إذا ما خُتن يقف على قدم المساواة مع الإسرائيلي أصلا ومولدا. إن ما أهَّلهم لهذه الامتيازات هو تكريسهم لله، وليس كونهم من نسل إبراهيم.

ثانيا: «في بيت واحد يؤكل» (ع ٤٦)، حتى يفرحوا معا ويبني كل منهم الآخر بالأكل منه.

ويُختم الأصحاح بتكرار للموضوع برمته. وخلاصته أن بني إسرائيل عملوا بحسب ما أُمروا، وأن الله حقق لهم ما وعدهم به (ع ٥٠ و٥١).

الأصحاح الثالث عشر

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: الأوامر التي أصدرها الله لإسرائيل:

(١) أن يقدسوا له كل بكر (ع ١ و٢).

(٢) أن يتذكروا دائما خلاصهم من العبودية في مصر (ع ٣ و٤)، وتذكارا لهذا عليهم أن يحفظوا عيد الفطير (ع ٥– ٧).

(٣) أن يولوا اهتماما بالغا لتعريف أولادهم بهذا الأمر (ع ٨– ١٠).

(٤) تكريس أبكار مواشيهم لله (ع ١١– ١٣).

ثانيا: الاهتمام الذي أولاه الله لإسرائيل حين أخرجهم من أرض مصر.

(١) اختار لهم طريقهم (ع ١٧ و١٨).

(٢) قادهم في الطريق (عدد ٢٠– ٢٢).

ثالثا: عنايتهم بعظام يوسف (ع ١٩).

عدد ١ – ١٠

جاء الاهتمام هنا بتخليد ذكرى الأمور الآتية:

أولا: حفظ أبكار بني إسرائيل. وهنا يطالب الله بصفة خاصة بأبكار بني إسرائيل، وذلك بحق الحماية: «قدِّس لي كل بكر». والله الذي هو الأول والأفضل، يجب أن يُكرَّس له الأول والأفضل، ويتحتم علينا أن نقدم له أعز وأغلى ما لدينا، والأبكار كانوا دائما مصدر فرح ورجاء لعائلاتهم؛ ولذلك يقول الله بالنسبة لكل بكر «إنه لي». وكنيسة الأبكار هي التي قُدست لله (عب ١٢: ٢٣)، وكان المسيح «بكرا بين إخوة كثيرين» (رو ٨: ٢٩)، ونتيجة اتحادهم به فإن كل الذين وُلدوا ثانية، ووُلدوا من فوق، يُحسبون أبكارا. والأبكار لهم امتيازاتهم وكرامتهم، «فإن كنا أولادا فإننا ورثة أيضا».

ثانيا: يجب أيضا تخليد ذكرى خروجهم من مصر: «اذكروا هذا اليوم» (ع ٣). اذكروه بعلامة طيبة، على اعتبار أنه أبرز يوم في حياتكم، فهو ميلاد أمتكم أو يوم بلوغها سن الرشد، اليوم الذي لن تبقى معه تحت النير. وهكذا أيضا يجب حفظ ذكرى يوم قيامة المسيح، لأننا فيه أيضا قمنا مع المسيح من موت أرض العبودية.

(١) عليهم التأكد من حفظ عيد الفطير (ع ٥– ٧). لم يكن يكفي أن يتذكروه، بل يجب الاحتفال بذكراه بالطريقة التي عينها الله. ويُلاحظ هنا الحسم في منع الخمير (ع ٧)، ولا يقتصر الخطر على عدم أكل الخمير، بل وعلى عدم رؤيته أيضا في جميع تخومهم. وعلى ذلك كان من عادة اليهود قبل عيد الفصح أن يطرحوا كل الخبز الذي به خمير إلى

خارج بيوتهم، حيث كانوا يقومون بحرقه أو دفنه، أو طحنه وبعثرته في الهواء. وكانوا يفتشون بدقة في جميع أرجاء بيوتهم بشموع مضيئة لئلا تكون هناك بقايا من الخمير.

(٢) يجب أن يُعلِّموا أولادهم معنى هذا، ويقصُّوا لهم قصة خلاصهم من العبودية في مصر (ع ٨). فحين يحتفلون بهذه الفريضة عليهم أن يقوموا بشرحها.

عدد ١١ – ١٦

أولا: توجيهات أخرى خاصة بتكريس الأبكار لله.

(١) أبكار البهائم يجب أن تقدم لله، كجزء من ممتلكاتهم.

(٢) يجب فداء الأبكار من أولادهم، ويحظر تقديمهم كذبائح بأي شكل كما يفعل الوثنيون الذين يذبحون أولادهم لمولك. وثمن فداء الأبكار حدده الناموس وهو «خمسة شواقل» (عد ١٨: ١٦).

ثانيا: توجيهات أخرى بخصوص تعليم أولادهم هذا الأمر، وكذلك الجيل الآتي، بين آونة وأخرى. ويُلاحظ هنا:

(١) يجب توجيه الأولاد وتشجيعهم على أن يسألوا والديهم بخصوص الأمور المتعلقة بالله.

(٢) وعلينا جميعا أن نكون قادرين على إبداء الأسباب المتعلقة بكل ما نعمله في النواحي الدينية. وكما أن الفرائض المقدسة تُقدس بالكلمة، فهكذا يجب شرحها وفهمها بواسطة الكلمة. وعبادة الله أمر يتم بفهم، وتكون مقبولة عندما نؤديها بذهن متقد، مدركين لما نعمله ولماذا نعمله. والمراحم التي كانت لآبائنا هي مراحم لنا ونحن نجني ثمارها، فثَمة أسباب عديدة تدعونا إلى القول إنه بموت المسيح يسوع وقيامته تم فداؤنا.

عدد ١٧ – ٢٢

أولا: اختيار الله لطريقهم (ع ١٧ و١٨): كان هو مرشدهم. أعطاهم موسى التوجيهات، غير أنه فعل ذلك بحسب ما تلقاها من الرب. وكان ثَمة طريقان من مصر إلى كنعان أحدهما طريق مختصر يربط شمالي مصر بجنوب كنعان، ولعله كان يستغرق مسيرة أربعة أيام أو خمسة أيام، أما الآخر فهو أطول بكثير إذ هو طريق دائري يخترق الصحراء، وهذا هو الطريق الذي اختاره الله ليقود عبره شعب إسرائيل (ع ١٨).

(١) وهناك أسباب كثيرة جعلت الله يقودهم عبر «طريق برية بحر سوف». كان الله مزمعا أن يغرق المصريين في بحر سوف (البحر الأحمر). وكان يود اختبار بني إسرائيل وإذلالهم في البرية (تث ٨: ٢). ويتعين ترسيخ الأمور بينهم وبين إلههم، يجب إعطاؤهم الناموس وتأسيس الفرائض وختم العهود وإقرار العقد الأساسي. والطريق الذي يختاره الله هو الطريق الصحيح، على الرغم من أنه قد يبدو لنا أنه غير مباشر. وإذا كان يخامرنا شعور بأنه لا يقود شعبه إلى أقرب الطرق، إلا أنه علينا أن نكون على ثقة من أنه يقودهم إلى أفضل الطرق، فهذا ما سيتضح لنا حين نصل إلى نهاية رحلتنا.

(٢) كان ثَمة سبب هام لم يقدهم الله من أجله إلى أقرب طريق، ذلك أنهم لم يكونوا بعد لائقين للحرب، ناهيك عن أن تكون الحرب مع الفلسطينيين (ع ١٧). فقد كانت روحهم المعنوية متدنية بسبب العبودية، ولم يكن من السهل عليهم أن يحولوا أيديهم من أعمال السخرة إلى أدوات الحرب. وكان الفلسطينيون أعداء أشداء متمرسين، ولا يمكن مواجهتهم بنفر لا خبرة لهم بالقتال. ولقد قيل إن الله أخرج بني إسرائيل من مصر كما يخرج النسر صغاره من العش، ويرف فوقها إذ يُعلِّمها الطيران شيئا فشيئا (تث ٣٢: ١١)، وإذ أُعطيت الأوامر بشأن الطريق الذي يتعين أن يسلكوه، فقد ذُكر لنا:

أ. صعدوا بأنفسهم، ليس في ارتباك وفوضى، بل في ترتيب جيد وكانوا جميعا «متجهزين» (ع ١٨).

ب. أخذوا «عظام يوسف» معهم (ع ١٩). وكان يوسف قد أوصاهم بصفة خاصة أن ينقلوا عظامه حين يفتقدهم الله (تك ٥٠: ٢٥ و٢٦). وربما فكروا: يجب أن تهدأ عظام يوسف أخيرا، ومن ثَمَّ نرتاح نحن أيضا.

ثانيا: وهنا نرى البركة التي لازمتهم في الطريق: «وكان الرب يسير أمامهم» أي إن سحابة المجد (أو

ظهور العظمة الإلهية، الأمر الذي كان يرمز إلى المسيح) أو ظهور سابق للكلمة الأزلي، الذي كان مزمعا في ملء الزمان أن يصير «جسدا» ويحل بيننا. لقد كان المسيح مع الشعب في البرية (١كو ١٠: ٤). والذين يأتي بهم الله إلى البرية لن يتركهم أو يفقدهم هناك، بل سيهتم بقيادتهم عبرها. والذين جعلوا مجد الله غايتهم، وكلمة الله دستورهم، وروح الله مرشدا لنفوسهم، وكانت العناية الإلهية موجهة لهم في جميع أمورهم، عليهم أن يثقوا في أن الله «يسير أمامهم» كما سبق بالفعل وسار أمام إسرائيل في البرية، ولو أن ذلك يتم بطريقة غير مرئية، لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان.

(١) رأوا جميعا ظهور عمود من السماء، الذي ظهر كالسحاب في يوم مشرق، وفي الليلة المظلمة يظهر عمود نار. ولقد أعطاهم الله هذا الظهور المرئي الذي ينم عن حضوره، عطفا عليهم لضعف إيمانهم.

(٢) أُعطوا بهذا العمود دليلا ملموسا على أن الله يسير أمامهم. وذلك لأنه:

أ. قادهم هذا العمود في البرية، حيث لم تكن بها طرق أو ممرات، ولم تكن خرائط بها، أو مرشدون يدلونهم على الطريق. وعندما كانوا يسيرون كان هذا العمود يتقدمهم، بالمعدل الذي يكون بمقدورهم أن يتبعوه.

ب. كان يحميهم من الحرارة نهارا.

ج. وكان ينير لهم ليلا، وكان في جميع الأحوال يقلل من رهبة البرية.

ثالثا: كانت هذه معجزات دائمة (ع ٢٢): «لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب». لم يتركهم العمود أبدا إلى أن جاء بهم إلى حدود أرض كنعان. كان عمود سحاب لا تستطيع الريح أن تشتته. وكان ثَمة شيء روحي في عمود السحاب والنار هذا. والبعض يأخذون عمود السحاب على أنه كان يرمز إلى المسيح. فسحاب طبيعته البشرية كان حجابا يستر نور ونار طبيعته الإلهية. والمسيح هو طريقنا، نور سبيلنا ومرشدنا.

الأصحاح الرابع عشر

أصبح خروج بني إسرائيل من مصر (والذي كان يمثل في الواقع مولد الأمة اليهودية) حدثا بارزا للغاية. لنلاحظ ما سجله هذا الأصحاح ومحتوياته والتي نجد مفتاحها في (عب ١١: ٢٩).

ونجد هنا:

أولا: الخطر البالغ الذي كان يهدد الإسرائيليين في البحر.

(١) أُخطر به موسى (ع ١– ٤).

(٢) سببه ملاحقة فرعون لهم (ع ٥– ٩).

(٣) خوف عظيم يتملك إسرائيل (ع ١٠– ١٢).

(٤) موسى يحاول تشجيعهم (ع ١٣ و١٤).

ثانيا: الخلاص العظيم الذي صنعه الله.

(١) موسى يتلقى تعليمات بشأنه (ع ١٥– ١٨).

(٢) خطوط لا يمكن اقتحامها أُقيمت بين معسكر الإسرائيليين ومعسكر فرعون (ع ١٩ و٢٠).

(٣) انشطار البحر الأحمر بقوة إلهية (ع ٢١) وبذلك جُعل:

أ. ممرا لبني إسرائيل، الذين ساروا عبره بسلام (ع ٢٢، ٢٩)،

ب. ولكنه جُعل بالنسبة للمصريين:

- كمينا غرقوا فيه (ع ٢٣– ٢٥).
- ومقبرة دُفنوا جميعا فيها (ع ٢٦– ٢٨).

ثالثا: الانطباعات التي تولدت عن ذلك في نفوس الإسرائيليين (ع ٣٠ و٣١).

عدد ١– ٩

أولا: تعليمات أُعطيت لموسى بشأن تحركات إسرائيل ومعسكرها. وحتى لا تحدث حيرة أو تذمر قيل لموسى مسبقا:

(١) أين يجب عليهم الذهاب (ع ١ و٢). لقد وصلوا إلى طرف البرية (خر ١٣: ٢٠)، ولم تتبق أمامهم سوى مرحلة أو اثنتين حتى يصلوا إلى حوريب، المكان الذي عُين ليعبدوا الله فيه، غير أنه عوض التقدم للأمام أُمروا أن ينعطفوا فورا، ويبتعدوا عن كنعان ويتجهوا صوب البحر الأحمر.

(٢) على موسى أن يعرف:

أ. أن فرعون أعد خطة لهلاك بني إسرائيل (ع ٣).

ب. ولهذا السبب أعد الله خطة لهلاك فرعون، وقد اتخذ هذا السبيل لتنفيذها (ع ٤).

ثانيا: ملاحقة فرعون لبني إسرائيل، والتي أشبع فيها غرور حقده ورغبته في الانتقام، وهو بهذا يساعد على تحقيق مقاصد الله من جهة نفسه. أُخبر «ملك مصر أن الشعب قد هرب» (ع ٥). وعند هذا:

(١) عبَّر عن ندمه لسماحه برحيلهم. وكان هو وعبيده الآن في غضب مع أنفسهم بسبب هذا الأمر: «ماذا فعلنا؟»

أ. اغتاظوا لحصول بني إسرائيل على حريتهم، الأمر الذي نجم عنه خسارة الأرباح التي كانوا يجنونها من وراء تشغيلهم، والسرور الذي كانوا يشعرون به في إذلالهم. ويُلاحظ أن حرية شعب الله تسبِّب الحزن الشديد لأعدائهم (أس ٥: ١٢ و١٣؛ أع ٥: ١٧، ٢٣).

ب. تفاقم غيظهم لأنهم هم أنفسهم وافقوا على إطلاق سراحهم. وهكذا يحول الله حسد الناس وغضبهم على شعبه إلى عذاب ضد أنفسهم (مز ١١٢: ١٠).

(٢) أصر على أنه –لو أمكنه– إما أن يهزمهم أو ينتقم منهم، بغية تحقيق ذلك جهَّز جيشا، وحشد كل قوات مركباته وخيله (ع ١٧ و١٨)، وبهذا لم يكن يخامره شك في أنه سوف يستعبدهم من جديد (ع ٦ و٧). وقد قيل إن بني إسرائيل خرجوا بشجاعة عظيمة (ع ٨)، إلا أنه «سعى المصريون وراءهم» (ع ٩) . ويُلاحظ أن أولئك الذين يولون وجوههم بحماسة عظيمة نحو السماء، ويعيشون بالتقوى في المسيح يسوع، عليهم أن يتوقعوا هجمات تجارب الشيطان، ومحاولاته أن يبث الرعب فيهم. ولن يترك بسهولة أحدا ممن كان في خدمته، ولا يخرج منه دون غضب شديد (انظر مرقس ٩: ٢٦).

عدد ١٠– ١٤

أولا: الخوف الذي ملأ قلوب بني إسرائيل حين علموا أن فرعون يتعقبهم (ع ١٠). وكانوا يدركون تماما مدى قوة العدو وحنقه، كما كانوا يعرفون مدى ضعفهم. ومما زاد من خطورة الموقف أنهم كانوا محاصرين بين فم الحيروث، وهو سلسلة من صخور شديدة الانحدار لا يمكن عبورها، من جهة، وبمجدل وبعل صفون من الجهة الأخرى. وكان البحر الأحمر أمامهم، وأعداؤهم المصريون خلفهم، ولذلك لم يكن أمامهم أي طريق سوى الاتجاه إلى أعلى، ومن هناك جاء خلاصهم.

(١) صرخ بعضهم إلى الرب، وقد دفعهم الخوف إلى الصلاة، وكانت هذه نتيجة طيبة للخوف. والله قد يسمح لنا بمحنة لكي يدفعنا إلى الصلاة.

(٢) البعض الآخر صرخوا في وجه موسى، فقد حملهم الخوف إلى التذمر (ع ١١ و١٢). ولم يكن ثَمة عذر لعدم ثقتهم، وهم هنا يعبِّرون عن:

أ. احتقار دنيء للحرية، حيث فضلوا عليها العبودية، وما ذلك إلا لأنهم واجهوا بعض المصاعب في طريق حريتهم. والنفس النبيلة في مثل هذه الحالة تقول: من الأفضل أن أحيا كرجال الله الأحرار في الهواء الطلق في البرية عن أن أعيش كعبد للمصريين وسط دخان أتون الطوب اللبن.

ب. جحودهم لفضل موسى، الذي كان الأداة الأمينة لخلاصهم. فسرعان ما نسوا معجزات الرحمة التي عُملت لهم، كما نسى المصريون معجزات الغضب التي حاقت بهم. ثم أنهم على غرار المصريين أغلظوا قلوبهم، الأمر الذي سيؤدي إلى هلاكهم– فكما أن المصريين بعد عشر ضربات هلكوا، هكذا الحال بالنسبة لبني إسرائيل، فإنهم بعد عشر تذمرات، هذه أولها حُكم عليهم بالموت في البرية (عد ١٤: ٢٢).

ثانيا: التشجيع الذي جاء في وقته والذي شجعهم به موسى في محنتهم (ع ١٢، ١٤). فهو لم يرد على هؤلاء الحمقى بحسب حماقتهم، فعوض عن توبيخهم عمل على تعزيتهم وبهدوء عجيب ورجاحة عقل استطاع أن يهدئ من روعهم، وذلك بتأكيده على حصولهم على خلاص كامل وسريع، وقال لهم: «لا تخافوا». ويُلاحظ أنه من واجبنا وصالحنا حين لا نستطيع التغلب على متاعبنا، أن نسمو فوقها، ونتخذها وسيلة تدفعنا إلى الصلاة، وإلى بذل المزيد من الجهد، وألا نسمح لها بأن تقهرنا وتقضي على إيماننا ورجائنا. وقد طلب منهم أن يتركوا الأمر بين يدي الله، وأن يتوقعوا خلاصهم في صمت: «قفوا» راسخين، ولا

تفكروا في إنقاذ أنفسكم بالقتال أو بالهرب، بل انتظروا أوامر الله. فها هو آتٍ لإنقاذكم.

عدد ١٥- ٢٠

أولا: توجيهات صدرت لقائد إسرائيل:

(١) ما الذي يجب عليه أن يعمله: عليه في الوقت الحاضر أن يتوقف عن الصلاة وينصرف إلى عمله (ع ١٥): «مالك تصرخ إليَّ؟» ولكن هل غضب الله مع موسى بسبب الصلاة؟ كلا بالطبع، ولكنه وجه له السؤال: «مالك تصرخ إليَّ؟» لأنه أراد:

أ. إكرام إيمانه: لماذا تصر على مداومة التقدم بهذا الالتماس مع العلم بأني قد استجبت لك فعلا.. «لقد قبلت صلاتك».

ب. لكي يدفعه إلى الكد والاجتهاد. على موسى واجبات أخرى يجب أن يؤديها إلى جانب الصلاة، عليه أن يقود جيش إسرائيل، ومن الضروري الآن أن يكون في موقعه.

(٢) ما هو العمل الذي يتحتم عليه أن يأمر الإسرائيليين القيام به: «قُل لبني إسرائيل أن يرحلوا». سبق أن أمرهم موسى أن يقفوا وينتظروا أوامر الله وها قد أعطيت الأوامر. وعلى الرغم من أنهم توقعوا أن يُؤمروا بالتحرك يمينا أو يسارا، إلا أن الله قال لا، دعهم يتقدمون إلى الأمام، إلى الشاطئ مباشرة، كما لو كان في انتظارهم أسطول من السفن لكي يصعدوا إلى متنه.

(٣) ما الذي يتوقعه من الله: دع بني إسرائيل أن يذهبوا فوق اليابسة إلى أبعد مسافة ممكنة، وهناك سوف يقسم الله البحر، ويفتح لهم ممرا عبره (ع ١٦- ١٨).

ثانيا: اتخذت ترتيبات لحراسة معسكر الإسرائيليين حيث أصبح الآن أكثر عرضة للخطر، وكان هذا الحرس «وراءهم» (ع ١٩ و٢٠). ذلك أن «ملاك الله» الذي كان يخدمهم في عمود السحاب والنار، تحرك «من أمامهم ووقف وراءهم»، حيث لم يكونوا الآن في حاجة إلى دليل (فلم يكن هناك خطر أن يفقدوا طريقهم في البحر، ولم يكونوا أيضا في حاجة إلى شيء سوى التقدم للأمام)، وقد جاء الملاك خلفهم، حيث أصبحوا الآن في حاجة إلى حراسة، وبهذا أقيم جدار فاصل بين المعسكرين.

عدد ٢١- ٣١

نجد هنا قصة ذلك العمل العجيب الذي كثيرا ما يُذكر في العهدين القديم والجديد، ألا وهو شطر البحر الأحمر إلى نصفين لكي يعبر منه بنو إسرائيل. الأمر الذي كان رعبا للكنعانيين (يش ٢: ٩ و١٠)، وتسبحة للإسرائيليين (مز ١٠٦: ٩؛ ١١٤: ٣؛ ١٣٦: ١٣ و١٤). وكان هذا رمزا للمعمودية (١كو ١٠: ١ و٢). وكان عبور بني إسرائيل فيه يرمز إلى تجديد النفوس (إش ١١: ١٥).

أولا: مثال على قوة الله القادر على كل شيء، في مملكة الطبيعة إذ شطر البحر إلى شطرين (ع ٢١). أما العلامة الطبيعية فتمثلت في ريح شرقية قوية، تشير أن ذلك تم بقوة الله الذي تطيعه الريح والبحار.

ثانيا: مثال على إحسانه العظيم لشعبه إسرائيل. لقد ذهبوا عبر البحر إلى الشاطئ المقابل: «فمشوا على اليابسة في وسط البحر والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم» (ع ٢٩). ومن المحتمل أن موسى وهارون كانا أول مَنْ خاطر بالسير في هذا الممر الذي لم يسبق لأحد أن وطأه، وبعد ذلك عبر كل إسرائيل خلفهما، وسيرهم عبر ممرات تحفها المياه العظيمة من الجانبين سيجعل مسيرتهم في البرية بعد ذلك أقل رهبة. والذين تبعوا الله عبر البحر ليسوا في حاجة إلى الخوف من اتِّباعه أينما قادهم. لقد تم هذا، وسُجل هنا، لكي يشجع شعب الله في كل العصور على الثقة به مهما كانت الأخطار عظيمة. ونجد القديسين، بعد ذلك بزمن طويل قد جعلوا أنفسهم شركاء في الانتصارات التي تحققت أثناء هذه المسيرة (مز ٦٦: ٦).

ثالثا: مثال على غضبه العادل ضد أعدائه وأعداء شعبه المصريين. ومما تجدر ملاحظته هنا:

(١) كيف خُدعوا. كانوا متفوقين بما لديهم من مركبات وخيول كثيرة، في حين أن بني إسرائيل كانوا يسيرون على الأقدام.

(٢) كيف تم إرباكهم وإزعاجهم: «وكان في

هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين... وأزعج عسكر المصريين» (ع ٢٤).

أ. أخذوا يتباهون ويتوعدون كما لو كان اليوم يومهم، إلا أنهم وقعوا الآن فريسة الانزعاج والفزع وتملكهم خوف رهيب.

ب. كان يندفعون بوحشية، أما الآن فيسيرون بتثاقل، وكانوا يجدون أنفسهم في ورطة عند كل خطوة. وفور أن وصل بنو إسرائيل بسلام إلى الشاطئ «رجع الماء» إلى مكانه الأصلي، وأغرق جيش المصريين برمته (ع ٢٧ و٢٨). وها هو فرعون وعبيده الذين كانوا يُقسّون قلوب بعضهم البعض في الخطية قد غرقوا معا، ولم ينجُ أحد منهم. ويقول تقليد قديم أن ساحري فرعون «ينيس» و«يمبريس» قد غرقا مع الآخرين. وقد تحققت دينونة الله لفرعون على غطرسته، وسلوكه العنيد مع موسى رسوله. تعال وانظر الخراب الذي صنعه، واكتبه ليس في الماء، بل بقلم من حديد وفي الصخر إلى الأبد (حز ٣١: ١٨).

رابعا: هنا الملاحظة التي أبداها بنو إسرائيل عن العمل العجيب الذي صنعه الله من أجلهم. وقد أصبحوا الآن في خجل من تذمرهم وعدم ثقتهم، وتعاهدوا ألا يتشاجروا مع موسى، أو يتحدثوا عن العودة إلى مصر إطلاقا. واعتمدوا الآن جميعهم لموسى في البحر (١كو ١٠: ٢). وإذ خرجوا منتصرين على هذا النحو، فلم يتسرب إليهم الشك في أنهم سيكونون قريبا في كنعان، مادام لهم هذا الإله الذي يثقون فيه، ومادام لهم وسيط كهذا بينهم وبينه. آه لو كان لهم مثل هذا القلب الذي يبدو أنه فيهم الآن! وكم كان سيكون الأمر حسنا جدا إذا ما كنا دائما على مثل هذه الحالة الطيبة التي نبدو فيها في بعض الأحيان!

الأصحاح الخامس عشر

في هذا الأصحاح:

أولا: إذ يتذكر إسرائيل عبوديته في مصر، نجده يترنم بتسبحة حمد لخلاصه. ونجد هنا:

(١) التسبيحة نفسها (ع ١– ١٩).

(٢) ترديدها بكل فرح (ع ٢٠ و٢١).

ثانيا: إسرائيل تتقدم في مسيرتها في البرية (ع ٢٢).

وهناك:

(١) امتعاضهم في مياه مارة (ع ٢٣ و٢٤)، الراحة التي مُنحت لهم (ع ٢٥ و٢٦).

(٢) قناعتهم بمياه إيليم (ع ٢٧).

عدد ١– ٢١

بعد أن قرأنا كيف تم لبني إسرائيل تحقيق هذا النصر العظيم على المصريين، يخبرنا هذا الأصحاح كيف تم الاحتفال به. ولا ريب أن موسى– بوحي إلهي– كتب هذه التسبحة، وسلمها لبني إسرائيل لكي يرنموها قبل أن يغادروا المكان الذي رأوا فيه جثث المصريين على الشاطئ. ويُلاحظ أنهم عبَّروا عن فرحهم في الله وشكرهم له بواسطة الترنيم. وكانت ترنيمة مملؤة بالإيمان.

أولا: التسبيحة نفسها:

(١) ويمكننا بالنسبة لهذه التسبيحة أن نلاحظ الآتي:

أ. أنها ترنيمة قديمة، أقدم ترنيمة معروفة لنا.

ب. أنها قطعة موسيقية رائعة، كُتبت بأسلوب رفيع وجميل، وتشبيهاتها حية ومناسبة، والتسبيحة ككل مؤثرة جدا.

ج. إنها تسبيحة مقدسة، خُصِّصت لمجد الله، ويُقصد بها تمجيد اسمه والاحتفاء بحمده وحده.

(٢) ما الذي يستهدفه موسى بشكل أساسي من هذه التسبيحة:

أ. يعطي المجد لله، ويبتهج بالنصرة فيه، هذا هو ما قصده أولا (ع ١): «أرنم للرب». ويبتهج إسرائيل في الرب:

◄ كإلههم، وعلى ذلك فهو قوتهم ونشيدهم وخلاصهم (ع ٢).

◄ كإله آبائهم. وهذا ما اهتموا بالإشارة إليه، إذ كانوا يشعرون في قرارة أنفسهم بعدم استحقاقهم، وأنهم كثيرا ما أغاظوا الله بأعمالهم، فمن ثَمَّ كان لهم مبرر في الاعتقاد بأن ما صنعه الله لهم إنما كان من أجل أبيهم (تث ٤: ٣٧).

◄ كإله ذي قوة غير محدودة (ع ٣).

◄ كإله ليس له مثيل في كماله (ع ١١). وقد تم التعبير عن ذلك بصفة عامة: «مَنْ مثلك بين

الآلهة يا رب؟» كانت مصر شهيرة بكثرة آلهتها، غير أن «إله العبرانيين» كان أقوى منهم وهزمهم جميعا (تث ٣٢: ٢٣– ٣٩). ثم إنه يفوقهم بصفة خاصة حيث إنه:

> ليس مثله «معتزا في القداسة»: وقداسته هي مجده. الله «غني في الرحمة».. وهذا هو كنزه. «معتزا في القداسة» وهذه هي كرامته.

> «مخوفا بالتسابيح». وعلى الرغم من أن موضوع تسبيحنا مفرح ويبهج عبيد الله إلا أنه مرعب ورهيب بالنسبة لأعدائه (مز ٦٦: ١– ٣).

> «صانعا عجائب»، وهي عجيبة بالنسبة للجميع، إذ إنها غير عادية وفوق المجرى العادي للطبيعة. فهي عجائب في القوة، وعجائب في النعمة، وبكل تواضع يجب أن يُمجَّد الله في هذه وتلك.

ب. يصف الخلاص الذي يبتهجون به الآن: لأن الترنيمة لم يُقصد بها التعبير عن الشكر والحث عليه في الوقت الراهن فقط، بل لتحفظ وتخلد ذكرى هذا العمل العجيب للأجيال القادمة. وثَمة أمران يجب أن نلحظهما في هذا الصدد وهما:

◄ هلاك العدو: انشقت المياه: «انتصبت المجاري كرابية» (ع ٨). وقد دُفن فرعون وكل جيشه في المياه. فالمياه الطاغية ابتلعت الخطاة الطغاة. لقد قستهم الخطية فصاروا كحجر، والآن قد هبطوا في الأعماق كحجر.

◄ حماية إسرائيل وإرشاده: «ترشد برأفتك الشعب» (ع ١٣)، تقودهم للخروج من عبودية مصر، وتقودهم للخروج من مهالك البحر الأحمر (ع ١٩).

ج. شرع يعلن ظهور الله العجيب لهم: فإذ حفظهم الله، فقد عقدوا العزم على ألا يدخروا جهدا أو مالا في بناء خيمة اجتماع تكريما له، وهناك يمجدونه ويبتهجون به، وكان هذا المرنم واثقا تماما من النتيجة لهذا الخلاص الذي بدأ بداية مجيدة حتى إنه ينظر إليه كما لو كان قد تحقق في الواقع فعلا: «تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك» (ع ١٣). وهذا الخلاص العظيم كان مشجعا من ناحيتين:

الأولى: كان مثالا رائعا على قوة الله بحيث أدخلت الرعب في قلوب أعدائهم، وأحبطتهم تماما (ع ١٤– ١٦). وكان من نتيجة ذلك ابتدأ الأدوميون يخافونهم (تث ٢: ٤)، وهكذا أيضا الموآبيون (عد ٢٢: ٣)، والكنعانيون (يش ٢: ٩ و١٠).

الثانية: كانت بداية عظيمة لنعمة الله عليهم حتى إنها أعطتهم ضمانا لكمال رأفته: «تجيء بهم...» (ع ١٧). فإذ أخرجهم من مصر على هذا النحو، وعلى الرغم من عدم استحقاقهم، والمصاعب التي تعترض سبل هربهم، فلا ريب أنه سوف يجيء بهم إلى كنعان. وأخيرا: الأساس العظيم لتشجيعهم والذي استخلصوه من هذا العمل العجيب هو أن «الرب يملك إلى الدهر والأبد» (ع ١٨). إنها لتعزية رائعة تجل عن الوصف لجميع رعايا الله الأمناء أنه سيملك إلى الأبد، ولن تكون ثَمة نهاية لسيادته.

ثانيا: ترديد هذه التسبيحة (ع ٢٠ و٢١). قاد موسى الرجال في ترنيم هذا المزمور، وبعد ذلك قادت مريم النساء. وجرت العادة على أن تحتفل نساء إسرائيل بالانتصارات المجيدة (١صم ١٨: ٦ و٧). وهذا ما تم أيضا بالنسبة لهذا النصر العظيم.

عدد ٢٢– ٢٧

ويبدو أن موسى وجد بعض الصعوبات في إقناع بني إسرائيل أن يتركوا هذا الشاطئ الذي تحقق عنده هذا النصر العظيم، والذي عليه ترنموا بالتسبيحة السابقة، وقد ذكر لنا في هذا الصدد ما يأتي:

أولا: أنهم لم يجدوا ماء في برية شور (ع ٢٢).

ثانيا: وجدوا ماء في مارة، غير أنه كان مُرا، ولذلك فعلى الرغم من أنهم أمضوا ثلاثة أيام دون ماء، غير أنهم لم يستطيعوا أن يشربوه. وخلال هذه المحنة:

(١) تذمر الشعب وتشاجروا مع موسى، كما لو كان قد أساء إليهم: «ماذا نشرب؟»، كان هذا كل ما ثاروا من أجله (ع ٢٤).

(٢) صلى موسى: «فصرخ إلى الرب» (ع ٢٥). والله هو الذي يقود قادة الكنيسة. ويجب على الرعاة أن يلجأوا إليه في كل المناسبات باعتباره رئيس الرعاة.

(٣) أرشد الله موسى إلى شجرة، فطرحها في الماء، وكان من نتيجة ذلك، وعلى حين غرة، صار

الماء عذبا. ويعتقد البعض أنه كان لهذه الشجرة ميزة خاصة تؤدي هذا الغرض لأنه ذُكر: «فأراه الرب شجرة». ويجب أن نعترف بفضل الله، ليس فقط من جهة خلقه الأشياء النافعة للإنسان، بل إنه يكشف عن نفعها له. والبعض يأخذ هذه الشجرة على أنها ترمز إلى صليب المسيح، الذي يغير مياه المحنة المرة، فيجعلها عذبة لكل المؤمنين، ويعطيهم القدرة على الفرح في الضيقات. وهناك وضع «فريضة وحكما»، وحسم الأمر مع الشعب. وهناك «امتحنه»، أي أنه اختبرهم هناك، ووضعهم تحت التمرين تمهيدا لإدخالهم في نعمته. وخلاصة القول، أنه قال لهم (ع ٢٦):

أ. ما الذي يتوقعه منهم. وهذا لا يخرج عن أمر واحد هو: «الطاعة». لا يتعين عليهم بعد أن نالوا الخلاص من العبودية في مصر أن يصبحوا سادة أنفسهم، بل يجب أن يعتبروا أنفسهم عبيدا لله، لأنه حل قيودهم (انظر مزمور ١١٦: ١٦؛ لوقا ١: ٧٤ و٧٥).

ب. ما الذي ينبغي أن يتوقعوه منه: «مرضا مما وضعته على المصريين لا أضع عليك»، وهذا معناه: لن أضربكم بأية ضربة من تلك التي أوقعتها على المصريين. ولا ينبغي على الإسرائيليين الاعتقاد أن الله يوافق على خطاياهم، وأنه سيسمح لهم بعمل كل ما يتفق وهواهم. كلا، إن الله لا يحابي الوجوه. والمعاند من شعب الله لن يكون مصيره أفضل من أي معاند من شعب آخر، وهكذا عرفهم الله حقيقة أمرهم قبل أن يصلوا إلى كنعان.

ثالثا: وجدوا مياه عذبة في إيليم، وجدوا الكثير منها (ع ٢٧). وكانت هناك «اثنتا عشرة عين ماء»، بواقع عين لكل سبط، حتى لا يتشاحنوا على الماء كما سبق أن فعل آباؤهم في بعض الأحيان، ومما أسعدهم أنه كانت هناك «سبعون نخلة».

الأصحاح السادس عشر

هذا الأصحاح يتحدث عن إطعام بني إسرائيل في البرية.

أولا: تذمرهم لنقص الخبز (ع ١– ٣).

ثانيا: الإخطار الذي أبلغهم به الله مقدما عن الطعام الذي سيدبره لهم (ع ٤– ١٢).

ثالثا: إرسال المن (ع ١٣– ١٥).

رابعا: القوانين والأحكام المتعلقة بالمن.

عدد ١– ١٢

يبدو أن بني إسرائيل أخذوا معهم عند خروجهم من مصر مؤونة تكفيهم شهرا، وقد انتهت عن آخرها في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني.

أولا: غضبهم وتذمرهم بهذه المناسبة (ع ٢ و٣).

(١) اعتقدوا أنهم لا محالة سيهلكون جوعا في البرية، وكان ذلك حين ابتدأت المحنة في الظهور. والحديث عن هلاكهم سريعا معناه عدم الثقة في الله على الإطلاق.

(٢) اتهموا موسى غاضبين بأنه تآمر لكي يميتهم جوعا حين أخرجهم من مصر.

(٣) إلى هنا كانوا يحطون من قدر خلاصهم حتى أنهم تمنوا لو كانوا قد ماتوا في مصر. ذلك أنهم كانوا يفضلون الموت بجانب قدور اللحم في مصر، حيث كان الطعام وفيرا، على أن يعيشوا تحت إرشاد العمود السماوي في برية وتعولهم يد الله. ولا نستطيع افتراض أنه كانت لديهم مؤن كثيرة في مصر، مهما كثر حديثهم الآن عن قدور اللحم، بل وما كان لهم أن يخشوا الموت جوعا في البرية، حيث كانت قطعانهم ومواشيهم معهم. غير أن التذمر يمجد ما كان في الماضي، ويحط من قدر ما هو متاح في الوقت الراهن دون اعتبار للحق أو المنطق.

ثانيا: اهتمام الله بتوفير الطعام لهم.

(١) كيف عرَّف الله موسى مقاصده الكريمة، حتى لا يقلق بسبب تذمرهم، أو يندم لعدم تركه إياهم في مصر.

أ. عرف بشكاوي الشعب.

ب. وعدهم بمؤونة سريعة وكافية ودائمة (ع ٤). ونرى هنا ما قصده الله بتدبيره هذه المؤونة لهم: «لكي أمتحنهم أيسلكون في ناموسي أم لا».

◄ وهكذا اختبرهم، هل سيثقون فيه، ويسيرون في ناموس الإيمان أم لا، وهل سيقنعون بخبز يوم بيوم،

ويعتمدون على الله من جهة تدبير احتياجات الغد.

◄ بهذا اختبر ما إذا كانوا سيعبدونه ويظلون أمناء له.

(٢) كيف عرَّف موسى بني إسرائيل بمقاصد الله هذه بحسب ما أمره الله. وهنا كان هارون نبيه، كما كان بالنسبة لفرعون، وقد وجه موسى هارون بشأن ما يجب عليه قوله «لكل جماعة بني إسرائيل» (ع ٩). لاحظ أن الله يتنازل حتى أنه يسمع للمتذمرين.

أ. أقنعهم برداءة تذمرهم: وكانوا يعتقدون أنهم يتذمرون على موسى وهارون فقط، غير أنه قيل لهم هنا إنهم يهاجمون الله مباشرة. ويُلاحظ أنه حينما نتذمر على مَنْ يستخدمهم الله كأدوات له لأي تعب يصيبنا، سواء بحق أو بدون حق، فإننا نحسن صنعا إذا ما اعتبرنا أننا نسيء إلى الله بتذمرنا.

ب. أكد لهم أن الله سيُدبِّر احتياجاتهم، وماداموا قد اشتهوا قدور اللحم، فإن الله سوف يعطيهم لحما في العشية وخبزا في الصباح التالي، وهكذا سيفعل كل يوم بعد ذلك (ع ٨، ١٢). هناك كثيرون ممن نقول عنهم إنهم في حاجة إلى الطعام أكثر من التعليم، غير أن بني إسرائيل هنا أُطعموا حتى يتعلَّموا.

◄ «تعلمون أن الرب أخرجكم من أرض مصر» (ع ٦). أما وأنهم أُخرجوا من مصر فهذا ما كان واضحا تماما، غير أنه من الغريب حقا أن تبلغ بهم حماقتهم درجة يقولون معها إن موسى هو الذي أخرجهم من مصر (ع ٣).

◄ «وتعلمون أني أنا الرب إلهكم» (ع ١٢). وحين ضرب الله المصريين كان هدفه أن يعرِّفهم أنه هو الرب، وحين دبر طعاما لبني إسرائيل فكان من أجل أن يعرِّفهم أنه هو إلههم.

(٣) كيف أظهر الله مجده ليقضي على تذمر الشعب، وليحقق سمعة طيبة لموسى وهارون (ع ١٠). وفيما كان هارون يتكلم «وإذا مجد الرب قد ظهر في السحاب».

عدد ١٣ – ٢١

ابتدأوا الآن يحصلون على طعامهم من يد الله مباشرة.

أولا: أقام لهم وليمة في العشية من لحم طير لذيذ. ذلك أن «السلوى» أو نوعا من الطيور البرية، جاء بكثرة وغطى المحلة، وكانت أليفة حتى إنهم كانوا يستطيعون أن يأخذوا أية كمية بحسب ما يريدون.

ثانيا: في الصباح التالي أمطر عليهم المن، والذي كان سيتواصل توفيره لهم كخبز يومي.

(١) الذي أُعطي لهم هو المن، وكان في حد ذاته طعاما متكاملا، بحيث يصلح للتغذية وللتقوية دون أي شيء آخر معه. وأسموه «المن» أي «مَنْ هو؟»

(٢) كان عليهم أن يلتقطوه كل صباح (ع ٢١)، «حاجة اليوم بيومها» (ع ٤). ويبدو أن مخلصنا كان يشير إلى هذا الإمطار اليومي للمن وجمعه حين علمنا أن نصلي قائلين: «خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم» (لو ١١: ٣). ومن هذا نتعلَّم:

أ. علينا أن نعمل بكل جد لتوفير طعام مناسب لنا ولعائلاتنا، وما يتفضل الله ويعطيه لنا، علينا أن نجتهد في جمعه.

ب. الرضا والقناعة بما يكفينا. عليهم أن يلتقطوا «كل واحد على حسب أكله». فما يكفينا يُعد كوليمة، أما أكثر من كفايتنا فهو أمر سيئ كالتخمة.

ج. الاعتماد على عناية الله: «لا يُبق أحد منه إلى الصباح» (ع ١٩)، بل عليهم أن يتعلموا الذهاب إلى فراشهم والنوم في هدوء، على الرغم من عدم وجود شيء من الخبز في خيامهم، بل ولا في كل المحلة، واثقين أن الله سيعطيهم في الغد خبزهم اليومي. ونرى هنا حماقة التخزين. فالمن الذي أبقاه الناس حتى الصباح تولَّد فيه دود وأنتن، ولم يعد يصلح لشيء.

(٣) علينا هنا أن نتأمل:

أ. قوة الله العظيمة التي أطعمت إسرائيل في البرية، وجعلت من خبزهم اليومي معجزات. ولم يسبق أن كان هناك سوق للمؤن مثل هذا، حيث كان يمد مئات الآلاف من الناس بمؤنتهم اليومية مجانا. ولم يسبق أن كان هناك بيت مفتوح للجميع كذاك البيت الذي جعله الله في البرية مدة أربعين سنة كاملة، ولم يسبق أن كانت مثل هذه الضيافة المجانية السخية.

ب. عناية الله المستمرة. ونفس الحكمة والقوة والصلاح التي كانت تحضر الطعام كل يوم من

السحاب، هي التي تعمل في الطبيعة باستمرار، لتحضر الطعام كل سنة من الأرض، وتعطينا كل شيء بوفرة لنتمتع به.

عدد ٢٢- ٣١

أمامنا هنا تخصيص يوم من الأيام السبعة للعمل الديني، ولكي يتم ذلك- ومن أجل راحة مقدسة، الأمر الذي فرضه الله منذ أن جعل الإنسان في الأرض، وهو أقدم النواميس الإيجابية- سمح الله لبني إسرائيل بالتقاط مؤنة مضاعفة في اليوم السادس: ولذلك أعطاهم الله «في اليوم السادس خبز يومين» (ع ٢٩). فإذ رسم لهم أن يستريحوا في اليوم السابع، فمن ثَمَّ اهتم بألا تنجم عن ذلك أية خسارة لهم، ولن يخسر أحد على الإطلاق في خدمته لله. كان عليهم في ذلك اليوم أن يلتقطوا كفاية يومين، لكي يجهزوه (ع ٢٣). كانت الشريعة واضحة جدا وحاسمة في أنه عليهم أن يخبزوا ويطهوا طعامهم، في اليوم السابق على السبت، وليس في يوم السبت نفسه. ولكن هذا لا يجعل من طهي اللحم أمرا غير جائز لنا في يوم الأحد، بل يوجهنا إلى أن نخطط شئون عائلتنا، بحيث لا تعطلنا بقدر الإمكان عن حفظ يوم الرب. والذين احتفظوا بالمن لكي يأكلوه في السبت «لم ينتن» (ع ٢٤). ويبدو أن البعض منهم خرجوا في اليوم السابع متوقعين أن يجدوا «منا" (ع ٢٧)، غير أنهم لم يجدوا شيئا، لأن الذين يجدون هم الذين يبحثون في الوقت المناسب. ولقد قال الله لموسى بهذه المناسبة: «إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياي؟» (ع ٢٨). ولماذا قال ذلك لموسى؟ فلم يكن موسى عاصيا. هذا صحيح، ولكنه كان قائدا لشعب عاصي، ولقد شدَّد الله عليه في هذا الأمر، لكي يقوم هو بدوره بالتشديد على الشعب بقوة بخصوص هذا الأمر، وأن ينتبه حتى لا يكون عصيانهم نتيجة أي خطأ أو إهمال من جانبه.

عدد ٣٢- ٣٦

وإذ دبر الله المن ليكون طعاما لشعبه في البرية، فقد ذُكر لنا هنا:

(١) كيف تم حفظ ذكرى هذا الأمر. فقد حُفظ «ملء العمر» من هذا المن في قسط من ذهب، بحسب ما جاء في عبرانيين ٩: ٤، ووُضع «أمام الشهادة» أو تابوت العهد، حينما تم صُنعه بعد ذلك (ع ٣٢- ٣٤). ويُلاحظ أن الخبز الذي يُؤكل لا ينبغي نسيانه. فمعجزات الله ومراحمه يجب أن يتم حفظها بذكرى أبدية، وذلك لتشجيعنا على الثقة فيه في كل الأوقات.

(٢) كيف أن رحمته هذه استمرت طوال حاجتهم إليها. فلم يتوقف المن إلى أن وصلوا حدود كنعان، حيث كان هناك خبز يكفي ويزيد (ع ٣٥). وقد سُمي المن «طعاما... روحيا» (١كو ١٠: ٣)، لأنه كان يرمز إلى البركات الروحية للأمور السماوية. والمسيح نفسه هو المن الحقيقي، خبز الحياة، والذي لم يكن هذا المن سوى رمزا له (يو ٦: ٤٩- ٥١). وكلمة الله هي المن الذي تتغذى عليه نفوسنا (مت ٤: ٤). وتعزيات الروح القدس هي المن المخفى (رؤ ٢: ١٧). وهذه تأتي من السماء مثل المن، وهي غذاء وتعزية الحياة الروحية للنفس، أثناء وجودنا في برية هذا العالم. والمن يجب أن يُلتقط، والمسيح في الكلمة هو غذاء النفس، ويجب استخدام وسائط النعمة. ويتعين على كل واحد منا أن يجمع لنفسه، ويجمع في باكورة أيامنا، وباكورة الفرص المتاحة لنا التي إذا أضعناها، فسوف تضيع علينا فرصة الجمع أو الالتقاط. والمن الذي كانوا يلتقطونه كان عليهم ألا يخزنوه، بل يأكلوه. والذين قبلوا المسيح بالإيمان، عليهم أن يتغذوا به، ولا يقبلوا نعمته باطلا. غير أن أولئك الذين أكلوا المن جاعوا ثانية، وأخيرا ماتوا، ولم يكن الله راضيا عن كثيرين منهم، في حين أن الذين يأكلون جسد المسيح بالإيمان لن يجوعوا أبدا، ولن يموتوا إلى الأبد، وسوف يرضى الله عنهم دائما. ليت الرب يعطينا دائما هذا الخبز.

الأصحاح السابع عشر

أولا: إعطاء شعب إسرائيل ماء ليشربوا.

(١) افتقروا إلى الماء في البرية (ع ١ و٢).

(٢) وبسبب ذلك وبخوا موسى (ع ٢ و٣).

(٣) صراخ موسى إلى الله (ع ٤).

(٤) أمره الله بأن يضرب الصخرة، ويُخرج منها ماء،

وقد فعل موسى ذلك (ع ٥ و٦).

(٥) وأخذ المكان اسمه من هذه الواقعة (ع ٧).

ثانيا: هزيمة جيش عماليق.

(١) النصر يتحقق بصلاة موسى (ع ٨– ١٢).

(٢) وبسيف يشوع (ع ١٣). حفظ هذه الأحداث في سجل (ع ١٤، ١٦). وقد كُتبت لأجل تعليمنا في رحلتنا وحروبنا الروحية.

عدد ١ – ٧

أولا: الصعوبات التي واجهت بني إسرائيل لنقص الماء.

ثانيا: تذمرهم وشكوكهم في هذه المحنة، وقد قيل: «وعطش هناك الشعب إلى الماء». (ع ٣) وهذا يشير إلى أن انفعالهم وغضبهم الشديد فاقم من رغبتهم، وجنحوا إلى العنف والتبرم. ونرى هنا لغة هذه الرغبة الجامحة.

(١) تحدوا موسى أن يعطيهم ماء: «أعطونا ماء لنشرب» (ع ٢)، طلبوا هذا كما لو كان دينا عليه.

(٢) تشاجروا معه لأنه أخرجهم من مصر، كما لو أنه بدلا من إنقاذهم من العبودية خطط لقتلهم. ولقد بلغ حقدهم على موسى حدا كادوا معه أن يرجموه (ع ٤).

(٣) وبدأوا يتساءلون ما إذا كان الله معهم أم لا، وقد خاصموا الرب قائلين: «أفي وسطنا الرب أم لا» (ع ٧). بل إنهم تشككوا في وجود الله نفسه –هل يوجد إله أم لا، وفي عنايته الإلهية العامة– هل هذا الإله يتسلط على العالم، كما تشككوا أيضا في وعده الخاص– هل سيوفي بوعوده معهم. وهذا ما أُشير إليه بعبارة «لماذا تجربون الرب». والواقع أنهم افترضوا أن موسى رجل مُدع، وأن سلسلة المعجزات التي أنقذتهم وخدمتهم وأطعمتهم، ما كانت سوى سلسلة من الغش والخداع، أما الوعد الخاص بكنعان فما كان إلا للسخرية بهم، كل الأمور صُوِّرت هكذا ما دام الرب ليس في وسطهم.

ثالثا: النهج الذي اتبعه موسى:

(١) وبخهم على تذمرهم: «لماذا تخاصمونني؟» (ع ٢). ونلاحظ هنا كيف أنه رد عليهم بكل هدوء. وبيَّن لهم حقيقة تذمرهم، وهو أنه موجه ضد الله، وأن كل التوبيخات التي يوجهونها له إنما تقع على الله نفسه: «لماذا تجربون الرب»، بمعنى أنهم بعدم ثقتهم في الله فإنهم يختبرون صبره، وهكذا يثيرون غضبه.

(٢) رفع شكواه إلى الله: «فصرخ موسى إلى الرب» (ع ٤). فحين يديننا الناس بدون حق ويخاصموننا، فإنه لمما يريحنا جدا أن نلجأ إلى الله، وعن طريق الصلاة نطرح الأمر أمامه ونتركه له، وإذا كان الناس لن يستمعوا لنا، فسوف يستمع لنا الله. وقد التمس موسى من الله أن يرشده إلى ما يجب عليه عمله، لأنه في واقع الحال كان مرتبكا وحائرا.

رابعا: ظهور الله برحمته لكي ينقذهم (ع ٥ و٦). لقد أمر موسى أن يمر من قدام الشعب، ويأخذ عصاه معه، ليس من أجل استدعاء ضربة ما لكي يعاقبهم بها، بل للحصول على ماء من أجلهم. ما أعجب صبر الله وتحمله! لو كان الله قد أظهر لموسى عين ماء في البرية، كما فعل بالنسبة لهاجر، لكان في هذا فضل عظيم، ولكنه أظهر قوته كما أظهر شفقته، وحول الأمر إلى معجزة رحمة، فقد أعطاهم ماء من صخرة. لقد وجه موسى إلى أين يذهب، وعرفه بأن يصحب معه بعضا من الشيوخ ليكونوا شهودا على ما يُعمل، وحتى يقتنعوا هم أنفسهم بيقينية حضور الله معهم. وقد وعد أن يقابله هناك في سحابة المجد، وأمره أن يضرب الصخرة، وأطاع موسى، وللحال خرج الماء يتدفق غزيرا من الصخرة. وقد سُميت «ينابيع مياه» (مز ١١٤: ٨). وهذا الماء القراح الذي تدفق من الصخرة سُمي: «عسلا... وزيتا» (تث ٣٢: ١٣) لأن شدة عطش الناس ضاعف من حلاوته، وبمجيئه في شدة حاجتهم جعله مثل العسل والزيت عندهم. والله بمقدوره أن يفتح لنا ينابيع بركاته لشعبنا من حيث لم يكن يخطر لنا على بال «أنهارا في القفر» (إش ٤٣: ٢٠)، لأنه يجعل «في القفر سبيلا». والذين يلتزمون –في هذه البرية– بالسير في طريق الرب، عليهم الاتكال عليه في تدبير احتياجاتهم، ونِعم الروح القدس وتعزياته شُبهت بـ «أنهار ماء حي» (يو ٧: ٣٨ و٣٩؛ ٤: ١٤). وهذه تتدفق من المسيح الذي هو الصخرة التي ضُربت بناموس موسى لأنه جُعل تحت الناموس. وليس شيء يمكن أن يسد احتياجات النفس ويشبع

رغباتها سوى ماء من هذه الصخرة، ومن هذا النبع الجاري. والملذات الحسية ما هي إلا ماء آسن موحل، أما المباهج الروحية فهي ماء من الصخرة نقي للغاية ورائق جدا ومنعش تماما- إنها أنهار مسرات.

خامسا: بهذه المناسبة أُطلق على المكان اسم جديد، يحفظ تذكار خطية تذمرهم: «مسة» وتعني يجرب، لأنهم جربوا الله، و«مريبة» (أي مخاصمة) لأنهم تخاصموا مع موسى (ع ٧).

عدد ٨- ١٦

كان عماليق أول الأمم الذين حاربتهم إسرائيل (عد ٢٤: ٢٠).

أولا: هجوم عماليق: «وأتى عماليق وحارب إسرائيل» (ع ٨). والعماليق هم من نسل عيسو الذي كره يعقوب بسبب البكورية والبركة، وكانت هذه الحرب نتيجة العداوة الموروثة، ويمكننا النظر إليها على أنها:

(١) محنة لإسرائيل.

(٢) خطية عماليق، وقد اعتُبرت هكذا في سفر التثنية ٢٥: ١٧ و١٨. فلقد قاموا وهاجموا بكل شر مؤخرتهم، وضربوا أولئك الذين كانوا ضعافا واهنين، والذين لم يكن في وسعهم المقاومة أو الهروب. وكان هجومهم بلا طائل، ذلك أنهم هجموا على محلة كانت تُحرس وتُطعم بالمعجزات، ويقينا أنهم ما كانوا يدرون ماذا يفعلون.

ثانيا: دفاع إسرائيل ضد المعتدين:

(١) المهمة التي كُلف بها يشوع، والذي جاء ذكره هنا لأول مرة، فقد اختير ليكون القائد العام لهذه الحملة، وحتى يُدرب على الخدمات التي كان من المتوقع أن تُناط إليه بعد وفاة موسى.

(٢) المهمة التي قام بها موسى: «أقف أنا على رأس التلة وعصا الله في يدي» (ع ٩) يشوع يحارب، أما موسى فيصلي ممسكا بعصا الله في يده. ويرفع موسى هذه العصا لإسرائيل لكي يلهمهم ويحمسهم، وقد رُفعت العصا كالراية التي تشحذ همم الجنود. كما أن موسى يرفع هذه العصا على سبيل مناشدة الله وطلب عونه. ولم يقُم موسى بدور حامل الراية فقط، بل كان شفيعا يتوسل إلى الله لكي يمنحهم النجاح والنصرة. والفريق المصلي هنا هو الذي سيثبت أنه الفريق الأقوى.

أ. كيف تعب موسى: «صارت يدا موسى ثقيلتين» (ع ١٢). ولا يُذكر أن يدي يشوع صارتا ثقيلتين نتيجة القتال، بل يدي موسى اللتين كانتا ثقيلتين في الصلاة. وكلما كانت الخدمة روحية زاد ميلنا للفشل والتراخي فيها.

ب. ماذا كان تأثير عصا موسى على المعركة: «وكان إذا رفع موسى يده (في الصلاة حسب التفسير في الأرامية) أن إسرائيل يغلب» (ع ١١)، ولكن «إذا خفض يده (من الصلاة) أن عماليق يغلب».

ج. العناية التي بُذلت لمساعدة موسى: بعد أن أعياه التعب، ولم يعد يستطيع الوقوف جلس على حجر (ع ١٢)، وحين عجز عن رفع يديه، كانوا يساعدونه على رفعها. وكان موسى -رجل الله- سعيدا بالمساعدة التي يلقاها من هارون أخيه، وحور، الذي يعتقد البعض أنه كان زوج أخته مريم. وإذ رُفعت يدا موسى على هذا النحو ظلتا «ثابتتين إلى غروب الشمس». وليس ثَمة شك في أنه كان مصدر تشجيع عظيم للشعب أن يروا يشوع أمامهم في ميدان القتال، وموسى فوقهم على رأس التلة، والمسيح يمثل كليهما بالنسبة لنا -فهو يشوعنا- رئيس خلاصنا الذي يحارب معاركنا، وهو كموسى بالنسبة لنا، حيث يتشفع فينا في العالم العلوي إلى الأبد لكي لا يفنى إيماننا.

ثالثا: هزيمة عماليق: كان النصر يتأرجح لفترة ما بين المعسكرين، لكنه في النهاية كان من نصيب إسرائيل (ع ١٣). وعلى الرغم من أن يشوع كان يحارب في ظروف غير مواتية على الإطلاق- فالجنود غير منظمين، والتسليح سيئ، مع اعتيادهم على العبودية لفترة طويلة، وكان من المنتظر أن يشتكوا ويتبرموا، ومع ذلك حقق الله نصرا عزيزا.

رابعا: إقامة تذكار لهذا الانتصار:

(١) اهتم موسى بأن يكون المجد في هذه النصرة لله (ع ١٥)، وعوضا عن إقامة قوس نصر تكريما ليشوع، قام ببناء مذبح تمجيدا لله، أما الذي حرص تماما على تسجيله فهو العبارة التي كُتبت على المذبح وهي «يهوه نسي» (أي الرب رايتي) ولعل هذه إشارة

إلى رفع عصا الرب كراية أثناء الحرب. ووجود الرب وقوته كانا يمثلان الراية التي تجندوا تحت لوائها، والتي ألهمتهم وجمعتهم معا، ولذلك كانت هذه هي الراية التي أقاموها يوم نصرتهم.

(٢) اهتم الله بأن يجني نسلهم التعزية والفائدة الناتجتين عن ذلك: «اكتب هذا تذكارا في الكتاب، وضعه في مسامع يشوع»، ليوكل إليه هذا التذكار، لكي ينقله إلى الأجيال القادمة. وينبغي على موسى أن يحتفظ من الآن بيوميات للأحداث التي تمر به، وهذه أول إشارة إلى تسجيل الأحداث نجدها في الكتاب المقدس، وربما لم يُعط هذا الأمر إلا بعد كتابة الناموس على لوحي الحجر حتى تكون ذكرى دائمة لهذا الحدث، فالذي يُسَجل هو الذي يبقى.

أ. اكتب ما حدث. لتُعلِم الأجيال القادمة أن الله يحارب عن شعبه، ومَنْ يمسهم إنما يمس حدقة عينه.

ب. اكتب ما سوف يحدث:

◄ إنه مع مرور الزمن سوف يُهزم عماليق ويُسحق تماما (ع ١٤). ولا ريب أن إسرائيل ستفرح في النهاية لسقوط عماليق. وهذا الحكم نُفذ جزئيا على يد شاول (١صم ١٥)، ونُفذ بشكل تام على يد داود (١صم ٣٠؛ ٢صم ١: ١؛ ٨: ١٢) وبعد زمانه لم نعد نقرأ عن اسم عماليق.

◄ في خلال ذلك سيكون الله معه في حرب دائم (ع ١٦). وقد كُتب هذا لتوجيه إسرائيل بألا يتحالفوا إطلاقا مع عماليق.

الأصحاح الثامن عشر

هذا الأصحاح يخص موسى وحده، وشئون عائلته:

أولا: يثرون حموه يحضر إليه زوجته وأولاده (ع ١- ٦).

ثانيا: موسى يستقبل حماه باحترام عظيم (ع ٧)، وحديث طيب (ع ٨- ١١)، وبذبيحة ووليمة (ع ١٢).

ثالثا: يثرون ينصحه (ع ١٣- ٢٣)، وموسى يعمل بمشورته بعد فترة (ع ٢٤- ٢٦)، وهكذا افترقا (ع ٢٧).

عدد ١- ٦

لقد جاء يثرون:

أولا: لتقديم التهنئة لسعادة إسرائيل ولا سيما الكرامة التي نالها موسى صهره، لقد سمع يثرون حديث البلاد كلها عن ظهور الله المجيد لشعبه إسرائيل (ع ١)، وجاء ليستطلع، وليشاركهم فرحهم، كواحد يكن احتراما حقيقيا لهم ولإلههم. وعلى الرغم من أنه كمدياني ليس من حقه أن يشاركهم في أرض الميعاد، إلا أنه شاركهم مع ذلك في أفراح خلاصهم.

ثانيا: لكي يحضر لموسى زوجته وأولاده. ويبدو أنه كان بدوره قد أرسلهم إلى حميه. ولنا أن نفترض أن يثرون كان سعيدا بصحبة ابنته، وكان مغرما بأولادها، ومع ذلك لم يكن له أن يبعدها عن زوجها، أو يبعد الأولاد عن أبيهم (ع ٥ و٦). ويجب أن تكون عائلة موسى معه، حتى وهو يقود شعب الله، يمكنه في ذات الوقت أن يعطي قدوة حسنة لتدبير شئون العائلة (١تي ٣: ٥). وأصبح لموسى الآن قدر كبير من الكرامة والمسئولية الملقاة على عاتقه، وكان من المناسب أن تكون زوجته معه لتشاركه فيهما. ولقد ذُكرت ملحوظة عن مغزى اسمي هذين الابنين.

(١) سُمي الأكبر «جرشوم» (ع ٣) أي غريب.

(٢) سُمي الثاني «أليعازر» (ع ٤) أي «إلهي عوني»، وهذا ما يشير للماضي، إلى خلاصه من فرعون. وإني لأفضل ترجمة الاسم بحيث يتطلع للمستقبل، والذي سيحمل في الأصل عبارة «الله عوني وسينقذني من سيف فرعون».

عدد ٧- ١٢

أولا: التحية الطيبة التي تبادلها موسى وحموه (ع ٧). والذين أخذوا مكانة عالية بإحسان من الله، لا يعفون من واجبهم نحو الناس. لقد خرج موسى ليقابل يثرون «وسجد وقبّله». والديانة لا تفسد الأخلاق الحسنة. «وسأل كل واحد صاحبه عن سلامته».

ثانيا: القصة التي رواها موسى لحميه عن الأعمال العظيمة التي عملها الله لإسرائيل (ع ٨).

ثالثا: الانطباعات التي ولدتها هذه القصة في نفس يثرون.

(١) فرح بإله إسرائيل: «ففرح يثرون» (ع ٩)، ولم يبتهج للكرامة التي نالها صهره فحسب، بل «بجميع الخير الذي صنعه إلى إسرائيل الرب» (ع ٩). ففيما كان الإسرائيليون أنفسهم يتذمرون على الرغم من كل الصلاح الذي صنعه الله معهم، نجد هنا أحد المديانيين يفرح له.

(٢) أعطى المجد لإله إسرائيل (ع ١٠).

(٣) تثبت إيمانه من خلال هذا، وقد انتهز هذه الفرصة لإعلانه: «الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة» (ع ١١). ومما تجدر ملاحظته:

أ. جوهر إيمانه: علم أن إله إسرائيل أعظم من كل المدعين، أعظم من كل الآلهة الزائفة.

ب. تأكيد إيمانه ونموه: «الآن علمت»، كان يعلم من قبل، أما الآن فقد علم بشكل قاطع، لقد نما إيمانه إلى يقين كامل، بناء على هذا الدليل الجديد.

ج. الأساس والسبب الذي أقام عليه إيمانه: «لأنه في الشيء الذي بغوا به كان عليهم». لقد خاب السحرة، واهتزت الأوثان، وأُذل فرعون، وتحطمت قواته، وعلى الرغم من كل المتحالفين معهم، فإنهم لم يستطيعوا شيئا في مواجهة إله إسرائيل.

رابعا: التعبير عن فرحهم وشكرهم. اشتركوا معا في الوليمة أو في الذبيحة (ع ١٢). ورُحب بيثرون بكل فرح، على الرغم من أنه مدياني، للاشتراك مع موسى وشيوخ إسرائيل: «إذ هو أيضا ابن ابراهيم"، ولو أنه من بيت أصغر.

(١) اشتركوا في ذبيحة شكر: فأخذ يثرون حمو موسى محرقة وذبائح لله ومن المحتمل أنه قدمها بنفسه، لأنه كان كاهنا في مديان، وكان يعبد الإله الحقيقي.

(٢) اشتركوا في وليمة للفرح، وليمة على الذبيحة.

عدد ١٣ – ٢٧

أولا: غيرة موسى البالغة وجهده العظيم كقاضٍ:

(١) إذ استُخدم ليحرر بني إسرائيل من العبودية في مصر، فهو في هذا كان رمزا آخر للمسيح، حيث أنه استُخدم كمشرع وقاض بينهم.

أ. كان عليه أن يجيب على استفساراتهم، ويشرح لهم شريعة الله التي سبق أن أُعطيت له، بشأن السبت، المن... إلخ، إلى جانب القواعد التي تحكم العلاقات بين الناس، وارتباط التقوى بمبادئ العدالة (ع ١٥). وكان موسى يعرفهم «فرائض الله وشرائعه» (ع ١٦). ولم يكن عمله سن القوانين، بل أن يعرف الشعب بشريعة الله، فموقفه لم يكن سوى موقف الخادم.

ب. كان عمله أن يحل المنازعات ويقضي فيها، يقضي بين الرجل وصاحبه (ع ١٦). وإذا كان الشعب يتخاصم كل مع الآخر كما كانوا يفعلون مع الله فلا ريب أنه كانت تعرض عليه قضايا كثيرة جدا.

(٢) هذا هو العمل الذي كُلِّف به موسى، ويبدو أنه قام به:

أ. باهتمام عظيم.

ب. بتقدير كبير للشعب الواقف عنده (ع ١٤).

ج. بإخلاص شديد وتطبيق سليم.

ثانيا: حكمة يثرون العظيمة ورأيه المخلص كصديق:

(١) لم يرقه الأسلوب الذي يتبعه موسى، وبكل بساطة أخبره برأيه هذا (ع ١٤، ١٧ و١٨). لقد رأى أن موسى يتحمل كمًا من العمل لا طاقة له به. وقد يكون هناك إفراط حتى في العمل الطيب.

(٢) نصحه بنموذج للسلطة يمكنه أن يحقق الهدف بشكل أفضل، ألا وهو:

أ. أن يحتفظ لنفسه بكل الأعمال المتعلقة بالله (ع ١٩): «كن أنت للشعب أمام الله»، وكان هذا شرفا لم يكن من اللائق أن يشرك فيه أحدا (عد ١٢: ٦– ٨). أيضا فيما يتعلق بكل شئون الجماعة بوجه عام فيجب أن يتم من خلاله (ع ٢٠)، غير أنه:

ب. عليه أن يعين قضاة في جميع الأسباط والعائلات، ينظرون في القضايا التي بين الرجل وصاحبه، ويبتون فيها، الأمر الذي يمكن أن يتم بتعب أقل، وبأكثر سرعة وفعالية عما هو عليه الحال في الاجتماع العام الذي يترأسه موسى نفسه، ومع ذلك:

ج. يمكن أن تُرفع القضايا من هذه المحاكم الدنيا إلى موسى نفسه إذا ما كان ثَمة مبرر قوي يستدعي ذلك. «ويكون أن كل الدعاوي الكبيرة يجيئون بها إليك» (ع ٢٢).

(٣) أضاف شرطين لنصيحته:

أ. يجب أن تولى عناية كبرى في اختيار الأشخاص الذين تُوكل إليهم هذه الثقة (ع ٢١): «ذوي قدرة...». وكان شرطا جوهريا أن يكونوا رجالا مشهودا لهم بحسن الخلق:

◄ لإصدار الأحكام واتخاذ القرارات المتعلقة بالقضايا التي تُطرح عليهم- «ذوي قدرة». فأصحاب الضمائر الصافية والقلوب الشجاعة يكونون قضاة ماهرين.

◄ أما لأمور العقيدة والتقوى فيختار رجالا معروفين بالتقوى والتدين- «خائفين الله»، إن أصحاب الضمائر الحية، الذين لا يجرؤون على ارتكاب أمر شديد، على الرغم من أنه بمقدورهم أن يفعلوا ذلك سرا وفي أمان.

◄ ومن جهة الكمال والأمانة- «أمناء».

◄ ممن يحتقرون ثروات العالم- «مبغضين الرشوة».

ب. يجب أن يراعي توجيهات الله بالنسبة لهذا الأمر: «إن فعلت هذا الأمر وأوصاك الله تستطيع القيام» (ع ٢٣). ولم يحتقر موسى هذه النصيحة، بل «سمع موسى لصوت حميه» (ع ٢٤).

ثالثا: عودة يثرون إلى أرضه (ع ٢٧). ومن المفترض أن القينيين (المذكورين في ١ صموئيل ١٥: ٦) كانوا من نسل يثرون (قارن قضاة ١: ١٦)، وقد أُولوا حماية خاصة لما أبداه أسلافهم من تعاطف مع إسرائيل، الأمر الذي أُشير إليه هنا.

الأصحاح التاسع عشر

يصف هذا الأصحاح مظاهر الهيبة التي صاحبت إعطاء الشريعة على جبل سيناء، ويتضمن:

أولا: الظروف من حيث الزمان والمكان (ع ١ و٢).

ثانيا: وُضع العهد بين الله وإسرائيل في صورته العامة. العرض الكريم الذي قدمه الله لهم (ع ٣- ٦)، موافقتهم عليه (ع ٧ و٨).

ثالثا: إشعار أُعطي قبل ثلاثة أيام عن عزم الله إعطاء الناموس من خلال ظلام السحاب (ع ٩). أُعطيت الأوامر لتجهيز الشعب لاستقبال الناموس (ع ١٠- ١٣)، والاهتمام بتنفيذ هذه الأوامر (ع ١٤ و١٥).

رابعا: ظهور مخيف لمجد الله على جبل سيناء (ع ١٦- ٢٠).

خامسا: نودي بالصمت التام.

عدد ١ - ٨

أولا: تاريخ العهد العظيم الذي بمقتضاه اتخذ الله إسرائيل شعبا خاصا له.

(١) تاريخ هذا العهد «في الشهر الثالث» (ع ١) بعد خروجهم من مصر.

(٢) المكان الذي شهد الواقعة: «جبل سيناء»، أعلى جبل في سلسلة هذه الجبال. وبهذا أظهر الله احتقارا للمدن والقصور، والمباني الفخمة، حيث أقام خيمته على قمة جبل عال، في صحراء جرداء قاحلة، وذلك ليقيم هذا العهد. وقد سُميت «سيناء» بهذا الاسم وذلك لكثرة الشجيرات الشوكية (العليقات) المنتشرة بها.

ثانيا: العهد نفسه: استُدعي موسى للصعود على الجبل، واستُخدم كرسول للعهد: «هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل» (ع ٣). ويُلاحظ هنا:

(١) واضع العهد ومؤسسه هو الله نفسه. وفي كافة معاملاتنا مع الله تسبقنا نعمته السخية ببركات صلاحه، وكل ما يصيبنا من خير ليس مرده معرفتنا لله، بل بالأحرى لأننا عُرفنا من الله (غل ٤: ٩).

(٢) موضوع العهد طيب وكريم، حيث يعطيهم أعظم الامتيازات والإحسانات التي يمكن تصورها.

أ. يذكرهم بما سبق أن عمله من أجلهم: «حملتكم على أجنحة النسور» (ع ٤)، وهو تعبير سام عن رحمة الله العجيبة التي أبداها نحوهم. وقد فُسرت هذه العبارة في سفر التثنية ٣٢: ١١ و١٢. وهي تشير إلى السرعة العظيمة، فلم يأت الله «بجناحيه» لخلاصهم فحسب، بل أخرجهم على جناح السرعة (كما يقولون). وقد فعل ذلك بقوة النسر وسرعته.

ومصر، الأتون الحديدي، كانت العش الذي أفرخ فيه هؤلاء الصغار، حيث تشكلوا لأول مرة كجنين لأمة عظيمة، إذ نموا إلى درجة من النضج نتيجة زيادة عددهم، فحُملوا إلى خارج العش. والطيور الأخرى تحمل صغارها في مخالبها، أما النسر (كما يقولون) فيحمل صغاره على أجنحته، حتى لا يمكن لرماة السهام الذين يصوِّبون سهامهم على الأهداف الطائرة أن يصيبوا صغاره، ما لم يصيبوا الكبار أولا. «وجئت بكم إليَّ». لم يجيء بهم إلى حالة من الحرية والكرامة فحسب، بل إلى عهد وشركة مع الله. وكان هذا مجد خلاصهم، كما أن مجدنا قد تحقق بموت المسيح: «البار من أجل الأثمة لكي يقربنا إلى الله». وهذا ما يستهدفه الله برحمته في جميع طرق عنايته ونعمته، وهو أن يرجعنا إليه، بعد أن تمردنا عليه، يرجعنا إلى شخصه الذي فيه وحده سعادتنا. وقد أصاب البعض حين قالوا إن مؤمني العهد القديم قد حُملوا على أجنحة النسور، غير أن كنيسة العهد الجديد جُمعت بواسطة الرب يسوع «كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» (مت ٢٣: ٣٧)، الأمر الذي يشير إلى نعمة وعطف ذلك التدبير، ومحبة الفادي واتضاعه العجيب.

ب. قال لهم مباشرة: «إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي...» (ع ٥). وإذ كان هو الذي خلصهم، فقد أصر على أنه يتعين عليهم أن يطيعوه ويمتثلوا لأحكامه.

ج. أكد لهم الكرامة التي سيخلعها عليهم، والمحبة التي سيظهرها نحوهم، إذا ما حافظوا على عهده: «تكونون لي خاصة» (ع ٥ و٦).

◄ يؤكد الله هنا سيادته على كل الخليقة المرئية وملكيته لها: «للرب الأرض».

◄ خصص إسرائيل لنفسه، كشعب عزيز عليه «تكونون لي خاصة». فإذ أعطاهم إعلانا إلهيا، وفرائض، ومواعيد تتضمن حياة أبدية، وبإرساله الأنبياء من بينهم، وسكبه من روحه عليهم، فإنه بكل هذا ميزهم وأعطاهم كرامة على كل الشعوب.

ثالثا: قبول إسرائيل لهذا العهد وموافقتهم على شروطه:

(١) سلَّم موسى رسالة الله للشعب بكل أمانة: «ووضع قدامهم كل هذه الكلمات» (ع ٧). ووضعه لهذه الكلمات أمامهم يشير إلى وضعها أمام ضمائرهم.

(٢) وافقوا على العهد المقترح بكل ترحاب: «كل ما تكلم به الرب نفعل».

(٣) أما موسى -كوسيط- فقد رد كلام الشعب إلى الرب (ع ٨). وهكذا المسيح أيضا باعتباره الوسيط بيننا وبين الله، فهو كنبي يعلن لنا إرادة الله، وبعد ذلك ككاهن يرفع إلى الله ذبائحنا الروحية. وهكذا فهو الوسيط المبارك الذي «يضع يده على كلينا».

عدد ٩- ١٥

أولا: يكشف الله لموسى عن قصده من نزوله على جبل سيناء، في ظهور مرئي لمجده، «في ظلام السحاب» (ع ٩) وسوف ينزل الرب «أمام عيون جميع الشعب» (ع ١١)، وعلى الرغم من أنهم لن يروا الله بأي صورة، إلا أنهم سيرون ما يكفي لإقناعهم أن الله كان حقا بينهم. وهكذا كان لابد وأن يتم التفاهم بين الله والشعب بواسطة ظهور مرئي للمجد الإلهي، ثم يتواصل بعد ذلك في صمت بواسطة خدمة موسى. وبطريقة مشابهة، نزل الروح القدس بشكل مرئي على المسيح عند عماده، وسمع كل الحاضرين الله وهو يتكلم معه (مت ٣: ١٧) حتى يؤمنون به بعد ذلك، دون حاجة إلى مثل هذه العلامات المرئية. وهكذا أيضا نزل الروح القدس على الرسل في صورة ألسنة كأنها من نار (أع ٢: ٣)، حتى يصدقهم الناس.

ثانيا: أمر موسى أن تُجهز الاستعدادات اللازمة لهذا الحدث العظيم، وأعطاه مهلة يومين لهذا الغرض.

(١) يجب عليه أن يقدس الشعب: «قدسهم» (ع ١٠)، أي استدعاهم من أعمالهم العادية، ودعاهم إلى الممارسات الدينية، من تأملات وصلوات وما إلى ذلك؛ حتى يتسلموا الناموس من فم الله بتبجيل وتقوى. «ويكونوا مستعدين» (ع ١١). يجب جمع شتات الفكر، وإبعاد الميول الفاسدة، وتهدئة المشاعر القلقة، والواقع أنه يجب التخلي عن كل الهموم

المتعلقة بالعمل الدنيوي في الوقت الراهن حتى يكون بمقدورنا أن نتقدس لنقترب من الله. وكعلامة لتطهيرهم عليهم أن يغسلوا «ثيابهم» (ع ١٠)، وهذا ما فعلوه (ع ١٤). وليس معنى هذا أن ملابسنا لها أهمية لدى الله، بل أن ذلك إشارة إلى أنهم غسلوا نفوسهم بالتوبة. ويليق بنا أن نظهر في ملابس نظيفة حين مقابلتنا للعظماء من الناس، وهكذا أيضا فإن القلوب النظيفة مطلوبة عند لقائنا بإلهنا العظيم الذي يراها كما يرى الناس ثيابنا.

(٢) ويقيم «للشعب حدودا من كل ناحية» من الجبل (ع ١٢ و١٣). ولعله رسم خطا، أو عمل حفرة حول سفح الجبل، حُظر على الجميع ألا يتعدوها وإلا فإنهم يلقون حتفهم. وهذا كان يشير إلى مخافة الله وتوقيره اللذان يجب أن يتملكا كل الذين يعبدون الله.

(٣) عليه أن يأمر الشعب بالحضور عند سماع صوت البوق: «أما عند صوت البوق» (ع ١٣) فعليهم أن يأخذوا أماكنهم عند سفح الجبل، وبذلك يجلسون عند قدمي الله. وليس بمقدور صوت إنسان أن يصل إلى هذا العدد الكبير، غير أن صوت الله يستطيع ذلك.

عدد ١٦ – ٢٥

وأخيرا جاء اليوم المشهود، ولم يسبق أن قيلت عظة للمؤمنين كتلك التي قيلت لهم في البرية، ولم يأت مشهد كهذا منذ ذلك الحين، وذلك:

أولا: لأن الواعظ كان هو الله نفسه: «الرب نزل عليه (على الجبل) بالنار» (ع ١٨). «ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل» (ع ٢٠). ولقد ظهرت الشكينة أو سحابة المجد، أو مجد الله على مشهد من الشعب كله.

ثانيا: كان المنبر (أو بالأحرى العرش) هو جبل سيناء، وقد كان عليه «سحاب ثقيل» (ع ١٦)، وغطاه دخان (ع ١٨)، وارتجف كل الجبل جدا.

ثالثا: استُدعي الشعب للتجمع معا وذلك بواسطة «صوت بوق شديد» (ع ١٦)، كان «يزداد اشتدادا جدا» (ع ١٩).

رابعا: أحضر موسى السامعين إلى مكان الاجتماع (ع ١٧). وذاك الذي قادهم للخروج من العبودية في مصر، قادهم الآن ليتسلموا الشريعة من فم الله. وموسى وهو على رأس اجتماع هائل يعبد الله، كان عظيما حقا، على غرار ما كان عليه وهو على رأس جيش في ميدان القتال.

خامسا: كان مقدمة الخدمة «رعود وبروق» (ع ١٦). وللرعود والبروق أسباب طبيعية، غير أن الكتاب المقدس يوجهنا بصفة خاصة إلى أن نلاحظ قوة الله، وارتعاد الشعب في هذا الموقف.

سادسا: موسى خادم الله، الذي تكلم الله معه لكي يأمر بالسكون، ويحافظ على الجماعة في نظام: «موسى يتكلم» (ع ١٩). ولقد بدد الله خوفه بالامتياز الذي اختصه به دون الآخرين، وذلك بدعوته إلى رأس الجبل (ع ٢٠)، الأمر الذي من خلاله اختبر أيضا إيمانه وشجاعته. وكان محرَّما على الكهنة والشعب تخطي الحدود التي عُينت «لينظروا» الرب، غير أنه كان مسموحا بذلك لموسى وهارون وحدهما، وهما اللذان سُر الله أن يكرمهما. ولكن ما الذي منعهما الله من عمله– ألا يقتحموا لينظروا، فلقد قدم لهم الكثير لإيقاظ ضمائرهم، غير أنه لم يكن مسموحا لهم بأن يشبعوا غريزة حب الاستطلاع فيهم دون داع. عليهم أن يروا، ولكن دون اقتحام. وسوف يكون هلاكنا إذا ما كسرنا الحدود التي عيَّنها الله لنا، وتطفلنا على ما لم يسمح لنا به.

الأصحاح العشرون

تمت كل الاستعدادات للإعلان المهيب للناموس الإلهي.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: الوصايا العشر، كما تكلم بها الله نفسه على جبل سيناء (ع ١– ١٧).

ثانيا: الانطباعات التي تولدت في الشعب نتيجة ذلك (ع ١٨– ٢١).

ثالثا: بعض التعليمات الخاصة بالعبادة والتي أعطاها الله لموسى، لكي يوصلها هو بدوره إلى الشعب (ع ٢٢- ٢٦).

عدد ١- ١١

أولا: مقدمة كاتب الناموس، موسى: «تكلم الله بجميع هذه الكلمات» (ع ١). وناموس الوصايا العشر هو:

(١) ناموس أعطاه الله.

(٢) ناموس قاله بلسانه. والله يتبع طرقا كثيرة ليتكلم مع بني البشر (أي ٣٣: ١٤)، ولم يحدث أن تكلم إطلاقا، في أي وقت، أو في أية مناسبة بالوسيلة التي أعطي بها الوصايا العشر. وسبق لله أن أعطى الإنسان هذا الناموس من قبل (إذ كان مكتوبا في قلبه بالطبيعة)، غير أن الخطية شوهت تلك الكتابة، فكان ضروريا والحال هكذا، أن تُنعش ذاكرة الإنسان بهذا الناموس.

ثانيا: ما قاله مشرِّع الناموس: «أنا الرب إلهك» (ع ٢)، وفي هذا:

(١) يؤكد الله سلطانه بصفة عامة في سن هذا القانون.

(٢) يقدم نفسه كموضوع العبادة الوحيد الذي أشارت إليه الوصايا الأربع الأولى. وهم هنا ملزمون بالطاعة لثلاثة أمور:

أ. لأن الله هو «الرب»، والذي يعطي الوجود له أيضا أن يعطي الناموس، ولذلك يستطيع أن يؤيدنا في طاعتنا، لكي يكافئها، ويعاقب عدم طاعتنا.

ب. هو إلههم، إله في عهد معهم، وهو إلههم بموافقتهم. وعلى الرغم من أن هذا العهد المقصور عليهم لم يعد له وجود الآن، إلا أن ثَمة عهدا آخر بمقتضاه يدخل كل مَنْ يعتمدون في صلة معه كإلههم، وعلى ذلك فمن لا يطيعونه يكونون ظالمين، غير أمناء، وجاحدين لنعمته.

ج. لقد أخرجهم «من أرض مصر»، وإذ خلصهم فقد حصل على حق آخر ليحكمهم، وهم مدينون بعبادة ذاك المدينين له بحريتهم. وهكذا فإنه، إذ حررنا المسيح من عبودية الخطية فقد أصبح مستحقا لأفضل عبادة يمكننا تقديمها له (لو ١: ٧٤).

ثالثا: الناموس نفسه: تتضمن هذه الأعداد الوصايا الأربع الأولى من الوصايا العشر، وهي التي تنظم واجبنا نحو الله (والتي عادة ما تُسمى اللوح الأول). وكان أمرا مناسبا أن تأتي هذه أولا، لأنه يوجد للإنسان خالق يجب أن يحبه، قبل أن يكون له أخ أو جار يوليه محبته، ثم إن العدل والمحبة لا تكون من أعمال الطاعة المقبولة من الله إلا إذا كانت نابعة من التقوى. ولا يمكننا أن نتوقع من أحد أن يكون أمينا لأخيه إذا لم يكن أمينا لإلهه.

(١) الوصية الأولى تتضمن موضوع عبادتنا، الذي هو الرب، والذي لا نعبد سواه (ع ٣): «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي». كان للمصريين ولأمم مجاورة أخرى آلهة كثيرون، هي من نتاج خيالهم، وهي آلهة غريبة «آلهة جديدة». والخطية الممثلة في كسر هذه الوصية والتي نحن معرضون لها بأكثر من غيرها، هي أننا نعطي المجد والكرامة المستحقة لله وحده لأي مخلوق، فالكبرياء تجعل من نفس الإنسان إلها له، والطمع يجعل المال إلها، والشهوة تجعل الجسد إلها، وأي شيء نُقدره أو نُحبه أو نخشاه أو نخدمه أو نفرح به أو نتكل عليه أكثر من الله، فإننا في واقع الحال نجعل من هذا الشيء إلها. أما بالنسبة للعبارة الأخيرة «أمامي»، فهي تشير إلى أنه:

أ. إذا اتخذنا لأنفسنا إلها آخر غير الله، فإنه لابد وأن يعرف ذلك.

ب. إنها خطية تتحداه وجها لوجه، الأمر الذي لا يمكنه التغاضي عنه.

(٢) الوصية الثانية تتضمن فرائض العبادة، أو الأسلوب الذي يتوجب اتباعه في العبادة.

أ. التحريم: حُرِّم علينا أن نعبد حتى الإله الحقيقي عن طريق التماثيل أو الصور (ع ٤ و٥). ولقد اعتقد اليهود (ولاسيما بعد السبي) أنه محرم عليهم -طبقا لهذه الوصية- أن يعملوا تمثالا أو صورة أيا كانت. ولذلك فإن الصور التي كان الرومانيون يضعونها في شاراتهم سُميت «رجسة الخراب» (مت ٢٤: ١٥)، ولاسيما حين تُوضع «في المكان المقدس». وسُمي هذا استبدال «حق الله بالكذب» (رو ١: ٢٥)، لأن الصورة هي «معلِّم الكذب»، لأنها توحي لنا أن الله جسد، في حين أنه روح غير محدود (انظر حبقوق

٢: ١٨). إنه أيضا يحذِّرنا من عمل صور لله في خيالاتنا كما لو كان هو إنسانا مثلنا. وعبادتنا يجب أن تحكمها قوة إيماننا وليس قوة خيالنا.

ب. الأسباب التي تؤكد وتُعضِّد هذا التحريم (ع ٥ و٦)، والتي تتمثل في الآتي:

◄ الله يغار على مجده «لأني أنا الرب إلهك إله غيور»، ولا سيما بالنسبة لأمور كهذه.

◄ عقوبة الوثنيين: الله ينظر إليهم على أنهم كارهون له، وهو يفتقد «ذنوب الآباء في الأبناء» بالنسبة لهذه الخطية. وهذا ليس بظلم من الله (إذا مات الآباء في إثمهم، وسار الأبناء على نهجهم ومارسوا عبادات باطلة لأنهم تسلموها بالتقليد من آبائهم)، حينئذ يمتلئ الكيل ويأتي الله بدينونته ليحاسبهم. وعلى الرغم من أنه قد يصبر طويلا على شعب وثني، إلا أنه لن يتحمل ذلك بصفة دائمة، لكن مع الجيل الرابع على الأكثر، سوف يبدأ العقاب.

◄ الإحسان الذي يوليه الله لمن يعبدونه بأمانة: «وأصنع إحسانا إلى ألوف»، «ألوف من مُحبي وحافظي وصاياي». فكما أن الوصية الأولى تتطلب عبادة داخلية تقوم على أساس المحبة والرغبة والفرح والرجاء والإعجاب، فإن الوصية الثانية تتطلب العبادة الخارجية من صلاة وتسبيح، وخدمة كلمة الله. والذين يحبون الله حقا سيولون اهتمامهم الأكبر لحفظ وصاياه ولاسيما تلك المتعلقة بعبادته. والذين يحبون الله ويحفظون هذه الوصايا سوف يُعطون نعمة لحفظ وصاياه الأخرى. والعبادة الحقيقية لها تأثير عظيم على طاعة الإنجيل. وهذه الرحمة ستمتد إلى ألوف، بأكثر مما يمتد غضبه إلى أولئك الذين يكرهونه.

(٣) الوصية الثالثة تتناول طريقة عبادتنا.

أ. نهي قاطع: «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا». نحن نسيء إلى اسم الله.

◄ عن طريق الرياء بإعلان إيماننا باسم الله، ولا نسلك وفق هذا الإيمان. والذين يذكرون اسم المسيح ولا يتركون الإثم فباطلا يذكرونه.

◄ بكسر العهد، إذا ما قطعنا وعودا لله، وألزمنا نفوسنا بهذه الربط لعمل صالح ولا نوفي نذورنا لله، فإننا ننطق باسمه باطلا (مت ٥: ٢٣).

◄ بالاندفاع إلى القَسَم وذكر اسم الله دون داع على الإطلاق، أو ذكره كعبارة مبتذلة.

◄ بالحلف الكاذب: ومن بين الأمور الدينية التي كان اليهود يتعلمونها كمثال لتوقيرهم لله هي الحلف باسمه (تث ١٠: ٢٠). ولكنهم يُسيئون إليه –عوض أن يكرموه– إذا ما استشهدوا به كذبا.

ب. عقوبة صارمة: «لأن الرب لا يبرئ» مَنْ نطق باسمه باطلا، والقضاة الذين يعاقبون على جرائم أخرى قد لا يولون هذه الخطية اهتماما حيث يظنون أنه لا ينجم عنها ضرر مباشر على الممتلكات الشخصية أو السلام العام. ولعل الخاطئ لا يعتبر نفسه آثما، ولكن «الرب لا يبرئ»، وسوف يكتشفون أنه «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي».

(٤) الوصية الرابعة تتعلق بموعد العبادة: يجب أن يُعبد الله ويُولى الإكرام يوميا، غير أنه يجب أن يُكرس له يوم واحد من الأسبوع، حيث يُقضى في عبادته وإكرامه.

أ. الوصية نفسها: «اذكر يوم السبت لتقدسه» (ع ٨): «وأما اليوم السابع... لا تصنع عملا» (ع ١٠). ونقرأ عن مباركة الله وتقديسه اليوم السابع منذ البداية (تك ٢: ٣)، ولذلك فلا تمثل هذه الوصية أمرا جديدا، بل هي تجديد لوصية قديمة

◄ تم إخبارهم باليوم الذي يجب أن يقدسوه دينيا– «اليوم السابع» بعد العمل في «ستة أيام»، سواء كان ذلك اليوم السابع بالمقارنة مع اليوم السابع من الخليقة، أو اليوم السابع منذ خروجهم من مصر، أو كلاهما معا، فهذا أمر غير مقطوع به.

◄ كيف يجب حفظه.

> باعتباره يوم راحة، كان عليهم ألا يقوموا بأي عمل في هذا اليوم من حيث أعمالهم العادية الدنيوية.

> كيوم مقدس، خُصص تكريما لله القدوس، ويُقضى في ممارسات دينية. وإذ بارك الله هذا اليوم فقد جعله مقدسا، وهم إذ يباركونه يجب أن يحفظوه مقدسا.

◄ مَنْ الذي يحفظه: «أنت وابنك وابنتك»، ولم تُذكر الزوجة، لأنها تُعد واحدا مع زوجها وحاضرة معه. والله يعرف ما نعمله، وبصفة خاصة ما تعمله في يوم الرب، حتى وإن كنا في ظروف غير مألوفة.

◄ وذُكرت إشارة خاصة إلى هذا اليوم: «اذكر...» وقد لُمح إلى أن شريعة السبت كان معمولا بها من قبل، غير أنهم أثناء عبوديتهم في مصر أهملوا هذه الوصية. والبعض يظن أنه يشير إلى الاستعداد الذي يجب علينا عمله بالنسبة للسبت، إذ إننا ينبغي أن نفكر فيه قبل مجيئه، حتى إذا ما جاء نحفظه مقدسا كما أوصى الرب.

ب. السبب في هذه الوصية.

◄ لدينا ما نحتاجه من الوقت لأنفسنا في الأيام الستة الأخرى «ستة أيام تعمل»، وهو وقت كاف لأن يُنهكنا. ولذلك علينا أن نخدم الله في اليوم السابع. وأنه لمن عطفه علينا أن نُجبر على إراحة أنفسنا في اليوم السابع.

◄ وهذا هو يوم الله، إنه «سبت للرب إلهك»، فلم يضع فريضته فقط، بل وقدسه لنفسه.

◄ وقد قُصد به أن يكون ذكرى لخلق العالم، وعلى ذلك يجب حفظه من أجل مجد الخالق. وقد أعلن اليهود أنهم بتقديس السبت فإنهم إنما يعبدون الله الذي خلق العالم، وبهذا ميزوا أنفسهم عما عداهم من أمم الذين يعبدون آلهة قاموا هم بصنعها بأنفسهم.

◄ وقد أعطانا الله مثالا للراحة، بعد ستة أيام عمل «واستراح في اليوم السابع».

◄ هو نفسه بارك «يوم السبت وقدسه». وقد شمله ببركات كثيرة، لنا أن نرجوها وننتظرها إذا ما حفظنا ذلك اليوم المقدس. وهو اليوم «الذي صنعه الرب»، فلنجتهد ألا نغيِّر ما وضعه الرب.

عدد ١٢ – ١٧

أمامنا هنا الوصايا الخاصة باللوح الثاني، كما يُطلق عليها عادة، وهي الوصايا الست الأخيرة من الوصايا العشر، وهي تتناول واجبنا نحو أنفسنا ونحو الآخرين، وتشكل تعليقا على الوصية العظمى الثانية «تحب قريبك كنفسك».

أولا: تتعلق الوصية الخامسة بواجباتنا نحو أقاربنا، وقد ذكرت بصفة خاصة تلك المتعلقة بواجبات الأبناء نحو والديهم: «أكرم أباك وأمك»، وتتضمن:

(١) احترام شخصي، وتقدير داخلي لهم يُعبَّر عنه بشكل خارجي في جميع نواحي سلوكنا.

(٢) الطاعة لأوامرهم المشروعة، فهكذا شُرحت: «أيها الأولاد أطيعوا والديكم» (أف ٦: ١– ٣)، وهذه وصية قائمة على المحبة. وإذا كنت قد قلتَ: «ما أريد»، فعلى الرغم من ذلك، عليك بعدئذ أن تندم وتطيع (مت ٢١: ٢٩).

(٣) الخضوع لتوبيخاتهم وتعليماتهم وتقويمهم، وليس ذلك قاصرا على الآباء الصالحين والودعاء، بل والقساة أيضا، وذلك إطاعة لوصايا الله. وعلى الأبناء أن يحاولوا في كل شيء أن يكونوا سبب راحة لوالديهم، وأن يسهِّلوا عليهم فترة شيخوختهم، وعليهم أن يعولوهم إذا ما كانوا في حاجة إلى ذلك، وهو الأمر الذي قصده مخلصنا أساسا بهذه الوصية (مت ١٥: ٤– ٦). والسبب الذي أُرفق بهذه الوصية هو وعد: «لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك». وهو يذكر لهم هنا، في بداية اللوح الثاني، إتيانه بهم إلى أرض كنعان. وقد جاء الوعد بحياة طويلة في تلك الأرض الطيبة، ولا سيما بالنسبة للأبناء المطيعين.

ثانيا: الوصية السادسة تتعلق بحياتنا وحياة غيرنا (ع ١٣): «لا تقتل»، عليك ألا تأتي بأي عمل من شأنه أن يؤذي أو يضر بصحتك، وراحتك وحياتك، وكذلك لا تفعل هذا الأمر دون وجه حق بالنسبة لأي شخص آخر. وهذا لا يمنع القتل في الحرب المشروعة، أو في حالة الضرورة القصوى دفاعا عن النفس، غير أنها تحرم كل حقد وكراهية بالنسبة لأي شخص «مَنْ يبغض أخاه فهو قاتل نفس»، وكل رغبة شخصية في الانتقام تتولد عن ذلك، وكذلك كل اندفاع إلى الغضب نتيجة استفزازات مباغتة، وأي أذى بالقول أو بالفعل، أو يكون في النية ارتكابه أثناء الغضب: وبهذا فسَّر مخلصنا هذه الوصية (مت ٥: ٢٢).

ثالثا: الوصية السابعة تختص بطهارتنا وطهارة الآخرين: «لا تزن» (ع ١٤). وطهارتنا يجب أن تكون غالية مثل حياتنا، وعلينا أن نخاف مما ينجس الجسد بقدر خوفنا مما يهلكه.

رابعا: أما الوصية الثامنة فتتعلق بثرواتنا وممتلكاتنا وسلعنا، وبما يخص الآخرين أيضا من هذه الأشياء: «لا تسرق» (ع ١٥). وهذه الوصية تمنعنا من سرقة أنفسنا عن طريق الإنفاق الذي يُشكِّل خطية، أو

استخدام المال في ادخار خاطئ، أو سرقة الآخرين عن طريق تحرك علامات الحدود القديمة، واعتدائنا على حقوق الجار، حيث نستولي على ممتلكات تخصه سواء في بيته أو في حقله، سواء كان ذلك بطريق الإرغام أو في الخفاء، أو بالخداع عند المساومة، وعدم إعادة ما استُعير أو وُجد، أو عدم تسديد الديون والإيجارات أو الأجور أو سرقة المال العام (وهذا أسوأ الأمور)، أو سرقة ما خُصص للنواحي الدينية.

خامسا: الوصية التاسعة تختص بسمعتنا والآخرين أيضا «لا تشهد على قريبك شهادة زور» (ع ١٦).

(١) التكلم بالغش في أي موضوع، أو الكذب أو المراوغة في الكلام، أو أي تدبير يُقصد به الخداع.

(٢) التكلم بظلم ضد أخينا، بقصد الإساءة إلى سمعته.

(٣) الشهادة ضده بالكذب، أو اتهامه مع أنه بريء، الافتراء أو الاغتياب أو نشر الإشاعات أو تضخيم الخطأ، بحيث يظهر بأسوأ كثيرا من حقيقته، أو أي أسلوب نرمي به زيادة شهرتنا على حساب تشويه سمعة إخوتنا.

سادسا: أما الوصية العاشرة فتضرب في العمق: «لا تشته» (ع ١٧). والوصايا السابقة تمنع بكل وضوح كل رغبة في عمل ما من شأنه إلحاق الضرر بإخوتنا، أما هذه فتمنع كل نوعيات الطمع والرغبة في تملك ما تشتهيه نفوسنا. وحين عملت نعمة الله على أن تسقط القشور من عيني القديس بولس أدرك أن الوصية القائلة: «لا تشته» تمنع كل الشهوات والرغبات الجامحة، والتي هي بداية كل خطية نرتكبها.

عدد ١٨ – ٢١

أولا: الرعب العظيم الذي صاحب إعطاء الناموس. وكان القصد من ذلك إظهار لمحة من مجد الله العظيم بطريقة محسوسة، وذلك لتهيئة النفس لتعزيات الإنجيل. وهكذا أُعطي الناموس بواسطة موسى بطريقة يمكن أن تُشعِر الإنسان بضآلته، حتى يزداد الترحيب بالنعمة والحق اللذين بيسوع المسيح صارا.

ثانيا: الانطباع الذي خلفه ذلك على الشعب.

(١) «وقفوا من بعيد» (ع ١٨).

(٢) «استعفى الذين سمعوه من أن تزداد لهم كلمة» (عب ١٢: ١٩)، ولكنهم طلبوا أن يكلمهم الله من خلال موسى (ع ١٩). ولكن هذا يُعلمنا أيضا أن نقبل الطريقة التي يختارها لنا الله، لكي يُكلمنا من خلال بشر مثلنا.

ثالثا: تشجيع موسى لهم، وذلك بأن شرح لهم قصد الله من وراء هذا الرعب: «لا تخافوا» (ع ٢٠)، أي: «لا تعتقدوا أن الرعود والبروق يُقصد بها القضاء عليكم"، بل إن الهدف منها هو:

(١) اختبارهم، لمعرفة كيف سيتقبلون التعامل مع الله مباشرة ودون وسيط.

(٢) لكي يحملهم على التمسك بواجبهم، ومنعهم من ارتكاب الخطية ضد الله. وقد شجعهم قائلا: «لا تخافوا»، ومع ذلك أخبرهم بأن الله كلمهم بهذه الطريقة «لكي تكون مخافته أمام وجوهكم». ويجب في كل حين أن نبجل عظمة الله، وأن نخشى غضبه، وأن نقبل بكل طاعة سيادته علينا. وهذا الخوف سيحفزنا على عمل واجبنا، وأن نكون حذرين في سلوكنا.

رابعا: تقدم شركتهم مع الله من خلال وساطة موسى (ع ٢١). وفيما استمر الشعب يقف بعيدا فقد اقترب موسى «إلى الضباب». ويفترض بعض معلمي اليهود أن الله أرسل ملاكا ليقوده بيده، ويأتي به إلى فوق الجبل.

عدد ٢٢ – ٢٦

وإذ اقترب موسى «إلى الضباب حيث كان الله»، تكلم الله على مسمع منه وحده، وعلى انفراد، ودون رعب بالأقوال التي جاءت بعد ذلك وحتى نهاية الأصحاح ٢٣، وهي في معظمها تفسير للوصايا العشر، وكان عليه أن ينقلها للشعب بالكلام أولا ثم بالكتابة بعد ذلك. والوصايا التي تضمنتها هذه الأعداد تتعلق بعبادة الله.

أولا: مُنعوا هنا من عمل تماثيل للعبادة (ع ٢٢ و٢٣).

(١) ويأتي تكرار الوصية الثانية هنا كإشارة إلى ما يمكن استنتاجه من كلام الله معهم، بالشكل الذي تم. فلقد أعطاهم دليلا كافيا على وجوده بينهم،

وهم ليسوا في حاجة إلى أن يعملوا له تماثيل كما لو كان غائبا.

(٢) على الرغم من ادعائهم أنهم يعبدونها على أساس أنها تمثل الله، إلا أنهم في واقع الحال يجعلونها منافسة لله، الأمر الذي لن يتسامح الله فيه.

ثانيا: أُمروا هنا بأن يقيموا مذابح للعبادة:

(١) يجب أن تكون مذابحهم بسيطة للغاية إما من «تراب» أو من حجارة غير منحوتة (ع ٢٤ و٢٥). وحتى لا يقعوا في إغراء عمل تماثيل منحوتة، فقد طُلب منهم ألا ينحتوا بأي شكل الحجارة التي يصنعون منها مذابحهم، بل يُكوِّمونها كما هي. ويجب قبول البساطة كأفضل زينة خارجية للخدمات الدينية، والعبادة الحقة لا يجب أن تؤدى في ظل مظاهر الفخامة والبهرجة. وجمال القداسة لا يحتاج إلى زينة خارجية.

(٢) أن تكون المذابح منخفضة جدا (ع ٢٦) حتى لا يصعدون إليها بدرج– أما القول بأنه كلما ارتفع المذبح اقترب من السماء، وكانت الذبيحة أكثر قبولا، إنما هي أقوال حمقاء يرددها الوثنيون، الذين كانوا لهذا السبب يختارون المرتفعات، الأمر الذي يتعارض مع هذه الوصية، ولتبيان أن ارتفاع القلب، وليس الذبيحة، هو الذي ينظر إليه الله، لهذا أُمروا هنا بأن تكون مذابحهم منخفضة.

ثالثا: أُكد لهم هنا بأن الله سيتكرم بقبول عباداتهم طالما كانت متفقة مع مشيئته (ع ٢٤).

وبناء على ما جاء في الإنجيل، فحينما يُشجَّع الناس على الصلاة في كل مكان فإن هذا الوعد الذي يقول إنه حيثما اجتمع أناس باسمه هناك يكون «في وسطهم» يرتفع إلى ذروته. هناك يأتي إليهم ويباركهم، ولسنا في حاجة إلى أكثر من ذلك لتجميل اجتماعاتنا المقدسة.

الأصحاح الحادي والعشرون

الأحكام الواردة في هذا الأصحاح تتعلق بالوصيتين الخامسة والسادسة، وعلى الرغم من أنها لا تتناغم مع دستورنا، وليست العقوبات الواردة بها ملزمة لنا، لكنها مع ذلك لها فائدتها العظيمة من ناحية تفسير الناموس الأدبي، وقواعد العدالة الطبيعية.

ونجد هنا تفصيلات عديدة:

أولا: بالنسبة للوصية الخامسة، التي تختص بعلاقات معينة.

(١) واجب السادة.

(٢) عقوبة الأبناء العصاة.

ثانيا: بالنسبة للوصية السادسة والتي تُحرِّم كل أشكال العنف نحو الإنسان

(١) بالنسبة للقتل (ع ١٢– ١٤).

(٢) خطف إنسان (ع ١٦).

(٣) الاعتداء بالضرب (ع ١٨ و١٩).

(٤) تأديب العبد (ع ٢٠ و٢١).

(٥) إلحاق الضرر بامرأة حبلى (ع ٢٢ و٢٣).

(٦) مقابلة الأذى بمثله (ع ٢٤ و٢٥).

(٧) إحداث عاهة في عبد (ع ٢٦ و٢٧).

(٨) ثور نطاح (ع ٢٨– ٣٢).

(٩) الخسارة الناجمة عن عمل حفرة (ع ٣٣ و٣٤).

(١٠) تناطح المواشي (ع ٣٥ و٣٦).

عدد ١– ١١

العدد الأول هو عنوان الأحكام الواردة في هذا الأصحاح والأصحاحين التاليين له، ومعظمها تتعلق بأمور تحدث بين إنسان وإنسان. وقد سميت هذه القواعد أحكاما، لأنها صيغت بحكمة غير محدودة وعدل، ولأن قضاتهم سيصدرون الأحكام بناء عليها. لقد أعطى الله هذه الأحكام لموسى على انفراد، وكان عليه أن يبلغها للشعب. وقد بدأ بالأحكام المتعلقة بالعبيد، آمرا بالرحمة والاعتدال في معاملتهم.

أولا: حكم يتعلق بالعبيد الرجال الذين باعوا أنفسهم أو باعهم والدوهم نتيجة الفقر، أو عن طريق القضاء نتيجة جرائمهم، وحتى هؤلاء الذين من العينة الأخيرة (إذا كانوا عبرانيين) كان عليهم الاستمرار في العبودية لمدة أقصاها سبع سنوات. وفي نهاية السنة السابعة إما أن يُطلق العبد حرا (ع ٢ و٣)، وإما أن يختار الاستمرار في العبودية (ع ٥ و٦).

(١) والله يُعلِّمنا بهذا الحكم:

أ. كَرَم العبيد العبرانيين، وحبهم النبيل للحرية، لأنهم كانوا رجال الله الأحرار. وهكذا المسيحيون

قد أُشتُروا بثمن فلا يصيرون عبيدا للناس (١كو ٧: ٢٣).

ب. كذلك يُعلم السادة العبرانيين ألا يقمعوا عبدهم الفقير.

(٢) وهذا الحكم له فائدة أخرى بالنسبة لنا لتوضيح الحق الذي أعطاه الله لأبناء الآباء المؤمنين ومكانهم في كنيسته.

ثانيا: بخصوص الإماء، اللواتي باعهن والدوهن بسبب الفقر المدقع، حينما كن صغيرات جدا لمن كانوا يأملون أن يتزوجوهن حينما تكبرن، فإذا لم يفعلوا ذلك فإنه ليس من حقهم أن يبيعوهن لغرباء، بل يفكرون في كيفية تعويضهن عن خيبة رجائهن، أما إذا تزوجوهن فعليهم أن يحسنوا معاملتهن (ع ٧– ١١).

عدد ١٢– ٢١

أولا: حكم بخصوص القتل: سبق القول «لا تقتل»:

(١) بخصوص معاقبة القتل العمد «مَنْ ضرب إنسانا فمات يقتل قتلا» (ع ١٢).

(٢) لمساعدة مَنْ قتل دون قصد. فإذا حدث أن إنسانا– دون أن يقصد إيذاء أحد– قتل آخر، في هذه الحالة دبَّر الله مدن الملجأ لحماية أولئك الذين لم يكن الخطأ بل الظروف السيئة هي التي جعلتهم يتسببون في موت شخص آخر (ع ١٣). وبالنسبة لنا، الذين لا نعرف الانتقام أو الأخذ بالثأر، فإن القوانين المعمول بها تُعد ملجأ كافيا لنا.

ثانيا: بخصوص الأبناء العصاة. لقد جُعلت هنا جريمة كبرى يجب معاقبتها بالموت، وذلك بالنسبة للأبناء الذين:

(١) يضربون والديهم (ع ١٥)، أو...

(٢) يشتمونهم (ع ١٧). فعصيان الأبناء لوالديهم يشكل استفزازا كبيرا لله الذي هو أبونا جميعا، فإذا لم يعاقب الناس الأبناء الذين يرتكبون هذه الجريمة فسوف يعاقبهم الله.

ثالثا: قانون ضد خطف الناس: «ومَنْ سرق إنسانا» (ع ١٦) (أي خطف رجلا أو امرأة أو طفلا) بقصد بيعه للأمم (لأنه ما من إسرائيلي يمكن أن يشتريه) يُعاقب بالموت طبقا لهذا القانون.

رابعا: اهتمام بترضية مَنْ وقع عليه ضرر، دون أن يعقب ذلك موت (ع ١٨ و١٩). والذي تسبب في الضرر يجب أن يتحمل التعويض، وعليه أن يسدد ليس مصاريف العلاج فقط، بل أيضا عن الخسارة الناجمة عن إضاعة الوقت.

خامسا: ما يُتبع في حالة موت عبد أثناء قيام سيده بتأديبه. إذا مات تحت يده يجب معاقبته لقسوته، ويُترك ذلك للقضاة بعد فحصهم لملابسات الموقف (ع ٢٠).

عدد ٢٢– ٣٦

أولا: الاهتمام الخاص الذي أولاه القانون للمرأة الحبلى، لتفادي إلحاق أي ضرر بها يكون من شأنه إجهاضها. وبهذه المناسبة جاء القانون العام الذي يقضي بمقابلة الاعتداء بمثله، والذي أشار إليه مخلصنا في متى ٥: ٣٨ «عين بعين...»، ومما تجدر ملاحظته:

(١) تنفيذ هذا القانون لم يكلَّف به الناس كأفراد. ويبدو أن تقليد الشيوخ هو الذي جاء بهذا التفسير الخاطئ للقانون، وعلى العكس من هذا طالبنا مخلصنا بأن نصفح ولا نحاول الانتقام (مت ٥: ٣٩).

(٢) كثيرا ما يعاقب الله على هذا الإثم عن طريق تدبيراته الإلهية، وفي العديد من الحالات يجعل العقوبة من جنس الجريمة (انظر قضاة ١: ٧؛ إشعياء ٣٣: ١؛ حبقوق ٢: ١٣؛ متى ٢٦: ٥٢).

(٣) يجب أن يأخذ القضاة هذه القاعدة في اعتبارهم عند معاقبة المخطئين، وتعويض الضرر الذي نجم عن الخطأ. كما يجب أن يُؤخذ في الحسبان طبيعة ونوعية ودرجة الضرر الذي وقع حتى يتم تعويض الطرف الذي لحق به الأذى في ضوء هذه الملابسات، ولكي يكون في ذلك ردع لمنع ارتكاب مثل هذه الاعتداءات.

ثانيا: اهتمام الله بالعبيد: إذا ما أحدث بهم سادتهم أية عاهة حتى لو كانت مجرد إسقاط سِن، فإن ذلك يعطيه الحق في أن يحصل على حريته مقابل ذلك (ع ٢٦ و٢٧).

ثالثا: «ألعل الله تهمه الثيران؟» نعم ويبدو ذلك من القوانين التالية التي تضمنها هذا الأصحاح «إنه من أجلنا» (١كو ٩: ٩ و١٠). وقد وُجِّه الإسرائيليون إلى ما يجب عمله بالنسبة لهذه الأمور:

(١) في حالة الضرر الذي يتسبب فيه ثور أو أي حيوان أعجم:

أ. كمثال على اهتمام الله بحياة الإنسان: إذا قتل ثور رجلا أو امرأة أو طفلا «يُرجم الثور» (ع ٢٨). وبهذا يجعل الله في أذهان شعبه كراهية متأصلة للقتل ولأي شيء يتسم بالوحشية.

ب. يدعو الناس إلى الحرص حتى لا تسبب مواشيهم ضررا لأحد، وأن يُمنع وقوع الضرر بكل الوسائل الممكنة.

(٢) في حالة الضرر الذي يلحق بثور أو أية أنواع الدواب:

أ. إذا ما سقط في حفرة ونفق، فالذي حفر هذه الحفرة يجب عليه تعويض الضرر (ع ٣٣ و٣٤). والأذى الذي ينجم عن الكراهية هو شر عظيم، أما الذي يحدث نتيجة الإهمال فيعد خطأ يلزم تعويضه.

ب. وإذا تناطح ثوران -أو ما إلى ذلك- وقُتل أحدهما، يتحمل المالكان الخسارة مناصفة (ع ٣٥) وكثيرا ما كان يحدث ذلك في البرية، حيث تكون المخيمات متقاربة، وحيث تلبث مواشيهم معهم، الأمر الذي من شأنه أن تقع مثل هذه الأحداث مرارا كثيرة.

الأصحاح الثاني والعشرون

الأحكام الواردة في هذا الأصحاح تتعلق بالآتي:

أولا: الوصية الثامنة المتعلقة بالسرقة (ع ١- ٤)، وانتهاكات المواشي (ع ٥)، والضرر الناجم عن النار (ع ٦)، وحفظ الأمانات (ع ٧- ١٣)، واستعارة المواشي (ع ١٤ و١٥)، أو النقود (ع ٢٥- ٢٧).

ثانيا: الوصية السابعة ضد الزنا (ع ١٦ و١٧)، العلاقات الجنسية الشاذة (ع ١٩).

ثالثا: اللوح الأول الذي يُحرم السحر (ع ١٨)، وعبادة الأوثان (ع ٢٠). الأمر بتقديم الأبكار (ع ٢٩ و٣٠).

رابعا: التوصية بالفقراء (ع ٢١- ٢٤).

خامسا: بالحكومة المدنية (ع ٢٨).

سادسا: ذكر الحالة الفريدة التي للأمة اليهودية (ع ٣١).

عدد ١- ٦

أولا: هنا يذكر الأحكام الخاصة بالسرقة:

(١) إذا ما سرق إنسان ماشية (إذ كانت هي الثروة الأساسية في ذلك الحين)، ووُجدت في حوزته، عليه أن يعيدها مضاعفة (ع ٤).

(٢) إذ ذبح أو باع ثورا أو شاة مما قد سرق، وبهذا أثبت إصراره على جريمته، فعليه أن «يعوض عن الثور بخمسة ثيران، وعن الشاة بأربعة من الغنم» (ع ١).

(٣) إذا لم يكن بمقدوره عمل التعويض يُباع كعبد (ع ٣).

(٤) إذا سطا لص على بيت ليلا وقُتل أثناء قيامه بذلك فدمه يكون على رأسه.

ثانيا: بانتهاكات المواشي لملك الغير (ع ٥). الذي يعتمد وضع مواشيه في حقل جاره، يجب أن يعوض عن ذلك من أجود ما في حقله.

ثالثا: بالضرر الناجم عن الحريق (ع ٦). فالذي لم يقصد سوى حرق الأشواك فقط يجب أن يُعد شريكا في حرق الحنطة، ومن ثَمَّ لا يجب اعتباره غير مذنب. ويجب أن يتحمل الإنسان نتيجة إهماله كما يتحمل نتيجة حقده.

عدد ٧- ١٥

أولا: بخصوص الأمانات (ع ٧- ١٣). إذا أودع رجل أمتعة لدى شخص على سبيل الأمانة لثقته فيه، وحدث أن سُرقت هذه الأمتعة أو ضاعت أو تلفت أو لحقها ضرر، فإذا ثبت أن ذلك تم دون أي خطأ من قبل مَنْ استُؤمن عليها، على المالك أن يتحمل المسئولية، أما إذا كان ذلك ناجما عن خيانة الأمانة، فيجب إجباره على عمل الترضية اللازمة، وهذا ما نتعلم منه:

(١) خيانة الأمانة عمل جائر وشرير، يحتقره العالم كله.

(٢) هناك فشل عام في العالم في استقرار الحق والعدل، الأمر الذي يثير كثيرا من الشك في أمانة الناس حين يكون لهم فائدة شخصية في خيانة الأمانة. والقسَم أمر قديم جدا، ويمثل دلالة واضحة عن الاعتقاد العام في وجود الله وفي عنايته، وفي دينونته الآتية.

ثانيا: بخصوص القروض (ع ١٤ و١٥). إذا قُرض وأن أعار شخص زوجا أو أكثر من الخيل أو الثيران لشخص آخر، وكان المالك مصاحبا لها، أو كان له أن يأخذ ربحا عن هذا القرض، فأي ضرر يلحق بالماشية يجب أن يتحمل المالك مسئوليته. أما إذا كان المالك كريما وكان قد أعاره بدون مقابل، فهنا، إذا ما حدث ضرر، فالمستعير يجب أن يتحمل التعويض.

عدد ١٦ – ٢٤

أولا: حكم بأن مَنْ يغتصب عذراء يجب أن يُجبر على الزواج بها (ع ١٦ و١٧). وهذا القانون يظهر احتراما للزواج، كما يبين كيف أنه لا يليق بالأبناء أن يتزوجوا دون موافقة والديهم.

ثانيا: قانون يجعل من أعمال السحر جريمة تستحق الموت (ع ١٨).

ثالثا: العلاقات الجنسية المقيتة غير الطبيعية اعتُبرت هنا جريمة تستحق الموت. فهؤلاء الوحوش الذين يظهرون في صورة إنسان، والذين يرتكبون مثل هذه الخطايا البشعة لا يستحقون الحياة: «كل من اضطجع مع بهيمة يُقتل قتلا» (ع ١٩).

رابعا: اعتبار الزنا أيضا جريمة تستحق الموت (ع ٢٠).

خامسا: تحذير ضد الاضطهاد. لأن الذين أُعطوا سلطانا لمعاقبة جرائم الآخرين هم أكثر الناس عرضة للوقوع في هذه الخطية. والله سيقوم بنفسه بتوقيع الجزاء المترتب عليها.

(١) لا يجب اضطهاد الغرباء (ع ٢١)، لا يجب على القضاة ظلمهم، ولا يتعين خداعهم عند التعاقد معهم. كما لا يجب أن يُستغل جهلهم أو حاجتهم بل ولا يتعين السخرية منهم، أو قمعهم أو احتقارهم أو انتقادهم لأنهم غرباء. ومما تجدر ملاحظته هنا:

أ. تُعد الشفقة والحنو من بين نواميس الديانة. فالغرباء بالنسبة لنا معروفون لدى الله، وهو يحفظهم (مز ١٤٦: ٩).

ب. على المؤمنين أن يجِّدوا في مساعدة الغرباء، حتى يكونوا عنوانا طيبا للديانة.

(٢) لا يجب الإساءة إلى الأرامل والأيتام: «لا تسيء إلى أرملة ولا يتيم» (ع ٢٢)، ومعنى هذا أنه من واجبك أن تخفف عنهم وتساعدهم. ويجب أن تُؤخذ حالتهم في الاعتبار، فقد فقدوا مَنْ كان يعولهم ويحميهم. إنها لتعزية كبرى لمن يلقون الظلم والأذى على أيدي الناس أن يكون لهم إلها يلجأون إليه، فيسمع صراخهم وينتقم لهم.

عدد ٢٥ – ٣١

أولا: قانون ضد الابتزاز عند الإقراض. وهذا القانون في صرامته يبدو أنه كان قاسرا على الأمة اليهودية وحدها، غير أنه في عدالته، يجبرنا على أن نرحم أولئك الذين يمكننا أن نخدعهم ونحتال عليهم، وعلينا مشاركتهم في الربح والخسارة. ويبدو أنه من المشروع أن أحصل على فائدة على نقودي التي يستثمرها آخر، ويبذل جهدا في تحقيق المكاسب من ورائها، ولكنه يتحمل بعض المخاطر في التجارة، مثلما هو مشروع أن أتقاضى إيجارا لأرضي، ولو أنه يتحمل بعض المخاطر في زراعتها. ولا يجب أن يأخذوا ثوب رجل فقير كرهن، وإذا فعلوا ذلك عليهم أن يعيدوه له عند غروب الشمس (ع ٢٦ و٢٧).

ثانيا: قانون ضد احتقار السلطات: «لا تسب الله» (ع ٢٨). والمقصود هنا ألا يُسب الرؤساء والقضاة، لقيامهم بإعمال القانون، لأنه عليهم القيام بواجبهم مهما كانت النتيجة.

ثالثا: قانون بتقديم أبكارهم لله (ع ٢٩ و٣٠)، وسبق أن ذُكر هذا في الأصحاح ١٣. وقد تكرر الأمر هنا: «وأبكار بنيك تعطيني»، وأولى بنا كثيرا أن نقدم أنفسنا وكل ما نملك لله «الذي لم يشفق على ابنه،

بل بذله لأجلنا أجمعين». عليهم ألا يتباطأوا في تقديم أبكار غلتهم. وعلى الشباب ألا يتأخروا في تقديم أبكار وقتهم وقوتهم لله.

رابعا: تم التمييز بين اليهود وبقية الشعوب الأخرى: «وتكونون لي أناسا مقدسين». ومن علامات هذا التكريم ما نجده في غذائهم، حيث أنه حُرم عليهم أن يأكلوا «لحم فريسة في الصحراء» (ع ٣١)، وليس ذلك لأنه غير صحي فحسب، بل لأن الأكل من فضلات الحيوانات المفترسة أمر جدير بالازدراء.

الأصحاح الثالث والعشرون

يواصل هذا الأصحاح الأحكام التي صدرت في الجلسة الأولى (إذا كان لي أن أدعوها كذلك) التي عُقدت على جبل سيناء، ثم يختتمها.

ويتضمن الآتي:

أولا: بعض القوانين التي تتعلق بالوصية التاسعة على نحو خاص، وهي ضد الشهادة الزور (ع ١)، وإصدار أحكام جائرة (ع ٢ و٣، ٦– ٨). وكذلك وصية لعمل الخير مع أعدائنا (ع ٤ و٥). وعدم مضايقة الغرباء (ع ٩).

ثانيا: بعض القوانين الخاصة باليهود: السنة السبتية أو سنة الراحة (ع ١٠ و١١)، الأعياد السنوية الثلاثة (ع ١٤– ١٧)، وبعض القوانين المتعلقة بها.

ثالثا: وعود كريمة بإكمال الله لمراحمه التي بدأها معهم شريطة الالتزام بطاعته: بأن يقودهم الله في البرية (ع ٢٠– ٢٤)، وسوف يبارك كل ما لديهم (ع ٢٥ و٢٦)، وأنه سيملكهم أرض كنعان (ع ٢٧– ٣١). غير أنه عليهم ألا يختلطوا بالأمم (ع ٣٢ و٣٣).

عدد ١– ٩

أولا: تحذيرات متعلقة بالإجراءات القضائية:

(١) تحذيرٌ للشهود هنا من آثار تسببهم في اتهام شخص بريء، بتقديم إشاعة زائفة عنه، أو المساعدة على مقاضاة رجل بريء بأن يكون «شاهد ظلم» ضده (ع ١). فنشر الإشاعات الكاذبة أمر يحمل في ثناياه خطية الكذب، والحنث باليمين والحقد والسرقة والقتل. ويكاد لا يوجد عمل شرير يمكن أن يرتكبه الإنسان ويحتوي على عدة شرور في آن واحد مثل هذا العمل. ومع ذلك فإن الجزء الأول من هذا التحذير يمكن أن ينطبق على المحادثات العادية، ولذلك فإن تشويه السمعة والاغتياب ما هما إلا مثلٌ للإشاعات الكاذبة. وسمعة الإنسان إنما هي تحت رحمة أقرانه كما تقع ممتلكاته وحياته تحت رحمة القاضي، وعلى ذلك فإن مَنْ يقول أو ينشر خبرا كاذبا ضد غيره، فإنه بذلك ينتهك الوصايا الخاصة بالحق والعدالة والمحبة، مثلما يفعل الشاهد الأثيم.

(٢) تحذيرٌ للقضاة هنا من تعويج القضاء:

أ. عليهم ألا ينساقوا وراء أحد أو جماعة لأي سبب كان لإصدار حكم لا تمليه عليهم ضمائرهم (ع ٢). ونجد أن الأصغر على المنصة يعطي صوته أولا حتى لا يتأثر أو ينصاع لسلطة أكبر. ويجب علينا أن نسأل عما ينبغي علينا عمله، وليس عما تعمله الأغلبية، لأننا سنُحاكم بواسطة سيدنا وليس بمعرفة إخوتنا العبيد، وإنه لثمن باهظ أن نرغب في الذهاب إلى جهنم من أجل الصداقة.

ب. عليهم ألا يعوجوا القضاء، ولا حتى لصالح رجل فقير (ع ٣). ومع ذلك لا يجب السماح بأن يعاني الفقراء لكونهم فقراء. عليهم أن يكرهوا مجرد التفكير في المساعدة على الشر أو التحريض عليه (ع ٧). والقضاة أنفسهم سوف يُحاسبون أمام القاضي الأعظم. عليهم ألا يضايقوا الغريب (ع ٩). ومع أن الغرباء لا يرثون أراضي بينهم، إلا أنهم يجب أن يُعَاملوا بالعدل، ويُقوَّموا إذا ما أخطاوا، على الرغم من أنهم غرباء عن رعوية إسرائيل.

ثانيا: وصايا خاصة بالعطف على الجار: يجب أن نكون مستعدين لعمل كل ما هو خير، وذلك حين تُتاح لنا الفرصة. لنعمل الخير مع كل الناس ولاسيما أولئك الذين أساءوا إلينا (ع ٤ و٥). والوصية التي تدعو إلى محبة الأعداء ليست وصية جديدة فحسب، بل هي وصية قديمة أيضا (أم ٢٥: ٢١ و٢٢)، ويُستخلص من هذا:

(١) إذا كان مطلوبا منا أن نعمل الخير مع العدو، فبالأحرى يتعين علينا أن نعمله مع الصديق.

(٢) إذا كان من الخطأ ألا نمنع الأذى والخسارة عن عدونا، فكم هو أسوأ أن نتسبب نحن في الإلحاق

به أو بأي شيء يملكه ضررا أو خسارة.

(٣) إذا كان علينا أن نرد مواشي عدونا حين نجدها شاردة، فكم هو أحرى أن نرد مَنْ نعرفهم إلى الطريق الصحيح إذا ما ضلّوا في طرق خاطئة، وذلك عن طريق النصائح الواعية والتبصير بعاقبة هذا المسلك الخاطئ (انظر يعقوب ٥: ١٩ و٢٠). وإذا كان يتعين علينا المعاونة في مساعدة حمار ساقط، فكم بالأولى مطلوب منا مساعدة روح يائسة، ونقول لأصحاب القلوب الجافة «تشددوا».

عدد ١٠ – ١٩

أولا: فريضة سنة السبت (ع ١٠ و١١). كان يجب إراحة الأرض كل سنة سابعة، فلا يتعين عليهم أن يحرثوا الأرض أو يزرعوها في بداية السنة، وعلى ذلك ليس لهم أن يتوقعوا محصولا كبيرا في نهايتها. وكان القصد من ذلك:

(١) لكي يتبينوا سخاء الأرض التي جاء بهم الله إليها.

(٢) لتذكيرهم بوجوب اتكالهم على إلههم، المالك العظيم، والتزامهم باستخدام ثمار أرضهم بحسب توجيهه لهم. وسوف نعرف فيما بعد أن عدم طاعتهم لهذا الأمر نجم عنه خسارتهم للمواعيد التي قطعها الله لهم (٢أخ ٣٦: ٢١).

(٣) لتعليمهم الثقة في العناية الإلهية.

ثانيا: تكرار الوصية الرابعة الخاصة بيوم السبت (ع ١٢). وقد حاول البعض إلغاء حفظ السبت بادعاء أن كل يوم يجب أن يكون سبتا للرب.

ثالثا: حُرِّم هنا على الإطلاق إبداء أي تبجيل لآلهة الوثنيين (ع ١٣). وثَمة تحذير عام صاحب هذا التحريم، ويشير إلى كل ما قلت لكم احتفظوا به.

رابعا: ضرورة حضورهم للاحتفالات الدينية المهيبة في الأماكن التي حددها الله هنا (ع ١٤– ١٧). فعلى كل الذكور منهم أن يجتمعوا ثلاث مرات في السنة «أمام السيد الرب» (ع ١٧) لكي يقدموا له فروض العبادة والولاء. ويجب ألا يظهروا أمامه فارغين (ع ١٥). وعليهم بمحض إرادتهم أن يُحضروا معهم تقدمة أو ما إلى ذلك، وهكذا فإنه ينبغي علينا المجيء إلى عبادة الله بقلوب خاوية. ويجب أن تكون نفوسنا مليئة بالنعمة، وبمشاعر مخلصة تقية ورغبات مقدسة نحوه مكرسين أنفسنا له. وعيد الفصح وعيد الخمسين وعيد المظال والتي تحل في الربيع والصيف والخريف على التوالي، كانت المرات الثلاث لاجتماعهم.

خامسا: بعض التوجيهات المعينة الخاصة بهذه الأعياد الثلاثة، ولو أنها لم تأت هنا بشكل تفصيلي كما سيحدث فيما بعد:

(١) بالنسبة للفصح فلا يجب أن يُقدَّم مع خمير، ولا يبيت شحمه إلى الغد، وإلا كان لذلك عواقب وخيمة (ع ١٨).

(٢) في عيد الخمسين، حين يبدأون في جمع الحصاد عليهم أن يحضروا أول أبكار أرضهم للرب، وبهذه التقدمة المقدسة يُقدس المحصول كله (ع ١٩).

(٣) في «عيد الحصاد» (ع ١٦)، عليهم أن يقدموا الشكر لله على مراحمه التي تمثلت في الحصاد الذي جنوه، وينبغي أن يعتمدوا عليه بالنسبة للحصاد التالي، وعليهم ألا يفكروا في نوال الخير من عادة خرافية كالتي اتبعها بعض الوثنيين الذين يُقال إنهم في نهاية الحصاد كانوا يطبخون «جديا بلبن أمه»، ثم يرشون هذا اللبن وهو ساخن وبطريقة سحرية، على حدائقهم وحقولهم، لكي يجعلوها أكثر إثمارا في السنة القادمة.

عدد ٢٠ – ٣٣

أُعطيت ثلاثة وعود كريمة لإسرائيل، لكي ينهمكوا في واجبهم، وتشجيعا لهم على عمله.

أولا: وُعدوا هنا بأن يتم إرشادهم وحفظهم في طريقهم عبر البرية إلى أرض الموعد «ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك» (ع ٢٠)، و«ملاكي» (ع ٢٣). ويقول البعض إنه ملاك مخلوق، خادم للعناية الإلهية، استُخدم لقيادة بني إسرائيل وحفظ محلتهم. آخرون يفترضون أنه ابن الله، ملاك العهد، ونحن بدورنا نفترض فيه أنه ملاك الله، فادي الكنيسة، قبل تجسده، فهو الحمل الذي دمه مسفوك من قبل تأسيس العالم. وقد جاء الوعد بأن هذا الملاك المبارك سوف يحفظهم «في

الطريق». كما وُعد أيضا بأنه سيجيء بهم إلى المكان، ليس الذي قصده الله فقط، بل والذي أعده لهم، وهكذا أعد المسيح مكانا لأتباعه.

ثانيا: وُعدوا بأنهم سيستقرون في راحة في أرض كنعان، ونلاحظ هنا:

(١) كيف كانت شروط هذا الوعد معقولة- وهي أنه ليس عليهم سوى أن يعبدوا إلههم الذي هو الإله الحقيقي وحده.

(٢) كيف كانت نقاط هذا الوعد عظيمة:

أ. وفرة طعامهم: «فيبارك خبزك وماءك».

ب. احتفاظهم بصحة جيدة: «وأزيل المرض من بينكم»، يمنعه أو يزيله.

ج. زيادة ثروتهم: لن تكون مواشيهم عقيمة.

د. إطالة عمرهم حتى الشيخوخة: «وأكمل عدد أيامك»، ولن ينقطع عمرك في منتصفه نتيجة موت مفاجئ. وهكذا فإن التقوى لها «موعد الحياة الحاضرة».

ثالثا: سوف يهزمون أعداءهم ويخضعونهم، وهم سكان كنعان الحاليين، الذين يجب طردهم ليُفسح المجال لهم. وجيوش من الزنابير أفسحت الطريق أمام جيوش إسرائيل. والله بمقدوره أن يُسخِّر مثل هذه المخلوقات البسيطة لتأديب أعداء شعبه، مثلما حدث في الضربات التي أنزلها بالمصريين. وحين يشاء الله يمكن للزنابير أن تطرد الكنعانيين، كما تفعل الأسود (انظر يشوع ٢٤: ١٢). والمبدأ الذي أُضيف إلى هذا الوعد هو أنه عليهم ألا يختلطوا بالوثنيين (ع ٣٢ و٣٣). ولا يجب السماح لعبدة الأوثان بأن يسكنوا أرضهم بأي حال، ما لم يتركوا وثنيتهم. ويُلاحظ أن الذين يُحفظون من السلوك الرديء عليهم أن يتجنبوا المعاشرات الرديئة.

الأصحاح الرابع والعشرون

أولا: نزل موسى إلى الشعب وعرَّفهم بالأحكام التي تسلمها من الله وأخذ موافقتهم عليها (ع ٣)، كتب هذه الأحكام وقرأها على الشعب، الذي كرر موافقته (ع ٤- ٧)، وبعد ذلك صُدِّق على العهد بينهم وبين الله بتقديم الذبيحة ورش الدم (ع ٥، ٦، ٨).

ثانيا: عاد إلى الله ثانية، لكي يتسلم مزيدا من التوجيهات. فحين صُرف من حضوره الأول، أُمر بأن يعود ثانية (ع ١ و٢). وقد فعل ذلك مع سبعين من الشيوخ، الذين أعطاهم الله إعلانا إلهيا عن مجده (ع ٩- ١١). وقد أمر موسى بأن يصعد فوق الجبل (ع ١٢ و١٣)، أما الآخرون فقد أُمروا أن يجلسوا مع الشعب (ع ١٤). ولقد رأى الشعب كله سحابة المجد على رأس جبل سيناء (ع ١٥- ١٧)، وكان موسى هناك مع الله أربعين نهارا وأربعين ليلة (ع ١٨).

عدد ١- ٨

أُمر موسى بأن يصحب هارون وابنيه وسبعين من شيوخ إسرائيل، حتى يكونوا شهودا لمجد الله، وحتى تُثبِّت شهادتهم إيمان الشعب. وعليهم جميعا أن يتسموا بالوقار والرزانة: «اسجدوا من بعيد» (ع ١). وفي الأعداد التالية نقرأ عن العهد الذي قُطع بين الله وإسرائيل، وتبادل التصديق عليه.

أولا: حدَّث موسى الشعب بأقوال الرب (ع ٣). وضع أمامهم كل الأحكام العامة منها والخاصة، والتي ذكرت في الأصحاحات السابقة، وعرضها عليهم وترك لهم حرية الامتثال لهذه الأحكام أو رفضها.

ثانيا: وافق الشعب بالإجماع على الشروط المقترحة، بدون أية تحفظات أو استثناءات: «كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل». وكانت فحوى هذا العهد هو أنهم إذا ما راعوا الأحكام السابقة، فإن الله سيحقق لهم المواعيد التي قطعها لهم «اطيعوا تكونوا سعداء".

(١) كيف كُتب في كتاب العهد: «فكتب موسى جميع أقوال الرب» (ع ٤).

(٢) كيف خُتمت بدم العهد: حتى يحصل بنو إسرائيل على تعزيات قوية بالتصديق على وعود الله التي قطعها لهم، وحتى يصبحوا ملتزمين تماما نتيجة المصادقة على ما تعهدوا به لله. ويجب قطع العهد بواسطة ذبيحة (مز ١: ٥)، لأنه منذ أن وقع الإنسان في الخطية، وخسر نعمة خالقه، ما كان في الإمكان أن تكون ثَمة شركة بعهد، ما لم تكن هناك أولا صداقة وتكفير عن طريق الذبيحة.

أ. ولذلك فإنه على سبيل الاستعداد.

◄ بنى موسى مذبحا تكريما لله، الأمر الذي استُهدف من كل المذابح التي بُنيت، وكان هذا أول أمر يُولى عناية في العهد الذي كانوا بصدد ختمه الآن.

◄ أقام اثني عشر عمودا، بحسب عدد الأسباط. وكانت هذه تمثل الشعب، الذي هو الطرف الثاني في العهد. ويمكننا افتراض أنها أُقيمت في مقابل المذبح، وأن موسى باعتباره وسيطا، مر بينها جيئة وذهابا. ولعل كل سبط أقام عموده وكان يعرفه، وكان ذلك على مرأى من شيوخهم.

◄ أمر بأن تُقدم ذبائح على المذبح (ع ٥)، وقدموا محرقات وذبائح سلامة، والتي كانت حتى ذلك الحين بغرض التكفير.

ب. وإذ تمت الاستعدادت على هذا النحو، تم تبادل الإقرارات في مهابة عظيمة.

◄ رُش جزء من دم الذبيحة التي قدمها الشعب على المذبح (ع ٦)، الأمر الذي يعني أن الشعب كرسوا أنفسهم وحياتهم، وكيانهم لله ولمجده.

◄ الدم المتبقي من الذبيحة التي قبلها الله تم رشه إما على الشعب (ع ٨)، أو على الأعمدة التي كانت تمثله، الأمر الذي يفيد أن الله برحمته خلع عليهم نعمته. وهكذا أيضا بالنسبة لربنا يسوع، وسيط العهد الجديد (الذي كان موسى رمزا له) إذ قدم نفسه ذبيحة عنا على الصليب، حتى يكون دمه بحق هو دم العهد، فقد رشه على المذبح في شفاعته (عب ٩: ١٢)، كما رشه على كنيسته بأقواله وأحكامه، وبتأثير وعمل روح العهد، الذي به خُتنا. ويبدو أنه هو نفسه أشار إلى هذا الطقس، إذ إنه عند تأسيسه فريضة عشاء الرب قال: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي». (قارن هذا مع عبرانيين ٩: ١٩ و٢٠).

عدد ٩ – ١١

الله يعطي هنا لممثليهم بعض علامات إحسانه لهم، ويُقرِّبهم إليه بأكثر مما كانوا يتوقعون. وجدير بالملاحظة:

(١) «رأوا إله إسرائيل» (ع ١٠)، أي إنهم رأوا لمحة من مجده في نور ونار، ولم يروا شكلا من أي نوع، ذلك أنه «لم يره أحد من الناس» (١تي ٦: ١٦). رأوا المكان الذي وقف فيه إله إسرائيل (بحسب الترجمة السبعينية)، شيئا يكاد يكون له شكل، غير أنه لم يكن هكذا، وأيا كان ما رأوه، فمن المؤكد أنه كان شيئا لا يمكن أن يُصنع له تمثال أو صورة، ولكنه كان كافيا لإقناعهم أن الله كان حقا معهم. ولم يُوصف شيء بخلاف ما كان تحت قدميه، لأن كل مفاهيمنا عن الله لا تصل إلى حقيقة وصفه، وهي بعيدة تماما عن أن تكون كافية، ذلك أنهم تحت الضياء الباهر، وعند قاعدته رأوا «شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف»، أو ما يشابه لون السماء اللازوردية.

(٢) ولكن الله «لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل» (ع ١١). وعلى الرغم من أنهم كانوا بشرا، إلا أن شدة بهاء وعظمة مجده قد خُفِّف حتى يستطيعوا أن يحتملوه.

(٣) «فرأوا الله وأكلوا وشربوا». فلم تُحفظ لهم حياتهم فحسب، بل وحيويتهم وشجاعتهم وراحتهم، ولم يُقلل ذلك من فرحهم، بل على العكس زاده وضاعفه.

عدد ١٢ – ١٨

وإذا انتهى الاحتفال العام المتعلق بالتصديق على العهد، استُدعي موسى ليتلقى مزيدا من التعليمات:

أولا: استُدعي ليصعد إلى الجبل، وهناك ظل على مسافة ما مدة ستة أيام: «اصعد إليَّ... فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم». وبعد أن تلقى هذه التعليمات:

(١) عين هارون وحور ليكونا قاضيين أثناء غيابه، وذلك لحفظ السلام والنظام في الجماعة (ع ١٤).

(٢) أخذ يشوع معه إلى الجبل (ع ١٣). وكان يشوع خادمه، الذي كان يشعر براحة في صحبته، ولذا أخذه معه أثناء الأيام الستة التي انتظرها على الجبل قبل أن يناديه الله. وكان يشوع هو خليفته المنتظر، ولذلك تم تكريمه على هذا النحو أمام الشعب وفوق بقية الشيوخ، حتى يقبلوه بعد ذلك كحاكم بكل ترحيب، وهكذا أُعد يشوع للخدمة، إذ دُرب في شركة مع الله.

(٣) غطى السحاب الجبل مدة ستة أيام، وكانت

هذه بمثابة علامة مرئية على وجود الله بصفة خاصة في ذلك المكان. وأثناء هذه الأيام الستة ظل موسى على الجبل ينتظر استدعاءه لمحضر الله (ع ١٥ و١٦).

ثانيا: في اليوم السابع دُعي موسى من وسط السحاب، ولعل ذلك كان يوم سبت (ع ١٦). ومما يجدر ذكره:

(١) انفتح السحاب الكثيف على مرأى من كل الشعب، وظهر مجد الرب «كنار آكلة» (ع ١٧).

(٢) كان دخول موسى إلى السحاب أمرا عجيبا: «ودخل موسى في وسط السحاب» (ع ١٨). ومن المؤكد أن الذي استدعاه قادر على حمايته.

(٣) واستمراره في السحاب لم يكن أقل عجبا: فقد ظل هناك «أربعين نهارا وأربعين ليلة». وحين استُدعي موسى إلى داخل السحاب ترك يشوع خارجا، وقد استمر يشوع يأكل ويشرب يوميا وهو في انتظار عودة موسى، ولكن موسى ظل صائما منذ ذلك الحين فصاعدا.

الأصحاح الخامس والعشرون

يتضمن هذا الأصحاح الأوامر والتعليمات التي أعطاها الله لموسى على الجبل بغية إقامة وتأسيس خيمة لمجد الله. ونجد هنا:

أولا: أمر بجمع بعض الأشياء من الشعب لهذا الغرض (ع ١– ٩).

ثانيا: تعليمات خاصة:

(١) بتابوت العهد (ع ١٠– ٢٢).

(٢) مائدة خبز الوجوه (ع ٢٣– ٣٠).

(٣) المنارة الذهبية (ع ٣١– ٤٠).

عدد ١ – ٩

لنا أن نفترض أنه حين دخل موسى السحاب، ومكث هناك مدة طويلة، فلابد أنه سمع ورأى أشياء مجيدة تختص بالعالم العلوي، إلا أنه كان ثَمة أشياء لا يسوغ له ولا يمكنه النطق بها. في هذه الأعداد يخبر الله موسى عن رغبته بصفة عامة في أن يقوم بنو إسرائيل ببناء مَقدِس له، لأنه عزم على أن يسكن «في وسطهم» (ع ٨). لقد اختار الله شعب إسرائيل، وباعتباره ملكهم أعطاهم القوانين التي يحكمون بها أنفسهم، ذلك في معاملاتهم بعضهم مع بعض، مع قواعد عامة تختص بالعبادة.

أولا: أمرهم أن يقيموا له قصرا ملكيا في وسطهم، وقد دعاه هنا «مَقدِسا»، أو مكانا مقدسا، أو «مسكنا»، قيل عنه في إرميا ١٧: ١٢ «كرسي مجدٍ مرتفع من الابتداء هو موضع مقدسنا». ويمكن اعتبار هذا المقدس:

(١) كشيء طقسي يتوافق مع الفرائض الأخرى الخاصة بذلك التدبير، التي كانت تتكون من فرائض جسدية (عب ٩: ١٠)، وهكذا دُعي «القدس العالمي» (عب ٩: ١).

أ. هناك أعلن وجوده بينهم، كعلامة أو إشارة على حلوله في وسطهم، وحيث إنهم أدركوا وشعروا بوجوده في وسطهم، فليس لهم إذًا أن يتساءلوا ثانية «أفي وسطنا الرب أم لا؟» وبالنظر إلى أنهم كانوا في البرية يقيمون في خيام، فحتى هذا القصر الملكي أُمر بأن يكون أيضا خيمة، حتى يمكن أن تتحرك معهم.

ب. هناك أمر رعاياه بأن يأتوا إليه بالتبجيل والتقدمة. وعليهم أن يأتوا بذبائحهم، وهناك يجب أن يجتمع كل إسرائيل، ليقدموا بشكل مشترك فروض إجلالهم وولائهم لإله إسرائيل.

(٢) كأمور رمزية: فالأقداس المصنوعة باليد هي «أشباه الحقيقة» (عب ٩: ٢٤). لقد كان جسد المسيح، الذي فيه وبه عمل الكفارة، هو «المسكن الأعظم والأكمل» (عب ٩: ١١). «والكلمة صار جسدا وحل بيننا» كما لو كان في خيمة.

ثانيا: وحين كان على موسى أن يقيم هذا القصر، فمن ثَمَّ تطلب الأمر أن يتلقى أولا التعليمات التي تُعرِّفه من أين يحصل على المواد اللازمة لذلك، والنموذج الذي يشيده على نمطه.

(١) ينبغي على الشعب أن يمده بالمواد اللازمة، وليس عن طريق ضريبة تُفرض عليهم فرضا، بل عن طريق المساهمة الاختيارية.

أ. «كلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة». ومادمنا نحيا به، إذًا يجب أن نحيا له.

ب. هذه التقدمة اختيارية ومن القلب. ولا يجب

أن نسأل فقط: ماذا ينبغي علينا أن نعمل؟ بل ماذا ينبغي علينا أن نعمل من أجل الله؟

ج. ذُكرت هنا تفاصيل ما يجب أن يقدموه (ع ٣- ٧)، وكلها من الأشياء اللازمة للخيمة. والبعض لاحظ أن التقدمات شملت ذهبا وفضة ونحاسا، غير أنه لم يأت ذكر للحديد، لأنه يُستخدم في الأغراض العسكرية، أما الخيمة فيجب أن تكون بيت سلام.

(٢) الله نفسه سيمده بالنموذج المطلوب: «بحسب جميع ما أنا أريك من مثال» (ع ٩).

عدد ١٠- ٢٢

كان الأمر أن يُبدأ أولا بصنع التابوت وملحقاته، الأثاث الخاص بقدس الأقداس، والعلامة الخاصة بتواجد الله الذي من أجله أُقيمت الخيمة لتكون موضع استقباله.

أولا: كان التابوت نفسه عبارة عن صندوق كبير يُودع فيه لوحا الشريعة بكل وقار، حيث يتم حفظهما بكل عناية. وإذا كان الذراع اليهودي، كما يحسبه بعض العلماء أطول من نصف الياردة المعروفة لنا بثلاث بوصات (أي أن طوله ٢١ بوصة)، فيكون طول هذا الصندوق ٥٢ بوصة، وعرضه ٣١ بوصة، وارتفاعه ٣١ بوصة. وكان مغَّشى من الداخل والخارج برقائق من ذهب. ويحيط به تاج أو إفريز من ذهب، مع حلقات وعصوين يُحمل بهما، وهو الذي تُوضع فيه «الشهادة» (ع ١٠- ١٦). وقد سُمي لوحا الشريعة «الشهادة»، لأن الله أظهر فيها إرادته، ثم إن إنجيل المسيح سُمي أيضا «شهادة» (مت ٢٤: ١٤). وجدير بالذكر أنه:

(١) حُفظ لوحا الشريعة بكل عناية في التابوت بهدف تعليمنا أن نُقدِّر كلمة الله، وأن نُخبئها في قلوبنا، وفي عمق أفكارنا، كما وُضع التابوت في قدس الأقداس.

(٢) كان هذا التابوت هو العلامة الرئيسية لحضور الله، الأمر الذي يُعلمنا أن أول وأعظم دليل يقيني على نعمة الله فينا هو أن نضع شريعته في قلوبنا. والله يسكن حيث يسود ناموسه (عب ٨: ١٠).

(٣) اتُخذت الترتيبات اللازمة لحمل هذا التابوت معهم في كل تحركاتهم، الأمر الذي نستخلص منه أنه علينا أن نتمسك بديانتنا أينما ذهبنا، ونحمل معنا دائما محبتنا للرب يسوع وشريعته.

ثانيا: أما غطاء التابوت أو الصندوق فيُصنع من ذهب نقي شديد الصلابة، ويكون مطابقا تماما لأبعاد التابوت (ع ١٧، ٢١).

ثالثا: نُبِّت كروبان من ذهب على الغطاء، ليكونا جزءا منه، ويبسطا أجنحتهما عليه (ع ١٨). ويفترض أن هذين الكروبين يمثلان الملائكة المقدسين -الذين يلازمون سحابة المجد، أو العظمة الإلهية- ليس بواسطة صورة أو تمثال لملاك، بل برمز له طابع ملائكي، ولعله كان له أحد الوجوه الأربعة المذكورة في حزقيال ١: ١٠. وأيا كان الوجهان، فقد كان كل منهما يقابل الآخر، وينظر كلاهما إلى التابوت، وتكون أجنحتهما منبسطة بحيث تتلامس. وقد قال عنهما كاتب العبرانيين إنهما «كروبا المجد مظللين الغطاء» (عب ٩: ٥). وذُكر أن الله يسكن «بين الكروبين» على الغطاء (مز ٨٠: ١)، ومن هناك نراه يعطي الوعد بأنه سيجتمع بموسى في المستقبل (ع ٢٢). وفي إشارة إلى هذا الغطاء قيل إننا «نتقدم بثقة إلى عرش النعمة» (عب ٤: ١٦) لأننا لسنا تحت الناموس الذي انقضى بل تحت النعمة التي أُعلنت، والتي بسطت أجنحتها، والتي دُعينا لكي نحتمي بظلهما (را ٢: ١٢).

عدد ٢٣- ٣٠

(١) أُمر بأن تُصنع مائدة من خشب مغشَّى بالذهب، وتُوضع، ليس في قدس الأقداس (فلا يُوضع به سوى التابوت وملحقاته)، بل في الجزء الخارجي من الخيمة، والذي يُسمى «القدس» أو المسكن (عب ٩: ٢، ٢٣- ٢٨). وهناك يجب أن توضع التجهيزات المعتادة: صحاف، صحون، ملاعق... إلخ، وكلها «من ذهب نقي» (ع ٢٩).

(٢) يجب أن تكون هذه المائدة مبسوطة دائما وعليها خبز الوجوه (ع ٣٠)، وهو يتكون من اثني عشر رغيفا، بعدد أسباط بني إسرائيل، وتُوضع في صفين، في كل صف ستة أرغفة. انظر الناموس المتعلق بها (لا ٢٤: ٦- ٢٣). وكان من اللائق أن تكون في القصر الملكي مائدة ملكية. والبعض يقول إن

الاثني عشر رغيفا تمثل أسباط إسرائيل الاثني عشر. وكما أن التابوت يمثل حضور الله معهم، كذلك تشير الأرغفة الاثنا عشر إلى أنهم حاضرون أمام الله. وقُصد بهذا الخبز أن يكون:

أ. شكر واعتراف بصلاح الله نحوهم، إذ يعطيهم خبزهم اليومي، المن في البرية، حيث أعد لهم مائدة، وفي كنعان، حنطة الأرض. وقد علمنا المسيح أن نصلي كل يوم لكي يعطينا خبزنا كفافنا كل يوم.

ب. علامة على شركتهم مع الله. وقد عُمل هذا الخبز الذي على مائدة الله من نفس الحنطة التي يُعمل منها الخبز الذي على موائدهم، وبذلك أكل الله وإسرائيل معا، كعربون للصداقة والشركة، تعشى معهم وهم معه.

ج. رمز للغذاء الروحي الذي جُعل في الكنيسة بإنجيل المسيح، لكل الذين جُعلوا كهنة روحيون لإلهنا. في بيت أبينا خبز كاف ويفضل، رغيف لكل سبط.

عدد ٣١- ٤٠

أولا: الشيء الثاني الذي أُمر بصناعته لتجهيز بيت الله هو منارة رائعة كل أجزائها من ذهب خالص. والتوجيهات الخاصة بها والتي ذُكرت هنا تبين الآتي:

(١) إنها كانت أداة رائعة للزينة، وكانت لها فروع كثيرة تتشعب من قوامها الرئيسي، التي لا تحوي فقط كؤوسها (لحفظ الزيت والفتيلة المتقدة) للاستخدام الضروري، بل وأيضا بها براعم وأزهار للزينة.

(٢) كانت مناسبة للغاية، ذات تصميم رائع يسمح باالتوزيع الجيد للضوء، كما يحفظ الخيمة من الدخان أو أية بقايا ناجمة عن احتراق فتيل الشمع.

(٣) كان لها مغزى كبير- فالخيمة لم تكن لها نوافذ تسمح بدخول ضوء النهار، وكل نورها كان من المنارة. ومع ذلك لم يترك الله نفسه بلا شاهد، ولم يتركهم أيضا بلا تعليمات، فالوصايا كانت سراجا، والشريعة نورا وكان الأنبياء فروعا من هذا السراج، وهم الذين أعطوا نورا لمؤمني العهد القديم في أجيالهم المختلفة. ولا تزال الكنيسة مظلمة، كما كان الحال بالنسبة للخيمة، وذلك إذا ما قُورنت بما سيكون عليه حالها في السماء، لكن كلمة الله هي المنارة «سراج منير في موضع مظلم» (٢بط ١: ١٩)، وحقا يكون العالم موضعا مظلما بدونها. وروح الله في عطاياه ونعمه المختلفة يشبه «سبعة مصابيح نار متقدة» أمام العرش (رؤ ٤: ٥). والكنائس هي منارات ذهبية، وأنوار العالم، تقدم «كلمة الحياة» كما تقدم المنارة النور (في ٢: ١٥ و١٦). ومن واجب الخدام أن يضيئوا السرج وينظفوها (ع ٣٧) ، وذلك بشرح الأسفار المقدسة.

ثانيا: وفي خضم هذه التعليمات أُعطي موسى تحذيرا واضحا بألا يبتعد عن هذا النموذج الذي أُعطي له: «وانظر فاصنعها على مثالها الذي أُظهر لك» (ع ٤٠).

الأصحاح السادس والعشرون

يتضمن هذا الأصحاح تعليمات أُعطيت لموسى:

أولا: بخصوص الشقق (الستائر) الداخلية وكيفية ربطها معا (ع ١- ٦).

ثانيا: بخصوص الشقق الخارجية التي تُصنع من شعر المعزى، وذلك لتقوية الشقق السابقة (ع ٧- ١٣).

ثالثا: بخصوص الغطاء الذي يحفظها من التأثيرات الجوية (ع ١٤).

رابعا: بخصوص الأعمدة التي ستُنصب لتدعيم الشقق، مع عوارضها وقواعدها (ع ١٥- ٣٠).

خامسا: الحجاب القائم بين القدس وقدس الأقداس (ع ٣١- ٣٥).

سادسا: السجف الخاص بالمدخل (ع ٣٦ و٣٧).

عدد ١- ٦

أولا: البيت ينبغي أن يكون خيمة، وقد أعلن الله حضوره بينهم في خيمة:

(١) وذلك تمشيا مع حالتهم الراهنة في البرية، وحتى يكون معهم أينما ذهبوا.

(٢) حتى تمثل حالة كنيسة الله في هذا العالم، فهي تشبه الخيمة (مز ١٥: ١). فنحن غرباء في هذا العالم «ليس لنا هنا مدينة باقية»، ومسافرون إلى عالم أفضل، ولن نستقر أبدا حتى نأتي إلى السماء.

ثانيا: شقق (ستائر) الخيمة يجب أن تكون طبقا للنموذج الإلهي.

(١) يجب أن تكون فاخرة جدا، ومن أفضل النوعيات: من «بوص مبروم»، ومن ألوان بهيجة «أسمانجوني وأرجوان وقرمز».

(٢) يجب أن تُطرَّز بكروبيم (ع ١)، بما يشير إلى أن ملائكة الله ينصبون خيامهم حول الكنيسة (مز ٣٤: ٧).

(٣) يجب أن تُعمل ستارتان، كل منهما من خمس شقق، ثم تخاط معا، ثم يُوصل الستارتان معا بواسطة مشابك من ذهب. وبذلك تُشكل منها جميعا خيمة واحدة (ع ٦). وهذا أيضا هو حال كنائس المسيح والقديسين، فعلى الرغم من كثرتها، إلا أنها كنيسة واحدة «جُمعت معا» في محبة مقدسة، وبوحدانية الروح، وبذلك نمت وأصبحت «هيكلا مقدسا في الرب» (أف ٢: ٢١ و٢٢؛ انظر أيضا ٤: ١٦).

عدد ٧- ١٤

أُمر موسى بأن يعمل غطاء مزدوجا للمسكن لحمايته من المطر.

(١) يجب أن يُعمل غطاء يتكون من ستائر من شعر معزى، تكون إلى حد ما أكبر من الستائر الداخلية من جميع الاتجاهات، لأنها سوف تحيط بها، ولعلها كانت تُمد إلى الخارج لمسافة قليلة (ع ٧- ١٤). وكانت هذه تقرن معا بمشابك من نحاس.

(٢) يجب أن يكون ثَمة غطاء آخر فوق هذا، وهو غطاء مزدوج (ع ١٤)، أحدهما من جلود كباش صُبغت باللون الأحمر؛ وتغطت بالصوف من فوقها، والآخر من «جلود تخس» (وهي في الأغلب جلود لحيوانات بحرية كالدلفين وعجل البحر)، وقد كان نوعا من الجلود القوية والجميلة جدا، لأننا نقرأ أنه كانت تصنع منها أفضل أنواع الأحذية (حز ١٦: ١٠)، ونلاحظ هنا أن خارج المسكن كان خشنا غير مصقول، أما جماله فكان في الستائر الداخلية. وأولئك الذين يسكن الله فيهم، عليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم ليكونوا أفضل مما يبدون من الخارج. لتكن زينتنا مصدرها «إنسان القلب الخفي»، وهو ما يُقدِّره الله (١بط ٣: ٤).

عدد ١٥- ٣٠

أُعطيت هنا تعليمات دقيقة بخصوص ألواح جدران المسكن التي ستثبت عليها الستائر، حيث أن أوتاد الخيمة يجب أن تكون قوية (إش ٥٤: ٢). ولهذه الألواح بروز تُدخل في نقر عُملت من أجلها في قواعد من الفضة، ولقد اهتم الله بأن يكون كل شيء في مسكنه قويا وجميلا. وكانت الألواح تُقرن معا بواسطة حلقات من ذهب من أعلى ومن أسفل (ع ٢٤)، وتثبت بواسطة عوارض تمر من حلقات ذهبية في كل لوح (ع ٢٦)، وتُغشى الألواح والعوارض بغشاء ذهبي جميل (ع ٢٩)

عدد ٣١- ٣٧

جاء الأمر هنا بعمل حجابين:

(١) أحدهما للفصل بين القدس وقدس الأقداس، وليس ذلك بغية منع أي أحد من الدخول إلى قدس الأقداس، وأيضا لمنع النظر إليه أيضا (ع ٣١، ٣٣). وطبقا لذلك التدبير كانت النعمة الإلهية محجوبة، أما الآن فنحن نراها «بوجه مكشوف» (٢كو ٣: ١٨). ويخبرنا الرسول في رسالة العبرانيين ٩: ٨ و٩، عن معنى هذا الحجاب، ذلك أنه يشير إلى أن الناموس وطقوسه لا يمكن «أن تكمل الذي يخدم»، بل ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى السماء نتيجة حفظها، لأن «طريق الأقداس لم يظهر بعد، مادام المسكن الأول له إقامة»، فالحياة والخلود ظلا مخفيين إلى أن أظهرهما الإنجيل، الأمر الذي أُشير إليه بانشقاق حجاب الهيكل عند موت المسيح (مت ٢٧: ٥١). إذ لنا الآن «ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع» وذلك في جميع أعمال العبادة، ومع ذلك فنحن ملزمون بأن نقر بوقار وتقوى وروح التواضع بأننا لا نزال بعيدين.

(٢) وثَمة حجاب آخر لمدخل الخيمة الخارجي (ع ٣٦ و٣٧). فنحن خلال الحجاب الأول كان الكهنة يدلفون إلى القدس كل يوم للخدمة، ولكن ليس الشعب (عب ٩: ٦). وهذا الحجاب -الذي كان يُشكّل كل ما لدى الخيمة من دفاع ضد السُراق واللصوص- يُمكن اقتحامه بسهولة، لأنه لم يكن في الإمكان غلقه أو إحكامه، ثم أن الثروة الهائلة التي

كانت الخيمة تفيض بها، لعلها بحسب تفكيرنا، كانت تمثل إغراء، غير أن تركها على هذه الحال كان للأسباب التالية:

أ. حتى يُلزم الكهنة واللاويون بفرض حراسة قوية عليها.

ب. الله سيولي اهتمامه لكنيسته على الأرض على الرغم من ضعفها، وافتقارها إلى ما تدافع به عن نفسها، وتعرضها الدائم للهجوم، ثم إن الستار الذي يسمح الله بعمله يمكن أن يُشكِّل دفاعا قويا لبيته تماما كالبوابات النحاسية، والمزالج الحديدية.

الأصحاح السابع والعشرون

يتضمن هذا الأصحاح التعليمات الخاصة بكل من:

أولا: مذبح النحاس الخاص بالمحرقات (ع ١– ٨).

ثانيا: بخصوص فناء المسكن وأستارها (ع ٩– ١٩).

ثالثا: بخصوص الزيت اللازم للسرج (ع ٢٠ و٢١).

عدد ١– ٨

وكما قصد الله بالخيمة (المسكن) أن يُبين حضوره وسط شعبه، هكذا كان عليهم هنا أن يقدموا له سجودهم وعبادتهم، ولكن ليس في الخيمة نفسها (حيث يقتصر دخولها على الكهنة باعتبارهم خدام الله المكرسين)، ولكن في دار المسكن (أو الفناء) أمام الخيمة. وقد أمر الله بأن يُقام بها مذبح، حيث يجب أن يقدموا عليه ذبائحهم. وقد صدرت التعليمات لموسى هنا بخصوص:

(١) أبعاده، وكان مربعا (ع ١).

(٢) قرونه (ع ٢) وكانت للزينة، فضلا عن فائدتها، حيث كانت الذبائح تُقيد بحبال إلى قرون المذبح، كما كان يهرب إليها المذنبون ويلوذون بحمايتها.

(٣) المواد: من خشب السنط المغشى بنحاس (ع ١ و٢).

(٤) أدواته (ع ٣)، كلها من نحاس.

(٥) الشبكة، التي كانت تُوضع في تجويف المذبح، وعند منتصفه تقريبا، حيث كانت تُوقد فيه النار، وتُحرق الذبيحة.

(٦) العصوان اللذان يُحمل بهما (ع ٦ و٧)، وأخيرا طُلب منه الرجوع إلى النموذج الذي سبق أن رآه (ع ٨).

وكان هذا المذبح يرمز إلى المسيح الذي مات تكفيرا عن خطايانا. وكان الخطاة المساكين يهربون إلى قرون هذا المذبح كملجأ لهم، حينما كانت العدالة تطاردهم، وكانوا يصبحون في أمان نتيجة الذبيحة التي قُدمت هناك.

عدد ٩– ١٩

كان أمام الخيمة دار أو فناء، تحوطه ستائر من بوص مبروم (كتان مجدول)، والذي استُعمل للخيام. وهذه الدار، كان طولها خمسين ياردة وعرضها خمسا وعشرين ياردة. ولقد وُضعت أعمدة على مسافات مناسبة، في رُزَز من فضة، كما زُينت الأعمدة بالفضة، وبها الخطافات الفضية، وهي التي تثبت عليها الأستار المصنوعة من بوص مبروم، والأستار التي استُخدمت للباب كانت أكثر من الأخرى روعة (ع ١٦). وشكرا لله، أنه الآن في عهد الإنجيل قد هُدم الحاجز. وإرادة الله أن يصلي الناس في كل مكان، وهناك مكان لجميع الذين في كل أنحاء العالم يدعون باسم يسوع المسيح.

عدد ٢٠– ٢١

هنا أمر أُعطي لإيقاد السراج دائما، حيث ينبغي أن يكون ثَمة ضوء يُوقد باستمرار في كل شمعدان. والشمعدانات التي بلا شموع تشبه الآبار التي بدون ماء، أو السحب التي بدون مطر. ومما يجدر ذكره:

(١) كان على الشعب أن يقدم الزيت اللازم للإضاءة.

(٢) كان على الكهنة أن يضيئوا السرج، ويعتنوا بها. وهكذا فإن عمل الخدام –عن طريق الكرازة وتفسير الأسفار المقدسة (الأمر الذي يشبه السراج)– أن ينيروا الكنيسة التي هي خيمة الله في العالم.

الأصحاح الثامن والعشرون

في هذا الأصحاح، والأصحاح الذي يليه أُولي الاهتمام بالكهنة الذين سيقومون بالخدمة في هذا المكان المقدس.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: الله يختار الأشخاص الذين سيكونون خدامه (ع ١).

ثانيا: عيَّن نوعية الملابس الخاصة بهم، والتي تتناسب مع مجد البيت الذي سيُقام الآن (ع ٢– ٥).

(١) عين ثياب خدامه الرئيسيين، رئيس الكهنة:

أ. رداء وزنار (ع ٦– ١٤).

ب. صدرة قضاء لاتخاذ القرارات (ع ١٥– ٢٩). والتي يجب أن يوضع فيها الأوريم والتميم (ع ٣٠).

ج. جبة الرداء (ع ٣١– ٣٥).

د. صفيحة من ذهب (ع ٣٦– ٣٩).

(٢) ثياب الكهنة الأدنى (ع ٤٠– ٤٣). وكانت هذه أيضا ظل الخيرات العتيدة.

عدد ١ – ٥

أولا: الكهنة الذين عُينوا: «هارون» مع «بنيه» (ع ١). وموسى كان حتى الآن يقوم بهذا العمل، ولذلك حُسب «بين كهنته» (مز ٩٩: ٦)، وكان لديه ما يكفيه من عمل كنبي لهم ليسأل الوحي الإلهي لأجلهم، وكرئيس يحكم بينهم، غير أنه سُر كثيرا أن يرى أخاه هارون في هذا المنصب. وهارون– الذي بكل تواضع خدم كنبي لأخيه الأصغر موسى، ولم يرفض هذا العمل (خر ٧: ١) قد ترقى الآن ليكون رئيس كهنة لله. ذلك أنه كان يُشترط أن الذين يخدمون المذبح عليهم أن يتفرغوا تماما لهذا العمل، لأن العمل المشترك بين الجميع سرعان ما يتنصل منه الجميع. ولقد اختار الله هنا من بينهم عائلة كهنة، تتكون من الأب وأبنائه الأربعة، ومن هارون انحدر جميع كهنة اليهود، الذين نقرأ عنهم كثيرا جدا، سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد.

ثانيا: عُيِّنت ثياب الكهنة «للمجد والبهاء» (ع ٢)، وتتكون من:

(١) أربعة منها يرتديها رئيس الكهنة، وكذلك الكهنة الأدنى منه وهي: السراويل والأقمصة، والمناطق (أي الأحزمة) التي تُربط بها، وكلها من كتان، وكذلك عمامة.

(٢) وثَمة أربعة أخرى قاصرة على رئيس الكهنة. وهي: الرداء مع الزُّنار (أي الحزام)، الصدرة الخاصة باتخاذ القرار، والرداء الطويل ذو الأجراس والرمان في أسفله، وصفيحة من ذهب على جبهته. وزينتنا الآن، في عهد الإنجيل– لا يجب أن تكون من ذهب ولآلئ وكماليات نفيسة، بل هي «ثياب الخلاص... رداء البر» (إش ٦١: ١٠؛ انظر أيضا مزمور ١٣٢: ٩، ١٦).

عدد ٦– ١٤

التعليمات التي تضمنتها هذه الفقرة تختص بالرداء، وهو الذي يرتديه فوق كل ملابسه الأخرى. أما الأفود الكتانية فكان يرتديها صغار الكهنة (١صم ٢٢: ١٨). وكان صموئيل في طفولته يتمنطق بأفود من كتان (١صم ٢: ١٨)، كذلك داود حين رقص أمام تابوت العهد (٢صم ٦: ١٤)، غير أن الذي يرتديه رئيس الكهنة هو فقط الذي كان يدعى «رداء من ذهب»، لأنه كان ثَمة الكثير من الذهب منسوجا فيه. وكان عبارة عن سترة قصيرة بدون أكمام، تُشد حوله بواسطة زُنَار (حزام) من نفس المادة (ع ٦– ٨)، أما كتفا الرداء فيُشدان معا بحجرين كريمين محاطين بطوقين من ذهب، واحد على كل كتف، وقد نُقشت عليهما «أسماء بني إسرائيل» (ع ٩– ١٢).

عدد ١٥– ٣٠

كانت الصدرة أهم الأجزاء التي يتزين بها رئيس الكهنة، وهي من قماش نفيس، مشغولة بالذهب والأرجوان وما إلى ذلك بشكل معقد، طولها شبر وعرضها شبر، ولذلك عندما تُثنى تكون مربعا ضلعه شبر (ع ١٦). هذه تُربط في الرداء بسلاسل مجدولة من ذهب (ع ١٣ و١٤، ٢٢– ٣٠)، وذلك من أعلى ومن أسفل، وبذلك «لا تنزع الصدرة عن الرداء» (ع ٢٨). وكان الرداء هو ثوب الخدمة، أما صدرة القضاء فكانت رمزا للكرامة، ولا يجب الفصل بين هذين الاثنين بأي حال، وفي هذه الصدرة:

أولا: يُزكَّى أسباط إسرائيل لدى الله في اثني عشر حجرا كريما (ع ١٧– ٢١، ٢٩). وكان على هارون أن يحمل أسماءهم «للتذكار أمام الرب دائما»، إذ أُختير من بين الناس ليمثلهم في الأمور المتعلقة بالله، وهو في هذا يرمز إلى كاهننا الأعظم الذي يظهر دائما في محضر الله من أجلنا.

(١) على الرغم من أنه حُرِّم على الشعب الاقتراب، إلا أنهم –عن طريق رئيس الكهنة الذي يحمل أسماءهم في صدرته– يدخلون إلى القدس، وهكذا فإن المؤمنين حتى وهم لا يزالون هنا على الأرض، لا يدخلون إلى قدس الأقداس فحسب، بل أنهم بالإيمان يجلسون «في السماويات في المسيح» (أف ٢: ٦).

(٢) نُقش اسم كل سبط على حجر من الأحجار الكريمة، لبيان ما للمؤمنين من مكانة مكرمة في نظر الله (إش ٤٣: ٤). وسوف يكونون له حين يجمع حصاده.

(٣) يحمل رئيس الكهنة أسماء أسباط بني إسرائيل على كتفه وعلى صدره، الأمر الذي يشير إلى القوة والمحبة التي يتشفع بهما الرب يسوع من أجل خاصته. فهو لا يحملهم على ذراعيه بقوة عظيمة فحسب، بل أنه يحملهم «على قلبه» بحسب ما جاء في آية ٢٩، «في حضنه يحملها» (إش ٤٠: ١١) بكل محبة فائقة.

ثانيا: كان الأوريم والتُميم اللذان بواسطتهما تُعرف إرادة الله في الحالات المشكوك فيها يوضعان في هذه الصدرة (ع ٣٠). وكلمتا الأوريم والتميم تعنيان الأنوار والكمالات، وأعتقد أن العبارة يجب أن تُقرأ على هذا النحو: «وتعطى، أو تضيف أو تسلم لصدرة القضاء الأنوار والكمالات لتكون على قلب هارون" أي إنه سيُعطَى قوة معرفة فكر الله وإعلانه في الحالات الصعبة المشكوك فيها، سواء المتعلقة بحالة الأمة من الناحية المدنية أو الدينية. فقد كانت حكومتهم ثيوقراطية (دينية).كان الله ملكهم، وكان رئيس الكهنة حاكمهم بتكليف من الله، أما الأوريم والتميم فكانا مستشاريه. ولعل موسى كتب أو نسج على الصدرة كلمتي «الأوريم والتميم» لكي يشير إلى أن رئيس الكهنة، إذ يرتدي هذه الصدرة، ويطلب المشورة من الله في أية حالة طارئة تخص الجمهور، يجب أن يُوجَّه إلى اتخاذ الإجراءات، وإعطاء النصيحة المقبولة عند الله. وكانت الإجابة تُعطى إما بواسطة صوت من السماء أو نتيجة انطباع في ذهن رئيس الكهنة، ولعل هذا ما أُشير إليه أخيرا في هذه العبارة: «فيحمل... قضاء بني إسرائيل على قلبه أمام الرب دائما». وهذه الوسيلة كانت لها فائدة عظيمة لإسرائيل، فقد استشارها يشوع (عد ٢٧: ٢١)، ومن المحتمل أن يكون القضاة قد حذوا حذوه بعد ذلك، وقد فُقدت في السبي، ولم تُستعاد إطلاقا بعد ذلك. ولكنها كانت ظل الخيرات العتيدة، والأساس هو المسيح. فهو وحيِّنا، الذي أعلن الله بواسطته عن ذاته في الأيام الأخيرة، وعرَّفنا فكره (عب ١: ٢؛ يو ١: ١٨). فالإعلان الإلهي يدور حوله، وقد أتى إلينا بواسطته.

عدد ٣١– ٣٩

(١) أُعطيت التوجيهات هنا بخصوص جُبَّة الرداء (ع ٣١– ٣٥). وهذه تُلبس تحت الرداء، وتصل حتى الركبتين، وليس لها أكمام. أما الفتحة في أعلاها، والتي تمر الرأس خلالها فقد رُبطت بإحكام حتى لا تتمزق أثناء لبسها. وحول أذيال الجبة تُعلق أجراس من ذهب، وشكل رمانات يُعمل من خيوط مختلفة الألوان. وكانت الرمانات تزيد من جمال الجبة، وكان صوت الأجراس ينبِّه الشعب في الدار الخارجية حين يدخل إلى القدس ليوقد بخورا، حتى ينخرطوا في العبادة في ذات الوقت. والبعض يفسر أجراس الجبة المقدسة على أنها تشير إلى صوت إنجيل المسيح في العالم حيث ترمز إلى دخوله إلى الحجاب من أجلنا. أما إضافة الرمانات، والتي لها عطر جميل، فتشير إلى مذاق حلاوة الإنجيل.

(٢) بخصوص الصفيحة التي من ذهب التي تثبت على جبهة هارون والتي تُنقش عليها عبارة «قدس للرب» (ع ٣٦ و٣٧). بهذا يتذكر هارون دائما أن الله قدوس، وأن كاهنه يجب أن يكون قديسا. ويتحتم على هارون أن يضع هذه على جبهته، وبذلك «يحمل هارون إثم الأقداس» (ع ٣٨) و«للرضى عنهم أمام الرب». وكان في هذا رمزا للمسيح الوسيط العظيم بين الله والناس، والذي من خلاله نتعامل مع الله.

أ. من خلاله يُغفر ما هو خطأ في خدماتنا. فنحن نُقصر في واجبنا في كثير من الأحيان، ولذلك ليس أمامنا إلا أن ندرك أننا خطاة حتى بالنسبة لواجباتنا الدينية، غير أن المسيح، رئيس كهنتنا، يحمل هذا الإثم، يحمله عنا حتى يطرحه بعيدا، ومن خلاله نحصل على المغفرة ولا نحاسب عليه بعد.

ب. بواسطته يُقبل ما هو صالح، فأشخاصنا وأعمالنا تصبح مقبولة لدى الله على أساس شفاعة المسيح، وليس لأي سبب آخر (١ بط ٢: ٥). «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم... فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة» (عب ٤: ١٤– ١٦).

(٣) أما بقية الثياب فقد ذُكرت فحسب (ع ٣٩). أما القميص المطرز والذي يُصنع من كتان فهو الثوب الداخلي في الملابس الكهنوتية، وهو يصل حتى القدمين، وتصل الأكمام حتى المعصم، وكان يُربط على الجسم بواسطة حزام أو منطقة مطرزّة. أما العمامة أو التاج فكانت من الكتان، وكانت مثل التيجان التي اعتاد الملوك لبسها في الشرق قديما، وكانت تشير إلى مكانة المسيح كملك.

عدد ٤٠– ٤٣

(١) أوامر خاصة بثياب الكهنة العاديين: كانوا يرتدون أقمصة ومناطق وقلانس من نفس مادة ثياب رئيس الكهنة، غير أنه كان ثَمة اختلاف في الشكل بين قلانسهم وعمامته. ولكن هذا وذلك كان «للمجد والبهاء» (ع ٤٠)، ومع ذلك فكل هذا المجد لا يُعد شيئا إذا ما قورن بمجد النعمة، وهذا الجمال لا يُعد شيئا بالنسبة لمجد القداسة، والتي ما كانت هذه الثياب المقدسة إلا رمزا لها.

(٢) وثَمة قاعدة عامة بالنسبة لثياب رئيس الكهنة أو الكهنة العاديين، وهي أنها تُلبس لأول مرة بعد تكريسهم، وبعد ذلك عليهم أن يرتدوها أثناء خدمتهم، ولكن ليس في أي وقت آخر (ع ٤٣). وهذه الثياب ترمز إلى:

أ. بر المسيح، فإذا لم نظهر أمام الله في هذا البر فإننا نجلب إثما على أنفسنا ونموت.

ب. «سلاح الله» الذي وُصف في أفسس ٦: ١٣.

الأصحاح التاسع والعشرون

أُعطيت أوامر خاصة في هذا الأصحاح:

أولا: بخصوص تعيين الكهنة، وتقديس المذبح (ع ١– ٣٧).

ثانيا: بخصوص الذبيحة اليومية (ع ٣٨– ٤١)، والتي أُعطيت معها وعود عظيمة بأن الله سيقبلهم ويباركهم في جميع خدماتهم (ع ٤٢– ٤٦).

عدد ١– ٣٧

أولا: الناموس الخاص بتقديس هارون وبنيه لوظيفة الكهنوت:

(١) شُرحت الطقوس التي يجب أن يتم بها ذلك على نحو من التفصيل، لأنه لم يسبق أن عُمل شيء من هذا القبيل.

أ. والعمل الذي يجب إتمامه هو تكريس الأشخاص الذين اختارهم الله ليكونوا كهنة، الأمر الذي بواسطته يفرزون أنفسهم ويقدمونها لخدمة الله، ثم يعلن الله قبوله لهم، ثم يُعلن للناس أنه لم «يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه»، لكي يكونوا كهنة، «بل المدعو من الله» (عب ٥: ٤ و٥). ومما يجدر ذكره أن جميع الذين ستُعطى لهم خدمة الله يجب أن يُكرَّسوا له. ويجب قبول الشخص أولا ثم بعد ذلك خدمته.

ب. موسى هو الذي يقوم بتكريس الكهنة وذلك بتكليف من الله. فموسى بتعيين خاص من الله يقوم بعمل الكاهن، ولذلك فإن النصيب الخاص بالكاهن من الذبيحة أُمر بأن يُعطى له (ع ٢٦).

ج. المكان كان عند «باب خيمة الاجتماع» (ع ٤)، لقد كُرِّسوا عند الباب لأنهم سيكونون حُرَّاسا له.

د. تم ذلك بطقوس كثيرة.

◄ يجب أن يُغسلوا بماء (ع ٤)، الأمر الذي يشير إلى أن حاملي آنية الرب يجب أن يتطهروا (إش ٥٢: ١١). فالذين يريدون تكميل القداسة عليهم أن يُطهروا ذواتهم «من كل دنس الجسد والروح» (٢ كو ٧: ١؛ انظر أيضا إشعياء ١: ١٦– ١٨).

◄ يجب أن يلبسوا الثياب المقدسة (ع ٥، ٦، ٨، ٩)، للإشارة إلى أنه ليس بكاف أن يطرحوا دنس الخطية، بل يجب أن يلبسوا نعمة الروح، وأن «يلبسون

البر» (مز ١٣٢: ٩).

◄ يجب أن يُدهن رئيس الكهنة بـ «دهن المسحة» (ع ٧) كإشارة إلى انسكاب الروح القدس عليه، ليؤهله لعمله.

◄ يجب أن تُقدم الذبائح من أجلهم. وعهد الكهنوت كسائر العهود الأخرى يجب أن يتم بالذبيحة.

> يجب تقديم ذبيحة خطية لكي يكفر عن خطاياهم (ع ١٠– ١٤). وقد استُخدمت مثل ذبائح الخطية الأخرى، باستثناء، أنه في حين أن لحوم ذبائح الخطية الأخرى كان الكهنة يأكلونها كدلالة على أن الكاهن قد نزع خطية الشعب (لا ١٠: ١٨)، فقد تعين أن تُحرق هذه كلها خارج المحلة (ع ١٤) للإشارة إلى عدم كفاية الناموس.

> يجب تقديم ذبيحة محرقة، يؤخذ كبش ويحرق تماما تمجيدا لله، كعلامة لتكريس أنفسهم بالكامل لله ولخدمته كذبائح حية، متقدة بالنار وصاعدة في لهيب المحبة المقدسة (ع ١٥– ١٨).

> يجب تقديم ذبيحة سلامة، وقد سُمي «كبش الملء»، لأن فيه أمرا فريدا لهذه المناسبة بأكثر من الذبيحتين الأخرتين. في ذبيحة المحرقة كان مجد كهنوتهم يعود لله، أما في هذه الذبيحة فقد كانت لهم تعزيتها، وكعلامة لعهد متبادل بين الله وبينهم فإنه:

• قُسم دم الذبيحة بين الله وبينهم (ع ٢٠ و٢١)، وقد رُش جزء من الدم «على المذبح من كل ناحية»، وجزء جُعل عليهم، على أجسادهم (ع ٢٠)، وعلى ثيابهم (ع ٢١). ودم المسيح ونعمة الروح التي تُشكل وتُكمل جمال القداسة تزكينا لدى الله. فنحن نقرأ عن ثياب بُيضت في «دم الخروف».

• لحم «كبش الملء» مع التقدمة التي معه قُسما أيضا بين الله وبينهم، بمعنى أن الله جلس على وليمة معهم كعلامة على الصداقة والشركة. وأكلهم من الأشياء التي تُعمل منها الكفارة يشير إلى أنهم نالوا «المصالحة» بحسب التعبير الوارد في رومية ٥: ١١، أي قبولهم بشكر الفائدة الناتجة عنها، وشركتهم المفرحة مع الله بعد ذلك، والتي كانت القصد الحقيقي، والمغزى من إقامة وليمة على ذبيحة.

(٢) الوقت الذي يجب أن تستغرقه عملية التكريس هذه: «سبعة أيام تملأ أيديهم» (ع ٣٥). وعلى الرغم من أن جميع الطقوس أُجريت في اليوم الأول، إلا أنه:

أ. كان عليهم ألا يعتبروا أن عملية تقديسهم قد تمت إلا بعد انقضاء سبعة أيام، وهي الفترة التي تباعد بين حالتهم الراهنة وحالتهم السابقة، وتلزمهم ببدء خدمتهم بعد فترة سكون تتيح لهم فرصة تأمل ثقل وجدية هذه الخدمة.

ب. في كل يوم من هذه الأيام السبعة في هذا التكريس الأول، يجب تقديم ثور كذبيحة خطية (ع ٣٦)، الأمر الذي يُعرِّفهم:

◄ إنه على الرغم من أن الكفارة قد عُملت، وقد نالوا تعزيتها، إلا أنهم مع ذلك عليهم أن يعيشوا في روح التوبة عن الخطية ويكرروا اعترافهم بها.

◄ تلك الذبائح التي تُقدم من يوم لآخر للتكفير، لا تستطيع أن «تكمل الذين يقتربون» فلو كملوا بها ما كان هناك حاجة لتقدمة أخرى، كما يقول الرسول في عبرانيين ١٠: ١ و٢. ولذلك وجب عليهم أن يتوقعوا تقديم «رجاء أفضل».

(٣) تقديس الكهنة ما كان سوى «ظل الخيرات العتيدة».

أ. ربنا يسوع المسيح هو رئيس كهنة إيماننا، إذ تسربل بالثياب المقدسة، بل بالمجد والجمال، فقد تقدَّس «ليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه» (عب ٩: ١٢)، فقد كُمل أو تقدس «بالآلام» (عب ٢: ١٠).

ب. جميع المؤمنين هم كهنة روحيون يقدمون ذبائح روحية (١بط ٢: ٥)، مغسولة بدم المسيح. إنه من خلال المسيح، ذبيحنا العظيم، تم تقديسهم لهذه الخدمة.

ثانيا: يبدو أن تقديس المذبح كان متزامنا مع تقديس الكهنة. كذلك ذبائح الخطية التي كانت تُقدم كل يوم مدة سبعة أيام، هذان الأمران كانا يشيران إلى المذبح وكذلك إلى الكهنة (ع ٣٦ و٣٧). وقد «قُدس» المذبح أيضا ولم يُكرَّس لاستخدام مقدس فحسب، بل جُعل مقدسا على هذا النحو، حتى يقدس القربان الذي يُقدَّم عليه (مت ٢٣: ١٩). والمسيح

هو مذبحنا ومن أجلنا قدَّس نفسه، حتى نتقدس نحن وأعمالنا ونُزكَى لدى الله (يو ١٧: ١٩).

عدد ٣٨- ٤٦

أولا: تعيين الخدمة اليومية: يجب تقديم خروف على المذبح كل صباح، وآخر كل عشية، كل منها مع تقدمة حبوب كوقود للرب «محرقة دائمة في أجيالكم» (ع ٣٨- ٤٢). ويُلاحظ هنا:

(١) هذا يرمز إلى الشفاعة الدائمة التي يقدمها المسيح عنا دائما، من أجل ذاته، ومن أجل التكفير المستمر عن كنيسته: فعلى الرغم من أنه «مرة واحدة... قدم نفسه»، إلا أن هذه المرة الواحدة أصبحت تقدمة مستمرة.

(٢) وهذا ما يُعلمنا أن نرفع إلى الله الذبائح الروحية من صلاة وشكر كل يوم في الصباح وفي العشية، في إقرار خاشع باتكالنا عليه والتزاماتنا قبله. ويجب المثابرة على الصلاة بانتظام مثل محافظتنا على مواعيد طعامنا.

ثانيا: وعود عظيمة وثمينة عن نعمة الله الخاصة لإسرائيل، وعلامات حضوره الخاص معهم. والانتظام في العبادة هو الذي يحقق تعزياتها. فإذا ما أدينا ما هو واجب علينا، فسوف يقوم الله بما هو عليه، وسوف يميز ويخصِّص لنفسه ما قُدم له بإخلاص.

الأصحاح الثلاثون

تلقى موسى هنا مزيدا من التعليمات:

أولا: بخصوص مذبح البخور (ع ١- ١٠).

ثانيا: بخصوص أموال الفدية التي كان على الإسرائيليين أن يدفعوها عند تعدادهم (ع ١١- ١٦).

ثالثا: بخصوص المرحضة النحاسية التي أُعدت ليغتسل فيها الكهنة (ع ١٧- ٢١).

رابعا: بشأن إعداد دهن المسحة واستخدامه (ع ٢٢- ٣٣).

خامسا: بشأن البخور والأعطار التي تُوقد على المذبح الذهبي (ع ٣٤- ٣٨).

عدد ١- ١٠

أولا: الأوامر التي أُعطيت بخصوص مذبح البخور هي:

(١) يجب أن يُصنع من خشب ويُغشى بذهب مع قرون أركانه، وإكليلا من ذهب حواليه. «وتُصنع له حلقتين من ذهب تحت إكليله على جانبيه»، يبيت في هاتين الحلقتين عصوين مغشيين بذهب لحمله بسهولة (ع ١- ٥). ويُلاحظ أن حجم مذبح البخور في هيكل حزقيال كان ضعف المذبح الذي ذُكر هنا (حز ٤١: ٢٢)، وهناك يطلق عليه مذبح الخشب ولا يوجد أي ذكر للذهب، وهذا ما يشير إلى أن البخور في أزمنة الإنجيل يجب أن يكون روحيا، وتكون العبادة بسيطة وخدمة الله متسعة.

(٢) يجب أن يُوضع قدام الغطاء الذي على الشهادة وقدام الحجاب (ع ٦). لأنه على الرغم من أن الذي يخدم على المذبح لا يقدر أن يرى الغطاء الذي على الشهادة، لأن الحجاب يحول دون ذلك، إلا أنه عليه أن ينظر نحوه، ويوجه بخوره في ذلك الاتجاه، لكي يعلمنا أنه من واجبنا في الصلاة أن نضع أنفسنا بالإيمان أمامه، ونوجه صلاتنا وننظر إلى فوق.

(٣) على هارون أن يوقد بخورا عطرا على ذلك المذبح كل صباح وكل عشية، لإظهار قبول الله لعبادات شعبه. وكما أنه بواسطة التقدمات على المذبح النحاس يتم التكفير عما سبق عمله ولم يكن مرضيا لله، فهكذا أيضا بالتقدمات التي تُقدم على هذا المذبح فإن الأعمال الطيبة التي عُملت تُزكَّى للقبول الإلهي، لأن ما يجب أن يعنينا في علاقتنا مع الله هو أن يُغفر لنا إثمنا، ونُقبل كأبرار أمام الله.

ثانيا: يرمز مذبح البخور إلى:

(١) وساطة المسيح: فمذبح النحاس في الدار كان يرمز إلى موت المسيح على الأرض، والمذبح الذهبي في المقدس كان يرمز إلى المسيح وهو يتشفع لنا في السماء. وكان هذا المذبح أمام الغطاء الذي على الشهادة، ذلك لأن المسيح يظهر دائما في محضر الله، فالمسيح هو شفيعنا «عند الآب» (١يو ٢: ١)، وشفاعته عند الله رائحة بخور عطر. وهذا المذبح مثبت فيه إكليل من ذهب ذلك أن المسيح يتشفع كملك.

(٢) صلوات القديسين: حين يوقد الكاهن البخور يقدم الشعب صلواته (لو ١: ١٠)، للإشارة إلى أن الصلاة هي البخور الحقيقي. وكانت السرج تُقاد في نفس الوقت الذي يُوقد فيه البخور لكي نتعلَّم أن قراءة الأسفار المقدسة (التي هي نورنا وسراجنا) هي جزء من العمل اليومي، ويجب في العادة أن تصاحب صلواتنا وتسبيحاتنا. وحين نتكلم مع الله يجب علينا أن نسمع ما يقوله لنا الله وبذلك تكتمل الشركة. وما لم يكن القلب والحياة مقدسين، فحتى البخور يكون «مكرهة» لله (إش ١: ١٣). ومَنْ يقدمه «فهو مُبارك وثنا» (إش ٦٦: ٣).

عدد ١١ – ١٦

أُمر موسى هنا بأن يحصِّل من الشعب نقودا عن طريق ضريبة الرأس أو الشخص، حيث يدفع كل فرد مبلغا معينا وذلك لخدمة خيمة الاجتماع. والبعض يعتقد أن هذا خُصِّص للتعداد الأول فقط، وآخرون يقولون إن ذلك كان يتكرر عند الضرورة وكان يتم دائما عند إحصاء الشعب. غير أن كثيرين من الكتبة اليهود يساندون الرأي القائل بأن هذه أصبحت جزية سنوية. وكانت هي نفس الجزية التي دفعها المسيح حتى لا يغضب خصومه (مت ١٧: ٢٧). وجدير بالذكر:

(١) أن الجزية التي فُرض دفعها كانت «نصف الشاقل». ولم يكن الغني مطالبا بأن يدفع أكثر، كما لم يكن للفقير أن يدفع أقل (ع ١٥)، وهذا ما يشير إلى أن نفوس الأغنياء والفقراء ثمينة وبنفس القدر عند الله، وأن الله «لا يقبل الوجوه» (أع ١٠: ٣٤). أما في تقدمات أخرى فكان يُسمح للشعب بأن يقدم كل واحد بحسب قدرته، أما بالنسبة لهذه، والتي كانت «فدية نفسه»، فيجب أن يتساوى فيها الجميع.

(٢) كانت هذه التقدمة تُدفع «فدية نفسه»، حتى لا «يصير فيهم وبأ».

(٣) ما يتم جمعه من مال يُستخدم لخدمة خيمة الاجتماع (ع ١٦)، فبهذه النقود اشتروا ذبائح ودقيقا وبخورا وخمرا وزيتا ووقودا وملحا وثيابا للكهنة. ومما يُلاحظ أن أولئك الذين يتمتعون بوجود مسكن الله بينهم، يجب عليهم تحمل نفقاته بسرور.

عدد ١٧ – ٢١

صدرت الأوامر هنا بالنسبة للآتي:

(١) لصنع مرحضة من نحاس، وهي وعاء كبير، يحتوي على كمية كبيرة من الماء، ويجب أن يُقام بالقرب من خيمة الاجتماع (ع ١٨).

(٢) بالنسبة لاستعمال هذه المرحضة. كان على هارون وبنيه أن يغسلوا أيديهم وأرجلهم منها كل مرة يدخلون فيها للخدمة، كل صباح، على الأقل (ع ١٩ – ٢١). وكان القصد من ذلك:

أ. لتعليمهم الطهارة في كل خدمتهم. لأنه «مَنْ يقوم في موضع قدسه. الطاهر اليدين والنقي القلب» (مز ٢٤: ٣ و٤).

ب. إنها تعلمنا –نحن الذين نخدم الله كل يوم– أن نجدد توبتنا عن الخطية يوميا. «نقوا أيديكم أيها الخطاة وطهروا قلوبكم» وعندئذ «اقتربوا إلى الله» (يع ٤: ٨).

عدد ٢٢ – ٣٨

التوجيهات التي أُعطيت هنا تختص بعمل دهن المسحة المقدس والبخور وهي من الأشياء التي تُستخدم لخدمة خيمة الاجتماع.

(١) أُمر هنا بإعداد دهن المسحة المقدس، حيث وُضعت المكونات والكميات (ع ٢٣ – ٢٥). ويجب أن يُركب «صنعة العطار» (ع ٢٥)، فأفخر الأطياب يجب أن تنقع في الدهن، ثم يُصفى، فيكتسب الدهن رائحة طيبة عطرة. وتُمسح خيمة الله وكل أثاثاتها بهذا الدهن، كما يُستخدم أيضا في تقديس الكهنة (ع ٢٦ – ٣٠). وقد مُسح سليمان أيضا به (١مل ١: ٣٩)، وكذلك بعض الملوك الآخرين، وجميع رؤساء الكهنة. وقد قيل عن اسم المسيح إنه «دهن مهراق» (نش ١: ٣)، وعن اسم المسيح العظيم إنه «خير من الدهن الطيب» (جا ٧: ١).

(٢) وكان البخور يُوقد على مذبح الذهب ويتم إعداده من أفخر الأطياب أيضا، ولو أنها ليست من النوعية النادرة غالية الثمن التي صُنع منها دهن المسحة (ع ٣٤ و٣٥).

(٣) وفيما يختص بالاثنين (أي دهن المسحة وبخور مذبح الذهب)، صدر هنا نفس الأمر (ع ٣٢

و٣٣، ٣٧ و٣٨)، بأنه لا يجب استخدام مثلها في الاستعمال العادي.

الأصحاح الحادي والثلاثون

اقترب الله هنا من ختام الكلام الذي كان يجب أن يقوله لموسى على الجبل، حيث أمضى معه أربعين نهارا وأربعين ليلة، ومع ذلك لم يُذكر المزيد عما قيل له خلال ذلك الوقت سوى ما قرأناه في الأصحاحات الستة السابقة.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: تم تعيين العمال الذين سيُستخدمون في عمل خيمة الاجتماع وتأسيسها (ع ١– ١١).

ثانيا: تكرار شريعة السبت، وضرورة مراعاة حفظه (ع ١٢– ١٧).

ثالثا: سلمه لوحي الشهادة عند انصرافه (ع ١٨).

عدد ١ – ١١

أمر الله بأعمال دقيقة كثيرة لتُعمل حول الخيمة، وسوف تدبر المواد والعمالة اللازمة لذلك. ولكن مَنْ الذي يعرفهم الشكل المطلوب؟ كان موسى نفسه مقتدرا في الأقوال والأعمال بكل حكمة المصريين، ولكنه لم يكن يعرف أعمال الزخرفة والنقش على الخشب وما إلى ذلك. ولنا أن نفترض بوجود بعض المبدعين بين الإسرائيليين، غير أنه نظرا إلى أنهم كانوا قد قضوا معظم حياتهم في العبودية في مصر، فلا نحسب أنه كان من بينهم مَنْ أُتيحت له فرصة تعلُّم هذه الفنون البديعة النادرة. كانوا يعرفون كيف يصنعون الآجر ويعملون في الطوب اللبن، أما العمل في الذهب وتقطيع الماس، فهذا أمر لم يألفوه من قبل. لم يكن بينهم صيَّاغ أو مَنْ يعملون في الجواهر، ولم تخرج خبرتهم عن إطار أعمال البناء ولا سيما باللبن. فلم يكن لديهم مَنْ هو كفء لهذا العمل، غير أن الله اهتم بهذا الأمر أيضا.

أولا: ذكر أسماء الأشخاص الذين سيُستخدمون في هذه الأعمال:

(١) سيكون «بصلئيل» هو المهندس، أو رئيس العمال (ع ٢). وكان من سبط يهوذا، وهو سبط يُسر الله بأن يكرِّمه، وربما يكون سليل «حور» الذي ساعد في رفع يدي موسى (خر ١٧).

(٢) «أهوليآب»، من سبط دان وقد عُيِّن بعد بصلئيل وشريكا معه (ع ٦). وكان أهوليآب من سبط دان، وهو من أقل الأسباط مكانة، وذلك حتى لا يتكبر سبطا يهوذا ولاوي، وكأنهما يحتكران كل التشجيعات لأنفسهما. ويُذكر أن حيرام، الذي كان رئيس العمال أثناء بناء هيكل سليمان، كان أيضا من سبط دان (٢أخ ٢: ١٤).

(٣) كان هناك الكثيرون ممن استخدمهم هذان تحت إشرافهما في عدة أعمال أخرى متعلقة بالخيمة (ع ٦).

ثانيا: هيأ الله هؤلاء الأشخاص لهذه المهمة: «وملأته من روح الله» (ع ٣)؛ «وفي قلب كل حكيم القلب جعلت حكمة» (ع ٦). ويُلاحظ في هذا الصدد:

(١) المهارة في المهن العامة والأعمال هي هبة من الله، فمنه حصلنا على الملكات والمواهب وكذلك على صقلها. فهو الذي يُعلِّم الفلاح ويرشده (إش ٢٨: ٢٦)، وكذلك الحرفيين، وينبغي أن يُقدَّم له الشكر على ذلك.

(٢) يوزع الله مواهبه بشكل متنوع، فيعطي هذا موهبة، ويعطي ذاك أخرى، والكل من أجل الجسد كله، أي البشرية والكنيسة. وكان موسى أنسب فرد لحكم إسرائيل، غير أن بصلئيل كان الأكفأ لبناء خيمة الاجتماع.

(٣) والذين يدعوهم الله لأي مهمة إما أنه يجدهم مؤهلين لها، أو هو يؤهلهم لها. والعمل الذي كان مطلوبا هنا هو إقامة الخيمة ومعداتها والتي ذُكرت هنا بصفة خاصة (ع ٧– ١١). وبالنسبة للأشخاص الذين استُخدموا في هذا العمل، فقد أُعطوا القدرة على العمل «في الذهب والفضة والنحاس». وحين أرسل المسيح تلاميذه ليقيموا خيمة الإنجيل سكب من روحه عليهم، ليعطيهم القدرة على التكلم بألسنة عن أعمال الله العجيبة، لا أن يعملوا بالمعادن، بل مع الناس، وكم كانت هذه المواهب أعظم بكثير، والفرق بين الأمرين يماثل الفرق بين خيمة الاجتماع الوارد ذكرها هنا وبين «المسكن الأعظم والأكمل» غير المصنوع بيد كما وصفه كاتب الرسالة في عبرانيين ٩: ١١.

عدد ١٢ – ١٨

أولا: أمر حازم بضرورة تقديس السبت (ع ١٣–١٧). وشريعة السبت أُعطيت لهم قبل أي ناموس آخر، وذلك عندما أمرهم بالاستعداد (خر ١٦: ٢٣)، وقد تضمنها الناموس الأدبي في الوصية الرابعة، كما أُرفقت بالتشريع القضائي (خر ٢٣: ١٢)، أما هنا فقد أُضيفت إلى الجزء الأول من الناموس الطقسي، لأن حفظ السبت في الواقع هو إطار للناموس كله، فإن لم يُحفظ فوداعا للتقوى والأمانة، لأنها في الناموس الأدبي تأتي في الوسط بين اللوحين: «سبوتي تحفظونها». وعلى الرغم من أنه كان يتعيَّن عليهم الإسراع في إنجاز العمل، إلا أنه عليهم ألا يسرعوا إلا بالقدر المناسب الذي معه لا تُكسر شريعة السبت تحت ذريعة السرعة، فحتى العمل في إقامة خيمة الاجتماع يجب أن يخضع لراحة السبت.

(١) طبيعة ومعنى شريعة السبت والقصد من ورائها، التي إذ قام الله بإعلانها أضفى عليها كرامة، وعلَّمنا أن نقدِّرها حق قدرها. وثَمة أمور كثيرة ذُكرت هنا فيما يختص بحفظ السبت.

أ. «لأنه علامة بيني وبينكم» (ع ١٣)، وتكرر هذا في آية ١٧. فإقامة شريعة السبت كانت علامة على أن الله ميزهم عن بقية الشعوب الأخرى. وإذ قدس الله هذا اليوم بينهم، فقد حملهم على أن يدركوا أنه قدسهم وكرسهم لنفسه ولخدمته.

ب. «لأنه مقدَّس لكم» (ع ١٤)، أي أنه قُصد به نفعكم من جهة، ومجد الله من جهة أخرى: «السبت إنما جُعل لأجل الإنسان».

ج. «سبت عطلة مقدس للرب» (ع ١٥). فقد أُبعد عن استخدامه في الأعمال العادية، وخُصِّص لمجد الله وعبادته.

د. «فيُحفظ... في أجيالكم عهدا أبديا» (ع ١٦).

(٢) شريعة السبت: عليهم أن يحفظوا السبت (ع ١٣ و١٤، ١٦)، يحفظونه ككنز أو كأمانة لديهم.

(٣) سبب حفظ السبت: لأن نواميس الله لم تسندها أسمى سلطة فحسب، بل أنه يدعمها أفضل منطق. والمثال الذي أعطاه لنا الله نفسه هو أعظم سبب يدعو إلى حفظه (ع ١٧).

(٤) العقوبة التي تنزل بكل مَنْ كسر هذه الشريعة: «كل مَنْ صنع فيه (يوم السبت) عملا»، باستثناء أعمال الخير والرحمة، «يُقتل قتلا» (ع ١٤ و١٥).

ثانيا: تسليم لوحي الشريعة لموسى:

(١) الوصايا العشر التي قالها الله على جبل سيناء على مسمع الشعب كله كُتبت الآن لتبقى على الدوام، لأن ما يُكتب هو الذي يبقى.

(٢) كُتبت على «لوحي حجر»، للإشارة إلى استمراريتها الدائمة.

(٣) كُتبت «بإصبع الله»، أي بإرادته وقوته المباشرة. والله وحده هو الذي بمقدوره أن يكتب ناموسه في القلوب بروحه الذي هو «إصبع الله»، وهو يكتب مشيئته «في ألواح قلب لحمية» (٢كو ٣: ٣).

(٤) وقد كُتبت في لوحين، ذلك لأنه قُصد بها أن ترشدنا إلى واجبنا نحو الله ونحو الإنسان.

(٥) سُميت «لوحي الشهادة»، لأن هذا الناموس المكتوب يشهد بمشيئة الله الصالحة نحوهم، وسوف يكون شهادة ضدهم إذا ما عصوه.

الأصحاح الثاني والثلاثون

يُسجِّل هذا الأصحاح قصة الاعتراض المفجع لعملية تأسيس الديانة اليهودية. فقد مرت الأمور على ما يرام نحو هذا الإنجاز السعيد، إذ أظهر الله إحسانه كما أظهر الشعب أيضا طاعة جميلة. كان موسى الآن قد أكمل تقريبا مدة الأربعين يوما على الجبل، ولنا أن نفترض أنه كان يفكر بسعادة في الاستقبال البهيج للغاية الذي سيُستقبل به عند عودته إلى محلة بني إسرائيل وسرعة إقامة خيمة الاجتماع بينهم. غير أننا نرى أن كل توقعاته قد خابت، وأبعدت خطية إسرائيل هذه الأمور السعيدة عنهم، وأوقفت تدفق نعم الله عليهم. أما الخطية التي تسببت في كل هذا الأذى هي قيامهم بعبادة عجل ذهبي (هل كان ذلك يخطر على بال أحد؟) كان الاحتفال بالزواج بين الله وشعبه إسرائيل وشيكا، لكن إسرائيل زنت، وهكذا أُلغي هذا الاحتفال ولن يكون تصحيح الوضع بالأمر الهين.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: خطية إسرائيل وهارون بصفة خاصة، في اتخاذهم

العجل الذهبي إلها (ع ١- ٤)، وعبادته (ع ٥ و٦).

ثانيا: إخبار الله موسى بهذا الأمر، حيث كان على الجبل معه (ع ٧ و٨)، والحكم الذي أصدره عليهم في غضبه (ع ٩ و١٠).

ثالثا: الشفاعة التي تقدم بها موسى على الفور من أجلهم على الجبل (ع ١١- ١٣)، وفعالية هذه الشفاعة (ع ١٤).

رابعا: نزوله من الجبل حيث أصبح شاهد عيان على وثنيتهم (ع ١٥- ١٩)، ونظرا لمقته الشديد لما رأى، وتعبيرا عن غضبه الذي كان مُحقا فيه، كسر لوحي الشريعة (ع ١٩)، وحرق العجل الذهبي (ع ٢٠).

خامسا: التحقيق مع هارون عن هذا الموضوع (ع ٢١- ٢٤).

سادسا: تنفيذ العقاب على قادة هذه الحركة الوثنية (ع ٢٥- ٢٩).

سابعا: شفاعة موسى مرة ثانية من أجلهم، كي يبعد غضب الله عنهم (ع ٣٠- ٣٢)، وقد صدر عفو مؤقت عند هذه النقطة، حيث أجّل الله حسابهم إلى فترة لاحقة (ع ٣٣- ٣٥).

عدد ١ - ٦

فيما كان موسى على الجبل يتسلم الشريعة من الله، كان هناك وقت متاح للشعب، للتفكير فيما سبق أن تسلموه، غير أنه كان في وسطهم من كانوا يخططون لكيفية انتهاك القوانين التي تسلموها بالفعل، وفي اليوم التاسع والثلاثين من فترة الأربعين يوما أسفرت المؤامرة عن تمرد على الرب.

أولا: حديث عاصف من الشعب لهارون: كانت قد أُوكلت إليه كله رئاسة الشعب أثناء غياب موسى: «قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا» (ع ١). لاحظ هنا:

(١) النتيجة المؤسفة لغياب موسى عنهم.

(٢) غضب الجموع ونزوعهم إلى العنف عندما أُثيروا بواسطة اللفيف الذي انتهز الفرصة لإفسادهم.

أ. لقد سئموا انتظار أرض الميعاد. كانوا في عجلة للوصول إلى الأرض التي تفيض لبنا وعسلا، ولم يستطيعوا انتظار شريعة الله ليأخذوها معهم. ونحن علينا أولا أن ننتظر شريعة الله قبل أن نتمسك بتحقيق مواعيده.

ب. لقد سئموا انتظار عودة موسى: «لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه». وجدير بالملاحظة: كيف استخفوا بالحديث عن شخص موسى «هذا موسى الرجل...». وهكذا كانوا ناكري الجميل بالنسبة لموسى، الذي كان قد أبدى نحوهم كل اهتمامه ومحبته. وهكذا سلكوا على النقيض من إرادة الله. وإذا كان موسى قد تأخر طويلا، فما ذلك سوى لأن الله كان لديه الكثير ليقوله له من أجل صالحهم. كان موسى على الجبل كسفير لهم، ومن المؤكد أنه سيعود فور إنجاز المهمة التي ذهب من أجلها، ومع ذلك اتخذوا من هذا ذريعة لنواياهم الشريرة. وسوء تفسيرنا لتأخر فادينا كثيرا ما يكون سببا لشر مستطير. لقد صعد ربنا يسوع إلى جبل المجد حيث يقف أمام الله من أجلنا، ولكن ذلك يتم بعيد عن أنظارنا، إذ لابد للسماء أن تقبله، وتخفيه عنا، لكيما نسلك بالإيمان لا بالعيان. وشعورنا بملل الانتظار قد يُعرِّضنا للعديد من التجارب الشديدة. ونرى أنه لو كان الإسرائيليون قد صبروا يوما واحدا، لكانوا قد عرفوا ماذا أصاب موسى.

ج. لقد سئموا انتظار إقامة فريضة إلهية للعبادة بينهم. سبق أن أُخبروا أنه ينبغي عليهم أن يعبدوا الله «على هذا الجبل»، ولكن إذ لم يتم لهم ذلك بالسرعة التي رغبوا فيها، فقد رأوا أن يشحذوا أذهانهم لكي يصمموا علامات على وجود الله معهم، وسوف يزهون بها، وتكون لهم عبادة وليدة خيالهم، ولعلها كانت على غرار ما رأوه بين المصريين. وقولهم إن «موسى أبطأ في النزول... اصنع لنا آلهة»، كان يمثل أفظع حماقة يمكن أن يتخيلها العقل: «اصنع لنا آلهة تسير أمامنا»... آلهة!!! كم عدد الآلهة التي أرادوا صنعها؟ ألا يكفي إله واحد؟ «اصنع لنا آلهة!!» وما الخير الذي سيعود عليهم من آلهة هي صنعة أيديهم؟

ثانيا: هارون يطلب منهم مصوغاتهم الذهبية: «انزعوا أقراط الذهب... وآتوني بها» (ع ٢). لا نجد أنه وبخهم بكلمة واحدة على اقتراحهم بل يبدو أنه وافق عليه، وأظهر أنه راغب في كسب ودهم في هذا. ويمكننا أن نتصور أنه كان في بداية الأمر يتكلم بتهكم، وأنه إذ وضع أمامهم صورة ساخرة فلربما

يكشف لهم سوء نيتهم، ويبين لهم مدى حماقتهم. والبعض يدافعون عن هارون فيفترضون أنه حين طلب منهم أن يأتوا بأقراط الذهب كان يهدف إلى إبطال فكرتهم؛ إذ كان يعتقد أنه على الرغم من أن اشتهاءهم يحملهم على أن يفرِّغوا «الذهب من الكيس» ليصنعوه إلها (إش ٤٦: ٦)، إلا أن كبرياءهم لم يكن ليسمح لهم أن يتخلوا عن أقراط الذهب الخاصة بهم.

ثالثا: هكذا صنع العجل الذهبي (ع ٣ و٤):

(١) أحضر الشعب الأقراط الذهبية إلى هارون الذي طلبها منهم، فازدادوا حماقة عوضا عن أن يُبطل اقتراحهم، بل وربما أشبع ضلالهم وخرافاتهم، وولَّد فيهم الاعتقاد بأن الذهب الذي خلعوه من آذانهم سوف يصنع لهم أكثر الآلهة قيمة.

(٢) صهر هارون الذهب وإذ كان قد أعد قالبا لهذا الغرض فقد صب فيه الذهب المصهور، وبعد ذلك أخرجه على هيئة ثور أو عجل. ويظن البعض أن هارون اختار هذا الشكل ليكون رمزا أو علامة على الحضور الإلهي لأنه اعتقد أن رأس الثور وقرونه تشكل رمزا مناسبا للقوة الإلهية، ومع ذلك فإذا كان هذا شيئا بسيطا وشائعا فلقد ظن أنه لن تصل الحماقة بالشعب إلى درجة أن يعبدوه. غير أنه من المحتمل أنهم تعلموا من المصريين تصوير الآلهة على هذا النحو لأنه قيل: «ولم يتركوا أصنام مصر» (حز ٢٠: ٨)، وفي حزقيال ٢٣: ٨: «ولم تترك زناها من مصر»، «وأبدلوا مجدهم بمثال ثور» (مز ١٠٦: ٢٠)، وأظهروا أنهم أكثر حماقة من الوثنيين الذين يعبدون نجوم السماء.

رابعا: «صنعوا عجلا في حوريب وسجدوا لتمثال مسبوك» (مز ١٠٦: ١٩). وإذ رأى هارون مدى شغف الشعب بعجلهم أراد أن يتمادى في مسايرتهم فبنى مذبحا أمامه وأعلن عيدا بهذه المناسبة (ع ٥)، عيدا لتكريسه، ومع ذلك قال إنه «عيد للرب»، لأنه على الرغم مما كانوا عليه من حماقة، إلا أنهم لم يتخيلوا أن هذا التمثال إله، لكنهم صنعوه لكي يمثل الإله الحقيقي الذي قصدوا أن يعبدوه ممثلا في هذا الصنم. وكان الناس يتلهفون للاحتفال بهذا العيد: «فبكروا في الغد» (ع ٦)، ليظهروا مدى غبطتهم بهذا الاحتفال، وطبقا لطقوس العبادة القديمة، قدموا ذبيحة لهذا الإله الذي صنعوه حديثا، وبعد ذلك أقاموا وليمة على هذه الذبيحة. وهكذا فإنهم إذ صنعوا إلههم من أقراطهم الذهبية، فقد حاولوا -من مواشيهم- أن يجعلوا منه إلها متعطِّفا كريما. ويُلاحظ:

(١) كان أمرا غريبا أن يقبل أحد من الشعب على عمل كهذا ولا سيما هذا العدد الكبير منهم. ألم يسمعوا منذ فترة بسيطة مضت، وفي نفس هذا المكان صوت الرب الإله يكلمهم من وسط النار قائلا: «لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة» لأي شيء كان. ألم يدخلوا في الواقع في عهد مع الله، ووعدوا قائلين: «كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له» (خر ٢٤: ٧)، لقد «صنعوا عجلا في حوريب»، في نفس المكان الذي أُعطي فيه الناموس. وكان هذا على النقيض من أولئك الذين قبلوا الإنجيل، ذلك أنهم للتو رجعوا «إلى الله من الأوثان» (١تس ١: ٩).

(٢) كان أمرا غريبا بصفة خاصة أن يتورط هارون على هذا النحو الكبير في هذه الخطية لدرجة قيامه بصنع العجل وإعلانه لهذا اليوم كيوم عيد. هل هذا هو «هارون» الذي كان مع موسى على الجبل (خر ١٩: ٢٤؛ ٢٤: ٩)، وكان يعرف أنهم لم يروا هناك أي شكل أو صورة يمكن أن يُعمل على غرارها تمثال؟ هل كان يساعد ويُحرض على هذا التمرد ضد الرب؟ كيف أتى له بأي حال أن يشترك في مثل هذا العمل الخاطئ؟ إما أنه أُخذ على غرة وكان يتصرف وهو شبه نائم، أو أنه دُفع إليه نتيجة خوفه من غضبة هؤلاء الرعاع. ونَمة تقليد يهودي يقول بأن زميله حور عارض هذا العمل فما كان من الشعب إلا أن قام عليه ورجمه (ولذلك لم نعد نقرأ عنه بعد ذلك) وأن هذا ما أخاف هارون وحمله على مسايرتهم.

عدد ٧- ١٤

أولا: الله يخبر موسى بما كان الشعب يعمله في المحلة أثناء غيابه (ع ٧ و٨). ولقد قال الله لموسى عن هذه الخطية:

(١) «قد فسد شعبك». فالخطية هي فساد الخاطئ، وهي في حد ذاتها فساد للنفس.

(٢) «زاغوا». وما الخطية إلا انحراف عن طريق الواجب.

(٣) لقد زاغوا سريعا بعد أن أُعطوا الناموس على الرغم من وعدهم بطاعته.

(٤) أخبره تفصيلا عما فعلوه: «صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له». والخطايا التي تُخفى عن رؤسائنا تكون عريانة ومكشوفة أمام الله. ولا نستطيع نحن أن نتحمل جزءا من ألف من الاستفزازات التي توجه لله كل يوم، ومع ذلك يظل صابرا.

(٥) يبدو أنه تخلى عنهم إذ قال لموسى: «شعبك الذي أصعدته من أرض مصر». والذين يفسدون أنفسهم، لا يجلبون الخزي على أنفسهم فحسب، بل إنهم يحملون الله نفسه على أن يستحي منهم ومن عطفه عليهم.

(٦) أرسله لهم بكل سرعة ممكنة: «اذهب انزل».

ثانيا: عبر عن غضبه على إسرائيل بسبب هذه الخطية (ع ٩ و١٠).

(١) وصف هذا الشعب بسمته الحقيقية: «هو شعب صلب الرقبة». فالله البار لا يرى ما نفعله فقط، بل يرى حقيقة نفوسنا.

(٢) أعلن ما يستحقونه- «ليحمي غضبي عليهم». فالخطية تعرضنا لغضب الله، وأن هذا الغضب ما لم تمنعه رحمة الله سيحرقنا كالقش.

(٣) يرفض محاولات موسى للتشفع من أجلهم: «اتركني...». وهو يعني بهذا أن يجعل من الصلاة امتيازا، مشيرا إلى أنه ليس شيء سوى شفاعة موسى يمكنها أن تنقذهم من الهلاك.

ثالثا: موسى يتشفع لهم بحرارة لدى الله (ع ١١- ١٣)، التمس الرب إلهه. فإذا لم يكن الله يريد أن يُدعى «إله إسرائيل» نظرا لخطيتهم هذه، فبمقدور موسى أن يخاطبه على أنه «الرب إلهه» هو. ولقد فهم بحكمةٍ ما لَمَّح الله إليه بقوله «اتركني»، والتي على الرغم مما يبدو أنه يمنعه من الشفاعة، إلا أنه في الواقع يشجعه عليها إذ يبين له قوة صلاة الإيمان وفعاليتها مع الله. مما تجدر ملاحظته:

(١) صلاته: «ارجع عن حمو غضبك» (ع ١٢)، وليس معنى هذا أنه يعتقد أن الله ليس لديه ما يبرر غضبه، لكنه يلتمس ألا تصل درجة غضبه إلى الحد الذي يحمله على إهلاكهم.

(٢) التماسه: سرد كثير من الحجج، ليس لإقناع الله بل للتعبير عن إيمانه هو، ولكي يثير في نفسه هو الحماسة في الصلاة، وقد استند في شفاعته على:

أ. اهتمام الله بهم، والأمور العظيمة التي عملها من أجلهم. سبق أن قال الله لموسى: «فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر» (ع ٧)، ولكن موسى بكل اتضاع يعيدهم ثانية إلى الله بقوله: «شعبك»، أنت ربهم ومالكهم، وما أنا سوى عبدك: «شعبك الذي أخرجته من أرض مصر». فما كنت أنا سوى آلة في يدك أنت «الذي أخرجته من أرض مصر»، على الرغم من عدم استحقاقهم (يش ٢٤: ١٥). فإذا كنت قد فعلت ذلك من أجلهم على الرغم من خطاياهم في مصر، أتحرمهم من رحمتك لارتكابهم خطايا من نفس النوعية في البرية؟

ب. يستند إلى اهتمامه بمجد الله: «لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال؟» (ع ١٢)، وهو لا يستطيع أن يتحمل أي شيء يلقي بالتبعة على الله، وقد أصر على قوله: «لماذا يتكلم المصريون؟» وإذا كان الشعب الذي خلصته بهذه الطريقة العجيبة سوف يهلك فجأة، فماذا يقول العالم عن ذلك، وبصفة خاصة المصريون الذين يضمرون حقدا دفينا لإسرائيل ولإله إسرائيل أيضا؟ سوف يقولون: إما أن الله ضعيف، أو متقلب لا يثبت على رأي، ومن ثَمَّ لن يُكمِّل الخلاص الذي بدأه: «لماذا يتكلم المصريون...؟» علينا أن نحرص دائما على ألا يُجدَّف على اسم الله وتعليمه بسببنا.

ج. استند في التماسه على وعد الله للآباء بأنه سيكثر نسلهم ويعطيهم أرض كنعان. ويجب أن ندعم التماساتنا في الصلاة بمواعيد الله.

رابعا: الله برحمته يخفف من شدة الحكم «فندم الرب» (ع ١٤)، ونلاحظ هنا:

(١) قوة الصلاة. فالله يسمح لنفسه بالتراجع نتيجة اللجاجة المتواضعة الصادرة عن إيمان مَنْ يتضرعون إليه.

(٢) محبة الله للخطاة المساكين، وكيف أنه يسرع إلى المغفرة.

عدد ١٥ – ٢٠

أولا: الامتياز الذي اختص به الله موسى، إذ عهد إليه بلوحي الشريعة، واللذين على الرغم من أنهما من حجر، إلا أنهما كانا أكثر قيمة من أية أحجار كريمة رُصِّعت بها صدرة هارون.

ثانيا: الألفة التي كانت بين موسى ويشوع. ففيما كان موسى في السحابة في محضر الله، كان يشوع على مقربة منه بقدر الإمكان. وحين نزل موسى نزل معه، وليس قبل ذلك. ويشوع –إذ كان رجلا عسكريا– سمع «صوت قتال في المحلة»، ولكنه أخطأ في ظنه، غير أن موسى إذ عرَّفه الله بما يحدث، فكان يعلم بأنه «صوت غناء».

ثالثا: غضب موسى الشديد والعادل على شعب إسرائيل لوثنيتهم: لقد امتعض مما حدث باعتباره إهانة لله وفضيحة لشعبه. وكان موسى أكثر الناس حلما على وجه الأرض، ومع ذلك فإنه حين «أبصر العجل والرقص فحمي غضب موسى»– ويُلاحظ أنه ليس انتهاكا لروح الوداعة أن نظهر استياءنا لما يرتكبه الأشرار من شرور. ويليق بنا أن نتساهل فيما هو متعلق بنا، ولكن يجب أن يحمى غضبنا على ما هو لله.

(١) لكي يقنعهم بأنهم خسروا ما اختصهم به الله من فضل «طرح اللوحين... وكسرهما» (ع ١٩)، لعل رؤيتهم لذلك يكون له أثره عليهم، فيخزوا ويخجلوا، بعد أن يدركوا البركات التي فقدوها.

(٢) وليقنعهم بأنهم عبدوا إلها لن يستطيع أن ينفعهم شيئا «أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار» (ع ٢٠)، وصهره ثم طحنه حتى صار ناعما، وحتى يتأكد الجميع من أنه صار مسحوقا كالتراب ذراه على وجه الماء الذي شربوا جميعا منه. وحتى يعرفوا أنه «ليس وثن في العالم» (١ كو ٨: ٤)، لقد سحقه إلى ذرات حتى يقرب من أن يكون لا شيء على الإطلاق.

عدد ٢١ – ٢٩

وبعد أن أظهر موسى غضبه العادل ضد خطية إسرائيل بكسر اللوحين وحرق العجل، شرع يتعامل مع الخطاة ويحاسبهم، وبذلك كان يتصرف كممثل لله. وهنا:

أولا: بدأ بهارون، كما بدأ الله بآدم، لأنه كان الشخصية الرئيسية، ولو أنه لم يكن أول مَنْ بدأ الانتهاك، بل دُفع إليه. ويُلاحظ في هذا الشأن:

(١) التوبيخ العادل الذي وجهه له موسى (ع ٢١). وإذ تشفع له عند الله لكي يُخلِّصه من الهلاك، بدأ يعنِّفه لكي يحمله على التوبة. وقد حمل هارون على أن يتأمل الآتي:

أ. ما الذي فعله لشعبه، لقد «جلبت عليه خطية عظيمة». وقد يقال إن الشعب –الذي كان أول مَنْ تحرك نحو هذه الخطية– هو الذي جر معه هارون إليها، غير أنه إذ كان هارون قاضيا، كان من واجبه منع هذه الخطية، ولكنه عوض ذلك ساعدهم وشجعهم عليها، وعلى ذلك يمكن أن يُقال بحق إنه جلب عليهم هذه الخطية، لأنه قسَّى قلوبهم وشدَّد أيديهم على ارتكابها.

ب. ما الذي دفعه إلى ذلك: «ماذا صنع بك هذا الشعب؟» الناس يمكنهم إغراءنا على عمل الخطية، غير أنهم لا يستطيعون إرغامنا على ارتكابها. بوسعهم أن يخيفونا، فإذا لم نخضع لهم، لا يقدرون على أذيتنا.

(٢) العذر الواهي الذي اختلقه هارون لنفسه.

أ. أراد أن يخفِّف من ثورة غضب موسى فقط، في حين أنه كان من واجبه أن يسعى في المقام الأول للتخفيف من غضب الله، ولذلك قال لموسى: «لا يحم غضب سيدي» (ع ٢٢).

ب. ألقى بكل التبعة على الشعب: «أنت تعرف الشعب أنه في شر. فقالوا لي أصنع لنا آلهة». إنه لأمر طبيعي بالنسبة لنا أن نحاول التملص من إثمنا. فالخطية وليد غير مرغوب فيه من الجميع.

ج. كان حري به –إذ لم يكن يعمد إلى إلقاء بعض اللوم على موسى باعتباره قد أسهم في ارتكابهم هذه الخطية نتيجة بقائه مدة طويلة على الجبل– ألا يكرر دون داع الظن البغيض الذي تعلل به الشعب: «لأن هذا موسى الرجل... لا نعلم ماذا أصابه» (ع ٢٣).

د. قلل من دوره في هذه الخطية بل وأخفاه،

ولمح بحماقة إلى أنه حين طرح الذهب في النار خرج بهذه الصورة، ولم يذكر أي شيء عن دوره في تشكيله (ع ٢٤).

ثانيا: بعد ذلك جاء دور الشعب لمحاسبته على هذه الخطية. وقد حوَّل اقتراب موسى رقصهم إلى رعدة وخوف. وهؤلاء الذين أرهبوا هارون حتى اضطر للامتثال لهم ومشاركتهم خطيتهم لم يجرؤوا على أن يواجهوا موسى.

(١) كيف تعرضوا للخزي نتيجة خطيتهم: «رأى موسى الشعب أنه معرى» (ع ٢٥)، ليس لأن البعض منهم فقدوا أقراطهم، بل لأنهم فقدوا استقامتهم. كان موضع خزيهم وصمة دائمة لحقت بهم أنهم «أبدلوا مجدهم بمثال ثور». وهكذا أصبح الشعب «معرى»، نُزعت عنه زينته وأصبحوا عرضة للاحتقار.

(٢) الأسلوب الذي اتبعه موسى لإزالة هذا الخزي، ولم يكن ذلك عن طريق إخفاء الخطية، أو باختلاق أعذار واهية لها بل بمعاقبتها، وبذلك حمل شهادة عامة ضدها.

أ. على يد مَنْ جاء الانتقام: كان ذلك بواسطة بني لاوي (ع ٢٦، ٢٨) وليس عن طريق الله مباشرة كما فعل بالنسبة لناداب وأبيهو، بل بسيف الإنسان، لكي يتعلَّموا أن الوثنية إثم يُعرِّض للقضاء، لأن مَنْ يرتكبه يكون قد جحد «الله من فوق» (أي ٣١: ٢٨؛ انظر أيضا تثنية ١٣: ٩). ويجب استدعاء الأبرياء ليكونوا جلادين للآثمين. وقد ذُكر لنا في هذا الصدد:

◄ كيف استُدعي اللاويون لهذه المهمة: ذلك أن موسى «اكتسى بالغيرة كرداء»، واستدعى إليه كل الذين هم للرب، وضد العجل الذهبي «مَنْ للرب فإليَّ». وقضية الخطية والشر هي قضية الشيطان وكل الأشرار يساندونها، أما قضية الحق والقداسة فهي قضية الله، التي يؤيدها كل الأتقياء وهي قضية لا تحتمل الحياد.

◄ كيف كُلفوا بهذه المهمة: «واقتلوا كل واحد أخاه» (ع ٢٧)، أي اقتلوا كل مَنْ تعرفون أنه كان له دور نشط في صنع العجل الذهبي وعبادته، حتى وإن كانوا من أقرب أقاربكم أو من أعز أصدقائكم. ومع ذلك فيبدو أنه كان عليهم أن يروحوا ويجيئوا في المحلة، ويقتلوا كل مَنْ يجدونه، لأنه ربما كان يؤمل أن الذين انسحبوا إلى خيامهم، هم الذين كانوا في خزي مما عملوه، وكانوا يُصلُّون التماسا للتوبة.

ب. مَنْ الذين تم الانتقام منهم: «ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل» (ع ٢٨).

ولعل ذلك كان عددا قليلا بالنسبة للعدد الكبير الذي ارتكب هذا الإثم، ولكن هؤلاء كانوا ممن تزعموا هذا التمرد، ولذلك اختيروا ليكونوا عبرة لترويع الآخرين.

عدد ٣٠- ٣٥

وإذ نفَّذ موسى العدالة بالنسبة للآثمين الأساسيين نراه هنا يتجه إلى باقي الشعب، وإلى الله.

أولا: بالنسبة للشعب: كان يستهدف حملهم على التوبة (ع ٣٠).

(١) حين قُتل البعض، وحتى لا يظن الآخرون أنهم ماداموا قد استُثنوا من عقوبة الإعدام، فإنهم قد اُعتبروا غير مذنبين، فمن ثَمَّ يقول موسى لمن نجوا «أنتم قد أخطأتم خطية عظيمة». ولكي يقنعهم ببشاعة خطيتهم أشار إلى الصعوبة العظيمة التي تعترض سبيل تهدئة غضب الله عليهم نتيجة هذه الخطية. وشناعة الخطية تظهر عندما يتطلب العفو عنها ثمنا فادحا.

(٢) ومع ذلك، فإنه كان مما يشجع الشعب إلى حد ما (بعد أن أُخبروا أنهم قد أخطأوا «خطية عظيمة») أن يسمعوا أن موسى بصدد أن يصعد «الآن إلى الرب» لعله يكفِّر عن خطيتهم. والمسيح، الوسيط العظيم، ذهب إلى يقين أعظم من هذا، لأنه كان في حضن الآب ومن ثَمَّ يعرف بشكل تام كل مشوراته.

ثانيا: تشفَّع عند الله ملتمسا رحمته. ومما تجدر ملاحظته:

(١) كيف كان كلامه يتسم بحرارة فائقة: «فرجع موسى إلى الرب»، ولم يكن ذلك بقصد تلقي تعليمات أخرى بشأن خيمة الاجتماع. بل ليتشفع للشعب. وقد عبَّر في كلامه عن الآتي:

أ. كراهيته الشديدة لخطية الشعب: «قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة» (ع ٣١). وسبق لله أن أخبره عنها (ع ٧)، أما الآن فهو الذي يُحدِّث الله عنها،

معبِّرا عن حزنه الشديد بسببها. لم يحاول أن يجد مبررا للخطية، أو أن يخفِّف عن حزنه الشديد من بشاعتها، بل أن ما قاله للشعب على سبيل الإدانة، قاله لله على سبيل الاعتراف: «قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة». ولم يأت ليقدم اعتذارات بل ليكفر عن الخطية.

ب. رغبته العظيمة في خير الشعب: «والآن» (ع ٣٢)، رحمة الله غير المحدودة لن تعجز عن أن تغفر أية خطية مهما كانت كبيرة، ولذلك فاغفر يا رب «خطيتهم»، «وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت». أي أنه إذا كان لا مفر من هلاكهم فلتُهلكني معهم، ولا حاجة لنا لأرض كنعان مادمت ستُهلك كل إسرائيل؛ ذلك لأني قانع بالهلاك معهم، ولا تعطني أرض الميعاد نتيجة بقائي حيا بعد هلاكهم. هكذا عبَّر موسى عن محبته العظيمة للشعب، وكان رمزا للراعي الصالح الذي «يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠: ١١)، والذي «قُطع من أرض الأحياء... من أجل ذنب شعبه» (إش ٥٣: ٨؛ دا ٩: ٢٦). كما كان أيضا مثالا لحب الخير للجميع، ولا سيما لأولئك الذين يتولون وظائف عامة.

(٢) نلاحظ هنا كيف كان كلامه مؤثرا: فلن يُنفِّذ الله ما قاله موسى عن نفسه. لأنه لن يمحي من كتابه سوى أولئك الذين بإصرارهم على العصيان فقدوا شرف كتابة أسمائهم فيه (ع ٣٣). وكان في هذا بداية رحمة للشعب. كما أنه في رده على كلام موسى نجد أن الله:

أ. وعده بأنه سيواصل اعتزامه على إعطائهم أرض كنعان. وعلى ذلك أرسل لهم موسى ثانية ليقودهم على الرغم من أنهم كانوا لا يستحقونه، كما وعده أن ملاكه سيسير أمامهم.

ب. على الرغم من ذلك، هدَّد بأنه سيتذكر هذه الخطية حين يرى مستقبلا أي سبب يدعوه إلى معاقبتهم على خطايا أخرى. ولدى اليهود مقولة قائمة على هذا الأمر، بأنه لن تحيق بإسرائيل أية دينونة بعد الآن إلا وكان فيها أوقية من مسحوق العجل الذهبي. ويقول استفانوس: «فعملوا عجلا في تلك الأيام وأصعدوا ذبيحة للصنم وفرحوا بأعمال أيديهم. فرجع الله وأسلمهم ليعبدوا جند السماء» (أع ٧: ٤١ و٤٢)، وعلى هذا فإن إدمان هذا الشعب المذهل لخطية الوثنية بهذا الشكل الغريب، كان يُشكِّل دينونة عادلة ضدهم لعملهم العجل الذهبي وعبادته، وكانت دينونة لم يتحرروا منها حتى سبي بابل (انظر رومية ١: ٢٣– ٢٥). ولم يُصب البلاء هارون بل الشعب، لأن خطيته كانت عن ضعف، أما خطيتهم فكانت عن عمد وإصرار.

الأصحاح الثالث والثلاثون

يعرض هذا الأصحاح معلومات أخرى عن وساطة موسى بين الله وإسرائيل لرأب الصدع الذي أحدثته الخطية بينهما:

أولا: جاء لهم برسالة مهينة من الله (ع ١– ٣، ٥) تساعد على تهيئتهم لرحمته (ع ٤، ٦).

ثانيا: أقام علاقة بينهم وبين الله (ع ٧– ١١).

ثالثا: كان مثابرا في صلاته إلى الله ونجح...

(١) في الحصول على وعد بمؤازرة للشعب (ع ١٢– ١٧).

(٢) في أن يريه الله قبسا من مجده (ع ١٨– ٢٣).

عدد ١– ٦

أولا: الرسالة التي بعث بها الله إلى بني إسرائيل على يد موسى.

(١) أطلق عليهم اسما لتوبيخهم حيث وصفهم بما يتفق وحقيقتهم– «شعب صلب الرقبة» (ع ٣، ٥). كان بمقدور الله أن يضعهم تحت نير ناموسه والتزامات عهده، غير أن رقابهم كانت أصلب من أن تنحني لهما. ويلاحظ أن الله يحكم على الإنسان بحسب ميوله ومقاصده. نحن نعرف ما يعمله الإنسان، لكن الله يعرف من هو الإنسان. نحن نعرف ما يصدر عن الإنسان، لكن الله يعرف ما يدور بداخله، ولا شيء يغضب الله أكثر من أن يكون الإنسان صلب الرقبة وعنيد.

(٢) أخبرهم بما يستحقون. فلو عاملهم بحسب خطاياهم لقضى عليهم سريعا.

(٣) دعاهم إلى أن يصعدوا من هذا المكان ويذهبوا إلى أرض كنعان (ع ١).

(٤) على الرغم من أنه سيُنفِّذ الوعد الذي قطعه

لإبراهيم بإعطائهم أرض كنعان، إلا أنه سيحرمهم من العلامات الرائعة التي تدل على وجوده معهم: «أرسل أمامك ملاكا» ليحميك، وإلا لانقضت عليك الملائكة الأشرار بسرعة وأهلكتك. غير أنني «لا أصعد في وسطك... لئلا أفنيك» (ع ٢ و٣)، قالت العدالة لله: أهلكْهم، دمرهم! فقالت الرحمة: «كيف أجعلك يا أفرايم».. أو (كيف أتخلى عنك يا أفرايم، هو ١١: ٨- بحسب ترجمة أخرى). حسنا يقول الله: «اخلع زينتك عنك فأعلم ماذا أصنع بك». ارجعوا وتوبوا، ومن ثَمَّ تنتصر الرحمة على العدل (ع ٥). ويُلاحظ أن الدعوة إلى التوبة تُعد من الدلالات الواضحة على الرحمة المعدَّة لِمَنْ يتوب.

ثانيا: الحزن الذي ألمَّ بالشعب فور تلقيه هذه الرسالة.

(١) «ناحوا» (ع ٤) بسبب خطيتهم التي أغاظت الله فانسحب من وسطهم، وناحوا لأن هذه أقسى عقوبة لخطيتهم. ويُلاحظ أنه من أشد العواقب الوخيمة للخطية والتي يحزن لها التائبون الحقيقيون، ويخشونها أكثر من غيرها هي ابتعاد الله عنهم.

(٢) كعلامة للخزي والإذلال البالغين «لم يضع أحد زينته عليه» (ع ٤)، والذين كانوا يلبسونها، نُزعت عنهم «زينتهم من جبل حوريب»، أو كما يترجمها البعض «على مسافة من الجبل» (ع ٦)، حيث كانوا واقفين «من بعيد» مثل العشار (لو ١٨: ١٣).

عدد ٧- ١١

أولا: من بين علامات الغضب الأخرى التي فُرضت عليهم لمزيد من إذلالهم: «أخذ موسى الخيمة»، الخيمة التي كانوا يتقابلون فيها معه، حيث يسمع شكاواهم ويستشير الله بشأنها، والتي كانت بمثابة دار المجمع بالنسبة لهم، «ونصبها له خارج المحلة» (ع ٧)، لكي يُبين لهم كيف أنهم جعلوا أنفسهم غير جديرين بها، وأنه ما لم تتم المصالحة فإنها لن تعود إليهم مرة أخرى.

ثانيا: على الرغم من ذلك، أعطيت لهم تشجيعات كثيرة حتى يملأهم الرجاء بأن الله سوف يتصالح معهم.

(١) على الرغم من نقل الخيمة إلا أن كل مَنْ كان يرغب في أن يطلب الرب كان يمكنه أن يتبعها (ع ٧). وقد حُدد لهم مكان يذهبون إليه «خارج المحلة» لكي يلتمسوا عودة الله إليهم. وحين يقصد الله أن يرحم تراه يُحفِّز على الصلاة.

(٢) تعهد موسى بالتوسط بين الله وإسرائيل. لقد «خرج موسى إلى الخيمة» التي هي مكان الاجتماع، والتي ربما أُقيمت بينهم وبين الجبل (ع ٨)، و«دخل موسى الخيمة» (ع ٩).

(٣) يبدو أن الشعب كان في حالة ذهنية طيبة، وكان مهيأ للتصالح.

أ. حين خرج موسى للذهاب إلى الخيمة، كانوا «ينظرون» وراءه (ع ٨)، كعلامة احترام لذاك الذي سبق أن استخفوا به، وكدلالة على اتكالهم الكلي على وساطته.

ب. عندما رأوا عمود السحاب، الذي هو علامة تواجد الله بينهم، كانوا «يسجدون كل واحد في باب خيمته» (ع ١٠). وسجودهم عند أبواب خيامهم يظهر بوضوح أنهم لم يكونوا يستحون من إظهار احترامهم علانية لله ولموسى، مثلما فعلوا حينما سجدوا للعجل علانية.

(٤) وكان الله -في موسى- مصالحا بني إسرائيل لنفسه، وأظهر رغبته في التصالح معهم.

أ. كان الله يتقابل مع موسى عند مكان الاجتماع (ع ٩). وإذا مالت قلوبنا لنتقابل مع الله، فإنه بكل حب ينزل ليتقابل معنا.

ب. كان الله يتكلم «مع موسى» (ع ٩)، ويُكلمه «وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه» (ع ١١)، الأمر الذي يُستشف منه أن الله أظهر نفسه لموسى، ليس فقط بوضوح أعظم وبنور إلهي أقوى مما سبق أن حدث بالنسبة لأي أحد آخر من الأنبياء، بل أيضا بتعبيرات أعظم عن محبته الخاصة ونعمته. ولكي يعود إلى خيمة الاجتماع على نحو من السرعة، فقد ترك يشوع هناك، لأنه لم يكن من اللائق أن يُترك المكان خاليا طالما بقي «عمود السحاب» عند باب الخيمة (ع ٩).

عدد ١٢ - ٢٣

وإذ عاد موسى إلى باب الخيمة، كان يرفع تضرعاته بكل خضوع ملتمسا أمرين عظيمين للغاية.

أولا: كان يتوسل إلى الله بمثابرة لكي يمنح إسرائيل نعمة حضوره معهم خلال مسيرتهم إلى كنعان، على الرغم من استفزازاتهم، ونلاحظ هنا روعة عرض موسى قضيته أمام الله، كيف عرض التماسه، وكيف نجح.

(١) كيف عرض التماسه:

أ. أصر على مواصلة المهمة التي كلفه الله بها وهي أن يُصعد «هذا الشعب» (ع ١٢). لقد بدأ كلامه بقوله للرب «انظر. أنت قائل لي»، أنت نفسك الذي استخدمتني، ألا تساندني؟

ب. وهو هنا يستغل الدالة الخاصة التي له هو نفسه مع الله، ويستند إلى تعبيرات الله الكريمة التي استخدمها معه: «وأنت قلت عرفتك باسمك». ومن ثَمَّ يقول موسى، إذا كان الأمر كذلك، «إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فعلِّمني طريقك» (ع ١٣). ولذلك هو يستغل هذا الفضل ويقول لله: يا رب، إذا كنت تريد أن تصنع معي معروفا فاصنعه لهذا الشعب. وهكذا كان ربنا يسوع المسيح، في شفاعته، يقدم نفسه للآب كشخص يجد فيه دائما مسرته، وبذلك يحصل لنا على رحمة من ذاك الذي كان بعدل غاضبا منا، وقد أُنعم علينا «في المحبوب».

ج. يلمح إلى أن الشعب أيضا- على الرغم من عدم استحقاقه إطلاقا- إلا أنه كانت له علاقة ما بالله: «وانظر أن هذه الأمة شعبك»، الشعب الذي عملت من أجله أشياء عظيمة وافتديته لنفسك، ودخلت معه في عهد، إنهم خاصتك، لا تتخلى عنهم. والأب الذي أُسيء إليه يقول: «ابني أحمق وشرير، لكنه ابني، ولا أستطيع التخلي عنه».

د. عبَّر عن القيمة العظيمة التي يوليها لوجود الله معهم. وحين قال الله: «وجهي يسير فأريحك»، ركَّز على هذه العبارة على اعتبار أنه لا يستطيع أن يعيش أو يتحرك بدونه: «فقال له إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا» (ع ١٥).

هـ. اختتم بحجة مأخوذة من مجد الله: «بماذا يعُلم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك؟» (ع ١٦) كيف يظهر أننا نلنا حقا هذه النعمة؟ بأي شيء آخر «نمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض؟»

(٢) لنلاحظ هنا كيف نجح، وكيف حصل على تأكيد بنعمة الله:

أ. لنفسه: «فأريحك» (ع ١٤). لم يدخل موسى كنعان إطلاقا، ومع ذلك حقق الله له وعده بأن يريحه (دا ١٢: ١٣).

ب. وللشعب من أجله. فالنفوس الرحيمة الكريمة تعتقد أنه لا يكفي أن يصلوا هم فقط إلى السماء، ولكنهم يريدون أن يصل كل أصدقائهم أيضا إلى هناك. ولقد أعطاه الله كل سؤله، لأنه «يعطي الجميع بسخاء ولا يُعيِّر». لنر هنا قوة الصلاة، وليشجعك هذا على أن تطلب، اسأل، اطلب، اقرع، كن أمينا في الصلاة، وصلِّ كل حين ولا تمل. ونرى هنا، رمزا لفعالية شفاعة المسيح، الذي يتشفع بها دائما من أجل كل الذين يتقدمون من خلاله إلى الله، وأساس هذه الفعالية. فهي تقوم أساسا على استحقاقه، وليس لأي صلاح في أولئك الذين يتشفع من أجلهم. لقد قال الرب لموسى الأمر الذي تكلمت عنه أفعله «لأنك وجدت نعمة في عيني». وهكذا تم تسوية الأمر وتصالح الله تماما معهم، وعاد وجوده في عمود السحاب إليهم، وسوف يستمر معهم وعادت الأمور إلى مسارها الطيب ثانية، ولم نعد نسمع بعد ذلك عن العجل الذهبي.

ثانيا: بعد أن حقق موسى هدفه، عاد يلتمس أن يرى مجد الله، وقد استجاب له الله أيضا بالنسبة لهذا الأمر.

(١) الالتماس الذي تقدم به موسى بكل خشوع: «فقال: أرني مجدك» (ع ١٨). وقد نجح موسى بشكل عجيب في أن يحصل من الله على نعمة تلو أخرى، ونجاح صلواته أعطاه ثقة في أن يواصل طلبه لله. وكلما أخذ، زاد ما يطلبه: «أرني مجدك» دعني أراه (بحسب معنى الكلمة) اجعله مرئيا بطريقة أو بأخرى، وأعطني القدرة على أن أتحمل رؤيته. وليس معنى هذا أنه كان جاهلا بحيث اعتقد أنه يستطيع أن

يرى جوهر الله بعيني رأسه، بل إذ إنه لم يسمع حتى الآن سوى صوت من وراء عمود سحاب أو نار، فإنه طلب أن يرى شيئا ما يمثل المجد الإلهي، بالشكل الذي يراه الله مناسبا ليستجب من خلاله إلى طلبه. ويظن البعض أن موسى رغب في أن يرى مشهدا من مجد الله كعلامة على المصالحة، وضمانا لوجود الله الذي وعدهم به، ولكنه لم يكن يعرف ما يطلب.

(٢) الإجابة الكريمة التي رد بها الله على هذا الالتماس:

أ. لم يستجب له فيما هو غير لائق أن يمنحه، والذي لم يكن موسى يتحمله: «لا تقدر أن ترى وجهي» (ع ٢٠) والرؤية الكاملة لمجد الله ستقضي تماما على ملكات أي مخلوق في حالتنا الراهنة على الأرض هذه، حتى لو كان موسى نفسه. فهناك معرفة وتمتع بالله يجب انتظارهما في العالم الآخر، حيث «سنراه كما هو» (١يو ٣: ٢). وحتى ذلك اليوم علينا أن نتمتع بعلو ما نعرفه بالفعل عن الله، وعمق ما لا نعرفه عنه.

ب. منحه ما يرضيه تماما.

◄ سوف يسمع ما يسره: «أجيز كل جودتي قدامك» (ع ١٩). أعطاه أمثلة عجيبة عن صلاحه، وذلك بأن تصالح مع إسرائيل، ولكن هذا صلاح في المجرى العام، غير أنه سيُريه صلاحه في المنبع- «كل جودتي». وكانت هذه إجابة شافية لطلبه. قال موسى: «أرني مجدك». فقال له الله، سأريك «كل جودتي». ويُلاحظ أن جودة الله (صلاحه) هي مجده، وهو يريدنا أن نعرفه من خلال مجد رحمته بأكثر مما نعرفه عن مجد عظمته. ولم يسبق أن قال إطلاقا: «وأغضب على مَنْ أغضب"، لأن غضبه عادل ومقدس دائما، ولكنه قال: «وأتراءف على مَنْ أتراءف»، لأن نعمته سخية دائما. وهو لا يدين أبدا لأن من حقه أن يدين، لكنه يخلِّص بناء على هذا الحق.

◄ سوف يريه ما يستطيع تحمله، وما يكفيه.

> سيكون آمنا في «نقرة من الصخرة» (ع ٢١ و٢٢): «والصخرة كانت المسيح» (١كو ١٠: ٤). وبواسطة المسيح فقط تكون لنا «معرفة مجد الله». ولا يمكن لأحد أن يرى مجده بحسب ما يرغب سوى أولئك الذين يقفون على هذه الصخرة ويحتمون بها.

> سيرى من الله بأكثر مما رآه أي شخص على الأرض، ولكن ليس بالقدر الذي يراه مَنْ هم في السماء. ولن يرى موسى منظرا لله، ولكنه سيراه مثلما نراه نحن شخصا عابرا أمامنا، ولذلك لن نرى سوى ظهره، (وكما نقول) نظرة عابرة فحسب. وحين نرى ما عمله الله من خلال أعماله، ونلاحظ خلائق إلهنا، ملكنا، فإننا بهذا نرى وراءه. وإذا ما تأملنا بأمانة الإعلانات الإلهية التي أعطاها لنا الله عن شخصه، فيما نحن هنا، فسوف يُتاح لنا أن نرى في القريب مشهدا أكثر إشراقا، وأكثر مجدا، «فإن مَنْ له سيُعطى ويُزاد».

الأصحاح الرابع والثلاثون

سبق أن أشار الله لموسى في الأصحاح السابق عن عزمه على مصالحة إسرائيل، أما في هذا الأصحاح فيعطيه دلائل على ذلك، وشرع يصنع عهده وشركته معهم:

أولا: الأوامر التي أصدرها لموسى ليصعد إلى الجبل، صباح اليوم التالي ويحضر معه لوحي حجر (ع ١- ٤).

ثانيا: لقاؤه معه هناك وإعلان اسمه (ع ٥- ٩).

ثالثا: التعليمات التي أصدرها له هناك، وحديثه معه مدة أربعين يوما دون توقف (ع ١٠- ٢٨).

رابعا: الكرامة التي أعطاها له حين نزل ووجهه يلمع (ع ٢٩- ٣٥). وفي كل هذه كان الله يعامل موسى كشخصية عامة، وكوسيط بينه وبين إسرائيل، وكان موسى في هذا يرمز إلى الوسيط الأعظم.

عدد ١- ٤

انقطع فجأة العهد الذي كاد أن يُعقد بين الله وإسرائيل، نتيجة عبادتهم العجل الذهبي، ولكن بعد أن تمت المصالحة لابد وأن يبدأ كل شيء من جديد.

أولا: على موسى الإعداد لتجديد اللوحين (ع ١). وهكذا فإن في كتابة الناموس لأول مرة على قلب الإنسان حين كان في زمن البراءة، كان اللوحان وكذلك الكتابة من عمل الله. غير أنه حين كُسرت هذه وشُوهت نتيجة الخطية، وكان لابد من حفظ الناموس الإلهي في الأسفار المقدسة، هنا استخدم الله الإنسان، وكان أول مَنْ استخدمه في هذا الشأن

هو موسى. غير أن الأنبياء والرسل اقتصر دورهم على نحت اللوحين، ولكن الكتابة مازالت من عمل الله لأن «كل الكتاب هو موحى به من الله». ويُلاحظ أنه بعد أن تصالح الله معهم أمر بتجديد اللوحين وكتب ناموسه عليهم، الأمر الذي يوحي لنا بجلاء:

(١) إنه حتى في ظل إنجيل السلام والمصالحة بالمسيح (والتي كانت شفاعة موسى رمزا لها) يجب استمرار الناموس الأدبي ليلتزم به المؤمنين. وحين فسر مخلصنا -في العظة على الجبل- الناموس الأدبي، وخلصه من التفسيرات الفاسدة التي بواسطتها انتهكه الكتبة والفريسيون (مت ٥: ١٩)، فإنه كان في الواقع يُجدِّد اللوحين، ويجعلهما مثل الأولين، أي يُعيد الناموس إلى معناه الأساسي.

(٢) أفضل دليل على غفران الله للخطية وسلامه مع الناس هو كتابة الناموس في القلب.

(٣) إذا كنا نريد أن يكتب الله الناموس في قلوبنا لابد أن نقبله.

ثانيا: يجب أن يصعد موسى ثانية إلى جبل سيناء، وأن يقدم نفسه لله هناك (ع ٢). وبناء على ذلك «بكر موسى في الصباح» (ع ٤)، لكي يذهب إلى المكان المحدد. إنه لأمر طيب أن نبكر في صلواتنا. فالصباح يكون وقتا طيبا للنعمة، كما أنه وقت طيب للتأمل والتفكير.

عدد ٥- ٩

لم يكد موسى يصعد إلى الجبل حتى لاقاه الله: «فنزل الرب» (ع ٥)، بعلامة مرئية تفيد حضوره وتظهر مجده. وقد نزل «في السحاب». وإذ اتخذ من السحاب سترا له، فهذا ما يُستشف منه أنه على الرغم من أن الله أعلن الكثير عن نفسه، إلا أن هناك الكثير والكثير مما لا يزال خفيا.

أولا: كيف أعلن الله عن اسمه (ع ٦ و٧): لقد فعل ذلك عن طريق عبوره قدام موسى «فاجتاز الرب»، أما الرؤية الواضحة لله فهي محفوظة لنا لنتمتع به في المستقبل، أما كل ما لدينا في هذا العالم فهو مجرد مرحلة انتقالية. كان الله حينئذ يتمم ما وعد به موسى في اليوم السابق، بأنه سيجيز كل جودته قدامه (خر ٣٣: ٢٢). «ونادى باسم الرب»، الذي جعل نفسه معروفا به. لقد جعل نفسه معروفا لموسى في جلال حضوره، وكفايته وذلك حين أعلن الاسم «أهيه الذي أهيه»، أما الآن فهو يجعل نفسه معروفا بمجد نعمته وجوده، وكفايته الكلية لنا. وقد سبق كل هذا بإظهار رحمته، وذلك لكي يُعلمنا أن نفكر ونتكلم بجدية عظيمة وخوف مقدس عن نعمة الله وصلاحه. فعظمته وصلاحه كل منهما يوضح الآخر ويبرزه. وقد قيلت هنا كلمات كثيرة لتُعرفنا بصلاح الله وتقنعنا به.

(١) إنه «رحيم». وهذا ما يوحي برحمته العظيمة، كرحمة الأب بأبنائه.

(٢) إنه «رؤوف». ورحمته نعمة غنية مجانية، وهذا ما يُعلِّمنا أن نكون ليس فقط مشفقين، بل لطفاء أيضا (١بط ٣: ٨).

(٣) إنه «بطيء الغضب».. يؤخر تنفيذ عدالته، ينتظر كثيرا بفيض من الكرم، ويطيل من زمن رحمته.

(٤) إنه «كثير الإحسان والوفاء». وهذا ما يوحي بالصلاح الموعود به، الصلاح والأمانة معا، صلاح بناء على الوعد، والأمانة في الوفاء بما وعد به.

(٥) إنه «حافظ الإحسان إلى ألوف».

(٦) إنه «غافر الإثم والمعصية والخطية». وقد ذُكرت الرحمة الغافرة، لأنها هي التي تفتح الباب أمام جميع عطايا نعمته الإلهية الأخرى.

ثانيا: كيف تقبَّل موسى هذا الإعلان الذي أعطاه الله عن نفسه وعن نعمته ورحمته: يبدو أن موسى قَبِل هذا كاستجابة كافية لطلبه من الله أن يريه مجده. وقد ذُكر لنا هنا:

(١) تأثير ذلك عليه: «فأسرع موسى وخر إلى الأرض وسجد» (ع ٨).

(٢) كيف انتفع من هذه الفرصة؟ أقام في الحال صلاة على أساسها (ع ٩)، وكانت صلاة في غاية الحماسة والمحبة، تضرع فيها:

أ. من أجل وجود الله مع شعبه في البرية: «فليسر السيد في وسطنا»، لأن سلامتنا ونجاحنا يعتمدان

بشكل جوهري على وجودك معنا.

ب. من أجل مغفرة الخطايا: «واغفر إثمنا وخطيتنا»، وكذلك:

ج. من أجل امتيازاتهم كشعب خاص «اتخذنا مُلكا». وسبق لله أن وعد بهذه الأشياء وأكدها لموسى، ومع ذلك فهو يصلي من أجلها، ليس لأن الشك كان يداخله في أمانة الله في مواعيده، بل كشخص يتوق إلى تصديق الله عليها. وأولئك الذين لهم بالنعمة بعض الآمال الطيبة بأنه ستُغفر خطاياهم، ينبغي عليهم مع ذلك مواصلة الصلاة من أجل الغفران، من أجل تجديد الغفران، وتنقية نفوسهم من الخطية أكثر فأكثر. وهكذا نجد موسى -كرجل يتمتع بروح الشخصية العامة الحقيقية- يتشفع حتى من أجل الأجيال القادمة لبني إسرائيل. غير أن الحجة التي يستند إليها كانت في الواقع حجة غريبة: «فإنه شعب صلب الرقبة». سبق أن ذكر الله هذا كسبب يحمله على عدم السير معهم (خر ٣٣: ٣). ولكن موسى يقول: نعم هذه حقيقة، ولكن كلما ازدادوا سوءا زادت حاجتهم لوجودك ونعمتك من أجل تغيرهم نحو الأفضل.

عدد ١٠ - ١٧

وإذ تمت المصالحة، أقيم عهد للصداقة بين الله والشعب. وهكذا نجد أنه لم يُغفر للمتآمرين فحسب، بل تساموا جدا واتُخذوا ثانية ليكونوا شعبا خاصا.

أولا: دور الله في هذا العهد، أي ما سيفعله الله لهم (ع ١٠ و١١):

(١) بوجه عام: «قدام جميع شعبك أفعل عجائب». وكانت عجائب لأنه لم يسبق لها مثيل: «لم تخلق في كل الأرض وفي جميع الأمم». وكانت هذه موضع فرح إسرائيل وتثبيتا لإيمانهم: «فيرى جميع الشعب الذي أنت في وسطه فِعل الرب. إن الذي أنا فاعله معك رهيب». وكانوا مصدر رعب لأعدائهم. فعل «رهيب»، والواقع أنه حتى شعب الله نفسه سينظر إلى هذه الأعمال بدهشة.

(٢) وبصفة خاصة: «ها أنا طارد من قدامك الأموريين».

ثانيا: دورهم في العهد: «احفظ ما أنا موصيك». وليس بمقدورنا أن نتوقع مزايا المواعيد ما لم نلتزم بالوصايا. «لا تسجد لإله آخر» (ع ١٤)، ولا تعط الإكرام الواجب لله لأي مخلوق، أو لأي اسم مهما كان، ولا لأي كائن يأتي به خيالكم. والذين لا يعبدون الله وحده، لا يمكن أن تكون عبادتهم صحيحة. وحتى لا يقعوا في تجربة آلهة أخرى، عليهم ألا يقيموا صداقة أو تكون لهم أية صلة بمَنْ يفعلون ذلك (ع ١٢). كن حريصا من الدخول في معاهدة مع سكان الأرض. وإذا كان الله في لطفه عليهم، طرد الكنعانيين من قدامهم، فواجبهم نحو الله يحتم عليهم ألا يقوموا بإيوائهم. وعليهم بصفة خاصة ألا يتزاوجوا من بينهم (ع ١٥ و١٦)، فإذا تزوجوا من بينهم سوف يتعرضون لخطر عبادة آلهتهم. وحتى لا يقعون في تجربة عمل آلهة مسبوكة، عليهم أن يُدمِّروا كل ما يجدونه منها وكل متعلقاتها تدميرا تاما، مذابحهم وأنصابهم وسواريهم (ع ١٣).

عدد ١٨ - ٢٧

بعض التعليمات الخاصة بأعيادهم الدينية، ذلك أنهم حين صنعوا العجل أعلنوا عيدا لتكريمه. وحتى لا يعوذون لعمل ذلك مرة أخرى، فقد كُلفوا هنا بحفظ الأعياد التي رسمها الله- ويجب ألا يُستخدم المدح وسيلة لإبعاد الناس عن دينهم، ولاسيما ونحن نعبد إلها أعطى لشعبه وسائل الفرح والابتهاج بوفرة.

أولا: عليهم الراحة مرة كل أسبوع (ع ٢١)، وحتى «في الفلاحة وفي الحصاد»، وهي الأوقات التي يكثر فيها العمل. وأعمال الحصاد سوف تزداد نجاحا إذا ما حفظ السبت خلال وقت الحصاد.

ثانيا: عليهم أن يقيموا ثلاثة أعياد في السنة حيث يظهرون خلالها «أمام السيد الرب إله إسرائيل» (ع ٢٣). ولكن ربما تصبح البلاد في هذه الحالة عرضة للأذى من قِبل جيرانها، وماذا سيكون مصير النساء والأطفال والمرضى والمسنين الذين سيُتركون ولا يذهبون للعيد؟ اتركهم في رعاية الله: «ولا يشتهي أحد أرضك» (ع ٢٤)، ولن يقتصر الأمر على أنهم لن يغزوها فقط، بل إنهم لن يفكروا في ذلك. وعمل الواجب هو طريق السلامة.

ثالثا: ذُكرت هنا الأعياد الثلاثة وكل ما يتعلق بها:

(١) عيد الفصح، أو عيد الفطير، وهو تذكار لخروج بني إسرائيل من العبودية في مصر، وأرفق مع هذا ناموس فداء الأبكار (ع ١٨– ٢٠). وقد أُسس هذا العيد (خر ١٢: ١٣)، وتم التأكيد عليه ثانية (خر ٢٣: ١٥).

(٢) عيد الأسابيع، أي عيد الخمسين، وهو يأتي بعد عيد الفصح بسبعة أسابيع، وأرفق بهذا ناموس أبكار الأرض.

(٣) «عيد الجمع في آخر السنة»، وهو عيد المظال (ع ٢٢)، وسبق أن تكلم عن هذه أيضا (خر ٢٣: ١٦).

رابعا: وقد تكررت هنا هذه الوصايا لتُبيِّن أنه لا يمكن لحرف واحد أن يضيع من الناموس بأي حال من الأحوال. وفي الختام:

(١) أُمر موسى أن يكتب هذه الكلمات (ع ٢٧) حتى يتعرف عليها الشعب بشكل أفضل نتيجة تكرار قراءتها، ولكي تُنقل للأجيال القادمة. ولا نستطيع أن نوفي الله حقه من الشكر من أجل الكلمة المكتوبة.

(٢) أُخبر أنه طبقا لمغزى هذه الكلمات فإن الله سيُقيم عهدا مع موسى وإسرائيل، وليس مع إسرائيل بصفة مباشرة، بل معهم من خلال موسى كوسيط.

عدد ٢٨– ٣٥

أولا: مواصلة مهمة موسى على الجبل، حيث كان الله يعوله بطريقة معجزية (ع ٢٨): وحين نمِّل من ساعة أو اثنتين نقضيهما في عبادة الله وخدمته، علينا أن نتذكر كم نهارا وكم ليلة قضاها موسى معه. وقد قضى وقتا طويلا بدون أن يأكل أو يشرب (ولعله لم ينَم أيضا)، وذلك مرجعه:

(١) كانت قوة الله تُعينه، فلم يكن في حاجة إليها.

(٢) لعله كان يأكل طعاما لا يعرفه العالم، لأن طعامه وشرابه كان سماعه كلمة الله، وأن يصلي. وحين يستضيف الله نبيه المحبوب موسى، فلن يُقدِّم له طعاما وشرابا، بل يعطيه من نوره وناموسه ومحبته، مع معرفته ومعرفة مشيئته. وكما صام موسى أربعين نهارا وأربعين ليلة، هكذا صام إيليا والمسيح مدة مماثلة.

ثانيا: نزول موسى من على الجبل وقد زوَّده الله بكل ما يدعو إلى التبجيل والإكرام:

(١) نزل بعد أن أُثري بأحسن كنز، لأنه نزل وبين يديه لوحي الشريعة.

(٢) نزل وقد زُيِّن بأفضل جمال؛ ذلك أن «وجهه صار يلمع» (ع ٢٩).

أ. ويمكن النظر إلى ذلك على أنه:

◄ شرف عظيم خُلع على موسى، حتى لا يتشكك الشعب ثانية في إرساليته. فقد كان يحمل أوراق اعتماده على وجهه وفي محيَّاه. لم يستطع بنو إسرائيل أن يتطلعوا إلى وجهه، إلا أنهم لابد وأن يقرأوا فيه دلالة تكليفه. ومع ذلك، فإنهم بعدئذ تذمروا عليه.

◄ كان فضلا عظيما على الشعب أيضا وتشجيعا كبيرا أن يُكلل الله موسى شفيعهم بهذا المجد، لأنه بهذا أكَّد لهم قبوله إياه، وقبولهم هم أيضا من خلاله.

◄ كان ذلك نتيجة رؤيته الله، وحين نكون على الجبل مع الله، ينبغي أن يضيء نورنا قدام الناس، حتى إن كل مَنْ نتكلم معه من الناس يعرف أننا كنا «مع يسوع» (أع ٤: ١٣).

ب. بشأن لمعان وجه موسى يجب ملاحظة الآتي:

◄ لم يكن موسى يدري ذلك عن نفسه «لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع» (ع ٢٩). ومهما كان الجمال الذي يخلعه الله علينا يجب أن نظل ممتلئين بروح الاتضاع الذي يُشعرنا بعدم استحقاقنا وعجزنا البالغ، الأمر الذي يحملنا على ألا نلاحظ أن وجوهنا تضيء بل وننسى ذلك.

◄ رأى ذلك هارون وبنو إسرائيل «فخافوا» (ع ٣٠). لعلهم تشككوا ما إذا كان ذلك دلالة نعمة الله أم غضبه، وإذ كانوا يدركون إثمهم، فقد توقعوا ما لا تُحمد عقباه.

◄ وضع موسى «على وجهه برقعا» حين أدرك أنه يلمع (ع ٣٣، ٣٥). وهذا ما يعلمنا جميعا التواضع والبساطة.

◄ «كان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه (في خيمة الاجتماع) ينزع البرقع» (ع ٣٤). فلم يكن هناك حاجة إليه، لأنه لابد وأن يظهر كل إنسان أمام الله بوجه مكشوف. وهذا أيضا ما يشير إلى أنه حين ترجع نفس إلى الرب فسوف يُنزع البرقع، حتى ترى مجده بوجه مكشوف (كما جاء في ٢كورنثوس ٣: ١٦).

الأصحاح الخامس والثلاثون

ما كان يجب أن يقوله موسى ويعمله فور نزوله من الجبل في المرة الأولى، شرع يقوله الآن ويعمله، بعد أن تمت المصالحة بصعوبة بالغة.

أولا: أعطى موسى لبني إسرائيل التعليمات التي تسلمها من الله، والتي كانت تتطلب مراعاتها فورا.

(١) بخصوص حفظ السبت (ع ١- ٣).

(٢) بخصوص المساهمات التي يجب أن تُقدم لإقامة خيمة الاجتماع (ع ٤- ٩).

(٣) بخصوص تصميم الخيمة والأدوات الخاصة بها (ع ١٠- ١٩).

ثانيا: الشعب يقدم تقدماته (ع ٢٠- ٢٩).

ثالثا: ذُكرت أسماء رؤساء العمال (ع ٣٠- ٣٥).

عدد ١- ١٩

كانت إقامة خيمة الاجتماع وتأسيسها العمل الذي يجب أن ينخرطوا فيه فورا، وهنا نجد بعض الأوامر الخاصة المتعلقة بهذا العمل:

أولا: استُدعيت للحضور كل جماعة إسرائيل (ع ١).

ثانيا: كلفهم موسى بكل ما أمر به الله- وإذ كان الطرفان قد أولياه ثقتهما، فقد كان أهلا لهذه الثقة، ومع ذلك كان أمينا كخادم فحسب، أما المسيح «فكابن» (عب ٣: ٥ و٦).

ثالثا: بدأ بشريعة السبت: «ستة أيام يُعمل عمل»، العمل الخاص بتشييد خيمة الاجتماع، «وأما اليوم السابع» فلا يجب القيام فيه بأي عمل. إنه سبت عطلة (إنه سبت السبوت، كما يترجمها البعض) ويجب أن يُبجَّل ويُميز عن أي من الأعياد الأخرى، ويظل له الأولوية دائما. سبت الراحة الروحية والأبدية (كما في ترجمة أخرى) إذ إنه رمز لهذه الراحة، التي تبقى «لشعب الله» (عب ٤: ٩). إنه سبت، وسبت صغير، كما يحلو لبعض اليهود أن يفهموا هذه العبارة، أي عدم حفظ اليوم كله كسبت فقط، بل وقبل بدايته بساعة، وبعد نهايته أيضا بساعة «سبت صغير»، لكي يُبينوا كيف أنهم مسرورون باقتراب السبت، وكيف أنه يعز عليهم أن ينقضي.

رابعا: أمرهم باتخاذ الاستعدادت اللازمة لإقامة خيمة الاجتماع. وقد تم ترتيب شيئين:

(١) كل مَنْ لديهم القدرة يجب أن يساهموا في هذا العمل: «خذوا من عندكم تقدمة للرب» (ع ٥). والقاعدة هي «كل مَنْ قلبه سموح». فلم تكن هذه ضريبة مفروضة عليهم، بل مساهمة خيرية أو تطوعية، الأمر الذي يُستشف منه:

أ. أن الله لم يجعل نيرنا ثقيل.

ب. «المعطي المسرور يحبه الله»، وهو يُسر بالأكثر بالتقدمة التي تأتي طواعية ومن القلب. والعطايا المقبولة لدى الله هي التي تُقدم من قلب راغبٍ ومن شعب راضٍ (مز ١١٠: ٣).

(٢) كل حاذق ماهر يجب أن يشارك في العمل: «وكل حكيم القلب بينكم فليأت ويصنع» (ع ١٠). ونرى هنا كيف يوزع الله مواهب مختلفة، «ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها» (١بط ٤: ١٠). فالأغنياء عليهم أن يقدموا المواد اللازمة للعمل، والذين يتمتعون بمواهب خاصة يجب أن يخدموا خيمة الاجتماع بهذه المهارات، وكما أنهم يحتاجون بعضهم بعضا، فإن العمل في هذه الخيمة يحتاجهم جميعا (١كو ١٢: ٧- ٢١).

عدد ٢٠- ٢٩

أولا: التقدمات التي أُحضرت لخدمة الخيمة (ع ٢١- ٢٩).

(١) لُمح إلى أنهم جاءوا بتقدماتهم على نحو من السرعة. وأفضل وقت لفعل الصالح هو الآن!

(٢) ذُكر أن «كل مَنْ أنهضه قلبه» جاء بتقدمة (ع ٢١).

(٣) وحين ذُكر أن كثيرين جاءوا متطوعين بتقدماتهم (ع ٢٢) فيبدو أن البعض لم يأتوا، وهؤلاء

هم الذين كانوا يحبون ذهبهم أكثر من إلههم، ولم يطاوعهم قلبهم في التخلي عنه، حتى ولو كان من أجل خدمة خيمة الاجتماع. وهم يحبون التدين، بشرط أن يكون رخيصا ولا يكلفهم شيئا.

(٤) كانت التقدمات من نوعيات مختلفة بحسب مقدرة الفرد؛ فالذين لم تكن لديهم أحجار نفيسة جاءوا بشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود تُخس (جلود حيوانات بحرية). وفلسين من امرأة فقيرة تقبَّلهما الله بأكثر مما تقبَّل تقدمة كبيرة من أحد الأغنياء. لأن الله ينظر إلى قلب المعطي أكثر مما ينظر إلى قيمة عطيته.

(٥) كثير مما قدموه تمثل في خزائم وأقراط وخواتم وقلائد وكلها من ذهب (ع ٢٢)، فحتى النساء أسهمن بحُليهن، وإذا ما نظرنا إلى القواعد التي تضمنها الكتاب المقدس بخصوص ملبسنا على أنها صارمة للغاية (١تي ٢: ٩ و١٠؛ ١بط ٣: ٣ و٤) أخشى أننا ما كنا لنستطيع أن نعمل ما عملته هؤلاء النسوة من بني إسرائيل، وهذه الأشياء الثمينة التي قدمنها لعل معظمها مما سبق أن سلبنه من المصريات. وما كان ليخطر على بال أحد أن ثروة مصر كان يمكن أن تُستخدم هذا الاستخدام الحسن. ليُعط كل واحد «ما تيسر» (١كو ١٦: ٢). والنجاحات الرائعة تأتي نتيجة التقدمات الرائعة غير أنه كان لابد من الاهتمام البالغ حتى لا تختلط آلهة مصر بذهب مصر.

ثانيا: العمل الذي تم في خيمة الاجتماع: «وكل النساء الحكيمات القلب غزلن بأيديهن» (ع ٢٥). البعض منهن غزلن أنسجة ناعمة الملمس باللونين الأسمانجوني والأرجواني، والبعض أعمالا خشنة من شعر المعزى، ومع ذلك فقد ذُكر أن عملهن كان يتطلب مهارة كبيرة (ع ٢٦). وكما أن قبول الله لا يقتصر على التقدمات الغنية فقط، فهكذا أيضا لا يقتصر قبوله على الأعمال الدقيقة دون غيرها. وقد أُولي الاهتمام هنا بذكر أعمال النسوة الطيبات من أجل الله على قدم وساق مع أعمال بصلئيل وأهوليآب. وقيام مريم بدهن رأس المسيح بالطيب ذُكر تذكارا لها (مت ٢٦: ١٣)، كما حُفظت أيضا أسماء النسوة اللواتي جاهدن في خدمة الإنجيل (في ٤: ٣)، واللواتي كن مساعدات لبولس في المسيح يسوع (رو ١٦: ٣). ويمكن للفقير أن يساعد الفقير، وأولئك الذين لا يمتلكون سوى جهودهم ومشاعرهم قد يكونون نافعين للغاية في أعمال المحبة.

عدد ٣٠- ٣٥

هنا التعيين الإلهي للعاملين الأساسيين، حتى لا ينجم صراع حول الوظائف، «لأن الله ليس إله تشويش، بل إله سلام».

(١) والذين يستدعيهم الله بالاسم لخدمته، يعطيهم أن يمتلئوا «من روح الله»، وذلك ليؤهلهم للعمل (ع ٣٠ و٣١). والمهارة في الأعمال الدنيوية هي عطية من الله «من فوق نازلة» (يع ١: ١٧). وهكذا فعندما عُين الرسل ليكونوا البنائين الأساسيين في إقامة خيمة الإنجيل ملأهم الروح القدس «بالحكمة والفهم والمعرفة».

(٢) لم يُعيَّنوا للإشراف فقط، بل للعمل (ع ٣٢).

(٣) لم يُقصد بهم أن يتولوا الإشراف على العمل وأن يعملوا أيضا بأنفسهم فقط، بل لكي يعلِّموا آخرين أيضا (ع ٣٤). فلم يُعط بصلئيل سلطة إصدار الأوامر فقط، بل كان يجب أن يحمل كذلك عبء التعليم. فالذين يرأسون عليهم مهمة التعليم أيضا، والذين أنعم الله عليهم بالمعرفة، عليهم أن يسهموا في توصيلها للآخرين من أجل نفعهم، وألا يشتهوا احتكارها.

الأصحاح السادس والثلاثون

في هذا الأصحاح:

أولا: بدء العمل الخاص بخيمة الاجتماع (ع ١- ٤).

ثانيا: مطالبة الشعب بعدم تقديم مزيد من الإسهامات (ع ٥- ٧).

ثالثا: وصف دقيق لصنع خيمة الاجتماع نفسها، ستائرها الجميلة (ع ٨- ١٣). الشقق الخشنة (ع ١٤- ١٩). الألواح (ع ٢٠- ٣٠) العوارض (ع ٣١- ٣٤). الحجاب (ع ٣٥ و٣٦). الستائر الخاصة بمدخل الخيمة (ع ٣٧ و٣٨).

عدد ١ – ٧

أولا: بدأ العمال في العمل دونما تأخير، حيث باشروا العمل فعلا (ع ١) فبعد أن أهلهم الله للعمل، شرعوا في التنفيذ. وقد بدأوا بعد أن استدعاهم موسى (ع ٢). والذين يُستدعون لبناء خيمة الإنجيل هم الذين أعطاهم الله بنعمته أن يكونوا مهيئين للعمل، وليس هناك ما يعوق انخراطهم فيه. والمقدرة والرغبة (مع العزيمة) هما الأمران اللذان يُعتد بهما في دعوة الخدام. لقد سلم موسى المواد التي تبرع بها الشعب للعمال (ع ٣). والنفوس الثمينة هي المادة المطلوبة لخيمة الإنجيل، ولقد أُقيموا «بيتا روحيا» (١بط ٢: ٥). ولهذه الغاية عليهم أن يقدموا أنفسهم قربانا للرب ولخدمته (رو ١٥: ١٦)، وهنا يصبحون في رعاية خدامه كبنائين، لكي يُشكَّلوا ويُصاغوا ببنائهم، ويزدادوا في القداسة حتى يأتوا جميعا مثل ستائر خيمة الاجتماع، في «وحدانية الإيمان» لننمو «هيكلا مقدسا» (أف ٢: ٢١ و٢٢؛ ٤: ١٢ و١٣).

ثانيا: وقف المزيد من التبرعات. ذلك أن الشعب استمر يجيء «إليه أيضا بشيء تبرعا كل صباح» (ع ٣). ويُلاحظ هنا:

(١) أمانة العمال: فبعد أن قطَّعوا الأجزاء الخاصة بالعمل ووجدوا أن المواد تكفي وتكاد تفيض توجهوا بجملتهم إلى موسى ليخبروه بأنهم ليسوا في حاجة إلى المزيد من التبرعات (ع ٤ و٥). كانوا رجالا أمناء شرفاء، ولم يقبلوا أن يبتزوا الشعب وأن يثروا أنفسهم على حساب ما قُدم للرب. والذين يخدعون شعبا هم أسوأ المخادعين.

(٢) كرم الشعب: وهذا مثال نادر! فمعظم الناس يحتاجون إلى مَنْ يحمسهم لكي يسهموا في عمل الخير، وقليلون هم الذين يحتاجون إلى من يُوقف فيض كرمهم، على غرار ما كان عليه هذا الشعب.

عدد ٨ – ١٣

كان أول ما أقدموا عليه هو عمل هيكل البيت، الذي لم يُصنع من خشب أو حجارة، بل من ستائر تم تطريزها ببراعة فائقة ورُكبت معا. وقد اتخذ هذا كرمز لحالة الكنيسة في هذا العالم، والتي هي قصر ملكوت الله بين الناس. فهو قصر متواضع غير مستقر، ويشبه حالة البدو الرحل، فالرعاة يسكنون الخيام، والله هو راعي إسرائيل، الجنود يقيمون في خيام، والله يحارب عن شعبه، وكنيسته تسير عبر أرض العدو، ولابد أن تشق طريقها بالقوة. يحيط ملوك الأرض أنفسهم بالأرز (إر ٢٢: ١٥)، أما تابوت عهد الله فقد أُسكن في ستائر فحسب. ومع ذلك فثَمة جمال في القداسة، وكانت الستائر مطرزة، وهكذا تزينت الكنيسة بمواهب وعطايا الروح القدس «بملابس مطرزة» (مز ٤٥: ١٤).

عدد ١٤ – ٣٤

(١) ملاذ الكنيسة وحمايتها الخاصة ترمز إليها الستائر التي من شعر المعزى، التي كانت تُبسط فوق خيمة الاجتماع، وكذلك الأغطية التي صُنعت من جلود كباش محمَّرة ومن جلود تُخس فوقها (ع ١٤– ١٩). وقد دبَّر الله لشعبه «مظلة للفيء نهارا من الحر، وملجأ ولمخبأ من السيل ومن المطر» (إش ٤: ٦). والذين يسكنون في بيت الرب، سوف يجدون أنه ليس ثَمة مطر يخترقه على الرغم من شدة العاصفة والسيل المتواصل.

(٢) إن قوة الكنيسة وثباتها ترجع– على الرغم من كونها مجرد مسكن مؤقت إلى الأطر والعوارض التي كانت تحمل الستائر (ع ٢٠– ٣٤).

عدد ٣٥ – ٣٨

(١) عمل حجاب فاصل بين القدس وقدس الأقداس (ع ٣٥ و٣٦). وهذا ما يشير إلى ظلال وبُعد ذلك التدبير إذا ما قورن بالعهد الجديد، الذي يرينا مجد الله بشكل أوضح، ويدعونا للاقتراب منه.

(٢) عُملت ستارة لمدخل الخيمة (ع ٣٧ و٣٨). وكان الناس يجتمعون عند هذا المدخل، على الرغم من أنهم كانوا ممنوعين من الدخول، لأنه طالما كنا في هذه الحالة الراهنة، أي في العالم، فينبغي أن نقترب إلى الله على قدر استطاعتنا.

الأصحاح السابع والثلاثون

لا يزال بصلئيل ورجاله مستغرقين في العمل، ذلك أنهم كانوا يصنعون:

أولا: التابوت والغطاء والكروبين (ع ١– ٩).
ثانيا: المائدة وأوانيها (ع ١٠– ١٦).
ثالثا: المنارة ولوازمها (ع ١٧– ٢٤).
رابعا: مذبح البخور الذهبي (ع ٢٥– ٢٨).
خامسا: دهن المسحة المقدس والبخور (ع ٢٩).

عدد ١ – ٩

أولا: سجل موسى بالتفصيل التعليمات التي تلقاها على الجبل بخصوص عمل كل هذا. فلماذا إذن استغرقت هذه القصة أصحاحات كثيرة؟ وهنا علينا تأمل الأتي:

(١) كتب موسى هذا أساسا لشعب بني إسرائيل، الذين يهمهم جدا أن يقرأوا ويسمعوا كثيرا عن هذه الكنوز الإلهية المقدسة التي ائتُمنوا عليها. ونحن في حاجة إلى أن نلهج في هذه الأمور العظيمة المتعلقة بناموس الله وإنجيله مرات ومرات.

(٢) بهذا يُظهر موسى العناية العظيمة التي أولاها هو وعماله لكي يصنعوا كل شيء مطابقا تماما للنموذج الذي عُرض عليه على الجبل. وإذ سبق وأعطانا الأصل، فقد جاء هنا يعطينا نسخة، حتى نقارن بينهما، ونتأكد كيف أنهما متطابقان تماما.

ثانيا: تتضمن هذه الفقرة قصة عمل التابوت، مع ملحقاته العظيمة ذات الدلالة البالغة، مثل غطاء الكفارة والكروبين. وإذا ما تأملنا هذه الأشياء الثلاثة معا سنجد أنها تقدم لنا مجد إله قدوس وإخلاص قلب مقدس، والشركة الموجودة بينهما، في الوسيط ومن خلاله.

عدد ١٠ – ٢٤

أولا: صُنع المائدة التي سيُوضع عليها خبز الوجوه بصفة مستمرة. والله مدبر بيت ممتاز، دائما يحتفظ بمائدة عامرة، أليس العالم خيمته؟ إذن فالعناية الإلهية تمد كافة المخلوقات بمائدة عامرة، فهو الذي يعطي طعاما لكل ذي جسد. أليست الكنيسة خيمته؟ إذن فنعمته فيها ترتب مائدة لكل المؤمنين، وعليها خبز الحياة. ولنلاحظ هنا كيف أن تدبير الإنجيل يفوق كثيرا تدبير الناموس. فعلى الرغم من أننا نجد هنا مائدة، إلا أنه ليس عليها سوى «خبز الوجوه»، وهو خبز يُنظر إليه فقط، ولا يؤكل منه طالما ظل على هذه المائدة، أما بعد ذلك فلا يأكل منه سوى الكهنة، أما بالنسبة للمائدة التي رتبها المسيح في العهد الجديد، فكل المؤمنين الحقيقيين مدعوون إليها. ولقد قيل لهم: تعالوا يا أصدقائي «خذوا كلوا». فما يعطي الناموس فكرة عنه من على بُعد يقدمه الإنجيل لنتمتع به، ويرحب بنا ترحيبا حارا لكي نفعل ذلك.

ثانيا: صنع المنارة، وكلها صنعة الخراط من ذهب نقي (ع ١٧، ٢٢). والكتاب المقدس يُعد منارة ذهبية، وهو من ذهب خالص (مز ١٩: ١٠). وينتشر النور منه إلى كل جزء من خيمة الله.

عدد ٢٥ – ٢٩

أولا: عمل مذبح البخور الذي يُوقد عليه البخور يوميا، الأمر الذي يشير إلى صلوات القديسين وشفاعة المسيح. أما بالنسبة للحلقتين والعصوين وكل ملحقات المذبح فكانت مغشاة بالذهب، كما أن كل أواني المائدة والمنارة كانت من ذهب، لأنها كانت تُستعمل في القدس.

ثانيا: عداد البخور الذي كان سيُوقد على هذا المذبح، ومعه دهن المسحة المقدس (ع ٢٩).

الأصحاح الثامن والثلاثون

يتحدث هذا الأصحاح:

أولا: عن مذبح النحاس (ع ١– ٧)، والمرحضة (ع ٨).

ثانيا: إعداد الستائر اللازمة لإحاطة الفناء التي ستُقام فيه خيمة الاجتماع (ع ٩– ٢٠).

ثالثا: ملخص للذهب والفضة والنحاس الذي تم التبرع به واستُخدم في إعداد الخيمة (ع ٢١– ٣١).

عدد ١ – ٨

بعد أن أنهى بصلئيل الأعمال التي استُخدم فيها الذهب، والتي رغم جمالها وثرائها إلا أنه أُمر أن تكون في غالبية الأحيان بعيدة عن الأنظار داخل الخيمة نفسها، انتقل بعد ذلك لإعداد الفناء المفتوح

أمام الجميع. وثَمة شيئان وُضعا في الدار، وكلاهما مصنوع من النحاس، وهما:

أولا: مذبح المحرقة (ع ١– ٧). وعليه تقدم جميع ذبائحهم.

ثانيا: مرحضة، بها ماء ليغتسل به الكهنة حين يدخلون للخدمة (ع ٨). وذُكر هنا أنها صُنعت من مرايا النساء اللائي تجمعن عند مدخل الخيمة.

(١) يبدو أن هؤلاء النسوة كن من البارزات وممن كن مثالا يُحتذى به في العبادة. وكانت حنة مثلهن، وهي التي نقرأ عنها بعد ذلك بزمان طويل، والتي لم تكن «تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا» (لو ٢: ٣٧).

(٢) لقد استغنت هؤلاء النسوة عن مراياهن من أجل الخيمة وخشية أن يحتاج العمل إلى نحاس، أو لا يتوفر لهم نحاس من نوعية جيدة، فقد رأين الاستغناء عن مراياهن، على الرغم من أن السيدات بصفة عامة لا تستطعن الاستغناء عن المرايا.

(٣) استُخدمت هذه المرايا لصنع المرحضة. إما عن طريق تشبيكها معا وإما أنها صُهرت وصُبت من جديد.

عدد ٩– ٢٠

جدران الفناء كان مثل البقية، ستائر عُملت بحسب المواصفات (خر ٢٧: ٩– ١٩). وهذه تمثل حالة كنيسة العهد القديم، كانت مثل حديقة مسورة، وكان المصلون حينذاك محصورين في مساحة صغيرة. غير أنه لما كانت هذه المساحة مسيَّجة بستائر فقط، فقد كانت تشير بذلك إلى أن حصر الكنيسة في أمة واحدة لم يكن أمرا مستديما. وكان التدبير نفسه هو تدبير خيمة، متحركا غير مستقر، وفي الوقت المناسب سوف تُفك وتُطوى، حين يجب أن يُوسَّع مكان الخيمة، وتُطول أطنابها، حتى يُوجد فيها مكان للعالم الأممي، وهذا ما تم التنبوء به في إشعياء ٥٤: ٢ و٣.

عدد ٢١– ٣١

نجد هنا ملخصا عن إعطاء الذهب والفضة والنحاس للاويين بناء على أوامر موسى لكي يحفظوها، وهي التي تبرع بها الشعب من أجل خيمة الاجتماع، وكيفية استخدامها. وقد عُين إيثامار بن هارون لكي يصوغ هذا الحساب، وهكذا من خلال بعض الأعمال غير الصعبة تم تدريبه وتهيئته لأعمال أكبر (ع ٢١). وكان على بصلئيل وأهوليآب أن يقدما هذا الحساب (ع ٢٢ و٢٣) على أن يقوم إيثامار بمراجعته، ثم يقدمه لموسى. وقد جاء الحساب على النحو التالي:

(١) كل الذهب كان تبرعا اختياريا.

(٢) جُمعت الفضة كضريبة، وقد دفع كل رجل نصف الشاقل، وهذا نوع من ضريبة الرؤوس.

الأصحاح التاسع والثلاثون

هذا الأصحاح يتضمن تقريرا عن انتهاء العمل الخاص بخيمة الاجتماع. أخر شيء تم إعداده هو الثياب المقدسة. الرداء والزنار الذي تم نسجه ببراعة فائقة (ع ١– ٥). وحجري الجزع للكتفين (ع ٦ و٧). الصدرة والحجارة الكريمة التي فيها (ع ٨– ٢١). جبة الرداء (ع ٢٢– ٢٦). الأقمصة، والعمائم والسراويل، للكهنة العاديين (ع ٢٧– ٢٩). وصفيحة الإكليل المقدس (ع ٣٠ و٣١).

عدد ١– ٣

في هذا الجزء الذي يتحدث عن صنع ثياب الكهنة طبقا لتعليمات موسى (خر ٢٨)، نلاحظ الآتي:

(١) سُميت ثياب الكهنة ثيابا للخدمة (ع ١). ولقد قيل عن أولئك المتسربلين بثياب بيض إنهم «أمام عرش الله ويخدمونه نهارا وليلا» (رؤ ٧: ١٣، ١٥).

(٢) الفقرات الست الواردة هنا والتي تقدم تقريرا واضحا عن موضوع صُنع هذه الثياب المقدسة كانت تُختم بهذه العبارة «كما أمر الرب موسى» (ع ٥، ٧، ٢١، ٢٦، ٢٩، ٣١). وهذه إشارة لجميع خدام الرب أن يتخذوا من كلمة الله نبراسا لهم في جميع خدماتهم، وأن يتصرفوا على ضوء أمر الله وطاعته.

(٣) هذه الثياب أنيقة ورائعة لكي تتناغم مع بقية أثاث الخيمة. وشعب الله في بداياته هكذا سُر وتعلَّم من خلال الأشياء الجميلة والبسيطة لهذا العالم.

(٤) هذه كلها كانت ظل الخيرات العتيدة، غير أن الجوهر هو المسيح، ونعمة الإنجيل، ولذلك فإنه حين يأتي الأصل فإنه من الحماقة أن نُفتن بالصورة أو بالظل.

أ. المسيح هو رئيس كهنتنا العظيم، وحين تعهَّد بعمل فدائنا، ارتدى ثياب الخدمة.

ب. المؤمنون الحقيقيون هم كهنة روحيون. والكتان النقي الذي يجب أن تُصنع منه كل ثياب الخدمة هو «تبررات القديسين» (رؤ ١٩: ٨).

عدد ٢٣ – ٤٣

أولا: أنهى بناة الخيمة عملهم بسرعة عظيمة. فلم تزد المدة عن خمسة شهور من بداية العمل حتى نهايته.

ثانيا: نفذوا الأوامر بكل دقة، ولم يحيدوا عنها قيد أنملة. وقد كان ما صنعوه «بحسب كل ما أمر الرب موسى» (ع ٣٢، ٤٢).

ثالثا: جاءوا إلى موسى بكل ما صنعوا، لكي يتفقده ويرى مدى مطابقته (ع ٣٣). وعلى الرغم من أنهم يعرفون كيف تم تنفيذ العمل بأكثر دقة إلا أن موسى كان أكثر منهم معرفة بالنموذج المطلوب، ولذلك لم يكونوا ليُسروا بعملهم إلا إذا أثنى عليه موسى.

رابعا: بعد أن تفحص موسى العمل وجد أن كل شيء قد تم بحسب التعليمات (ع ٤٣). ونلاحظ أنهم قاموا بالعمل طبقا للنموذج الذي رآه موسى، لأن ذاك الذي أعطى موسى النموذج هو نفسه الذي أرشدهم عند قيامهم بهذا العمل.

خامسا: باركهم موسى.

(١) أثنى عليهم، وأظهر رضاءه على كل ما صنعوه. لأن كل ما عملوه كان تحت قيادة روح الله.

(٢) لم يكتف بأن أثنى عليهم، بل وصلى من أجلهم أيضا.

الأصحاح الأربعون

في هذا الأصحاح:

أولا: أُعطيت الأوامر لإقامة خيمة الاجتماع ووضع كل الملحقات في أماكنها الصحيحة (ع ١– ٨)، وتقديسها (ع ٩– ١١)، وتقديس الكهنة (ع ١٢– ١٥).

ثانيا: كان هناك اهتمام بالغ لكي يتم كل شيء حسب التعليمات (ع ١٦– ٣٣).

ثالثا: مَلَك الله على الخيمة بواسطة السحابة (ع ٣٤– ٣٨).

عدد ١ – ١٥

فُحصت مواد خيمة الاجتماع وأثاثاتها كلٌ على حدة وتم قبولها، وجاء الآن وقت تركيبها ووضع كل شيء في المكان المحدد له:

(١) حُدد الميعاد الذي يتم فيه ذلك وهو «في الشهر الأول في اليوم الأول من الشهر» (ع ٢). وإنه لأمر طيب أن نبدأ السنة بعمل طيب. وليُعط لله العالي مكان الصدارة، ولتكن الأمور المتعلقة بملكوته هي أول ما نسعى إليه. نلاحظ أنهم في عهد حزقيا بدأوا تقديس الهيكل «في أول الشهر الأول» (٢أخ ٢٩: ١٧). وقد أُمر موسى أن يقيم الخيمة أولا، التي سيسكن فيها الله ويُعبد (ع ٢)، وبعد ذلك يضع التابوت في مكانه ثم يستره بالحجاب (ع ٣). يلي ذلك ترتيب المائدة والمنارة ومذبح البخور وراء الحجاب (ع ٤ و٥)، ثم تُثبت ستائر الباب للمسكن. ثم يضع مذبح المحرقة والمرحضة في الدار (ع ٦ و٧). وأخيرا عليه أن يضع ستائر الدار وستائر لباب الدار.

(٢) بعد أن أقام موسى خيمة الاجتماع وأثاثاها، صدر له الأمر أن يقدسها ويقدس الكهنة بدهن المسحة الذي سبق إعداده لهذا الغرض (خر ٣٠: ٢٥– ٣٨). وقُدس كل شيء بعد أن وُضع في مكانه الصحيح. وكما أن كل شيء في ميعاده يكون جميلا، هكذا الحال أيضا حينما يكون كل شيء في مكانه.

(٣) أمره أن يقدس هارون وبنيه.

عدد ١٦ – ٣٣

بعد أن رُتبت خيمة الاجتماع وكل أثاثاها، أقاموها

في وسط المحلة، فيما كانوا في البرية. هنا نجد وصفا للعمل الذي تم في أول يوم من أيام السنة. فقد تم ستر كل ما أُريد ستره (ع ٢١)، وما كان يتطلب الأمر استعماله استُعمل على الفور. وما عمله موسى فإنما كان بتفويض وأوامر خاصة من الله، ولم يفعل ذلك كنبي أو مشرِّع، بل ككاهن. لقد أدار عجلة العمل، ثم تركه في أيدي مَنْ عُيِّنوا للخدمة.

(١) بعد أن وضع المائدة، رتب عليها خبز الوجوه (ع ٢٣).

(٢) بعد أن ثبت المنارة «أصعد السرج أمام الرب» (ع ٢٥).

(٣) إذ وضع مذبح الذهب في مكانه، أسرع «وبخَّر عليه ببخور عطر» (ع ٢٧).

(٤) فور أن أقيم مذبح المحرقة في دار الخيمة، أسرع «وأصعد عليه المحرقة والتقدمة» (ع ٢٩).

(٥) كذلك بالنسبة للمرحضة، بعد أن وضعها في مكانها، قام موسى نفسه وغسل يديه ورجليه.

عدد ٣٤- ٣٨

وكما كان الحال في الخليقة، حين أنهى الله خلق الأرض التي قصد أن يسكن الإنسان فيها، خلق الإنسان وملكه عليها، فهكذا أيضا حين أتم موسى صُنع خيمة الاجتماع، والتي قُصد أن يسكن الله فيها ليكون بينهم، جاء الله وامتلكها. وحين يكون لله عرش ومذبح في النفس، يكون هناك مذبح حي. وبناء على ذلك، حين نزل الله لكي يمتلك بيته، «غطت السحابة خيمة الاجتماع» من الخارج، «وملأ بهاء الرب المسكن» من الداخل.

أولا: «غطت السحابة خيمة الاجتماع». وقُصد بهذه السحابة أن تكون:

(١) علامة على وجود الله بصفة دائمة وبشكل مرئي نهارا وليلا (ع ٣٨) لجميع بني إسرائيل، حتى بالنسبة لأولئك الذين كانوا يقيمون في أقصى أطراف المحلة، حتى لا يتشككوا بعد ذلك إطلاقا في وجود الرب معهم، ومن ثَمَّ لا يتساءلون: «أفي وسطنا الرب أم لا؟»

(٢) تغطية الخيمة: ومجد الله فيها. حقا سكن الله في وسطهم، لكنه سكن في سحابة.

(٣) حماية الخيمة: لقد عملوا على حمايتها بغطاء فوق آخر، إلا أنه على الرغم من ذلك كله، كانت السحابة التي غطتها، أفضل حارس لها. والذين يسكنون في بيت الرب يكونون آمنين تحت الحماية الإلهية (مز ٣٧: ٤ و٥).

(٤) مرشدا لبني إسرائيل في مسيرتهم عبر البرية (ع ٣٦ و٣٧). كانوا يستريحون طالما ظلت السحابة فوق الخيمة، وكانوا يرتحلون حين ترتفع، حيث كانوا يتبعونها، ذلك أنهم كانوا تحت التوجيه الإلهي وحده.

ثانيا: «وملأ بهاء الرب المسكن» (ع ٣٤ و٣٥). كان في نور ونار، إذ إن سحابة المجد أظهرت نفسها، لأن الله نور.

اللاويين

لا يحتوي هذا السفر في مجمله على أحداث تاريخية فيما عدا ما ذكره لنا عن تكريس خدمة اللاويين (الأصحاحان ٨ و٩)، وعقاب ناداب وأبيهو بواسطة الله لتقديمهما نارا غريبة لم يأمر الله بها (الأصحاح ١٠)، ومعاقبة ابن شلومية على يد القاضي؛ لتجديفه (الأصحاح ٢٤). أما بقية السفر فقد اتسم بالشرائع المتعددة، وبصفة أساسية الشرائع الدينية التي أعطاها الله لإسرائيل على يد موسى، والمتعلقة بذبائحهم ونقدماتهم، طعامهم وشرابهم، والغسلات المختلفة، والخصائص الأخرى التي بواسطتها أفرز الله هذا الشعب لنفسه، وميَّزه عن سائر الأمم. هذه الأمور كلها لم تكن سوى ظلال للأمور السارة الآتية، والتي تحققت وحلت بدلا منها وذلك بإنجيل المسيح. ونحن نسمي هذا السفر «اللاويين» وذلك نقلا عن الترجمة السبعينية، ذلك لأنه يحوي النواميس والفرائض الخاصة بالكهنوت اللاوي (بحسب ما أُطلق عليه في عبرانيين ٧: ١١)، والخدمة المنوطة به. وقد كُلف اللاويون أساسا بهذه الفرائض، كما كان عليهم أيضا أن يُعلِّموا الشعب ما هو مطلوب منه بشأنها. نقرأ في ختام السفر السابق عن إقامة خيمة الاجتماع، والتي أُريد بها أن تكون مكانا للعبادة، وكما أن هذه الخيمة أُقيمت طبقا للنموذج الذي طلبه الله، هكذا كان الحال أيضا بالنسبة لفرائض العبادة التي كانت ستُؤدى فيها.

الأصحاح الأول

يبدأ هذا السفر بالوصايا المتعلقة بالذبائح، وأقدمها هي ذبائح المحرقة، والتي يعطي الله لموسى التعليمات الخاصة بها في هذا الأصحاح.

أولا: إذا كانت عجلا (ع ٣- ٩).

ثانيا: إذا كانت من الغنم، الضأن أو المعز (ع ١٠- ١٣).

ثالثا: إذا كانت من اليمام أو من أفراخ الحمام (ع ١٤- ١٧). وسواء كانت قيمة التقدمة صغيرة أم كبيرة فإنها- إذا قُدمت بقلب مستقيم، وطبقا لهذه الشرائع، فإنها تكون مقبولة من الله.

عدد ١ و٢

من المسلَّم به أن الناس ترغب في تقديم ذبائح للرب. وتفترض الديانة الموحى بها أن التقليد يخبرنا عن أقدم وأول فريضة عرفها الإنسان. فبالنظر إلى السقوط توجه الناس بواسطة الذبائح لتمجيد الله، الأمر الذي يُعد اعترافا ضمنيا بأنهم تسلموا كل شيء من الله باعتبارهم من خلائقه، وأنهم خسروا كل شيء باعتبارهم خطاة. ولقد عُملت الترتيبات بحيث لا ينساق الناس وراء خيالاتهم، أو تصبح ذبائحهم ضربا من العبث، خشية أنهم في الوقت الذي يدعون فيه أنهم يمجدون الله تراهم في واقع الأمر يسيئون إليه. وعلى هذا كان الترتيب بأن يُعمل كل شيء بحيث تشير الذبائح في إطار من الأهمية إلى ذبيحة الكفارة العظيمة التي كان على المسيح أن يُقدمها في ملء الزمان، وكذلك إلى ذبائح الشكر الروحية التي يجب على المؤمنين تقديمها يوميا. ولقد أعطى الله هذه الشرائع إلى إسرائيل على يد موسى. فمن خلال الأنبياء بعث الله برسائل إلى شعبه، غير أنه أعطاهم

الوصايا من خلال موسى. وفور أن احتلت سحابة المجد مسكنها الجديد، تكلم الله مع موسى من على غطاء التابوت، في حين أن موسى كان يقف خارج الحجاب، أو بالأحرى عند باب الخيمة، حيث كان يسمع الصوت فقط. لقد أُقيمت الخيمة لتكون مكانا للشركة بين الله وبني إسرائيل، فهناك، حيث يؤدون عباداتهم لله، كان الله بدوره يُعلن لهم مشيئته. وإذا كان الناموس الأدبي قد أُعطي في إطار من الرعب، من على جبل يحترق رعدا وبرقا، إلا أن الناموس الشافي أُعطي بكل وداعة من على غطاء التابوت، لأن ذلك كان مثالا لنعمة الإنجيل التي هي خدمة حياة وسلام.

عدد ٣ – ٩

إذا كان الإنسان غنيا وقادرا، فمن المفترض أن يقدم محرقته التي يقصد أن يمجد الله بواسطتها، بأن ينتقيها من بين أفضل ما يضمه قطيعه.

(١) والحيوان الذي يُنتقى لتقديمه كذبيحة يجب أن يكون ذكرا، بلا عيب، وأفضل ما عنده في مرعاه.

(٢) يجب أن يقدِّم الحيوان بكامل إرادته. وما يُعمل في الديانة بغية إرضاء الله، لا يجب أن يتأتى نتيجة أي وازع سوى المحبة.

(٣) يجب تقديمه عند باب خيمة الاجتماع، حيث مذبح النحاس الخاص بذبائح المحرقة، الذي يقدس التقدمة. عليه أن يقدمها عند الباب باعتباره غير مستحق للدخول، ويعترف بأنه لا مجال للخاطئ للدخول في عهد وشركة مع الله، ولا يتسنى له ذلك إلا من خلال ذبيحة.

(٤) على مقدم الذبيحة أن يضع يده على رأسها (ع ٤)، فهذا يشير إلى:

أ. تحويل كل حقه في الذبيحة إلى الله.

ب. اعتراف بأنه يستحق الموت، وأنه مستعد للموت إذا ما طلب الله ذلك.

ج. الثقة في الذبيحة، على اعتبار أنها النموذج الذي وضعه الله ليرمز إلى الذبيح العظيم الذي وُضع عليه إثم جميعنا. وعلى الرغم من أن ذبائح المحرقة ليست لها صلة بأية خطية معينة، مثلما هو الحال بالنسبة لذبيحة الخطية، إلا أنها مع ذلك تعمل كفارة عن الخطية بصفة عامة.

(٥) يتم ذبح الذبيحة بمعرفة الكهنة واللاويين أمام الرب، أي بتقوى وورع.

(٦) الكهنة «يرشون الدم مستديرا على المذبح» (ع ٥)، ونظرا لأن الدم هو الحياة، فإنه هو الذي يصنع كفارة للنفس.

(٧) يجب سلخ الذبيحة وقطعها بطريقة لائقة وتقسيمها إلى أجزائها أو قطعها المختلفة، وبعد ذلك تُحرق جميع القطع مع الرأس والشحم على المذبح (ع ٦– ٩).

(٨) وسُميت هذه «محرقة وقود رائحة سرور للرب». وحرق اللحم في حد ذاته أمر لا قيمة له، غير أنه– كعمل تم لإطاعة أمر إلهي، وكمثال للمسيح، كان أمرا مُسرا لله، ومصالحا إياه مع مقدم الذبيحة. وتقديم المسيح ذاته لله قيل عنه إنه «رائحة طيبة» (أف ٥: ٢)، والذبائح الروحية التي يقدمها المسيحيون وُصفت بأنها «مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١ بط ٢: ٥).

عدد ١٠ – ١٧

تتضمن هذه الفقرة الشرائع الخاصة بالمحرقات التي تُقدم من الغنم أو الطيور، ممن هم من الطبقة المتوسطة. والذين ليس بمقدورهم أن يقدموا عجلا، يمكنهم أن يقدموا من الغنم (الضأن أو المعز)، أما أولئك الذين لا يقدرون على عمل ذلك فسوف يقبلهم الله إذا ما أحضروا قربانا من اليمام أو من أفراخ الحمام. ولوحظ أن هذه المخلوقات قد اختيرت لتقديمها كذبائح لأنها أليفة وغير مؤذية، كما أنها ليست عدوانية، فهي ترمز إلى البراءة والوداعة اللتين كان يتسم بهما المسيح، ولتعلمنا أن هاتين السمتين يجب أن تتوافرا في المسيحيين، وقد تضمنت هذه الفقرة توجيهات:

(١) فيما يختص بذبائح المحرقة التي من الغنم (ع ١٠)، وأسلوب معالجة هذه النوعية هو نفس ما يتبع بالنسبة للعجول.

(٢) بالنسبة لتلك التي من الطير، يجب أن تكون من «اليمام أو من أفراخ الحمام». واليمام أو أفراخ الحمام التي يقدمها الفقراء وُصفت هنا بأنها «محرقة وقود رائحة سرور للرب»، تماما مثلما وُصفت المحرقات التي تُقدم من الثيران أو العجول التي لها قرون أو حوافر. ومع ذلك فإن محبة الله من كل القلب ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح (مر ١٢: ٣٣).

الأصحاح الثاني

نجد في هذا الأصحاح التشريع الخاص بقربان التقدمة:

أولا: نوعية التقدمة سواء كانت من دقيق مع زيت ولبان (ع ١)، أو مخبوزة في تنور (ع ٤)، أو على الصاج (ع ٥ و٦)، أو من طاجن (ع ٧).

ثانيا: طريقة عملها، من الدقيق (ع ٢ و٣)، من الفطير (ع ٨– ١٠).

ثالثا: بعض القواعد الخاصة بها، من حيث عدم وجود استخدام الخمير والعسل بأي حال (ع ١١ و١٢)، ويجب أن يكون قربان التقدمة مملحا بملح (ع ١٣).

رابعا: الشريعة الخاصة بتقدمة الباكورات من الحبوب (ع ١٤– ١٦).

عدد ١– ١٠

تتعلق الشريعة التي يتضمنها هذا الأصحاح بقرابين التقدمة التي كانت تُقدم حينما كان يشعر إنسان بأن هناك سببا يدعوه إلى التعبير عن ولائه لله. وأول تقدمة قربان نقرأ عنها في الكتاب المقدس كانت من هذه النوعية: «قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب» (تك ٤: ٣).

أولا: عُينت هذه النوعية من التقدمة بحيث:

(١) تناسب الفقراء ومقدرتهم، حتى إن أولئك الذين يعيشون على الخبز والفطير فقط، يكون بإمكانهم أن يقدموا قربانا مقبولا لدى الله من نفس طعامهم الخشن المألوف.

(٢) كاعتراف مناسب برحمة الله تجاههم فيما يتعلق بطعامهم. وكان هذا بمثابة الأجر الذي يُظهرون بواسطته اتكالهم على الله وشكرهم له، وما يتوقعونه منه. والذين يقدمون الآن، بقلب شاكر، من قوتهم للجوعى، إنما بهذا يقدمون لله قربان تقدمة مقبولا لديه.

ثانيا: الشرائع الخاصة بقربان التقدمة كانت على النحو التالي:

(١) يجب أن تكون مكوناته دائما من دقيق وزيت، وهما من السلع الرئيسية لأرض كنعان (تث ٨: ٨). وكانوا يستخدمون الزيت في طعامهم مثلما نستخدم نحن الزبد الآن في طعامنا.

(٢) إذا كانت دقيقا غير مخبوز، فإلى جانب الزيت يجب أن يُضاف معه اللبان أيضا، حيث يتم إيقادها معه (ع ١ و٢)، وذلك من أجل تعطير المذبح.

(٣) أما إذا كانت مُعدّة، فيمكن أن يتم هذا بطرق عديدة، فعلى مقدمها أن يخبزها، أو يقدمها مقلية، أو يمزج الدقيق والزيت على صاج. وجاءت القوانين دقيقة للغاية حتى بالنسبة لهذه التقدمات التي لا تُكلِّف سوى القليل.

(٤) على صاحب التقدمة أن يقدمها للكاهن، وهذا ما أُشير إليه بعبارة «فتأتي بالتقدمة التي تُصطنع من هذه إلى الرب» (ع ٨).

(٥) جزء منها يُوقد على المذبح كتذكار، أي كعلامة على اعترافهم بسخاء الله نحوهم، بإعطائهم كل شيء بغنى للتمتع.

(٦) والمتبقي من قربان التقدمة يُعطى للكهنة (ع ٣، ١٠). وهكذا رتب الله أن أولئك الذين يخدمون المذبح من المذبح يعيشون، بل ويعيشون في راحة ويسر.

عدد ١١– ١٦

أولا: يحظر استخدام الخمير والعسل في أي من قرابين التقدمة:

(١) ولقد حُرِّم الخمير تذكارا للفطير (خبز بدون خميرة) الذي أكلوه عند خروجهم من مصر.

(٢) ولقد حُرم العسل، مع أن أرض كنعان كانت تفيض به، ويعتقد البعض أن السبب في منع استخدام الخمير والعسل يرجع إلى أن الأمميين كانوا يستخدمونهما كثيرا في ذبائحهم، وأنه لا يجب على شعب الله أن يتعلم طرق الوثنيين أو يستخدمها. والبعض يفسرون هذا المنع المزدوج بأن الخمير يشير إلى الخطية التي تسبب الحزن ومرارة القلب: «لأنه تمرمر قلبي...» (مز ٧٣: ٢١). أما العسل فيرمز إلى الملذات الحسية.

ثانيا: يجب استخدام الملح في جميع القرابين (ع ١٣). فالمذبح هو مائدة الرب، وعلى ذلك، فكما يُوضع الملح دائما على موائدنا، فالله يريدنا أن نستخدمه على مائدته. وقد سُمي «ملح عهد»، لأنه كما أن الناس يؤكدون العهود التي يقطعونها فيما بينهم بالأكل والشرب معا، وفي جميع الأحوال يستعملون الملح، فهكذا الله أيضا، إذ يقبل تقدمات شعبه، ويصنع لهم وليمة بذبائحه، فإنه يتعشى معهم، وهم معه (رؤ ٣: ٢٠)، فإنه بهذا يؤكد عهده معهم. وكان الملح رمزا للصداقة عند القدماء. والملح اللازم للذبائح لم يكن يُحضره مقدموها، بل كان يُشترى على حساب النفقات العامة كما هو الحال بالنسبة للخشب أيضا (عز ٧: ٢٠- ٢٢). وكانت هناك غرفة في دار الهيكل تُسمى غرفة الملح، حيث كانوا يخزنونه فيها. والمسيحية هي ملح الأرض.

ثالثا: ذُكرت التوجيهات الخاصة بالباكورات.

(١) وتقدمة الباكورات عند جمع المحصول، (نقرأ عنها في تثنية ٢٦: ٢). وكانت هذه تُقدم للرب، ليس لكي تُوقد على المذبح، بل لتُعطى للكهنة كمنح نظير وظيفتهم (ع ١٢).

(٢) تقدمة باكورات أول ثمر الأرض. الأولى تُقدم بحسب الناموس، أما هذه فتُقدم بمحض إرادة الشخص (ع ١٤- ١٦).

أ. تأكد من إحضار أول الثمار الناضجة من السنابل الكاملة، وليست الصغيرة التي ذوى نصفها.

ب. هذه السنابل الخضراء يجب أن تجفف بالنار، حتى يمكن إخراج القمح منها.

ج. يجب أن يوضع عليها زيت ولبان. وهكذا تضفي الحكمة والتواضع رقة وحلاوة على أرواح الشباب وخدماتهم. والله يُسر بصفة خاصة بباكورات ثمار الروح، والتعبيرات المبكرة التي تنُم عن التقوى والإخلاص.

د. يجب أن تُستخدم مثل سائر قرابين التقدمة: «فيوقد الكاهن... جميع لبانها وقودا للرب» (ع ١٦، انظر آية ٩). والمحبة المقدسة لله هي النار التي بواسطتها يجب أن تتم جميع تقدماتنا، وإلا فلن تكون رائحة سرور للرب. والبخور يشير إلى وساطة المسيح وشفاعته، والتي بواسطتها تُزكى جميع خدماتنا، وتجعلها مقبولة أمام الله.

الأصحاح الثالث

يتضمن هذا الأصحاح الشريعة الخاصة بذبائح السلامة سواء كانت:

أولا: من البقر، عجلا أو بقرة (ع ١- ٥).

ثانيا: من الغنم، سواء كان ذلك حملا (ع ٦- ١١)، أو من المعز (ع ١٢- ١٧).

عدد ١- ٥

كانت ذبائح المحرقة تعبيرا خالصا عن عبادة الله ومن ثَمَّ كانت تُوقد بكاملها. غير أن ذبائح السلامة كانت تُقدم لله باعتباره المحسن الكريم لخلائقه ومعطي كل ما هو حسن لهم، وعلى ذلك كانت ذبائح السلامة تُقسم بين المذبح والكاهن ومقدم الذبيحة. والسلامة تشير إلى:

(١) المصالحة والاتحاد والشركة، ولذلك سُميت «ذبيحة سلامة»، لأن فيها -إذا جاز التعبير- يشترك الله مع شعبه في الأكل منها معا كعلامة على الشركة بينهم.

(٢) تشير إلى الرخاء والسعادة الكاملة: «السلام لكم» تعني تماما ليكن كل الخير لكم، وهكذا كانت ذبيحة السلامة تُقدم إما:

أ. كتضرع أو التماس لمنفعة مطلوبة أو مرغوبة، أو..

ب. للتعبير عن الشكر مقابل نعمة أُعطيت من الرب. وقد سُميت «ذبيحة شكر سلامته»، لأنها هكذا

تكون في بعض الأحيان، كما تكون «نذرا» في حالات أخرى (لا ٧: ١٥ و١٦). وذبيحة التسبيح تُسِّر الرب بأكثر من ثور ذي قرون وأظلاف.

عدد ٦– ١٧

تتضمن هذه الفقرة التوجيهات الخاصة بذبيحة السلامة، إذا كانت من الخراف أو من الماعز. أما اليمام أو أفراخ الحمام، والتي يمكن تقديمها كذبائح محرقة، ليس مسموحا بتقديمها كذبائح سلامة، ذلك لأنها لا تحتوي على شحم كاف لإيقاده على المذبح. والتشريعات الخاصة بالخراف أو الماعز التي تُقدم كذبائح سلامة هي نفس التشريعات المتعلقة بالعجل.

الأصحاح الرابع

يختص هذا الأصحاح بذبيحة الخطية، والتي قُصد بها التكفير عن خطية ارتُكبت عن طريق السهو.

أولا: إذا كان مرتكبها هو الكاهن نفسه (ع ١– ١٢).

ثانيا: أو كل الجماعة (ع ١٣– ٢١).

ثالثا: إذا ارتكبها أحد الرؤساء (ع ٢٢– ٢٦).

رابعا: إذا كان مرتكبها من عامة الناس (ع ٢٧– ٣٥).

عدد ١– ١٢

هنا تبدأ التشريعات الخاصة بجلسة أخرى، ويوم آخر. وقد أعطاهم الله هذه الأوامر من عرش المجد بين الكروبين. ويبدو أن الشرائع الخاصة بذبائح المحرقة وقربان التقدمة وذبائح السلامة كانت قد سُلمت قبل إعطاء الناموس على جبل سيناء.

أولا: هنا نجد السياق العام للحديث (ع ٢)، ونلاحظ هنا:

(١) بخصوص الخطية على وجه العموم، أنها وُصفت بأنها ما يُرتكب ضد «جميع مناهي الرب»، لأن الخطية هي كسر الناموس الإلهي.

(٢) بالنسبة للخطايا التي تعينت بشأنها هذه الذبائح:

أ. من المفترض أنها أفعال علنية، لأنه لو طُلب منهم أن يأتوا بذبيحة لكل فكر خاطئ أو كلمة خاطئة، لما كان لهذه العملية نهاية. والتكفير عن هذه الأمور كان يتم دفعة واحدة في يوم الكفارة، مرة واحدة في السنة، ولكن الخطايا المقصودة هنا ذُكر أنها عُملت ضد الوصايا.

ب. من المفترض أنها خطايا ارتُكبت بالفعل، وما كان يجب عملها.

ج. من المفترض افتُرض أنها خطايا ارتُكبت في جهالة. ولكن إذا كان الخاطئ إما جاهلا بالناموس، كما في أمثلة عديدة، حيث لنا أن نفترض أن هذا ينطبق على كثيرين (فالمحظورات كانت عديدة جدا ومختلفة)، وإما أنهم وقعوا في الخطية دون أن يدركوا، فالعفو كان متاحا بواسطة الناموس العلاجي الخاص بذبيحة الخطية.

ثانيا: يبدأ الناموس بحالة الكاهن الممسوح، أي رئيس الكهنة، شريطة أن يكون قد أخطأ في جهالة، ذلك أن «الناموس يقيم أناسا بهم ضعف رؤساء كهنة». ومع أنه أقل من جميع الآخرين عذرا في جهله، إلا أنه سُمح له بأن يُحضر ذبيحة خطية. وناموس ذبيحة الخطية بالنسبة لرئيس الكهنة هو:

(١) عليه أن يحضر ثورا بلا عيب كذبيحة خطية (ع ٣)، وهي ذبيحة ثمينة تماثل تلك التي تُقدم عن كل الجماعة (ع ١٤).

(٢) يجب أن توضع يد مقدِّم الذبيحة على رأسها (ع ٤) مع توبة واعتراف بالخطية التي ارتكبها، حيث يضعها على رأس ذبيحة الخطية (لا ١٦: ٢١).

(٣) يجب ذبح الثور مع قدر كبير من الوقار عند التخلص من الدم، لأن بالدم تحصل المغفرة «وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (ع ٥– ٧). ويجب أن يُنضح بعض من دم ذبيحة خطية رئيس الكهنة «سبع مرات... لدى حجاب القدس»، مع النظر في اتجاه غطاء التابوت، على الرغم من أنه كان محتجبا. وبعض من الدم يجب أن يُوضع على قرون مذبح البخور العطر، لأنه عند ذلك المذبح يقوم رئيس الكهنة نفسه بالخدمة، وهذه إشارة إلى أنه تم التخلُّص من الدنس الذي كان قد مس خدماته بسبب خطاياه. وبعد أن

يتم عمل ذلك يُصب المتبقي من الدم أسفل مذبح النحاس. وبواسطة هذا الطقس يقر الخاطئ أنه يستحق أن يُصب دمه هكذا مثل الماء. ثم إن ذلك يرمز أيضا إلى انسكاب النفس أمام الله في توبة صادقة، ويُصور مخلصنا الذي «سكب للموت نفسه».

(٤) يجب أن يوقد شحم الأجزاء الداخلية على مذبح المحرقة (ع ٨– ١٠). وبهذا فإن القصد من الذبيحة والكفارة التي صنعت بها قد صارا لمجد الله، الذي، إذ أُهين بواسطة الخطية، فقد أُكرم على هذا النحو بواسطة الذبيحة.

عدد ٣١– ١٢

تتضمن هذه الفقرة الناموس الخاص بالتكفير عن إثم خطية قومية وذلك بتقديم ذبيحة خطية. وإذا ما تسبب قادة الشعب، عن طريق خطأ متعلق بالناموس، في ارتكاب الشعب لخطية ما، فإنه يجب تقديم ذبيحة حين تُكتشف هذه الخطية، حتى لا يحل الغضب على كل الجماعة.

(١) من المحتمل أن تخطئ الجماعة، وأن يضللها مرشدوها. وقد افتُرض هنا أن الجماعة بأكملها قد تخطئ، تخطئ عن طريق الجهل. الله يحتفظ لنفسه دائما بجماعة على الأرض، ولكنه لم يقل إطلاقا إنها معصومة من الخطأ، أو إنها طاهرة تماما من الفساد وهي في هذا العالم.

(٢) وحين كانوا بصدد تقديم ذبيحة من أجل كل الجماعة، كان على الشيوخ أن يضعوا أيديهم على رأسها (ثلاثة منهم على الأقل)، على اعتبار أنهم ممثلوا الشعب ووكلائه.

(٣) ودم ذبيحة الخطية هذه، مثل دم الذبيحة السابقة. لم يكن لهذا الدم أن يُسكب بل أن يُرش فقط، ذلك لأن فاعلية دم المسيح في التطهير من الخطية أشير إليها وتمثلت بعملية رش الدم. (انظر إشعياء ٥٢: ١٥). ويجب أن «ينضح سبع مرات» (ع ١٧). والسبعة هي رقم الكمال، ذلك أنه حين خلق الله العالم في ستة أيام، استراح في اليوم السابع، وهذا يشير إلى الترضية الكاملة التي عملها المسيح بدمه والتطهير الكامل لنفوس المؤمنين بواسطته (انظر عب ١٠: ١٤). وبعد أن أكملت الذبيحة قيل إنه تم عمل الكفارة «فيصفح عنهم» (ع ٢٠). والوعد بالمغفرة قام على أساس الكفارة.

عدد ٢٢– ٢٦

ومما تجدر ملاحظته هنا:

(١) أن الله يلاحظ خطايا الرؤساء ويستاء منها.

(٢) خطية الرئيس التي ارتكبها بسبب السهو من المفترض أنه سيعرفها بعد ذلك (ع ٢٣)، إما عن طريق ضميره، وإما نتيجة توبيخات أصحابه.

(٣) وذبيحة الخطية بالنسبة للرئيس يجب أن تكون «تيسا من المعز ذكرا صحيحا»، وليس «ثورا» كما هو الحال بالنسبة لرئيس الكهنة وكل الجماعة، بل إن دم ذبيحة خطيته لم يكن يؤتى به إلى خيمة الاجتماع، كما كان الحال بالنسبة للحالتين الأخرتين، بل يوضع كله على مذبح النحاس (ع ٢٥)، بل ولم يكن لحمها يُحرق مثل الحالتين الأخرتين خارج المحلة، الأمر الذي يشير إلى أن خطية الرئيس، على الرغم من أنها أسوأ من خطية الشخص العادي، إلا أنها ليست على نفس القدر من شناعة وخطورة خطية رئيس الكهنة، أو خطية كل الجماعة.

(٤) وقد وُعد بأن الكفارة ستُقبل، والخطية ستُغفر (ع ٢٦)، شريطة أن يتوب ويصلح من حاله.

عدد ٢٧– ٣٥

أولا: نجد هنا ناموس ذبيحة الخطية بالنسبة للشخص العادي، والتي لا تختلف عن ذبيحة الرئيس إلا من ناحية أن الشخص العادي يمكنه أن يأتي بعنز من المعز أو بتقدمة من الضأن، أما الرئيس فلا يأتي إلا بتيس فقط. وبالنسبة للرئيس يجب أن تكون ذبيحته ذكرا، أما بالنسبة للآخر فتكون أنثى.

(١) الحالة المفترضة: «وإن أخطأ أحد من عامة الأرض سهوا» (ع ٢٧). إذا ما أخطأوا بسبب الجهل، تحتم عليهم إحضار ذبيحة خطية. ونحن في حاجة ماسة لكي نصلي مع داود لكي يطهرنا «من الخطايا المستترة» (مز ١٩: ١٢)، وهي الخطايا التي نحن أنفسنا لا ندركها، بل ولا ندري بها.

(٢) وخطايا الجهل التي تُرتكب بواسطة فرد واحد مغمور تتطلب أن يقدم عنها ذبيحة.

(٣) وذبيحة الخطية لم يكن الناموس يُشجِّع عليها فحسب، بل كانت تُقبل حتى وإن قُدمت من قِبل أحد من عامة الشعب، وكانت تحصل كفارة بناء عليها (ع ٣١، ٣٥). وهنا نرى أن: الغني والفقير، الأمير والفلاح، يتقابلون معا، فالكل يلقون ترحيبا مماثلا من المسيح وبنفس الشروط (انظر أيوب ٣٤: ١٩).

ثانيا: ومن كل هذه النواميس الخاصة بذبيحة الخطية يمكننا أن نتعلم:

(١) أن نكره الخطية ونحترس منها.

(٢) وأن نُقدِّر المسيح ذبيحة الخطية العظيمة والحقيقية، والذي دمه يُطهِّر من كل خطية، «لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا». وربما كانت هناك إشارة ما إلى هذا الناموس الخاص بذبائح خطايا الجهل في صلاة المسيح، التي قالها حين كان يُقدِّم نفسه كذبيحة حيث قال: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون».

الأصحاح الخامس

يتناول هذا الأصحاح وجزء من الأصحاح التالي ذبيحة الإثم. والفرق بين هذه وذبيحة الخطية لا يكمن في الذبائح نفسها بقدر ما يكمن في مناسبات تقديمها. فكلاهما قُصد به التكفير عن خطية، غير أن الأولى كانت أكثر عمومية، أما هذه فتنطبق على حالات معينة.

ولنلاحظ ما قيل هنا:

أولا: بالنسبة للخطية «وإذا أخطأ أحد...»

(١) في إخفاء معرفته حين يُطلب منه الشهادة بما يعرف (ع ١).

(٢) بلمسه شيئا نجسا (ع ٢ و٣).

(٣) بحلفه (ع ٤).

(٤) إذا تعدى على المقدسات (ع ١٤– ١٦).

(٥) في أي من خطايا الضعف (ع ١٧– ١٩). وهناك بعض الحالات الأخرى والتي تُقدم فيها أيضا هذه الذبائح (لا ٦: ٢– ٤؛ ١٤: ١٢؛ ١٩: ٢١؛ عد ٦: ١٢).

ثانيا: فيما يختص بذبيحة الإثم:

(١) من الأغنام (ع ٥ و٦).

(٢) من الطيور (ع ٧– ١٠).

(٣) من الدقيق (ع ١١– ١٣)، إلا أن الذبيحة بصفة رئيسية هي كبش صحيح (ع ١٥– ١٩).

عدد ١– ٦

أولا: الخطايا التي افترضت هنا هي:

(١) إخفاء أحد الحقيقة حين حلف القسم كشاهد بأن يقول الحق، وكل الحق، ولا شيء سوى الحق. وكان لدى قضاة اليهود السلطة ليس لاستدعاء الشهود فحسب، بل والشخص المشتبه فيه، كما يبدو من الأمر الذي أصدره رئيس الكهنة حين أمر مخلصنا بأن يتكلم، فأجابه في الحال، مع أنه قبل ذلك وقف صامتا (مت ٢٦: ٦٣ و٦٤). وقد جاء هنا في آية ١ «وإذا أخطأ أحد وسمع صوت حلف» (أي إذا أُمر بالشهادة بما يعرفه)، فإذا رفض أن يشهد بالحق، أو أخفى جزءا من شهادته «حمل ذنبه». ليت جميع الذين يُدعون للشهادة في أي وقت أن يتذكروا هذه الوصية، وأن يكونوا صرحاء وأن يدلوا بشهادتهم بكل حرية، وأن يحترسوا بألا يراوغوا. والحلف للرب أمر مقدس لا يجب العبث به.

(٢) حالة رجل لمس أي شيء نجس من الناحية الطقسية (ع ٢ و٣). فإذا تنجس أحد نتيجة لمسة كهذه، وجاء إلى المقدس وهو غافل، أو إذا أهمل الاغتسال طبقا للناموس، هنا عليه أن يعتبر نفسه آثما، ويتعين عليه أن يحضر ذبيحته.

(٣) التهور في الحلف. إذا ألزم أحد نفسه بحلف بأنه سيعمل أو أنه لن يعمل أمرا ما، وثبت بعد ذلك أن تنفيذ حلفه إما أنه غير مشروع أو غير قابل للتنفيذ، الأمر الذي حله من التزامه، إلا أنه مع ذلك يتحتم عليه أن يحضر ذبيحة للتكفير عن حماقته في تهوره في حلفه.

ثانيا: وفي كل من الحالات السابقة:

(١) على المخطئ أن يعترف بخطيته ويحضر ذبيحة (ع ٥ و٦)، ولن تُقبل ذبيحته ما لم يقدمها وهو تائب معترف بإثمه، مصليا باتضاع يلتمس الغفران.

(٢) يجب على الكاهن أن «يكفر عنه».

عدد ٧– ١٣

هنا أُخذ وضع فقراء شعب الله في الاعتبار، وتهدئة ضمائرهم المثقلة بالشعور بالإثم. فالذين ليس بمقدورهم أن يحضروا حملا كذبيحة خطية بإمكانهم تقديم «يمامتين أو فرخي حمام». والواقع أنه إذا كان هناك مَنْ هو في فقر مدقع حتى أنه لا يستطيع الحصول على هذه، فيُسمح هنا لمثل هذا بأن يحضر كمية قليلة من الدقيق، وهذه ستكون مقبولة. وهنا نرى أن تكلفة ذبيحة الخطية جُعلت أقل من أية ذبيحة أخرى، لكي نتعلم أن فقر الإنسان لن يقف على الإطلاق حائلا بينه وبين الحصول على المغفرة. ولن يكون بمقدور أحد القول بأنه لم يستطع تحمل نفقات رحلته إلى السماء.

أولا: إذا ما أحضر الخاطئ يمامتين، فإن إحداهما تُقدم ذبيحة خطية والأخرى تُعمل محرقة (ع ٧). ومما تجدر ملاحظته هنا:

(١) قبل تقديم المحرقة، التي هي لمجد الله وشكره، كان عليه أن يُقدِّم ذبيحة الخطية التي هي من أجل الكفارة.

(٢) بعد ذبيحة الخطية التي قُدمت لعمل الكفارة، تُقدم ذبيحة محرقة كاعتراف برحمة الله العظيمة التي جعلته يحدد الكفارة ويقبلها.

ثانيا: إذا ما أحضر دقيقا– فإن حفنة منه تكفي لأن يقدمها، ولكن بدون زيت أو لبان (ع ١١)، وليس ذلك مرجعه فقط أن هذا سيزيد التكلفة على الفقير، بل لأن هذه ذبيحة خطية، وعلى ذلك، ولكي تظهر بشاعة الخطية التي قُدمت من أجلها، لا يجب أن تُجعل التقدمة مقبولة للتذوق بإضافة الزيت، أو زكية الرائحة بإضافة اللبان.

عدد ١٤– ١٩

نجد هنا التشريع الخاص بما هو واضح بأنها ذبائح إثم، والتي كانت تُقدَّم للتكفير عن إثم ارتُكب ضد أحد الأقرباء. والأضرار التي تُلحق بالآخرين قد تكون إما في الأقداس، أو في الأشياء العادية، وهذه الأعداد تتضمن التشريع الخاص بالحالة الأولى، أما بالنسبة للتشريع الخاص بالحالة الثانية فنجده في مستهل الأصحاح التالي. ويقول التشريع بأنه إذا ما نقل أو حول أحد أي شيء من الأشياء المكرسة لله لكي ينتفع هو بها، وذلك عن غير عمد، أو دون أن يدري، وجب عليه أن يحضر هذه الذبيحة، إذا افتُرض أنه عن جهل انتفع من العشور، أو باكورات الثمار، أو أبكار الماشية، أو أكل من أجزاء الذبيحة التي كانت تشكل الجزء المستحق للكهنة، إذا ارتكب شيئا من هذه الأمور فإنه آثم. أما إذا عُملت هذه الأمور بكبرياء وغطرسة أو احتقارا للناموس فمثل هذا الشخص يجب أن يموت دون رحمة (عب ١٠: ٢٨). أما في حالة الإهمال والجهل، فقد عُينت هذه الذبيحة لمثل هذه الحالات، على الخاطئ أن يحضر ذبيحة للرب، والتي يُراد بها أن تكون ذبيحة إثم، يجب أن تكون كبشا صحيحا من الغنم. كما أن عليه أيضا أن يعوض الكاهن طبقا لتقييم دقيق عن الشيء الذي نقله، مضافا إلى ذلك خُمس القيمة.

الأصحاح السادس

كان يجب أن تضاف الأعداد السبعة الأولى من هذا الأصحاح إلى الأصحاح السابق، لأنها استمرار لناموس ذبيحة الإثم، أما اعتبارا من آية ٨ فيتناول هذا الأصحاح الطقوس والشعائر الخاصة بكل من:

أولا: ذبيحة المحرقة (ع ٨– ١٣).

ثانيا: التقدمة (ع ١٤– ١٨)، ولاسيما تلك التي تُقدم عند تكريس الكاهن (ع ١٩– ٢٣).

ثالثا: ذبيحة الخطية (ع ٢٤– ٣٠).

عدد ١– ٧

الجزء الأخير من شريعة ذبيحة الإثم.

أولا: الخطية المفترضة (ع ٢ و٣): على الرغم من أن كل الأمثلة تتعلق بقريبنا، إلا أنها وُصفت بعبارة «وخان خيانة بالرب» (ع ٢)، ذلك لأن الذي يتكلم بالشر على أخيه وُصف بأنه يتكلم بالشر على الناموس وبالتالي فإنه يُسيء إلى واضع الناموس (يع ٤: ١١). والخطايا التي ذُكرت هي:

(١) خيانة الأمانة: «إذا أخطأ أحد... وجحد صاحبه وديعة أو أمانة...».

(٢) احتيال: «أو اغتصب من صاحبه...».

(٣) إنكاره خطأ واضحا: «إذا أخطأ أحد»، وكانت لديه من الصفاقة حتى أنه «جحد صاحبه... مسلوبا».

(٤) الخداع في التجارة، أو كما يعتقد البعض، عن طريق اتهامات كاذبة: «وحلف كاذبا».

(٥) عثوره على أشياء مِلك غيره، ثم إنكارها.

ثانيا: ذبيحة الإثم التي عُينت.

(١) «يوم ذبيحة إثمه»، عليه أن يُعوض صاحبه. وعليه أن يرد بأمانة كل ما حصل عليه عن طريق الخداع أو الاغتصاب، على أن «يزيد عليه خمسه».

(٢) بعدئذ عليه أن «يأتي إلى الرب»– الذي أساء إليه بعمله هذا بذبيحة إثمه، «فيُكفِّر عنه الكاهن» (ع ٦ و٧).

عدد ٨– ١٣

لقد طُلب من موسى أن يعطي تعليمات للكهنة، على أن يُوصي «هارون وبنيه» (ع ٩).

وهذه الأعداد تتضمن شريعة المحرقة، والتي كانت مسئولية يتفرد بها الكهنة. وقد أُشير هنا بصفة أساسية إلى الحمل الذي يُقدم ذبيحة يومية، عن كل الجماعة صباحا ومساء.

أولا: يجب على الكاهن أن يهتم برماد المحرقة، ويتصرف فيه بطريقة لائقة (ع ١٠ و١١). عليه أن يرفع الرماد من على المذبح كل صباح ويضعه في الجانب الشرقي من المذبح، البعيد عن المقدس، وهذا ما يجب أن يعمله وهو بملابسه الكتانية، التي يرتديها عادة حين يقوم بأية خدمة في المذبح. وبعد ذلك عليه أن يرتدي ثيابا أخرى «ويخرج الرماد إلى خارج المحلة إلى مكان طاهر». وعلى الكاهن أن يضرم النار بنفسه، ليس ذلك فحسب، بل وعليه أيضا أن ينظف الموقد ويحمل الرماد خارجا. ولا يجب على خدام الله أن يستنكفوا من أي شيء سوى الخطية.

ثانيا: على الكاهن الاهتمام بالنار التي على المذبح: «نار دائمة تتقد على المذبح. لا تُطفأ» (ع ١٣). وعلى الرغم من أننا لا نُقدِّم ذبائح دائما، إلا أنه يجب علينا أن نحافظ على نار المحبة المقدسة لكي تكون دائما مشتعلة، وهكذا علينا أن نصلي دائما.

عدد ١٤– ٢٣

قربان التقدمة إما أنه ذاك الذي كان يُقدِّمه الشعب، أو الذي يُقدِّمه الكهنة عند مسحهم.

أولا: بالنسبة للتقدمة العامة:

(١) لا يُوقد على المذبح سوى حفنة منها، ويُعطى كل ما تبقى للكهنة طعاما لهم.

(٢) تنص شريعة الأكل منها على:

أ. «فطيرا يُؤكل»، أي بدون خمير (ع ١٦).

ب. يجب أن يُؤكل «في دار خيمة الاجتماع» (أُشير هنا إلى ذلك بعبارة «في مكان مقدس»).

ج. لا يأكل منها إلا الذكور (ع ١٨).

د. لا يأكل منها سوى الكهنة الطاهرون فقط.

ثانيا: أما بالنسبة لتقدمة التكريس التي تُقدَّم عن الكهنة أنفسهم «تُحرق بكمالها. لا تُؤكل» (ع ٢٣). ويقول الكُتّاب اليهود إنه كان على رئيس الكهنة أن يقدمها يوميا طوال حياته، وذلك ابتداء من اليوم الذي يُمسح فيه. ويقول يوسيفوس: «يُقدِّم الكاهن الذبيحة مرتين كل يوم على نفقته الخاصة، وكانت هذه هي الذبيحة التي يقدمها عن نفسه.» وتقدمة الكاهن كان يتم خبزها كما لو كانت ستُؤكل، ومع ذلك كان يتحتم أن تُحرق بكمالها.

عدد ٢٤– ٣٠

نجد هنا الكثير من شريعة ذبيحة الخطية من الجهة التي تخص الكهنة التي يقدمونها، وذلك:

(١) من حيث أنه يجب ذبحها «في المكان الذي تُذبح فيه المحرقة» (ع ٢٥).

(٢) كان على الكاهن الذي قدمها من أجل الخاطئ أن يأكل لحمها (مع بنيه أو كهنة آخرين، ع ٢٩)، بعد أن يُقدم الدم والشحم لله «في دار خيمة الاجتماع» (ع ٢٦).

(٣) يجب أن يُغسل دم الخطية بكل وقار من الثياب التي يكون قد سقط عليها (ع ٢٧).

(٤) يجب كسر الآنية التي تم سلق لحم ذبيحة الخطية فيها إذا كانت من الخزف، أما إذا كانت من نحاس فيجب غسلها جيدا (ع ٢٨).

الأصحاح السابع

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: شريعة ذبيحة الإثم (ع ١- ٧)، مع بعض التوجيهات الأخرى المتعلقة بذبيحة المحرقة والتقدمة (ع ٨- ١٠).

ثانيا: شريعة ذبيحة السلامة، والأكل منها (ع ١١- ٢١)، وبهذه المناسبة كُرر خطر أكل الشحم أو الدم (ع ٢٢- ٢٧)، ونصيب الكاهن منها (ع ٢٨- ٣٤).

ثالثا: ختام هذه الفرائض (ع ٣٥- ٣٨).

عدد ١- ١٠

(١) بالنسبة لذبيحة الإثم، فبالنظر إلى أنها تشابه كثيرا ذبيحة الخطية فمن ثَمَّ تُطبق عليها نفس القواعد (ع ٦). وحين يُقدم الدم والشحم لله لعمل الكفارة، فإن الكهنة يأكلون اللحم في مكان مقدس، كما هو الحال بالنسبة لذبيحة الخطية. ولليهود تقليد خاص برش دم ذبيحة الإثم «على المذبح مستديرا»، بأنه كان يوجد خط قرمزي يدور حول المذبح من منتصفه تماما، وكان دم ذبائح المحرقة يُرش حول المذبح فوق هذا الخط، أما دم ذبائح الإثم والسلامة فيرش حول المذبح تحت هذا الخط. ويبدو أن مقدم ذبيحة الإثم لم يكن له أي نصيب منها، وذلك على النقيض من ذبيحة السلامة، لأن ذبيحة الإثم كانت تُقسم كلها بين المذبح والكاهن. وكانوا يقدمون ذبائح السلامة كتعبير شكر من أجل رحمة، وكان من المناسب أن يحتفلوا بوليمة بعدها. غير أنهم كانوا يقدمون ذبائح الإثم حزنا على الخطية، وكان من المناسب أن يصوموا بعدها كتعبير عن الحزن المقدس، وعن عزمهم الامتناع عن الخطية.

(٢) بالنسبة لذبيحة المحرقة فقد رُسم هنا أن الكاهن الذي يقدمها يجب أن يأخذ جلدها (ع ٨)، ولا ريب أنه سيستفيد ماليا منه.

(٣) بالنسبة لقربان التقدمة، فإن كانت قد خُبزت في التنور، وفي طاجن أو على صاج، فكان من المناسب أن تُؤكل في الحال، وعلى ذلك فإنها تكون من نصيب الكاهن الذي قرَّبها (ع ٩).

عدد ١١- ٣٤

أولا: طبيعة ذبيحة السلامة والقصد منها جاءت هنا بشكل أكثر وضوحا. فقد كانت تُقدم لإحدى الأسباب التالية:

(١) كتعبير عن الشكر بسبب نعمة خاصة من قِبل الله مثل شفاء من مرض، الحفظ من المخاطر أثناء السفر، الخلاص من الغرق في البحر، أو الإنقاذ من الأسر، أو..

(٢) تنفيذا لنذر قطعه الإنسان حين كان في محنة ما (ع ١٦)، أو..

(٣) تضرعا من أجل رحمة خاصة، وقد سُميت هنا «نافلة». وهذه تصاحب صلوات الإنسان، كما أن السابقة تصاحب شكره.

ثانيا: الطقوس والشعائر المتعلقة بذبيحة السلامة تم استعراضها على نحو موسع.

(١) إذا قُدمت ذبيحة السلامة كتعبير عن الشكر يجب أن تصاحبها تقدمتها، وهي من أرغفة متعددة النوعية ورقاق فطير (ع ١٢)، وكذلك خبز خمير (وهذا أمر قاصر على ذبيحة السلامة). فالخبز الذي بدون خمير يكون مذاقه أقل قبولا، وعلى ذلك، فإنه وإن كان محظورا في الفصح لسبب خاص، غير أنه في الأعياد الأخرى كان يُسمح بأكل الخبز الأحسن طعما. حتى يشترك الناس في الوليمة على مائدة الله، بالإضافة إلى موائدهم.

(٢) لحم ذبيحة السلامة، سواء كان من نصيب الكاهن، أو ذاك الذي كان من نصيب مقدمها يجب أن يُؤكل بسرعة ولا يحفظ لفترة طويلة سواء كان نيئا أو مطبوخا. وعلى الرغم من أنهم كانوا غير ملزمين بأكله في مكان مقدس، مثل تلك الذبائح التي تُوصف بأنها «قدس أقداس»، لكن كان يمكنهم أن يأخذوه إلى خيامهم ويأكلوه هناك، إلا أن الله أراد أن يُعرفهم من خلال هذه الشريعة أن هناك فرقا بين هذا اللحم واللحوم الأخرى.

أ. لأن الله لا يريد أن يتعرض هذا اللحم المُقدَّس لخطر الفساد.

ب. لأن الله لا يريد لشعبه أن يكون بخيلا شحيحا، لا يثق في العناية الإلهية.

ج. لحم ذبائح السلامة كان وليمة من الله، ولذلك يأمر الله بأن يُستخدم بكرم لاستضافة الأصدقاء، وبمحبة بدافع الخير لمساعدة الفقراء.

(٣) ولكن اللحم يجب أن يكون طاهرا وكذلك الذين يأكلونه:

أ. «واللحم الذي مس شيئا ما نجسا لا يُؤكل. يحرق بالنار» (ع ١٩).

ب. لا يجب أن يأكله أي شخص نجس. فإذا كان الشخص نجسا من الناحية الطقسية على أي وجه، فسوف يهلك إذا تجرأ وأكل من لحم ذبائح السلامة (ع ٢٠ و٢١). وإذا تجرأ أحد وأكل من مائدة الرب وهو نجس من خطية لم يتُب عنها، وبذلك يدنس المقدسات، فإنه «يأكل ويشرب دينونة لنفسه»، مثل أولئك الذين أكلوا من ذبائح السلامة وهم في نجاستهم (١كو ١١: ٢٩).

(٤) مُنع هنا أيضا الأكل من الدم ومن شحم الأجزاء الداخلية، وقد جاء الخطر، كما في السابق، مرتبطا بشريعة ذبيحة السلامة (لا ٣: ١٧). والأكل من لحم ذاك الذي مات من تلقاء نفسه، أو مزقته الوحوش إربا هو بلا ريب أمر غير مشروع (ع ٢٤). أما تحريم أكل الدم فهو أكثر شيوعا (ع ٢٦ و٢٧)، لأن الشحم كان يُقدَّم لله فقط كاعتراف بفضله، أما الدم فيصنع كفارة لحياة الإنسان، ولذلك فإنه يمثل ذبيحة المسيح بأكثر مما يمثله إيقاد الشحم، ولذلك يجب أن يولى هذا الدم احتراما عظيما إلى أن تتحقق هذه الرموز حين يُرفع جسد المسيح مرة واحدة من أجل الجميع.

(٥) وقد وُصف هنا نصيب الكاهن من ذبائح السلامة. ويسوع المسيح هو ذبيحة سلامتنا العظيم، لأنه جعل نفسه ذبيحة ليس فقط للتكفير عن الخطية وبهذا يُخلِّصنا من اللعنة فحسب، بل ليشتري لنا بركة، وكل ما هو حسن. وباشتراكنا بفرح في فوائد الفداء فنحن نأكل من الذبيحة، التي أُشير إليها بعشاء الرب الذي رُسم.

عدد ٣٥– ٣٨

هنا ختام الشرائع الخاصة بالذبائح، ويجب النظر إليها باعتبار أنها:

(١) هبة للكهنة (ع ٣٥ و٣٦).

(٢) كفريضة دائمة للشعب، بأنه عليهم أن يحضروا هذه الذبائح طبقا للقواعد المحددة، ويعطوا الكهنة نصيبهم منها بكل فرح وقد أمر الله «بني إسرائيل بتقريب قرابينهم» (ع ٣٨). ويُلاحظ هنا الأعمال المهيبة الخاصة بالعبادة التي أُمر بها. وحفظ تعاليم المسيح لا يمكن أن تكون أقل ضرورة من حفظ ناموس موسى آنذاك.

الأصحاح الثامن

يقدم لنا هذا الأصحاح وصفا لكيفية تعيين هارون وبنيه لوظائف الكهنة:

أولا: تم ذلك علانية (ع ١– ٤).

ثانيا: عُملت بكل دقة وطبقا لما رسمه الله (ع ٥).

(١) تم غسلهم وإلباسهم ثيابهم (ع ٦– ٩، ١٣).

(٢) مُسحت خيمة الاجتماع وأدواتها، وبعد ذلك الكهنة (ع ١٠– ١٢).

(٣) قُدمت عنهم ذبيحة خطية (ع ١٤– ١٧).

(٤) وذبيحة محرقة (ع ١٨– ٢١).

(٥) كبش الملء (ع ٢٢– ٣٠).

(٦) استمرار هذا الاحتفال مدة سبعة أيام (ع ٣١– ٣٦).

عدد ١– ١٣

أمر الله موسى حين كان معه المرة الأولى على جبل سيناء أن يقيم هارون وبنيه في وظائف الكهنة (خر ٢٨ و٢٩).

أولا: تكررت هذه الأوامر. فقد أُقيمت خيمة الاجتماع حديثا، وبدون الكهنة ستكون بمثابة منارة بدون سراج. كما أن الشريعة المتعلقة بالذبائح كانت قد أُعطيت حديثا، غير أنه لم يكن في الإمكان مراعاتها بدون الكهنة. وكان هارون وبنوه من أقرباء موسى، وعلى ذلك لم يكن يُعيِّنهم كهنة إلا بعد صدور أوامر بذلك، لئلا يبدو وكأنه يسعى للحصول لعائلته على هذه الكرامة.

ثانيا: دُعيت كل الجماعة «إلى الباب»، أي في دار «خيمة الاجتماع» (ع ٤). وقد تم الأمر علانية وذلك:

(١) لأن هذا العمل كان بمثابة صفقة بين الله وإسرائيل، ومن ثَمَّ كان من المناسب أن يظهر كلا الجانبين، عند باب خيمة الاجتماع للإقرار بهذا التعيين.

(٢) ما كان بوسع مَنْ شهدوا هذا الاحتفال سوى أن يذهلوا لما رأوه، وأن يكنوا احتراما عظيما للكهنة ووظيفتهم. وكان أمرا غريبا أن يأتي واحد ممن عاينوا هذا المشهد قائلا كما حدث من بعضهم: «لقد تخطيتم حدودكم أيها اللاويون».

ثالثا: قرأ موسى التكليف (ع ٥). فموسى، الذي كان يمثل الله في هذا الاحتفال أعلن أوامره أمام الجماعة: «هذا ما أمر الرب أن يُفعل». والكهنوت الذي سلَّمهم لهم هو ما تسلمه من الرب.

رابعا: عُمل الاحتفال بحسب الطقس الإلهي.

(١) غُسل هارون وبنوه بماء (ع ٦)، للإشارة إلى أنه يتحتم عليهم الآن أن يُطهِّروا أنفسهم من كل نزعات وميول خاطئة، وأن يحفظوا أنفسهم طاهرين دوما بعد ذلك.

(٢) أُلبسوا ملابسهم المقدسة، هارون في ملابسه (ع ٧- ٩)، والتي كانت ترمز إلى كرامة المسيح رئيس الكهنة العظيم، وبنوه في ملابسهم (ع ١٣)، الأمر الذي يرمز إلى وقار المؤمنين، أولئك الكهنة الروحيين. والمسيح يرتدي صدرة القضاء والتاج المقدس، لأن رئيس كهنة الكنيسة هو نبيها وملكها. وكل المؤمنين متسربلون برداء البر، وممنطقة أحقاؤهم بالحق والثياب والعمل بكل جد، وقد شُدت رؤوسهم بقلانس أو تيجان الجمال (بحسب الكلمة المستعملة هنا)، أي جمال القداسة.

(٣) وقد مُسح رئيس الكهنة، كما وُضع بعض من دهن المسحة على خيمة الاجتماع وجميع أدواتها وذلك بإصبع موسى (ع ١٠)، وكذلك الحال بالنسبة للمذبح (ع ١١)، إلا أنه صبه بغزارة أكثر على رأس هارون (ع ١٢) حتى أنه انساب إلى «طرف ثيابه»، وذلك لأن دهنه يرمز إلى مسح المسيح بالروح الذي لم يُعطَ له بمكيال.

عدد ١٤- ٣٠

يجب تقديم الذبائح من كل نوع عن الكهنة، حتى يمكنهم بدورهم أن يقدموا عطايا الشعب وذبائحه وذلك في إطار من الوداعة والاهتمام، مع رحمة على الجاهل، على أولئك الذين ابتعدوا، متذكرين أن الذبائح قُدمت عنهم هم أنفسهم ذلك أنهم معرضين للضعف.

(١) قُدم ثور، وهو أكبر ذبيحة، كذبيحة خطية (ع ١٤). وعلى الخدام الذين يُعلنون مغفرة خطايا الآخرين، أن يبذلوا كل اجتهاد لكي يتأكدوا من مغفرة خطاياهم هم أنفسهم، في المقام الأول. وأولئك الذين أُعطيت لهم «خدمة المصالحة»، يجب أن يتصالحوا هم أنفسهم أولا مع الله.

(٢) قُدم كبش كذبيحة محرقة (ع ١٨- ٢١). وهم بهذا أعطوا لله مجد هذا الشرف العظيم الذي خُلع عليهم الآن، وأعادوا إليه المجد والتسبيح من أجل ذلك، كما شكر الرسول بولس المسيح يسوع إذ جعله «للخدمة» (١تي ١: ١٢).

(٣) وثمة كبش آخر سُمي «كبش الملء» قُدم كذبيحة سلامة (ع ٢٢- ٣٦). وقد تعينت كل الطقوس الخاصة بهذه التقدمة بناء على أمر صريح من الله مثل تلك التي سبقتها.

عدد ٣١- ٣٦

وبعد أن قام موسى بدوره في الاحتفال، ترك هارون وبنيه لكي يقوموا بدورهم.

أولا: عليهم أن يطبخوا لحم ذبيحة السلامة الخاصة بهم، وأن يقوموا بأكله في دار خيمة الاجتماع، كما عليهم أن يحرقوا ما تبقى منه بالنار (ع ٣١ و٣٢).

ثانيا: ينبغي ألا يغادروا باب خيمة الاجتماع لمدة سبعة أيام (ع ٣٣). ولما كانت الخدمة صراعا كريما، فعليهم إذًا أن يتعلموا كيف يتحملوا المشاق، وأن يبعدوا أنفسهم عن شئون هذه الحياة (٢تي ٢: ٣ و٤). لقد استغرق العمل سبعة أيام، لأنه كان نوعا من عملية خلق، وقد حُدد هذا الوقت تكريما للسبت، الذي ربما كان آخر يوم من الأيام السبعة، والذي كان عليهم أن يستعدوا له خلال الأيام الستة. وقد عملوا «كل ما أمر به الرب»، وكل واحد منا لديه مهمة يضطلع بها،

وإله أبدي ليمجده، ونفس خالدة يهتم بها، وعمل يتطلب إنجازه، وجيلنا الذي علينا أن نخدمه، ويتعين أن يكون اهتمامنا اليومي منصبا على آداء هذه المهام، لأن الذي كلفنا بها هو الرب سيدنا. وأخيرا، قيل لنا: «فعمل هارون وبنوه كل ما أمر به الرب» (ع ٣٦). غير أنه بعد كل الطقوس التي استُخدمت في تنصيبهم ظلت هناك إحدى نقاط التصديق على هذا الكهنوت، التي حُفظت لتكون لشرف وتأسيس كهنوت المسيح، وهذه النقطة هي أنهم «بدون قسم قد صاروا كهنة» أما المسيح «فبقسم» (عب ٧: ٢١)، لأنه لا يقدر هؤلاء الكهنة أو كهنوتهم على الاستمرار، ولكن كهنوت المسيح دائم لا يتغير.

الأصحاح التاسع

وبعد أن تعيَّن هارون وبنوه للكهنوت في احتفال مهيب، نجدهم في هذا الأصحاح يشرعون في القيام بتنفيذ واجبات وظيفتهم، وذلك في اليوم التالي مباشرة لتعيينهم:

أولا: عيَّن موسى اجتماعا بين الله وكهنته، باعتبارهم يمثلون شعبه، وأمرهم بالحضور وأكد لهم أنه سيظهر لهم (ع ١– ٧).

ثانيا: انعقد الاجتماع طبقا لهذا الموعد.

(١) خدم هارون الله بالذبيحة، حيث قدم ذبيحة خطية ومحرقة عن نفسه (ع ٨– ١٤)، وبعد ذلك قدم ذبائح من أجل الشعب الذين باركهم باسم الرب (ع ١٥– ٢٢).

(٢) وقد أعلن الله قبوله:

أ. لأشخاصهم، بأن أراهم مجده (ع ٢٣).

ب. ولذبائحهم، وذلك بإحراقها بنار من السماء (ع ٢٤).

عدد ١ – ٧

صدرت الأوامر هنا لاحتفال آخر في اليوم الثامن. ولم يُتح للكهنة يوم واحد للراحة من الخدمة، بل أُستخدموا لعمل استغرقهم اليوم التالي مباشرة.

(١) رفع موسى تطلعاتهم إلى ظهور مجيد لله لهم في نفس هذا اليوم: «لأن الرب اليوم يتراءى لكم» (ع ٤). وليس لنا أن نتوقع الآن مثل هذه الظهورات، فنحن كمؤمنين نسير بالإيمان وليس بالعيان كما كان الحال بالنسبة لهم. غير أنه علينا أن نكون على ثقة من أن الله يقترب من أولئك الذين يقتربون منه، وأن ذبائح الإيمان مقبولة حقا له، وكما أن ذبائح المؤمنين روحية، فإن علامات قبولها هي أيضا روحية كما يليق بها أن تكون.

(٢) هيأ الكهنة والشعب للانهماك في الاستعداد لتقبُّل هذه النعمة العظيمة التي قصدها الله لهم. فقد وُجهت الدعوة إلى «هارون وبنيه وشيوخ إسرائيل» لكي يحضروا (ع ١).

أ. أُمر هارون بأن يُعِّد ذبائحه: «عجلا ابن بقر لذبيحة خطية» (ع ٢). ويقول كتبة اليهود إنه قد عُين عجل لذبيحة خطية وذلك لتذكير هارون بخطيته بعمل العجل الذهبي.

ب. ينبغي على هارون أن يوجه الشعب بأن يُعِّدوا ذبائحهم.

ج. وكان على هارون أن يقدم ذبيحته أولا، ثم بعد ذلك ذبائح الشعب (ع ٧).

◄ كان رئيس الكهنة يعمل كفارة لنفسه كواحد ضمن الخطاة، غير أنه لنا رئيس كهنة انفصل عن الخطاة وليس في حاجة إلى كفارة. وحين قُطع المسيح الملك كذبيحة، لم يكن ذلك من أجل نفسه، لأنه لم يعرف خطية.

◄ كان عليه أن يُكفِّر «عن الشعب»، بأن يقدم ذبائحهم. كان يتعيَّن أن يكفر عنهم «كما أمر الرب». ونرى هنا عظمة رحمة الله، ذلك أنه لم يكتفِ بأن يسمح بعمل الكفارة، بل إنه أمر بها، ولم يُترك أي مجال للشك في أن الكفارة التي أُمر بها سوف تُقبل.

عدد ٨– ٢٢

لما كانت هذه هي أول الذبائح التي قُدمت بواسطة الكهنة من اللاويين على الإطلاق، فعلى ذلك كان يتعيَّن وصف طريقة تقديمها على نحو من التفصيل، طبقا لشريعة الذبائح التي سُنت حديثا.

(١) تقدم هارون «وذبح عجل الخطية» بيديه (ع ٨)، وقام بعمل الكهنة الأقل منه مكانة. وعلى هذا، وكما سبق أن عمل موسى من قبل هكذا، قام هارون الآن وقدم بعضا من كل من نوعيات الذبائح العديدة التي تعيَّن تقديمها.

(٢) قدم هذه علاوة على «محرقة الصباح»، التي

كانت تُقدم أولا كل يوم (ع ١٧). وبعد أن قام هارون بتقديم الذبائح، رفع «يده نحو الشعب وباركهم» (ع ٢٢). وقد «رفع هارون يده» عند مباركته لهم لكي يشير إلى المكان الذي يرغب ويتوقع أن تأتي منه البركة، حيث كان يتوقعها من السماء، عرش الله. وما كان بوسع هارون سوى أن يتوق إلى البركة، غير أن الله وحده هو الذي يستطيع أن يعطيها. وهارون، بعد أن بارك «انحدر»، أما المسيح، بعد أن بارك، صعد.

عدد ٢٣ و٢٤

لم يُذكر العمل الذي دخل موسى وهارون إلى خيمة الاجتماع ليعملاه (ع ٢٣). ويقول بعض الكتبة اليهود: «إنهما دخلا ليصليا من أجل ظهور المجد الإلهي» غير أنه حينما خرجا اشترك كلاهما في مباركة الشعب الذي كان واقفا يتوقع ظهور المجد الإلهي الموعود به، والآن (حين قام موسى وهارون بالصلاة معا) تحقق لهم ما كانوا ينتظرونه. ومما تجدر ملاحظته، أن إعلان الله عن ذاته، وعن مجده ونعمته دائما ما يأتي استجابة للصلاة. لقد ظهر مجد الله، ليس أثناء تقديم الذبائح، بل عندما صلى الكهنة، الأمر الذي يشير إلى أن صلوات وتسبيحات كهنة الله الروحيين تُسِّر الله أكثر من كل الذبائح والتقدمات.

أولا: «فتراءى مجد الرب لكل الشعب» (ع ٢٣). ولم يُذكر المنظر الذي ظهر به. ولا ريب أن ذلك كان بطريقة تحمل بين ثناياها دليل صحتها. والذين يسكنون في بيت الله، يمكنهم بعين الإيمان أن ينظروا «إلى جمال الرب».

ثانيا: «وخرجت نار من عند الرب وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم» (ع ٢٤). وسواء جاءت النار من السماء، أو من قدس الأقداس، أو من ذلك الظهور المرئي لمجد الله الذي رآه كل الشعب، فإن ذلك كان علامة واضحة على قبول الله لعبادتهم.

(١) أحرقت النار بالفعل (أو أكلت، بحسب معنى الكلمة) الذبيحة:

أ. كان في هذا إشارة إلى تحويل غضب الله عنهم، وتركيزها على الذبيحة. والتهامها يشير إلى قبول الله لها ككفارة عن الخاطئ.

ب. كما تعني دخول الله في عهد وشركة معهم.

(٢) هذه النار -إذا جاز القول- تملكت المذبح. وكان هذا أيضا نموذجا للأمور السارة الآتية. فقد نزل الروح على التلاميذ في صورة ألسنة كأنها من «نار» (أع ٢: ٣). ونزول هذه النار المقدسة إلى نفوسنا لتضرم فيها الميول التقوية المخلصة تجاه الله، كما تضرم غيرة مقدسة تنتصر على الجسد وشهواته، إنما تُشكل بكل تأكيد علامة على قبول الله برحمته لأشخاصنا وأعمالنا الطيبة.

ثالثا: ذُكر لنا هنا رد فعل الشعب تجاه ما تراءى له من مجد الله ونعمته، فقد تقبلوا ذلك:

(١) بفرح عظيم: «وهتفوا»، يثيرون أنفسهم، وبعضهم بعضا إلى هذه النصرة المقدسة.

(٢) بكل خشوع ووقار: «سقطوا على وجوههم» مشدوهين بعظمة ذلك الإله الذي تكرَّم وتنازل على هذا النحو ليتراءى لهم.

الأصحاح العاشر

تُعد قصة هذا الأصحاح حدثا محزنا قطع تواصل موضوع الناموس اللاوي كما سبق وأن قطعت قصة العجل الذهبي تسلسل عملية إقامة خيمة الاجتماع.

ويتضمن هذا الأصحاح.

أولا: خطية ناداب وأبيهو، ابني هارون (ع ١ و٢).

ثانيا: تهدئة هارون في هذه المحنة الأليمة (ع ٣).

ثالثا: صدور الأوامر الخاصة بالجنازة والحداد وقد تم الامتثال لها (ع ٤- ٧).

رابعا: أمر للكهنة بعدم شرب الخمر حين يدخلون إلى خيمة الاجتماع للخدمة (ع ٨- ١١).

خامسا: اهتمام موسى بأن يواصلوا أعمالهم (ع ١٢- ٢٠).

عدد ١ و٢

أولا: الخطية العظيمة التي ارتكبها ناداب وأبيهو. ولكن ماذا كانت خطيتهما؟ فكل ما ذُكر عنها هنا هي أنهما «قربا أمام الرب نارا غريبة لم يأمرهما بها»

(ع ١)، ونفس الشيء ذُكر في سفر العدد ٣: ٤.

(١) كان ناداب وأبيهو يزهوان بالكرامة التي نالاها حديثا، ولذلك كانا طموحين للغاية لعمل الجزء الأسمى والأعظم من عملهما الكهنوتي في التو، وعلى الرغم من أن خدمة هذا اليوم كانت غير عادية، وتُعمل بناء على توجيهات خاصة من موسى، إلا أنهما على الرغم من ذلك -ودون صدور أية أوامر لهما- أخذ كل منهما مجمرته ودخلا إلى خيمة الاجتماع وأوقدا بخورا. وتقديمهما «نارا غريبة» يعادل تقديمهما بخورا غريبا، الأمر المنهي عنه بكل صراحة (خر ٣٠: ٩).

(٢) وهكذا، إذ تجرأ هذان الشخصان وقدما بخورا من تلقاء نفسيهما ودون أن يُطلب منهما ذلك، فلا عجب أنهما ارتكبا خطأ في أمر آخر، فعوض أن يأخذا من النار التي على المذبح -والتي كانت قد أُضرمت حديثا من أمام الرب، والتي بعدئذ يتحتم استخدامها في تقديم الذبائح والبخور (رؤ ٨: ٥)- فقد أخذا نارا عادية، ولعل ذلك من النار التي كان يُطهى عليها لحم ذبائح السلامة، وقد استخدما هذه في إيقاد البخور، وإذ لم تكن نارا مقدسة، فقد سُميت «نارا غريبة».

(٣) كان البخور يُوقد بمعرفة كاهن واحد فقط في كل مرة، ولكنهما هنا دخلا للقيام بذلك معا.

(٤) عملا ذلك بتهور وسرعة. لقد اختطف كل منهما مجمرته دونما أي وقار، في الوقت الذي سقط الجميع «على وجوههم» أمام «مجد الرب».

(٥) هناك من الأسباب ما يدعو إلى الظن أنهما كانا في حالة سُكْر حين فعلا ذلك، وذلك على أساس الشريعة التي صدرت بهذه المناسبة (ع ٩). كانا يأكلان من ذبائح السلامة، ويشربان من التقدمات، ولذلك كانا مشوشي الذهن.

(٦) لا ريب أنهما فعلا ذلك في تبجح.

ثانيا: العقوبة الرهيبة لهذه الخطية: «فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما» (ع ٢). ولكن ما الذي دعا الله إلى أن يتعامل معهما بهذه القسوة؟ ألم يكونا ابني هارون، قديس الرب، وابني أخ موسى، محبوب السماء العظيم؟

(١) كانت الخطية بالغة الخطورة. كانت تمثل احتقارا صريحا لموسى، وللناموس الإلهي الذي أُعطي بواسطته. وإلى ذلك الحين لُوحظ بكل وضوح بالنسبة لكل شيء يتم عمله بأنه عُمل «كما أمر الرب موسى»، وتعارضا مع هذا ذُكر هنا أنهما تصرفا هنا بما «لم يأمرهما»، ولكنهما فعلا ذلك انتهاكا منهما لهذه الأوامر. وكان الله يُعلِّم الشعب الآن الطاعة، وأن يعملوا كل شيء طبقا للأوامر، كما يليق بالخدام، ولذلك فأن يقوم الكهنة بانتهاك الأوامر وعصيانها، فقد كان ذلك أمرا مستفزا ولا يجب بأي حال أن يمر دون عقاب.

(٢) كانت عقوبتها تمثل نوعا من العدل الذي كان لابد منه. وما من شك أن هذا المثال من العدل في البداية، الذي نُفذ كعبرة، منع بعد ذلك الكثير من التصرفات التي تتعارض مع الوصايا. وقد عُوقب حنانيا وسفيرة بعقوبة مماثلة حين تجرَّءا وكذبا على الروح القدس، الذي كان هو النار التي نزلت حديثا.

عدد ٣- ٧

لنا أن نفترض أنه حينما ضُرب ناداب وأبيهو بالموت، تملك الرعب كل منْ هم حولهم. أما موسى فكان رابط الجأش، على الرغم من أن هذا الحدث لمس منه وترا حساسا للغاية، ولكنه ظل متمالكا نفسه.

أولا: حاول أن يهدئ من روع هارون في ظل هذه المحنة الأليمة (ع ٣).

(١) ما الذي كان يقصده موسى بقوله لأخيه المسكين في هذه المناسبة: «هذا ما تكلم به الرب؟» فما الذي تكلم به الله؟ إن ما تكلم به الله هو: «في القريبين مني أتقدس وأمام جميع الشعب أتمجد» (فالرب بنعمته يتحدث إلى قلوبنا جميعا). فما الذي تضمنه هذا القول بحيث حمل هارون على أن يلوذ بالصمت؟ الأمر يتضمن شيئين:

أ. الذي ألزمه الصمت هو أن ابنيه استحقا الموت، لأنهما بهذا قُطعا من شعبهما لأنهما لم يُقدسا الله وُيمجداه.

ب. والذي أقنعه أن موت ابنيه آل إلى مجد الله، وأن عدالة الله لا تعرف الانحياز وأنها سوف تكون محل التبجيل والاحترام على مدى الأجيال.

(٢) الآثار الطيبة التي تولدت فيه نتيجة ذلك: «فصمت هارون» بمعنى أنه استسلم صابرا لمشيئة الله المقدسة في هذا الحدث الأليم، وحين يؤدبنا الله، أو يؤدب مَنْ هم لنا بسبب الخطية، فمن واجبنا أن نصمت ونتقبل هذا التأديب، لا أن نتشاجر مع الله، ونُشكك في عدالته، بل نتقبل كل ما يعمله الله، وليس المطلوب منا أن نتحمل فقط، بل نتقبل عقوبة ما نقترفه من خطأ. وأفضل حجج ناجحة لتهدئة النفس في محنتها هي تلك التي تُستمد من مجد الله. فحاشا لهارون أن يكرم ابنيه أكثر من الله، أو يرغب في أن يتعرض اسم الله أو بيته أو ناموسه للتوبيخ أو الاحتقار، لكي يحفظ سمعة عائلته.

ثانيا: أصدر موسى أوامره فيما يتعلق بالميتين، فلم يكن من اللائق أن يُتركا حيث سقطا. غير أن موسى اهتم بهذا الأمر، ذلك أنه بالرغم من أنهما لقيا الموت على يد العدالة بسبب اقترافهما الخطية، إلا أنهما يجب أن يُدفنا بشكل لائق، وهذا ما تم فعلا (ع ٤ و٥). ولقد حملوهما إلى خارج المحلة لكي يُدفنا. وكان مشهدا مؤثرا وبعث الرعب في قلوب الشعب. لقد كان اسما ناداب وأبيهو من الأسماء العظيمة جدا والمكرمة بينهم. وناداب وأبيهو (اللذان كانا مع الله في الجبل) (خر ٢٤: ١) كان يُنظر إليهما كالمفضلين لدى السماء وموضع رجاء شعبهما. وها هم الآن، وعلى حين غرة، يرونهما ميتين وعلامات غضب الله واضحة عليهما، كضحيتين لعدالة الله، فلم يسعهم سوى الصياح، بأنه «مَنْ يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس هذا؟» (١صم ٦: ٢٠).

ثالثا: أصدر توجيهات بشأن الحداد.

(١) لا يجب على الكهنة أن ينوحوا، وقد صُنع الحداد على هارون وأبنائه للأسباب الآتية:

أ. كانوا الآن في الخدمة وهم عاملون عملا عظيما، ولا يجب أن يتوقف العمل بأي حال من الأحوال (نح ٦: ٣)، وإنه لمما يعود لمجد الله أن خدمته تكون لها الأولوية على التزامهم قبل أقرب أقربائهم، فكل الأعمال يجب أن تفسح الطريق أمام خدمتهم.

ب. لقد قُطع أخواهما بسبب تعديهما بواسطة يد الله مباشرة، وعلى ذلك لا يجب أن يحزنوا من أجلهما لئلا يبدو وكأنهم يشجعون الخطية، أو يظهروا كما لو كانوا يشككون في عدالة الله بالنسبة لهذه العقوبة. وليس ثَمة شك في أنه من الصعوبة على هارون وبنيه أن يتمالكوا أنفسهم في مثل هذه المناسبة غير العادية ولا يجنحون إلى الإفراط في الحزن، غير أن العقل والنعمة تغلبا على الحزن، وتحملوا المحنة في صبر وطاعة. وطوبى للذين هم على هذا النحو، مُسلِّمين أنفسهم لله ويستطيعون التحكم في عواطفهم.

(٢) يجب على الشعب أن يحزن: «كل بيت إسرائيل فيبكون على الحريق الذي أحرقه الرب». يجب على الجماعة أن ينوحوا، ليس فقط بسبب فقدانهم اثنين من كهنتهم، بل بصفة خاصة بسبب غضب الله الذي ظهر في هذا الحدث.

عدد ٨- ١١

وإذ كان هارون يقظا جدا في تنفيذ ما يقوله الله له من خلال موسى، رأى الله الآن أن يوليه شرف الكلام معه بصفة مباشرة: «وكلم الرب هارون قائلا: خمرا ومسكرا لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا» (ع ٨ و٩). ولعلهم رأوا العواقب الوخيمة لذلك فيما وقع لناداب وأبيهو، ومن ثَمَّ يجب أن يكون هذا الحدث بمثابة تحذير لهم. ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد:

(١) التحريم نفسه: كان مسموحا لهم به في أوقات أخرى (ذلك لأنه ليس من المتوقع أن يكون كل كاهن نذيرا)، إلا أنه أثناء فترة خدمتهم كان محرما عليهم. وكانت هذه إحدى الشرائع المعمول بها في هيكل حزقيال (حز ٤٤: ٢١)، وبناء على ذلك فيجب على خدام الإنجيل أن يكونوا غير مدمنين للخمر (١تي ٣: ٣).

(٢) العقوبة التابعة لهذا التحريم: «لكي لا تموتوا» أو لكي لا تموتوا وأنتم في حالة السكر، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة. لأنه كالفخ (لو ٢١: ٣٤)، أو: لئلا تعملوا ما يجعلكم معرضين لأن تُقطعوا بيد الله.

(٣) أسباب هذا التحريم: عليهم أن يكونوا

واعين صاحين، وإلا لن يكون بمقدورهم القيام بواجبات وظيفتهم على النحو المطلوب، وسوف يكونون مُعرضين لخطر أن تبتلعهم الخمر (إش ٢٨: ٧). وعليهم التأكد من أن يكونوا متنبهين.

أ. حتى يصبحوا هم أنفسهم قادرين في خدمتهم على التمييز بين ما هو مقدس، وما هو محلل، ولا يخلطون أبدا بينهما (ع ١٠).

ب. حتى يكون بمقدورهم تعليم الشعب (ع ١١)، لأن ذلك جزء من عمل الكهنة (تث ٣٣: ١٠)، فالذين أدمنوا الخمر لا يصلحوا إطلاقا لتعليم الشعب فرائض الله، لأن الذين يعيشون بحسب الجسد لا يمكن أن تتوافر لديهم الاختبارات الشخصية لأمور الروح، ولأن مثل هؤلاء المعلمين يهدمون بإحدى أيديهم ما يبنونه بالأخرى.

عدد ١٢– ٢٠

هنا يوجه موسى أخاه هارون ليواصل خدمته بعد فترة الانقطاع هذه. والمحن يجب أن تجعلنا بالأحرى أكثر انتباها بواجبنا لا أن تبعدنا عنه. ومما تجدر ملاحظته هنا أنه تكلم مع هارون «و... ابنيه الباقيين» (ع ١٢). وقد أشير إلى حقيقة كونهما «الباقيين» الأمر الذي يُستشف منه:

• على هارون أن يتعزى في حزنه على فقده ابنيه على أساس أن الله بلطفه حفظ له ابنيه الآخرين.

• وإذا كان الله قد حفظهما يجب أن يحفزهما على مواصلة خدمته ولا يهربان منها. وقد كان هناك أربعة كهنة تعيَّنوا معا، أُخذ منهما اثنان، وتُرك اثنان، ولذلك فإن الاثنين اللذين بقيا يجب عليهما محاولة ملء المكان الذي خلفه الآخرين، وذلك بمضاعفة اهتمامهما وكدهما في الخدمة.

أولا: كرر موسى التوجيهات التي سبق أن أعطاها لهم والخاصة بأكل نصيبهم من الذبائح (ع ١٢– ١٥).

ثانيا: يتساءل عن انحراف مُعين، يبدو أنه حدث في هذه المناسبة، وهي: كان هناك «تيس الخطية الذي للشعب» (لا ٩: ١٥). وكانت شريعة ذبيحة الخطية تقضي بأنه إذا ما أُحضر دمها إلى المكان المقدس، مثلما هو الحال بالنسبة لذبيحة الخطية الخاصة بالكاهن، هنا يجب حرق اللحم خارج المحلة. ولكن دم هذا التيس لم يُحضر إلى المكان المقدس، ومع ذلك، يبدو أنه أُحرق خارج المحلة. ولقد ألقى موسى باللائمة على ألعازار وإيثامار (ع ١٦)، غير أنه من المحتمل أن ما عملاه كان بتوجيه من هارون، ومن ثَمَّ فقد اعتذر الأخير عن هذا الخطأ. وجعل من محنته عذرا له (ع ١٩). «وقد أصابني مثل هذه»، هذه الأمور الحزينة، والتي ما كان لها إلا أن تحزن قلبه وتثقله. كان رئيس كهنة أُختير من بين الشعب، لذلك لم يكن باستطاعته أن يتجاهل مشاعره البشرية حين يرتدي الثياب المقدسة. كان يحتفظ بسلامه (ع ٣)، ومع ذلك تحركت أحزانه. وقد اتخذ من هذا عذرا لعدم تمسكه بالقواعد الخاصة بذبيحة الخطية. وما كان له ليأكله لو لم يكن في حداد ونفسه حزينة، ولكن أكان من الممكن قبول هذا العذر؟ قبل موسى هذا العذر: «حسن في عينيه» (ع ٢٠). ولعله اعتقد أن ذلك يبرر ما فعلاه. وكان الله قد رتب أن ما لا يمكن أكله ينبغي حرقه.

الأصحاح الحادي عشر

وصف الرسول الناموس الطقسي (عب ٩: ٩ و١٠) أنه يتكون ليس فقط من «قرابين وذبائح»، بل من «أطعمة وأشربة وغسلات مختلفة» من النجاسة الطقسية، والتي تبدأ تشريعاتها بهذا الأصحاح الذي يميز بين بعض نوعيات اللحم والنوعيات الأخرى، حيث يسمح بأكل البعض باعتباره طاهرا، ويمنع ذلك بالنسبة للبعض الآخر على اعتبار أنه نجس. ولكن يوجد نوع آخر من لحم الحيوانات يوجه الناموس الشعب بشأنه هنا (ع ١– ٨)، ونوع آخر من الأسماك (ع ٩– ١٢)، والطيور (ع ١٣– ١٩)، ونوع من الزواحف، التي قُسمت إلى نوعيتين، حشرات طائرة (ع ٢٠– ٢٨) وتلك التي تتحرك على الأرض (ع ٢٩– ٤٣). وتُختتم التشريعات بالقاعدة العامة للقداسة، وأسبابها (ع ٤٤– ٤٧).

عدد ١– ٨

وإذ تم تعيين هارون كرئيس كهنة على بيت الله، فقد كلَّمه الله مع موسى، وعيَّنهما كوكيلين مشتركين لإبلاغ الشعب بمشيئته. وكان مطلوب من الكهنة

بصفة خاصة أن يميزوا بين الطاهر والنجس، وأن يُعلِّموا الناس أن يعملوا هكذا. لهم أن يأكلوا لحما، ولكن ليس كل نوعيات اللحوم. فبعضها ينبغي عليهم أن يعتبروه نجسا ومحرما عليهم، والبعض الآخر يعتبرونه طاهرا ومسموحا لهم أن يأكلوه. ولكن أي تعليل يمكن أن يُعطى لهذا الناموس؟ معظم اللحوم التي حُرمت على اعتبار أنها نجسة، كانت بالفعل غير صحية ولا تصلح للأكل، ومنها ما نعتقد أنه صحي تماما، ونستخدمه على هذا الأساس: مثل الأرنب، والوبر (الأرنب البري) والخنزير، ولعلها في تلك البلدان قد تكون ضارة لأجسادهم. والرب يهتم بالجسد، فالأمر ليس مجرد حماقة فحسب، بل هو خطية ضد الله أن نلحق الضرر بصحتنا بغية إشباع شهوتنا.

ويبدو أنه –قبل هذا– كان هناك بعض الاختلاف بين العبرانيين والأمم الأخرى، في طعامهم، حافظوا عليه بواسطة التقليد، لأنهم والمصريون لم يكونوا يأكلون معا (تك ٤٣: ٣٢). وقد لاحظ المتعلمون أيضا أن معظم الكائنات التي اعتُبرت مكروهة بناء على هذا التشريع، على اعتبار أنها نجسة، نجدها من تلك التي كانت تلقى تقديرا كبيرا لدى الوثنيين، وليس ذلك لاستخدامهم إياها كطعام، بل لاستخدامها في العرافة وكذبائح لآلهتهم، ولذلك فإن تلك التي ذُكرت هنا على أنها نجسة ومكروهة، حتى لا يُقبل الناس على أكلها، ويحتفظوا بكراهية دينية لتلك التي كان الوثنيون يولونها اعتبارا خرافيا.

فالخنزير عند الوثنيين القدماء كان مقدسا عند ڤينوس، والبومة عند مينرفا، والنسر عند جوبتر، والكلب عند هيكات... إلخ. وكل هذه ذُكرت هنا على أنها نجسة. أما بالنسبة للحيوانات فقد وُضعت قاعدة عامة، بأن كل ما شق ظلفا ويجتر كان طاهرا. وهؤلاء فقط، وهذه ذُكرت بصفة خاصة عند تكرار هذا الناموس (تث ١٤: ٤ – ٦)، حتى ليبدو أن الإسرائيليين كانت لديهم أنواعا كافية مما سُمح لهم بأكله، ولم تكن لديهم حاجة للشكوى من القيود التي كانت تُعد نجسة، وطبقا لهذه القاعدة فإن لحم الخنزير والأرنب والأرنب البري، كانت محرمة عندهم، مع أنها تُستخدم بشكل عادي عند الغربيين. ومن بين كل هذه المخلوقات التي حُرم أكلها على اعتبار أنها نجسة لا نجد شيئا أشد بغضا لدى اليهود المتدينين أكثر من لحم الخنزير.

ولقد تعرَّض الكثيرون منهم للموت على يد أنطيوخس لأنهم رفضوا أكله. ويقول البعض إن تحريم هذه الحيوانات على اعتبار أنها نجسة يُقصد به أن يشكل تحذيرا للشعب ضد الصفات الرديئة فيها، فلا يجب أن نكون قذرين ونتمرغ في الوحل مثل الخنازير، ولا يجب أن نكون جبناء هيابين مثل الوبر (الأرنب البري)، أو نسكن في الجحور مثل الأرانب، ولا يجب على الإنسان الذي هو في كرامة أن يجعل نفسه مثل هذه الحيوانات التي تهلك.

عدد ٩– ١٩

(١) قاعدة عامة بالنسبة للأسماك، ما هو طاهر منها وما هو نجس. فكل ما له زعانف وحرشف، يمكن أكله. ولم تُحرم بين هذه الحيوانات المائية سوى تلك النوعيات الشاذة التي ليس لها زعانف وحرشف (ع ٩ و١٠). وبالنسبة للسمك الذي مُنع أكله قيل: «فهو مكروه لكم» (ع ١٠– ١٢)، بمعنى أنكم ستعتبرونه نجسا، ولن تكتفوا فقط بعدم الأكل منه، بل إنكم تتجنبونه. وهكذا فإن شعب الله، كما أنهم تم أكرامهم فوق الآخرين بعهد الإنجيل الخاص بالتبني والشركة، فعلى هذا يجب أن يُهذبوا أكثر من الآخرين بأوامر الإنجيل الخاصة بإنكار الذات وحمل الصليب.

(٢) بالنسبة للطيور لا نجد هنا ذكرا لقاعدة عامة، بل سردا لتلك التي يجب الامتناع عن أكلها باعتبارها نجسة، الأمر الذي يُستشف منه السماح بأكل ما عداها. ومن بين الطيور التي حُرم أكلها هنا:

أ. البعض منها من الطيور الجارحة مثل النسر والعقاب... إلخ. والله يريد من شعبه أن يبغض كل ما هو وحشي وقاس، وألا يعيشوا بالدم والسلب. والحمام الذي يتم صيده يصلح لأن يتخذه الإنسان طعاما، ويقدمه ذبيحة لله، غير أن طيورا مثل الحدأة والصقور، والتي تفترس الحمام يجب أن يُنظر إليها على أنها مكروهة من الله والإنسان.

ب. والأنواع الأخرى هي طيور تعيش في عزلة وتسكن في الأماكن المظلمة والمهجورة مثل البومة والقوق (مز ١٠٢: ٦)، والكركي والغراب (إش ٣٤: ١١)، لأن إسرائيل الله لا يجب أن يكونوا شعبا

مكتئبا، أو يولعوا بالحزن والعزلة الدائمة.

ج. والبعض منها يتغذى على ما هو غير طاهر مثلما يتغذى اللقلق على الثعابين، ومنها ما يتغذى على الديدان. ونحن لا يجب أن نبتعد عن كل نجاسة فحسب، بل ومن الشركة أيضا مع أولئك الذين يسمحون لأنفسهم بالانخراط فيها.

د. والبعض منها كان يستخدمه المصريون وآخرون من الأمميين في العرافة. وهناك من الطيور ما اعتبر أنه فأل حسن، والبعض الآخر اعتُبر أنه نذير سوء، وكان عرافوهم يعتبرون تحليق مثل هذه الطيور أمرا له دلالة عظيمة، ولذلك يجب أن تُعتبر هذه كلها مكروهة لشعب الله، الذين لا يجب عليهم أن يتعلموا طرق الوثنيين.

عدد ٢٠ – ٤٢

(١) بخصوص الحشرات الطائرة، مثل الذباب والدبابير والنحل وغيرها، هذه لا يجب أن يأكلوها (ع ٢٠)، بل وما هي في الواقع مناسبة للأكل، غير أنه كان في تلك البلدان أنواع عديدة من الجراد كانت تُعد لحما جيدا جدا، وكانت تُستعمل كثيرا، وقد عاش يوحنا المعمدان عليها في البرية، وقد سُمح هنا بأكلها (ع ٢١ و٢٢).

(٢) بخصوص الحيوانات التي تدب على الأرض، هذه كلها محرمة (ع ٢٩ و٣٠)، وكذلك (ع ٤١ و٤٢). والتراب هو طعام هذه الحيوانات، وعلى ذلك فهي لا تصلح لأن تكون طعاما للإنسان.

(٣) بخصوص جثث كل هذه الحيوانات النجسة بعد موتها.

أ. كل مَنْ مسها يكون نجسا إلى المساء (ع ٢٤– ٢٨). ذلك أنهم يصبحون نجسين من الناحية الطقسية، الأمر الذي يُحرِّم عليهم –أثناء فترة نجاستهم– أن يأتوا إلى خيمة الاجتماع، أو الأكل من أي من الأشياء المقدسة، أو حتى الدخول في محادثة ودية مع غيرهم. غير أن النجاسة لا تستمر سوى إلى المساء فقط. وينبغي علينا أن نتعلم بتجديد توبتنا يوميا كل ليلة بالنسبة لخطايا اليوم، وأن نُطهِّر أنفسنا من النجاسة التي حلت بنا بسببها حتى لا نأوى إلى فراشنا في نجاستنا.

ب. حتى الأواني والأشياء التي تسقط فيها، هكذا تكون نجسة حتى المساء (ع ٣٢)، وإذا كانت من الخزف يتحتم كسرها (ع ٣٣). وعلينا أن نبذل كل جهد واجتهاد حين نتنجس، مثلما كانوا يحفظون ويُطهرون أجسامهم وآنية بيوتهم من هذه النجاسات الطقسية.

عدد ٤٣ – ٤٧

أولا: تفسير هذا الناموس، أو المفتاح الذي يوصلنا لمعناه. لم يكن المقصود به أن يُشكِّل قائمة طعام، أو كتوجيهات طبيب بالنسبة لطعامهم، بل إن الله من خلال ذلك أراد أن يُعلِّمهم أن يتقدسوا ويكونوا قديسين (ع ٤٤). و«أركان العالم» هذه كانت وكلاء وأوصياء عليهم (غل ٤: ٢ و٣)، وذلك لتأتي بهم إلى إحياء حالتهم الأولى في آدم وكعلامة لحالتنا الأفضل مع المسيح، أي، حالة القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب. والواقع أن هذا هو الغرض العظيم من كل هذه الفرائض، التي بواسطتها نستطيع أن نُقدس أنفسنا ونتعلم كيف نكون قديسين. بل وحتى هذه الشريعة المتعلقة بطعامهم، والتي يبدو وكأنها تدنت إلى حد كبير جدا، إلا أنها تستهدف أمرا عاليا جدا. فبدون القداسة «لن يرى أحد الرب». وإذا كان أمرا بغيضا بالنسبة للإنسان أن يأكل لحم الخنزير، فكم بالحري يكون أكثر بغضة أن يُقدم دم الخنزير على مذبح الله (انظر أمثال ١٥: ٨).

ثانيا: أسباب هذا التشريع:

(١) «إني أنا الرب إلهكم» (ع ٤٤). ولذلك أنتم ملزمون بعمل هذا في طاعة خالصة.

(٢) «لأني أنا قدوس» (ع ٤٤)، ومرة ثانية في آية ٤٥. ومادام الله قدوسا فيتحتم علينا أن نكون هكذا، وإلا فليس لنا أن نتوقع منه أن يقبلنا. وكل هذه القيود الطقسية كان القصد منها أن تُعلمنا بأنه لا ينبغي علينا أن نشاكل شهواتنا السابقة في جهالتنا (انظر ١ بطرس ١: ١٤).

(٣) «أنا الرب الذي أصعدكم من أرض مصر» (ع ٤٥). فذاك الذي عمل من أجلهم أكثر مما عمله لأي شعب آخر من حقه أن يتوقع منهم أكثر مما يتوقعه من غيرهم.

ثالثا: ختام هذا التشريع. «هذه شريعة البهائم والطيور...» (ع ٤٦ و٤٧). وكان هذا تشريعا أبديا لهم، أي طالما ظلت هذه القيادة قائمة، غير أنه في ظل الإنجيل نجد أنها أُبطلت صراحة بصوت من السماء جاء إلى بطرس (أع ١٠: ١٥)، كما أنها سبق في الواقع أن نُحيت جانبا بموت المسيح، مع الفرائض الأخرى التي انتفى غرضها. ونحن الآن متأكدون أن «الطعام لا يقدمنا إلى الله» (١كو ٨: ٨)، فإنه «ليس شيء نجسا بذاته» (رو ١٤: ١٤)، لأنه «ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان. بل ما يخرج من الفم» (مت ١٥: ١١)، ومن أجل ذلك علينا:

(١) أن نشكر الله أننا لسنا تحت هذا النير، بل بالنسبة لنا كل مخلوقات الله تُعد حسنة.

(٢) «فاثبتوا... ولا ترتبكوا أيضا بنير عبودية»

(٣) ولذلك علينا أن نلتزم تماما بالاعتدال في استخدام المخلوقات الحسنة التي سمح لنا الله بها. فالطبيعة قانعة بالقليل، والنعمة بالأقل، غير أن الشهوة لا تقنع بشيء.

الأصحاح الثاني عشر

بعد الشريعة الخاصة بالطاهر والنجس من الأطعمة، نأتي إلى شريعة الطاهر والنجس بالنسبة للأشخاص، وأول ما يتحدث عنه هذا الأصحاح هو النجاسة الطقسية للمرأة التي تلد (ع ١– ٥). وكذلك بالنسبة لتطهيرها من نجاستها (ع ٦– ٨).

عدد ١ – ٥

الناموس هنا يعتبر المرأة التي تلد نجسة من الناحية الطقسية. ويقول اليهود: إن الشريعة تمتد لتشمل حتى الإجهاض، إذا ما تكوَّن الطفل وأصبح من الممكن تمييز جنسه.

(١) كان هناك وقت لعزلة صارمة بعد الولادة مباشرة. وأثناء هذه الأيام تعتزل تماما عن زوجها وصديقاتها، والذين يقومون على العناية بها يعتبرون نجسين من الناحية الطقسية، وهذا هو السبب في أن الذكور لا يختتنون حتى اليوم الثامن، ذلك أنهم اشتركوا في نجاسة الأم خلال أيام عزلتها.

(٢) حُددت أيضا فترة أطول لتطهيرها. وخلال هذه الفترة لا تُعزل إلا بالنسبة للذهاب إلى المقدس، وتُمنع من أكل الفصح، أو ذبائح السلامة. أما إذا كانت زوجة كاهن، فلا تأكل من أي شيء كان مقدسا للرب. ولو لم تدخل الخطية، لما صاحب تلك البركة العظيمة: «أثمروا واكثروا»، سوى الطهارة. وإبعاد المرأة عن المقدس لهذه الأيام العديدة، يشير إلى أن فسادنا الأول كان سيبعدنا إلى الأبد عن التمتع بالله ونعمه، لولا أن برحمته دبّر أمر تطهيرنا.

عدد ٦ – ٨

عندما يحين موعد عودة المرأة التي ولدت إلى المقدس، عليها أن تحضر ذبائحها (ع ٦).

(١) ذبيحة محرقة: تقدم خروفا إذا كان بوسعها ذلك، أما إذا كانت فقيرة فتقدم فرخ حمام أو يمام. وهذه تقدمها شاكرة إلى الله من أجل رحمته بها، إذ أحضرها سالمة بعد آلام حملها، ومخاطر المخاض، وتعبيرا عن رغبتها وآمالها في مزيد من نعمة الله سواء بالنسبة لها أو لطفلها. وحين يُولد طفل يصاحب ولادته فرح ورجاء، وعلى ذلك كان من اللائق تقديم هذه الذبيحة. غير أنه إلى جانب هذا:

(٢) يتحتم عليها أن تقدم «ذبيحة خطية»، والتي يتساوى فيها الفقير والغني، وهي فرخ حمام أو يمام، لأنه أيا كان الفرق بين الغني والفقير في ذبائح الاعتراف والإقرار، إلا أن ذبيحة الكفارة يجب أن تكون واحدة بالنسبة لكليهما. وذبيحة الخطية هذه قُصد بها:

أ. إما لإكمال تطهيرها من تلك النجاسة الطقسية، والتي على الرغم من أنها في حد ذاتها ليست خطية، غير أنها كانت نموذجا للنجاسة الأدبية، وإما...

ب. للتكفير عن أمر كان في واقع الأمر خطية، إما رغبة جامحة للحصول على بركة الأطفال، أو عدم قناعتها وتبرمها أثناء آلام إنجاب الطفل. وطبقا لهذه الشريعة، نجد أن أم ربنا المبارك، وعلى الرغم من أنه لم يُحبل به في الخطية، إلا أنها أتمت «أيام تطهيرها» قدمت ابنها للرب لأنه كان بكرا، وأحضرت ذبيحتها

«فرخي حمام» (لو ٢: ٢٢- ٢٤). وقد كان والدا المسيح على درجة كبيرة من الفقر حتى إنهما عجزا عن إحضار خروف من أجل ذبيحة المحرقة، وهكذا وفي وقت مبكر جدا جُعل المسيح «تحت الناموس. ليفتدي الذين هم تحت الناموس».

الأصحاح الثالث عشر

والنجاسة الطقسية التالية التي يتناولها هذا الأصحاح هي البرص، وجاءت الشريعة مفصلة ودقيقة بالنسبة له. ونرى في هذا الأصحاح طريقة اكتشافه، أما في الأصحاح التالي فنقرأ عن أسلوب التطهر منه. وبالكاد نرى أمرا واحدا أخذ هذا الحجم في كل الشريعة اللاوية مثلما هو الحال بالنسبة لهذا الموضوع.

أولا: ذُكرت هنا القواعد التي يمكن للكاهن بواسطتها الحكم هل الشخص إذا كان مصاب بمرض البرص أم لا، وذلك طبقا للأعراض التي تظهر.

(١) إذا كانت ناتئ أو قوباء أو لمعة (ع ١- ١٧).
(٢) إذا كانت دملة (ع ١٨- ٢٣).
(٣) إذا كانت التهابا (ع ٢٤- ٢٨).
(٤) إذا كانت في الرأس أو في الذقن (ع ٢٩- ٣٧).
(٥) إذا كانت لمع في جلد جسده (ع ٣٨ و٣٩).
(٦) إذا كانت في رأس قرعاء (ع ٤٠- ٤٤).

ثانيا: التوجيهات الخاصة بكيفية التعامل مع الأبرص (ع ٤٥ و٤٦).

ثالثا: بخصوص البرص الذي في الثياب (ع ٤٧- ٥٩).

عدد ١- ١٧

أولا: بالنسبة لمرض البرص لنا أن نلاحظ بصفة عامة، أنه كان يعتبر نجاسة أكثر منه مرضا، أو على الأقل هذه هي نظرة الناموس له، وعلى ذلك استُخدم في التعامل معه كهنة وليس أطباء. وقد ذُكر أن المسيح كان يطهر البرص بكلمة أمره. ولا نقرأ عن أحد مات بمرض البرص، لكنه بالأحرى حرمهم من الحياة، وذلك بتحريم مجرد الحديث معهم وقصر ذلك على الذين أُصيبوا بالمرض مثلهم. وقد ذُكر أن البرص بدأ أولا في مصر ثم انتشر من هناك إلى سوريا. وإذ احتفظ اليهود بالعادات الوثنية التي تعلموها في مصر، ولهذا كان عدلا من الله أن يجعل هذا المرض، وغيره من أمراض مصر تتبعهم إلى هناك. ومع ذلك نقرأ عن نعمان السرياني أنه كان أبرص (٢مل ٥: ١). وهناك الكثير من الطفح الجلدي الذي يشبه البرص إلى حد كبير، ولكنه ليس كذلك، وهي تجعل الإنسان متقرحا تعافه النفس، ومع ذلك لا يكون نجسا من الناحية الطقسية. وقد أُحيل القرار الخاص بتحديد نوعية هذا المرض إلى الكهنة. وكان يُنظر إلى المصابين بالبرص على أنهم موصومون بالعار بواسطة عدالة الله، ولذلك تُرك لخدامه الكهنة -الذين يُفترض أنهم أفضل مَنْ يعرفون علاماته- مهمة إعلان مَنْ هم البُرّص، ومَنْ هم الذين على خلاف ذلك. وكان البرص رمزا للنجاسة الأدبية لعقول البشر بواسطة الخطية، التي هي برص النفس، وتنجس حتى الضمير، ولا يستطيع أحد أن يطهرنا منها إلا المسيح وحده، لأن قوة نعمته تسمو بلا حدود قوة الكهنة، ذلك أن الكاهن ليس في مقدوره سوى أن يدين الأبرص (لأنه بالناموس عُرفت الخطية) غير أن المسيح يستطيع أن يشفي الأبرص، ويقدر أن يغفر الخطية. «يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني»، وهذا ما لا يستطيع الكهنة عمله (مت ٨: ٢). إنه عمل له أهميته البالغة، ولكنه صعب للغاية، ألا وهو أن نحكم على حالتنا الروحية: ولدينا جميع الأسباب التي تحملنا على أن نرتاب في أنفسنا، إذ نحن ندرك القرح والوصمات التي فينا، ولكن هل هي طاهرة أم لا، فهذا هو السؤال.

ثانيا: وُضعت هنا بعض القواعد التي يتحتم على الكاهن أن يلتزم بها.

(١) إذا كانت مجرد ضربة «في جلد جسده»، كان ثمة أمل في أنها ليست برصا (ع ٤). أما إن كانت «أعمق من الجلد»، فيجب أن يُعلن الشخص نجسا (ع ٣). فالضعف الذي يتجاوب مع النعمة لا يتعمق في النفس، ولكن الذهن يخدم «ناموس الله» ويُسر به «الإنسان الباطن» (رو ٧: ٢٢، ٢٥). غير أنه إذا كانت الحالة أسوأ مما تبدو، بوجود تلوث داخلي، هنا تُعد الحالة خطيرة.

(٢) إذا كانت الضربة «قد وقفت» ولم تمتد في

الجلد، فهي ليست برصا (ع ٥ و٦). ولكن إذا كانت «تمتد» وواصلت ذلك بعد عدة فحوصات، فالحالة سيئة (ع ٧ و٨)، وإذا لم يتطور الإنسان إلى أسوأ، لكنه توقف عن السير في خطاياه، وكبح جماح نفسه، هنا يكون ثَمة رجاء في أنه سوف يتحسن، غير أنه إذا تأصلت الخطية، وازدادت حالته سوءا يوما بعد الآخر، فإنه في سبيله إلى التدهور والانحدار السريع.

(٣) ولكن إذا كان «في الناتئ وَضَحٌ من لحم حي»، فلا حاجة بالكاهن إلى الانتظار بعد ذلك، فمن المؤكد أنها حالة برص (ع ١٠ و١١). بل وليس هناك من دلالة أقوى على سوء حالة الإنسان الروحية، من امتلاء القلب بالغرور والثقة في الجسد، ومقاومة توبيخات الكلمة وجهاد الروح.

(٤) لكن إن كان البرص قد أفرخ في الجلد من رأسه إلى قدمه، لا يكون ذلك برصا (ع ١٢ و١٣). لأن في هذا دليلا على أن الأعضاء الحيوية سليمة وقوية، وهكذا تكون الطبيعة قد ساعدت نفسها، وطرحت إلى خارج ما هو ثقيل وخبيث. فهناك أمل في مرض الجدري الخطير، إذا ما كان يُرى بكل وضوح، وهكذا أيضا إذا اعترف الإنسان بخطاياه بكل صراحة، ولم يُخفها، فلن يكون ثَمة خطر مماثل لما يتعرض له أولئك الذين يكتمون خطاياهم. والبعض يستنتج من هذا أن هناك أملا في الملحد أكثر مما هو الحال بالنسبة للمرائي. إن العشارين والزناة يسبقون الكتبة والفريسيين إلى ملكوت الله. فمن ناحية ما نجد أن الانفجار المباغت للغضب، على الرغم من أنه سيئ للغاية، غير أنه ليس في خطورة الحقد الدفين. وآخرون يستنتجون من هذا أنه إذا ما حكمنا على أنفسنا فلن يُحكم علينا، وإن اعترفنا أنه ليست في أجسادنا صحة... وليست في عظامنا سلامة، بسبب الخطية، سوف نجد نعمة في عيني الرب.

(٥) يتحتم على الكاهن أن يتمهل قبل إصدار حكمه، ولا يندفع فيه.

عدد ١٨ – ٣٧

تتضمن هذه الفقرة التعليمات التي صدرت للكاهن فيما يختص بالحكم الذي عليه أن يُصدره إذا ما كان هناك أي ظهور للبرص في الحالات التالية:

(١) في دُملة قد برئت (ع ١٨– ٢٣). وإذا ما عادت القروح القديمة– التي بدت وكأنها برئت. إلى الطفح ثانية، هنا يُخشى من أنها قد تكون مصابة بالبرص. وهذا هو الخطر الذي يتعرض له أولئك الذين إذا تخلَّصوا من أدناس العالم، يعودون ثانية و«يرتبكون أيضا فيها فينغلبون» (٢بط ٢: ٢٠).

(٢) في كي نار نتيجة حدث مفاجئ، إذ يبدو أن هذا هو المعنى المقصود (ع ٢٤– ٢٨)؛ ذلك أن نار الخصام والمنازعات كثيرا ما يثبت أنها وراء اندلاع الفساد الذي يشهد صراحة على نجاسة الإنسان.

عدد ٣٨– ٤٦

أولا: بند شرطي بأن البهق أو القرع لا يجب أن يُؤخذ خطأ على أنه برص (ع ٣٨– ٤١)، ولا يجب التسرع باعتبار أي تشوه على أنه نجاسة طقسية.

ثانيا: علامة معينة للبرص إذا ما ظهرت بالفعل في أي وقت في جلد الرأس «فيحكم الكاهن بنجاسته. إن ضربته في رأسه» (ع ٤٤). وإذا تمكن برص الخطية من الرأس، وإذا فسد الفكر، وتبنى الناس المبادئ الشريرة التي تؤيد الممارسات الشريرة وتساندها، فهذه ذروة النجاسة. وسلامة الإيمان تحفظ الرأس من البرص.

ثالثا: تعليمات بشأن ما يجب اتخاذه حيال الشخص الذي حُكم بأنه أبرص: فحين يحكم الكاهن –بعد تفكير وترو– أنه نجس فإنه:

(١) عليه أن يعلن عن نفسه أنه هكذا (ع ٤٥). يجب أن يضع نفسه في وضع النائح ويصيح: «نجس نجس»، وعلى ذلك يتعين عليه:

أ. أن يتضع أمام يد الله القوية، ولا يُصر على طهارته بعد أن يُعلن الكاهن أنه نجس. ويجب أن يظهر هذا بأن «تكون ثيابه مشقوقة ورأسه يكون مكشوفا ويغطي شاربيه»، وكل علامات العار والارتباك على وجهه، والتي تدل على كراهية النفس وإذلالها، والتي يجب أن تملأ قلوب أولئك الذين يتوبون، وهذا ما يُسمى بالحكم على الذات.

ب. عليه أن يحذر الآخرين من الاقتراب منه. وحيثما ذهب عليه أن ينادي على أولئك الذين يراهم من على بعد قائلا: «نجس نجس»، انتبهوا حتى لا

تلمسوني. وليس معنى ذلك أن البرص مُعدٍ، ولكن الذي يلمس الأبرص يصبح نجسا من الناحية الطقسية. وهذا كل ما استطاع الناموس أن يعمله، فالناموس لا يظهر لنا سوى أمراضنا، أما الإنجيل فيبين لنا خلاصنا في المسيح.

(٢) بعد ذلك يجب طرده من المحلة، وفي وقت لاحق، حينما جاءوا إلى كنعان، يطرد خارج المدينة أو البلدة أو القرية، حيث كان «يقيم وحده» (ع ٤٦)، ولا يختلط بأحد سوى أولئك الذين كانوا برصا مثله.

عدد ٤٧ – ٥٩

هذه هي شريعة وباء البرص الذي يلحق بالثياب، سواء كانت من كتان أو من صوف. والبرص في ثوب، مع وجود دلالات ملحوظة عليه، هو أمر لا نجد له الآن أي تعليل على الإطلاق. وهذا الأمر مماثل لذاك المتعلق بشخص أبرص. والثوب المشتبه فيه لا يجب حرقه على الفور، بل يجب أن يُعرض «على الكاهن». وإذا وُجد –بعد الفحص– أنه «برص مفسد» فإنه بالنار يحرق. وإذا تلاشى سبب الاشتباه، «فيغسل ثانية فيطهر» (ع ٥٨).

الأصحاح الرابع عشر

في الأصحاح السابق تم توجيه الكهنة عن كيفية إدانة الأبرص بالنجاسة الطقسية. والعلاج هنا يُطبق فقط على الناحية الطقسية من مرضه، لكن السلطان الذي أعطاه المسيح لخدامه هو أن يشفوا البرص وأن يطهروهم.

ويتضمن هذا الأصحاح:

أولا: إعلان تطهير الأبرص (ع ١– ٩).

ثانيا: الذبائح التي ينبغي عليه أن يقدمها لله بعد ذلك بثمانية أيام (ع ١٠– ٣٢).

ثالثا: معاملة البيت الذي تظهر فيه علامات البرص (ع ٣٣– ٥٣). ختام هذا الموضوع كله وموجزه (ع ٥٤– ٥٧).

عدد ١ – ٩

أولا: لقد افتُرض أن ضربة البرص لم تكن غير قابلة للشفاء. والواقع أن عزيا استمر في برصه حتى مماته، غير أن مريم لم تستمر في برصها سوى سبعة أيام. ولنا أن نفترض أن المرض يزول مع مرور الزمن.

ثانيا: حكم الشفاء وكذلك الحكم بوجود المرض هو من اختصاص الكاهن، عليه أن يخرج من المحلة ليذهب إلى الأبرص، لكي يرى ما إذا كان قد برئ من برصه (ع ٣). وكان من رحمة الله بالبُرص المساكين أنه أسند إلى الكهنة بالذات أن يتابعوا حالاتهم. فحين يُطرد الأبرص خارج المحلة ولا يصبح بمقدوره الذهاب إلى الكاهن، كان –لحسن حظه– يجب على الكاهن أن يتوجه إليه. «أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة» (يع ٥: ١٤). وإذا ما طبقنا ذلك على برص الخطية الروحي، فهذا ما يشير إلى أنه حينما نقاطع مَنْ لا يسيرون سيرا حسنا، حتى يخجلوا من أنفسهم، لا يجب أن نحسبهم كأعداء بل ننذرهم كإخوة (٢تس ٣: ١٥). وكما يقود الله بنعمته أولئك الذين أُبعدوا عن الجماعة بسبب خطية ما إلى التوبة، هكذا يجب أن نقبلهم بلطف وفرح ومحبة خالصة. وهذا ما أمر به الرسول بولس فيما يتعلق بالكورنثي الذي صدر ضده حرمانا كنسيا، أنه بعد أن قدم أدلة على توبته، عليهم أن يسامحوه ويعزوه ويُمكِّنوا له «المحبة» (٢كو ٢: ٧ و٨).

ثالثا: إذا وُجد أن الأبرص قد شُفي، على الكاهن أن يعلن ذلك من خلال طقس معين. فعلى الأبرص أو أصدقائه أن يجهزوا عصفورين يتم صيدهما لهذا الغرض (أي نوع من الطيور الطاهرة) وخشب أرز وقرمز وزوفا.

(١) يُجهز خليط من دم وماء وينضح منه على المتطهر. يجب ذبح أحد العصفورين في إناء خزف على ماء حي، لكي يُغيّر دم العصفور من لون الماء.

(٢) أما العصفور الحي فيجب ربطه في عصا من خشب أرز مع قرمز وحزمة من زوفا، ثم تُغمس هذه في الماء والدم، وبعد ذلك تنضح على ذاك الذي يريد أن يتطهر (ع ٦ و٧). وخشب الأرز يرمز إلى أن الأبرص قد استعاد قوته وصحته، لأن هذا النوع من الخشب غير قابل للتعفن. أما القرمز فيشير إلى استعادته لونه الصحي ثانية، لأن البرص كان قد جعله أبيض اللون

مثل الثلج. أما الزوفا فترمز إلى إبعاد الرائحة الكريهة التي عادة ما تصاحب الأبرص. وخشب الأرز، وهو أفخم أنواع النبات، والزوفا وهو أقلها قيمة استُخدما معا في هذه الخدمة (انظر ١ ملوك ٤: ٣٣) ويجب أن يُنضح على المتطهر «سبع مرات»، إشارة إلى تطهير كامل، وهنا نجد إشارة إلى صلاة داود: «اغسلني كثيرا من إثمي» (مز ٥١: ٢)، وقد طُلب من نعمان أن يغتسل «سبع مرات» (٢ مل ٥: ١٠).

(٣) بعد ذلك كان يُطلق سراح الطائر الحي في الحقول الفسيحة، وهذه إشارة إلى أن الأبرص إذ تطهر الآن، فلم يعد بعد تحت قيود الإبعاد والعزل، بل هو حر في أن يتوجه حيث شاء. ولكن، إذ رُمز إلى ذلك بطيران طائر نحو السماء، ففي هذا إشارة إلى أنه من واجبه بعد ذلك أن يطلب ما فوق، ولا يقضي هذه الحياة الجديدة التي أعاده الله إليها في مجرد السعي وراء الأرضيات. فالذين سبق أن كانت نفوسهم «منحنية إلى التراب» (مز ٤٤: ٢٥)، في حزن وخوف، عليهم الآن أن يطيروا في رحب السماء الواسعة، ويحلقون إلى أعلى على أجنحة الإيمان والرجاء، والمحبة المقدسة والفرح.

(٤) وهنا، على الكاهن أن يُعلن أنه قد طهُر. وأولئك الذين يعلن المسيح أنهم أطهار، هم هكذا بالفعل، وعليهم ألا يهتموا بما يقوله الناس عنهم. ومع أن «غاية الناموس هي المسيح للبر»، إلا أنه إذا كان في أيام حياته على الأرض بالجسد، فقد وُلد تحت الناموس، وعلى هذا أمر البُرّص الذين شفاهم بمعجزة أن يمضوا ويروا أنفسهم للكاهن (مت ٨: ٤؛ لو ٥: ١٤).

(٥) بعد أن يُعلن أن الأبرص قد برئ، عليه أن يغسل جسمه وثيابه، «ويحلق كل شعره» (ع ٨)، ومع ذلك عليه أن يبقى خارج المحلة سبعة أيام، ويكرر ذلك في اليوم السابع (ع ٩). وبعد أن يُعلن الكاهن أنه قد طهُر من مرضه، عليه أن يتخلص بقدر إمكانه من آثار ذلك ومن بقية النجاسات الأخرى.

عدد ١٠ – ٢٠

أولا: ولكي يكمل تطهير الأبرص، عليه في اليوم الثامن، بعد أن تم إجراء الطقس السابق خارج المحلة، كان عليه أن يحضر «لدى باب خيمة الاجتماع»، وهناك يُقدم «أمام الرب» مع ذبائحه (ع ١١). ومما تجدر ملاحظته هنا:

(١) إن مراحم الله تلزمنا على أن نقدم أنفسنا له (رو ١٢: ١).

(٢) حينما يعيدنا الله ثانية إلى حرية الفرائض، بعد القيود الناجمة عن المرض، أو بعد المسافة أو ما إلى ذلك، علينا أن ننتهز أول فرصة لنُثبت توقيرنا لله، ومحبتنا لمقدسه.

ثانيا: على المتطهر أن يُحضر ثلاثة خراف مع تقدمة، ولج زيت، وهو ما يساوي ١/ ١٢ من الجالون.

(١) معظم الطقس الذي تتفرد به هذه الحالة كان يدور حول ذبيحة الإثم، والتي قُدم من أجلها الخروف أولا (ع ١٢). ويقول اليهود إن الأبرص كان يقف خارج باب خيمة الاجتماع، والكاهن من الداخل، وهكذا كان الطقس يُؤدى عبر الباب، الأمر الذي يشير إلى أنه مسموح له الآن أن يدخل إلى ديار بيت الرب ثانية مع سائر بني إسرائيل، وأصبح يُرحَّب به كما كان شأنه دائما، على الرغم من أن اللقب قد يلازمه طوال حياته. ونحن نقرأ عن شخص ربما طهره ربنا يسوع، ومع ذلك ظل يُلقب بعد ذلك بسمعان الأبرص (مت ٢٦: ٦). البُرص الذين يتطهرون يُرحب بهم إلى ممارسة العبادة تماما مثل الكهنة.

(٢) وفضلا عن ذلك يجب تقديم ذبيحة خطية ومحرقة، خروفا لكل منهما (ع ١٩ و٢٠). وذُكر أنه بكل من هاتين الذبيحتين «يكفر عنه الكاهن أمام الرب».

أ. يزال إثمه من الناحية الأدبية.

ب. تُزال نجاسته الطقسية، وهي التي كانت تحول بينه وبين المشاركة في الأمور المقدسة. وهذا ما أُشير إليه بعبارة «ويُكفِّر عنه الكاهن»، ذلك لأن إعادتنا إلى التمتع بمزايا أولاد الله –الأمر الذي رُمز إليه هنا– إنما يرجع إلى الكفارة العظيمة وحدها. والمحرقة، إلى جانب الكفارة التي عُملت بها، تُعد إقرارا بالشكر لرحمة الله عليه، وكلما كانت يد الله ظاهرة في المرض وشفائه، كان الأدعى به أن يعطي مجدا لله، وهكذا، وكما قال

مُخلِّصنا (مر ١: ٤٤) أن يقدم عن تطهيره «ما أمر به موسى شهادة لهم».

عدد ٢١- ٣٢

تتضمن هذه الفقرة التدبير الكريم الذي وفره الناموس من أجل تطهير البُرّص الفقراء. فإذا لم يكن بوسعهم إحضار ثلاثة خراف، وثلاثة أعشار الإيفة من الدقيق، بمقدورهم أن يحضروا خروفا واحدا وعُشر الإيفة من الدقيق، وعوض الخروفين الآخرين، يحضرون يمامتين أو فرخي حمام (ع ٢١ و٢٢). ونلاحظ هنا:

(١) فقر الإنسان لن يعفيه من عدم إحضار ذبائح على الإطلاق، ولا يجب على أحد أن يعتقد أنه مادام فقيرا فإن الله لا يطلب منه شيئا إذ قد أخذ ذلك بعين الاعتبار، ولم يطلب منهم إلا ما في وسع أفقر الناس أن يقدمه «يا ابني أعطني قلبك». وبهذا تكون «عجول شفاهنا" أكثر قبولا لدى الله من عجول مسمنة.

(٢) الله لا ينتظر من الفقراء إلا بحسب قدرتهم. وحين يتواجد قبل كل شيء نفس راغبة وقلب مستقيم مع فرخي الحمام، إذا كان هذا أقصى ما يستطيع الإنسان أن يحصل عليه، فسوف يكون ذلك مقبولا لدى الله مثل خروفين.

عدد ٣٣- ٥٣

هذه هي شريعة البرص إذا كان في بيت. والبرص في بيت أمر غير مقبول مثل البرص في الثياب. ومما يُلاحظ في هذا الصدد:

(١) افتُرض أنه حتى في كنعان ذاتها، وهي أرض الموعد، يمكن أن تُصاب بيوتهم بالبرص.

(٢) وأُخذ كأمر مُسلَّم به أن صاحب البيت سيُعلم الكاهن بهذا الأمر، بمجرد أن يرى أولى العلامات التي تدعوه إلى الشك بوجود برص في البيت. وحين تتملك الخطية من بيت، تصبح فيه كوباء مثلما تكون كذلك بالنسبة للقلب. ويجب أن يكون أرباب العائلات على علم، بل وفي خوف، من ظهور خطية كبيرة في عائلاتهم، وأن يطرحوا الإثم، أيا كان، بعيدا عن خيامهم (أي ٢٢: ٢٣).

(٣) وإذا اكتشف الكاهن -بعد الفحص- أن ضربة برص أصابت البيت، عليه محاولة علاجها، وذلك بنزع الجزء المصاب من البيت (ع ٤٠ و٤١). وهذا يُعد بمثابة بتر عضو ملوث بغية المحافظة على بقية الجسم.

(٤) وإذا ظلت مع ذلك في البيت، هنا يتحتم هدم البيت كله، وكل ما كان به من أدوات يجب أن يُطرح في مكان نجس (ع ٤٤ و٤٥).

(٥) وإذا ما نجم عن خلع الأحجار المصابة أن برأ البيت، ولم ينتشر البرص. أكثر من ذلك، هنا يتعين تنظيف المنزل، ولا يُكتفى بتهويته حتى يصبح صحيا، بل يُطهر من النجاسة الطقسية، حتى يصبح ملائما لأن يكون مسكنا لشخص من شعب الله. وطقس تطهيره هو إلى حد كبير نفس طقس تطهير الشخص الأبرص (ع ٤٩- ٥٧). ونفس العناية يجب أن نوليها لتصحيح الخطأ في عائلاتنا، حتى نعبد نحن وبيوتنا الرب (انظر تكوين ٣٥: ٢).

عدد ٥٤- ٥٧

هذه خاتمة الشريعة الخاصة بالبرص، ولنا أن نرى فيها:

(١) الرعاية الكاملة التي يوليها الله لشعبه إسرائيل. حين شُفي نعمان السرياني من برصه لم يُؤمر بأن يُري نفسه للكاهن، مع أنه شُفي في الأردن، بينما طُلب من اليهود الذين شفاهم مخلصنا أن يفعلوا ذلك.

(٢) الاهتمام بحياتنا الروحية، وذلك لنحفظ أفكارنا من سيطرة كل المشاعر والميول الخاطئة، التي هي سبب اعتلالها ونجاستها، حتى نكون لائقين لعبادة الله.

الأصحاح الخامس عشر

يتضمن هذا الأصحاح شرائع متعلقة بنجاسات طقسية أخرى تنشأ عن مرض بدني مثل البرص، أو بعض العوارض الطبيعية، التي إما أن تكون:

أولا: في الرجال (ع ١- ١٨).

ثانيا: في النساء (ع ١٩- ٣٣)، ولسنا في حاجة لأن نكون ماهرين في تفسير هذه الشرائع العتيقة، ويكفي في

هذا الصدد مراعاة القصد العام منها، لكننا في حاجة إلى توخي الحرص البالغ لئلا تكون الوصايا فرصة للخطية لكي تزداد بشاعة.

عدد ١ – ١٨

أمامنا هنا الشريعة الخاصة بالنجاسة الطقسية الناجمة عن إفرازات الجسم بالنسبة للرجال، والتي تتأتى عادة نتيجة الحياة الماجنة النجسة. فالمرض النجس ينجم عن الأعمال النجسة، وكل منْ يُصاب بهذا المرض فإنه:

(١) يُعد هو نفسه نجسا (ع ٢). ولا يجب أن يتجرأ أو يقترب من المقدس.

(٢) كل ما يلمسه سواء كان إنسانا أو أي شيء آخر يصبح نجسا، وكذلك مَنْ يلمسه (ع ٤– ١٢). وهذا ما يشير إلى أن الخطية يمكن أن تنتقل بالعدوى، فالخطر الذي يمكن أن نتعرض له هو أننا سوف نتنجس نتيجة حديثنا مع أولئك النجسين.

(٣) بعد أن يبرأ من المرض لا يتطهر من النجاسة بدون ذبيحة، يتحتم عليه أن يُهيئ نفسه للتطهير بالاستحمام في ماء حي (ع ١٣– ١٥). وهذا ما يشير إلى الواجبات العظيمة التي يفرضها الإنجيل مثل الإيمان والتوبة، والمزايا العظيمة التي يتيحها الإنجيل بالاستعانة بدم المسيح في تبريرنا، ونعمته في تقديسنا.

عدد ١٩ – ٣٣

هذه الفقرة تتناول النجاسة الطقسية التي تلحق بالنساء بسبب دورتهن الشهرية. فهذه تجعل المرأة نجسة (ع ٢٥)، وتجعل كل شيء تلمسه نجسا (ع ٢٦ و٢٧). وإذا وُجد بعد سبعة أيام أن فترة حيضها انتهت تماما، يمكن أن تتطهر بتقديم يمامتين أو فرخي حمام للتكفير عنها (ع ٢٨ و٢٩). وقد تعلموا من هذه الشرائع أنهم قد تطهروا لله «وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة شعب اقتناء». كما تعلموا أيضا أن يحفظوا طهارتهم، وأن ينأوا بأنفسهم عن كل نجاسات خاطئة. وفي كل هذه الشرائع يبدو أنه كان ثَمة اعتبار خاص لكرامة خيمة الاجتماع، التي ما كان أحد يقربها وهو في نجاسته، لئلا يموتوا في نجاستهم «بتنجيسهم مسكني». وبهذا تعلموا ألا يقتربوا إطلاقا إلى الله إلا بكل إجلال، يشعرون في تواضع بعدم استحقاقهم، والخطر المحدق بهم.

ليتنا نبارك الله أننا لسنا تحت نير هذه الفرائض الجسدية، وكما أنه لا يستطيع شيء أن يُهلكنا، فإنه لا يستطيع شيء أيضا أن يُنجسنا سوى الخطية وحدها، وأولئك الذين لم يتجرأوا أن يأكلوا من ذبائح السلامة في ذلك الحين، يمكنهم الآن أن يشتركوا في مائدة الرب. وليتنا ندرك جميعا كيف أن القداسة الحقيقية أمر ضروري لا غنى عنه بالنسبة لسعادتنا المستقبلية، وأن نطهر بالإيمان قلوبنا، حتى نعاين الله.

الأصحاح السادس عشر

يتضمن هذا الأصحاح الطقس السنوي ليوم الكفارة، أو الغفران، والذي يحوي أهمية كبيرة لعلها لا تقل عن أي مما فرضه الناموس الطقسي، وهذا ما يظهر من الإشارة إليه في عبرانيين ٩: ٧– ٢٨. وهذا فيما يتعلق بالذبيحة المقررة التي تهم الأمة كلها، وخدمة اليوم بكاملها أُنيط بها إلى رئيس الكهنة.

أولا: عليه ألا يدخل قدس الأقداس إلا في هذا اليوم فقط (ع ١ و٢).

ثانيا: عليه أن يدخل في ثياب كتانية (ع ٤).

ثالثا: عليه أن يحضر ذبيحة خطية ومحرقة عن نفسه (ع ٣)، ويقدم ذبيحة خطيته (ع ٦– ١١)، ثم يدخل داخل الحجاب ببعض من دم ذبيحة الخطية الخاصة به، ويوقد بخورا، ويرش الدم أمام غطاء التابوت (ع ١٢– ١٤).

رابعا: يقدم تيسين عن الشعب، ويلقي عليهما قرعة،

(١) واحد منهما يكون ذبيحة خطية عن الشعب (ع ٥، ٧– ٩) وينبغي أن ينضح من دمه أمام الغطاء (ع ١٥– ١٧)، وبعدئذ يُنضح بعض من دم ذبيحتي الخطية على المذبح (ع ١٨ و١٩).

(٢) الآخر يجب أن يكون التيس المطلق (ع ١٠)، الذي يجب أن يحمل كل خطايا إسرائيل عليه، ثم يُرسل طليقا إلى البرية (ع ٢٠– ٢٢)، والذي يأخذه إلى البرية يتنجس من الناحية الطقسية (ع ٢٦).

خامسا: بعد ذلك تقدم ذبيحتي المحرقة، ويُوقد شحمهما على المذبح، أما لحمهما فخارج المحلة (ع ٢٣– ٢٥، ٢٧ و٢٨).

سادسا: يجب على الشعب أن يحفظ هذا اليوم من الناحية الدينية في راحة مقدسة، وحزن مقدس بسبب الخطية، وتكون هذه فريضة إلى الأبد (ع ٢٩- ٣٤).

عدد ١ - ٤

أولا: تاريخ هذه الشريعة الخاصة بيوم الكفارة، كان ذلك «بعد موت ابني هارون» (ع ١)، وهذا ما نقرأ عنه في سفر اللاويين ١٠: ١.

(١) لئلا يخشى هارون من بقاء أي إثم من هذه الخطية عالقا بأسرته، فقد وُجه هنا أن يعمل كفارة لأهل بيته.

(٢) وإذ حُذر الكهنة بموت ناداب وأبيهو بضرورة الاقتراب إلى الله في ظل من التوقير والخوف المقدس، فقد صدرت التوجيهات هنا بشأن كيفية التقدم إلى الله بأقرب وسيلة.

ثانيا: القصد من هذه الشريعة: من بين أهدافها المحافظة على جلال قدس الأقداس في داخل الحجاب، حيث تسكن سحابة المجد، أو المجد الإلهي بين الكروبين. ولذلك لا يجب أن يقترب أحد إطلاقا وراء الحجاب سوى رئيس الكهنة فقط، وحتى هذا عليه أن يفعل ذلك مرة واحدة في السنة. لكننا نرى هنا التغيير المبارك الذي أحدثه إنجيل المسيح؛ فكل المسيحيين الأتقياء لهم الآن «ثقة بالدخول إلى الأقداس» مرورا بالحجاب، كل يوم (عب ١٠: ١٩ و٢٠)، ونحن نتقدم «بثقة» (وليس مثلما كان يفعل هارون، بخوف ورعدة) «إلى عرش النعمة» (عب ٤: ١٦). وكلما ازدادوا معرفة به، زاد ما يظهره الإيمان من عظمة وصلاح: ولذلك يُرحب بنا الآن أن نأتي إلى بيت غير مصنوع بأيدٍ. ثم إن هارون كان عليه ألا يقترب في كل الأوقات «لئلا يموت». أما نحن فعلينا الاقتراب كل حين لكي نحيا، أما ابتعادنا عنه ففيه موتنا.

ثالثا: الشخص الذي كُلف بعمل هذا اليوم: هو رئيس الكهنة وليس أحد سواه: «بهذا يدخل هارون إلى القدس» (ع ٣).

رابعا: ما يرتديه رئيس الكهنة أثناء هذه الخدمة: ليس عليه أن يرتدي ملابس غالية، أو يرتدي الأفود بما يحويه من أحجار كريمة، بل يكتفي بالملابس الكتانية فقط، وهي ما يرتديه في العادة مثل الكهنة الأقل رتبة (ع ٤). وهذا الثوب المتواضع كان أكثر ملائمة في يوم التذلل هذا.

عدد ٥- ١٤

يقول مؤرخو اليهود إنه قبل يوم الكفارة بسبعة أيام كان على رئيس الكهنة أن يُقيم في غرفة في الهيكل، حتى يُعِّد نفسه لهذا اليوم. خلال هذه الأيام السبعة كان يقوم بعمل الكهنة الأقل مرتبة.

(١) كان عليه أن يبدأ خدمة اليوم باكرا جدا بالذبيحة الصباحية العادية، بعد أن يكون قد غسل جسمه كله قبل أن يرتدي ملابسه، ثم يغسل يديه وقدميه بعد ذلك، ثم يوقد البخور اليومي، ويهيئ السُرُج، ويُقدِّم الذبيحة غير العادية المحددة في سفر العدد ٢٩: ٨.

(٢) عليه الآن أن يخلع ثيابه الفاخرة ويستحم، ثم يرتدي الملابس الكتانية، ثم يُقدِّم للرب ثوره الذي عزم على تقديمه ذبيحة خطية عن نفسه وأهل بيته (ع ٦).

(٣) عليه بعدئذ أن يُلقي قرعة على التيسين، اللذين كانا سيقدمان، وكلاهما ذبيحة خطية واحدة عن الجماعة، ويجب أن يذبح أحد هذين التيسين، كعلامة ترضية لعدل الله بسبب الخطية، أما التيس الآخر فينبغي إطلاقه كعلامة على غفران الخطية أو طرحها من قِبل رحمة الله. ويجب تقديم التيسين معا إلى الله (ع ٧) قبل أن تُلقى القرعة عليهما، وبعد ذلك يقدم التيس المطلق وحده (ع ١٠). والبعض يعتقد أن التيسين أُختيرا كذبيحة خطية، لأنهما برائحتيهما الكريهة يمثلان بشاعة الخطية.

(٤) بعد ذلك يذبح الثور كذبيحة خطية عن نفسه وعن بيته (ع ١١).

(٥) ثم يأخذ مجمرة مليئة بجمر نار، وطَبقا مليئا ببخور عطر ويدخل إلى قدس الأقداس، ويضع الجمر على الأرض، وينثر البخور عليه، وبذلك تمتلئ الحجرة في الحال بسحابة البخور. ويقول اليهود إنه كان عليه أن يدخل بجنبه، حتى لا ينظر مباشرة إلى التابوت حيث المجد الإلهي، ثم يخرج متقهقرا إلى الوراء، بدافع احترامه للعظمة الإلهية، وبعد صلاة

قصيرة كان عليه أن يُظهر نفسه للشعب.

(٦) في المرة الثانية يُحضر دم الثور، ويأخذه معه إلى قدس الأقداس، المغطى بسحابة البخور، «وينضح بإصبعه» بالدم تجاه الغطاء (غطاء الكفارة)، مرة على وجه الغطاء ثم سبع مرات تجاه الجزء الأسفل منه (ع ١٤).

عدد ١٥ – ١٩

وحين يخرج الكاهن بعد نضح دم الثور أمام غطاء التابوت كان عليه:

(١) أن يذبح التيس، كذبيحة الخطية عن الشعب (ع ١٥)، ثم يدخل مرة ثالثة إلى قدس الأقداس لينضح دم التيس، مثلما فعل بالنسبة لدم الثور، وبهذا يكون قد كفّر «عن القدس» (ع ١٦). وإذ تصالح الله معهم، فسوف يستمر في سيره معهم.

(٢) أن يفعل نفس الشيء بالنسبة للجزء الخارجي من خيمة الاجتماع، وذلك كما فعل بالنسبة للحجرة الداخلية. والسبب الذي أشير إليه هو أنها «قائمة بينهم في وسط نجاساتهم» (ع ١٦). وبهذا يبين الله لهم كيف أن قلوبهم في حاجة ماسة إلى أن تُطهر.

(٣) بعد ذلك عليه أن يضع بعضا من الدم –دم الثور ودم التيس مختلطان معا– وذلك على قرون المذبح الذي أمام الرب (ع ١٨ و١٩).

عدد ٢٠ – ٢٨

بعد أن قدم رئيس الكهنة إلى الرب الذبائح الكفارية، عليه:

(١) أن يعترف بخطايا الشعب ويداه على رأس التيس الحي (ع ٢٠ و٢١)، وفي كل مرة توضع الأيدي على رأس أية ذبيحة، فلابد أن يصحب ذلك اعتراف بالخطية. وفي السنوات الأخيرة للعبادة اليهودية، وهي أكثر سنواتها انحدارا، كان لديهم صيغة ثابتة للاعتراف مُعَّدة لرئيس الكهنة. وبهذا الاعتراف فإنه يضع كل خطايا بني إسرائيل «على رأس التيس».

(٢) بعد ذلك يُطلق التيس فورا إلى البرية بواسطة شخص مناسب، وهي أرض غير مأهولة، وقد سمح الله لهم أن يفسروا الأمر على أن إطلاق التيس هو إبعاد لخطاياهم بعيدا، وذلك بكفارة مطلقة كاملة: «ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم» (ع ٢٢). وكان لليهود اللاحقين تقليدا، وهو أن يربطوا قطعة صغيرة من قماش قرمزي بقرون التيس، وقطعة أخرى بباب الهيكل، أو في قمة الصخرة التي فُقد التيس عندها، وقد ذهبوا إلى أنه إذا تحولت إلى اللون الأبيض –وهم يقولون إن هذا هو ما يحدث عادة – فمعنى ذلك أن خطايا بني إسرائيل قد غُفرت، كما هو مكتوب: «إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج» (إش ١ : ١٨)، ويضيفون القول بأنه لمدة أربعين سنة قبل خراب أورشليم على أيدي الرومان، لم تكن قطعة القماش القرمزي تُغير لونها على الإطلاق، وهذا اعتراف صريح بأنهم إذ رفضوا الجوهر لم ينفعهم الظل.

(٣) بعد ذلك يتحتم على رئيس الكهنة أن يخلع ثيابه الكتانية في خيمة الاجتماع، ويتركها هناك. ويقول اليهود إنه ما كان يُسمح لأحد بلبسها ثانية على الإطلاق سواء كان هو أو أي أحد غيره، لأنهم كانوا يصنعون ملابس جديدة كل سنة، وكان عليه أن يغتسل في ماء، ثم يرتدي ملابسه الفاخرة، وبعد ذلك يُقدم ذبيحة المحرقة عن نفسه ثم عن شعبه (ع ٢٣ و٢٤). وحينما نتعزى بمغفرة خطايانا علينا أن نعطي مجدا لله.

(٤) يجب أن يُحرق لحم ذبيحتي الخطية اللتين أُخذ دمهما إلى داخل الحجاب، في مكان ما بعيدا عن المحلة، الأمر الذي يرمز إلى نبذنا للخطية بتوبة حقيقية، وطرح الله لها بعيدا بمغفرة كاملة، حتى إنها لن تقوى ثانية في دينونة ضدنا.

(٥) مَنْ يأخذ التيس المطلق إلى البرية، وأولئك الذين يقومون بحرق ذبيحة الخطية، كان يُنظر إليهم على أنهم نجسون من الناحية الطقسية، وعليهم ألا يأتوا إلى المحلة إلا بعد غسل ملابسهم وأجسامهم بالماء؛ الأمر الذي يشير إلى طبيعة الخطية النجسة.

(٦) وبعد أن يتم كل هذا، يدخل رئيس الكهنة مرة ثانية إلى قدس الأقداس ليأخذ مجمرته، وهكذا يرجع إلى بيته بفرح، لأنه قام بواجبه، ولم يمُت.

عدد ٢٩- ٣٤

أولا: لدينا هنا بعض التوجيهات الإضافية فيما يتعلق بهذا الطقس العظيم، ولاسيما:

(١) اليوم المخصص لهذا الطقس، ويجب حفظه سنويا «في الشهر السابع في عاشر الشهر» (ع ٢٩).

(٢) واجب الشعب في هذا اليوم:

أ. عليهم أن يستريحوا من كل أشغالهم: «سبت عطلة هو لكم» (ع ٣١).

ب. عليهم أن ينكروا ذواتهم، ويمتنعوا عن كل المباهج والترف الجسدي، كعلامة على التذلل الداخلي وانسحاق النفس بسبب خطاياهم. وقد صاموا جميعا عن الطعام في هذا اليوم (ماعدا المرضى والأطفال) وألقوا جانبا كل زينة.

(٣) استمرار هذه الفريضة: «وتكون هذه لكم فريضة دهرية» (ع ٢٩، ٣٤). ولا يجب التغاضي عنها في أية سنة، أو إسقاطها إطلاقا إلى أن يُلغى هذا الفرض، وأن يتحقق المرموز إليه ليحل بدل الرمز. والتكرار السنوي للذبائح يُبين أنها لا تتضمن سوى تأثير ضئيل واهن فيما يتعلق بعمل الكفارة، ولا يمكن أن تُعمل بشكل فعال إلا «بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة». وكانت هذه المرة الواحدة كافية ولا حاجة لأن تُكرر بعد ذلك.

ثانيا: لنر ماذا هناك من الإنجيل في كل هذا:

(١) هنا نرى رمزا لنعمتين عظيمتين من نعم الإنجيل وهما غفران الخطايا والتقدم إلى الله، ونحن ندين بكلتيهما إلى وساطة ربنا يسوع، وعلى هذا يجب أن نعرف أن:

أ. التكفير عن الخطية الذي صنعه المسيح لنا. كان هو نفسه صانع الكفارة وهو أيضا مادتها، وذلك لأنه:

◄ الكاهن، رئيس الكهنة الذي «يُكفِّر خطايا الشعب» (عب ٢: ١٧). ولم يكن لأحد أن يتواجد مع رئيس الكهنة حين يصنع الكفارة (ع ١٧)، لأنه كان على ربنا يسوع أن يدوس المعصرة وحده ومن الشعوب لم يكن معه أحد (إش ٦٣: ٣)، ولذلك حين دخل آلامه «تركه التلاميذ كلهم وهربوا»، لأنه لو بقيَّ أحد منهم معه ثم لاقى الموت معه كان الأمر سيبدو كأنه ساهم في عمل الكفارة. ولكن، في حين أن الكفارة التي كان يعملها رئيس الكهنة كانت تختص بجماعة إسرائيل وحدها، فإن المسيح هو الكفارة، ليس لخطايا اليهود فقط، بل أيضا لخطايا العالم الأممي كله. وفي هذا أيضا فاق المسيح هارون دونما حدود، ذلك أن هارون كان في حاجة ليُقدم ذبيحة من أجل خطيته هو أولا، وكان عليه أن يعترف بها على رأس ذبيحة خطيته، غير أن ربنا يسوع لم يكن قد عمل أية خطية لكي يجاوب عنها.

◄ في الوقت الذي كان فيه المسيح هو رئيس الكهنة، فقد كان في الوقت ذاته هو الذبيحة التي تُعمل بها الكفارة، لأنه الكل في الكل بالنسبة لمصالحتنا مع الله. وهكذا رُمز إليه بتيسين من المعز، يُعمل بهما ذبيحة واحدة، فالتيس المذبوح كان يرمز إلى المسيح الذي مات عن خطايانا، والتيس المطلق كان يرمز إلى المسيح الذي قام من بين الأموات من أجل تبريرنا.

› يُقال إن الكفارة قد تمت بوضع خطايا الشعب على رأس التيس. فقد كانوا يستحقون أن يُبعدوا ويُرسلوا إلى أرض النسيان، غير أن هذه العقوبة حُولت إلى التيس الذي حمل خطاياهم، وإشارة إلى هذا قيل إن الله وضع على ربنا يسوع (جوهر كل هذه الظلال) «إثم جميعنا» (إش ٥٣: ٦)، وذُكر أنه «حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة» (١بط ٢: ٢٤)، بل وتحمَّل عقوبتها.

› وكان من نتيجة ذلك أن جميع آثام إسرائيل حُملت «إلى أرض النسيان». وهكذا فإن المسيح، هو حمل الله، «الذي يرفع خطية العالم»، وذلك بأن أخذها على نفسه (يو ١: ٢٩). وحين يغفر الله الخطية، فإنه لا يعود يذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد (عب ٨: ١٢)، وأنه طرحها وراء ظهره (إش ٣٨: ١٧)، «وتُطرح في أعماق البحر» (مي ٧: ١٩)، و«كبعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا» (مز ١٠٣: ١٢).

ب. والدخول إلى السماء، الذي حققه لنا المسيح، رُمز إليه هنا بدخول رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس. وهذا ما فسره كاتب الرسالة في عبرانيين ٩: ٧- ٢٨، وهو يُبين:

◄ أن السماء أقدس جميع الأشياء، والطريق إليها بالإيمان والرجاء والصلاة، ومن خلال وسيط. الشيء الذي لم يكن واضحا في ذلك الحين بالشكل الذي عليه بالنسبة لنا الآن بواسطة الإنجيل.

◄ إن المسيح رئيس كهنتنا دخل إلى السماوات عند صعوده مرة واحدة وإلى الأبد.

◄ وإنه دخل «بدم نفسه» (عب ٩: ١٢)، حيث نضح دمه -إذا جاز القول- أمام غطاء التابوت، حيث يتكلم عن أشياء أفضل مما يستطيع أن يحققه دم تيوس وعجول. وهكذا ذُكر أنه ظهر في وسط العرش كخروف «قائم كأنه مذبوح» (رؤ ٥: ٦). وشفاعة المسيح كانت أمام الله مثل بخور. وكما أن رئيس الكهنة يتشفع لنفسه أولا، ثم لأهل بيته، وبعد ذلك لجميع بني إسرائيل، هكذا ربنا يسوع المسيح، في الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا، زكى نفسه أولا لأبيه، ثم تلاميذه، الذين كانوا يشكلون أهل بيته، وبعدئذ كل الذين يؤمنون به بواسطة كلمتهم.

(٢) هنا أيضا نجد رموزا لأمرين عظيمين أعلنهما الإنجيل وهما الإيمان والتوبة، واللذين يؤهلاننا للكفارة، ويصبح لنا امتياز الانتفاع بهما.

أ. علينا بالإيمان أن نضع أيدينا على رأس الذبيحة، متكلين على المسيح باعتباره الرب برنا، متوسلين رضاه لأنه وحده القادر على أن يُكفِّر عن خطايانا ويمنحنا الغفران.

ب. بالتوبة يجب أن نُذلل نفوسنا، ليس فقط عن طريق الصوم لفترة ما عن ملذات الجسد، بل الحزن الداخلي العميق من أجل خطايانا، وأن نحيا حياة الطهارة وإنكار الذات.

الأصحاح السابع عشر

يتضمن هذا الأصحاح أمرين مُحرمين لازمين لحفظ كرامة الكفارة.

أولا: لا تُقدم أي ذبيحة إلا بواسطة الكهنة فقط دون سواهم، بل ولا تُقدم في أي مكان آخر غير باب خيمة الاجتماع، ومَنْ يخالف ذلك تكون عقوبته الموت (ع ١- ٩).

ثانيا: لا يجب أكل الدم، ومَنْ يخالف ذلك يلقى نفس العقوبة (ع ١٠- ١٦).

عدد ١ - ٩

هذه الشريعة تُلزم جميع شعب إسرائيل بأن يأتوا بكل ذبائحهم إلى مذبح الله، لكي تُقدم هناك.

أولا: كيف كان الوضع قبل ذلك:

(١) كان مسموحا لكل أفراد الشعب بأن يبنوا مذابح، وأن يقدموا ذبائح لله حيثما شاءوا.

(٢) كانت هذه الحرية سببا في انغماسهم في الوثنية. وكان بنو إسرائيل أنفسهم قد تعلموا من مصر أن يذبحوا للشياطين، ويبدو أن البعض منهم ظلوا يمارسون هذا حتى بعد أن ظهر لهم إله إسرائيل بشكل مجيد بينهم.

ثانيا: كيف تثبتت هذه الشريعة، ومن الصعوبة تفسيرها على أنها كانت شريعة مؤقتة، في الوقت الذي قيل عنها صراحة إنها «فريضة دهرية» (ع ٧)، ولذلك يبدو أن المقصود بالأحرى هو تحريم ذبح الحيوانات كذبيحة في أي مكان سوى مذبح الله. ولا يجب أن يقدموا الذبائح بأنفسهم، كما اعتادوا على ذلك قبلا «على وجه الصحراء» (ع ٥)، كلا، ولو كانت تُقدم للإله الحقيقي، بل يجب عليهم إحضارها إلى الكاهن، لكي يقدمها على مذبح الرب. وإذا ما انتهك أحد هذه الشريعة، وقدم ذبيحة في أي مكان بعيدا عن خيمة الاجتماع، فإن:

(١) إثمه يكون عظيما: «يُحسب على ذلك الإنسان دم. قد سفك دما» (ع ٤). وكان يُنظر إلى الذبائح الوثنية، ليس كعبادة أوثان فقط، بل تُعتبر كالقتل، والذي يقدمها يشبه مَنْ قتل إنسانا.

(٢) يجب أن تكون العقوبة صارمة: «فيُقطع ذلك الإنسان من شعبه».

ثالثا: كيف أُلتزم بهذه الفريضة؟

(١) في الوقت الذي كان فيه بنو إسرائيل يحافظون على استقامتهم كانوا يولون هذه الفريضة اعتبارا حماسيا، وهذا ما يبدو مما أظهروه من حماسة ضد المذبح الذي أُقيم بواسطة السبطين ونصف السبط، والذي ما كانوا سيتركونه قائما بأي حال،

لو لم يقتنعوا بأنه لم يُقصد به إطلاقا أن تُقدم عليه ذبائح أو تقدمات، ولن يُستخدم أبدا لهذا الغرض (يش ٢٢: ١٢– ٣١).

(٢) انتهاك هذه الفريضة كان لأجيال عديدة سبب فساد العبادة اليهودية، ولنلاحظ تلك الشكوى التي كانت تتردد كثيرا في التاريخ حتى بالنسبة للملوك الصالحين: «المرتفعات لم تنتزع»، وكانت مدخلا للممارسات الوثنية الأكثر بشاعة.

رابعا: ما الموقف الآن بالنسبة لهذا الموضوع، وما الفائدة التي نجتنيها من هذه الفريضة؟

(١) من المؤكد أن الذبائح الروحية التي علينا أن نقدمها الآن ليست قاصرة على مكان بذاته. فليس لدينا الآن هيكل أو مذبح يقدس التقدمة، بل ولا تتركز وحدة الإنجيل في مكان واحد، بل في قلب واحد «وحدانية الروح» (أف ٤: ٣).

(٢) المسيح هو مذبحنا، وهو «المسكن الحقيقي» (عب ٨: ٢؛ انظر أيضا عب ١٣: ١٠)، فيه يسكن الله بيننا، وفيه يوجد قبول لذبائحنا لدى الله، وفيه وحده (١بط ٢: ٥).

عدد ١٠– ١٦

نجد هنا تكرارا وتأكيدا للشريعة التي تحرم أكل الدم. وسبق أن تقابلنا مرتين معها من قبل في شريعة اللاويين (لا ٣: ١٧؛ ٧: ٢٦)، فضلا عن المكان الذي تحتله في مبادئ نوح (تك ٩: ٤)، غير أنها هنا:

(١) تكرر التحريم مرارا وتكرارا، وقد أشير إلى الشرائع السابقة المتعلقة بهذا الموضوع (ع ١٢). وقد شُدد كثيرا على هذه الشريعة باعتبار أنها تحمل بين ثناياها أكثر مما يُظن عند النظر إليها للوهلة الأولى.

(٢) جُعلت فريضة ملزمة، ليس فقط بالنسبة لكل إنسان «من بيت إسرائيل» فقط، بل «ومن الغرباء النازلين» في وسطهم (ع ١٠).

(٣) العقوبة التي تضمنتها هذه الشريعة صارمة للغاية (ع ١٠).

(٤) قُدم سبب لهذه الشريعة (ع ١١): «لأن نفس الجسد هي في الدم». فالخاطئ يستحق الموت، ومن ثَمَّ فالذبيحة يجب أن تموت. وبالنظر إلى أن الدم مرتبط بالحياة ارتباطا وثيقا حتى إن الحيوانات العادية كانت تُقتل باستنزاف كل دمها، لذلك عيَّن الله نضح الدم أو سكبه من الذبيحة على المذبح للإشارة إلى أن حياة الذبيحة أُعطيت لله بدلا من حياة الخاطئ، وكفدية، أو ثمن مقابلها، وعلى ذلك «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عب ٩: ٢٢). ولهذا السبب يتعين عليهم ألا يأكلوا دما، ثم إنه:

أ. كان لهذا الأمر سببا وجيها آخر، لأن الله، بهذه الوسيلة سيحفظ كرامة الكفارة التي رسمها، غير أنه:

ب. أُبطل الآن هذا الأمر، مما يشير إلى أن الناموس نفسه كان طقسيا، وقد أُلغي الآن، فدم المسيح الذي جاء هو وحده الذي يصنع كفارة للنفس، والذي كان دم الذبائح مجرد رمز ناقص له.

الأصحاح الثامن عشر

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: شريعة عامة ضد التمسك بكل عادات الوثنيين الفاسدة (ع ١– ٥).

ثانيا: شرائع خاصة:

(١) ضد الفسق وارتكاب الفحشاء (ع ٦– ١٨).

(٢) ضد الشهوات البهيمية، والوثنية الهمجية (ع ١٩– ٢٣).

ثالثا: يجب تنفيذ هذه الشرائع وإلا سيُطرد كالأمم الوثنية الأخرى (ع ٢٤– ٣٠).

عدد ١– ٥

بعد العديد من الفرائض الطقسية يعود الله هنا إلى تدعيم المبادئ الأخلاقية. والأولى لا تزال نافعة لنا كرموز، أما الثانية فلا تزال تلزمنا كشرائع. وتتضمن هذه الفقرة:

(١) السلطة المقدسة التي سُنت هذه الشرائع بواسطتها: «أنا الرب إلهكم» (ع ٢، ٤، ٣٠).

(٢) تحذير صارم من الاحتفاظ ببقايا الممارسات الوثنية التي كانت سائدة في مصر، حيث كانوا يقيمون، أو الإصابة بعدوى وثنية الكنعانيين، حيث كانوا ذاهبين عندئذ (ع ٣). وإذا حافظنا على وصايا الله بإخلاص

-على الرغم من افتقارنا إلى الكمال- فسوف نجد الطريق إلى راحتنا وسعادتنا. وفي وصف «البر الذي بالناموس، إن الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها» (رو ١٠: ٥)، وقد تم الحث على إثبات أن «الناموس ليس من الإيمان» (غل ٣: ١٢). فالتغيير الذي أحدثه الإنجيل جاء في الكلمة الأخيرة. إن الإنسان الذي يفعلها سيحيا، ولكن لن يحيا «بها»، ذلك أن الناموس لا يستطيع أن يعطي حياة للإنسان العاجز -بحسب الطبيعة- عن تتميم وصايا الله، ولكن الحياة وُهبت لنا بالإيمان بالمسيح على مبدأ نعمة الله، وليس على مبدأ استحقاقات أعمال الإنسان الفاسد (انظر غل ٣: ٢١ و٢٢).

عدد ٦ - ١٨

وهذه الشرائع تنتمي إلى الوصية السابعة.

أولا: تم تحديد ما هو مُحرَّم في العلاقات: «لا يقترب إنسان إلى قريب جسده ليكشف العورة» (ع ٦).

(١) والقصد الأساسي من هذا هو منع الزواج من أي من هؤلاء الأقارب. والزواج فريضة مقدسة، قصد به راحة الإنسان، والتكاثر الكريم الحسن للجنس البشري، كما يليق بكرامة طبيعة الإنسان التي تسمو على طبيعة الحيوان. وهذه التحريمات، بالإضافة إلى أنها صادرة عن سلطة لا تقبل الجدل، فإنها في حد ذاتها معقولة وعادلة إلى أبعد الحدود.

أ. فبالزواج يصبح الاثنان واحدا، ومن ثَمَّ فإن اللذين كانا من ناحية ما جسدا واحدا بالطبيعة ليس بمقدورهما على الإطلاق أن يصبحا جسدا واحدا بالوصية أو الشريعة.

ب. الزواج يوجد التساوي بين الزوج وزوجته. فعدم المساواة بين السيد والعبد، والنبيل والوضيع، جاء نتيجة تقبُّل الأمر والاعتياد عليه، ولن يحدث أي ضرر إذا ما تلاشى هذا الفارق نتيجة المساواة التي تحدث في الزواج. غير أن عدم المساواة بين الوالدين والأبناء، والأعمام وبنات الأخ أو الأخت، والعمات وبنات الأخ أو الأخت- سواء بقرابة الدم أو بالزواج- موجود بالطبيعة، ولا يمكن أن يُزال بواسطة المساواة التي نجدها في الزواج بدون حدوث ارتباك في العلاقات الإنسانية.

ج. لا توجد موانع من الزواج بين المتساويين في القرابة فيما عدا الإخوة والأخوات الأشقاء أو غير الأشقاء. والانتفاع بشريعة الزواج في تنظيم الاختلاط غير الشرعي بين الأقربين هو أبعد ما يكون عن تبريرها أو التخفيف من إثمها، ذلك أنها تضيف إثم تدنيس إحدى فرائض الله، وتدفع إلى الزنى وإلى أدنى وأحقر الغايات لتلك الفرائض التي رُسمت لأسمى الأهداف. غير أنه:

(٢) النجاسة التي تُرتكب مع أي من هؤلاء الأقارب بدون زواج هي أيضا من الأمور المحظورة هنا.

ثانيا: وصفت معظم العلاقات المحرمة بشكل واضح، وقد وُضعت قاعدة عامة مفادها أن صلات القربى الخاصة بالرجل التي حُرم عليه الزواج منها، كذلك نفس علاقات القربى الخاصة بزوجته مُنع الرجل أيضا من الزواج منها، لأن الاثنين (الرجل وزوجته) ما هما إلا واحد. وتلك الشريعة التي تحرم الزواج من زوجة الأخ (ع ١٦) لها استثناء تنفرد به الأمة اليهودية، وهو أنه إذا مات شخص دون أن ينجب، فعلى أخيه أو أقرب أقربائه أن يتزوج من الأرملة ويقيم نسلا للمتوفي (تث ٢٥: ٥).

عدد ١٩ - ٣٠

أولا: شريعة لحفظ كرامة الرابطة الزوجية، حتى لا تُستخدم بطريقة غير لائقة (ع ١٩)، أو تُقتحم من قِبل شخص زانٍ (ع ٢٠).

ثانيا: شريعة ضد ما يعتبر أكثر نوعيات الوثنية شذوذا، حيث يقدمون أطفالهم «للإجازة لمُولك» (ع ٢١). ومُولك (كما يعتقد البعض) كان الوثن الذي فيه وبواسطته يعبدون الشمس، تلك النار العظيمة الخاصة بالعالم، ومن أجل ذلك فإنهم في عبادتها يجعلون من أطفالهم الذبائح التي تُقدم لهذا الوثن، حيث يحرقونهم أمامه حتى الموت، أو ينذرونهم له، حيث يمررونهم بين نارين، أو يطيحون بهم من خلال إحداها وذلك على شرف ذلك الإله المزعوم، ظانين أن تكريس واحد فقط من أطفالهم بهذه الطريقة لمولك

سوف ينشأ عنه حظ طيب لبقية أطفالهم.

ثالثا: شريعة ضد الشهوات الجنسية الشاذة، والجنسية المثلية، وممارسة الجنس بين إنسان وحيوان، وهي خطايا لا يمكن أن تُذكر أو تطرأ على البال دون أن تثير أكبر قدر يمكن تخيله من الاشمئزاز (ع ٢٢ و٢٣). هناك خطايا أخرى تجعل الإنسان في مستوى واحد مع الحيوان، غير أن هذه الخطايا تحط بهم إلى أدنى من ذلك بكثير.

رابعا: حجج ضد هذه الشرور البغيضة وما يماثلها.

(١) الخطاة ينجسون أنفسهم بهذه الخطية المقيتة. وكل الخطايا تنجس الضمير، غير أن هذه خطايا تتفرد بشرها.

(٢) «تُقطع الأنفس التي تعملها من شعبها» (ع ٢٩). والشهوات الجسدية الدنيئة تحارب ضد النفس، ومن المؤكد أنها ستكون سبب هلاكهم ما لم تتدخل رحمة الله ونعمته. وبسبب هذه الخطايا ومثيلاتها، لقيَّ الكنعانيون حتفهم.

خامسا: يُختتم الأصحاح بعلاج إلهي ضد هذا الفساد: «فتحفظون شعائري لكي لا تعملوا شيئا من الرسوم الرجسة التي عُملت قبلكم» (ع ٣٠). فالالتصاق الوثيق والمستمر بفرائض الله هو أكبر عامل فعال للحماية من عدوى الخطايا الشنيعة. ونعمة الله وحدها هي التي تحفظنا، ولا يجب توقع هذه النعمة إلا من خلال استخدام وسائطها.

الأصحاح التاسع عشر

أولا: الشرائع التي تضمنها هذا الأصحاح، والتي تفرَّد بها اليهود هي:

(١) بخصوص ذبائح السلامة التي يقدمونها (ع ٥- ٨).

(٢) بخصوص فضلات حصاد حقولهم (ع ٩ و١٠).

(٣) ضد مزج البهائم من صنفين وكذلك الحال بالنسبة للبذر أو الثياب (ع ١٩).

(٤) بخصوص أشجارهم (ع ٢٣- ٢٥).

(٥) ضد بعض العادات والخرافات (ع ٢٦- ٢٨).

ثانيا: معظم هذه المبادئ ملزمة بالنسبة لنا، لأنها شرح لمعظم الوصايا العشر.

(١) هنا نجد أن مقدمة الوصايا العشر وهي: «أنا الرب» قد تكررت خمس عشرة مرة.

(٢) ملخص للوصايا العشر. وكل اللوح الأول يتلخص في عبارة «تكونون قديسين» (ع ٢). وكل اللوح الثاني يتلخص في عبارة «تحب قريبك» (ع ١٨)، وإجابة على السؤال: «مَنْ هو قريبي» (ع ٣٣ و٣٤).

(٣) لمحة من كل وصية:

أ. الوصية الأولى أُشير إليها فيما تكرر هنا كثيرا: «أنا... إلهكم». وهنا تحريم للشعوذة والسحر (ع ٢٦)، والعرافة (ع ٣١)، الأمر الذي يجعل من الشيطان إلها.

ب. وقد حُرمت الوثنية التي هي ضد الوصية الثانية (ع ٤).

ج. تدنيس اسم الله، وهو ضد الوصية الثالثة (ع ١٢).

د. حث على حفظ السبت (ع ٣، ٣٠).

هـ. طُلب من الأولاد أن يكرموا والديهم (ع ٣)، والمسنين (ع ٣٢).

و. حُرمت الكراهية والانتقام، وهما ضد الوصية السادسة (ع ١٧ و١٨).

ز. الزنا (ع ٢٠- ٢٢)، والبغاء (ع ٢٩).

ح. طُلب الالتزام بالعدالة في القضاء (ع ١٥)، وحُرمت السرقة (ع ١١)، الاحتيال وحجز الأجور (ع ١٣)، والغش في الميزان (ع ٣٥ و٣٦).

ط. الكذب (ع ١١)، وتشويه السمعة (ع ١٤). الوشاية والشهادة الزور (ع ١٦).

ي. الوصية العاشرة تكبح جماح القلب، وهذا أيضا ما يشير إليه (ع ١٧): «لا تبغض أخاك في قلبك». وهنا وصية ملزمة بضرورة مراعاة كل هذه الأحكام (ع ٣٧). وهذه الأمور لا تحتاج إلى مساعدة كثيرة لفهمها، ولكنها تتطلب اهتماما وانتباها دائمين لحفظها. وكل ذي فهم يحفظ هذه الوصايا.

عدد ١- ١٠

أُمر موسى أن يقدم موجزا للفرائض إلى «كل جماعة بني إسرائيل» (ع ٢). وكثير من المبادئ التي ذُكرت هنا سبق لهم أن تلقوها، غير أنه كانت ثَمة حاجة إلى تكرارها، حتى يتذكروها. وقد طُلب

في هذه ما يلي:

أولا: أن يكون بنو إسرائيل قديسين، لأن إله إسرائيل قدوس (ع ٢). وهذا هو ناموس المسيح الآن: «نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين» (١بط ١: ١٥ و١٦). ولقد تقدس بنو إسرائيل برموز وظلال (لا ١٠: ٨)، غير أننا تقدسنا «بالحق»، أو جوهر كل هذه الظلال (يو ١٧: ١٧؛ تي ٢: ١٤).

ثانيا: أن يطيع الأبناء والديهم: «تهابون كل إنسان أمه وأباه» (ع ٣).

(١) والاحترام المطلوب هنا يتضمن التبجيل والتقدير الداخليين، والتعبيرات الخارجية عن هذا الاحترام، وإطاعة الأوامر المشروعة للوالدين، والاهتمام بإرضائهما، والعمل على راحتهما، وتجنب كل ما من شأنه أن يضايقهما أو يحزنهما، ويسبب غضبهما. ويسأل اللاهوتيون اليهود: ما هو الخوف الذي يجب الإحساس به من الأب؟ ويجيبون على ذلك بقولهم: معناه ألا تقف في طريقه، أو تجلس في مكانه، أو تعارض ما يقوله أو تنتقده، أو تناديه باسمه حيا كان أم ميتا، بل تخاطبه قائلا: «يا أبي» أو «يا سيدي»، ومعناه أيضا أن تعوله إذا كان فقيرا، وما إلى ذلك.

(٢) والأولاد، حتى بعد أن يكبروا ويصبحوا رجالا، عليهم ألا يعتقدوا أنهم أصبحوا في حلٍ من هذا الواجب، وكل رجل على الرغم من أنه ربما يكون حكيما وعظيما، يجب عليه أن يوقر والديه، لأنهما والداه.

(٣) ولقد وُضعت الأم أولا، وهذا أمر غير عادي، وذلك لتوضيح أن هذا هو واجب الأبناء نحو والديهم بشكل متساو.

(٤) وقد أُضيف القول: «وتحفظون سبوتي». وإذا كان الله يأمر بشريعته لحفظ كرامة الأبوين، فإنه يتعين على الأبوين أن يستخدما سلطتهما على أبنائهما من أجل حفظ كرامة الله، ولا سيما كرامة سبوته. وكثيرا ما لوحظ أن هلاك الأبناء يبدأ باحتقارهم لوالديهم والإساءة إلى السبت.

(٥) والسبب الذي أُضيف إلى هذين المبدأين هو: «أنا الرب إلهكم»؛ رب السبت وإله والديكم.

ثالثا: إنه لا يجب العبادة إلا لله وحده، وليس بواسطة الأوثان: «لا تلتفتوا إلى الأوثان» (ع ٤) إلى الأشياء الباطلة، التي لا قوة لها ولا قيمة، آلهة ولكنها ليست آلهة. فأنتم عمل يدي الله، فلا تكونوا من الغباء بحيث تعبدون آلهة تصنعونها «لأنفسكم».

رابعا: ذبائح السلامة التي يقدمونها يجب تقديمها دائما وأكلها طبقا لما تقضي به شريعة الله (ع ٥– ٨).

خامسا: يجب أن يتركوا لقاط حصيدهم ونثار كرمهم للفقراء (ع ٩ و١٠). وحين يجمعون حصيد حقولهم عليهم أن يتركوا البعض منها في ركن في الحقل. ويقول اللاهوتيون اليهود: ويجب أن يكون ذلك جزء على ستين من نتاج الحقل، وعليهم أيضا أن يتركوا اللقاط وكل المتروكات الصغيرة من كرومهم، التي سقطت في البداية.

عدد ١١– ١٨

نتعلم من هذه الفقرة:

أولا: أن نكون أمناء صادقين في جميع معاملاتنا (ع ١١). وأيا كان ما لنا في العالم، يجب أن نتأكد من أننا حصلنا عليه بطريق أمين، لأننا لا يمكن أن نكون أغنياء حقا، إذا كان هذا الغنى قد أدركنا بغير طريق الأمانة.

ثانيا: أن نولي احتراما عظيما لاسم الله القدوس (ع ١٢).

ثالثا: لا نأخذ شيئا من أحد أو نحتفظ به بدون وجه حق (ع ١٣). ولا يجب أن نأخذ ما ليس لنا، سواء كان ذلك بطريق التدليس أو السرقة، أو نحتفظ بما هو مِلك لآخرين. ويجب أن نعطي للعامل أجرته فور أن ينهي عمل يومه، إذا رغب في ذلك.

رابعا: أن نهتم بصفة خاصة بسمعة وسلامة أولئك الذين ليس بمقدورهم أن يساعدوا أنفسهم (ع ١٤):

(١) سمعة الأصم: «لا تشتم الأصم»، وليس المقصود هنا الأصم بالطبيعة، الذي لا يستطيع أن يسمع على الإطلاق، بل أيضا الغائبين.

(٢) يجب أن نولي اهتماما كبيرا لسلامة الأعمى، ولا نضع عثرة في طريقه، لأن هذا يضيف محنة أخرى لهذا الشخص المبتلى. وهذا التحريم يتضمن مبدأ مساعدة الأعمى، وإزاحة العثرات من طريقه. ويقول اللاهوتيون، إذ يعتقدون أنه من غير المعقول أن يجعل أحد «قدام الأعمى» معثرة، فإن هذا النهي يجب أن يُفهم رمزيا، بمعنى أنه يحرم تقديم مشورة بطالة للبسطاء الذين يمكن أن يُخدعوا بسهولة، قد يكون من شأنها أن تقودهم إلى عمل ما يعود عليهم بالضرر.

خامسا: وقد أُمر القضاة وكل مَنْ هم في السلطة أن يصدروا أحكامهم وآراءهم دون تحيز: «لا تأخذوا بوجه مسكين» (ع ١٥)؛ (انظر خروج ٢٣: ٣). ومهما أُعطي لشخص مسكين من صدقات، فلا يجب أن يحصل إلا على ما هو من حقه شرعا، ولا يجب أن يُتخذ من فقره ذريعة لإعفائه من أي عقوبة يستحقها عن خطأ ارتكبه. ويقول اليهود: «كان القضاة ملزمين طبقا لهذه الشريعة أن يفرطوا في عدم محاباتهم حتى إنهم كانوا لا يسمحون لأحد طرفي النزاع بالجلوس بينما يقف الطرف الآخر، أو يسمحون لطرف أن يقول كل ما يريد، في الوقت الذي يأمرون فيه الطرف الآخر بالإيجاز" (انظر يعقوب ٢: ١– ٤).

سادسا: ومحرم علينا جميعا عمل أي شيء يكون من شأنه الإساءة إلى سمعة قريبنا الطيبة (ع ١٦)، سواء كان ذلك:

(١) في الأحاديث العامة: «لا تسع في الوشاية». والكلمة المستخدمة تعني البائع المتجول الذي ينظر إليه كشخص مُندّس على التجارة، لأن الذين ينشرون الوشايات يلتقطون قصصا سيئة من بيت ما ثم يقولونها لآخر، وهم في العادة يتبادلون هذه القصص. وقد أُدينت هذه الخطية في أمثال ١١: ١٣؛ ٢٠: ١٩؛ إرميا ٩: ٤ و٥؛ حزقيال ٢٢: ٩، أو

(٢) أثناء الشهادة: «لا تقف على دم قريبك»، إذا كان بريئا. ويُضيف اللاهوتيون اليهود إلى ذلك هذا المعنى الآخر: ذاك الذي يستطيع بشهادته أن يُبرئ ساحة شخص متهم، تلزمه هذه الشريعة بضرورة عمل ذلك (انظر أمثال ٢٤: ١١ و١٢).

سابعا: أُمرنا أن ننذر صاحبنا بالمحبة (ع ١٧):

(١) أن توبخه أفضل من أن تكرهه من أجل ضرر لحق بك. وإذا عرفنا أن صاحبنا قد أخطأ في حقنا من ناحية ما، لا يجب أن نحمل له ضغينة، وأن نقاطعه، بل بالأحرى يجب أن نحاول إقناعه بالضرر الذي ألحقه بنا، وأن نناقش معه الأمر بكل هدوء وتعقُّل وهذا هو الحكم الذي أصدره مُخلصنا في الموضوع (لو ١٧: ٣).

(٢) لذلك قم بتعريفه بخطيته ضد الله لأنك تحبه، ومما تجدر ملاحظته: أن التأنيب بدافع الصداقة هو واجب ندين به كل منا للآخر، ويجب أن نوجهه ونتقبله بالمحبة «ليضربني الصديق فرحمة» (مز ١٤١: ٥).

ثامنا: نحن مطالبون هنا أن نطرح عنا كل حقد، وأن نتسربل بالمحبة الأخوية (ع ١٨).

(١) لا يجب أن نحتد على أحد.

(٢) يجب أن نعامل الجميع بلطف: «تحب قريبك كنفسك»، «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم» (مت ٧: ١٢)، وأن نضع أنفسنا في مكانهم (انظر أيوب ١٦: ٤ و٥). والواقع أنه ينبغي علينا أن ننكر أنفسنا في أحوال كثيرة من أجل أصحابنا، وهذا ما كان يفعله الرسول بولس (١كو ٩: ١٩– ٢٣). وفي هذا يذهب الإنجيل حتى إلى أبعد ما طالب به هذا المبدأ الممتاز الذي جاءت به الشريعة، لأن المسيح إذ وضع حياته من أجلنا، علّمنا «أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة» في بعض الحالات (١يو ٣: ١٦)، وبهذا نحب قريبنا أكثر من أنفسنا.

عدد ١٩– ٢٩

أولا: شريعة ضد الخلط بين صنفين (ع ١٩). لقد خلق الله الحيوانات في البداية «كأجناسها» (تك ١: ٢٥)، ويجب أن نذعن لنظام الطبيعة الذي أسسه الله، ونُسلِّم بأنه كاف وعلى أحسن وجه، ولا نشته ما هو شاذ. وزراعة البذار المختلطة ولبس ثياب كتانية مع صوفية تُعد من الأمور الممنوعة، إما لأنها عادات خرافية مأخوذة عن الوثنيين، أو للإشارة إلى أنه يجب عليهم أن يحرصوا على ألا يختلطوا بالوثنيين أو أن

يُدخلوا أيا من استعمالات الأمميين في فرائض الله. ولعل هذا كان له أن يقود بني إسرائيل إلى بساطة التدين، والإخلاص فيه.

ثانيا: شريعة لمعاقبة مَنْ يرتكب خطية الزنا مع أمَة مخطوبة (ع ٢٠– ٢٢). وكان ذلك من أجل كرامة الزواج، على الرغم من أنه افترض أنه حدث في مرحلة الخطوبة إلا أن هذه الجريمة يجب معاقبتها. غير أنه من أجل كرامة الحرية، لم تُعاقب هذه الجريمة مثلما تعاقب جريمة اغتصاب امرأة حرة، لأن الفرق شاسعا بين العبد والحر (غل ٤: ٣٠)، لكن إنجيل المسيح لا يعرف مثل هذا التمييز (كو ٣: ١١).

ثالثا: شريعة بخصوص أشجار الطعام، أنه في مدة الثلاث سنوات الأولى من غرسها، إذا كانت من نوع جيد بحيث تعطي ثمرها خلال تلك الفترة، فمع ذلك لا يجب الانتفاع به (ع ٢٣– ٢٥). ولذلك كان من عادة اليهود أن ينزعوا الثمار فور أن يروا أنها برزت من أشجارهم الصغيرة، كما يفعل البستانيون في بعض الأحيان، لأن إثمارها في وقت مبكر يعوق نموها. وإذا بلغ أي منها مرحلة الاكتمال بالفعل، فلا يجب أن تُستعمل لا في خدمة الله ولا في خدمة إنسان، بل إن ما تحمله في السنة الرابعة يجب أن يكون قدسا للرب، فيُعطى للكهنة أو يُؤكل أمام الرب بفرح، وبعد ذلك يكون الكل لهم. وهذه الشريعة في حالة أشجار الطعام تبدو مناظرة لتلك التي جاءت بالنسبة لحالة الحيوانات، التي لا يُقبل أي كائن منها كذبيحة إلا إذا تعدى عمره ثمانية أيام، بل ولا يجب ختان الأطفال قبل ذلك اليوم (انظر لاويين ٢٢: ٢٧). ويجب تقديم باكورات أشجارهم للرب، ولكن بالنظر إلى أنها في السنوات الثلاث الأولى تكون غير ذات قيمة، تماما مثل حمل أو عجل يقل عمره عن ثمانية أيام، لذلك لم يقبلها الله، لأنه من اللائق أن يكون له كل شيء في أفضل حالاته، ومع ذلك، فإنه لن يُسمح باستعمال هذه الثمار، لأن الباكورات المستحقة له لن تكون قد قُدمت بعد: ولذلك يجب أن يحسبوها كغير المختونين، أي كحيوان لم يبلغ عمره ثمانية أيام، وبذا لا تكون صالحة لشيء.

رابعا: شريعة ضد ممارسات الوثنيين التي تطغي عليها الخرافات (ع ٢٦– ٢٨).

(١) أكل الدم، كما يفعل الأمميون، الذين يجمعون الذبائح في إناء لكي تشربه آلهتهم (كما يتصورون). ودم الذبائح التي تُقدم لله يجب أن يُرش على المذبح، ثم يصب عند أسفله، ثم يُنقل بعيدا.

(٢) السحر والعرافة، والملاحظات الخرافية بالنسبة للأوقات، حيث يعتبرون بعض الأيام والساعات أنها سعيدة وأوقات أخرى ليست كذلك. والممارسات الغريبة التي من هذا القبيل التي من المحتمل أن يكون الكهنة المصريون قد اخترعوها. إنه أمر لا يُغتفر بالنسبة لأولئك الذين «استؤمنوا على أقوال الله» أن يسعوا لطلب مشورة الشيطان. والأمر يكون أسوأ بالنسبة للمسيحيين الذين ظهر لهم ابن الله، والذي هدم عمل الشيطان. أما بالنسبة للمسيحيين الذين يلجأون إلى استطلاع الأبراج لمعرفة الطالع، ويسعون لمعرفة المستقبل، وكذلك الذين يستخدمون الأحجبة والتعاويذ لشفاء الأمراض وطرد الأرواح الشريرة، وينثرون الملح بطريقة خرافية، ويتملكهم الخوف إذا اعترض أرنب طريقهم، أو يستخدمون التقويم بطريقة تستند على الخرافة، وما إلى ذلك، فإنهم بهذه الأعمال يوجهون إهانة لا تحتمل للرب يسوع، ويؤيدون الوثنية، ويجلبون اللوم على أنفسهم وعلى الاسم القدوس الذي دُعي عليهم.

(٣) ثم إن هناك خرافة في مسايرة الوثنيين أنفسهم، الأمر الذي لا يجب أن يُقلدهم فيه شعب الله: «لا تقصروا رؤوسكم مستديرا». والذين يعبدون الأجرام السماوية، وتكريما لها يقصون شعورهم بطريقة تجعل رؤوسهم تشبه الكرة الأرضية من الناحية الفلكية، ولكن، حيث إن هذه عادة سخيفة في حد ذاتها، ومن ثَمَّ، فإن عملها توقيرا لآلهة زائفة، يجعلها من الممارسات الوثنية.

(٤) الطقوس والشعائر التي يُعبِّر بها الوثنيون عن حزنهم في جنازاتهم لا ينبغي تقليدها (ع ٢٨). فلا يجب أن يجرحوا أجسامهم أو يضعوا عليها علامات من أجل الميت، لأن الوثنيين يفعلون ذلك لتهدئة آلهة العالم السفلي كما يتوهمون. ثم أن المسيح بآلامه غيَّر من طبيعة الموت، وأزال رهبته لكل مؤمن حقيقي،

فلذلك لا نحزن كالباقين الذين لا رجاء لهم. وأخيرا، إذلال بناتهم بدفعهن إلى العهر، الأمر الذي حُرم هنا (ع ٢٩). ويبدو أنه كان من الأمور التي يمارسها الوثينون في عبادتهم الوثنية.

عدد ٣٠ – ٣٧

أولا: شريعة لحفظ كرامة الزمان والمكان المخصصين لعبادة الله (ع ٣٠).

(١) يجب حفظ السبت من الناحية الدينية.

(٢) يجب توقير المقدس. وعلى الرغم من أنه لا يوجد الآن مكان مقدس طبقا لفريضة إلهية، مثلما كان عليه الحال بالنسبة لخيمة الاجتماع والهيكل، إلا أن هذه الشريعة تلزمنا باحترام الاجتماعات التي يعقدها المؤمنون للعبادة، على اعتبار أنها عُقدت بناء على وعد خاص من المسيح بأنه سيكون في وسطهم.

ثانيا: تحذير ضد قيام أي شركة مع أولئك الذين يرتبطون بأرواح الشياطين: «لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع»، ولا تخافوا من أن يصيبكم شر على أيديهم، أو تنظروا أي خير تنالونه منهم.

ثالثا: تكليف للشباب بأن يحترموا الكبار: «من أمام الأشيب تقوم» (ع ٣٢). فالذين أكرمهم الله بالبركة بطول العمر علينا أن نحترمهم. وأولئك الذين بسبب كبر سنهم أصبحوا حكماء صالحين هم جديرون بكرامة مضاعفة، يجب أن نسعى إليهم بكل اهتمام لنسترشد بآرائهم ونتعزى بأفكارهم، نطلب مشورتهم ونعمل بها (أي ٣٢: ٦ و٧). ويُلاحظ أن الديانة تُعلِّم الأخلاق الحميدة وتلزمنا بأن نكرم الذين يستحقون الإكرام.

رابعا: تكليف لبني إسرائيل بأنه عليهم أن يترفقوا بالغرباء (ع ٣٣ و٣٤). «وإذا نزل عندك غريب... فلا تظلموه... وتحبه كنفسك»، كالوطني منكم يكون لكم. والغرباء هم محط عناية الله الخاصة، تماما مثل الأرملة واليتيم، لأن مجده في معونة الضعفاء (مز ١٤٦: ٩). فالترفق بالغرباء يؤكد رغبتنا القوية لإرضاء الله، وتوقيره وخوفه، بصفته أب لجميع البشر. غير أننا نجد هنا أنه قد أُضيف سبب قاصر على اليهود: «لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر». في ذلك الحين كان الله يكرمكم، ولهذا عليكم بدوركم أن تكرموا الغرباء.

خامسا: جاءت الوصية هنا بالعدالة في الكيل والموازين. فلا يجب الغش فيهما (ع ٣٥). وأن يتوخوا الدقة والحق فيهما (ع ٣٦).

سادسا: يُختتم الأصحاح بأمر عام: «فتحفظون كل فرائضي وكل أحكامي وتعملونها» (ع ٣٧).

الأصحاح العشرون

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: اعتبار جرائم كثيرة أنها فعل للفحشاء:

(١) تقديم أطفالهم لمولك (ع ١– ٥).

(٢) استشارة الجان والتوابع (ع ٦، ٢٧).

(٣) سب الوالدين (ع ٩).

(٤) الزنا (ع ١٠).

(٥) الفسق بالمقربين من الأهل (ع ١١، ١٢، ١٤، ١٧، ١٩، ٢١).

(٦) الشهوات النجسة غير الطبيعية (ع ١٣، ١٥ و١٦، ١٨).

ثانيا: أوامر عامة بأن نكون قديسين (ع ٧ و٨، ٢٢– ٢٦).

عدد ١ – ٩

أولا: ثمة ثلاث خطايا وردت في هذه الأعداد عقوبتها الموت:

(١) الآباء الذين يُسيئون إلى أطفالهم وذلك بتقديمهم ذبائح لمولك (ع ٢ و٣). فلم يكن يكفي بأن يُحذروا بأنه من واجبهم أن يحافظوا على حياة أولادهم، بل يجب أن يُخبروا بالآتي:

أ. أن المجرم نفسه سوف يلقى الموت شأنه في ذلك شأن القاتل: «يرجمه شعب الأرض» (ع ٢)، وهذه العقوبة كان اليهود يعتبرونها أسوأ جميع الأحكام.

ب. كل مَنْ حرضوا وأسهموا معه في هذا الأمر يجب أن يُقطعوا أيضا بيد الله البار. وإذا ما أخفاه جيرانه، ولم يتقدموا كشهود ضده– وإذا تغاضى القضاة عن عمله هذا، ولم يصدروا حكما ضده، وأظهروا شفقة بحماقته عوض أن يكرهوا عمله الشرير– فإن الله نفسه سيحاسبهم على هذا (ع ٤ و٥).

(٢) الأولاد الذين يسيئون إلى والديهم بسبهم (ع ٩): إذا ما أساء الأولاد إلى والديهم بالقول، أو أرادوا بهم شرا، أو تصرفوا بما ينُم عن احتقارهم لهم، أو كانوا يضمرون لهم حقدا، فإن هذا يُعد إثما يجب أن يُعاقب عليه بمعرفة القضاة، الذين استُخدموا كحماة لكرامة الله، ولسلام الشعب، وهما الأمران اللذان انتُهكا بواسطة هذه الوقاحة غير الطبيعية.

(٣) الأشخاص الذين يضرون أنفسهم باستشارة «الجان... والتوابع» (ع ٦). ومَنْ يفعل هذا يحط من شأن نفسه، وينتقصها ويخدعها، وبهذا يضر نفسه. وأي جنون يمكن أن يفوق جنون الشخص الذي يذهب إلى كاذب ليطلب منه معرفة، وإلى عدو يلتمس نصيحته؟ هذا ما يفعله الذين يلجأون إلى مَنْ يستخدمون السحر الأسود ويعرفون أعماق الشيطان.

ثانيا: في وسط هذه الشرائع الخاصة، يأتي هذا التكليف العظيم (ع ٧ و٨)، حيث نقرأ عن:

(١) الواجبات المطلوبة، وهما اثنان:

أ. أن نكون قديسين في مبادئنا وسلوكنا وأهدافنا: «فتتقدسون وتكونون قديسين».

ب. في كل أعمالنا، وفي كل أحاديثنا، نكون طائعين لشرائع الله: «وتحفظون فرائضي». اجعلوا الشجرة جيدة، فتعطي ثمرا جيدا.

(٢) الأسباب التي تدعو إلى تنفيذ هذه الواجبات:

أ. «أنا الرب إلهكم»، لذلك، كونوا قديسين، حتى تمثلوا ذاك الذي أنتم شعبه، وتكونون مدعاة سروره. فالقداسة تليق ببيته وأهل بيته.

ب. «أنا الرب مقدسكم». وقد قدسهم الله بنعم، وشرائع وميزات اختصهم وحدهم بها، الأمر الذي ميزهم عن جميع الأمم الذين حولهم، وأضفى عليهم كرامة كشعب اختاره الله لنفسه. فقد أعطاهم كلمته وأحكامه لكي تكون السبيل إلى تقديسهم، كما أعطاهم روحه لكي يرشدهم.

عدد ١٠ – ٢١

جاء الأمر هنا بإنزال أشد العقوبات بالخطايا التي ترتكب ضد الوصية السابعة.

أولا: وجُعل الزنا مع زوجة رجل آخر جريمة عقوبتها الإعدام. فالزاني والزانية التي شاركته في هذه الخطية يجب أن يُنفذ فيهما معا هذا الحكم: «فإنه يُقتل الزاني والزانية» (ع ١٠).

ثانيا: العلاقات الخاصة بالأهل المقربين، سواء عن طريق الزواج أو بدونه.

ثالثا: الشهوات الجنسية الشاذة، والجنسية المثلية، وممارسة الجنس بين إنسان وحيوان (خطايا لا يمكن ذكرها إلا ويشعر الإنسان بالتقزز)، وكان يجب معاقبتها بالموت.

عدد ٢٢ – ٢٧

العدد الأخير يُعد شريعة خاصة، يأتي بعد الخاتمة العامة، وهو يختص بالحكم بالقتل على مَنْ يتعاملون مع الجان أو التوابع (ع ٢٧). فالذين تحالفوا مع الشيطان، دخلوا في الواقع في عهد مع الموت. أما بقية أعداد هذه الفقرة، فتكرر وتدعم ما سبق قوله آنفا.

أولا: مكانتهم: الرب هو إلههم (ع ٢٤). هم له، وهم موضع عنايته، واختياره، وكنزه.

ثانيا: واجبهم: وهذا يُستدل عليه من مكانتهم. لقد عمل الله من أجلهم أكثر مما فعله للآخرين، وعلى ذلك توقع الله منهم أكثر مما توقعه من غيرهم.

ثالثا: الخطر الذي يواجههم: هم ذاهبون إلى مكان ملوث: «ترثون أنتم أرضهم... أرضا تفيض لبنا وعسلا» (ع ٢٤)، سوف ينتفعون بخيراتها إذا ما حافظوا على استقامتهم، ولكنها أيضا أرض مليئة بالأوثان والوثنيين، والممارسات الخرافية، الأمر الذي يجعلهم معرضين لتقليدها، حيث جاءوا من مصر ولهم ميل غريب لأن تتملكهم هذه العدوى.

الأصحاح الحادي والعشرون

هذا الأصحاح ما هو إلا شريعة تلزم الكهنة ببذل كل اهتمام وغيرة للمحافظة على كرامة خدمتهم.

أولا: الكهنة العاديون كُلفوا هنا بتكليفات تتعلق بأحزانهم، وزواجهم وأولادهم (ع ١– ٩).

ثانيا: القيود التي فُرضت على رئيس الكهنة تفوق تلك

التي فرضت على أي من الكهنة (ع ١٠– ١٥).

ثالثا: لا يجب على هذا أو ذاك أن يكون به ما يشينه (ع ١٦– ٢٤).

عدد ١ – ٩

سبق أن تعين أنه على الكهنة أن يُعلِّموا الشعب الفرائض التي أعطاها الله «للتمييز بين... النجس والطاهر» (لا ١٠: ١٠). أما هنا فقد افترض أنه عليهم هم أنفسهم أن يحفظوا الفرائض التي كان عليهم أن يُعلموها للشعب. وكان للكهنة أن يقتربوا إلى الله بأكثر مما يستطيعه أحد من أفراد الشعب، ويكونوا أكثر اقترابا ومعرفة بالأشياء المقدسة، ولهذا طُلب منهم أن يكونوا على مسافة أبعد كثيرا عن كل ما هو نجس بأكثر من عامة الشعب.

أولا: عليهم أن يحرصوا على ألا يُفرطوا في حزنهم على ميت. والإنسان يصبح نجسا من الناحية الطقسية إذا ما اقترب مسافة ستة أقدام من جثة ميت، بل، لقد أُعلن في سفر العدد ١٩: ١٤ أن كل مَنْ يدخلون إلى خيمة ترقد بها جثة ميت يتنجسون سبعة أيام.

(١) وعلى الكهنة أن يحرصوا بألا يرتكبوا ما يجعلهم غير قادرين على المجيء إلى المقدس، إلا إذا كان ذلك من أجل شخص من أقرب أقربائهم (ع ١– ٣).

(٢) عليهم ألا يغالوا في التعبير عن حزنهم، فلا ينبغي أن يكون حزنهم:

أ. متعلقا بالخرافات، طبقا لاعتقاد الوثنيين، الذين يقصون شعرهم ويجرحون أنفسهم، تكريما للآلهة الخيالية التي تترأس (بحسب اعتقادهم) على جماعة الموتى؛ حتى يلزموهم بحسن معاملة أصدقائهم الذين رحلوا.

ب. ولا يجب أن يتسم حزنهم بالانفعال أو الإفراط. ويجب ملاحظة أنه على خدام الله أن يكونوا قدوة للآخرين من ناحية الصبر في وقت المحن، ولا سيما تلك التي تمس وترا حساسا للغاية، ألا وهو موت أقرب أقاربهم.

ثانيا: عليهم الاهتمام بألا ينتقصوا من أنفسهم في زواجهم (ع ٧). فالكاهن ينبغي عليه ألا يتزوج من امرأة سيئة السمعة، سواء كانت قد أذنبت بأن تنجست أو حامت حولها الشكوك فيما يتعلق بسلوكها.

ثالثا: على أولادهم أن يخشوا عمل شيء من شأنه أن يشينهم: «وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنى» (ع ٩)، تكون جريمتها كبيرة. فإنها لم تتلوث فحسب بل «تدنست». والنساء الأخريات لا يتمتعن بهذا الشرف الذي توفر لها، ومن ثَمَّ ليس عرضة لأن يفقدنه. ثم إنها كفرد من عائلة الكاهن فقد أكلت من المقدس، ومن المفترض أنها أفضل معرفة من الأخريات.

عدد ١٠ – ١٥

والكاهن يُتوقع منه أكثر مما يُتوقع من الناس الآخرين، غير أن المتوقع من رئيس الكهنة يفوق ما هو مطلوب من بقية الكهنة، ذلك لأنه «صُب على رأسه دهن المسحة»، وقد أُشير إلى ذلك بالقول: «لأن إكليل دهن مسحة إلهه عليه» (ع ١٢)، لأن مسحة الروح بالنسبة لجميع مَنْ نالوها هي: «إكليل مجد»، و«تاج جمال». وإذ أُعطي رئيس الكهنة مثل هذا التبجيل، فإنه:

أولا: لا يجب أن يتدنس إطلاقا من أجل ميت، ولا حتى من أجل أقرب أقربائه: «أبيه وأمه»، ناهيك عن ابنه أو أخيه (ع ١١). وربنا يسوع، رئيس كهنة إيماننا العظيم، لمس جسد ابنة يايرس الميتة، ونعش ابن الأرملة، وقبر لعازر، لكي يُبين أنه جاء لكي يُغير من طبيعة الموت، بأن يزيل رهبته وينزع شوكته. ومادام الموت الآن لا يستطيع أن يُهلك، إذًا فهو لا يدنس.

ثانيا: ليس له أن يتزوج أرملة (مثلما يستطيع الكهنة الآخرين) ناهيك عن مطلقة أو زانية (ع ١٣ و١٤). والسبب في هذا هو أن يكون ثَمة فرق بينه وبين الكهنة الآخرين في هذا الأمر.

ثالثا: عليه ألا يدنس نسله بين شعبه (ع ١٥). وقد يكون تحذيرا له عند اختياره زوجات لأولاده، ومن واجبه ألا يدنس نسله بأن يزوجهم زيجات غير مناسبة. وأبناء الخدام يتدنسون إذا كانوا تحت نير مع غير المؤمنين.

عدد ١٦ – ٢٤

وإذ اقتصر الكهنوت على عائلة واحدة بعينها، واستقر لجميع الأبناء الذكور في هذه العائلة طوال أجيالهم، فمن المحتمل جدا أن البعض ممن يُولدون من أبناء الكهنة في أجيال لاحقة تكون بهم عيوب وتشوهات طبيعية.

أولا: الشريعة بالنسبة لنسل هارون الذين بهم تشوهات:

(١) «إلى المذبح لا يقترب»، «من القدس يأكل» (ع ٢٢) وذلك من الذبائح مع الكهنة الآخرين، بل ويأكل حتى «من قدس الأقداس» مثل العشور والباكورات، ونصيب الكهنة من ذبائح السلامة. فالتشوهات ليست من ذنبهم، وعلى هذا، وبالرغم من أنهم قد لا يعملون، إلا أنه لا يجب أن يتضوروا جوعا.

(٢) ومع ذلك فليس لمن به تشوهات أن يخدم عند المذبح، أيا كان هذا المذبح، بل ولا يسمح له بالحضور لمساعدة غيره من الكهنة في تقديم الذبائح أو وقائد الرب (ع ١٧، ٢١، ٢٣). ومن أجل سمعة المقدس لا يظهر فيه أي شخص مشوه بأي شكل كان، سواء بالطبيعة أو إثر حادث.

ثانيا: في ظل الإنجيل:

(١) كل الذين يعانون من مثل هذه التشوهات لديهم من الأسباب ما يحملهم على أن يشكروا الله على أنهم لم يُستبعدوا هكذا من تقديم ذبائح روحية لله، بل ولا من وظيفة الخدمة، إذا كانوا مؤهلين لها. فكم من نفس جميلة صحيحة تسكن في جسد مشوه، ومع ذلك:

(٢) ينبغي علينا أن نستدل من ذلك أن الذين أذهانهم معيبة ومشوهة نتيجة أية رزيلة مسيطرة عليهم تراهم عاجزين عن خدمة الله بشكل مقبول. وليسوا جديرين بأن يُدعوا أولاد الله، بل أولئك الذين من الناحية الروحية عميان وعرج وما إلى ذلك، والذين شوهتهم خطاياهم وجلبت عليهم الخزي، يكونون غير لائقين لخدمة الرب، الأمر الذي يكون من نتيجته أن تقدماتهم للرب تصبح مكرهة له.

الأصحاح الثاني والعشرون

يتضمن هذا الأصحاح شرائع مختلفة تتعلق بالكهنة والذبائح، وكلها من أجل الحفاظ على كرامة المقدس.

أولا: ألا يأكل الكهنة من الأقداس وهم في حالة نجاسة طقسية (ع ١– ٩).

ثانيا: وأي غريب لا ينتمي إلى إحدى عائلات الكهنة لا يجب أن يأكل من الأقداس (ع ١٠– ١٣)، وإذ حدث وأكل بطريق السهو، عليه أن يقدم تعويضا (ع ١٤– ١٦).

ثالثا: الذبائح التي تُقدَّم يتعين أن تكون بلا عيب (ع ١٧– ٢٥).

رابعا: وأن يكون عمرها أكثر من ثمانية أيام (ع ٢٦– ٢٨)، ذبائح الشكر يتوجب أن تُؤكل في نفس يوم تقديمها (ع ٢٩– ٣٣).

عدد ١ – ٩

وعلى الرغم من أن الذين لديهم عيب طبيعي يُمنعون من القيام بعمل الكهنة، إلا أنه مع ذلك مسموح لهم بالأكل من الأقداس. ويقول الكتبة اليهود إنه لكي يُحفظوا من البطالة تُقدم لهم فرصة العمل في مخازن الحطب لالتقاط ما تعرض لنخر السوس، حتى لا تُستخدم في النار التي تُوقد على المذبح، وقد يُستخدمون أيضا في الحكم على حالات البرص، إلا أنه:

أولا: أولئك الذين يكونون في حالة من النجاسة الطقسية، نتيجة خطأ منهم، ليس لهم أن يأكلوا من الأقداس طالما استمروا في هذه النجاسة.

ثانيا: بالنسبة للقصد من هذه الشريعة، يجدر بنا أن نذكر:

(١) أن هذا يُلزم الكهنة بالحرص على حفظ طهارتهم، والابتعاد عن أي شيء قد يدنسهم.

(٢) ولد هذا انطباعا لدى الشعب بتوقير الطعام المقدس.

عدد ١٠ – ١٦

الطعام المقدس يتم أكله بواسطة الكهنة وعائلاتهم:

أولا: نجد هنا شريعة تحرم على الغريب الأكل منه، أي أنها تحرم أكله بالنسبة لأي إنسان مهما كان، سوى الكهنة فقط، وأولئك الذين ينتمون إليهم (ع ١٠). وقد أُلقيت على الكهنة مسئولية عدم تدنيس «أقداس بني إسرائيل التي يرفعونها للرب»، وذلك بالسماح للغرباء بالأكل منها (ع ١٥)، أو «يحملونهم ذنب إثم» الأكل من الأقداس (ع ١٦). ويُلاحظ هنا أنه لا ينبغي علينا فقط أن نحرص على عدم ارتكاب الإثم فقط، بل يجب علينا أيضا أن نبذل كل ما في وسعنا لمنع الآخرين من ارتكاب الآثام.

ثانيا: نجد هنا تفسيرا لهذه الشريعة، ببيان مَنْ هم المنتمون إلى عائلة الكاهن، ومَنْ هم الذين لا يُعدون من عائلته:

(١) الغرباء والخدام المستأجرين لا يبقون في البيت إلى الأبد، إذ إنهم كانوا مع العائلة، غير أنهم ليسوا منها، وعلى ذلك ليس لهم أن يأكلوا من الطعام المقدس (ع ١٠)، غير أن العبد الذي وُلد في البيت، أو الذي اُشتُري بالمال، فلكونه وريثا للعائلة، مع أنه عبد، فله أن يأكل من الطعام المقدس (ع ١١).

(٢) أما بالنسبة لأبناء العائلة: الأولاد ليس عليهم أي خلاف فهم أنفسهم من الكهنة، أما بالنسبة للبنات فهناك فرق. فطالما كن في بيت أبيهن فلهن أن يأكلن من الطعام المقدس، إلا أنه إذا تزوجن من رجال ليسوا من الكهنة، فإنهن يفقدن هذا الحق (ع ١٢).

(٣) هنا طلب بالتعويض يقدمه ذاك الذي ليس له الحق في الأكل من الطعام المقدس، ومع ذلك أكل منه سهوا (ع ١٤).

ثالثا: هذه الشريعة يمكن التغاضي عنها، كما حدث مع داود ورجاله حين أكلوا من الخبز المقدس (١صم ٢١: ٦). وقد بررهم مُخلِّصنا، وقدم سببا لذلك، الأمر الذي يقدم لنا قاعدة دائمة تُطبق على جميع الحالات المماثلة، وهي أن الله يريد «رحمة لا ذبيحة» (مت ١٢: ٣ و٤، ٧) فالأمور الطقسية يجب أن تتراجع أمام الأخلاقيات.

عدد ١٧ – ٣٣

تتضمن هذه الفقرة أربعة أحكام خاصة بالذبائح.

أولا: أية ذبيحة تُقدم لله يجب أن تكون بلا عيب، وإلا فلن تكون مقبولة. وفضلا عن ذلك هناك فرق بين ما يقدم كنافلة (أي اختياريا) وذاك الذي يُقدم كنذر (ع ٢٣). وطبقا لهذه الأحكام يجب أن تُولى عناية كبيرة لفحص كل الحيوانات التي يُؤتى بها لتُقدم كذبائح، حتى يتم التأكد يقينا أنها بلا عيب. وكان كثيرون من كهنة الوثنيين لا يدققون في هذه الناحية، بل كانوا يقبلون لآلهتهم ذبائح معيبة، ولكن ليعرف الغرباء أن إله إسرائيل لا يمكن أن يُعبد بهذه الطريقة. إنها لتعليمات صادرة لنا بأن نُقدم لله أفضل ما عندنا في ذبائحنا الروحية. وإذا كانت عبادتنا بلا معرفة، فاترة واهية وتتم بذهن مشتت ومشوش، فحينئذ نحن نقدم في ذبائحنا «الأعمى والمكسور والمجروح».

ثانيا: لا يُقدِّم حيوان ذبيحة إلا من اليوم الثامن من عمره (ع ٢٦ و٢٧). لقد اُشترط من قبل أن البكر من الماشية المخصص للرب لا يؤتى به إليه إلا بعد اكتمال عمره ثمانية أيام (خر ٢٢: ٣٠). وهنا يشترط أنه لا يؤتى بحيوان ليُقدَّم ذبيحة حتى يكتمل عمره ثمانية أيام. فكما أن الحيوان قبل هذه الفترة لا يوضع على مائدة الإنسان للأكل، هكذا أيضا لا يوضع على مذبح الله كتقدمة.

ثالثا: لا تُذبح البقرة أو الشاة مع ابنها في يوم واحد، سواء لتقديمها ذبيحة أو للاستعمال العادي (ع ٢٨)، لئلا يبدو الأمر أنه عمل عدائي لهذه الأجناس أن يُذبح جيلين في ذات الوقت، كما لو كان القصد هو إبادة النوع.

رابعا: لحم ذبائح الشكر يجب أن يؤكل في نفس يوم تقديمها (ع ٢٩ و٣٠). وهذا تكرار لما سبق ذكره في لاويين ٧: ١٥؛ ١٩: ٦ و٧. ويُختتم الأصحاح بنصيحة عامة كثيرا ما قرأنا عنها قبل ذلك وهي حفظ وصايا الله، وعدم تدنيس اسمه القدوس (ع ٣١ و٣٢).

الأصحاح الثالث والعشرون

حتى هذه النقطة كانت الشريعة اللاوية تتناول بصفة رئيسية الأشخاص المقدسين، والأشياء المقدسة، والأماكن

المقدسة، أما في هذا الأصحاح فنجد الفرائض الخاصة بالأوقات المقدسة.

أولا: العيد الأسبوعي في السبت (ع ٣).

ثانيا: الأعياد السنوية.

(١) الفصح وعيد الفطير (ع ٤– ٨) التي أُضيف إليها تقديم حزمة أول حصيد (ع ٩– ١٤).

(٢) عيد الخمسين (ع ١٥– ٢٢).

(٣) احتفالات الشهر السابع: عيد الأبواق في أول يوم (ع ٢٣– ٢٥)، يوم الكفارة في اليوم العاشر (ع ٢٦– ٣٢)، وعيد المظال في اليوم الخامس عشر (ع ٣٣– ٤٤).

عدد ١– ٣

أولا: سرد عام للأوقات المقدسة التي عينها الله (ع ٢)، وتعيين الله فقط هو الذي يجعل الوقت مقدسا، لأنه رب الزمن، وبمجرد أن أطلق عجلته ليتحرك، كان هو الذي قدس وبارك يوما دون بقية الأيام (تك ٢: ٣). وبمقدور الإنسان أن يعين يوما طيبا (أس ٩: ١٩)، غير أن من امتيازات الله وحده أن يصنع يوما مقدسا. وبالنسبة للأوقات المقدسة التي رُسمت هنا، فإنه مما تجدر ملاحظته:

(١) سُميت أعياد: ويوم الكفارة الذي هو أحد هذه الأعياد، كان صوما، ومع ذلك فبالنظر إلى أن معظمها عُين للفرح والابتهاج، فقد سُميت بصفة عامة أعياد. والبعض يسمونها «مواسم»، ولكني أفضل تسميتها بالمناسبات الجليلة، وإذا ما أسميناها هكذا، نجد أن يوم الكفارة كان مناسبة جليلة مهيبة مثل أي مناسبة من هذه المناسبات.

(٢) وهي أعياد الرب «مواسم الرب».

(٣) وقد أُعلنت لأنه لن يقتصر حفظها على الكهنة الذين يخدمون المقدس فقط، بل كل الشعب.

(٤) يجب تقديسها والاحتفال بها باجتماعات مقدسة، حتى تظهر خدمات هذه الأعياد في أبهى جلال واحترام، ويزيد الشعب من اتحاده وتماسكه في الاحتفال بها.

ثانيا: هنا نجد في المقام الأول تكرار لشريعة السبت. وعلى الرغم من أن الأعياد السنوية جُعلت أكثر روعة بالحضور العام إلى المقدس، إلا أن هذا لا يجب أن يحجب تألق السبت (ع ٣). وقد عيَّن المسيح سبت العهد الجديد ليكون اجتماعا مقدسا، وذلك بلقائه مع تلاميذه من حين لآخر في أول أيام الأسبوع. وسواء أُتيحت لكم فرصة تقديسه في اجتماع مقدس أم لا، فإنه يجب أن يكون لكم: «سبت للرب في جميع مساكنكم»، ويكون هناك فرق بين هذا اليوم والأيام الأخرى في عائلاتكم.

عدد ٤– ١٤

هنا أيضا سُميت الأعياد «مواسم الرب»، لأنه هو الذي عيَّنها. وكانت معظمها أوقات فرح وبهجة، وهكذا أيضا يوم السبت الأسبوعي. كذلك الحال بالنسبة لجميع الأعياد السنوية باستثناء يوم الكفارة. وبهذا يُعلِّمهم الله أن طرق الحكمة حسنة، ويجذبهم إلى خدمته بتشجيعهم على الفرح في أدائها، والترنيم في عملهم. وكانت هناك سبعة أيام تُقضى في راحة كاملة واجتماعات مقدسة: أول وسابع يوم من عيد الفطير، ويوم عيد الأسابيع، ويوم عيد الأبواق، وأول وثامن يوم من عيد المظال، ويوم الكفارة. فنجد هنا ستة أيام لفرح مقدس، ويوما واحدا فقط للحزن المقدس.

أولا: تكرار لشريعة الفصح، والذي يجب الاحتفال به في اليوم الرابع عشر من الشهر الأول، وذلك تذكار لخلاصهم من العبودية وخروجهم من مصر، والحدث البارز المتعلق بحفظ أبكارهم، والمراحم التي لا يمكن أن تُنسى.

ثانيا: أمر بتقديم حزمة أول الحصيد، وذلك في اليوم الثاني من عيد الفطير، الأول سُمي «سبتا»، لأنه كان يُحفظ كسبت (ع ١١)، وفي اليوم التالي له يقيمون هذه الشريعة. يؤتى بحزمة، أو حفنة من حنطة جديدة إلى الكاهن، الذي يقوم بترديدها، كعلامة على أنه يقدمها إلى إله السماء، ثم إنه يرددها أمام الرب باعتباره رب الأرض كلها، وهذه تُقبل منهم كدلالة شكر واعتراف برحمة الله بهم التي تمثلت في اكتساء حقولهم بالحنطة، واتكالهم على الله، ورغبتهم في أن يحفظها لهم. وتقديم حزمة أول حصيدهم هذه،

باسم الجماعة كلها كان من شأنه -إذا جاز التعبير- أن يتقدس المحصول كله. ونجد أنه بعد مجيئهم إلى كنعان أن المن توقف في أول يوم قُدمت فيه حزمة أول الحصيد، وكانوا قد أكلوا من غلة الأرض في اليوم السابق على ذلك (يش ٥: ١١)، وحينئذ، في هذا اليوم قدموا الباكورات التي بواسطتها تأهلوا لأن يأكلوا من المحصول الجديد أيضا (يش ٥: ١٢)، وهكذا لم يكن ثَمة حاجة للمن. وحزمة أول الحصيد هذه كانت ترمز إلى ربنا يسوع الذي قام من بين الأموات «وصار باكورة الراقدين» (١كو ١٥: ٢٠). ولم يكن لهم أن يأكلوا من المحصول الجديد إلا بعد أن يقدموا لله نصيبه منه (ع ١٤)، لأنه ينبغي علينا أن نبدأ دائما بالله، نبدأ حياتنا معه، ونبدأ كل يوم معه، ونبدأ كل مهمة وعمل معه: اطلبوا أولا ملكوته.

عدد ١٥ - ٢٢

هنا نجد تأسيس «عيد الخمسين» أو عيد الأسابيع كما سُمي في سفر التثنية ١٦: ٩، لأنه كان يستمر مدة خمسين يوما، أو سبعة أسابيع بعد الفصح. كما أنه سُمي أيضا «عيد الحصاد» (خر ٢٣: ١٦). لأنه كما أن تقديم حزمة أول الحصيد كان مقدمة للمحصول، وأعطاهم حرية استخدام المنجل، فلذلك احتفلوا في هذا العيد بانتهاء الحصاد.

(١) عندئذ كانوا يقدمون حفنة من سنابل الشعير، أما الآن فهم يقدمون «رغيفين» (ع ١٧). وهذا من الخبز المختمر. في الفصح يأكلون فطيرا، أما الآن في الخمسين فكان خبزا مختمرا، وكان هذا إقرار منهم بصلاح الله نحوهم في طعامهم وخبزهم العادي.

(٢) ومع حزمة أول الحصيد هذه لا يقدمون سوى خروف واحد كذبيحة محرقة، غير أنهم مع خبز الباكورات يقدمون سبعة خراف وكبشين وثور واحد، وكلها كذبيحة محرقة، وبهذا يعطون المجد لله باعتباره رب محصولهم. كذلك كانوا يقدمون تيسا كذبيحة خطية، وأخيرا، يقدمون خروفين كذبيحة سلامة، ليلتمسوا بركة للمحصول الذي قاموا بجمعه.

(٣) وهذا اليوم الواحد يحفظونه باجتماع مقدس (ع ٢١). وكان من بين الأيام التي فيها يتقابل بنو إسرائيل مع الله ومع بعضهم البعض، وذلك في المكان الذي يختاره الرب. والبعض يقول بأنه في الوقت الذي يستغرق فيه عيد الفطير سبعة أيام، فإنه عُين يوم واحد لعيد الخمسين، وذلك مرده أنه يأتي في وقت حافل بالعمل، وقد سمح الله لهم بالعودة سريعا إلى أعمالهم في الحقل. وقد تأسس هذا العيد السنوي تذكارا لإعطاء الناموس على جبل سيناء، في اليوم الخمسين بعد خروجهم من مصر. غير أن ذروة هذا العيد وكماله هو انسكاب الروح القدس على الرسل في يوم هذا العيد (أع ٢: ١)، وفيه أُعطيت شريعة الإيمان، بعد خمسين يوما من صلب المسيح الذي هو فصحنا الذي قُدم كذبيحة من أجلنا. ومع تأسيس عيد الخمسين أُضيف تكرار للشريعة التي تطلب منهم ترك لقاط حصيدهم والحنطة التي تنمو عند أطراف زوايا الحقل، وذلك من أجل الفقراء (ع ٢٢). كما علمهم هذا أيضا أن الفرح بالمحصول يجب أن يُعبر عنه بالإحسان إلى الفقراء.

عدد ٢٣ - ٣٢

أولا: تأسيس عيد الأبواق، في اليوم الأول من الشهر السابع (ع ٢٤ و٢٥). أما الذي تفرَّد به هذا العيد فهو أنه يُحتفل به بواسطة «هتاف البوق». فهم ينفخون بالبوق عند كل شهر جديد (مز ٨١: ٣)، غير أنه عند الهلال الجديد في الشهر السابع كان يُعمل باحتفال غير عادي، لأنهم يبدأون في النفخ بالأبواق عند شروق الشمس ويستمرون حتى غروبها، ومما يُلاحظ هنا:

(١) ذُكر هذا على أنه «تذكار»، ولعله تذكار صوت البوق على جبل سيناء، حين أُعطي الناموس، الأمر الذي لا يجب نسيانه أبدا.

(٢) يفترض الكتبة اليهود أن ذلك له معنى روحي. فهم عند بداية السنة يُدعون بواسطة صوت البوق هذا لكي ينفضوا عنهم غبار كسلهم الروحي، وأن يفحصوا حياتهم ويختبروها ويصلحوها، ويوم الكفارة، هو اليوم التاسع بعد هذا، وهكذا فقد استيقظوا للاستعداد لهذا اليوم، وذلك بتوبة جادة صادقة.

(٣) كان يرمز إلى الكرازة بالإنجيل، والتي بها تُستدعى النفوس الفرحة المصلية لعبادة الله وإقامة وليمة روحية له.

ثانيا: تكرار لشريعة يوم الكفارة، أو بالأحرى الكثير منها الذي يخص الشعب.

(١) عليهم في هذا اليوم أن يستريحوا من العمل بكافة صوره. والسبب هو: «لأنه يوم كفارة». وذاك الذي يُعمل يوم الكفارة في حينه -وعلى النحو المطلوب- في حاجة إلى أن يتخلى عن التفكير في أي شيء آخر.

(٢) عليهم أن يذللوا نفوسهم، وإلا يُقطعوا بيد الله (ع ٢٧، ٢٩، ٣٢). ينبغي أن يعاقبوا الجسد وينكروا شهواته.

(٣) يجب حفظ اليوم كله: «في تاسع الشهر عند المساء من المساء إلى المساء تسبتون سبتكم» (ع ٣٢).

عدد ٣٣- ٤٤

أولا: تأسيس عيد المظال، والذي كان أحد الأعياد الثلاثة الكبرى، والتي يلزم كل ذكر بحضورها، ويُحتفل به بتعبيرات الفرح بأكثر من أي عيد آخر.

(١) بالنسبة للتوجيهات الخاصة بتنظيم هذا العيد، تجدر ملاحظة الآتي:

أ. يجب الاحتفال به بعد يوم الكفارة بخمسة أيام. ولنا أن نفترض أنه على الرغم من أنهم ليسوا مُلزمين جميعا للحضور يوم الكفارة، كما هو الحال بالنسبة للأعياد الثلاثة الكبرى، غير أن كثيرين من اليهود الأتقياء يأتون قبل عيد المظال بأيام كثيرة، بغية التمتع بفرصة الحضور في يوم الكفارة. وتذليل نفوسهم في يوم الكفارة يُعِّدهم لفرح عيد المظال. وكلما زاد حزننا وتذللنا بسبب الخطية، زاد تأهلنا على وجه أفضل للتمتع بتعزيات الروح القدس.

ب. كان يستمر ثمانية أيام، أولها وآخرها يُحفظان كسبوت.

ج. وخلال الأيام السبعة الأولى من هذا العيد، على كل الشعب أن يتركوا بيوتهم، والنساء والأطفال فيها، لكي يسكنوا في مظال تُعمل من أفرع أشجار سميكة، ولا سيما أشجار النخيل (ع ٤٠، ٤٢).

د. ويفرحون «أمام الرب» إلههم طوال زمن العيد (ع ٤٠). وتقليد اليهود هو أنه كان من واجبهم أن يُعبِّروا عن فرحهم بالرقص والترانيم تسبيحا لله، وذلك بآلات موسيقية.

(٢) بالنسبة للقصد من هذا العيد:

أ. يُقام لذكرى سُكناهم في خيام في البرية.

ب. كان عيدا للحصاد، وهكذا سُمي في سفر الخروج ٢٣: ١٦.

ثانيا: ملخص هذه الفرائض وختامها: الله هو الذي رسم هذه الأعياد: «عدا سبوت الرب... وجميع نوافلكم» (ع ٣٧ و٣٨). وفرائض الله تفسح المجال للنوافل التي تُقدَّم اختياريا.

الأصحاح الرابع والعشرين

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: تكرارا للشرائع الخاصة بالسُرج وخبز الوجوه (ع ١- ٩).

ثانيا: انتهاك للناموس الخاص بالتجديف، مع سجن ومحاكمة المجدف وإدانته وتنفيذ الحكم فيه (ع ١٠- ١٤، ٢٣).

ثالثا: تأكيد الشريعة التي تُحرم التجديف (ع ١٥ و١٦)، مع شرائع أخرى متنوعة (ع ١٧- ٢٣).

عدد ١- ٩

أوليت العناية، وصدرت الأوامر للاهتمام بالمنارة والمائدة في بيت الله.

أولا: يجب أن تحفظ السُرج موقدة بشكل دائم.

(١) كان على الشعب أن يُقدم زيتا (ع ٢)، ومن أفضل الأنواع: «زيت زيتون مرضوض نقيا»، ولعله كان مصفى مرتين. والخدام كأضواء مُشرقة في كنيسة المسيح، غير أنه من واجب الشعب أن يوليهم رعاية فائقة، مثلما كان يفعل بنو إسرائيل بالسُرُج. والإعالة السيئة للخدام ينجم عنها خدمة سيئة.

(٢) كان على الكهنة الاهتمام بالسُرُج، فيزيلون الجزء المحترق من فتيلة السراج، وينظفون المنارة، ويغذونها بالزيت صباحا ومساء (ع ٣ و٤). وهكذا فإنه من عمل خدام الإنجيل أن يتمسكوا

«بكلمة الحياة» (في ٢: ١٦)، وليس عليهم أن يقيموا أنوارا جديدة، غير أنهم، عن طريق تفسير الكلمة والكرازة بها، فإنهم بذلك يجعلون نورها أكثر وضوحا وانتشارا.

ثانيا: يجب أن تبقى المائدة مقامة بصفة دائمة. وهذا ما سبق تعيينه آنفا (خر ٢٥: ٣٠).

(١) كان هناك قرص لكل سبط، لأنه في بيت أبينا يتوافر الخبز (انظر لوقا ١٥: ١٧). وحتى بعد ثورة الأسباط العشرة استمر عدد الأقراص (الأرغفة) على ما كان عليه (٢أخ ١٣: ١١)، من أجل القلة من كل سبط التي احتفظت بحبها للهيكل وواصلت حضورها إليه وخدمته.

(٢) كانت توضع حفنة من البخور في طبق ذهبي. وبعد أن يُؤخذ الخبز ويُعطى للكهنة، كان هذا البخور يُحرق على مذبح الذهب للتذكار بدلا من الخبز، كإقرار متواضع، وتعطى كل الأرغفة للكهنة.

(٣) ويتكرر الأمر كل سبت. وخدام المسيح يجب أن يقدموا خبزا جديدا لبيته كل سبت، وهو نتاج دراستهم الجديدة في الكتاب المقدس، حتى تظهر كفاءتهم للجميع (٢تي ٤: ١، ٥).

عدد ١٠ – ٢٣

يقولون إن السلوكيات الشريرة تتولد عنها قوانين جيدة. ونجد هنا إشارة إلى سلوك شرير لشخص لم يذكر اسمه وهو إسرائيلي مخلط، والشرائع الجيدة التي سُنت نتيجة ذلك.

أولا: الآثم هنا هو ابن لأب مصري وأم إسرائيلية (ع ١٠)، وكانت أمه من سبط دان (ع ١١). وهذه الإشارة إلى نسبه جاءت إما:

(١) للإشارة إلى سبب المشاجرة التي كان طرفا فيها. ويقول اليهود إنه عزم على إقامة خيمته وسط الدانيين، وكان له هذا الحق لأن عائلة أمه تنتمي إلى سبط دان، غير أنه –وعن حق– لقي معارضة من بعض مَنْ ينتمون إلى هذا السبط، وقيل له إنه بالنظر إلى أن والده مصري، فليس له قسم ولا نصيب معهم، ويجب أن يعتبر نفسه غريبا، أو

(٢) لبيان العواقب الوخيمة الشائعة نتيجة الزواج المختلط.

ثانيا: سبب خطأه كان نزاعا: «وتخاصم... ورجل إسرائيلي».

ثالثا: الإثم ذاته كان تجديفا وسبا (ع ١١).

(١) «فجدف... على الاسم». ومن المحتمل أن الحزن تملكه نتيجة القرار الإلهي الذي يفرق بين الإسرائيليين والغرباء، فما كان منه إلا أنه بكل وقاحة أهان الناموس ومعطي الناموس، مزدريا به.

(٢) لقد سب، إما الله نفسه، أو الشخص الذي كان يتشاجر معه.

رابعا: الحذر الذي تمت في ظله الإجراءات التي اتخذت ضده بسبب خطيته: فحتى موسى نفسه لم يتسرع في إصدار حكم ضده، بل أمر بوضعه في المحرس فقط، حتى يستشير ما يقوله الوحي في هذا الشأن. وانتظروا ليعرفوا ما يُعلن لهم «عن فم الرب»، من ناحية ما إذا كان يصدر عليه حكم بالموت بمعرفة القاضي، أم يُترك لدينونة الله.

خامسا: صدر الحكم ضد هذا الأثيم من قبل القاضي العادل، الذي هو نفسه قاضي السماوات والأرض: «يرجمه كل الجماعة» (ع ١٤).

سادسا: صدر تشريع قانوني بهذه المناسبة يقضي برجم المجدفين (ع ١٥ و١٦). والقضاة هم حراس القانون، وينبغي أن يكونوا غيورين على كرامة الله ضد أولئك الذين يتحدثون باحتقار عن كينونته وسلطانه، بنفس غيرتهم على السلامة والأمن العام ضد مَنْ يحاولون زعزعتهما.

سابعا: تكرار لبعض الشرائع الأخرى أُلحقت بهذا التشريع الجديد.

(١) القتل يجب أن تكون عقوبته الموت (ع ١٧ وكذلك ع ٢١).

(٢) الذي يؤذي غيره يجب أن يُعاقب طبقا لقانون الجزاء من نفس العمل «فكما فعل كذلك يُفعل به» (ع ١٩ و٢٠). وسبق أن قرأنا عن هذا القانون في سفر الخروج ٢٢: ٤ و٥. وكان هذا القانون يتناغم مع ذلك التدبير، الذي كُشف فيه عن صرامة الناموس وما تستحقه الخطية، بأكثر مما هو الحال بالنسبة للتدبير الذي نحن في ظله، والذي فيه أُعلنت

نعمة الإنجيل وغفران الخطايا، ولذلك نحى مخلصنا هذا القانون جانبا (مت ٥: ٣٨ و٣٩)، وليس ذلك لمنع القضاة من تنفيذ العدالة العامة، بل ليمنعنا من رد الإساءة وليلزمنا بأن نغفر كما غُفر لنا، وكما نأمل أن يُغفر لنا أيضا.

(٣) الأذى الذي يُلحق عمدا ببهيمة يجب أن يُعاقب الذي ارتكبه بالتعويض عن هذا الضرر (ع ١٨، ٢١).

(٤) يُعد الغرباء كالوطنيين بالنسبة للاستفادة من هذا القانون، حتى لا يعانوا من الظلم، كما أنهم معرضون للجزاء الذي حدده هذا القانون في حالة ارتكابهم الخطأ.

الأصحاح الخامس والعشرون

الشريعة التي وردت في هذا الأصحاح تتعلق بأراضي وممتلكات بني إسرائيل في كنعان، حيث إن سكنى الأرض أو نقل الممتلكات يجب أن يتم بحسب التوجيه الإلهي، وكذلك إدارة النواحي المتعلقة بالعبادة، لأنه، كما أن خيمة الاجتماع كانت بيتا مقدسا، هكذا أيضا كانت كنعان أرضا مقدسة. ولقد رسم الله،

أولا: كل سنة سابعة يجب أن تكون سنة راحة من شغل الأرض، سنة سبت (ع ١– ٧).

ثانيا: كل خمسين سنة يجب أن تكون سنة يوبيل، أي أنه:

(١) سنة تحرير من الديون والرهونات، والعودة إلى امتلاك الأرض التي كانت قد بيعت (ع ٨– ١٧). وقد أُعطيت هنا توجيهات معينة،

أ. بخصوص بيع الأراضي وفكاكها (ع ٢٣– ٢٨).

ب. البيوت في المدن أو القرى مع شروط بالنسبة لمدن اللاويين (ع ٢٩– ٣٤).

(٢) سنة عتق للعبيد والرقيق.

أ. هنا وُضع قانون للمعاملة المترفقة للمدينين الفقراء (ع ٣٥– ٣٨).

ب. قانون لعتق الإسرائيليين الذين كانوا قد بيعوا كعبيد، وذلك في سنة اليوبيل، ما لم يكونوا قد عتقوا قبل ذلك.

◄ إذا كانوا قد بيعوا لإسرائيليين (ع ٣٩– ٤٦).

◄ إذا بيعوا للغرباء المستوطنين (ع ٤٧– ٥٥).

عدد ١– ٧

يشدد ناموس موسى كثيرا على السبت، فهذا الناموس لم ينعش حفظ السبت أسبوعيا فحسب، بل ولمزيد من الكرامة له، أضاف فريضة سبت السنة السابعة: «وأما السنة السابعة ففيها يكون للأرض سبت عطلة» (ع ٤). والسنة السبتية هذه تبدأ في سبتمبر، عند نهاية المحصول، في الشهر السابع من سنتهم الدينية وكان القانون ينص على أنه:

(١) في وقت بذر البذار، وهو يأتي بعد نهاية المحصول مباشرة، عليهم ألا يزرعوا حبوبا في أرضهم، ولا يقضبون كرومهم في الربيع، وبناء على ذلك عليهم ألا يتوقعوا لا غلة ولا محصول كرم في السنة التالية.

(٢) ما تنتجه أرضهم من تلقاء نفسها عليهم ألا يأخذوه أو ينتفعوا به، بل يتركوه للفقراء والعبيد والغرباء والماشية (ع ٥– ٧). ويجب أن تكون سبت راحة للأرض، وينبغي عليهم ألا يقوموا بأي عمل عليها، أو يتوقعوا منها أي ثمر، وكل الأعمال السنوية يجب أن تتوقف في السنة السابعة، مثلما تتوقف الأعمال اليومية في اليوم السابع. وكان ذلك رحمة بأرضهم أن تستريح في بعض الأحيان، حيث إن ذلك يحفظها قوية (بحسب تعبير الزراعة) للأجيال القادمة، لأن الله يريدهم أن يأخذوا ذلك في الاعتبار، ولا يستعملون الأرض كما لو أنها وُجدت لينتفع بها جيل واحد فقط.

(٣) وسنة الراحة هذه ترمز إلى الراحة الروحية التي يتمتع بها جميع المؤمنين في المسيح، الذي هو بالنسبة لنا نوح الحقيقي، الذي «يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا من قبل الأرض التي لعنها الرب» (تك ٥: ٢٩).

عدد ٨– ٢٢

أولا: إقامة اليوبيل بصفة عامة (ع ٨ وما بعده):

(١) متى تُراعى سنة اليوبيل: بعد «سبعة سبوت سنين» (ع ٨).

(٢) كيف تُعلن: بصوت البوق في جميع أنحاء

البلاد (ع ٩)، وذلك لإحاطة جميع الناس علما بها، وللتعبير عن فرحهم وسعادتهم بها، وكلمة «يوبيل» من المفترض أن تشير إلى صوت معين للبوق يُميَّز عن أي صوت غيره. وقد ضُرب بالبوق في ختام يوم الكفارة. فحين صُنع سلامهم مع الله، أُعلنت بعد ذلك الحرية.

(٣) ما الذي يجب عمله –مما هو ليس مألوفا– في هذه السنة، إلى جانب الراحة العامة للأرض، التي كانت تراعى كل سنة سبتية (ع ١١ و١٢)، والتحرر من الديون الشخصية (تث ١٥: ٢ و٣)، يجب أن تتم لكل إسرائيلي الإعادة الشرعية لكل ممتلكاته، وكل حريته التي كان قد فقدها منذ اليوبيل الماضي.

أ. فملكية كل رجل من نصيبه من أرض كنعان لا يمكن تحويلها لآخر لمدة تتعدى سنة اليوبيل. وهذا لا يُعد علما للمشتري، لأن تاريخ سنة اليوبيل كان محددا، وكل شخص يعرف موعدها، ويعقد صفقته طبقا لذلك. ولن يكون لهم حق البيع، بل يؤجرها لأي عدد من السنوات، لا يتعدى سنة اليوبيل التالية. وبهذه الوسيلة أمكن المحافظة على التمييز بين الأسباط، حتى لا يثري أحدها بشكل مفرط، إذ يصلون «بيتا ببيت ويقرنون حقلا بحقل» (إش ٥: ٨)، بل عوضا عن ذلك يتجهون لزراعة ما عندهم بدلا من توسيع ممتلكاتهم.

ب. والحرية التي وُلد في ظلها كل إنسان، إذا ما بيعت أو إذا ما خسرها، يجب أيضا أن تعود في سنة اليوبيل: «وترجعون كل إلى ملكه وتعودون كل إلى عشيرته» (ع ١٠). فالذين بيعوا إلى عائلات أخرى ومن ثَمَّ أصبحوا نتيجة ذلك غرباء بالنسبة لعائلاتهم، يعودون في سنة الفكاك.

ثانيا: شريعة بهذه المناسبة ضد الظلم في شراء وبيع الأرض، فلا يبالغ المشتري أو البائع في تقدير الثمن (ع ١٤– ١٧). ويجب تسوية الأمر على ضوء القيمة الخالصة «لسني الغلة»، ثم يُحسب عدد السنوات المتبقية حتى سنة اليوبيل. ومن السهل معرفة أنه كلما اقترب موعد اليوبيل انخفضت قيمة الأرض: «وعلى قدر قلة السنين تقلل ثمنه» (ع ١٦).

ثالثا: تم التأكيد لهم بأنهم لن يكونوا خاسرين، بل سيحققون مكاسب كبيرة بحفظهم سنوات الراحة هذه. فقد وُعدوا بأنهم:

(١) سينعمون بالأمن: «لتسكنوا على الأرض آمنين» (ع ١٨) وكذلك في آية ١٩. والكلمة المستخدمة تشير إلى الأمن الخارجي والداخلي وثقة في النفس.

(٢) سيكونون أغنياء: «فتأكلون للشبع».

(٣) لن يعوزهم الطعام في تلك السنة التي فيها لا يزرعون ولا يحصدون: «فإني آمر ببركتي لكم في السنة السادسة فتعمل غلة لثلاث سنين» (ع ٢١). ولقد قُصد بهذا أن يكون تشجيعا لشعب الله كافة، في جميع الأجيال، أن يعملوا واجبهم مطمئنين، وأن يلقوا همهم عليه.

عدد ٣٢– ٣٨

أولا: شريعة متعلقة بممتلكات بني إسرائيل في أرض كنعان، والأحكام الخاصة بنقل ملكيتها. لا يجب بيع الأرض إلى الأبد بواسطة العائلة التي جاءت الأرض من نصيبها عند تقسيم الأرض. والسبب الذي أُعطي لذلك هو: «لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي» (ع ٢٣). وإذا اضطر شخص –نتيجة الفقر– إلى بيع أرضه لإطعام عائلته، إلا أنه فيما بعد أصبح مقتدرا، حينئذ يمكنه فكاكها قبل سنة اليوبيل (ع ٢٤، ٢٦ و٢٧)، ويجب تحديد الثمن على أساس عدد السنوات منذ بيعت وحتى سنة اليوبيل. وإذا لم يكن الشخص نفسه قادرا على فكاكها، يصبح ذلك من واجب وليه الأقرب إليه: «يأتي وليه الأقرب إليه ويفك مبيع أخيه» (ع ٢٥). والقريب دُعي «ولي» (عد ٥: ٨؛ را ٣: ٩). الذي له حق فكاك الأرض. وهنا نرى رمزا للمسيح الذي شاركنا طبيعتنا، حتى يصبح ولينا. وإذا لم تُفك الأرض قبل سنة اليوبيل، يجب أن تعود بالطبع لذاك الذي باعها أو رهنها: «في اليوبيل... يرجع إلى ملكه» (ع ٢٨). وكان هذا نموذجا لنعمة الله الغنية التي لنا في المسيح، والتي بواسطتها أُعدنا إلى نعمة الله، وأصبحنا مؤهلين ليس للفردوس الذي منه طُرد أبوانا الأولان لعصيانهما بل لما هو أعظم؛ للفردوس السماوي. ولقد جُعل

هناك فرق بين البيوت التي في المدن ذات الأسوار، والأراضي التي في الريف، أو البيوت التي في قرى الريف. فالبيوت في المدن التي لها أسوار كانت غالبا نتيجة تعبهم بعكس الأراضي التي في الريف، والتي كانت منحة مباشرة من كرم الله. وعلى ذلك فإنه إذا باع رجل بيتا في مدينة، بمقدوره فكاكه في أي وقت خلال سنة من تاريخ البيع، وإلا تثبت ملكيته لمن اشتراه إلى الأبد، ولن يرده حتى في سنة اليوبيل (ع ٢٩ و٣٠). وقد وُضع هذا الشرط لتشجيع الغرباء والمتجددين على المجيء والإقامة بينهم. وعلى الرغم من أنهم لا يقدرون على شراء أراضي لأنفسهم أو لورثتهم في كنعان، فإنهم مع هذا يستطيعون شراء بيوت في المدن ذات الأسوار. وقد أُضيف بند لصالح اللاويين لاستثنائهم من هذه الأحكام.

ثانيا: شريعة لإغاثة المساكين، والمعاملة المترفقة بالمدينين الفقراء، وهذه تتسم بالتزام عام ودائم بأكثر مما هو الحال بالنسبة للشرائع السابقة:

(١) يجب نجدة الفقراء (ع ٣٥)، وهنا:

أ. افتُرض فقر ومحنة إخوتنا. وجميع الناس يجب اعتبارهم إخوة، ومعاملتهم على هذا النحو، لأنه «أليس أب واحد لكُلِّنا؟» (ملا ٢: ١٠).

ب. تحفيزنا على عمل واجبنا: «فاعضده» بالشفقة والعطف على الفقير، بالخدمة، ومد يد العون له، بأن تعطيهم حاجتهم طبقا لقدرتك.

(٢) المدينون الفقراء يجب ألا يُظلموا: «وإذا افتقر أخوك» واضطر لأن يقترض منك مالا ليدبر الضروريات لعائلته، «لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة»، سواء من أجل المال أو الطعام (ع ٣٦ و٣٧).

عدد ٣٩– ٥٥

تتضمن هذه الفقرة شرائع تختص بالعمال، والقصد منها المحافظة على كرامة الأمة اليهودية، كشعب حر تم خلاصه بقوة إلهية من بيت العبودية، إلى حرية مجد أولاد الله، لذا فهو بِكره. والشريعة تنص على:

أولا: لا يجب أن يُتخذ الإسرائيلي الوطني عبدا بصفة دائمة. وإذا بيع بسبب دين، أو نتيجة جريمة، وذلك بواسطة بيت القضاء، عليه ألا يخدم سوى ست سنوات، ويخرج في السابعة، وهذا ما تعيَّن في سفر الخروج ٢١: ٢. غير أنه إذا باع نفسه بسبب فقره المدقع، حيث لم يُترك له شيء على الإطلاق لحفظ الحياة، وإذا كان قد باع نفسه لأحد من مواطنيه، ففي هذه الحالة تنص الإجراءات على أنه:

(١) لا يُستعبد «استعباد عبد» (ع ٣٩)، أو «يباعون بيع العبيد» (ع ٤٢). سوف يخدمك «كأجير»، سيده فقط هو الذي ينتفع به. فقد افتقدهم الله من مصر، ولذلك لا يجب إطلاقا أن يتعرضوا للبيع كعبيد.

(٢) وفيما يقوم بالخدمة فعلا، لا يجب أن يُعامل بقسوة، كما كان بنو إسرائيل يُعاملون في مصر (ع ٤٣). فعمله ومعاملته يجب أن يليقا بابنٍ لإبراهيم.

(٣) وفي سنة اليوبيل يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود إلى عشيرته (ع ٤١). وقبل اليوبيل بعشرة أيام يُسمع هتاف البوق والعبيد الذين سيُطلق سراحهم نتيجة ذلك يُعبِّرون بالفعل عن فرحهم العظيم وذلك بالولائم ووضع أكاليل الزهور على رؤوسهم.

ثانيا: بمقدورهم شراء عبيد من الأمم الوثنية التي حولهم، لأن سنة اليوبيل لا تحرر أمثال هؤلاء (ع ٤٤، ٤٦).

ثالثا: وإذا باع إسرائيلي نفسه عبدا لدخيل ثري مستوطن بينهم، يجب مراعاة أن يلقى نفس العناية التي كان سيلقاها لو بيع لإسرائيلي، بل ويجب أن يلقى عناية أكثر في بعض النواحي.

(١) ألا يخدم كعبد، بل كنزيل أجير، كما أنه يتحرر في سنة اليوبيل (ع ٥٤).

(٢) وأن يتمتع بهذه المزية الأخرى وهي أنه يمكن فكاكه قبل سنة اليوبيل (ع ٤٨ و٤٩).

الأصحاح السادس والعشرون

هذا الأصحاح خاتمة مهيبة للمجموعة الرئيسية للشريعة اللاوية. والمبادئ التي تلي ذلك في هذا السفر، والسفر الذي يليه ما هي إلا تكرارات وإيضاحات. وهذا الأصحاح يحتوي على تدعيم لكل تلك الشرائع، وذلك بالوعود

بالمكافأة في حالة الطاعة، وتهديدات بالعقوبة في حالة العصيان، الأولى تُمهِّد للعمل في ظل الرجاء، والثانية في إطار الخوف. وهذان هما القبضتان اللتان، تُمسك بهما النفس وتُساس.

ويتضمن الأصحاح:

أولا: تكرار لاثنين أو ثلاثة من الوصايا الرئيسية (ع ١ و٢).

ثانيا: وعد ثمين بكل الأشياء الطيبة، إذا ما حفظوا وصاياه (ع ٣– ١٣).

ثالثا: تهديد رهيب بدينونات مُدمرة تحيق بهم إذا ما جنحوا للعناد والعصيان (ع ١٤– ٣٩).

رابعا: وعد عظيم بالرحمة لأولئك الذين يتوبون ويرجعون (ع ٤٠– ٤٦؛ تث ٢٨ مماثل لهذا الأصحاح).

عدد ١ – ١٣

أولا: تسليم مبادئ الشريعة التي كانت ذات أهمية عظيمة، والتي بواسطتها يُختبر مدى طاعتهم (ع ١ و٢). وهي مُلخص للوصيتين الثانية والرابعة:

(١) تأكدوا من عدم قيامكم بعبادة الأوثان على وجه الإطلاق، أو أن تعملوا أية أنواع من التماثيل أو الصور لاستخدام ديني (ع ١). ومع إدراكنا لكينونة الله ووحدته، ونفوذه على العالم كله، من الضروري أن نعرف ونؤمن أنه روح غير محدود؛ وعلى ذلك فتصويره بتمثال أو حصره في صورة وتقديسها، أو بعبادته من خلال تمثال بالسجود أمامه، يستبدل حق الله بكذب ومجده إلى عار.

(٢) تأكدوا من أن تولوا تبجيلا عظيما للسبوت والاجتماعات الدينية (ع ٢). لأنه لا شيء يعمل على إفساد الديانة أكثر من استخدام التماثيل في العبادة، كذلك لا شيء يُسهم بالأكثر في تدعيم الديانة مثل حفظ السبوت ومهابة المقدس. وهذا يكون الجزء النشيط من الديانة، والذي تُحفظ به أهم أساسياتها.

ثانيا: قُدمت لهم تشجيعات عظيمة للحياة في طاعة دائمة لجميع وصايا الله. والحكومات المدنية تُنفذ قوانينها عن طريق عقوبات تُسن عند انتهاكها، ولكن الله يكافئ الذين يطلبونه ويخدمونه.

(١) وفرة وخير كثير في ثمار الأرض: فقبل أن يجمعوا حنطتهم ويدرسوها، سيكون محصول العنب جاهزا، وقبل أن ينهوا محصول العنب، سيحين الوقت ليبدأوا الزرع. وستكون الوفرة عظيمة إلى درجة أنهم سيتخلصون من القديم بأن يعطوه للفقراء لإخلاء المكان للجديد، وذلك حتى تستوعبه مخازنهم.

(٢) ينعمون بالسلام تحت الحماية الإلهية: «وتسكنون في أرضكم آمنين» (ع ٥)، تنعمون بالأمان حقا، كما تشعرون بالأمن في مخاوفكم، فسوف تنعمون بالراحة في ظل قوة الله ووعده، ولن يضركم أحد، ليس ذلك فحسب، بل إنه حتى «ليس مَنْ يزعجكم» (ع ٦؛ انظر مزمور ٤: ٨).

(٣) سيكون النصر والنجاح حليفهم في حروبهم الخارجية، في الوقت الذي ينعمون فيه بالسلام والهدوء في الداخل (ع ٧ و٨).

(٤) زيادة شعبهم عددا: «وأثمركم وأكثركم» (ع ٩).

(٥) نعمة الله التي هي نبع كل صلاح: «وألتفت إليكم» (ع ٩) بنعمتي. وإذا نظرتم إلى الله بعين الإيمان، فإنه ينظر إليكم بعين نعمته.

(٦) علامات حضوره في فرائضه وبواسطتها: «وأجعل مسكني في وسطكم» (ع ١١).

(٧) نعمة العهد، باعتباره مصدر وأساس وحلاوة وأمان كل هذه البركات: «وأفي ميثاقي معكم» (ع ٩). عليهم أن يقوموا بدورهم بالنسبة للعهد، وهنا لن يتخاذل الله عن القيام بدوره. وكل بركات العهد لُخصت في العلاقة المترتبة عليه: «وأكون لكم إلها وأنتم تكونون لي شعبا» (ع ١٢)، وكل هذه قائمة على أساس فدائهم. «أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر» (ع ١٣).

عدد ١٤– ٣٩

بعد أن وضع الله البركة أمامهم، نراه هنا يضع أمامهم اللعنة، المتمثلة في الموت والشر اللذان يجلبان عليهم الشقاء إذا ما نزعوا إلى العصيان.

أولا: كيف وُصفت الخطية التي ستجلب عليهم كل هذا الشقاء؟ إنها ليست من خطايا السهو والضعف، ذلك أن الله دبَّر ذبائح لها، وليست من الخطايا التي يتوبون ويتخلون عنها، لكنها من الخطايا

التي تُرتكب بكل تبجح وبكل عناد يُصرون عليها. وثمة أمران من المؤكد أن يجلبا عليهم الهلاك:

(١) احتقار وصايا الله (ع ١٤). ويُعتقد أن خطيتهم بدأت بمجرد الإهمال واللامبالاة:

أ. «رفضتم فرائضي»، سواء الواجبات التي فُرضت، أو السلطة التي فرضتها، مستخفين بالناموس ومَنْ أعطاه.

ب. «وكرهت أنفسكم أحكامي»، كرهوها من كل نفوسهم. والذين يتحولون عنها سوف ينقلبون ضدها وتثور عليها قلوبهم.

ج. «نكثتم ميثاقي». وحين يصل الناس إلى هذه الدرجة من عقوقهم لدرجة أن يرفضوا ويكرهوا الوصية، فلا شك أن الخطوة التالية ستكون إنكار الله وكل صلة به. فالذين يرفضون الوصية سينتهي بهم الحال إلى إنكار العهد.

(٢) احتقار تأديباته. وحتى عصيانهم ما كان له أن يكون سبب دمارهم لو لم يكونوا معاندين، غير تائبين عن خطيتهم هذه، على الرغم من السُبل التي اتخذها الله لإصلاحهم. وقد عُبر عن هذا بثلاثة طرق:

أ. «وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون لي» (ع ١٨، ٢١، ٢٧).

ب. «وإن سلكتم معي بالخلاف» (ع ٢١، ٢٣، ٢٧). وكل الخطاة يسلكون بالخلاف مع الله وحقه ونواميسه ومشوراته، ولا سيما أولئك الذين لا يتقبلون الإصلاح رغم تأديباته.

ج. «وإن لم تتأدبوا مني». والهدف الذي يرمي إليه الله من وراء معاقبتهم هو إصلاحهم، وذلك بأن يعطيهم تأديبات واضحة عن شر الخطية، ويلزمهم بالالتجاء إليه لخلاصهم منها، وهذا هو قصده الأساسي. أما أولئك الذين لن ينصلحوا بتأديبات الله فعليهم أن يتوقعوا أنها ستُهلكهم.

ثانيا: كيف وُصف البؤس الذي ستجلبه عليهم الخطية تحت عنوانين رئيسيين:

(١) الله نفسه سيكون ضدهم، وهذا هو أساس وسبب كل شقائهم. والذين ينبذون الله، يستحقون أن ينبذهم هو بدوره. والمعاندون الذين لا يتقبلون الإصلاح، حين ينجون من عاصفة، عليهم أن يتوقعوا أخرى أكثر عنفا.

(٢) الخليقة كلها ستحاربهم:

أ. والدينونات الزمنية تهدد بالآتي:

◄ بأمراض جسدية، ستكون في صورة وبائية.

◄ مجاعة وندرة الخبز.

◄ أفضل الرجال سيسقطون في معركة «ويتسلط عليكم مبغضوكم»، وأنتم تستحقون ذلك، لأنكم لا ترغبون في أن يملك عليكم الله الذي يحبكم (٢أخ ١٢: ٨).

◄ بالحيوانات المفترسة: الأسود، الدببة، الذئاب، سوف تزداد ضراوة ضدهم.

◄ السبي أو التشتت: «وأذريكم بين الأمم» (ع ٣٣)، «في أرض أعدائكم» (ع ٣٤). ولم يسبق على الإطلاق أن كان هناك شعب يُشكِّل جماعة واحدة على هذا النحو، غير أنه بسبب خطيتهم فسوف يقوم الله بتشتيتهم بحيث يُفقدون بين الوثنيين، الذين كان الله بنعمته قد أفرزهم عنهم، ولكنهم بشرهم اختلطوا بهم.

◄ خراب أرضهم بشكل تام، الأمر الذي سيأتي بشكل ملحوظ جدا، حتى إن أعداءهم أنفسهم الذين ساهموا في خرابها، سوف يندهشون لهذا الأمر (ع ٣٢).

> سوف تصبح مدنهم خرابا.

> ستُهجر مقادسهم.

> سوف يعم الخراب الأرض نفسها، ولن تُحرث أو تُزرع (ع ٣٤ و٣٥).

◄ دمار أصنامهم: «وأخرب مرتفعاتكم» (ع ٣٠). والذين لن يتخلوا عن خطاياهم بناء على أوامر الله، سوف يتخلون عنها بتأديباته، وماداموا لن يهدموا مرتفعاتهم، فإن الله سيُدمرها.

ب. تم التهديد هنا بعقوبات روحية. وهذه سوف تتمكن من العقل، لأن ذاك الذي خلق العقل، بمقدوره -حينما يشاء- أن يدفع بسيفه للاقتراب منه. وجاء التهديد هنا بالآتي:

◄ لن يجدوا قبولا لدى الله: «ولا أشتم رائحة سروركم» (ع ٣١).

◄ لن تكون لهم شجاعة في حروبهم، بل

سيتملكهم اليأس والقنوط.

◄ لن يكون لهم أي أمل في مغفرة خطاياهم (ع ٣٩).

عدد ٤٠ – ٤٦

يُختتم الأصحاح هنا بوعود كريمة بعودة إحسان الله إليهم إذا ما تابوا، حتى لا يهلكون بسبب خطاياهم (حز ٢٣: ٢٤). ومهما كانت الأمور سيئة، فإنه يمكن إصلاحها، فعلى الرغم من كل شيء «يوجد رجاء لإسرائيل».

أولا: كيف وُصفت التوبة التي ستؤهلهم لهذه الرحمة (ع ٤٠ و٤١). هناك ثلاثة أمثلة خاصة بذلك:

(١) الاعتراف الذي بواسطته ينبغي أن يعطوا مجدا لله، ويتحملوا خزي أنفسهم– وفي اعترافهم يجب أن يضعوا الخطية في أسوأ صورها، باعتبارها «عداوة لله».

(٢) الندم والحزن المقدس بسبب الخطية: وذلك حين تتضع قلوبهم غير المختونة. فالقلب غير التائب، غير المؤمن، غير المتواضع يُسمى قلب غير مختون، قلب الوثني الذي هو غريب عن الله، وليس قلب الإسرائيلي الذي هو في عهد معه. والختان هو ختان القلب (رو ٢: ٢٩)، والذي بدونه لا ينفع ختان الجسد شيئا (انظر إرميا ٩: ٢٦). والقلب المتواضع يتهيأ للخلاص والتعزية الحقيقية.

(٣) التسليم بعدالة الله في كل معاملاته. فإذا استوفوا «حينئذ عن ذنوبهم» (ع ٤١، ٤٣)، بمعنى أنه إذا ما برروا الله وأدانوا أنفسهم هنا يكونون قد تابوا حقا.

ثانيا: كيف وُصفت الرحمة التي سينالونها عند توبتهم.

(١) لن يُتخلى عنهم: فعلى الرغم من أنهم: «قد أبوا أحكامي... ولكن مع ذلك أيضا... ما أبيتهم» (ع ٤٣ و٤٤). والله يتكلم هنا كأب حنون، لا يطاوعه قلبه على أن يحرم ابنه من الميراث رغم عقوقه البالغ.

(٢) سوف يتذكرهم: «وأذكر الأرض» برحمة، الأمر الذي يقوم على أساس الوعد السابق: «أذكر ميثاقي» (ع ٤٢)، والذي تكرر أيضا في آية ٤٥. وقد قيل عن الله إنه يتذكر الميثاق، حين يوفي بمواعيده، وذلك بدافع من أمانته فحسب. وقد تكررت كلمة الميثاق ثلاث مرات للإشارة إلى أن الله يذكره دائما، ويريدنا نحن أن نكون كذلك. والذين يسيرون ضد إرادة الله في طريق الخطية، إذا ما عادوا إليه بتوبة صادقة، فعلى الرغم من أنه كان في عداوة لهم بدافع دينونتهم، إلا أنه سيعود إليهم بدافع رحمته الخاصة، وذلك على أساس شروط عهد الفداء والرحمة. ولا يوجد مَنْ هو مستعد للتوبة بنفسٍ قدر استعداد الله للمغفرة بعد التوبة، بالمسيح الذي أُعطي كعهد.

الأصحاح السابع والعشرون

بعد أن أعطى الله الشرائع الخاصة بالخدمات التي فُرضت بشكل أساسي، نجده هنا يصدر توجيهات بشأن النذور والخدمات الاختيارية، أي النوافل التي ينطق بها لسانهم. ولعل بعض الناس الأتقياء الملتزمين من بينهم قد تأثروا بما قاله موسى لهم في الأصحاح السابق وفي نوبة حماسته قدسوا له أنفسهم، أو أولادهم، أو ممتلكاتهم، ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: الشريعة الخاصة بما يُقدَّس لله، الأشخاص (ع ٢– ٨)، الماشية، جيدة أم رديئة (ع ٩– ١٣)، منازل أو أراضي (ع ١٤– ٢٥)، باستثناء البكر (ع ٢٦ و٢٧).

ثانيا: بالنسبة لكل مُحرَّم للرب (ع ٢٨ و٢٩).

ثالثا: بالنسبة للعشور (ع ٣٠– ٣٤).

عدد ١ – ١٣

هذا جزء من الشريعة يختص بالنذور الشخصية، وغير العادية، والتي على الرغم من أن الله لم يُصر عليها صراحة، لكنها إذا كانت تتوافق مع الوصايا العامة فسوف يُسر الله بها.

أولا: الأمر الذي وُصف هنا يتناول أشخاصا نُذورا لله، بناء على نذر شخصي (ع ٢). فإذا قدَّس شخص نفسه، أو ابنا له، لخدمة خيمة الاجتماع، لكي يعمل هناك في عمل من أعمال الخدمة البسيطة مثل كنس الأراضي، وحمل الرماد، وتوصيل بعض الرسائل أو

القيام برحلات قصيرة لآداء بعض المهمات، أو ما إلى ذلك، فالشخص الذي يُقدَّس على هذا النحو يكون «للرب»، بمعنى أن الله بكرمه سيتقبل هذه البادرة الطيبة: «قد أحسنت بكون ذلك في قلبك» (٢أخ ٦: ٨). غير أنه بالنظر إلى أنه من غير المتاح أن تُستغل خدماتهم للخيمة حيث أن سبطا بأكمله قد خُصِّص للقيام على هذه الخدمات، فإن الذين قُدسوا على هذا النحو يجب أن يُفتدوا، والمال الذي يُجمع نتيجة فدائهم يُستخدم في الإنفاق على إصلاحات المقدس، أو أية استخدامات أخرى متعلقة به، كما يبين مما جاء في ٢ملوك ١٢: ٤ حيث سُميت «فضة الأقداس» التي جُمعت من النذور الشخصية، وقد جُهز كتاب للمعدلات يعمل الكهنة تقديراتهم على أساسه. أما الفقراء فيقومون بحسب قدرتهم (ع ٨). ويتعين أن يدفعوا شيئا، حتى يتعلموا ألا يندفعوا في نذورهم، ولكن في حدود قدرتهم، وذلك حتى لا يُدمروا أنفسهم أو عائلاتهم نتيجة حماستهم.

ثانيا: عرضت حالة البهائم التي تُفرز لله.

عدد ١٤- ٢٥

الشريعة الخاصة بالعقارات التي تُقدس لخدمة الله.

أولا: ولنفترض أن شخصا في حماسته لمجد الله «قدس... بيته قدسا للرب» (ع ١٤)، هنا يجب أن يُقيمه الكاهن، والنقود التي حُصلت نتيجة بيعه تُحول لكي تُستخدم في شئون المقدس، الذي شيئا فشيئا أصبح على ثراء واسع نتيجة الأقداس (١مل ١٥: ١٥). وإذا كان المالك يريد أن يفتديه (يفكه) بنفسه، وجب عليه أن يضيف خُمس ثمنه، لأنه كان عليه أن يفكر مليا قبل نذره (ع ١٥).

ثانيا: إذا افتُرض أن شخصا قدس جزءا من حقله للرب، وذلك بأن أعطاه لاستعمالات دينية، هنا يجب التفريق بين أرض حصل عليها المتبرع بالميراث، وتلك التي حصل عليها عن طريق الشراء، ولذلك فالقرار هنا يتغير حسب الحالة.

عدد ٢٦- ٣٤

أولا: أُعطي تحذير بأنه لا يجب أن يقدم أحد على تقديس البكر الذي أُفرز للرب، لأن هذا سبق أن كان للرب وذلك بحسب الشريعة (ع ٢٦).

ثانيا: يُفرق هذا الجزء بين الأشياء والأشخاص التي كانت مخصصة للرب. والأشياء التي كانت مكرسة له.

(١) فالأشياء المخصصة كانت مُحرمة، وكان لا يمكن استردادها أو بيعها لشخص آخر (ع ٢٨).

(٢) كل مُحرم من الناس يُقتل (ع ٢٩). وليس معنى هذا أنه بمقدور أي أب أو سيد أن يحرم طفلا أو عبدا للموت، ولكن المقصود هنا أن ذلك من أعداء إسرائيل المعروفين.

ثالثا: شريعة خاصة بالعشور، التي كانت تدفع لخدمة الله قبل الناموس، كما يظهر حين أخرج إبراهيم عشوره (تك ١٤: ٢٠)، ووعد يعقوب بدفعها (تك ٢٨: ٢٢). ولقد تعيَّن هنا أنهم يجب أن يدفعوا عشرا من كل زيادة تطرأ لهم، سواء بالنسبة للحبوب وأثمار الشجر، أو الماشية (ع ٣٠، ٣٢). وقد تعلمنا بصفة عامة أن نكرم الرب من مالنا (أم ٣: ٩)، وبصفة خاصة أن ندعم خدامه، وأن نشاركهم «في جميع الخيرات» (غلا ٦: ٦؛ انظر أيضا ١كورنثوس ٩: ١١). وكيف يتسنى عمل ذلك بشكل مناسب ومتساو إلا من خلال العُشر الذي عيَّنه الله نفسه منذ القِدم، لأني لا أرى وسيلة أخرى خلاف ذلك.

رابعا: ويبدو أن العدد الأخير يشير إلى هذا السفر بجملته، حيث تكون خاتمته هي: «هذه هي الوصايا التي أوصى الرب بها موسى إلى بني إسرائيل في جبل سيناء». وكثير من هذه الوصايا هي وصايا أخلاقية، وتتطلب التزاما مستديما، والبعض الآخر والمتعلق بالطقوس، والذي كان قاصرا على النظام اليهودي فحسب، كان له مغزى روحي ونافع لنا، إذ إنه يوفر لنا مفتاحا لسبر أغوار الأسرار التي تضمنها. وفيما يختص بالموضوع كله، فلعلنا نجد ما يدعونا إلى أن نبارك الله، أننا لم نأت «إلى جبل ملموس مضطرم بالنار» (عب ١٢: ١٨).

(١) ولسنا تحت ظلال الناموس القاتمة، بل

تتمتع بنور الإنجيل الذي يرينا المسيح الذي هو «غاية الناموس... للبر» (رو ١٠: ٤) والتعليم الخاص بمصالحتنا مع الله من خلال وسيط لم تظلله سحب الدخان الناتج عن الذبائح، جاء واضحا بمعرفة المسيح «وإياه مصلوبا».

(٢) إننا لسنا تحت نير الناموس الثقيل، والفرائض الجسدية المتعلقة به (كما يسميها كاتب العبرانيين في عب ٩: ١٠)، والتي فرضت حتى وقت الإصلاح نيرا «لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله» (أع ١٥: ١٠)، لكننا تحت تعاليم الإنجيل السهلة الرائعة، والتي تقول بأن الذين «يسجدون للآب بالروح والحق» هم «الساجدون الحقيقيون»، وذلك من خلال المسيح فقط، وباسمه الذي هو كاهننا وهيكلنا ومذبحنا وذبيحتنا وتطهيرنا وهو الكل في الكل. «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع... لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان»، ساجدين لله بكل الفرح والثقة والاتضاع، مرددين القول: «نشكر الله من أجل الرب يسوع المسيح».

العدد

أسماء أسفار موسى الخمسة التي نستخدمها في كتبنا المقدسة كلها مأخوذة من الترجمة اليونانية السبعينية، وهي أقدم نسخ العهد القديم المعروفة لنا. وقد سُمي هذا السفر هكذا بسبب أعداد بني إسرائيل التي كثيرا ما ترد في هذا السفر، وهذا العنوان جدير بهذا السفر، لأنه كان إنجازا رائعا لوعد الله لإبراهيم أن نسله سيكون كنجوم السماء في الكثرة. كذلك يتصل الأمر بإحصائين تم عملهما، الأول على جبل سيناء (الأصحاح الأول)، والثاني في عربات موآب، بعد ذلك بتسع وثلاثين سنة (الأصحاح ٢٦). والسفر يكاد يكون مناصفة بين التاريخ والناموس اللذين امتزجا ببعضهما. وقد جاء متضمنا:

أولا: تاريخ إحصاء الأسباط وترتيبهم (الأصحاحات ١– ٤)، تكريس المذبح واللاويين (الأصحاحين ٧ و٨)، ارتحالهم (الأصحاحين ٩ و١٠)، تذمرهم وعدم إيمانهم، الأمر الذي من أجله قد تاهوا أربعين سنة في البرية (الأصحاحات ١١– ١٤)، تمرد قورح (الأصحاحين ١٦ و١٧)، تاريخ السنة الأربعين (الأصحاحات ٢٠– ٢٦)، غزو مديان واستقرار السبطين (الأصحاحين ٣١ و٣٢) مع قصة ارتحالاتهم (الأصحاح ٣٣).

ثانيا: الشرائع المتعددة الخاصة بالنذيرين... إلخ (الأصحاحين ٥ و٦). وكذلك بخصوص واجبات الكهنة، وما إلى ذلك (الأصحاحين ١٨ و١٩)، الأعياد (الأصحاحين ٢٨ و٢٩)، النذور (الأصحاح ٣٠)، وفيما يختص بسكناهم أرض كنعان (الأصحاحات ٢٧، ٣٤– ٣٦). وثمة خلاصة لكثير مما ورد في هذا السفر نجدها في كلمات موجزة في مزمور ٩٥: ١٠ «أربعين سنة مقت ذلك الجيل» ، وتطبيق ذلك على أنفسنا في عبرانيين ٤: ١ «فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه». وكم كانت هناك من أمم عظيمة تسكن مدنا وحصونا، ولكنها لم تحظ بأي اهتمام من قبل التاريخ المقدس، غير أنه تم حفظ سجلات دقيقة لشئون حفنة من الناس، كانوا يسكنون في خيام، وهاموا على وجوههم في البرية، وذلك لأنهم أبناء الموعد. لأن «يعقوب شعبه وإسرائيل ميراثه».

الأصحاح الأول

كان شعب إسرائيل الآن على وشك أن يُشكَّل إلى جماعات أو بالأحرى يصبح مملكة، لأن «الرب إلهكم ملككم» (١صم ١٢: ١٢)، وكانت حكومتهم دينية، وكان موسى «في يشورون ملكا» (تث ٣٣: ٥) تحت حكم الله. ومن أجل أن تستقر هذه الدولة المقدسة على نحو سليم، إلى جانب إصدار تشريعات صالحة، كان من الضروري إقامة نظام جيد، ولذلك وجب عمل إحصاء لرعايا هذه المملكة الأمر الذي نجده في هذا الأصحاح، والذي تضمن أيضا:

أولا: صدرت الأوامر إلى موسى لإحصاء الشعب (ع ١– ٤).

ثانيا: تعيين الأشخاص الذين يساعدونه في عمل الإحصاء (ع ٥– ١٦).

ثالثا: العدد الخاص بكل سبط بحسب ما أُخطر به موسى (ع ١٧– ٤٣).

رابعا: العدد الإجمالي لهم جميعا (ع ٤٤– ٤٦).

خامسا: استثناء اللاويين (ع ٤٧– ٥٤).

عدد ١ – ١٦

أولا: نجد هنا تكليفا لعمل إحصاء لشعب إسرائيل، وقد دفع داود بعد ذلك ثمنا غاليا لقيامه بعمل ذلك دون تكليف من الله، ونجد هنا:

(١) تاريخ صدور هذا التكليف (ع ١).

أ. المكان: صدر في بلاط الله «في برية سيناء» ومن قصره الملكي، أي «خيمة الاجتماع».

ب. الزمان «في السنة الثانية» بعد صعودهم من مصر، وبمقدورنا تسميتها، السنة الثانية من ذلك الحكم. وقد أُعطيت شرائع اللاويين في الشهر الأول من تلك السنة، وقد صدرت هذه الأوامر في أول الشهر الثاني.

(٢) التوجيهات التي صدرت لتنفيذ هذه الأوامر (ع ٢ و٣).

أ. الإحصاء يختص بالذكور فقط، ويقتصر على القادرين على القتال فقط.

ب. لا يدخل في الإحصاء مَنْ أصبحوا غير قادرين على الاشتراك في الحرب بسبب كبر السن أو الإعاقة البدنية، أو العمى أو العرج، أو المصابين بأمراض مزمنة.

ج. يتم الإحصاء بحسب «بيوت آبائهم»، حتى لا يُعرف عددهم وأسماؤهم فقط، بل ومن أي سبط، وإلى أي عشيرة ينتسب كل شخص، أو –إذا استخدمنا التعبيرات العسكرية– إلى أي كتيبة ينتسب كل واحد، حتى يعرف موقعه بنفسه، كما تعرف الحكومة بدورها أين تجده. وكان قد تم إحصاؤهم قبل هذا بفترة وجيزة، حين جُمعت «ضريبة الرؤوس» لتوفير متطلبات خدمة خيمة الاجتماع (خر ٣٨: ٢٥ و٢٦). ويبدو أنه لم يتم تسجيلهم في ذلك الحين بحسب «عشائرهم وبيوت آبائهم» كما تم هنا.

(٣) تم تعيين الوكلاء الذين سيقومون بهذا العمل. وكان على كل من موسى وهارون الإشراف على هذه العملية (ع ٣)، وذلك بمساعدة رجل واحد من كل سبط، يكون ذائع الصيت في سبطه، ويُفترض أنه يعرف سبطه جيدا.

ثانيا: لماذا صدر الأمر بعمل هذا الإحصاء وتسجيله؟ كان ذلك لأسباب عدة:

(١) لإثبات إتمام الوعد الذي قطعه الرب لإبراهيم بأن يكثر نسله تكثيرا، والذي جدده ليعقوب: «ويكون نسلك كتراب الأرض» (تك ٢٨: ١٤).

(٢) كان ذلك إشارة إلى الاهتمام الخاص الذي يوليه الله لشعبه إسرائيل، وقد دُعي الله «راعي إسرائيل» (مز ٨٠: ١). والرعاة دائما ما يقومون بإحصاء قطعانهم، ويسلمونها لمساعديهم من الرعاة بالعدد حتى يعرفوا إذا نقص منهم ولو خروف واحد. وهكذا أيضا يفعل الله مع قطيعه.

(٣) وكان ذلك للتمييز بين الإسرائيليين الحقيقيين والجماهير المختلطة التي كانت تعيش بينهم، فلم يشمل الإحصاء إلا الإسرائيليين فقط.

(٤) وكان من بين الأهداف ترتيبهم في مناطق عديدة حتى تسهل عملية إدارة القضاء، وترحالهم عبر البرية في نظام.

عدد ١٧ – ٤٣

نقرأ هنا عن سرعة تنفيذ الأوامر الصادرة بإحصاء الشعب. فقد بدأ العمل في نفس يوم صدور هذه الأوامر «أول الشهر الثاني» (قارن آية ١٨ مع آية ١). وبالنسبة للتفاصيل التي سُجلت نلاحظ الآتي:

(١) سُجلت الأعداد بالكلمات وليس بالأرقام. ولكل سبط من الأسباط الاثني عشر –بغية إظهار الاحتفاء بالإحصاء ووقاره– كُررت عبارة أن الإحصاء تم «حسب عشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء...». وهكذا كان بمقدور كل رجل أن يعرف مَنْ هم أقرباؤه وأنسباؤه، الأمر الذي له علاقة ببعض التشريعات التي صادفتنا من قبل.

(٢) الجميع انتهى عددهم بالمئات باستثناء سبط جاد الذي انتهى بالعدد خمسين (ع ٢٥)، غير أنه ليس من الأعداد مَنْ هبط إلى آحاد أو عشرات.

(٣) كان سبط يهوذا أكثرهم عددا، بل هو أكثر

من ضعف بنيامين ومنسى، بل ويزيد على أي سبط آخر بما يقارب من ١٢,٠٠٠ نسمة (ع ٢٧). ويهوذا هو الذي قيل عنه «إياك يحمد إخوتك»، لأنه كان مزمعا أن يأتي الملك المسيح من نسله. وكان على يهوذا أن يقود القافلة عبر البرية، ولذلك زُود بقوة أكبر من أي سبط آخر.

عدد ٤٤ – ٤٦

نجد هنا المجموع الكلي في نهاية الإحصاء: كانوا ٦٠٠,٠٠٠ مقاتل يُضاف إليهم ٣,٥٥٠ آخرين. والبعض يعتقد بأنه حين كان هذا عددهم قبل ذلك بعدة شهور (خر ٣٨: ٢٦)، كان اللاويون قد أُحصوا معهم، أما وأن هذا السبط قد عُزل لتخصيصه لخدمة الله، فقد وصل كثيرون منهم إلى سن العشرين سنة حين عُمل الإحصاء، ولذلك ظل العدد كما هو، لكي يبين أن ما نتركه ونتخلى عنه من أجل مجد الله وخدمته من المؤكد أن يعوضه الله لنا بطريقة أو بأخرى.

عدد ٤٧ – ٥٤

أُوليت العناية هنا لإفراز سبط لاوي من بقية الأسباط، حيث إن هذا السبط سبق وأن أفرز نفسه في موضوع العجل الذهبي (خر ٣٢: ٢٦). ويُلاحظ أن الخدمات الخاصة سوف تُكافأ بأمجاد خاصة.

أولا: كان إكراما للاويين أن يُعيِّنوا حراسا على المقدسات فقد عُهد إليهم بخدمة خيمة الاجتماع وأمتعتها، سواء في محلاتهم أو في ارتحالهم.

(١) حين كانوا يرتحلون كان اللاويون يأخذون خيمة الاجتماع لكي يحملوها مع كل أمتعتها، على أن يقيموها في المكان المعين (ع ٥٠ و٥١). ولإكرام هذه المقدسات كان لا يُسمح لأحد برؤيتها أو لمسها سوى أولئك الذين دعاهم الله لخدمتها.

(٢) وحين كانوا يستريحون كان على اللاويين أن ينزلوا «حول مسكن الشهادة» (ع ٥٠، ٥٣)، حتى يكونوا على مقربة من عملهم، وليكونوا على استعداد للقيام بواجباتهم، فضلا عن قيامهم بحراسة الخيمة، حتى لا تتعرض للسرقة أو الدنس.

ثانيا: كان من كرامتهم أيضا أنه كما أن إسرائيل، كشعب مُقدس لم يُحسب بين الأمم، هكذا اللاويون أيضا إذ كانوا سبطا مقدسا، وعلى ذلك «فلم يُعدوا... بين بني إسرائيل» بل أُحصوا منفردين بعد ذلك (ع ٤٩).

الأصحاح الثاني

إذ أُحصي الآلاف من بني إسرائيل في الأصحاح السابق، نراهم يُنظمون في هذا الأصحاح، حيث وُضع تنظيم معين يُراعى في محلاتهم وذلك بترتيب إلهي.

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: نظام عام يتحتم اتباعه (ع ١ و٢).

ثانيا: توجيهات معينة لمكان كل من الأسباط، جاء في أربعة أقسام واضحة، في كل قسم ثلاثة أسباط.

(١) في المقدمة تكون محلة يهوذا ويساكر وزبولون (ع ٣– ٩).

(٢) في الجناح الأيمن جهة الجنوب: رأوبين وشمعون وجاد (ع ١٠– ١٦).

(٣) وفي المؤخرة غربا: أفرايم ومنسى وبنيامين (ع ١٨– ٢٤).

(٤) أما في الجناح الأيسر جهة الشمال: دان وأشير ونفتالي (ع ٢٥– ٣١).

(٥) خيمة الاجتماع تكون في الوسط (ع ١٧).

ثالثا: ختام هذه الترتيبات (ع ٣٢– ٣٤).

عدد ١ و٢

نجد هنا النظام العام الواجب اتباعه سواء عند إقامتهم في محلاتهم أو عند ترحالهم.

(١) الجميع كانوا يقيمون في خيام، وحين ترحالهم كانوا يحملون خيامهم معهم.

(٢) كل مَنْ ينتسبون إلى سبط معين كانوا يقيمون معا: «كل عند رايته». والذين كانت تربطهم صلة قرابة يجب –بقدر الإمكان– أن يتعرفوا بعضهم على بعض. والروابط الطبيعية يجب أن تُحسن من أجل تقوية روابط الشركة المسيحية.

(٣) كل واحد عليه أن يعرف مكانه ويلتزم به.

(٤) لكل سبط رايته وعلمه، ويبدو أنه كان لكل

عائلة راية تشير إلى بيت أبيهم. وليس من الواضح كيف كان يتم التمييز بين هذه الرايات، البعض يظن أن راية كل سبط كانت من نفس لون الحجر الكريم الذي كان مكتوبا عليه اسم السبط والذي كان يُحفظ في صدرة رئيس الكهنة. ويقول البعض إن الرايات الأربعة الرئيسية كانت: يهوذا رسم أسد، رأوبين رسم إنسان، يوسف رسم ثور، دان رسم نسر، وهكذا جعلوا الظهورات التي في رؤيا حزقيال تشير إليها.

(٥) كان عليهم أن يقيموا حول خيمة الاجتماع، التي كان يتحتم إقامتها في وسطهم، كما تقام خيمة القائد وسط جيشه. حتى يكونوا حراسا ومدافعين عن الخيمة التي يحيط بها اللاويون من كل جانب.

(٦) ومع ذلك كان عليهم أن يقيموا خيامهم بعيدا وذلك كتوقير للمقدس. ويفترض مما جاء في سفر يشوع ٣: ٤ أن تكون المسافة بين أقرب جزء من المحلة وخيمة الاجتماع ألفي ذراع، أي ألف ياردة، وهذا ما يزيد قليلا عن نصف ميل بحسب مقاييس اليوم.

عدد ٣- ٣٤

نجد هنا توزيع الاثني عشر سبطا على أربعة أقسام، في كل منها ثلاثة أسباط، كان أحدها يقود الاثنين الآخرين.

(١) الله نفسه هو الذي عين مكان كل منها حتى يحول دون قيام نزاع أو حسد بينهم. وإذا رأى الله في حكمته أن يُقدم آخرين علينا، ويجعلنا أقل منهم مرتبة، علينا أن نرضى تماما عما عمله وكأنه تم -كما هو الحال هنا- بصوت صادر من خيمة الاجتماع. وأيا كان الموضع الذي من نصيبنا، فقد أعطانا مخلصنا قاعدة نطبقها في مثل هذه الظروف، حيث قال في لوقا ١٤: ٨ «فلا تتكئ في المتكأ الأول»، كما قال في متى ٢٠: ٢٧ «ومَنْ أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبدا». والذين هم أكثر الناس تواضعا وأكثرهم استعدادا للخدمة هم في الواقع أكثرهم جدارة بالاحترام.

(٢) كل سبط له رئيس أو قائد، عيَّنه الله نفسه، وهم الذين سبق أن عُينوا لعدهم (عد ١: ٥)، ومعظمهم نجد اسم الله ملحقا بأسمائهم، سواء في أولها أو في آخرها مثل «نثنائيل» ومعناه (قد أعطى الله)، «أليآب» (الله أب)، «أليصور» (الله صخرة)، «شلومئيل» (الله سلام)، «أليساف» (مَنْ زاده الله)، «أليشمع» (قد سمع الله)، «جمليئيل» (الله كافأه)، «فجعيئيل» (مقابلة الله).

(٣) وهذه الأسباط التي وُضعت تحت نفس الراية كانوا الأقرب لبعضهم البعض. يهوذا ويساكر وزبولون، هؤلاء الثلاثة هم أصغر أبناء ليئة، وقد وُضعوا معا. ويساكر وزبولون لن يتذمروا لكونهم تحت رئاسة يهوذا، لأنهم إخوته الأصغر منه. أما رأوبين وشمعون فلن يقنعا بموقعهما، وعلى ذلك فإن رأوبين، وهو ابن يعقوب الأكبر، جُعل رئيسا للقسم الثاني. ولا ريب أن شمعون رحب بأن يكون تحت رئاسته. أما جاد وهو ابن زلفة، جارية ليئة، كان من المناسب أن يُضاف إليهم بدلاً من لاوي: كذلك أفرايم ومنسى وبنيامين، كلهم من ذرية راحيل. دان، وهو أكبر أبناء بلهة، قد جعل سبطا رئيسا على الرغم من أنه ابن سرية. فالشرف الجزيل يُمنح لمن ينقصه وقد قيل «دان يدين شعبه»، وأُضيف إليه ابني الجاريتين الأصغر، وهكذا كان ترتيبا لا غبار عليه ذلك الذي وُضعوا فيه.

(٤) وكان سبط يهوذا في المكان الأول من حيث الكرامة، حيث أقام محلته «إلى الشرق نحو الشروق»، وأثناء ترحالهم، كان هو السبط القائد، ولم يكن ذلك مرده أنه أكثر الأسباط عددا فقط، بل وفي المقام الأول لأن المسيح كان مزمعا أن يأتي من هذا السبط. وكان يهوذا أول مَنْ بُورك من أبناء يعقوب الاثني عشر. وإذا كان أول مَنْ نال بركة، ولو أن ذلك ليس بحق الميلاد، فقد وُضع أولاً، وذلك ليُعلِّم الأبناء كيف يُقدِّرون رضاء والديهم الطيبين وأن يخشوا غضبهم.

(٥) خيم سبط لاوي على مقربة من خيمة الاجتماع، في وسط بقية الأسباط (ع ١٧). كان عليهم أن يدافعوا عن المقدس، وكان على بقية الأسباط أن يدافعوا عنهم. والقوى المدنية يجب عليها حماية المصالح الدينية للشعب وأن تدافع عن ذلك المجد.

(٦) أما محلة دان، فعلى الرغم من أنها أُمرت

بأن تُعسكر في الجناح الأيسر إلا أنهم أُمروا عند الرحيل أن يكونوا في المؤخرة (ع ٣١). وكان هذا السبط هو الأكثر عددا بعد سبط يهوذا، ولذلك أُمروا أن يتخذوا موقعا يتطلب قوة شديدة، وذلك لأهميته بعد موقع المقدمة.

الأصحاح الثالث

هذا الأصحاح والذي يليه يتناول سبط لاوي، الذي كان عليه أن يجمع شتاته وينظم شئونه بنفسه. وأُعتبر اللاويون في هذا الأصحاح أنهم:

أولا: ملازمين ومساعدين للكهنة فيما يتعلق بخدمة المقدس. ولذلك نجد إشارة إلى:

(١) الكهنة أنفسهم (ع ١- ٤)، وعملهم (ع ١٠).

(٢) تقديم اللاويين هبة لهم (ع ٥- ٩)، ومن أجل ذلك حشدهم (ع ١٤- ١٦)، وتم عمل إحصاء لهم (ع ٣٩). ثم إحصاء كل عائلة منهم وخُصص لها مكانها وكُلفت بواجباتها «الجرشونيين» (ع ١٧- ٢٦)، «القهاتيين» (ع ٢٧- ٣٢)، و«مراري» (ع ٣٣- ٣٩).

ثانيا: وبدل الأبكار (ع ١١- ١٣):

(١) تم إحصاء الأبكار، وأُخذ اللاويون عوضا عنهم، وذلك بقدر عدد اللاويين (ع ٤٠- ٤٥).

(٢) والأبكار الذين كانوا يزيدون على عدد اللاويين كان يتم افتداؤهم (ع ٤٦- ٥١).

عدد ١ - ١٣

أولا: تم تثبيت عائلة هارون في سلك الكهنوت (ع ١٠). سبق أن دُعوا إلى ذلك وكُرسوا للخدمة، أما هنا فتم تعيينهم لكي يخدموا «خدمة المسكن»، وقد استعمل الرسول بولس كلمة «خدمة» في رومية ١٢: ٧. «والأجنبي الذي يقترب يُقتل». الأمر الذي يمنع قيام أي شخص بواجبات الكاهن مهما كان مركزه وغير مسموح لأحد بالقيام بوظائف الكهنة سوى هارون وبنيه فقط، وما عداهم يُعدون من الغرباء. ثم إن هذه الوظيفة تجعل من الكهنة أيضا حراسا على باب بيت الله، ليتأكدوا من عدم اقتراب أحد ممن تُحرِّم الشريعة اقترابهم.

ثانيا: لمحة خاصة عن عائلة هارون، وقد تكرر هنا ما سبق أن عرفناه عنهم. فالاثنان الأصغر سنا «ألعازر» و«إيثامار» «كهنا أمام هارون أبيهما». لقد وُضعا تحت رقابة أبيهما، وكانا يتلقيان منه التعليمات في كل ما يعملانه، لأنه ربما لم يكن ناداب وأبيهو تحت رقابة أبيهما حين قدما ذبيحة غير مُصرَّح لهما بها.

ثالثا: وُهب اللاويون للكهنة ليكونوا مساعدين لهم في عملهم: «فتعطي اللاويين لهارون» (ع ٩). وقد أعطي هارون سلطة من الناحية الإدارية والأدبية على سبط لاوي بأكثر مما أُتيح لأي من رؤساء الأسباط كل على سبطه. ونجد هنا:

(١) الخدمة التي أُنيط بها اللاويون: مساعدة الكهنة في خدمتهم للرب (ع ٦)، وخدمة هارون (ع ٧). كان اللاويون يقومون بذبح الذبائح، ولم يكن على الكهنة بعد ذلك سوى أن يرشوا الدم ويحرقوا الشحم، وكان اللاويون يجهزون البخور، والكهنة يوقدونه. ولم يكونوا يحفظون شعائر هارون فقط، بل «وشعائر كل الجماعة».

(٢) السبب في طلب اللاويين: لقد أُخذوا بدلاً من الأبكار.

عدد ١٤ - ٣٩

وُهب اللاويون لهارون ليخدموه، وقد سُلموا له بالعدد، حتى يعرف كم شخصا لديه ويستخدمهم على ضوء ذلك.

أولا: ما هي القواعد التي أُتبعت لعدهم: «كل ذكر من ابن شهر فصاعدا» (ع ١٥) أما بقية الأسباط فقد تم عدهم «من ابن عشرين سنة فصاعدا كل خارج للحرب» في إسرائيل، غير أن عدد اللاويين يجب أن يتضمن الصغار والكبار لأنهم معفيون من الاشتراك في الحرب، ولم يكن يُشترط فيهم أن يكونوا قد بلغوا السن والقوة اللازمين للقتال. ومع أنه قد ظهر بعد ذلك أن أكثر من ثلث عددهم كانوا لائقين لخدمة الخيمة (٨,٠٠٠ من بين ٢٢,٠٠٠، عد ٤: ٤٧ و٤٨) إلا أن الله جعل الإحصاء يشملهم جميعا باعتبارهم خداما لبيته.

ثانيا: كيف وُزعوا على ثلاث نوعيات طبقا لعدد

أبناء لاوي جرشون وقهات ومراري، وهؤلاء بدورهم قُسموا إلى عدة بيوت (ع ١٧– ٢٠).

(١) وقد ذُكرت البيانات الخاصة بكل من هذه النوعيات:

أ. عددهم.

ب. مكانهم حول الخيمة حيث يقومون بخدمتهم. وقد أقام الجرشونيون «وراء المسكن إلى الغرب» (ع ٢٣). أما القهاتيون فإلى جانب المسكن جهة اليمين (ع ٢٩)، وبنو مراري على جانب المسكن إلى الشمال (ع ٣٥). ولإكمال المربع يسكن موسى وهارون مع الكهنة قدام المسكن إلى الشرق (ع ٣٨).

ج. بالنسبة لرئيسهم أو قائدهم: بالنظر إلى أن كل نوعية لها مكانها، هكذا أيضا كان لها رئيسها.

د. بالنسبة لواجباتهم حين الارتحال. عُهد إلى الجرشونيين بحراسة وحمل كل الستائر والأغطية وسجف الخيمة والدار (ع ٢٥ و٢٦)، أما القهاتيون فعُهد إليهم مسئولية كل أثاثات الخيمة: التابوت، والمذبح والمائدة... إلخ. (ع ٣١ و٣٢)، وعُهد إلى بني مراري بالأشياء الثقيلة مثل ألواح المسكن وعوارضه وأعمدته وما إلى ذلك (ع ٣٦ و٣٧).

(٢) وهنا نلاحظ الآتي:

أ. على الرغم من أن القهاتيين هم البيت الثاني، إلا أنهم مع ذلك مُيزوا على عائلة الجرشونيين الأكبر منهم إذ فضلا عن أن هارون والكهنة كانوا من هذه العائلة، فإنهم كانوا أكثر عددا، وموقعهم وواجباتهم أكثر كرامة، ولعل ذلك مرجعه تكريم موسى الذي كان من هذه العائلة، ومع ذلك.

ب. لم تُكرم سلالة موسى أو تُعطَ لها أية امتيازات على الإطلاق، بل كانوا على نفس المستوى مع غيرهم من اللاويين.

ثالثا: المجموع الإجمالي لأعداد هذا السبط: الجميع كانوا ٢٢,٠٠٠ (ع ٣٩). وأهم ما تجدر ملاحظته هنا هو أن سبط لاوي كان أقل كثيرا من بقية الأسباط كلها.

عدد ٤٠– ٥١

استبدل الأبكار باللاويين:

(١) تم عد الأبكار من ابن شهر فصاعدا (ع ٤٢ و٤٣). ويقول بعض الدارسين إنه لم يتم عد أحد سوى أولئك الذين وُلدوا بعد خروجهم من مصر، حيث قُدس الأبكار (خر ١٣: ٢). وإذا كان هناك ٢٢,٠٠٠ من الأبكار الذكور، فمعنى هذا أنه يوجد كذلك عدد آخر من الإناث، وكل هؤلاء وُلدوا بعد خروجهم من مصر، وعلى هذا يتعين علينا أن نستدل على أنه في السنة الأخيرة من عبوديتهم، حتى وهم يعانون أقسى المصاعب، كانت هناك حالات زواج كثيرة جدا بين الإسرائيليين، فلم تفت المحنة الراهنة من عضدهم، بل تزوجوا في إيمان، متوقعين أن الله سيفتقدهم قريبا برحمته، وأن أبناءهم، على الرغم من أنهم وُلدوا في العبودية، إلا أنهم سيعيشون في حرية وكرامة. وهم لم يُحفظوا سالمين فحسب بل ازداد عددهم إلى درجة كبيرة، رغم وجودهم في برية قاحلة.

(٢) تقارب عدد الأبكار، وعدد اللاويين، بعناية إلهية خاصة.

(٣) الزيادة القليلة في عدد الأبكار عن عدد اللاويين (التي بلغت ٢٧٣) كان يتوجب فداؤها، بخمسة شواقل لكل رأس والمبالغ التي جُمعت نتيجة ذلك أُعطيت لهارون.

الأصحاح الرابع

في الأصحاح السابق تم إحصاء جميع أفراد سبط لاوي، أما في هذا الأصحاح فنجد إحصائية بكل مَنْ هم في سن الخدمة ممنْ ينتمون إلى هذا السبط وذلك من ابن ثلاثين سنة إلى ابن خمسين سنة.

أولا: جاء الأمر بعد القادرين من القهاتيين، وحُددت لهم واجباتهم (ع ٢– ٢٠).

ثانيا: الجرشونيين (ع ٢٤– ٢٨).

ثالثا: بنو مراري (ع ٢٩– ٣٣).

رابعا: عدد كل منهم، وأخيرا العدد الإجمالي الذي تم تسجيله (ع ٣٤– ٤٩).

عدد ١ - ٢٠

نجد هنا إحصاءً ثانيا لسبط لاوي. وبالنظر إلى أن هذا السبط قد أُخذ من بين كل إسرائيل ليكون السبط الخاص بالله، فهكذا أُخذ الرجال ممن هم في منتصف العمر من هذا السبط ليكونوا بالفعل في خدمة خيمة الاجتماع.

أولا: مِنْ الذين يشملهم هذا الإحصاء: كل الذكور من ابن ثلاثين سنة إلى ابن خمسين. وخدمة الله تتطلب أفضل قوتنا، وباكورة أوقاتنا التي لا يمكن قضاؤها في أمر أفضل من خدمة ذاك الذي هو الأول والأفضل. فالإعداد للخدمة يستغرق وقتا أطول من الإعداد للجندية.

(١) لم يُكلفوا بالخدمة إلا بعد أن وصلوا إلى سن الثلاثين وكانوا يدخلون في فترة اختبارية في سن «خمس وعشرين سنة» (عد ٨: ٢٤)، أما في أيام داود وحين كان حجم العمل كبيرا، فكان يُؤخذ ابن عشرين سنة (١أخ ٢٣: ٢٤؛ عز ٣: ٨)، وكان عليه أن يمضي خمس سنوات في التعليم، وبهذا يهيئون أنفسهم للخدمة، أما في عهد داود فكانت فترة الإعداد عشر سنوات، من سن العشرين إلى سن الثلاثين. وقد بدأ يوحنا المعمدان خدمته الجمهورية، وكذلك المسيح في سن الثلاثين. وهذا ما يعطينا قاعدتين هامتين:

أ. الخدام لا يجب أن يكونوا حديثي الإيمان (١تي ٣: ٦). فهذا عمل يتطلب الحكم الصائب، كما يتطلب قدرا كبيرا من الثبات.

ب. يتحتم أن يتعلموا قبل أن يُعلِّموا غيرهم، وأن يخدموا قبل أن يحكموا، «وليُختبروا أولا» (١تي ٣: ١٠).

(٢) كانوا يُعفون من الخدمة الشاقة حين يبلغون الخمسين، ولا سيما من حمل الخيمة.

ثانيا: كيف وُصف عملهم: قيل إن كلا منهم يدخل «في الجند ليعمل عملا في خيمة الاجتماع». والذين يدخلون إلى الخدمة يجب أن يعتبروا أنفسهم كما لو أنهم جُندوا في الجيش، ويثبت كل منهم أنه «جندي صالح» (٢تي ٢: ٣). أما بالنسبة لبني قهات تحديدا، فنقرأ عنهم:

(١) عُينت لهم الخدمة المنوطة بهم، وهي نقل الخيمة. وبعد أن تُبتت الخيمة، كان لديهم عمل آخر يقومون به، ولكنه كان عملا يوميا ويجب أن يُجرى في يومه. وكان على القهاتيين أن يحملوا كل المقدسات الخاصة بالخيمة.

أ. كان على هارون وأبنائه الكهنة أن يحزموا الأشياء التي على القهاتيين أن يحملوها، على نحو ما جاء في آية ٥، وما بعده.

ب. يجب أن تُغطى كل الأشياء المقدسة: التابوت والمائدة بثلاثة أغطية، أما كل الأشياء الأخرى فبغطائين، حتى رماد المذبح، والذي كانت النار المقدسة تبقى فيه وتضطرم، كان يجب تغطيته بأن يُبسط عليه ثوب أرجوان (ع ١٣). وحتى مذبح النحاس الذي كان تحت نظر الجميع في «دار» المقدس إلا أنه يجب تغطيته عند حمله. وهذا ما يشير إلى غموض هذا الناموس. فهذا الذي أُحضر الآن إلى النور بواسطة الإنجيل وأُعلن للأطفال، كان حينذاك مخفيا عن الحكماء والفهماء. كانوا لا يرون سوى الأغطية فقط وليس المقدسات (عب ١٠: ١)، أما الآن فقد أفنى المسيح «الغطاء المُغطى به على كل الأمم» (إش ٢٥: ٧).

ج. بعد أن تُغطى كل المقدسات، يصبح على القهاتيين أن يحملوها على أكتافهم.

(٢) عُين ألعازرا أكبر أبناء هارون مشرفا على القهاتيين في هذه الخدمة (ع ١٦).

(٣) أُولي اهتمام كبير بالمحافظة على حياة هؤلاء اللاويين، بمنع اقترابهم إلى قدس الأقداس: «لا تقرضا سبط عشائر القهاتيين من بين اللاويين» (ع ١٨).

أ. على القهاتيين ألا يروا المقدسات إلا بعد أن يقوم الكاهن بتغطيتها (ع ٢٠).

ب. وبعد أن يتم تغطية المقدسات عليهم ألا يلمسوها ولا سيما تابوت العهد الذي سُمي هنا «القدس» لئلا يموتوا (ع ١٥)، وهكذا كان خدام الرب أنفسهم في خوف، وكان ذلك هو ناموس الخوف، أما الآن، فقد تغير الوضع وبفضل المسيح نستطيع القول: «الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه

ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة» (١يو ١: ١)، بل وتم تحفيزنا على أن نتقدم «بثقة إلى عرش النعمة».

عدد ٢١ – ٣٣

نقرأ هنا عن واجبات بيت اللاويين الآخرين، وعلى الرغم من أنها ليست واجبات مكرمة إلا أنها تتضمن أعمالا ضرورية لابد من عملها بصفة منتظمة.

(١) عُهد إلى الجرشونيين بمهمة أغطية الخيمة وستائرها والشقق وغطاء التخس والسجف والأستار (ع ٢٢– ٢٦).

(٢) عُهد إلى بني مراري بالأشياء ثقيلة الحمل: الألواح والعوارض والأعمدة والأوتاد وما إلى ذلك، وكانت هذه تُسلم لهم بالأسماء (ع ٣١ و٣٢).

عدد ٣٤– ٤٩

نجد هنا بيانات خاصة بأعداد عائلات اللاويين الثلاث على التوالي، أي بالنسبة للقادرين ممن تتراوح أعمارهم بين الثلاثين والخمسين سنة. والعدد الكُلي للرجال القادرين من سبط لاوي الذين دخلوا جيش الله لمحاربة حربه كان ٨,٥٨٠ رجلا، في حين أن القادرين من الأسباط الأخرى ممن دخلوا جيش إسرائيل ليشنوا حربهم كانوا أكثر من ذلك بكثير. وأقل الأسباط كان لديها من الرجال القادرين ما قد يصل إلى أربعة أضعاف ما كان لدى اللاويين، بل وكان لدى البعض أكثر من ثمانية أضعاف، لأن الذين ينخرطون في خدمة هذا العالم ويشنون حربا اعتمادا على قوتهم البشرية هم أكثر بكثير من أولئك الذين يُكرسون لخدمة الله لكي يحاربوا «المحاربة الحسنة»، حروب الإيمان.

الأصحاح الخامس

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: متابعة للتشريعات السابق إصدارها ونجد هنا أمرا بإبعاد النجس من المحلة (ع ١– ٤).

ثانيا: تكرارا للتشريعات الخاصة بالتعويض، في حالة إلحاق الأذى بأحد من الأقارب أو الجيران (ع ٥– ٨)، وفيما يختص بالأقداس التي تُقدم للكهنة (ع ٩ و١٠).

ثالثا: قانون جديد خاص بالزوجة المتهمة بالزنا، وذلك بماء الغيرة (ع ١١– ٣١).

عدد ١– ١٠

أولا: أمر خاص بتطهير المحلة بأن يُطرد منها كل الذين هم نجسون من الناحية الطقسية، كل مَنْ هو ذو سيل، أو أبرص أو كل متنجس لميت، إلى أن يطهروا طبقا للناموس (ع ٢ و٣).

(١) تقدمت هذه الأوامر في الحال (ع ٤). وأخذت المحلة الآن نمطا جديدا وتم تنظيمها، وبغية إتمام إصلاحها كان لابد من تطهيرها. لقد أُقيمت خيمة الله الآن في وسط محلتهم، وعلى ذلك عليهم الحرص على بقائها طاهرة. فالشخص أو المكان الذي يسكنه الله يجب ألا يُنجس، لأنه لو حدث ذلك لكان فيه إهانة لله، وإساءة إليه، الأمر الذي يغيظه ويحمله على الانسحاب (١كو ٣: ١٦ و١٧).

(٢) يشير طرد النجس من المحلة إلى:

أ. ما يتحتم عمله من قِبل قادة الكنيسة: عليهم أن يعزلوا بين «الطاهر والنجس»، وإبعاد الأشخاص ذوي التأثير السيئ. إنه من أجل مجد المسيح وبنيان كنيسته أن يُبعد الفاسدين والأشرار غير القابلين للإصلاح، وأن يُمنعوا من الشركة المسيحية إلى أن يتوبوا.

ب. ما الذي سيفعله الله في اليوم العظيم: سوف «ينقي بيدره» ويبعد من ملكوته كل ما يسبب الخطية. وكما نُفي النجسون هنا من المحلة، هكذا سيكون الحال بالنسبة لأورشليم الجديدة إذ «لن يدخلها شيء دنس» (رؤ ٢١: ٢٧).

ثانيا: قانون خاص بالتعويض إذا ما لحق أذى بأي شخص.

(١) عليه أن يقر بخطيته إلى الله، ويعترف بها لمن ألحق به الأذى وهكذا يخجل من نفسه.

(٢) عليه أن يأتي بذبيحة «كبش الكفارة» (ع ٨)، يجب عمل ترضية للإساءة التي وُجهت إلى الله الذي انتُهك ناموسه، وكذلك بالنسبة للخسارة التي

تسبب في إلحاقها بجاره. والتعويض في هذه الحالة لن يكون كافيا بدون الإيمان والتوبة.

(٣) ومع ذلك لن تُقبل أية ذبائح إلا بعد أن يُعوض بشكل كاف الطرف الذي لحقه الظلم، ولا يكفي التعويض بقيمة الأصل بل يضيف إليه خمسه (ع ٧). وإذا مات الشخص الذي لحق به الأذى، وليس له قريب له الحق في الدين، يجب أن يُقدم الدين في هذه الحالة للكاهن (ع ٨). وبعض أعمال الرحمة والخير تُعد جزءا من العدالة اللازمة التي يجب أن يؤديها أولئك الذين يشعرون أنهم ارتكبوا ذنبا، ولكنهم لا يعرفون كيف يعوضون عنه.

ثالثا: قاعدة عامة بخصوص الأقداس، وُضعت في هذه المناسبة، وهي تفيد بأن كل ما يُعطى للكاهن «فله يكون» (ع ٩ و١٠).

عدد ١١ – ٣١

نجد هنا القانون الخاص بمحاكمة الزوجة التي يغار عليها زوجها.

أولا: ما هي الحالة التي افتُرضت: افتُرض أن رجلا كان لديه من الأسباب ما يحمله على الشك في أن زوجته قد ارتكبت الزنا (ع ١٢– ١٤). وقد أُوضح أن خطية الزنا –وبحق– خطية بشعة جدا. إنها ارتكاب إثم في حق الزوج، تتمثل في سرقة شرفه، وسلبه حقه، وإيجاد نسل غير شرعي في عائلته يشارك أولاده في ممتلكاته، فضلا عن انتهاكها عهدها معه. ولذلك:

(١) يجب أن تتحذر كل الزوجات من السماح لأحد ما في أن يجد فرصة مهما كانت ضئيلة للشك في طهارتهن.

(٢) وعلى الأزواج أن يتحذروا من أن تساورهم شكوك لا أساس لها من الصحة، يظلمون بها زوجاتهم. لأن المحبة بصفة عامة –ناهيك عن المحبة الزوجية– تُعلمنا ألا نظن السوء (١كو ١٣: ٥).

ثانيا: ما هو الإجراء الذي أُوصى باتباعه في مثل هذه الحالة. إذا ثبتت براءة الزوجة التي تعرضت للشك، لا يجب أن تظل عرضة للتوبيخ والقلق الناجم عن غيرة زوجها. وإذا وُجدت مذنبة واكتُشفت خطيتها، يجب إعلانها حتى يسمع بها الآخرون، فيخافون ويأخذون من هذه الواقعة تحذيرا لهم. وعلى زوجها أن يأتي بها «إلى الكاهن» مع الشهود الذين بمقدورهم إثبات صحة هذه الشكوك، ويطلب محاكمتها. وإذا اعترفت قائلة: لقد تنجست، هنا لا يُحكم عليها بالموت، بل تُطلق من زوجها وتفقد نفقتها. غير أنه إذا قالت: «أنا طاهرة»، هنا تجرى المحاكمة. والله سيعمل على إظهار براءة البريء، ويُخرج «مثل النور» بره. «كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهرا» (تي ١: ١٥).

الأصحاح السادس

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: شريعة النذير

(١) الأمور التي يتوجب عليه الالتزام بها (ع ١– ٨).

(٢) ما يجب على النذير أن يعمله إذا تنجس نتيجة لمس ميت لكي يتطهر (ع ٩– ١٢).

(٣) جدية ومهابة إبراء ذمة النذير عند اكتمال أيام نذره (ع ١٣– ٢١).

ثانيا: تعليمات للكهنة عن كيفية مباركة الشعب (ع ٢٢– ٢٧).

عدد ١ – ٢١

بعد الشريعة الخاصة بكشف وخزي أولئك الذين نجسوا أنفسهم بالخطية، يأتي هذا القانون بغية توجيه وتشجيع أولئك الذين بسبب تقواهم الملحوظة وتعبدهم أحسنوا إلى نفوسهم. كان هناك مَنْ يُعرفون «بالنذيرين»، وكانوا يُعرفون بهذا اللقب كأشخاص يتسمون بتدقيقهم وغيرتهم في الالتزام بواجباتهم الدينية بأكثر مما يفعله الآخرون. وقد دُعي يوسف نذير إخوته (تك ٤٩: ٢٩).

أولا: السمة العامة للنذير: هو شخص انفرز «لينتذر للرب» (ع ٢). هناك مَنْ كانوا نذيرين طوال حياتهم، سواء بتعيين إلهي مثل شمشون (قض ١٣: ٥)، ويوحنا المعمدان (لو ١: ١٥)، أو لنذر والديهم مثل صموئيل (١صم ١: ١١). وشريعة النذير التي نحن بصددها لا تتناول أمثال هؤلاء. آخرون كانوا نذيرين

لفترة معينة، بالتزام ناتج عن كامل حريتهم، وهؤلاء هم الذين تتناولهم أحكام شريعة النذير هذه. وكان يمكن أن تلزم امرأة نفسها بنذر النذير، وذلك في إطار الحدود الواردة في أصحاح ٣٠: ٣. وكان النذيرون:

(١) يُكرسون للرب خلال فترة نذرهم، وربما كانوا يقضون معظم وقتهم في دراسة الناموس، وفي أعمال العبادة، فضلا عن قيامهم بتعليم الآخرين.

(٢) ينفصلون عن الأشخاص العاديين والأمور العادية.

(٣) يفرزون أنفسهم بنذر. وكل إسرائيلي كان مُلزما طبقا للناموس الإلهي بأن يحب الله من كل قلبه، لكن النذيرين، وبكامل رغبتهم واختيارهم يلزمون أنفسهم ببعض الممارسات الدينية الخاصة -كنتيجة وتعبير عن تلك المحبة- ومن ثَمَّ يلزمون أنفسهم بأمور لا يلتزم بها الآخرون. وُصف المسيح -توبيخا له- بأنه ناصري، وهكذا دُعي أيضا أتباعه، ومع أن المسيح لم يكن نذيرا بهذا المعنى المذكور في الشريعة (فقد لمس الموتى مثلا) إلا أنه في شخصه وفى كل المطلوب من النذير في طهارته وكماله. وكل مسيحي هو نذير روحي معتزل عن العالم للرب.

ثانيا: الالتزامات المعنية التي يلتزم بها النذيرون:

(١) يجب أن يبتعدوا عن ثمار العنب (ع ٣ و٤). لابد أن يتجنبوا تناول الخمر أو أية كحوليات، ويبتعدوا عن أكل العنب بما في ذلك بذوره وقشرته، كما يجب ألا يأكلوا زبيبًا. كان أولئك الذين يعطون النذيرين خمرا حتى يشربوه يقومون بعمل الشيطان (عا ٢: ١٢)، حيث يغرونهم على الأكل من الثمرة المحرمة. أما أن يُعد عدم شرب الخمر كمالا ويستحق الثناء، فيتضح من مَثَل الركابيين في إرميا ٣٥: ٦. حيث كانت الوصية «لا تشربوا خمرا»:

أ . حتى يصبحوا نموذجا لضبط النفس: بوسعك أن تستعمل «خمرا قليلاً من أجل معدتك» (١تي ٥: ٢٣) فهذا أمر مسموح به. أما شرب الكثير من الخمر من أجل تغيير المزاج، فهذا لا يتفق إطلاقا مع مَنْ يلتزمون بأن يسلكوا «ليس حسب الجسد، بل حسب الروح».

ب. حتى يكونوا مؤهلين لخدمة الله: عليهم ألا يشربوا خمرا، لئلا «ينسوا المفروض» (أم ٣١: ٥)، أو يضلوا «بالخمر» (إش ٢٨: ٧). ليت كل المؤمنين يلزمون أنفسهم بعدم استخدام الخمر أو المسكر، لأنه إذا ما تحكمت محبة هذه الأشياء في الإنسان، فسوف يكون فريسة سهلة للشيطان.

(٢) على كل نذير ألا «يمر موسى على رأسه» (ع ٥). يجب ألا يحلقوا رؤوسهم أو لحاهم. وكانت هذه علامة نذر شمشون، الأمر الذي نقرأ عنه كثيرا في قصته. ويُلاحظ في هذا الصدد:

أ. هذا يشير إلى فضيلة تجاهل الجسد ووسائل راحته وزينته، لأنه حسنا للذين أُفرزوا لله أن يستغرقوا تماما في احتياجات الروح، ليحفظوا سلامها وجمالها.

ب. لاحظ البعض أنه أُشير إلى الشعر الطويل على أنه علامة الخضوع (١كو ١١: ٥- ١٢)، وهكذا فإن شعر النذيرين الطويل يشير إلى خضوعهم لله، وأنهم وضعوا أنفسهم تحت سيادته.

(٣) لا يقتربون إلى جسد ميت (ع ٦ و٧).

(٤) عليهم أن يكونوا مقدسين للرب كل أيام نذرهم (ع ٨).

ثالثا: التدبير الذي يُعمل لتطهير النذير، إذ حدث وأن تنجس بلمس ميت دون أن يتمكن من تجنب ذلك، لابد وأن يُطهر من النجاسة الطقسية التي لحقت به، كما يفعل الآخرون، وذلك «في اليوم السابع» (ع ٩). ولتطهير النذير في حالة لمسه ميت، تُطلب منه أمور أكثر مما تُطلب من الأشخاص العاديين، ذلك أن على النذير أن يأتي بذبيحة خطية ومحرقة، ويجب أن «يُكفر عنه» (ع ١٠ و١١)، وهذا ما يعلمنا أن خطايا الضعف والأخطاء التي نقع فيها على حين غرة، يجب أن نتوب عنها بكل جدية، وأن ننتفع بذبيحة المسيح من أجل نفوسنا يوميا من أجل مغفرة هذه الخطايا (١يو ٢: ١ و٢).

رابعا: شريعة إعفاء النذير من نذره بعد أن يكتمل الوقت الذي حدده لنفسه: يقول اليهود إن زمن نذر النذير لا يمكن أن يقل عن ثلاثين يوما، وإذا قال شخص: «سأكون نذيرا ليومين فقط» فإنه على الرغم من ذلك يصبح ملزما بثلاثين يوما، غير أنه يبدو أن

نذر بولس كان لمدة سبعة أيام فقط (أع ٢١: ٢٧). بعد أن تنتهي أيام النذر، حينئذ يصبح النذير حرا:

(١) علانية: عند «باب خيمة الاجتماع» (ع ١٣).

(٢) يتم ذلك مع تقديم الذبائح (ع ١٤). عليه أن يأتي بواحدة من كل نوع من الذبائح المطلوبة:

أ. محرقة.

ب. ذبيحة خطية.

ج. ذبيحة سلامة، شكرا لله الذي أعطاه القدرة على أن يتم نذره.

د. يُضاف إلى ما سبق «تقدمة وسكائب».

هـ. يُؤخذ جزء من ذبيحة السلامة مع قرص فطير ورقاقة فطير «ويرددها الكاهن ترديدا أمام الرب» (ع ١٩ و٢٠)، وهذه هبة للكاهن، حيث يأخذها نظير أتعابه بعد أن قُدمت أولا إلى الله.

و. علاوة على كل هذا، يجب أن يقدم قربانا بمحض اختياره «فضلا عما تنال يده» (ع ٢١). ولإضافة الجدية على هذا الأمر، كان من المعتاد في مثل هذه المناسبة أن يُدعى الأصدقاء «خذ هؤلاء وتطهر معهم» (أع ٢١: ٢٤). وأخيرا، وقد حُدد إجراء آخر، يمثل إلغاء الالتزام بعد استيفاء الشرط، هذا الإجراء هو أن «يحلق» النذير شعره الذي تركه يطول أثناء فترة نذره، ثم يحرقه في النار التي «تحت ذبيحة السلامة» (ع ١٨). وهذا ما يشير إلى أن تنفيذه الكامل لنذره كان مقبولاً من الله في المسيح، الذبيح العظيم، وليس بواسطة أي شيء خلاف ذلك.

عدد ٢٢ – ٢٧

أولا: إلى جانب الواجبات العظيمة التي كان على الكهنة القيام بها، كُلفوا أيضا بمباركة الشعب باسم الرب (ع ٢٣). وعلى الرغم من أن الكاهن نفسه لم يكن في وسعه سوى أن يطلب البركة، إلا أنه لكونه وسيطا بحسب وظيفته، ومباركته الشعب تكون باسم ذاك الذي أمر بالبركة، فإن الصلاة تحمل بين ثناياها وعدا، وكان يعلنها كمَنْ له سلطان حيث تكون يداه مرفوعتين إلى أعلى ووجهه متجها ناحية الشعب، ومما يجدر ذكره:

(١) كان في هذا رمز للغرض من مجيء المسيح إلى العالم لكي «يباركم» (أع ٣: ٢٦)، باعتباره رئيس كهنة إيماننا.

(٢) كانت نموذجا لخدام الإنجيل وقادة الاجتماعات أن يقوموا هم أيضا بصرف اجتماعاتهم الدينية ببركة. وكما أنهم فم الله بالنسبة لشعبه لتعليمهم وقيادتهم، فهم أيضا فمه بالنسبة لمباركتهم.

ثانيا: ذُكرت لهم هنا صيغة البركة، ونلاحظ الآتي:

(١) أن البركة وُجهت لكل شخص بذاته: «يباركك الرب». وإذا ما أخذنا الشريعة وكأنها لنا، بمقدورنا أن نأخذ البركة لأنفسنا، كما لو أن أسماءنا كانت مذكورة.

(٢) تكرر اسم الرب (يهوه) هنا ثلاث مرات.

(٣) إحسان الله هو كل شيء في هذه البركة، لأنه مصدر كل صلاح:

أ. «يباركك الرب».

ب. «يضيء الرب بوجهه عليك»، إشارة إلى إشراق الشمس على الأرض، لكي تنيرها وتريحها وتجدد وجهها.

ج. «يرفع الرب وجهه عليك». وهذا لنفس الغرض الذي ذُكر سابقا، ويبدو أنها تشير إلى ابتسامة الأب لابنه الصغير، أو ابتسامة رجل لصاحبه الذي يُسر به.

(٤) ثمار هذا الإحسان الناتج عن هذه البركة هو الحماية والمغفرة والسلام.

أ. حماية من الشر: «يحرسك» (ع ٢٤).

ب. مغفرة الخطايا: «ويرحمك» (ع ٢٥).

ج. ويمنحك سلام (ع ٢٦) بما في ذلك كل ما هو خير لكي تكمل سعادتك.

ثالثا: يعد الله هنا بالمصادقة على البركة وتأكيدها: «فيجعلون اسمي على بني إسرائيل» (ع ٢٧).

الأصحاح السابع

بعد أن أقام الله البيت (إذا جاز القول) في وسط محلة إسرائيل، أُحضر رؤساء إسرائيل هنا معا.

أولا: أحضروا هدايا.

(١) عند تقديس الخيمة (ع ١– ٩).

(٢) عند تدشين المذبح (١٠– ٨٨).

ثانيا: أشار الله إلى قبولها (ع ٨٩).

والأصحاحان السابقان كانا سجلين لتشريعات إضافية أعطاها الله لإسرائيل، أما هذا الأصحاح فيسجل قصة الخدمة الإضافية التي أداها شعب إسرائيل لله.

عدد ١ – ٩

تقدمة الرؤساء لخدمة الخيمة:

أولا: متى قُدمت: «يوم فرغ موسى من إقامة المسكن» (ع ١). بعد أن تم عمل كل الأشياء اللازمة للخيمة نفسها ولمحلة إسرائيل المحيطة بها.

ثانيا: مَنْ الذين قربوا: «قرب رؤساء إسرائيل رؤوس بيوت آبائهم هم رؤساء الأسباط» (ع ٢).

ثالثا: ما الذي قُدم: «ست عجلات مغطاة واثني عشر ثورا» لجرها (ع ٣).

رابعا: كيف أُعطيت التقدمات، وفيما استُخدمت: العربات والثيران أُعطيت للاويين، لاستخدامها في حمل الخيمة.

(١) أُعطي الجرشونيون عربتين وأربعة من الثيران فقط لأنهم كانوا مخصصين لحمل الأشياء الخفيفة مثل الأغطية والمعلقات (ع ٧).

(٢) أما بنو مراري الذين كانت لديهم الأشياء الثقيلة والمرهقة، الألواح والعوارض والأعمدة... الخ، فقد أُعطوا أربع عجلات وثمانية من الثيران المخصصة لها (ع ٨). ونلاحظ هنا كيف أن الله بحكمة وكرم رتب القوة الأكثر للذين لديهم الأعمال الأكثر. وكل فئة أُعطيت العربات «حسب خدمتهم».

(٣) أما القهاتيون الذين كانت لديهم المقدسات فلم يُعطوا عربات على الإطلاق، لأنه كان عليهم أن يحملوا ما كُلفوا بحمله على الأكتاف (ع ٩)، بكل عناية ووقار.

عدد ١٠– ٨٩

نجد هنا إشارة إلى الحفل الخاص بتقديس المذبحين، مذبح المحرقة ومذبح البخور، وقد سبق تقديسهما من قبل حين مُسحا بدهن المسحة (لا ٨: ١٠ و١١)، أما الآن فقد دُشنا بواسطة الرؤساء بتقدماتهم الاختيارية، وقد أُستهل استعمالهما بتقديمات سخية، وبتعبيرات عظيمة من الفرح والسعادة وإجلال غير عادي لعلامات وجود الله معهم، ونلاحظ هنا:

أولا: أن الرؤساء والعظماء كانوا أول المتلهفين إلى خدمة الله. ومن الطبيعي أن نتوقع أن الذين لديهم الكثير يجب عليهم أن يعملوا أكثر من غيرهم بما لديهم، وإلا كانوا وكلاء غير أمناء، ولن يقدموا حساب وكالتهم بفرح.

ثانيا: التقدمات التي أحضروها كانت سخية وقيمة:

(١) أحضروا بعض التقدمات لتبقى من أجل الخدمة الدائمة، اثني عشر طبقا كبيرا من الفضة، وزن كل منها ما يقرب من ستين أوقية، ونفس العدد من المناضح الفضية الكبيرة، تزن ما يقرب من خمس وثلاثين أوقية –الأولى تُستخدم لتقدمات القربان، والأخيرة للسكيب– الأولى للحم الذبائح والأخيرة للدم. والملاعق الذهبية إذ تُملأ بالبخور، فلعل المقصود بها خدمة المذبح الذهبي، لأن المذبحين كليهما مُسحا بالدهن في ذات الوقت.

(٢) أحضروا بعض التقدمات للاستعمال المباشر، تقدمات من كل نوع وهم بهذا أظهروا قبولهم بشكر، وخضوعهم بفرح لكل الشرائع الخاصة بالذبائح والتي سلمها لهم الله مؤخرا على يد موسى. وعلى الرغم من أنه كان وقت فرح وابتهاج، إلا أنه يُلاحظ أنه لا تزال بين ذبائحهم ذبيحة خطية.

(٣) كل منهم أحضر تقدماته في يوم منفصل، على نفس النسق الذي نُظموا عليه مؤخرا، ومن ثَمَّ استمرت الاحتفالات المهيبة اثني عشر يوما.

(٤) جميع تقدماتهم كانت متماثلة تماما، ولو أنه غالبا لم يكن كل من الرؤساء والأسباط على نفس القدر من الثراء، ولكنهم أشاروا بذلك إلى أن

كل أسباط إسرائيل كان لها نصيب متساو في المذبح، واهتمام مماثل بالذبائح التي قُدمت عليه.

(٥) كان نحشون، رئيس سبط يهوذا هو أول مَنْ قدم تقدمته، لأن الله أعطى هذا السبط أول مركز للكرامة في المحلة، ووافقت بقية الأسباط على ذلك.

(٦) على الرغم من أن التقدمات كلها كانت متماثلة، إلا أن مفرداتها تكررت بالتفصيل بالنسبة لكل سبط، وبنفس العبارات. ونلاحظ أن المسيح كان يهتم بصفة خاصة بما يُلقى في الخزانة (مر ١٢: ٤١). وعلى الرغم من أن ما يُلقى قد يكون قليلا، إلا أنه إذا كان بحسب قدرتنا فسوف يُقبل ويُسجل لحسابنا.

(٧) أُضيف المجموع الكلي في نهاية التقرير (ع ٨٤– ٨٨)، لكي يبين كيف أن الله سُر كثيرا بذكر تقدمات النوافل، وكيف أن المجموع الكلي كان يشكل كمية كبيرة جدا، حيث قدم كل رئيس نصيبه.

(٨) أشار الله إلى تفضله بقبول هذه التقدمات التي أُحضرت له، بأن تكلم بألفة مع موسى، كما يكلم الرجل صديقه، وذلك من على غطاء التابوت (ع ٨٩؛ عد ١٢: ٨)، وإذ كلم الله موسى فقد كان في الواقع يكلم جميع إسرائيل، مبينا لهم علامة الخير (مز ١٠٣: ٧).

الأصحاح الثامن

هذا الأصحاح يختص بسرج المقدس أو أضوائه.

أولا: السرج التي في المنارة، والتي فُرض على الكهنة العناية بها (ع ١– ٤).

ثانيا: السرج الحية (إذا جاز لي أن أُسمي اللاويين هكذا) الذين كخدام كانوا كأنوار تحترق وتضيء. سبق أن قرأنا عن تعيين الكهنة (لا ٨). أما هنا فنقرأ عن تعيين اللاويين، المساعدين للكهنة.

(١) كيف تطهروا (ع ٥– ٨).

(٢) كيف تركوا الجماعة ليكونوا للرب (ع ٩ و١٠).

(٣) كيف قُدموا لله بدلا من الأبكار (ع ١١– ١٨).

(٤) كيف خُصصوا لهارون وبنيه ليخدموهم (ع ١٩).

(٥) كيف نُفذت كل هذه الأوامر بدقة (ع ٢٠– ٢٢). وأخيرا السن الذي حُدد لخدمتهم (ع ٢٣– ٢٦).

عدد ١– ٤

سبق أن أُعطيت التوجيهات الخاصة بصنع المنارة الذهبية قبل ذلك بوقت طويل (خر ٢٥: ٣١)، وقد عُملت طبقا للنموذج الذي رآه موسى على الجبل (خر ٣٧: ١٧). أما الآن، فقد أعطي الأمر للمرة الأولى بأن تُضاء السرج، وذلك في بداية الخدمة في خيمة الاجتماع. ومما تجدر ملاحظته:

(١) مَنْ الذي يجب أن يضيء السرج: هارون نفسه، «ففعل هارون هكذا» (ع ٣). وباعتباره ممثل الشعب أمام الله، فقد قام بوظيفة خادم في بيت الله، حيث أضاء شمعة سيده. والكتاب المقدس هو «سراج منير في موضع مظلم» (٢بط ١: ١٩). وعمل الخدام هو إضاءة هذه السرج، وذلك بشرح كلمة الله وتطبيقها. ولقد أضاء الكاهن السراج الذي في المنتصف من نار المذبح، أما بقية السرج فقد أضيئت بعضها من بعض، الأمر الذي يشير إلى أن مصدر كل نور ومعرفة هو المسيح، الذي له «سبعة أرواح الله» ممثلة بسبعة «مصابيح نار متقدة» (رؤ ٤: ٥)، غير أنه عند تفسير الكتاب المقدس يجب أن تستعير الفقرة نورا من فقرة أخرى. ثم إنه يفترض أيضا أن السبعة وهي عدد الكمال، وبالفروع السبعة الخاصة بالمنارة، يظهر كمال الأسفار المقدسة «القادرة أن تحكمك للخلاص».

(٢) ما الغرض من إنارة السرج. لم تضاء مثل شموع صغيرة تحت مكيال، تضيء لنفسها، بل لتعطي نورا للجانب الآخر من خيمة الاجتماع، لأنه لهذا تُوقد الشموع (مت ٥: ١٥). ولذلك يكون لنا النور، لكي ننير للآخرين.

عدد ٥– ٢٦

قرأنا قبلا عن عزل اللاويين من بين بني إسرائيل عند الإحصاء، وقد عُمل لهم إحصاء خاص بهم (عد ٣: ٦، ١٥)، وذلك لكي يُعهد إليهم بخدمة

الخيمة. ونجد هنا الآن الأوامر قد صدرت من أجل تخصيصهم للخدمة (ع ٦)، وتنفيذ ذلك (ع ٢٠). ويجب أن يعرف كل إسرائيل أنهم لم يأخذوا هذه الكرامة من ذواتهم، بل دُعوا من الله لها، بل وما كان يكفي أنهم مُيزوا من بين جيرانهم، بل عليهم بكل وقار أن يتقدسوا لله. ومما يجدر ذكره أن جميع الذين يُدعون لخدمة الله يجب أن يُكرسوا له. يجب أن نقدم أنفسنا أولا لله، وبعد ذلك نقدم خدماتنا. ولنلاحظ الطريقة التي تم عمل ذلك بها:

أولا: يجب أن يُطهر اللاويون. الطقوس والشعائر يجب أن تتم:

(١) بواسطة أنفسهم: الذين يحملون آنية الرب يجب أن يكونوا طاهرين.

(٢) بواسطة موسى: عليه أن ينضح عليهم ماء التطهير الذي أُعد بتوجيه إلهي. ومن واجبنا أن نطهر أنفسنا، والله يعد بأن يطهرنا.

ثانيا: وإذ تم إعداد اللاويين على هذا النحو، يجب إحضارهم أمام الرب في اجتماع مقدس يحضره جميع إسرائيل: «فيضع بنو إسرائيل أيديهم على اللاويين» (ع ١٠)، وبذلك يحولون اهتمامهم بهم وبخدمتهم (وهذا أمر من حق الشعب بأكمله بصفتهم جزء منهم) إلى الله وإلى مقدسه. ووضع الأيادي هذا من قِبل بني إسرائيل على اللاويين لا يجعلهم خداما للمقدس، بل يفيد تخلي الشعب فحسب عن هذا السبط، واعتباره خارج جيشهم وهيكلهم المدني، حتى يُجعلوا خداما بواسطة هارون الذي كان عليه أن يقدمهم أمام الرب.

ثالثا: يجب أن تُقدم الذبائح من أجلهم، أولا ذبيحة خطية (ع ١٢)، وبعد ذلك محرقة «للتكفير عن اللاويين»، ونلاحظ هنا:

(١) إننا غير مستحقين وغير لائقين بالمرة لخدمة الله، حتى تُعمل الكفارة عن الخطية، وهنا يكون لنا سلام مع الله.

(٢) إنه بالذبيحة (بالمسيح الذبيحة الكبرى) نتصالح مع الله، ونصبح لائقين لأن نُقدم له أنفسنا. وبواسطته يُقدس المؤمنون للعمل من أجل إظهار إيمانهم، والخدام للعمل باجتهاد في خدمتهم.

رابعا: واللاويون أنفسهم قُدموا «أمام الرب من عند بني إسرائيل» (ع ١١). قدمهم هارون لله، على اعتبار أنهم قدموا هم أنفسهم أولا، وأيضا قدمهم بنو إسرائيل.

خامسا: هنا يعلن الله قبوله لهم: «فيكون اللاويون لي» (ع ١٤). وكل الذين لله يستخدمهم الله، والملائكة أنفسهم لهم الخدمات الخاصة بهم من قبل الله.

سادسا: بعد ذلك يُعطون هبة لهارون وبنيه (ع ١٩)، وبذلك تعم الفائدة على بني إسرائيل.

(١) يجب أن يعمل اللاويون تحت إرشاد الكهنة كخدام لهم. لقد قدمهم هارون لله (ع ١١)، وبعد ذلك وهبهم الله لهارون (ع ١٩). فقلوبنا وأولادنا وممتلكاتنا لا تكون ملكنا إطلاقا، وحقيقةً لا نسعد بها، إلا بعد أن نقدمها لله أولا.

(٢) عليهم أن يعملوا من أجل الشعب. وخدام الله، طالما ظلوا في إطار وظيفتهم، وأدوا واجباتهم بضمير حي، لابد وأن يُنظر إليهم كأكثر الخدام نفعا لأوطانهم.

سابعا: تم تحديد زمن خدمتهم:

(١) عليهم الدخول في الخدمة في سن الخامسة والعشرين (ع ٢٤). وهذا سن مناسب جدا لأن يبدأ به الخدام عملهم العام.

(٢) عليهم اعتزال الخدمة في سن الخمسين، عليهم أن يرجعوا من الخدمة حسب نص العبارة في آية ٢٥، أي لا يُطردون في هوان، بل يرتقون للراحة التي يتطلبها سنهم، ويتمتعون بامتيازات خدمتهم، حيث إنهم حتى ذلك التاريخ كانوا تحت وطأة أثقالها. وإذا كانت نعمة الله تدبر أن يُعطى الناس القدرة طبقا لأعمالهم، فالإنسان بحكمته عليه ألا يُعطي الناس عملا إلا طبقا لقدراتهم. وكبار السن أكثر الناس ملائمة لمواقع الثقة، وتحمل المسئولية، والأصغر هم الأكثر ملائمة للعمل والقيام بالخدمة الشاقة.

الأصحاح التاسع

يتناول هذا الأصحاح:

أولا: فريضة الفصح العظيمة.

(١) صدرت الأوامر لعمله بحلول الميعاد (ع ١– ٥).

(٢) أضيفت شروط بخصوص من يكونون نجسين طقسيا، أو عاجزين عن الاحتفال بالفصح في حينه (ع ٦- ١٤).

ثانيا: بخصوص الفضل العظيم لعمود السحاب الذي كان مرشدا لإسرائيل في البرية (ع ١٥- ٢٣).

عدد ١ - ١٤

أولا: صدر أمر للاحتفال بالفصح بعد انقضاء سنة على خروجهم من مصر، في اليوم الرابع عشر من الشهر الأول من السنة الثانية، وكان ذلك قبل إحصائهم ببضعة أيام، الذي تم في بداية الشهر الثاني، ومما تجدر ملاحظته:

(١) أصدر الله تعليمات خاصة لعمل هذا الفصح، ومما تشير إليه الدلائل أنهم بعد هذا الفصح لم يحتفلوا به ثانية حتى جاءوا أرض كنعان (يش ٥: ١٠). وكانت هذه دلالة مبكرة على إبطال الفرائض الطقسية في نهاية المطاف. وفريضة العشاء الرباني (التي حلت بدلا من الفصح) لم تُعطَ مؤقتا بهذه الطريقة ولم تُهمل في الأيام الأولى للكنيسة المسيحية، على الرغم من أنها كانت محفوفة بشدائد وأخطار أكثر مما كانت عليه الحال بالنسبة لما واجهه إسرائيل في البرية. والواقع أنه في أيام الاضطهاد كانت فريضة العشاء الرباني تُعمل بأكثر مما أصبح عليه الحال بعدئذ. وما كان بوسع بنو إسرائيل أن ينسوا خلاصهم من العبودية في مصر أثناء فترة تواجدهم في البرية. فلم تأت الأخطار إلا بعد أن جاءوا إلى كنعان. ومع ذلك، فبالنظر إلى أن احتفالهم بالفصح الأول كان في عجالة فكانت مشيئة الله أنه بحلول السنة، وبعد أن أصبحوا أكثر استقرارا ومعرفة بالناموس الإلهي، كان يتحتم عليهم أن يعودوا ثانية للاحتفال به، حتى يدرك أولادهم بوضوح أهمية هذه المناسبة وحتى يتذكروها بشكل أفضل بعدئذ.

(٢) لقد نقل موسى وصايا الله التي استلمها بأمانة للشعب (ع ٤).

(٣) لقد حافظ الشعب على الوصايا التي أُعطيت له (ع ٥). فقد احتفلوا بالفصح حتى وهم في البرية. ونعرف من ذلك أن الرب كان يوفر لهم في البرية ما يحتاجونه لعمل الفصح.

ثانيا: صدرت التعليمات بخصوص أولئك الذين كانوا نجسين طقسيا في الوقت الذي كان عليهم فيه أن يأكلوا الفصح. وناموس الفصح يلزم كل إسرائيلي بالأكل منه. عليهم أن يغتسلوا وبعد ذلك يلتفون حول مذبح الله. «لكن كان قوم قد تنجسوا لإنسان ميت» (ع ٦)، وكانوا تحت هذه النجاسة الطقسية سبعة أيام (عد ١٩: ١١) وأثناء هذه الفترة ليس لهم أن يتناولوا من الأشياء المقدسة (لا ٧: ٢٠). ولم يكن هذا خطأهم، بل كان حدثا عارضا.

التعليمات التي أصدرها الله بالنسبة لهذه الحالة، وفي حالات أخرى مماثلة، تُعد تفسيرا لشريعة الفصح. فالحدث غير المستحب نتجت عنه نواميس طيبة. فالذين حدث وأن كانوا نجسين طقسيا في الوقت الذي كان يتعين فيه أكل الفصح سُمح لهم أن يأكلوه بعد ذلك بشهر واحد، حين يكونون طاهرين، وهكذا الحال أيضا بالنسبة لمن كانوا «في سفر بعيد» (ع ١٠ و١١).

عدد ١٥ - ٢٣

أمامنا هنا تاريخ السحابة، وهو ليس تاريخا طبيعيا: «أتدرك موازنة السحاب؟» (أي ٣٧: ١٦)، بل هو تاريخ مقدس لسحابة عُينت لتكون العلامة المرئية والرمز الذي يشير إلى وجود الله مع إسرائيل.

أولا: حين تم عمل الخيمة، فإن هذه السحابة التي كانت قبلا تُحلِّق عاليا فوق محلتهم، استقرت الآن على الخيمة وغطتها، لكي تبين أن الله يعلن وجوده مع شعبه في فرائضه وبواسطتها.

ثانيا: تلك التي كانت تظهر كسحابة بالنهار، كانت تظهر كنار في الليل. وهكذا تعلمنا أن نجعل الله أمامنا في كل حين، وأن نراه بالقرب منا سواء بالليل أم بالنهار. وطبيعة هذا الإعلان الإلهي الذي كان يحكم شعب إسرائيل يمكن أيضا أن تشير إليه هذه العلامات الظاهرة عن حضور الله، فالسحابة تشير إلى غموض هذا التدبير، والنار تشير إلى رعبه، وذلك بالمقارنة مع الإعلان الإلهي المريح والمعزي والأكثر وضوحا والذي أعلن الله به مجده في وجه يسوع المسيح.

ثالثا: عمود السحاب والنار كان يوجه ويحدد

كل تحركات وارتحالات ونزول إسرائيل في البرية. وقيل عن إرشاد هذه السحابة إنه رمز لإرشاد الروح القدس المبارك. وليس لنا الآن أن نتوقع هذه العلامات الملموسة التي تشير إلى الوجود الإلهي وإرشاده مثلما كان الحال بالنسبة لعمود السحاب والنار، لكن الموعد أكيد للمؤمنين أنه برأيه يهدينا (مز ٧٣: ٢٤)، بل إن إلهنا «إلى الدهر والأبد هو يهدينا» (مز ٤٨: ١٤)، وأن كل مَنْ هم أبناء الله «ينقادون بروح الله» (رو ٨: ١٤). وفي جميع سلوكنا وأعمالنا علينا أن نتبع توجيه كلمته وروحه، وجميع تحركات نفوسنا يجب أن تهتدي بالمشيئة الإلهية، ويجب أن تتحرك قلوبنا وتستريح دائما في وصية الرب.

الأصحاح العاشر

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: الأوامر التي صدرت لصنع بوقين من الفضة واستعمالهما، ويبدو أن هذه آخر الوصايا التي أعطاها الله على جبل سيناء، وهذه وإن كانت من أقل الوصايا إلا أنها على الرغم من ذلك كان لها مغزاها (ع ١– ١٠).

ثانيا: قصة ارتحال محلة إسرائيل من جبل سيناء، ومسيرتهم المنظمة في برية فاران (ع ١١– ٢٨).

ثالثا: معاهدة موسى مع حوباب نسيبه (ع ٢٩– ٣٢).

رابعا: صلاة موسى عند ارتحال التابوت وعند حلوله (ع ٣٣– ٣٦).

عدد ١– ١٠

تتضمن هذه الفقرة توجيهات بخصوص الإعلانات العامة التي تُعطى للشعب في مناسبات عديدة بواسطة صوت البوق. فيُضرب بالبوقين «لمناداة الجماعة» (ع ٢). وهكذا طُلب منهم أن يضربوا بالبوق في صهيون لمناداة الشعب إلى اجتماع لتقديس أحد الأصوام (يؤ ٢: ١٥). لكن البوق لا يجب أن يصدر صوتا غير مؤكدا. فقد وُجهوا بأنه في حالة طلب اجتماع الرؤساء والشيوخ فقط، عليهم ألا يضربوا سوى «بواحد» فقط، ولكن إذا كان يُراد دعوة كل الجماعة للاجتماع هنا يجب أن يضربوا بالبوقين معا. ولارتحال «المحلات» تُعطى إشارة متى يجب أن يرتحل كل قسم. وحين يُضرب بالأبواق لهذا الغرض، يجب أن يضربوا «هتافا» (ع ٥)، صوتا متقطعا غير كامل، وهو مناسب لحفز وتشجيع أذهان الشعب في زحفهم ضد أعداءهم، في حين أن الصوت المستمر على وتيرة واحدة هو المناسب بالأكثر لدعوة الجماعة معا (ع ٧)، ومع ذلك فإنه حين دُعي الشعب للصلاة معا من أجل أحكام الله، نجد أنه قد ضُرب بالبوق (يؤ ٢: ١). عند الهتاف الأول يرتحل القسم الخاص بيهوذا، وعند الثاني القسم الخاص برأوبين، وعند الثالث أفرايم، وعند الرابع دان (ع ٥ و٦). أيضا من أجل توجيه جيوشهم وتشجيعها حين تخرج للقتال (ع ٩). وكذلك عند الاحتفال بأعيادهم المقدسة (ع ١٠). وأحد أعيادهم أُطلق عليه «عطلة تذكار هتاف البوق» (لا ٢٣: ٢٣– ٣٦). والعمل المقدس يجب أن يُعمل في ظل من الفرح المقدس.

عدد ١١– ٢٨

أولا: إشارة عامة إلى ارتحال محلة بني إسرائيل من جبل سيناء، حيث كانوا قد أمضوا أمام هذا الجبل ما يقرب الآن من سنة، وقد حدثت خلال هذه الفترة، وفي ذات هذا المكان كثير من الأحداث العظيمة التي لا تُنسى. ومما تجدر ملاحظته:

(١) أُعطيت الإشارة: «ارتفعت السحابة» (ع ١١).

(٢) بدأت المسيرة: «ارتحلوا أولا حسب قول الرب عن يد موسى»، وطبقا لقيادة السحابة لهم (ع ٣١). والبعض يعتقدون أنه كثيرا ما ذُكرت عبارة «حسب قول الرب» في هذا الأصحاح وكذلك في الأصحاح السابق لتبين أن إرشادهم وقيادتهم في كل ترحالهم قد تم من قِبل الله وذلك لإزالة اللوم والتعيير الذي واجهه بني إسرائيل بعدئذ إذ قيل إنهم أمضوا فترة طويلة في البرية، لأنهم تاهوا هناك ولم يستطيعوا معرفة طريق خروجهم منها. لنلاحظ أن أولئك الذين يسلمون أنفسهم لتوجيه كلمة الله وروحه، إنما يُوجَّهون بخطة ثابتة، حتى وإن بدوا حيارى أو مرتبكين.

(٣) المكان الذي نزلوا فيه بعد مسيرة ثلاثة أيام:

«فارتحل بنو إسرائيل... من برية سيناء» حتى وصلوا إلى «برية فاران».

ثانيا: جدول واضح لترتيب ارتحالهم طبقا للنموذج الجديد:

(١) ارتحلت مخيمات سبط «بني يهوذا» أولا (ع ١٤– ١٦). راية القيادة التي هي الآن مع ذلك السبط، كانت وعدا بالحكم الذي سيُعهد إليه في عهد داود، وكانت تشكل تطلعا إلى المستقبل، إلى رئيس خلاصنا الذي كانت النبوة عنه أيضا تقول: «وله يكون خضوع شعوب» (تك ٤٩: ١٠).

(٢) جاءت العائلتان اللاويتان اللتان عُهد إليهما بمهمة حمل خيمة الاجتماع بعد ذلك.

(٣) تقدمت بعدئذ مخيمات سبط رأوبين، وذلك بعد يهوذا «حسب قول الرب» (ع ١٨– ٢٠).

(٤) تبعهم القهاتيون بالعهدة التي كانت لديهم وهي الأثاثات المقدسة الخاصة بالخيمة، وذلك في وسط المحلة، وهو أكثر الأماكن أمنا وكرامة (ع ٢١).

(٥) بعد ذلك تبعتهم المخيمات الخاصة بسبط أفرايم وذلك بعد التابوت (ع ٢٢– ٢٤).

(٦) جاءت مخيمات سبط دان أخيرا (ع ٢٥– ٢٧). وقد سُميت «ساقة جميع المحلات»، لأنها جمعت كل ما تخلف، وليس المقصود هنا النساء والأطفال (فلنا أن نفترض أن هؤلاء كانوا محل عناية رؤساء عائلاتهم وذلك كل في السبط التابع له)، بل كل النجسين طقسيا، والجماهير المختلطة، وكل الضعفاء الواهنين، والذين أبطأوا في مسيرتهم.

عدد ٢٩ – ٣٦

أولا: ما دار بين موسى وحوباب أثناء تقدم محلة بني إسرائيل صوب كنعان. والبعض يقول إن حوباب هو يثرون حمو موسى، وأن ما ورد في خروج ١٨ يجب أن يأتي هنا. ولكن الأرجح أن حوباب هو ابن يثرون، وأنه حين بلغ الأب من العمر أرذله، رجع إلى أرضه (خر ١٨: ٢٧)، وترك ابنه حوباب مع موسى. وكان حوباب قانعا بالبقاء مع بني إسرائيل حين أقاموا محلتهم عند جبل سيناء، على مقربة من بلاده، أما وأنهم سيرحلون الآن عن هذا المكان، فقد فضل هو الرجوع إلى بلاده وأقاربه، وبيت أبيه. ومما تجدر ملاحظته:

(١) الدعوة الرقيقة التي وجهها له موسى أن يصاحبهم إلى كنعان (ع ٢٩). ويُلاحظ أن الذين عقدوا العزم على الذهاب إلى كنعان السمائية يجب أن يدعوا أصدقاءهم ويشجعوهم على مصاحبتهم.

(٢) رغبة حوباب وإصراره على العودة إلى بلاده (ع ٣٠). كان حقا من نسل إبراهيم (لأن المديانيين من نسل إبراهيم من قطورة) ولكنه ليس من ورثة إيمان إبراهيم (عب ١١: ٨)، وإلا لما كان أعطى موسى هذا الرد.

(٣) حثه موسى بإصرار على تغيير قراره (ع ٣١ و٣٢). وقد أكد له أنه سيكون نافعا لهم: «بما أنك تعرف منازلنا في البرية (وهذه منطقة يعرفها حوباب تمام المعرفة) تكون لنا كعيون». ولا نجد هنا رد حوباب الذي رد به على موسى، ونرجوا أن يكون صمته علامة اقتناعه، وأنه لم يتركهم. ونجد مما جاء في قضاة ١: ١٦؛ صموئيل الأول ١٥: ٦ أن عائلته لم تكن خاسرة نتيجة ذلك.

ثانيا: إشارة إلى الشركة بين الله وبني إسرائيل في هذا الرحيل: «فارتحلوا من جبل الرب» (ع ٣٣)، وهو جبل سيناء حيث سبق أن رأوا مجده وسمعوا صوته. غير أنهم حين تركوا «جبل الرب» أخذوا معهم «تابوت عهد الرب» وبه حافظوا على الشركة بينهم وبين الله، ذلك أنه:

(١) بواسطته وجَّه الرب مسيرتهم. وكان «تابوت عهد الرب راحل أمامهم». البعض يقول إن ذلك كان من حيث المكان، على الأقل في هذه الرحلة، وآخرون يعتقدون أنه كان من ناحية التأثير فقط. فالتابوت (أي إله التابوت) التمس «لهم منزلا».

(٢) بواسطته اعترفوا بالله في كل سبلهم. وباعتبار موسى الناطق باسم الجماعة، فقد رفع صلاة، سواء عند ارتحال التابوت أو عند حلوله، وهذا مثال لنا أن نبدأ وننهي رحلتنا اليومية وعملنا اليومي بالصلاة.

أ. هذه الصلاة رفعها عند ارتحال التابوت: «قم يا رب فلتتبدد أعداؤك» (ع ٣٥). ومما يُلاحظ هنا:

◄ يوجد في العالم أعداء لله يكرهونه، وهم أعداء خفيون وظاهرون، أعداء لحقه وشرائعه وفرائضه وشعبه.

◄ تبدُّد أعداء الله وهزيمتهمَ أمر يجب أن يتوقعه بإيمان كل شعب الله.

ب. صلاته عند حلول التابوت (ع ٣٦).

◄ أن الله يريح شعبه (هكذا يترجمها البعض): «ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل». أعدهم ثانية إلى راحتهم بعد هذا التعب الذي عانوه.

◄ أن يأخذ الله موضعا لراحته في وسطهم: «ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل» أي إلى ألوف ألوف إسرائيل لأن هذا هو معنى الكلمة. فراحة إسرائيل الله وسعادتهم تتوقف على وجود الله وسطهم بصفة دائمة.

الأصحاح الحادي عشر

إلى هنا كانت الأمور تسير سيرا حسنا في إسرائيل، ولم تنقطع إحسانات الله عليهم إلا بقدر ضئيل منذ موضوع العجل الذهبي، ويبدو أن الشعب كان يتعلم بسرعة من ناحية تنظيم المحلة وتطهيرها، وكان الرؤساء مخلصين وكرماء من ناحية تقديس المذبح، وكان لديهم أمل كبير في أنهم سيكونون في كنعان قريبا. غير أنه في هذا الأصحاح يبدأ مشهد يدعو إلى الأسف.

أولا: تذمرهم أشعل نارا بينهم، سرعان ما خمدت نتيجة صلاة موسى (ع ١– ٣).

ثانيا: ما كادت نار الدينونة تُخمد إلا ونشبت نار الخطية ثانية، إذ

(١) تذمر الشعب نتيجة نقص اللحم (ع ٤– ٩).

(٢) انزعج موسى لقلة حيلته (ع ١٠– ١٥).

ولكن:

أ. وعد الله بأن يرضي الطرفين: يدبر معاونين لموسى (ع ١٦ و١٧)، وأن يعطي الشعب لحما ليأكل (ع ١٨– ٢٣).

ب. سرعان ما حقق هذين الوعدين، لأنه:

◄ هيأ روح الله الشيوخ السبعين للمشاركة في القيادة (ع ٢٤– ٣٠).

◄ أحضرت قوة الله السلوى من أجل الشعب (ع ٣١ و٣٢). ومع ذلك،

◄ عدالة الله ضربتهم ضربة عظيمة جدا بسبب تذمرهم (ع ٣٣– ٣٥).

عدد ١ – ٣

أولا: خطية الشعب: كانوا «يشتكون» (ع ١). والناموس كشف الخطية، لكنه لم يستطع أن يميتها، قمعها غير أنه عجز عن قهرها. فقد كانوا «يشتكون»، مع أنه كانت لديهم أسباب كثيرة تدعوهم إلى شكر الله، لذلك كان غريبا أن يجدوا أي سبب يدعوهم إلى الشكوى.

ثانيا: غضب الله العادل بسبب الإهانة التي لحقته نتيجة هذه الخطية: «وسمع الرب» ومن ثَمَّ «فحمي غضبه».

ثالثا: الدينونة التي عاقبهم بها الله بسبب هذه الخطية: ونقرأ عدة مرات عن تذمرهم، فور أن خرجوا من مصر (خر ١٥– ١٧). غير أننا لا نقرأ عن أية نكبات حلت بهم نتيجة تذمرهم، كما حدث معهم الآن، وذلك لأنهم اختبروا عناية الله العظيمة بهم، ومن ثَمَّ فليس لهم عذر بعد في عدم الثقة به.

رابعا: صراخهم إلى موسى، شفيعهم (ع ٢) فحين كان الله يجازيهم كانوا يطلبون وجهه؛ لذلك التمسوا من موسى أن يكون صديقا لهم.

خامسا: نجاح شفاعة موسى من أجلهم: «فصلى موسى إلى الرب» ولأن الله يولي اعتبارا لموسى وتقدمته «فخمدت النار».

سادسا: أُعطي اسم جديد لهذا المكان ليخلد عار شعب متذمر. فقد سمي ذلك الموضع «تبعيرة»، نار مشتعلة (ع ٣) حتى يسمع آخرون ويخافون، ويصير لهم هذا إنذارا ألا يخطئوا كما أخطأ هؤلاء.

عدد ٤– ١٥

هذه الأعداد تتناول أمورا خاطئة وليست في محلها، حدثت في إسرائيل من الشعب وقائده على حد سواء.

أولا: نرى تبرم الشعب، ومن ثَمَّ يتكلمون ضد الله نفسه.

(١) مَنْ كان هؤلاء المذنبون؟

أ. «واللفيف... اشتهى شهوة» (ع ٤). وهم الغوغاء الذين خرجوا معهم من مصر، ولم يكونوا ينتظرون إلا أرض الميعاد ولكنهم لم يتوقعوا أية محن في الطريق إليها. هؤلاء كانوا الخراف الجرباء التي نقلت العدوى للقطيع، كانت الخميرة التي خمَّرت العجين كله.

ب. بل إن الإسرائيليين أنفسهم أصابتهم العدوى (ع ٤).

(٢) ماذا كانت الجريمة؟

أ. بالغوا في الحديث عن الخيرات الوفيرة والطعام الشهي، الذي كانوا ينعمون به في مصر (ع ٥)، كما لو كان الله قد ظلمهم ظلما بينًا إذ أخرجهم من هناك. لقد تذكروا «القثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم» (ويالها من أغذية لذيذة معا!)، ولكنهم لم يتذكروا قمائن الطوب، ولا عمل السخرة، ولا صوت ظالميهم ولا لسعة السوط.

ب. لقد سئموا الأطعمة الطيبة التي هيأها الله لهم (ع ٦). كان خبزا من السماء، طعام الملائكة. وفيما كانوا يعيشون على المن، يبدو أنهم قد أُعفوا من اللعنة التي جلبتها الخطية على الإنسان: «بعرق وجهك تأكل خبزا». ومع ذلك يتحدثون عن المن باحتقار، كما لو أنه لا يصلح حتى أن يكون طعاما للخنازير «قد يبست أنفسنا».

ج. لم يكن ليرضيهم شيء سوى أن يُعطوا لحما ليأكلوا.

د. لم يثقوا في أن قوة الله وصلاحه بمقدورهما أن يحققا لهم هذا الأمر: «مَنْ يطعمنا لحما»، لقد كانوا على ثقة في أن الله لن يستطيع ذلك.

هـ. كانوا متلهفين ومُصرّين على رغبتهم: اشتهوا «شهوة»، بالغوا في شهوتهم وطعامهم، حتى أن ذلك حملهم على البكاء ثانية من شدة تلهفهم.

و. اللحم طعام جيد، ومن المشروع أكله، ومع ذلك قيل إنهم اشتهوا أمورا شريرة. وما هو مشروع لنا في حد ذاته، يصبح بالنسبة لنا شرا حين نفرط في اشتهائه ما لم يعطه الله لنا.

ثانيا: وموسى نفسه، على الرغم من أنه رجل حليم وطيب للغاية، إلا أن القلق تملكه في هذه المناسبة: «ساء ذلك في عيني موسى».

(١) يجب الاعتراف بأن الاستفزاز كان كبيرا. فتذمراتهم كانت تُشكِّل إهانه لله، ثم إن موسى تألم للتوبيخات التي وُجهت إليه.

(٢) ومع ذلك أخفق موسى في واجبه نحو الله، ونحو إسرائيل بالنسبة لهذه التذمرات.

أ. استهان بالكرامة التي أعطاها له الله.

ب. بالغ كثيرا في الشكوى من ظُلم مادي، وكذلك لم يتحمل الشغب والتعب.

ج. بالغ في تصوير أعبائه: «وضعت ثقل جميع هذا الشعب عليَّ».

د. لم يدرك -كما ينبغي- الواجب الملقى على عاتقه، نتيجة أمر الله وتكليفه له، بأن يبذل غاية ما في وسعه من أجل شعبه.

هـ. بالغ في أهمية نفسه حين تساءل: «من أين لي لحم حتى أُعطي جميع هذا الشعب» (ع ١٣)، كما لو كان هو الذي يعولهم وليس الله.

و. تكلم بأسلوب ينُم عن عدم ثقته بالنعمة الإلهية حين عبَّر عن يأسه في عدم إمكانه أن يحمل «جميع هذا الشعب» (ع ١٤).

ز. كان أسوأ ما في الأمر أنه تمنى الموت، ورغب أن يُقتل في الحال. هل هذا هو موسى ؟ هل هذا هو أكثر إنسان حلما على الأرض؟ إن أفضل الناس لهم ضعفاتهم، وأحيانا يفشلون في ممارسة عطية النعمة التي اشتهروا بها، «لا تدخلنا في تجربة» يا رب.

عدد ١٦ – ٢٣

رد الله الكريم بالنسبة للشكوتين المذكورتين آنفا:

أولا: اتُخذت التدبيرات اللازمة لتصحيح المظالم التي يشكو منها موسى. فإذا كان يشكو من أن حمل القيادة ثقيل عليه، على الرغم من أنه احتد في احتجاجه إلى حد ما وهو يستعرض شكواه، إلا أنه مع ذلك سوف يُخفف عنه العبء، ولن يتم هذا بإبعاده هو نفسه عن السلطة، بل بتعيين مَنْ يساعدونه.

(١) طُلب من موسى أن يعين هؤلاء الأشخاص (ع ١٦)، والعدد الذي عليه أن يختاره هو سبعون شخصا، وهذا مماثل لعدد النفوس الذين نزلوا إلى مصر.

(٢) وعد الله بأن يؤهلهم لهذا العمل.

ثانيا: حتى نزوة الشعب الساخط سوف تمنح أيضا حتى يستد كل فم. وقد أُمروا أن «تقدسوا للغد» (ع ١٨)، أي أن يهيئوا أنفسهم في وضع يسمح لهم بتقبل الدليل الذي يثبت قوة الله كعلامة على رحمته وقضائه.

(١) وعد الله (هل لي أن أقول ذلك؟)، بل بالأحرى تهديده بأنه سيشبعهم -حتى الملء- من اللحم، وما لم يستطيعوا السيطرة على شهيتهم، فسوف يصابون بالغثيان منه (ع ١٩ و٢٠).

(٢) احتجاج موسى من حيث عدم إمكانية تحقيق هذا الوعد (ع ٢١ و٢٢). وكان هذا الاعتراض يماثل اعتراض التلاميذ: «من أين يستطيع أحد أن يشبع هؤلاء خبزا؟» (مر ٨: ٤) وقد اعترض بالنسبة لعدد الشعب، كما لو أن القوة غير المحدودة التي وفرت الخبز لهم جميعا لا يمكنها أن توفر لهم لحما. لقد ظن أنه إما أن يكون لحم ماشية أو أسماكا ولم يطرأ على فكره أن اللحم حتى من الطيور الصغيرة يمكنه أن يفي بالغرض.

(٣) قدَّم الله ردا موجزا ولكنه شافيا على هذا الاعتراض وذلك في السؤال التالي: «هل تقصر يد الرب» (ع ٢٣)؟ والله يأتي بموسى هنا إلى هذا المبدأ الأول، ويعود به إلى درسه، لكي يتعلم الاسم القديم الخاص بالله «الرب الإله القدير».

عدد ٢٤ - ٣٠

تنفيذ وعد الله لموسى بأن يكون له معاونون في قيادة إسرائيل.

أولا: هنا نرى حالة السبعين مشيرا بصفة عامة وهم المناط بهم معاونة موسى. وعلى الرغم من أن موسى قد انزعج قليلا نتيجة شغب الشعب، إلا أنه استعاد رباطة جأشه تماما نتيجة شركته القوية بالله وسرعان ما عاد إلى نفسه ثانية.

(١) عمل ما هو مطلوب منه، حيث قدم السبعين شيخا إلى الرب، وذلك حول الخيمة (ع ٢٤)، حتى يكونوا هناك على أهبة الاستعداد لتلقي نعمة الله، وذلك في المكان الذي أعلن فيه عن نفسه.

(٢) ولم يكن الله ليتخاذل عن القيام بما وعد به: «وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ» (ع ٢٥).

ثانيا: هنا حالة خاصة لاثنين منهم «ألداد» و«ميداد» ولعلهما كانا أخوين.

(١) كانا ممن رشحهم موسى ليكونوا ضمن معاونيه في القيادة، غير أنهما «لم يخرجا إلى الخيمة» كما فعل الآخرون (ع ٢٦).

(٢) وجدهما روح الله هناك في المحلة، حيث كانا مختبئين، وهناك كانا يتنبآن، أي إنهما كانا يمارسان موهبتهما في الصلاة والكرازة والتسبيح لله، وذلك في خيمة خاصة. وكان هناك تدبير خاص من العناية الإلهية فيما يتعلق بغياب هذين الاثنين، لأنه اتضح تماما أن روحا إلهيا هو بالفعل الذي ألهم هؤلاء الشيوخ، وأن موسى لم يعطهم هذا الروح، بل الله نفسه هو الذي فعل ذلك.

(٣) أُخبر موسى عن هذا الأمر (ع ٢٧): «ألداد وميداد يتنبآن في المحلة». وأيا كان مَنْ جاء بهذا الخبر فيبدو أنه اعتبره مخالفة ما.

(٤) أراد يشوع أن يسكتهما: «يا سيدي موسى اردعهما» (ع ٢٨). ومن المحتمل أن يشوع نفسه كان من بين السبعين. ولم يكن يرغب في أن يُعاقبا على ما عملاه، بل كبحهما فقط.

(٥) رفض موسى هذا الاقتراح ووبخ مقدمه (ع ٢٩): «هل تغار أنت لي». وعلى الرغم من أن يشوع كان صديق موسى المقرب وموضع ثقته، ومع أنه قال هذا بدافع من احترامه لموسى، حيث كان يكره أن يرى تقليلا من مكانة موسى نتيجة دعوة هؤلاء الشيوخ، إلا أن موسى -على الرغم من ذلك كله- قام بتوبيخه. ولا يجب أن نتلهف على إدانة وإسكات أولئك الذين يختلفون عنا، كما لو كانوا لا يتبعون المسيح لأنهم ليسوا يتبعوننا (انظر مرقس ٩: ٣٨). وهل لنا أن نرفض أولئك الذين قبلهم المسيح، وأن نمنع أيا منهم من عمل الخير، لأنهم لا يتفقون معنا في كل شيء؟ كان موسى من روح آخر، وكان أبعد ما يكون من أن يسكت هذين الاثنين، ويكبح الروح فيهما، بل كان يتمنى لو أن «كل شعب الرب

كانوا أنبياء»، أي يجعل «الرب روحه عليهم».

(٦) أما الشيوخ، الذين عُينوا حديثا، فقد أسرعوا في الحال ليبدأوا عملهم (ع ٣٠)، فحين تثبتت دعوتهم بوضوح نتيجة تنبؤهم، ذهبوا في صحبة موسى إلى المحلة، وشرعوا يباشرون عملهم.

عدد ٣١- ٣٥

نفَّذ الله وعده لموسى بأن أعطاه مستشارين للحكومة. ونراه هنا ينفذ وعده للشعب بإعطائهم لحما. ونلاحظ هنا:

(١) كيف رحب الشعب باللحم الكثير، ذلك أنه خرجت «ريح» (لعلها ريح شرقية، كما يبدو من مز ٧٨: ٢٦) «وساقت سلوى» (ع ٣١). وليس من المؤكد من أية نوعية كانت هذه الحيوانات، والمرنم يسميها «طيورا ذوات أجنحة». بعض الكُتّاب يعتقدون أنها كانت «جرادا»، وهي نوعية من الطعام اللذيذ المشهور في تلك الأنحاء، لأنها دُفعت بواسطة الريح، وتراكمت في أكوام، وجفت في الشمس لكي تصبح صالحة للاستعمال. وأيا كانت نوعيتها فقد أوفت بالغرض، فقد خدمت كوليمة لإسرائيل استمرت شهرا، لكم كان الله أبا غفورا مع عائلته العنيدة.

(٢) كيف تملكهم النهم لهذا اللحم الذي أرسله الله لهم. لقد انقضُّوا على الغنيمة بشراهة لا حدود لها، ولم يبالوا بما أخبرهم به موسى بناء على أوامر الله بأنه سيصير لهم «كراهة» منه (ع ٣٢).

(٣) كيف دفعوا الثمن غاليا نتيجة ولائمهم هذه حين جاء وقت الحساب: «وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جدا» (ع ٣٣). لعلها كانت بعض الأمراض الجسدية التي جاءت نتيجة نهمهم البالغ وسببت موت الكثيرين منهم. وقد حُفظت ذكرى هذا الحدث بالاسم الذي أُطلق على ذلك الموضع (ع ٣٤)، فدعي اسم ذلك الموضع «قبروت هتأوة»، أي قبور الشهوة.

الأصحاح الثاني عشر

في الأصحاح السابق قرأنا عن المتاعب التي سببها الشعب لموسى، أما هنا فنجده يتعرض لاختبار لحلمه وذلك من قِبل أقاربه:

أولا: إهانة مريم وهارون، أخوه وأخته (ع ١- ٣).

ثانيا: دعاهما الله لمحاسبتهما على ذلك (ع ٤- ٩).

ثالثا: ضُربت مريم بالبرص عقابا لها على ذلك (ع ١٠).

رابعا: هارون يخضع لموسى، أما موسى فيتشفع بكل اتضاع من أجل مريم (ع ١١- ١٣).

خامسا: شفاء مريم، ولكنها عُرضت للخزي سبعة أيام (ع ١٤- ١٦). ولقد سُجلت هذه الواقعة لتبين أن أفضل العائلات والأشخاص لهم حماقتهم وبلاياهم.

عدد ١- ٣

أولا: غضب هارون ومريم الذي لم يكن له ما يبرره: «وتكلمت مريم وهارون على موسى» (ع ١). يبدو أن مريم هي التي بدأت الشجار، أما هارون فإذ وجد أنه لم يشترك أو يُؤخذ رأيه في اختيار السبعين شيخا، فكان في تلك الآونة غاضبا إلى حد ما، ولذلك سرعان ما انحاز إلى جانب أخته. وثمة أمران تشاجرا مع موسى بسببهما.

(١) بسبب زواجه: البعض يظن أنه زواج متأخر من كوشية أو عربية. آخرون يقولون أنه بسبب صفورة، التي وصفاها هنا -باحتقار- «المرأة الكوشية»، والتي لمحا إلى أنه كان لها تأثير عظيم على موسى من ناحية اختيار هؤلاء الشيوخ السبعين.

(٢) بسبب سلطلته، ليس بسبب سوء إرادة السلطة، بل لاحتكاره للإدارة: «هل كلم الرب موسى وحده؟» (ع ٢).

ثانيا: حِلم موسى العجيب في مواجهة هذا الاستفزاز. كان كرجل أصم، لا يسمع. حين تعلق الأمر بكرامة الله كما كان الحال في موضع العجل الذهبي، لم يكن مَنْ هو أكثر من موسى حماسة وغيرة، غير أنه حينما كان الأمر يتعلق بكرامته الشخصية، لم يكن مَنْ هو أكثر منه تواضعا، فهو شجاع كالأسد فيما هو يتعلق بالله، ولكنه وديع كالحمل بالنسبة للأمور المتعلقة بشخصه. أحيانا ما تكون قسوة أصدقائنا اختبارا لتواضعنا أشد إيلاما من كراهية أعدائنا.

عدد ٤ – ٩

لم يستنكر موسى الإهانة التي لحقت به، بل وما اشتكى منها الله، أو التمس منه أمر ما بشأنها، لكن الله استاء منها. فكلما تحملنا ما يلحق بنا في صمت زاد اهتمام الله بالدفاع عنا. والمتهم البريء ليس في حاجة إلى أن يتحدث عن قضيته إذا ما عرف أن القاضي نفسه سيكون محاميه.

أولا: وبدأ النظر في القضية، وأخبر المتخاصمون بأنه عليهم الاجتماع أمام باب الخيمة على الفور (ع ٤ و٥).

ثانيا: أُجبر هارون ومريم أن يعرفا أنه رغم عظمتهما إلا أنه ليس لهما أن يدَّعيا أنهما نظيران لموسى، أو منافسين له (ع ٦– ٨).

(١) حقا إن الله أضفى على الأنبياء كرامة عظيمة. فقد أعلن نفسه لهم، سواء بالأحلام أثناء نومهم، أو برؤى أثناء استيقاظهم، وبواسطتهم أعلن نفسه للآخرين. أما الآن فهو لا يفعل ذلك بالأحلام أو بالرؤى، كما كان يفعل منذ أمد بعيد، بل «بروح الحكمة والإعلان».

(٢) ومع ذلك فإن الكرامة التي خُلعت على موسى كانت أعظم من ذلك بكثير: «أما عبدي موسى فليس هكذا» (ع ٧)، لأنه يفوقهم جميعا. ولكي يعوض الله موسى لتحمُّله بتواضع وصبر الإهانات التي وُجهت له من مريم وهارون، فإن الله لم يكتف بتبرئته، بل وامتداحه أيضا.

أ. كان موسى رجلا معروفا بالاستقامة الكاملة والأمانة البالغة. «هو أمين في كل بيتي». وقد قيلت هذه العبارة أولا في مجال الثناء عليه، لأن النعمة تفوق المواهب، والمحبة تعلو على المعرفة، والإخلاص في خدمة الله يُشرِّف الإنسان ويُذكيه لنعمة الله بأكثر مما يذكيه العلم والتأملات العظيمة والتكلم بألسنة.

ب. ولذلك أُكرم موسى بإعلانات أوضح عن فكر الله، وبشركة أوثق معه لم يتمتع بمثلها أي نبي آخر أيا كان. على مريم وهارون أن يدركا الآن مَنْ هو الذي أهاناه: «فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى؟»

ثالثا: بعد أن عرفهما الله خطأهما وحماقتهما، بيَّن لهما بعد ذلك غضبه منهما: «فحمي غضب الرب عليهما» (ع ٩). والواقع أن انصرافه عنهما كان يُشكِّل في الواقع دلالة كافية على غضبه، لأنه لم ينتظر حتى لسماع عذرهما، وحرماننا من وجود الله معنا هو العلامة الأكيدة والمحزنة لاستيائه منا وغضبه علينا. وويل لنا إذا مضى الله وتركنا، وهو لن يتركنا ما لم نبعده نحن عنا بخطايانا وحماقتنا.

عدد ١٠– ١٦

أولا: حكم الله على مريم: «ارتفعت السحابة عن الخيمة» (ع ١٠) كعلامة على غضب الله، وللتو أصبحت مريم برصاء. وكان عدلا أن يُعاقب لسانها القبيح، بوجه قبيح. وفيما نجد أن موسى يحتاج إلى برقع ليخفي مجده، نجد أن مريم احتاجت واحدا لتخفي عارها. ولقد ضُربت مريم بالبرص وليس هارون، لأنها التي بدأت بالتعدي، والله يفرق بين الذين يضلون الناس، والذين يقعون فريسة الضلال. وهارون باعتباره كاهنا كان عليه أن يكون القاضي الذي يثبت حالة البرص. وقد أُدين هو من خلال عقوبتها، ولم يكن يستطيع أن يعلن برصها دون أن تأخذه نوبة من الخجل والرعب لأنه يعرف أنه عرضة لما أصابها.

ثانيا: خضوع هارون بعد هذا (ع ١١ و١٢). لقد تذلل أمام موسى واعترف بخطأه، وطلب المغفرة. فذاك الذي أخذ جانب أخته في الإساءة إلى موسى، اضطر هنا أن يتذلل ويعلن توبته عن خطأه ويطلب المغفرة له ولأخته. وهو في خضوعه:

(١) اعترف بخطيته هو وأخته (ع ١١).

(٢) طلب مغفرة موسى: «لا تجعل علينا الخطية التي حمقنا وأخطأنا بها».

(٣) وصف الحالة المحزنة التي كانت عليها أخته لكي يستدر عطف موسى عليها: «فلا تكن كالميت الذي يكون عند خروجه من رحم أمه قد أُكل نصف لحمه» (ع ١٢).

ثالثا: شفاعة موسى من أجل مريم: «فصرخ موسى إلى الرب» (ع ١٣) بصوت عظيم، لأن السحابة التي هي رمز وجوده، كانت قد ارتفعت عن الخيمة، ووقفت على بعد، ولكي يُعبِّر عن حمايته في طلبه صرخ قائلا

«اللهم اشفها». وهنا نجد أن الشفاء تحقق لمريم بواسطة صلاة موسى، التي كانت قد أساءت إليه.

رابعا: تسوية هذا الموضوع بحيث يلتقي الرحمة والعدل معا.

(١) الرحمة ستأخذ مجراها في شفاء مريم من برصها. لقد سامحها موسى، وسوف يسامحها الله (انظر ٢كورنثوس ٢: ١٠)، غير أنه:

(٢) تأخذ العدالة مجراها في إذلال مريم: «تُحجز سبعة أيام خارج المحلة» (ع ١٤).

خامسا: منع ارتحال الشعب بسبب ذلك: «ولم يرتحل الشعب حتى أُرجعت مريم» (ع ١٥). لم يحرك الله السحابة، وبذلك لم يحركوا محلتهم، وهذا قُصد به:

(١) أن يكون توبيخا للشعب، حيث كانوا يشعرون في قرارة أنفسهم أنهم أخطأوا مثل مريم تماما، وذلك بالحديث ضد موسى.

(٢) كبادرة احترام لمريم. فلو كانت المحلة قد تحركت في أيام عزلها، لاستفحل الأمر بالنسبة لمحنتها وعارها. أولئك الذين تحت التوبيخ بسبب الخطية يجب معاملتهم بقدر كبير من العطف، ولا يجب الإفراط في معايرتهم بالخزي الذي يستحقونه ولا نحسبهم كأعداء (٢تس ٣: ١٥)، بل يجب مسامحتهم وتعزيتهم (٢كو ٢: ٧). وكما يتحتم نبذ الخطاة بحزن، فبالأكثر يتحتم قبولهم بفرح عند توبتهم.

الأصحاح الثالث عشر

قصة جديرة بالذكر، ولو أنها محزنة للغاية، تلك التي نقرأها في هذا الأصحاح والأصحاح الذي يليه، وتتضمن رجوع إسرائيل من حدود كنعان، في الوقت الذي كانوا يتأهبون فيه لدخولها، والحكم عليهم بأن يتيهوا ويهلكوا في البرية لعدم إيمانهم وتذمرهم. وقد أُشير إلى هذا الموضوع في مزمور ٩٥: ٧- ١١، وقد استُخدمت هذه القصة كتحذير للمؤمنين (عب ٣: ٧- ١٨).

ويتضمن هذا الأصحاح:

أولا: إرسال اثني عشر شخصا ليتجسسوا أرض كنعان (ع ١- ١٦).

ثانيا: التعليمات التي صدرت لهؤلاء الجواسيس (ع ١٧- ٢٠).

ثالثا: تنفيذ مهمتهم طبقا للأوامر الصادرة بشأنها، وعودتهم بعد تنفيذها (ع ٢١- ٢٥).

رابعا: التقرير الذي قدموه إلى محلة إسرائيل (ع ٢٦- ٣٣).

عدد ١- ٢٠

أولا: صدرت الأوامر لإرسال رجال ليتجسسوا أرض كنعان. وذُكر هنا أن الله وجه موسى لإرسالهم (ع ١ و٢)، غير أنه يبدو مما جاء في تثنية ١: ٢٢ أن الفكرة جاءت أساسا من الشعب، فقد جاءوا إلى موسى قائلين: «دعنا نرسل رجالا قدامنا ليتجسسوا لنا الأرض». فلم يثقوا في كلمة الله بأنها أرض جيدة. وكم كانت حماقة منهم أن يرسلوا رجالا ليتجسسوا أرضا سبق أن تجسسها الله لهم. وهكذا نحن ندمر أنفسنا بالثقة في التقارير والعروض الحسية بأكثر مما نثق في الإعلان الإلهي، فنسير بالعيان لا بالإيمان. وإذ عرض الشعب هذا الاقتراح على موسى، فقد قام بدوره باستشارة الله في الأمر، فطلب الله منه أن يلبي رغبة الشعب بالنسبة لهذا الموضوع، وأن يرسل جواسيس قبلهم. ليسيروا بحسب مشورتهم.

ثانيا: الأشخاص الذين عُينوا لاستخدامهم في هذه المهمة (ع ٤- ١٦). اختير رجل واحد من كل سبط، حتى يبدو وكأن الشعب بصفة عامة هو الذي قام بهذا العمل. واستُهدف بذلك الصالح العام. غير أن الذي حدث هو أنه كان له تأثير عكسي لأن الشعب صدَّق الرجال الذين قدموا تقريرا سيئا، الأمر الذي أصابهم بالإحباط. ويعتقد البعض أنه قد جاء ذكرهم جميعا من أجل الرجلين الصالحين اللذين كانا بينهم، وهما كالب ويشوع. ولقد ذُكرت الملحوظة الخاصة بتغيير اسم هوشع إلى يشوع بهذه المناسبة (ع ١٦). فالاسم الذي كان يُنادى به، ويُعرف به بصفة عامة في سبطه هو «هوشع»، لكن موسى دعاه «يشوع»، بل وأمر الآخرين أيضا أن ينادوه بهذا الاسم- والاسم «هوشع» يعني صلاة من أجل الخلاص «لعلك تخلص»، أما «يشوع» فيعني وعدا بالخلاص «سوف

يخلص» استجابة لتلك الصلاة، فالعلاقة وثيقة جدا بين الصلوات والوعود. فالصلوات تُرفع من أجل الوعود، والوعود توجه الصلوات وتُشجعها. و«يسوع» هو نفس الاسم «يشوع»، وهو اسم ربنا يسوع المسيح، والذي كان يشوع رمزا له باعتباره خليفة موسى، قائد بين إسرائيل، والمنتصر في الحروب. وكان يشوع هو مُخلِّص شعب الله من قوى كنعان، غير أن المسيح هو مخلصهم من قوى الجحيم.

ثالثا: التعليمات التي صدرت لهؤلاء الجواسيس: لقد أُرسلوا إلى أرض كنعان لمعاينة حالتها الراهنة (ع ١٧). وقد وُجه لهم سؤالان أساسيان:

(١) بخصوص الأرض نفسها: «كيف هي الأرض... أجيدة أم ردية»، «أسمينة أم هزيلة» (ع ٢٠). وقد كان موسى نفسه على قناعة تامة بأن الأرض جيدة جدا، ولكنه أرسل هؤلاء الجواسيس ليأتوا بتقرير عنها بغية إرضاء الشعب.

(٢) بخصوص السكان: عددهم، هل هم كثيرون أم قليلون- حجمهم ووضعهم، هل هم أقوياء قادرون أم ضعفاء.

رابعا: أرسل موسى الجواسيس للقيام بهذه المهمة: «وتشددوا فخُذُوا من ثمر الأرض»، مُلمحا إلى أنه عليهم أن يأتوا بتقرير طيب للشعب، وأن يبذلوا قصارى جهدهم لإتمام المهمة.

عدد ٢١- ٢٥

نقرأ هنا تقريرا موجزا قدمه الرجال الذين تجسسوا أرض الميعاد.

(١) جالوا فيها كلها، من برية صين في الجنوب إلى رحوب على مقربة من حماة، في الشمال (ع ٢١، انظر سفر العدد ٣٤: ٣، ٨). فقط قسموا أنفسهم على عدة مجموعات، وبذلك كانوا كمسافرين عاديين لم يشُك فيهم أحد.

(٢) اهتموا بحبرون بصفة خاصة (ع ٢٢)، ولعل السبب أنه على مقربة منها يقع حقل المكفيلة، حيث دُفن الآباء (تك ٢٣: ١٩). وقد قاموا بزيارة خاصة لهذه المقبرة، ووجدوا أن المدينة المتاخمة يتملكها بنو عناق. وفي حين أن أجدادهم خولت لهم ملكية الأرض، إلا أن وجود بني عناق أبعدت ملكيتهم لها.

(٣) أحضروا معهم عنقودا من العنب، وبعضا من الفواكة الأخرى التي تجود بها هذه الأرض، كدليل على الجودة العالية التي تتمتع بها هذه الأرض. والمكان الذي أخذوه منها اسمه وادي أشكول (عنقود من العنب)، على اسم ذلك العنقود الشهير الذي كان بالنسبة لإسرائيل يمثل الوعد والنموذج الذي يشير إلى جميع فاكهة أرض كنعان.

عدد ٢٦- ٣٣

عاد الجواسيس أخيرا، ولكنهم اختلفوا حول تقريرهم.

أولا: غالبيتهم أحبطوا الشعب من جهة التقدم نحو كنعان.

(١) ويُلاحظ بالنسبة لتقريرهم:

أ. لم يستطيعوا إنكار أن الأرض مثمرة جدا، وعنقود العنب الذي أتوا به معهم كان دلالة واضحة على ذلك (ع ٢٧). ومع ذلك فسرعان ما ناقضوا أنفسهم، حين قالوا: «الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها» (ع ٣٢). والبعض يعتقد أنه كان هناك وباء في الأرض تزامن مع وقت تجسسهم لها. وبدافع من الحسد عللوا ذلك بأن الهواء هناك غير صحي، وهكذا وجدوا فرصة للانتقاص من قدر هذه الأرض، إلا أنهم:

ب. وصفوا غزوها بأنه أمر غير عملي على الإطلاق، ولا طائل من ورائه، وما من شيء خدموا به أهدافهم الشريرة قدر وصفهم لبني عناق، حيث بالغوا في تقدير قوتهم. وكان قرارهم: «لا نقدر أن نصعد إلى الشعب» (ع ٣١)، وعلى هذا يتعين التفكير في نهج سبيل آخر.

(٢) والآن، حتى لو أنهم أصدروا حكمهم اعتمادا على المعايير البشرية وحدها، فلا يمكن إعفائهم من تهمة الجبن. ألم تكن جيوش إسرائيل كبيرة العدد؟ رجال لهم فاعليتهم، منظمون ومدربون، متحدون ومتماسكون، ومترابطون بحكم المصلحة المشتركة والميول الواحدة. أما موسى، قائدهم العام،

الذي كان يتميز بالحكمة والشجاعة، فقد رأى أنه إذا توافرت العزيمة والشجاعة للشعب، فما الذي يستطيع أن يقف في سبيلهم؟

(٣) غير أنه، على الرغم من أنهم كانوا يستحقون أن يُوسموا بالجبن، إلا أن هذا لم يكن أسوأ ما في الأمر، فلقد وُصفوا في الكتاب المقدس بأنهم غير مؤمنين.

أ. كانت لديهم علامات وجود الله معهم. وإذا احتجوا بأن الكنعانيين كانوا أقوى من إسرائيل، وإذا سلمنا بهذا جدلا. فهل هم أقوى من إله إسرائيل؟ المدن حصينة لا نستطيع دخولها، ولكن أهي هكذا بالنسبة للسماء؟ وفضلا عن هذا...

ب. كانوا قد اختبروا تماما طول ذراع الله وقوتها، كيف ارتفعت وعملت لصالحهم. ألم يكن المصريون أشد منهم قوة مثلما هو الحال بالنسبة للكنعانيين؟ ومع ذلك وبدون سيف واحد، أو ضربة واحدة، غرقت مركبات المصريين وخيولهم وهلك جيش فرعون بكامله، كذلك عماليق هُزموا أيضا.

ج. كانت لديهم وعود خاصة بالنصر والنجاح في حروبهم ضد الكنعانيين، فقد أعطى الله لإبراهيم كل التأكيدات الممكنة بأنه سيملك ذريته أرض كنعان (تك ١٥ : ١٨؛ ١٧ : ٨). وقد وعدهم صراحة على يد موسى بأنه سيطرد «الكنعانيين...» من أمامهم (خر ٣٣ : ٢)، وأنه «قليلا قليلا» يطردهم من أمامهم (خر ٢٣ : ٣٠). وبعد كل هذا، هل كان يحق لهم القول: «لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا» لأنهم بذلك يعنون أن الله نفسه لن يستطيع تنفيذ وعده.

ثانيا: شجعهم كالب على الذهاب، على الرغم من أنه لم يسانده سوى يشوع فقط: «لكن كالب أنصت الشعب» (ع ٣٠). وكالب معناه: «قلب شجاع»، وكان اسما على مسمى، فقد كان شجاعا، وكان بوسعه أن يبث الشجاعة في الشعب لو أنهم أصغوا إليه.

(١) تحدَّث بكل ثقة في النجاح: «لأننا قادرون عليها»، على الرغم من قوتهم.

(٢) حث الشعب على التقدُّم، وإذا كان يرغب في أن يكون في المقدمة فمن ثَمَّ تحدَّث كشخص مصمم على أن يقودهم بكل شجاعة: «إننا نصعد»، «نصعد ونمتلكها».

الأصحاح الرابع عشر

يروي لنا هذا الأصحاح الخصام الخطير الذي نشب بين الله وإسرائيل في ذلك الحين بسبب تذمرهم وعدم إيمانهم، وقد أقسم في غضبه ألا يدخلوا في موضع راحته، ونجد هنا:

أولا: تمرُّد إسرائيل وعصيانهم ضد الله، وذلك استنادا إلى التقرير الذي جاء به الجواسيس الأشرار (ع ١– ٤).

ثانيا: المحاولة الفاشلة التي قام بها موسى وهارون، وكالب ويشوع، لإخماد التذمر (ع ٥– ١٠).

ثالثا: الله في غضبه وعدله هدد بفنائهم لإهانتهم له (ع ١١ و١٢).

رابعا: تشفع موسى بكل اتضاع من أجلهم (ع ١٣– ١٩).

خامسا: تخفيف الحكم استجابة لصلاة موسى، لن يبادوا كلهم، لكن الحكم سيظل كما هو مؤكدا بقسم، وأعلن لكل الشعب مرارا وتكرارا، بأن كل هذه المجموعة ستهلك في البرية، ولن يدخل أحد منهم أرض كنعان سوى كالب ويشوع فقط (ع ٢٠– ٣٥).

سادسا: الموت الفوري للجواسيس الأشرار (ع ٣٦– ٣٩).

سابعا: التوبيخ الذي وُجه لأولئك الذين حاولوا التقدم رغم هذا (ع ٤٠– ٤٥). وقد كُتب هذا من أجل إنذارنا، حتى لا نسير على نهج غير المؤمنين.

عدد ١ – ٤

الأذى الذي نجم عن التقرير المجحف الذي قدمه الجواسيس الأشرار:

أولا: كيف تملك الانزعاج من الشعب: «فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب» (ع ١)، حيث أضفوا المصداقية على تقرير الجواسيس وليس على كلمة الله. والذين يبكون مع عدم وجود ثَمة ما يدعوهم إلى ذلك، يستحقون أن يلحق بهم ما يدفعهم إلى البكاء!

ثانيا: كيف قاوموا رؤساءهم- تذمروا «على موسى وعلى هارون...»، وهم بتوبيخهم لهما إنما كانوا في الواقع يوبخون الرب (ع ٢ و٣). وجماعة الشيوخ هي التي بدأت التبرم والضجر (ع ١).

(١) رجعوا بفكرهم إلى الماضي وأظهروا سخطهم دونما سبب. وتمنوا لو أنهم ماتوا في مصر. مع أنهم لن يقضوا شهورا عديدة أبهج من تلك التي أعقبت خروجهم من مصر. ويا لها من نفوس مهينة تلك التي كانت لهؤلاء الإسرائيليون الفاسدون، الذين تمنوا لو أنهم ماتوا في البرية.

(٢) تطلعوا إلى المستقبل في يأس لا أساس له، إذ اعتبروه أمرا مُسلما به (ع ٣) أنهم لو تقدموا نحو كنعان فإنهم لابد وأن يقضوا نحبهم بالسيف. وهنا نجد تجديفا بالغ الشر على الله نفسه، كما لو أنه أتى بهم إلى هنا حتى تصير زوجاتهم وأطفالهم -هؤلاء المساكين الأبرياء- غنيمة.

ثالثا: كيف أنهم توصلوا أخيرا إلى هذا القرار اليائس، ألا وهو أنهم عوض التقدم صوب كنعان، يرجعون ثانية إلى مصر: «أليس خيرا لنا أن نرجع إلى مصر... نقيم رئيسا ونرجع إلى مصر».

(١) كانت أكبر حماقة في العالم أن يتمنوا لو أنهم كانوا في مصر، أو الاعتقاد بأنهم لو كانوا هناك، لكان حالهم أفضل مما هو الآن.

(٢) كان أمرا منافيا للعقل وسخيفا أن يتحدثوا عن العودة إلى هناك عبر البرية. أحيانا نتوجس الشر، ونشكو من مكاننا ونصيبنا، ونرغب في الانتقال، ولكن هل يوجد مكان أو حالة في هذه العالم تخلو من شيء يحملنا على القلق مادمنا نحن نميل إلى هذا الشعور؟ والسبيل إلى تحسين حالنا هو أن نضع أنفسنا في حالة نفسية أفضل، وبدلا من أن نسأل: أليس من الأفضل لنا أن نعود ثانية إلى مصر؟ علينا أن نسأل أليس من الأفضل لنا أن نكون قانعين، وأن نرى الخير فيما هو متاح لنا؟

عدد ٥- ١٠

تدخل هنا أصدقاء إسرائيل لإنقاذهم من دمار أنفسهم إذا أمكن، ولكن دون جدوى.

أولا: استُخدمت أفضل المحاولات لإسكات التذمر.

(١) كانت جلبة الشعب وصراخه عاليان حتى إنهم لم يسمعوا صوت موسى وهارون، ومن ثَمَّ، فلكي يجذبا انتباه كل الجماعة، خرا على وجهيهما، وهما بهذا عبرا عن:

أ. صلواتهما الخاشعة لله ليسكت تذمُّر الشعب.

ب. اضطرابهما البالغ وقلقهما. لقد خرا على وجهيهما كرجال أخذتهما الدهشة والذهول، وتعجبا من شعب يطيح برحمة الله به ونعمته عليه- أما الذي قالاه للشعب فقد سرده موسى في تكراره لهذه القصة في تثنية ١: ٢٩ و٣٠ «لا ترهبوا... الرب إلهكم... يحارب عنكم».

(٢) أدى كالب ويشوع واجبهما، فقد مزقا ثيابهما في غضب مقدس لخطية الشعب، وفي خوف من غضب الله الذي استشعراه على أهبة الاستعداد لينصب عليهم. وما كانت هناك حجة أكثر تأثيرا وقوة من حجتهما (ع ٧- ٩)، وكانا يتكلمان كمن لهما سلطان.

أ. أكدا لهم جودة الأرض التي تجسساها، وأنها تستحق المجازفة فعلا.

ب. استهانا بالمخاطر التي يبدو أنها تكتنف طريق امتلاكهم الأرض «ولا تخافوا من شعب الأرض» (ع ٩). وأيا كانت الأفكار المرعبة التي لديكم عن هذا الشعب، فإن الأسد ليس بالوحشية التي يُصور بها «لأنهم خبزنا»، أي إنهم وُضعوا أمامنا لنبتلعهم وليس لنحاربهم. وعلى الرغم من أن الكنعانيين يسكنون مدنا حصينة إلا أنهم بلا حماية فقد «زال عنهم ظلهم». لقد اهتم الجواسيس الآخرون بذكر قوتهم، أما هذين الجاسوسين فقد انتبها إلى شرهم، ومن ثَمَّ انتهيا إلى أن الله قد تخلى عنهم، ولهذا فقد «زال عنهم ظلهم»، أي إن الله لن يدافع عنهم أو يحميهم.

ج. بيَّنا لهم أن كل الخطر المحدق لهم إنما هو نابع من تذمرهم، وأنهم سينتصرون على كل أعدائهم لو لم يجعلوا من الله عدوا لهم.

ثانيا: لم يكن ثَمة طائل من وراء كلامهما لأنهم سدوا آذانهم ولم يتقبلوا هذا الكلام المقنع، بل

إنهم في الواقع استشاطوا منه غضبا، وازدادوا سخطا: «ولكن قال كل الجماعة أن يُرجما بالحجارة» (ع ١٠). كان كالب ويشوع يعلمان أنهما كانا يتدخلان من أجل مجد الله، وعلى هذا لم يراودهما الشك بأن الله سيتدخل من أجلهما ومن أجل سلامتهما. ولم يتطرق الإحباط إلى قلبيهما، لأنه في الحال «ظهر مجد الرب»، لكي يبث الرعب والارتباك في صفوف أولئك الذين كانوا يرغبون في أن يرجموا خدام الله.

عدد ١١ – ١٩

أولا: حين «ظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع»، حينئذ عرف موسى أنها دعوة له لأن يذهب ويخدم هناك. وتتضمن هذه الفقرة ما قاله الله له هناك:

(١) عرفه بالشر العظيم الناجم عن خطية الشعب (ع ١١). ولقد أبلغ الله موسى بأمرين أثارا غضبه:

أ. خطيتهم: هذا الشعب «يهينني»، أو (بحسب ما تعنيه الكلمة) لقد رفضوني وعيروني واحتقروا اسمي، وذلك لأنهم «لا يصدقونني». إن عدم إيمانهم هو الذي نجم عنه «يوم التجربة في القفر» (عب ٣: ٨).

ب. استمرارهم في الخطية: «وحتى متى لا يصدقونني». كم من مرات صنع الله معنا عظائم، ونهينه بعدم ثقتنا فيه.

(٢) عرفه بالحكم الذي أصدرته العدالة ضدهم بسبب ذلك (ع ١٢). ماذا يتبقى الآن سوى أن أقضي عليهم قضاء مبرما؟ هم يتمنون أن يموتوا، فليموتوا إذاً، ولن يُبقى لهم أصلا ولا فرعا.

ثانيا: تشفع موسى بخشوع من أجلهم:

(١) صلاة تضرعه تضمنت كلمة واحدة «اصفح»، «اصفح عن ذنب هذا الشعب» (ع ١٩)، أي لا تنزل بهم عقوبة الهلاك التي يستحقونها. وكانت هذه أيضا صلاة المسيح من أجل الذين صلبوه: «يا ابتاه اغفر لهم».

(٢) الحجج كثيرة وقد عرضها بقوة:

أ. أصر بشدة على الحجة القائمة على مجد الله (ع ١٣– ١٦). إذا ما هلك كل هذا الشعب الذي قام بهذا التذمر الشديد، وإذا انتهت خططهم العظيمة إلى لا شيء، وانطفأ سراجهم، سيتحدثون عن ذلك بفرح في جت، ويعلنون ذلك في شوارع أشقلون، وكيف سيفهم الوثنيون ذلك؟ إنه لمن المستحيل أن يفهموا أن ذلك جاء عقوبة ناجمة عن عدل الله، بل سيعزون ذلك إلى فشل قوة الله.

ب. أقام رجاءه على إعلان الله لاسمه في حوريب: «لتعظم قدرة سيدي» (ع ١٧ و١٨). ولكي يعطي التماسه قوة، أشار إلى ما تكلم به الله: «الرب طويل الروح كثير الإحسان». وصلاح الله سبق أن وُصف هناك على أنه مجده، وقد تمجَّد الله بذلك (خر ٣٤: ٦ و٧). وهو يصلي الآن بأن يتمجد الله في هذه المناسبة. وهو لم يطلب من الله ألا يؤدبهم، بل ألا يحرموا من ميراثهم.

ج. ذكر تجارب سابقة: «اصفح عن ذنب هذا الشعب... كما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى ههنا» (ع ١٩). لقد اعتبر موسى هذه حجة قوية «اصفح... كما غفرت». لن يكون من شأن ذلك أن تُنتقد عدالتك، بل ولن يقلل ذلك من تمجيد رحمتك إذا ما غفرت الآن، كما حدث في الماضي.

عدد ٢٠– ٣٥

استجابة الله لصلاة موسى، والتي اتسمت بالرحمة والعدل:

أولا: تم التخفيف من شدة العقوبة (ع ٢٠). ونرى هنا كيف أن الله يدعم ويشجع تشفعاتنا من أجل الآخرين، وأننا في الصلاة يجب أن نهتم بالصالح العام. فها هي أمة تُنقذ كلها من الدمار نتيجة صلاة فعالة رفعها إنسان واحد بار.

ثانيا: كان تمجيد اسم الله، على وجه العموم– هو الهدف الذي تم الاستقرار عليه (ع ٢١). ولقد أظهر موسى في صلاته اهتماما عظيما بمجد الله. وسوف يرى العالم كله كيف أن الله يكره الخطية حتى في شعبه، وسوف يحاسب عليها، ومع ذلك سيلمسون مدى نعمته ورحمته، وكيف أنه بطيء الغضب. وهكذا حين صلى مخلصنا قائلا: «أيها الآب مجد اسمك»، جاء الرد في الحال: «مجدت وأمجد أيضا» (يو ١٢: ٢٨).

ثالثا: تفاقم خطية هذا الشعب التي أغاظت الله وجعلته يعاقبهم (ع ٢٢، ٢٧):

(١) جربوا الله– جربوا قوته. لقد جربوا عدالته، هل سيستاء من تذمراتهم ويعاقبهم أم لا.

(٢) تذمروا عليه وقد تكرر هذا (ع ٢٧).

(٣) ارتكبوا هذه الخطية على الرغم من المعجزات التي عملها الله من أجلهم في مصر وفي البرية (ع ٢).

(٤) كرروا تذمراتهم عشر مرات، أي أنهم كثيرا ما كانوا يفعلون ذلك.

رابعا: الحكم الذي صدر عليهم نتيجة هذه الخطية.

(١) لن يروا أرض الميعاد (ع ٢٣): «لن تدخلوا الأرض» (ع ٣٠). فوعد الله سيتحقق لأولادهم وليس لهم.

(٢) يرتحلون «إلى القفر» فورا (ع ٢٥). فحركتهم التالية ستكون تقهقرا.

(٣) كل الذين وصلوا الآن سن الرشد سوف يموتون في البرية، ولكن ذلك لن يتم دفعة واحدة بل بصفة تدريجية. لقد تمنوا لو أنهم يموتون في القفر، وقد حقق لهم الله رغبتهم الحارة هذه.

(٤) تنفيذا لهذا الحكم سوف يتيهون في البرية ذهابا وإيابا، مثل مسافرين ضلوا طريقهم، وذلك لمدة أربعين سنة:

أ. لعلهم بهذا يتوبون، ويجدون رحمة لدى الله في العالم الآخر، بغض النظر عما يحدث لهم في هذا العالم.

ب. حتى يلمسوا بطريقة مادية مدى الخطورة التي تحيق بشعب الله إذا ابتعدوا عنه. لأن الله لا يتخلى عن أحد إلا منْ يترك الله هو أولا.

ج. في هذه الفترة سيولد جيل جديد، الأمر الذي لا يمكن أن يتحقق بشكل فجائي. وإذ ينشأ الأولاد وهم يلمسون غضب الله على آبائهم، فقد يشكل ذلك إنذارا لهم بألا يسيروا على نهج آبائهم في عصيان الله.

خامسا: الرحمة التي امتزجت بهذا الحكم الصارم:

(١) رحمة بكالب ويشوع، فإنه على الرغم من أنهما سيشاركان البعض في التيه في البرية، إلا أنهما– هما وحدهما– ممن تعدوا الآن سن العشرين، سوف يبقيان على قيد الحياة بعد سنوات العقوبة، ويعيشان حتى يدخلا أرض كنعان. وجاء الحديث عن كالب فقط (ع ٢٤)، وقد تم الثناء عليه بصفة خاصة من ناحية:

أ. السمة التي وُصف بها: «كانت معه روح أخرى»، مختلفة عما كان عليه بقية الجواسيس، «روح أخرى»، يمده بخواطر مختلفة، ثم إنه اتبع الله «تماما»، دأب على عمل واجبه، ولم يتوان عن القيام به، على الرغم من نبذه وتهديده، وكذلك...

ب. بالنسبة للمكافأة التي وُعد بها: «أدخله إلى الأرض التي ذهب إليها». وحين ذُكر كالب مرة ثانية (ع ٣٠) كان يشوع إلى جانبه، محاطا بنفس الامتيازات، وخُلعت عليه نفس الأمجاد، إذ إنه لازمه في نفس الخدمات.

(٢) لم يمنع رحمته بأبناء هؤلاء المتمردين. فسوف يحفظ الله لهم أطفالهم، وقد وُعدت أرض كنعان أن تُعطى لهم: «وأما أطفالكم (الذين هم الآن تحت سن العشرين)، الذين قلتم (في عدم إيمانكم) يكونون غنيمة فإني سأدخلهم» (ع ٣١).

عدد ٣٦– ٤٥

أولا: الموت المفاجئ للعشرة جواسيس الخائنين. وبينما كان الحكم يصدر على الشعب، وقبل إعلانه فقد ماتوا «على الأرض بالوباء أمام الرب» (ع ٣٦ و٣٧).

(١) هم أنفسهم أخطأوا، وذلك بالافتراء على أرض الميعاد والحط من قدرها. ويُلاحظ أن الذين يسيئون إلى الديانة، أو يجلبون العار عليها، أو يحملون الناس على التحيز ضدها، أو يشجعون من يريدون انتقاد الديانة على ذلك، إنما يثيرون غضب الله وسخطه عليهم.

(٢) جعلوا إسرائيل يخطئ. إذ إنهم جعلوا كل الجماعة تتذمر على الله، عن عمد وقصد.

ثانيا: حُفظت حياة كالب ويشوع بصفة خاصة. «فعاشا» (ع ٣٨).

ثالثا: إعلان الحكم على جميع الشعب (ع ٣٦). أخبرهم عن ماهية الحكم الذي صدر ضدهم،

والذي لا يمكن نقضه، وهو أنه لابد وأن يموتوا جميعا في البرية، وأن كنعان ستُحفظ للجيل التالي.

رابعا: المحاولات الغبية العقيمة التي قام بها بعض الإسرائيليين لدخول أرض كنعان على الرغم من هذا الحكم.

(١) أخذتهم اللهفة الآن على التقدم نحو كنعان (ع ٤٠). فقد قاموا مبكرا، واستجمعوا كل قواهم، وتشكلوا في كيان واحد، والتمسوا من موسى قيادتهم ضد العدو. غير أنه، على الرغم من أن الله تمجد لتغيير فكرهم، إلا أنهم لم يستفيدوا من ذلك، لأنه كان قد فات أوان الرجوع عن حماقتهم.

(٢) رفض موسى خطتهم بشكل قاطع، ومنعهم من القيام بما يفكرون فيه: «لا تصعدوا» (ع ٤١– ٤٣). وحذرهم من خطر هذه المحاولة «لأن العمالقة... هناك قدامكم» لمهاجمتكم «فالرب لا يكون معكم» لحمايتكم والحرب من أجلكم، ولذلك عليكم بحث هذا الأمر بأنفسكم «لئلا تنهزموا أمام أعدائكم». والذين لا يلتزمون بواجبهم لا يتمتعون بحماية الله، ويذهبون إلى حتفهم بأرجلهم.

(٣) وعلى الرغم من ذلك قاموا بهذه المخاطرة. ولم يسبق أن كان هناك شعب على هذا النحو من العناد، والتصميم وهم على هذا القدر من اليأس في العمل ضد مشيئة الله. فقد سمح لهم الله بأن يذهبوا، ولكنهم رفضوا، وعاد الله ومنعهم، ولكنهم ذهبوا.

(٤) قامت الحملة على نحو من السرعة (ع ٤٥). لقد تمركز العدو على قمة الجبل، وذلك ليسدوا الطريق أمام الغزاة، وإذا أخبرهم كشافوهم باقتراب الإسرائيليين، قاتلوهم وهزموهم. ومن المحتمل أنه تم قتل كثيرين من اليهود في هذه المغامرة.

الأصحاح الخامس عشر

هذا الأصحاح الذي يتناول في معظمه ناموس الذبيحة والتقدمة يتوسط قصة تمردين (الأول ورد في الأصحاح ١٤، والثاني في الأصحاح ١٦)، وذلك لبيان أن هذه الفرائض الشرعية كانت رمزا للعطايا التي سيقبلها المسيح حتى من أجل المتمردين (مز ٦٨: ١٨). في الأصحاح السابق، وبناء على تذمرات إسرائيل، قرر الله أن يدمرهم، وكعلامة على غضبه حكم عليهم بالموت في البرية. غير أنه حين تشفع موسى من أجلهم قال الرب: «قد صفحت»، وكعلامة على هذه الرحمة، نراه في هذا الأصحاح يكرر ويشرح بعض التشريعات المتعلقة بالذبائح والتقدمات، لكي يبين أنه تصالح معهم. ونجد هنا:

أولا: الشريعة الخاصة بالتقدمة (ع ١– ١٢)، سواء بالنسبة للإسرائيليين أو الغرباء (ع ١٣– ١٦)، وشريعة خاصة بتقديم رفيعة من خبز الأرض (ع ١٧– ٢١).

ثانيا: الشريعة الخاصة بتقديم ذبائح عن خطايا السهو (ع ٢٢– ٢٩).

ثالثا: العقوبات الخاصة بالخطايا التي تعمل عن عمد (ع ٣٠ و٣١)، وقد عرض مثال لشخص كسر وصية حفظ السبت (ع ٣٢– ٣٦).

رابعا: شريعة بخصوص عمل أهداب في أذيال ثيابهم، كتذكار لهم (ع ٣٧– ٤١).

عدد ١– ٢١

أولا: تعليمات مفصلة بخصوص تقدمات القمح والخمر الزائدة (النوافل) على جميع الذبائح الحيوانية. وبداية هذا التشريع مشجعة للغاية: «متى جئتم إلى أرض مسكنكم»، وإذا عملتم كذا وكذا (ع ٢). نرى في هذا دلالة واضحة، ليس على أن الله قد تصالح معهم فحسب، بل أنه يضمن إعطاء أرض الميعاد لأبنائهم أيضا. أما الغرض من هذا التشريع فهو توجيه العلاقة بين قربان التقدمة وسكيب الخمر وبقية الذبائح الأخرى التي أضيفت إليها.

ثانيا: أُعتبر الوطنيون والغرباء هنا متساويين، في هذا كما في الأمور الأخرى (ع ١٣– ١٦): «شريعة واحدة وحكم واحد يكون لكم وللغريب»، أي الغريب الذي اعتنق الديانة اليهودية، ومما يجدر ذكره:

(١) هذه دعوة للأمميين لكي يتوبوا، وأن يؤمنوا بالإله الحقيقي ويعبدوه. كان هناك اختلاف في الأمور المدنية بين الغرباء وبين الإسرائيليين بالمولد، ولكن ليس هكذا الحال في الأمور المختصة بالله.

(٢) يشكل هذا التزاما على اليهود بأن يكونوا لطفاء مع الغرباء، ولا يضطهدونهم حين يرونهم وقد اعترف بهم الله وقبلهم. والشركة في الديانة تحتم أن تُلغي كل عداوة. وكانت هذه نبوءة سعيدة بدعوة

الأمميين، وقبولهم في الكنيسة. وإذا كان الناموس لم يعمل فرقا بين اليهود والأمميين، فكم بالحري الإنجيل الذي حطم حائط السياج المتوسط، وصالح الاثنين إلى الله في ذبيحة واحدة، دون حفظ الطقوس الناموسية.

ثالثا: شريعة لتقديم رفيعة للرب من أول عجينهم من خبز الأرض. وهذه الشريعة كسابقتها تفترض تحقيق الهدف السعيد وهو دخولهم «الأرض» التي سيأتي بهم الرب إليها (ع ١٨). لأنه لا يكفي هنا أن يقدموا له أبكار غلاتهم وعشور حنطتهم التي في الحقل فقط، بل حين ينقلونه إلى بيوتهم، ويعملونها عجينا، وحين تكاد تصبح جاهزة على موائدهم، يجب أن تُقدم لله تقدمة أخرى، وهي جزء من طعامهم (ع ٢٠ و٢١)، ويجب أن يأخذها الكاهن لإعالة أسرته. وبهذا عليهم أن يعترفوا باتكالهم على الله من أجل خبزهم اليومي. وقد علمنا المسيح أن نصلي ليس من أجل أن يعطينا محصول هذه السنة، ومحصول كل سنة، بل «خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم».

عدد ٢٢ – ٢٩

تتضمن هذه الفقرة الذبائح الخاصة بخطايا السهو، ويفهم اليهود على أنها تتعلق بالوثنية، والعبادة الزائفة، الناجمة عن أخطاء معلميهم. وإذا أهملوا في التقدمات، عليهم أن يقدموا تقدمة كفارة، على الرغم من أن السهو جاء نتيجة نسيان أو خطأ.

عرضت حالة خطية ارتكبتها الجماعة كلها، وارتكبت نتيجة السهو، وأصبحت عادة بسبب خطأ مشترك (ع ٢٤). فإذا ظهر أنه كان ثَمة إهمال عام لتلك الوصية، هنا يتحتم تقديم ذبيحة عن كل الجماعة. كما افترض أنها حالة شخص بذاته، فهنا تُعمل الكفارة «عن النفس التي سهت عندما أخطأت بسهو» (ع ٢٨) وخطايا السهو تُغفر بواسطة المسيح الذبيحة العظمى، الذي حين قدم نفسه مرة من أجل الجميع على الصليب، شرح القصد من تقديم نفسه ذبيحة وذلك في صلاته: «يا ابتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». ويبدو أن الرسول بولس يشير إلى هذه الشريعة الخاصة بخطايا السهو (١تي ١: ١٣): «ولكنني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمانٍ». وجاء الأمر مترفقا بالأمميين أن شريعة الكفارة هذه الخاصة بخطايا السهو جاءت صريحة بأنها تشمل أولئك الذين كانوا أجنبيين عن رعوية إسرائيل (ع ٢٩)، ولكنهم ممن تجددوا وعرفوا طريق البر. وهكذا وصلت بركة إبراهيم إلى الأمميين.

عدد ٣٠ – ٣٦

أولا: الحكم العام الذي صدر ضد الخطاة العتاة. هؤلاء يجب اعتبارهم خطاة متبجحين، يرتكبون الخطية «بيد رفيعة»، بحسب ما وُصفت في آية ٣٠، أي التي تحارب الله، وتتحداه أن يعمل كل ما في وسعه (انظر أيوب ١٥: ٢٥). فالخطية المتعمدة تنسب حماقة إلى الحكمة الأزلية، وظلما إلى القاضي العادل الذي هو قاضي السماوات والأرض، وهذا هو شر الخطية المتعمدة. والحكم الذي صدر على هذه النوعية هو حكم رهيب، وليست هناك ذبيحة من أجل هذه الخطايا، فالناموس لم يقدم شيئا.

ثانيا: قُدم مثال خاص بكسر وصية السبت عن عمد. وكانت الخطية هي جمع حطب في يوم السبت (ع ٣٢)، ومن المحتمل أن ذلك كان بهدف إشعال نار، في حين أن الوصية كانت تنص على أن يخبزوا ويطهوا ما يحتاجونه في اليوم السابق (خر ١٦: ٢٣). ويبدو من سياق الكلام أن ذلك تم عمدا وتبجحا، وتحديا للناموس ومعطي الناموس. ويبدو أنه حتى الإسرائيليون العاديون، وعلى الرغم من ارتكابهم أخطاء كثيرة، إلا أنهم لم يكونوا يقبلون تدنيس السبت. وسبق أن جعل الناموس تدنيس السبت جريمة كبرى (خر ٣١: ١٤؛ عد ٣٥: ٢)، غير أنهم كانوا في شك، سواء من ناحية الخطية (هل ما فعله يُعد تدنيسا للسبت أم لا)، أو بالنسبة للعقوبة، أية ميتة يجب أن يموتها. ولقد صدر الحكم، لقد اعتُبر المتهم بأنه قد كسر السبت، وذلك طبقا للقانون، وبناء على ذلك يجب أن يلقى الموت، ومن أجل بيان مدى شناعة الخطية، وكيف أنها تغضب الله، ولكي يسمع الآخرون ويخافون ومن ثَمَّ لا يرتكبون خطية مماثلة عن عمد، فقد تعين أن يموت ميتة تعتبر مروعة تماما: «يرجمه بحجارة كل الجماعة» (ع ٣٥). ونلاحظ من هذا أن الله غيور على كرامة سبوته، ولا يمكن أن يُعد غير

آثم، أيا كان ما يعمله الإنسان، الذي يدنسها. وقد تم إعدامه طبقا لمنطوق الحكم (ع ٣٦). «فأخرجه كل الجماعة... ورجموه بحجارة». وقد استُخدم أكبر عدد ممكن من الناس لتنفيذ الحكم، حتى يخشى كسر السبت على الأقل أولئك الذين قام كل منهم بإلقاء حجر على هذا الرجل الذي كسر السبت. وهذا ما يظهر أن تدنيس السبت بشكل علني يشكل خطية يجب معاقبتها وكبحها بمعرفة السلطة المدنية والتي تُعد مسئولة عن حفظ وصايا اللوحين فيما يختص بالأفعال العلنية (انظر نحميا ١٣ : ١٧). ولعل البعض يعتقد أنه لم يحدث أي ضرر كبير في جمع قليل من الحطب، في أي يوم من الأيام، غير أن الله قصد أن تُوقع عقوبة رادعة على مَنْ يفعل هذا في السبت ليكون هذا إنذارا قائما لنا جميعا حتى ننتبه إلى ضرورة المحافظة على قداسة يوم الرب.

عدد ٣٧- ٤١

عُملت الترتيبات بواسطة الناموس من أجل مغفرة خطايا السهو والضعف، أما الآن فقد رتب الناموس أمرا يساعد على منع مثل هذه الخطايا. فقد أُمروا بأن يصنعوا أهدابا في أذيال ثيابهم، حتى تُذكرهم بواجبهم. والعلامة التي وُصفت هي حاشية من الحرير وعصابة من أسمانجوني لتثبيتها (ع ٣٨). وإذ وُلد مخلصنا تحت الناموس، كان يلبس هذه الأهداب، وهكذا نقرأ عن «هدب ثوبه» (في متى ٩: ٢٠). وقد أطال الفريسيون أهداب ثيابهم حتى يعتقد الناس أنهم أكثر من الآخرين قداسة وتقوى، وحتى ينظر كثيرون إلى زينتهم فيشبع غرورهم، غير أنهم يجب أن ينظروا إليها لتوقظ ضمائرهم لكي يلتزموا بواجبهم. وبعد تكرار بعض الأمور الطقسية يُختتم الأصحاح بشريعة الديانة الجوهرية العظيمة: «وتكونوا مقدسين لإلهكم».

الأصحاح السادس عشر

الفترة الزمنية للأحداث التي تضمنها هذا الأصحاح من الصعب تحديدها. ولعل هذا التمرد حدث بعد انتقالهم من قادش- برنيع. وفور أن أُعطيت هذه التشريعات الجديدة نجد قصة تمرد آخر.

ويتضمن هذا الأصحاح:

أولا: تمرد متبجح وخطير ضد موسى وهارون تزعمه قورح، وداثان، وأبيرام (ع ١- ١٥).

(١) فقد قام قورح ومؤيدوه بتذمر ضد هارون يطالبون بالكهنوت (ع ٣). وقد حاول موسى أن يتفاهم معهم، ثم التجأ إلى الله بغية أن يرشده إلى ما يتخذه حيال هذا النزاع (ع ٤- ١١).

(٢) تشاجر داثان وأبيرام مع موسى، ورفضا أن يلبيا استدعاءه لهما، الأمر الذي ساءه كثيرا (ع ١٢- ١٥).

ثانيا: ظهور هؤلاء المدعين أمام الله، وظهور مجد الرب علانية.

ثالثا: نهاية النزاع وإنهاء التمرد وذلك بالقضاء على المتمردين.

رابعا: تمرد آخر للشعب (ع ٤١- ٤٣).

(١) قضى الله على التمرد بالوباء (ع ٤٥).

(٢) أوقف هارون الوباء بتقديم البخور (ع ٤٦- ٥٠).

طريقة وأسلوب تسجيل هذه القصة يظهران بجلاء أن الاضطراب كان خطيرا.

عدد ١- ١١

أولا: إشارة إلى المتمردين، أسماؤهم وشخصياتهم وكانوا من الرجال البارزين الذين لهم تأثيرهم. وقورح هو الذي قاد هذا التمرد: فقد كوَّن هذه الزمرة وتزعمها. وقد انضم إليه داثان وأبيرام وهما من رجال سبط رأوبين البارزين، أكبر أبناء يعقوب. ولعل ما أساء قورح هو تفضيل هارون عليه وإعطاؤه الكهنوت، وتعيين أليصافان رئيسا للقهاتيين (عد ٣: ٣٠)، ولعل الرأوبينيين كانوا مستائين لأن سبط يهوذا أُعطي النصيب الأكبر من الكرامة في المحلة. وإذ كان هؤلاء أنفسهم من المشهورين، فقد تمكنوا من أن يضلوا «مئتين وخمسين رؤساء الجماعة» ويضموهم إلى المؤامرة (ع ٢).

ثانيا: احتجاج المتمردين (ع ٣). وسبب النزاع هو قسر الكهنوت على هارون وعائلته.

(١) تفاخروا بكبرياء بقداسة الجماعة، ووجود الله فيها. ولم يكن هناك من مبرر أن يتيهوا، ويفخروا بطهارة الجماعة، أو بإحسان الله عليها، عندما كان

الشعب يتدنس بالخطية، وهذا ما حدث في الفترة الأخيرة أيضا.

(٢) اتهموا موسى وهارون ظلما بأنهم اختلسوا لأنفسهم الكرامة مع أنه من الجلي أن دعوتهم كانت من الله لنوال هذا الشرف (عب ٥: ٤)، ويُلاحظ في هذا الصدد:

أ. ما هو الروح الذي يتسم به أولئك الذين يودُون إلغاء الامتيازات الاجتماعية، ويحتقرون السلطات، ويقاومون الحكام الذين أقامهم الله عليهم، إنهم أناس متغطرسون، حاقدون، مثيرو شغب، أشرار، وغير فاهمين.

ب. نوعية المعاملة التي يتوقعها حتى أفضل الناس وأكثرهم نفعا.

ثالثا: كيف تصرف موسى حين واجهوه بهذا الاحتجاج:

(١) «سقط على وجهه» (ع ٤)، وهذا ما سبق أن حدث من قبل (عد ١٤: ٥). لقد توجه إلى الله، من خلال الصلاة، وطلب إرشاده فيما يتحتم عليه أن يقوله ويعمله في هذه المناسبة المحزنة.

(٢) وافق على رفع الأمر إلى الله، وأن يترك له الفصل فيه، كشخص واثق تماما من مصداقية وظيفته، ومع ذلك كان قانعا بأن يتنحى إذا ما رأى الله ذلك، حتى يرضي هؤلاء المتذمرين بمرشح آخر.

(٣) لقد ناقش الموضوع معهم بكل أمانة، حتى يقضي على التمرد عن طريق الإقناع إذا أمكن، وذلك قبل أن تُعرض القضية أمام كرسي العدل الإلهي، لعلمه أنه سيُخزي هؤلاء المتمردون.

أ. دعاهم «بني لاوي» (ع ٧)، وكذلك (في آية ٨) دعاهم لاويين، ومع ذلك كانوا متمردين.

ب. رد الاتهام عليهم. لقد اتهموا موسى وهارون ظلما بأنهم يتظاهرون بأكثر مما يستحقون، مع أنهما لم يفعلا أكثر مما وضع الله على عاتقهما، بل على العكس، فقد قال لهم موسى: «كفاكم يا بني لاوي».

ج. بين لهم المزايا التي يتمتعون بها كلاويين، وكانت كافية بالنسبة لهم، وما كان لهم أن يتطلعوا إلى شرف الكهنوت (ع ٩ و١٠).

د. أدانهم بخطية التقليل من شأن هذه المزايا: «أقليل عليكم؟»

هـ. فسر ثورتهم بأنها تذمر ضد الله (ع ١١)، وفيما كانوا يؤكدون قداسة وحرية إسرائيل الله، إلا أنهم في حقيقة الأمر حملوا السلاح ضد إله إسرائيل: «أنت وكل جماعتك متفقون على الرب».

عدد ١٢ – ٢٢

أولا: عجرفة وصلف داثان وأبيرام، وخيانتهما واحتجاجهما على موسى: ولقد بلغت مسامع موسى ما قاله قورح، وقد رد عليه، بأن بعث يستدعى داثان وأبيرام لكي يعرضا شكواهما (ع ١٢)، ولكنهما لم يلبيا استدعاءه. وبعثا بنود اتهامهما ضد موسى. وكان الإتهام شديدا جدا.

(١) اتهماه بأنه ظلمهم ظلما بينا في إخراجهم من مصر، وبحسد وصفوها بأنها «أرض تفيض لبنا وعسلا» (ع ١٣).

(٢) اتهماه بأنه يتآمر على حياتهم، وأنه قصد أن يميتهم «في البرية».

(٣) اتهماه بأنه يتآمر على حريتهم، وأنه أراد استعبادهم بأن يتسلط عليهم. يتسلط عليهم! يا إلهي ألم يكن أبا حنونا عليهم، بل كان خادمهم المخلص من أجل الرب؟

(٤) اتهماه بأنه خدعهم، حيث أثار توقعاتهم بأرض طيبة، وبعد ذلك خذلهم (ع ١٤): «لم تأت بنا (كما وعدتنا) إلى أرض تفيض لبنا وعسلا». ولكن منْ المخطئ والمتسبب في هذا؟ لقد أوصلهم حتى حدودها، وكان على أهبة الاستعداد، تحت إرشاد الله، أن يملكها لهم، ولكنهم أطاحوا بذلك بعيدا، وأغلقوا الباب في وجوههم، وعلى هذا فعدم وجودهم الآن في كنعان يرجع إلى خطئهم، ومع ذلك يلقون بالتبعة على موسى.

ثانيا: استياء موسى من صلفهما (ع ١٥)، وفي قلقه:

(١) رفع مظلمته إلى الله فيما يتعلق بأمانته، فقد كان الله شاهده.

أ. لم يأخذ منهم أي شيء على الإطلاق: «حمارا

واحدا لم آخذ منهم»، ليس فقط على سبيل الرشوة أو الابتزاز، بل وليس على سبيل المكافأة أو الشكر مقابل كل الأعمال الطيبة التي عملها من أجلهم. لقد كان يملك حين كان يرعى قطيع يثرون أكثر مما كان لديه حين أصبح ملكا في يشورون.

ب. لم يكن سببا في خسارتهم لأي شيء: «ولا أسأت إلى أحد منهم».

(٢) التمس من الله أن يدافع عنه ويبرئه، وذلك بإظهار غضبه على قورح وزمرته حين يرفعون البخور، ومعهم داثان وأبيرام اللذان تحالفا معه. قال موسى للرب «لا تلتفت إلى تقدمتهما».

ثالثا: موضوع النزاع بين موسى ومن يتهمونه.

(١) تحداهم موسى بأن يظهروا مع هارون صباح اليوم التالي عند وقت رفع بخور الصباح، وأن يتركوا الأمر لحكم الله (ع ١٦ و١٧).

(٢) قبل قورح التحدي، وظهر مع موسى وهارون «إلى باب خيمة الاجتماع» ليثبت صحة ادعاءاته (ع ١٨ و١٩) وهكذا «فأخذوا كل واحد مجمرته». ولعل هذه كانت من المباخر التي كان يستعملها رؤساء العائلات في مذابحهم العائلية.

رابعا: عُقدت المحكمة، وترأس القاضي الجلسة، وهدد بإصدار حكم ضد الجماعة كلها.

(١) «فتراءى مجد الرب» (ع ١٩). نفس المجد الذي ظهر حين قلدوا هارون منصبه في البرية (لا ٩: ٢٣)، أما الآن فقد ظهر ليثبته فيه، ولكي يخزي الذين يعارضونه.

(٢) هدد الله بإفناء هذه الجماعة «في لحظة»، ولكي يفعل ذلك طلب من موسى وهارون أن يبتعدا عن هذه الجماعة (ع ٢١).

خامسا: تشفع موسى وهارون بكل خشوع من أجل الجماعة (ع ٢٢).

(١) وضعهم يعكس جدية الأمر «فخرا على وجهيهما» سجودا أمام الله، متوسلين في غيرة وحماسة، رأفة الله. فعلى الرغم من أن الشعب بكل خيانة تخلوا عنهما وانضموا إلى من رفعوا السلاح في وجهيهما، غير أنهما أثبتا أمانتهما في المهمة التي أُوكلت إليهما كرعاة لإسرائيل، كان عليهما أن يقفا في الثغرة حين يشعران أن القطيع في خطر. ومما تجدر ملاحظته أنه إذا ما أخفق الآخرون في واجبهم نحونا، فهذا لا يعفينا من ضرورة عمل واجبنا نحوهم، أو يحملنا على أن نتملص من الالتزامات الملقاة على عاتقنا في العمل من أجل خيرهم.

(٢) كانت صلاتهما صلاة رجاء والتماس، وثبت أنها صلاة ناجحة، ونلاحظ في هذه الصلاة:

أ. اللقب الذي خاطبا به الله: «إله أرواح جميع البشر». ونرى هنا ما هو الإنسان. إنه روح في جسد، نفس يحتويها الجسد، مخلوق مركب بشكل عجيب من سماء وأرض. ونرى هنا ماهية الله: إنه «إله أرواح جميع البشر».

ب. الحجة التي شددا عليها: نفس الحجة التي استخدمها إبراهيم في شفاعته من أجل سدوم (تك ١٨: ٢٣): «أفتهلك البار مع الأثيم» وهذا هو نفس الالتماس الذي استخدمه هنا: هل يخطئ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة؟

عدد ٢٣ – ٣٤

نرى هنا القرار الذي اتُخذ في قضية داثان وأبيرام اللذين ثارا على موسى، كما نرى في الفقرة التالية القرار بالنسبة لقورح وجماعته، الذين يريدون منافسة هارون. ويبدو أن داثان وأبيرام قد أقاما خيمة رحبة في وسط خيام عائلاتهما. حيث كانا يعقدان محكمة، ويجتمعان للتشاور ويرفعان رايات التحدي ضد موسى، وقد أشير إلى ذلك هنا بعبارة «مسكن قورح وداثان وأبيرام» (ع ٢٤، ٢٧).

أولا: صدر إنذار عام للجماعة بالابتعاد فورا عن خيام المتمردين.

(١) كلف الله موسى أن يكلم الجماعة بخصوص هذا الأمر (ع ٢٤). وقد جاء هذا نتيجة صلاة موسى، حيث التمس ألا يسخط الله «على كل الجماعة». والله لا يعد إطلاقا بأن يخلص بالمعجزات أولئك الذين لا يعملون من أجل خلاص أنفسهم بالوسائل المتاحة لهم. وموسى الذي صلى من أجلهم عليه أن يعلمهم هذا، ويحذرهم بأن يهربوا «من الغضب الآتي».

(٢) وبناء على ذلك توجه موسى إلى مقر رئاسة المتمردين، تاركا هارون عند باب الخيمة (ع ٢٥). وكان داثان وأبيرام قد رفضا الذهاب إليه حين استدعاهما (ع ١٢)، ولكنه بكل تواضع تنازل وتوجه إليهما لكي يحاول إقناعهما وردهما إلى الصواب.

(٣) صدر إعلان لجميع الناس على اختلاف مشاربهم. أن يعتزلوا «عن خيام هؤلاء القوم البغاة» (ع ٢٦). على وجه السرعة، وذلك محافظةً على حياتهم.

ثانيا: أخذت الجماعة الإنذار بمحمل الجد، غير أن المتمردين واصلوا عنادهم (ع ٢٧).

(١) والله برحمته، حمل الشعب على أن يتركوا المتمردين.

(٢) والله في عدالته ترك المتمردين في عنادهما وتصلب رقابهما. وهما بكل صفاقة «وقفا في باب خيمتيهما»، كما لو كانا يتحديان الله نفسه، ويقولان له افعل ما في وسعك.

ثالثا: صدر الحكم عليهما باسم الرب– على لسان موسى، وتمت المصادقة على الحكم بتنفيذه بقوة الله القادر على كل شيء.

رابعا: تم تنفيذ الحكم في الحال. وبدا أن الله وموسى عبده كانا يفهمان كل منهما الآخر على أكمل وجه، لأنه ما أن نطق موسى بكلمته، إلا وقام الله بالعمل، و«انشقت الأرض» (ع ٣١)، «وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم» وكل من كان لهم وأموالهم (ع ٣٢)، ثم «انطبقت عليهم» (ع ٣٣). والحكم الذي صدر عليهم:

(١) لم يسبق له نظير.

(٢) كان مروعا للخطاة أنفسهم أن يذهبوا إلى قبورهم أحياء.

(٣) كان الأمر قاسيا بالنسبة لأطفالهم المساكين، على الرغم من أنه ليس بمقدورنا أن نبين على وجه الدقة، كيف كانوا أشرارا ليستحقوا ذلك، أو كيف تصرف الله بصلاحه لكي يعوضهم، إلا أننا واثقون على الرغم من ذلك أن عدالة الله غير المحدودة لم تلحق بهم أي ظلم.

خامسا: انزعجت كل إسرائيل نتيجة هذا الحكم: «وكل إسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم» (ع ٣٤). ويُلاحظ أن دمار الآخرين يجب أن يشكل تحذيرا لنا.

عدد ٣٥– ٤٠

علينا الآن أن نعود ونلقي نظرة على الخيمة، حيث تركنا المدعين بحق الكهنوت ومجامرهم في يدهم وكانوا على أهبة الاستعداد لتقديم البخور، ونجد هنا:

أولا: تم الانتقام منهم (ع ٣٥). ولم تكن هذه العقوبة أقل غرابة أو رعبا، وقد ظهر منها:

(١) إن إلهنا نار آكلة.

(٢) أننا نجلب على أنفسنا الهلاك إذا تدخلنا في أمور لا تخصنا. والله غيور على كرامة فرائضه التي وضعها، ولن يسمح باقتحامها. ولو كانوا قد اقتنعوا بوظيفتهم كلاويين، وهي وظيفة مقدسة ومجيدة، وأكثر مما كانوا يستحقون، لعاشوا وماتوا في سعادة.

ثانيا: كان هناك اهتمام بتخليد ذكرى هذا الانتقام. فقد صدرت الأوامر فيما يتعلق بمجامرهم تتضمن الآتي:

(١) يجب الحفاظ عليها لأنها تقدست. وقد كُلف ألعازار بهذه العملية (ع ٣٧). وقد أُمر ألعازار أن يذري النار، بالبخور الذي اشتعلت به، في موضع غير طاهر خارج المحلة، للإشارة إلى مقت الله لتقدمتهم على اعتبار أنها شيء نجس: «ذبيحة الأشرار مكرهة الرب». غير أن عليه أن يجمع المجامر من الحريق المشتعل بغضب الله «فإنهن قد تقدسن».

(٢) أن تستخدم في خدمة المقدس. فيجب أن تُطرق إلى «غشاء للمذبح» (ع ٣٨– ٤٠). كان مُدعو النبوة هؤلاء يرمون إلى تدمير المذبح، بجعل الكهنوت عموميا مرة أخرى، غير أنه بغية إظهار أن وظيفة هارون لا يمكن أن تهتز بحقدهم العاجز، بل إنها على العكس من ذلك تثبتت، أُستخدمت مجامرهم التي حاولت أن تنافس مجمرته، في الحفاظ على المذبح وتزيينه. وقد حُفظت هذه المجامر كإنذار رعب، حتى يسمع الآخرون ويخافون، فلا يقدموا على فعل مثل هذه الحماقة.

عدد ٤١ – ٥٠

أولا: قامت ثورة أخرى في اليوم التالي مباشرة ضد موسى وهارون. «في الغد» (ع ٤١) تذمرت جماعة الشعب.

(١) على الرغم من أنهم منذ عهد قريب كانوا قد امتلأوا رعبا لرؤيتهم العقوبة التي أُنزلت بالمتمردين. إلا أنهم ارتكبوا نفس الخطايا في استهانة بكل هذه التحذيرات.

(٢) على الرغم من أنهم أُنقذوا منذ فترة بسيطة مضت من تحمل نفس العقوبة، كان الاتهام الذي وجهوه لموسى وهارون خطيرا: «أنتما قد قتلتما شعب الرب». أيمكن أن يُقال شيء أكثر من ذلك ظلما وحقدا؟ كان من الواضح تماما أنه لم يكن لموسى وهارون يد في موتهم (بل بذلا كل ما في وسعهما لإنقاذهم)، ولذلك فإنهم باتهامهما بقتلهم كانوا في الواقع يتهمون الله نفسه. إن الدينونة المرعبة التي حلت على المتمردين تُظهر مدى ضرورة عمل نعمة الله لاحداث تغيير حقيقي في قلوب الناس وحياتهم. فالمحبة تستطيع عمل ما يعجز الخوف عن عمله.

ثانيا: سرعة ظهور الله ضد المتمردين. فبعد أن «اجتمعت الجماعة على موسى وهارون»، ربما بقصد عزلهما من وظيفتهما، أو قتلهما «انصرفا إلى خيمة الاجتماع»، كما لو أن شكوكا ساورتهما أن يلقيا الغضب من قبل الجماعة، وفجأة «تراءى مجد الرب» (ع ٤٢)، وذلك بغية حماية خدامه، وإرباك خصومه وخصومهما ومن يشتكون عليه وعليهما.

ثالثا: تشفع موسى وهارون من أجلهم.

(١) خر موسى وهارون «على وجهيهما»، وبكل خشوع التمسا من الله الرحمة. وسبق أن فعلا هذا الأمر عدة مرات من قبل في مناسبات مماثلة. وعلى الرغم من أن الشعب قابل ذلك بكل قسوة وجحود، إلا أن الله إذ كان برحمته يتقبل توسلاتهما، كانا لا يزالان يلجأن إلى نفس هذه الوسيلة. وهذه هي الصلاة دائما.

(٢) وإذ أدرك موسى أن «الوبأ قد ابتدأ في الشعب»، أي في جماعة المتمردين، فمن ثَمَّ أرسل هارون في إطار سلطته الكهنوتية، لكي يكفر عنهم (ع ٤٦). وللتو ذهب هارون وأوقد بخورا بين الأحياء والأموات، ومن هذا يبدو:

أ. أن هارون كان رجلا طيبا، وأنه كان يكمن محبة صادقة لأبناء شعبه، على الرغم من أنهم كانوا يكرهونه ويحسدونه.

ب. وأن هارون كان رجلا شجاعا للغاية– كان شجاعا من ناحية توجهه إلى جماعة ناقمة عليه، وشجاعا لمغامرته والذهاب إلى حيث كان الوباء منتشرا. فلكي ينقذ حياتهم غامر بحياته، لم يحسبها ثمينة عنده، وكل ما كان يهمه هو القيام بواجبه على أتم وجه.

ج. كان هارون رجلا تقيا، يقضي بين الناس في الأمور المتعلقة بالله. وقد تثبتت هنا تماما دعوته للكهنوت وباتت لا تقبل جدلا أو معارضة.

د. وكان هارون في هذا يرمز إلى المسيح، الذي جاء إلى العالم لكي يكفر عن الخطية.

رابعا: نتيجة هذا الموضوع وما ترتب عليه. أظهر لهم الله ما يستطيع أن يعمله بقوته، وما بوسعه أن يعمله في عدله. ولكنه عندئذ أراهم ما يعمله في محبته وعطفه: فعلى الرغم من هذا، فسوف يحتفظ بهم كشعب لنفسه، وذلك عن طريق وسيط بينهما.

الأصحاح السابع عشر

قرأنا في الأصحاح السابق عن الذي عُمل– وهو كثير– من أجل قمع كل ادعاءات عائلات سبط لاوي التي كانت تريد منافسة هارون، غير أن رؤساء بقية الأسباط بدأوا يتذمرون. فإذا كان رئيس أحد الأسباط أصبح كاهنا، فلماذا لا يكون الحال هكذا أيضا بالنسبة لأي سبط آخر بخلاف سبط لاوي؟ وذاك الذي يكشف خبايا القلوب عرف بوجود هذا الفكر في صدور البعض منهم، وقبل أن يتجسد هذا الفكر ليصبح عملا علنيا، سبق فقدمه الله برحمته– ليحول دون إراقة الدماء– بواسطة معجزة نقرأ عنها في هذا الأصحاح، ولم تكن معجزة غضب، كما في السابق، بل معجزة نعمة.

أولا: وقد وُضعت المسألة للاختبار وذلك بإحضار اثنتي عشرة عصا، واحدة لكل رئيس– وطرحها أمام الرب (ع ١– ٧).

ثانيا: تم حسم الموضوع بالمعجزة التي تمثلت في أن عصا هارون قد أفرخت (ع ٨ و٩).

ثالثا: سُجل القرار الذي اتخذ بالنسبة لهذا الصراع بحفظ هذه العصا (ع ١٠ و١١).

رابعا: قبل الشعب هذا الأمر على مضض (ع ١٢ و١٣).

عدد ١ – ٧

أولا: صدرت الأوامر بإحضار عصا لكل سبط حتى يعلن لهم من خلال معجزة على مَنْ أنعم بشرف وظيفة الكهنوت.

(١) يبدو أن الكهنوت في ذلك الحين كان وظيفة جديرة بالسعي إليها والمحاربة من أجلها حتى بين رؤساء الأسباط.

(٢) ويبدو أنه كان هناك من لا يمتثلون للقرارات الإلهية، بل يريدون معارضتها. فالله لابد أن يحكم، ولكن إسرائيل لا تريد الامتثال للحكم، وهذا هو لب النزاع.

(٣) من أمثلة نعمة الله، أنه بعد أن عمل معجزات مختلفة لمعاقبة الخطية، فهو سيعمل معجزة أخرى لمنعها. وكانت التوجيهات كالآتي:

أ. إحضار اثنتي عشرة عصا. وغالبا كانت كلها مصنوعة من خشب اللوز. ويبدو أنها كلها كانت اثنتي عشرة بما فيها عصا هارون، لأنه حينما يُعد لاوي، كان أفرايم ومنسى يُحسبان سبطا واحدا تحت اسم يوسف.

ب. أن يُكتب اسم كل رئيس على العصا التي تخصه.

ج. تُوضع كل العصي في خيمة الاجتماع، لليلة واحدة، أمام الشهادة أي أمام تابوت العهد، الذي كان مع غطائه، يعد رمزا أو علامة أو شهادة على وجود الله معهم.

د. عليهم أن يتوقعوا أن عصا السبط أو الرئيس الذي يختاره الله للكهنوت سوف تفرخ وتزهر (ع ٥).

ثانيا: بناء على ذلك تم إعداد العصي. فقد أحضرها الرؤساء، ووضعها موسى «أمام الرب في خيمة الشهادة».

عدد ٨– ١٣

أولا: الحسم النهائي للصراع المتعلق بالكهنوت وذلك بواسطة معجزة (ع ٨ و٩): فقد أُحضرت العصي من قدس الأقداس حيث كانت قد وُضعت، وعُرضت علانية أمام الشعب، وفيما ظلت كل العصي على حالتها أصبحت (عصا هارون وحدها) غصنا حيا، أفرخت وأزهرت وأثمرت لوزا. وكانت هذه معجزة، لا تقبل شبهة الغش بأي حال، كما لو أن موسى– إبان الليل– أخذ عصا هارون، ووضع بدلا منها غصنا حيا من شجرة لوز، لأنه لا يمكن لأي غصن عادي أن يفرخ ويزهر ويثمر لوزا في وقت واحد. ويُلاحظ هنا:

(١) كانت هذه دلالة واضحة للشعب على أن هارون قد اختير للكهنوت. فالإثمار هو أفضل دليل على الدعوة الإلهية، والغرس الذي من زرع الله، لابد وأن يزهر ثانية (مز ٩٢: ١٢– ١٤). وأشجار الله، على الرغم من أنها تبدو جافة إلا أنها مليئة بالعصارة والحيوية.

(٢) كانت علامة مناسبة تماما لتمثل الكهنوت نفسه، الذي تأكد لهارون.

أ. فالكهنوت يجب أن يكون مثمرا ونافعا لشعب الله.

ب. يجب أن يكون الكهنوت متعاقبا، ولذلك لم نجد هنا لوزا للحاضر فقط بل وزهرا وبراعم توعد بالمزيد بعد ذلك.

ج. مع ذلك فإن هذا الكهنوت لن يكون مستديما، لأنه مع مرور الأيام– مثل فروع الشجرة وأزهارها– يجب أن يسقط ويجف.

(٣) كانت علامةً ورمزا للمسيح وكهنوته. كان «ينمو... أمام الله» كما نمت هذه العصا أمام تابوت الشهادة «نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة» (إش ٥٣: ٢).

ثانيا: تسجيل هذا القرار، عن طريق حفظ العصا أمام الشهادة– لأجل الحفظ علامة لبني التمرد (ع ١٠ و١١).

(١) كل تخطيط الله في عنايته الإلهية هي إزالة الخطية ومنعها.

(٢) ما يعمله الله لمحو الخطية إنما يعمله في محبة حقيقية لنا «لكي لا يموتوا». فكل الجرعات المرة التي يعطيها، وكل الوسائل الصعبة التي يستعملها معنا، إنما تستهدف شفاء مرض لو تركه لاستفحل وأصبح مميتا.

ثالثا: واحتجاج الناس هنا (ع ١٢ و١٣): «إننا فنينا وهلكنا. قد هلكنا جميعا». يمكن أن يُقصد به:

(١) صرخة أناس متذمرين يتبرمون من أحكام الله التي– نتيجة كبريائهم وعنادهم– جلبوهم على أنفسهم. ويبدو أنهم يتكلمون وقد تملك اليأس منهم، كما لو كان الله سيدا قاسيا، يبحث عما يمكنه معاقبتهم من أجله، وإما...

(٢) صرخة أناس تائبين. نحن نسلم بإرادة الله في هذا القرار، ولن نتذمر بعد ذلك لئلا نفنى جميعا.

الأصحاح الثامن عشر

وإذ تم تثبيت هارون بشكل نهائي في وظيفة الكهنوت، نجد أن الله في هذا الأصحاح يعطيه التعليمات المفصلة المتعلقة بوظيفته، أو هو بالأحرى يكرر له ما سبق أن أعطاه له. وقد قال له:

أولا: ما هو عمله وما سيقوم به والمهمة التي أُوكلت إليه، والمساعدة التي يجب أن يلقاها من اللاويين في هذا العمل (ع ١– ٧).

ثانيا: ما يجب أن يكون أجره، وأجر اللاويين نظير هذا العمل.

(١) المميزات الخاصة أو أجور الكهنة (٨– ١٩).

(٢) الإعالة المقررة للاويين (ع ٢٠– ٢٤).

ثالثا: الجزء الذي يجب أن يُعطى للكهنة من نصيب اللاويين (ع ٢٥– ٣٢). وهكذا عرف كل واحد ما هو مفروض عليه أن يعمله، وما سيُعطى له لإعالته.

عدد ١ – ٧

تطابق هذا الأصحاح بما قبله واضح جدا.

أولا: لقد اشتكى الشعب في ختام الأصحاح السابق من الصعوبة والهلاك اللذين يتعرض لهما كل من اقترب من الله. وردا على هذه الشكوى، عرفهم الله هنا– عن طريق هارون– أن الكهنة بمقدورهم الاقتراب منه كممثليهم.

ثانيا: وثمة كرامة عظيمة أُعطيت لهارون في هذه الفترة الأخيرة. وها هو الله الآن يُذكره بالعبء الذي وُضع على عاتقه، والواجب المطلوب منه ككاهن. وسوف يجد سببا يحمله على قبول كرامة ومجد خدمته بوقار ورعدة مقدسة، وذلك حين يتفكر في مدى عظمة المهمة التي أُوكلت إليه.

(١) أخبره الله بالخطر الذي يصاحب خدمته (ع ١).

أ. الكهنة واللاويون «أنت وبنوك وبيت أبيك معك تحملون ذنب المقدس»، بمعنى أنه إذا ما دُنس الهيكل نتيجة تطفل الغرباء، أو أشخاص نجسين، سيقع اللوم على اللاويين والكهنة، الذين كان يجب عليهم أن يمنعوهم.

ب. والكهنة أنفسهم يجب أن يحملوا ذنب كهنوتهم، بمعنى إنهم إذا ما أهملوا أي جزء من عملهم، أو سمحوا لأي أشخاص آخرين بالقيام بعملهم، أو انتزعه أحد منهم، فعليهم أن يتحملوا عاقبة ذلك.

(٢) أخبره بالواجبات المتعلقة بخدمته:

أ. يجب أن يخدم هو وبنوه «قدام خيمة الشهادة» (ع ٢)، أي أمام قدس الأقداس، الذي به تابوت العهد، خارج حجاب خيمة الشهادة، لكن داخل باب خيمة الاجتماع. عليهم أن يخدموا مذبح الذهب، والمائدة، والمنارة، وهي ما لا يجب على أي لاوي أن يقترب منها. «وتخدمون...» (ع ٧)، ولم يقل «وتحكمون". والخدام عليهم أن يتذكروا أنهم خدام، مطلوب منهم أن يكونوا متواضعين، متفانين، أمناء.

ب. على اللاويين أن يساعدوه وبنيه، ويخدموهم في جميع العمل المتعلق بالخيمة (ع ٢– ٤)، على الرغم من أنه ليس لهم على أية حال أن يقتربوا من آنية المقدس.

ج. على كل من الكهنة واللاويين أخذ حذرهم من تدنيس المقدسات. واللاويون مسئولون عن «حراسة خيمة الاجتماع»، أما الكهنة فمسئولون عن «حراسة القدس» (ع ٥)، عليهم إرشاد الشعب، وتنبيههم إلى

الأشياء التي عليهم ألا يقتربوا منها.

عدد ٨– ١٩

سُمي عمل الكاهن خدمة، ومن يدخل الخدمة من ذاته؟ ومن حيث إنهم جميعا مُعينون، لذلك تم تدبير كيفية إعالتهم. لأن «الذين يعملون في الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون» كذلك «الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون» (١كو ٩: ١٣ و١٤). والإعالة المهينة تخلق خداما مهينين، ومما تجدر ملاحظته:

(١) كثير من مصادر إعالتهم يتأتى من الذبائح التي قدموها بأنفسهم.

(٢) تدبير إعالتهم أبعدهم تماما عن الارتباك بهموم هذه الحياة. وهكذا أُتخذ التدبير بحيث تستمر خدمة الإنجيل حتى مجيء المسيح، وذلك بفريضة أبدية. «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر».

عدد ٢٠– ٣٢

لمحة أخرى عن التدبير الذي عُمل من أجل إعالة اللاويين والكهنة من خلال الأرض:

أولا: لا ينالون نصيبا في وسط إسرائيل (أي من الأرض)، لم يُسمح لهم سوى بمدن يعيشون فيها أُعطيت لهم بعدئذ، ولكن لم يُعطوا أية أراضي. والله يوزع إحسانه بأشكال مختلفة. فاللاويون نالوا شرف خدمة خيمة الاجتماع، الأمر الذي حُرم على الإسرائيليين، ولكن الإسرائيليين أُعطوا شرف وراثة أرض كنعان، الأمر الذي حُرم منه اللاويون.

ثانيا: يجب أن يُعطوا عشور الأرض. إلى جانب الباكورات التي خُصصت للكهنة، أُفرزت العشور أيضا.

(١) اللاويون يُعطون عشور غلات (أو محاصيل) الشعب (ع ٢١). ومع أن اللاويين هم أصغر أسباط إسرائيل الاثني عشر، فمع ذلك، وفضلا عن كل المزايا الأخرى، كانوا يحصلون على عشر الإنتاج السنوي، دون أن يتحملوا مشقة ونفقات الزرع والحصاد.

(٢) وللكهنة عُشر العشور التي يحصل عليها اللاويون. والأمر الخاص بذلك طُلب من موسى أن يبلغه للاويين، الذين يريدهم الله أن يدفعوها بابتهاج عوض أن يطلبها الكهنة منهم بالأمر.

أ. كان على اللاويين أن يقدموا لله حقه من عشورهم، كما كان يفعل الإسرائيليون من محاصيلهم. فالمعيَّنون لمساعدة الآخرين في واجبات العبادة، عليهم ألا ينسوا واجباتهم أيضا كتقدمة لله. والصلوات والتسبيحات التي تُرفع لله، أو بالأحرى الذي يُرفع القلب معها، هي تقدماتنا التي نقدمها الآن لله.

ب. هذه تُعطى «لهارون الكاهن» (ع ٢٨)، ولخلفائه من رؤساء الكهنة، لكي تُقسم وتوزع بالنسبة التي يرونها مناسبة بين الكهنة المعاونين لهم.

الأصحاح التاسع عشر

يقتصر هذا الأصحاح على إعداد واستخدام الرماد الذي يتحتم خلطه بماء من أجل التطهير. لقد اشتكى الناس من صرامة الناموس الذي يمنع اقترابهم المباشر من الخيمة (عد ١٧: ١٣). وردا على هذه الشكوى تم إرشادهم هنا إلى تطهير أنفسهم، حتى يستطيعوا الاقتراب دونما خوف مادام لديهم سبب لذلك.

ويتضمن الأصحاح:

أولا: طريقة إعداد هذا الرماد، وذلك بإحراق بقرة حمراء، طبقا لشروط الناموس (ع ١– ١٠).

ثانيا: طريقة استخدامه:

(١) الغرض منه تطهير الأشخاص الذين لحقت بهم النجاسة بسبب لمسهم جسد ميت (ع ١١– ١٦).

(٢) يجب أن يوضع في ماء حي (كمية صغيرة منه)، ويجب أن يستخدمه الشخص الذي يريد أن يتطهر (ع ١٧– ٢٢). وهذا التطهير الطقسي كان وعدا ورمزا لتطهير ضمائر المؤمنين من نجاسات الخطية، وهذا ما يتبين لنا من قول الرسول (عب ٩: ١٣– ١٤) حيث يقارن فعالية دم المسيح بقوة تقديس «رماد عجلة مرشوش على المنجسين».

عدد ١– ١٠

لدينا هنا الأمر الإلهي الخاص بإحراق بقرة حمراء لتكون رمادا، وحفظ الرماد، حتى يُعمل منه ماء للتطهير وليس للتجميل؛ لأن ما استطاع أن يقدمه الناموس كان للتطيهر فقط، وليس للتجميل أيضا كما يفعل الإنجيل.

أولا: أوليت عناية كبيرة في اختيار البقرة التي

ستُحرق بأكثر مما اتبع بالنسبة لأية ذبائح أخرى (ع ٢). فلم يقتصر الأمر على أن تكون بلا عيب- لترمز إلى الطهارة الكاملة والكمال الذي بلا خطية لربنا يسوع المسيح فحسب، بل يجب أن تكون بقرة حمراء، وذلك بسبب ندرة هذا اللون، حتى تزداد روعة، كما يجب أن تكون مما «لم يعل عليها نير»، الأمر الذي لم يشترط في ذبائح أخرى، لأن هذا يرمز إلى تقديم الرب يسوع نفسه باختياره حين قال هأنذا، قد جئت لأعمل مشيئتك يا الله. ولم يكن مقيدا أو مربوطا سوى بربط محبته.

ثانيا: يجب أن تُحرق في إطار طقوس كثيرة. وقد كُلف ألعازار بذلك. وهو الذي يلي هارون من حيث المرتبة. ومما تجدر ملاحظته:

(١) يجب أن تُذبح خارج المحلة كشيء نجس، الأمر الذي ينم عن عدم كفاية الوسائل التي وصفها الناموس الطقسي لإزاحة الخطية.

(٢) كان يتعين على ألعازار أن «ينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات»، وينظر تجاهها بثبات (ع ٤). وهذا جعلها من ناحية ما كفارة، لأن رش الدم أمام الرب كان الأمر الرئيسي في جميع ذبائح الكفارة.

(٣) يجب أن «تحرق البقرة» بكاملها (ع ٥). كان على الكاهن أن يطرح في النار- وهي تحترق- خشب أرز وزوفا وقرمزا، وهي التي كانت تُستعمل في تطهير البرص (لا ١٤: ٦ و٧)، حتى يختلط رماد هذه الأشياء برماد البقرة، لأن القصد منها استخدامها في التطهير.

(٤) رماد البقرة (يُفصل بقدر الإمكان عن رماد الخشب الذي حُرق معه) يجب أن يُجمع بكل عناية بيد شخص طاهر، ثم يُحفظ لتستخدمه الجماعة، كلما دعت الضرورة (ع ٩).

(٥) وكل الذين تعينوا لهذه الخدمة أصبحوا نجسين من الناحية الطقسية، حتى ألعازار نفسه، مع أنه لم يعمل شيئا سوى رش الدم (ع ٧). فجميع الذبائح التي تُقدم كذبيحة خطية كان يُنظر إليها على أنها نجسة، لأن خطايا الناس وُضعت عليها، كما وضعت خطايانا جميعا على المسيح، الذي من أجل ذلك قيل إنه جُعل «خطية لأجلنا» (٢كو ٥: ٢١).

عدد ١١- ٢٢

تتضمن هذه الفقرة التوجيهات الخاصة باستعمال الرماد الذي أُعد من أجل التطهير.

أولا: ما هي الحالات المطلوب استخدام هذا الرماد فيها للتطهير. لم يُذكر شيء هنا سوى النجاسة الطقسية التي جاءت نتيجة لمس جسد ميت، أو عظام الميت أو قبره، أو التواجد في خيمة أو بيت يرقد فيه ميت (ع ١١، ١٤- ١٦). والناموس لا يستطيع أن يهزم الموت، أو يبطله، أو يغير من طبيعته، كما يفعل الإنجيل، الذي ينير الحياة والخلود، وبذلك يقدم لنا رجاء أفضل ومنذ أن مات فادينا ودُفن، لم يعد للموت شوكة على المؤمنين، ولذلك لم تعد أجساد الموتى تنجس أحدا، غير أنه فيما كان شعب الله تحت الناموس، فإن النجاسة الناجمة عن أجساد الموتى، لم يكن من شأنها سوى أن تولد في عقولهم أفكارا محزنة ومقلقة عن الموت، في حين أن المؤمنين الآن يستطيعون الانتصار عليه بالمسيح يسوع. «أين شوكتك يا موت»، أين نجاستك؟

ثانيا: كيف يُستخدم الرماد ويُستعمل في هذه الحالات.

(١) يجب أن توضع كمية صغيرة من الرماد في كوب ماء حي، وتُمزج بالماء، وحينئذ كان يُسمى «ماء النجاسة»، لأنه يُرش على أولئك الذين عزلوا أو أُبعدوا عن المقدس نتيجة نجاستهم. وكما أن رماد البقرة يرمز إلى جدارة واستحقاق المسيح، هكذا الماء الحي يرمز إلى قوة ونعمة الروح المبارك، الذي شُبه بأنهار ماء حي، وبواسطة عمله يُستخدم دم المسيح من أجل تطهيرنا.

(٢) يجب أن يُستخدم هذا الماء مع «زوفا» غُمست فيه، وبه يُرش الشخص أو الشيء المراد تطهيره (ع ١٨)، وفي إلماحة إليه يصلي داود النبي قائلا: «طهرني بالزوفا». والإيمان هو «الزوفا» الذي يُرش به الضمير ويُطهر به القلب. ولقد قيل عن دم المسيح إنه «دم رش» (عب ١٢: ٢٤)، وقيل إن به «مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير» (عب ١٠: ٢٢)، بمعنى إننا قد تحررنا من القلق الذي ينتابنا من إحساسنا بإثمنا.

وكانت النبوة أن المسيح بموته «ينضح أمما كثيرين» (إش ٥٢: ١٥).

الأصحاح العشرون

بهذا الأصحاح يبدأ تاريخ السنة الأربعين (التي هي آخر سنة) من تيهان إسرائيل في البرية. ومنذ بداية السنة الثانية، حينما حُكم عليهم بأن ينفذوا هذه العزلة الإجبارية في البرية، لكي يجاهدوا خلال سيرهم المتعب والشاق مدة الأربعين عاما، لا نجد شيئا مسجلا يتعلق بهم حتى هذه السنة الأخيرة، التي جاءت بهم إلى تخوم كنعان، وتاريخ هذه السنة مفعم بالأحداث كما هو الحال بالنسبة لتاريخ السنة الأولى.

ويحدثنا هذا الأصحاح عن:

أولا: موت مريم (ع ١).

ثانيا: إخراج الماء من الصخرة، الأمر الذي نلاحظ معه:

(١) المحنة التي كان فيها إسرائيل لحاجتهم إلى الماء (ع ٢).

(٢) سخطهم وتذمرهم نتيجة هذه المحنة (ع ٣- ٥).

(٣) عطف الله وقوته التي استُخدمت في إخراج الماء لهم من الصخرة (ع ٦- ٩).

(٤) ضعف موسى وهارون في هذه المناسبة (ع ١٠ و١١).

(٥) غضب الله عليهما (ع ١٢ و١٣).

ثالثا: المفاوضات مع الأدوميين. التماس إسرائيل (ع ١٤- ١٧)، تصدى الأدوميون لهم (ع ١٨- ٢١).

رابعا: موت هارون رئيس الكهنة على جبل هور، وتولية ألعازار بدلا منه، وحداد الشعب عليه (ع ٢٢- ٢٩).

عدد ١ - ١٣

بعد تجول متعب وشاق في البرية لمدة ثماني وثلاثين سنة، جيئة وذهابا تجاه البحر الأحمر، أخيرا توجَّه بنو إسرائيل تجاه أرض كنعان ثانية، وجاءوا ليس بعيدا عن المكان الذي كانوا فيه، حين صدر حكم الله العادل بأن يبدأوا تيههم في البرية. وكانوا يُقادون حتى الآن كما في متاهة معقدة. ولقد أُحضروا الآن إلى الطريق الصحيح مرة ثانية، وأقاموا في قادش (ع ١).

أولا: هنا ماتت مريم، أخت موسى وهارون، والتي يبدو أنها أكبر من أي منهما. ولابد وأن تكون الأكبر، إذا ما كانت هي الأخت التي وقفت تشاهد موسى حين وُضع في سفط من البردي (خر ٢: ٤). «وماتت هناك مريم» (ع ١). وكانت نبية، وكانت سبب خير كثير لإسرائيل (مي ٦: ٤). وحين خرج موسى وهارون بعصاهما أمامهم، ليعملا لهم عجائب، كانت مريم قد سبقتهم بدفها تسبح الله من أجل هذه المعجزات (خر ١٥: ٢٠)، وهي بهذا قدمت لهم خدمة حقيقية، ومع ذلك فقد تذمرت ذات مرة (عد ١٢: ١)، ولذلك كان يجب ألا تدخل كنعان.

ثانيا: هنا «مريبة» أخرى.

(١) «ولم يكن ماء للجماعة» (ع ٢). ومن المحتمل أنهم كانوا لفترة ما في جهة كانوا يحصلون فيها على الماء بطريقة عادية، لذا كان من الصواب أن تتوقف المعجزات. ثم حدث أنه لم تكن ثَمة مياه في هذا المكان، أو لم يكن هناك ما يكفي الجماعة.

(٢) تذمروا وثاروا نتيجة ذلك (ع ٢) «اجتمعوا»، وشرعوا في الاعتداء «على موسى وهارون».

أ. تمنوا لو أنهم كانوا قد ماتوا كخطاة بيد العدالة الإلهية، بدلا مما بدا لهم- لبعض الوقت- أن رحمة الله قد أهملتهم.

ب. كانوا غاضبين لإخراجهم من مصر، والإتيان بهم إلى هذه البرية- كانت حاجتهم الراهنة تنحصر في الماء فقط، ومع ذلك، ونظرا لأنهم كانوا يتعقبون أي خطأ، فقد نظروا إلى الأمر على أنه لا يُحتمل حيث لا يجدون تينا ولا كرما!

(٣) لم ينطق موسى أو هارون ببنت شفة، بل توجها إلى باب خيمة الاجتماع ليعرفا فكر الله بالنسبة لهذه القضية (ع ٦).

(٤) تراءى الله ليحسم لهما الأمر، ليس على كرسي عدله، ليحكم على المتمردين بما يستحقونه. ولكنه تراءى لهما:

أ. على عرش مجده: ليسكت تذمرهم الظالم (ع ٦). ويُلاحظ هنا: إن النظرة بإيمان لمجد الرب تكون

كافيه لكبح جماح شهواتنا وغضبنا، وتقفل أفواهنا كما بلجام.

ب. على عرش نعمته: لإشباع رغباتهم العادلة، إذ كان ضروريا أن يتوفر لهم الماء. وعلى موسى أن يخرج لهم ماء من الصخرة للمرة الثانية باسم الرب، ليبين أن الله قادر دائما على أن يمد شعبه بكل ما هو طيب وحسن.

ج. أمرهما الله بأن يكلما الصخرة، وسوف تفعل الصخرة ما سوف تُؤمر به لتخزي الشعب الذي كثيرا ما وُجه الكلام إليه، لكنه ما سمع وما أطاع.

د. وعد بأن تعطي الصخرة ماء (ع ٨)، وهذا ما عملته بالفعل (ع ١١).

(٥) لم يسلك موسى وهارون على نحو سليم في هذا الموضوع، حتى أن الله في غضبه قال لهما في الحال إنه لن يكون لهما شرف إدخال بني إسرائيل إلى كنعان (ع ١٠– ١٢).

أ. من غير المحقق ما هو التصرف الخاطئ لهما الذي كان من شأنه أن أغضب الله إلى هذا الحد. فالخطأ كان مركبا.

◄ طلب الله منهما أن «يكلِّما الصخرة»، ولكنهما كلَّما «الجمهور»، وقام موسى «وضرب الصخرة»، ولم يأمرهما الله في هذه المرة بأن يفعلا ذلك، ولكنهما اعتقدا أن الكلام مع الصخرة لن يجدي.

◄ نسبا كثيرا من مجد هذا العمل إلى نفسيهما، «أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء؟» كما لو أن الأمر تم بقوتهما أو جدارتهما.

◄ عدم الإيمان هو الإثم العظيم (ع ١٢): «أنكما لم تؤمنا بي». وعدم إيمانهما تمثل في تشككهما من ناحية ما إذا كانوا سيدخلون أرض كنعان، الآن، بعد أن انتهت مدة الأربعين سنة أخيرا، أم أنهم لن يدخلوها بسبب تذمر الشعب، لأنه قد يُحكم عليهم بفترة أخرى من التعب، لأن ها هي صخرة جديدة قد شُقت الآن لكي تعطيهم ماء، الأمر الذي أخذوه كعلامة لبقائهم مدة أطول.

◄ قالا وعملا هذا الأمر برمته وهما في حدة الغضب والانفعال.

◄ أما ما زاد الأمر سوءا، وجعله أكثر استفزازا، هو أنه كان علانية «أمام أعين بني إسرائيل»، حيث كان من المفروض أن يكونا قدوة لهم من ناحية الإيمان والرجاء والوداعة.

ب. من كل هذه الأمور، لنا أن نتعلم الآتي:

◄ أفضل الناس لهم زلاتهم.

◄ الله يحكم بخلاف ما يحكم به الإنسان بالنسبة للخطية.

وأخيرا: سُمي المكان هنا «مريبة» (ع ١٣)، سُميت «مريبة قادش» (تث ٣٢: ٥١)، وذلك لتمييزها عن مريبة الأخرى. وسُمي «ماء مريبة» لتخليد ذكرى خطية الشعب، وخطية موسى، أيضا للتذكرة برحمة الله الذي أعطاهم ماء، وأنه قبل موسى وأكرمه على الرغم من ذلك.

عدد ١٤– ٢١

نقرأ هنا عن الالتماس الذي تقدم به الإسرائيليون إلى أدوم. لأن أقرب طريق إلى كنعان من المكان الذي كان بنو إسرائيل يقيمون فيه حاليا كان يمر عبر أراضي أدوم.

أولا: أرسل موسى سفراء ليطلبوا من ملك أدوم السماح لهم بالمرور عبر أراضيه.

(١) كان لهم أن يدعوا وجود صلة قرابة مع الأدوميين. ذلك أن كلا الشعبين ينحدران من إبراهيم وإسحق.

(٢) عليهما أن يقدما بيانا موجزا عن تاريخ إسرائيل وحالته الراهنة. وهذا ما يتضمن حجتين:

أ. لاقى الإسرائيليون الاضطهاد على أيدي المصريين، وعلى ذلك يجب أن يلقوا شفقة ومعونة من أقاربهم.

ب. تم خلاص إسرائيل بطريقة عجيبة بمعرفة الرب، وعلى هذا يجب أن تلقى التشجيع والمعاملة الطيبة (ع ١٦).

(٣) إنهم يلتمسون بكل خضوع أن يُسمح لهم بالمرور عبر أراضيهم.

(٤) كان عليهم أن يقدموا ضمانا لحسن سلوك الإسرائيليين خلال مسيرتهم هذه.

ثانيا: عاد السفراء وقد رُفض طلبهم (ع ١٨). وذلك أن أدوم، أو ملك أدوم على الأصح، هدد بأنهم

إذا هم حاولوا دخول بلاده، فسوف يسعون إلى هلاك أنفسهم، وهذا مرده:

(١) غيرتهم من الإسرائيليين.

(٢) كما يرجع الأمر إلى العداوة القديمة التي كان يشعر بها عيسو تجاه إسرائيل، ولو لم يكن لديهم سبب للخوف من أية خسائر تنجم عن عبورهم، إلا أنهم مع ذلك لا يودون إظهار كثير من الود نحوهم. كان عيسو يكره يعقوب بسبب البركة.

عدد ٢٢ – ٢٩

بدأ الأصحاح بجنازة مريم، وينتهي بجنازة أخيها هارون.

أولا: أمر الله بموت هارون (ع ٢٤).

(١) هذه الأوامر صدرت في إطار من الاستياء. كان يجب ألا يدخل هارون كنعان، لأنه أخفق في واجباته عند ماء مريبة. وليس ثَمة شك في أن ذكر هذا قد مس قلب موسى، لأنه كان يشعر في قرارة نفسه– ربما في هذه المرة– أنه أكثر منه إثما.

(٢) جاءت هذه الأوامر متضمنة كثيرا من الرحمة. فعلى الرغم من أن هارون مات بسبب إثمه، إلا أنه لم يمت ميتة الأثيم عن طريق وباء أو نار من السماء. بل مات في هدوء وكرامة. فلم «يُقطع من شعبه» كما يُقال دائما بالنسبة لمن يموتون على يد العدالة الإلهية، بل إنه ضُم «إلى قومه»، كشخص مات بين ذراعي النعمة الإلهية.

(٣) جاءت متضمنة كثيرا من الرمزية والمعاني. لا يجب أن يدخل هارون كنعان، لبيان أن الكهنوت اللاوي لا يمكن أن يضفي الكمال على شيء، لأن هذا لا يتأتى إلا عن طريق رجاء أفضل.

ثانيا: خضع هارون، ومات بالطريقة والأسلوب الذي عينه الله، وعلى قدر ما نعرفه، ذهب إلى الموت بابتهاج كما لو كان متوجها إلى فراشه.

(١) ارتدى ثيابه المقدسة لكي يودعهم، وصعد مع أخيه وابنه إلى جبل هور، وربما كان معه أيضا بعض من شيوخ إسرائيل (ع ٢٧). وصعوده الجبل لكي يموت يشير إلى أن موت القديسين (وقد دُعي هارون «قدوس الرب») هو صعودهم، فهم بالحري يصعدون أكثر من كونهم ينزلون للموت.

(٢) وموسى، الذي قامت يداه سابقا بإلباس هارون ثيابه الكهنوتية، تقوم بخلعها الآن عنه، لأنه ما كان يجب أن يموت هارون وهو يرتديها توقيرا للكهنوت.

(٣) قام موسى للتو، وألبس ألعازار بن هارون ملابس أبيه الكهنوتية وألبسه ثوبه وأشده بمنطقته (إش ٢٢: ٢١). ومما يجدر ذكره:

أ. كان في هذا عزاء عظيما لموسى، ووعد سعيد وإيماء إلى الكنيسة بالعناية التي سيوليها الله لها. ففيما ينقضي جيل ما من الخدام والمؤمنين (الكهنة الروحيين) سوف يأتي جيل آخر عوضا عنه.

ب. كان موضع ارتياح هارون الكبير أن يرى ابنه، الذي كان عزيزا عليه، أن يُرقى على هذا النحو، وأن يرى خدمته التي كانت أثيرة عنده، قد حُفظت وأصبحت مصونة.

ج. كان الأمر يتضمن رحمة عظيمة بالشعب.

الأصحاح الحادي والعشرون

بدأت جيوش إسرائيل في الظهور من البرية، والمجيء إلى أرض مأهولة بالسكان، لتشرع في العمل وتمتلك حدود أرض الموعد

أولا: هزيمة عراد الكنعاني (ع ١– ٣).

ثانيا: تأديب الشعب بحيات محرقة لتذمرهم، والشفاء الذي قُدم لهم بواسطة حية نحاسية بعد أن خضعوا لله (ع ٤– ٩).

ثالثا: رحلات عديدة للأمام، وبعض الأحداث التي وقعت في الطريق (ع ١٠– ٢٠).

رابعا: الهزيمة الشهيرة التي لحقت بسيحون ملك الأموريين (ع ٢١– ٣٢)، وعوج ملك باشان (ع ٣٣– ٣٥) والاستيلاء على أراضيهم.

عدد ١ – ٣

(١) نزول عراد الكنعاني على محلة إسرائيل، إذ «سمع» أنهم جاءوا عن «طريق» الجواسيس، لأنه على الرغم من أن الجواسيس الذين أُرسلوا من قبل موسى منذ ثمان وثلاثين سنة مضت قد دخلوا كنعان وعادوا دون أن يشعر بهم أحد، إلا أن مجيئهم والطريق الذي

سلكوه، والمهمة التي جاءوا من أجلها، ربما عُرفت للكنعانيين في وقت لاحق، فاعتبروا ذلك بمثابة إنذار ومن هنا بدأوا يراقبون إسرائيل.

(٢) نجاح محاولته في بداية الأمر. وتمكن حرسه المتقدمون من أسر بعض المحاربين الإسرائيليين (ع ١).

(٣) ابتهال إسرائيل بكل خشوع إلى الله في هذا الوقت (ع ٢). كان امتحانا لهم أن يتذمروا كما فعل آباؤهم، وأن ييأسوا من امتلاك كنعان. ولكن الله الذي اختبرهم هكذا بعنايته، أعطاهم بنعمته المقدرة على السلوك القويم في التجربة، وأن يثقوا في أنه يستطيع خلاصهم.

(٤) النصر الذي حققه الإسرائيليون على كنعان (ع ٣). فقد أُرسلت فرقة قوية، ولعلها كانت بقيادة يشوع، نجحت، ليس في طرد هؤلاء الكنعانيين فحسب، بل طاردتهم داخل مدنهم ودمرتها تماما وبعد ذلك عادت إلى المحلة. لقد خسرنا معركة. غير أننا انتصرنا أخيرا. وما قيل لسبط جاد يصدق على جميع إسرائيل، فقد تتمكن فرقة من الجنود من التغلب عليهم، لكنهم سينتصرون في النهاية.

عدد ٤ – ٩

أولا: حل التعب والإنهاك بإسرائيل نتيجة سيرهم مسافات طويلة حول أرض أدوم، لأنهم لم يستطيعوا الحصول على الموافقة بالمرور عبر أقصر طريق. «فضاقت نفس الشعب في الطريق» (ع ٤).

ثانيا: عدم إيمانهم وتذمرهم بهذه المناسبة (ع ٥). كان لديهم خبز يكفيهم ويزيد. ومع ذلك تذمروا قائلين: «لا خبز ولا ماء»، ذلك أنه على الرغم من أنهم كانوا يأكلون خبز الملائكة، إلا أنهم سئموه، كرهوا المن نفسه ووصفوه بأنه «الطعام السخيف»، الذي يصلح للأطفال، وليس للرجال والجنود. وما الذي يمكن أن يرضي هؤلاء الذين لم يرضهم المن؟ ليت الاحتقار الذي تتعرض له كلمة الله من البعض لا يحملنا نحن على التقليل من شأنها، لأنها خبز الحياة، الخبز المشبع، الغني، وهي تطعم أولئك الذين بالإيمان يأكلونها للحياة الأبدية.

ثالثا: الحكم العادل الذي أصدره الله ضدهم بسبب تذمرهم (ع ٦). «فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة»، التي لدغت الكثيرين منهم فلقوا حتفهم. فالبرية التي عبروها كانت عامرة بهذه الحيات المحرقة، كما يتبين مما جاء في تثنية ٨: ١٥. غير أنه حتى الآن حفظ الله شعبه بطريقة عجيبة من أن يلحقهم أي أذى بواسطة هذه الحيات، إلا بعد أن تذمروا آنذاك. ذلك أنهم في كبريائهم، قاموا في معارضة لله وموسى، ولذلك أذلهم الله وأخضعهم بأن حوَّل هذه الحيوانات البغيضة لتكون وباء لهم.

رابعا: توبتهم وتضرعهم إلى الله في ظل هذا الحكم (ع ٧). اعترفوا بخطيتهم: «قد أخطأنا». وكان يخشى أنهم لو لم يتعرضوا لهذه الآلام لما اعترفوا بخطيتهم. بعد توبتهم التمسوا من موسى أن يصلي من أجلهم. وكثيرا ما يكون من شأن المحن أن تغير مشاعر الناس تجاه شعب الله، وتعلمهم أن يقدروا الصلوات التي سبق أن احتقروها في فترة سابقة. ولكي يبين موسى أنه سامحهم من قلبه، بارك الذين سبق أن لعنوه، وصلى من أجل الذين أساءوا إليه بدرجة بالغة. بهذا نظهر أننا نحب أعدائنا.

خامسا: التدبير العجيب الذي عمله الله من أجل خلاصهم: لقد أمر الله موسى أن يعمل تمثالا على شكل حية محرقة. فعمل موسى حية نحاسية ووضعها على راية طويلة حتى يمكن رؤيتها من جميع أنحاء المحلة، وأي شخص تلدغه حية محرقة يشفى إذا ما نظر إلى هذه الحية النحاسية. صلى الشعب إلى الله «ليرفع عنا الحيات» (ع ٧)، ولكن الله رأى أنه من الأصلح ألا يعمل هذا، لأنه قدم علاجا فعالا وبأفضل وسيلة، على الرغم من أن ذلك لا يتمشى مع طرقنا. ويقول اليهود أنفسهم إن النظر إلى الحية النحاسية لم يكن هو الذي يشفيهم، بل إنهم فيما كانوا يرفعون أنظارهم إليها كانوا ينظرون إلى فوق إلى الله على اعتبار أنه الرب شافيهم. غير أن هناك الكثير عن الإنجيل جاء في ثنايا هذا الحكم: ولقد قال لنا مخلصنا: «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان. لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٤ و١٥). ونلاحظ هنا التشابه بين:

(١) أمراضهم وأمراضنا: فالشيطان هو الحية القديمة، حية حارقة ولذلك يظهر مثل «تنين عظيم» (رؤ ١٢: ٣). فالخطية ما هي إلا لدغة هذه الحية الحارقة، وهي أليمة بالنسبة للضمير الذي ينتابه الفزع، وسامة للضمير المتبلد. إن تجارب الشيطان سُميت «سهام الشرير الملتهبة» (أف ٦: ١٦).

(٢) بين علاجهم وعلاجنا:

أ. الله نفسه هو الذي صمم هذا الترياق المضاد للحيات الحارقة ووضعه، وهكذا أيضا خلاصنا بالمسيح كان من تدبير الحكمة الأزلية. فالله نفسه هو الذي أوجد الفداء.

ب. كان حدوث الشفاء بعيد الاحتمال بهذه الوسيلة. كذلك خلاصنا بموت المسيح، كان «لليهود عثرة ولليونانيين جهالة».

ج. ما حقق الشفاء كان على شبه ما سبب الجرح. وهكذا المسيح أيضا، فعلى الرغم من أنه هو نفسه كامل لم يعمل خطية إلا أنه جاء «في شبه جسد الخطية» (رو ٨: ٣)، كان يشبهه تماما حتى قيل عنه «أن هذا الإنسان خاطئ» (يو ٩: ٢٤).

د. رُفعت الحية النحاسية، وهكذا كان الحال بالنسبة للمسيح، فقد رُفع على خشبة الصليب (يو ١٢: ٣٣ و٣٤)، لأنه جُعل «منظرا للعالم». لقد رُفع بكرازة الإنجيل. والكلمة المستخدمة للعمود هي «راية»، لأن المسيح المصلوب هو بمثابة «راية للشعوب» (إش ١١: ١٠). والبعض يرى أن رفع الحية يرمز إلى انتصار المسيح على الشيطان، الحية القديمة، الذي سحق المسيح رأسها، إذ إنه وهو على الصليب «جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهارا ظافرا بهم فيه» (كو ٢: ١٥).

(٣) بين تطابق علاجهم وعلاجنا. لقد نظروا وعاشوا، ونحن بدورنا، إذا ما آمنا لن نهلك، لأننا بالإيمان ننظر إلى الرب يسوع (عب ١٢: ٢)، «التفتوا إليَّ واخلصوا» (إش ٤٥: ٢٢). وكل مَنْ نظر إلى علامة الشفاء هذه، حتى وإن كان من أقصى طرف المحلة، كان ينال الشفاء بكل تأكيد حتى وإن كان ينظر بعين باكية كليلة. وعلى ذلك، فكل مَنْ يؤمن بالمسيح، وعلى الرغم من أنه قد يكون لا يزال ضعيف الإيمان، فلن يهلك.

عدد ١٠ – ٢٠

نقرأ هنا عن المراحل والتحركات العديدة التي مرت ببني إسرائيل إلى أن وصلوا إلى تلال موآب، ومنها عبروا الأردن أخيرا إلى كنعان، بحسب ما نقرأ في مستهل سفر يشوع. وكانت حركتهم تزداد سرعة كلما ازدادوا قربا من غايتهم. كان الإسرائيليون يقتربون من موعد راحتهم، وقد «ارتحل بنو إسرائيل»، بحسب التعبير الوارد في آية ١٠. وسوف يكون الأمر طيب إذا ما فعلنا هذا في طريقنا إلى السماء، وكلما إزددنا قربا من السماء نجد أنفسنا وقد ازددنا حركة ونشاطا وأكثرنا من عمل الرب. وثمة أمران ملحوظان هنا بصفة خاصة:

(١) النجاح الباهر الذي بارك الله به شعبه، بالقرب من جداول أرنون (ع ١٣– ١٥). لقد طوقوا الآن أرض أدوم. وكان أمرا طيبا أن يوجد أكثر من طريق يؤدي إلى كنعان. وقد يكون بوسع أعداء شعب الله أن يؤخروا عبورهم إلى أرض راحتهم، غير أنه ليس في وسعهم أن يحولوا دون دخولهم إليها. كان ثَمة اهتمام بتعريفنا أن الإسرائيليين في مسيرتهم لاحظوا الأوامر التي أصدرها الله لهم بألا يستعملوا القوة ضد الموآبيين (تث ٢: ٩)، لأنهم كانوا من سلالة لوط البار.

(٢) التدبير العجيب الذي بارك به الله شعبه عند «بئر» (ع ١٦) وتعني البئر أو العين. وإلى هنا نجد أنه حينما كانوا يُزودون بالماء، إنما يتأتى ذلك بعد تذمر لم يكن له ما يبرره، وأن الله يعطيهم الماء وهو في غضب عادل. غير أننا نلاحظ هنا:

أ. أعطاهم الله الماء في هذه الحالة بدافع من محبته (ع ١٦): «اجمع الشعب»، ليكونوا شهودا على المعجزة، وليشتركوا في هذه النعمة «فأعطيهم ماء». فقبل أن يصلوا، أعطاهم الله.

ب. تقبلوا هذا بفرح وشكر، الأمر الذي ضاعف من حلاوة هذه الرحمة لهم (ع ١٧). وبعد ذلك ترنموا بهذا النشيد، مجدا لله وتشجيعا لبعضهم بعضا: «اصعدي أيتها البئر». وهكذا صلوا لكي تصعد، لأن المراحم الموعود بها يجب أن تأتي بالصلاة. وكما أن الحية النحاسية كانت رمزا للمسيح، الذي رُفع من أجل شفائنا، هكذا أيضا كانت هذه البئر رمزا للروح

القدس الذي سُكب من أجل تعزيتنا، والذي منه تنبع لنا «أنهار ماء حي» (يو ٧: ٣٨).

ج. في حين أن تخليد المعجزة كان يتم من خلال الأسماء التي تُطلق على أماكن حدوثها، والتي كانت تشهد بخصام الشعب وتذمره، نجد أن المعجزة هنا خُلدت بترنيمة: «بئر حفرها رؤساء» – فالشيوخ السبعون، عملوا بعصيهم ثقوبا في الأرض الرملية اللينة، والله بمعجزة، جعل المياه تصعد في الثقوب التي عملوها. لقد وعد الله أن يعطيهم ماء، غير أنه يتعين عليهم أن يفتحوا الأرض ليحصلوا عليها، وليتيحوا لها مخرجا. ونحن يجب أن ننتظر إحسانات الله باستخدام الوسائل التي بوسعنا استعمالها، ولكن فضل القوة هو من الله لا منا.

عدد ٢١ – ٣٥

فقرة عن الانتصارات التي حققها بنو إسرائيل على سيحون وعوج.

أولا: بعث الإسرائيليون برسالة سلام إلى سيحون ملك الأموريين (ع ٢١)، غير أنهم تلقوا ردا عدائيا. ولقد دُحر جيش سيحون، ليس ذلك فحسب، بل إن جميع أراضيه وقعت في قبضة إسرائيل (ع ٢٤ و٢٥). وكان ما عمله بنو إسرائيل له ما يبرره:

(١) ضد الأموريين أنفسهم، لأنهم كانوا البادئين بالعدوان، وأثاروا الإسرائيليين وجروهم إلى المعركة.

(٢) ضد الموآبيين، الذين كانوا سابقا حكاما لهذه الأرض.

أ. والتبرير نفسه يتمثل في أنه على الرغم من أن هذه البلاد كانت تنتمي إلى الموآبيين إلا أن الأموريين كانوا قد أخذوها منهم قبل ذلك، وهم الآن يسيطرون عليها تماما ويمتلكونها (ع ٢٦). وإذ كان مقدرا لهذه الأرض أن تُخصص لإسرائيل في الوقت المعين فلقد وُضعت مقدما في يد الأموريين، الذين لم يكن يدور بخلدهم إطلاقا أنها مجرد أمانة لديهم إلى أن يبلغ إسرائيل سن الرشد ومن ثَمَّ تُسلم له– ونحن لا نعرف أبعاد العناية الإلهية العظيمة، ولكن أعمال الله معروفة لديه، كما هو واضح في هذا المثال.

ب. كدليل على هذا الادعاء، يشير إلى سجلات البلاد الرسمية، لأنه هكذا كانت أمثالهم وأناشيدهم، والتي اقتُبست هنا بعض فقرات من إحداها (ع ٢٧– ٣٠) وهي تثبت تماما ما يُدعى به هنا، وهو:

◄ إن الأماكن العديدة التي ذُكرت هنا، على الرغم من أنها كانت في يد الموآبيين، إلا أنها بمقتضى شريعة الحرب، أصبحت تحت سيادة سيحون ملك الأموريين.

◄ أصبح الأموريون عاجزين تماما حتى أن كموش إلههم سلمهم لعجزه عن إنقاذهم من يد سيحون (ع ٢٩).

ثانيا: عوج ملك باشان، بدلا من أن يتعظ من المصير الذي لقيه جيرانه، ومن ثَمَّ يسعى للسلام مع إسرائيل، فإنه إذ أثاره ذلك دخل في حرب معهم، كان من نتيجتها أيضا دماره. وقد كان عوج أيضا من الأموريين، وهذا ما ترجحه قوته البالغة وقامته الفارهة. ومما يُلاحظ هنا:

(١) الأموريون هم الذين بدأوا الحرب (ع ٣٣). كانت أراضيهم غنية رائعة. وكانت باشان شهيرة بأجود نوعيات الأخشاب لاحظ بلوط باشان، وأفضل فصائل الماشية، انظر بقر وتيوس باشان، وخرافها وكباشها التي امتُدحت في تثنية ٣٢: ١٤.

(٢) اهتم الله بالقضية، وطلب من إسرائيل ألا يخاف من هذه القوة التي تهددهم. فالعمالقة ما هم إلا دود صغير أمام قوة الله.

(٣) لن يدحر إسرائيل جيش الأعداء فحسب، بل وسيستولي على أراضيه، والتي شكلت بعد ذلك جزءا من ميراث السبطين ونصف السبط، الذين استقروا أولا على الجانب الآخر من الأردن.

الأصحاح الثاني والعشرون

بهذا الأصحاح تبدأ القصة الشهيرة التي جرت بين بالاق وبلعام، ومحاولتهما لعن إسرائيل، وإحباط هذه المحاولة. وقد أُخبر شعب الله بعد ذلك بوقت طويل لكي يتذكروا ما أشار به بالاق ملك موآب، ورد بلعام بن بعور عليه، حتى يعرفوا عدل الرب (مي ٦: ٥).

ونجد في هذا الأصحاح:

أولا: خوف بالاق من إسرائيل، ومؤامرته من أجل لعنهم (ع ١– ٤).

ثانيا: الوفد الذي أرسله إلى بلعام يطلب حضوره لهذا الغرض، وخيبة أمله بالنسبة للوفد الأول (٥– ١٤).

ثالثا: مجيء بلعام إليه عندما استدعاه ثانية (ع ١٥– ٢١).

رابعا: المقاومة التي لاقاها بلعام في الطريق (ع ٢٢– ٣٥).

وأخيرا: اللقاء بين بالاق وبلعام (ع ٣٦– ٤١).

عدد ١ – ١٤

أتم بنو إسرائيل أخيرا مدة التيه في البرية، ومن ثَمَّ خرجوا منها (عد ٢١: ١٨)، وهم يعسكرون الآن في عربات موآب على مقربة من الأردن، حيث استمروا هناك إلى أن عبروا الأردن بقيادة يشوع بعد موت موسى.

أولا: الخوف الذي تملك الموآبيين باقتراب إسرائيل (ع ٢– ٤). وعلى الرغم من الصداقة التي كانت تربط بين إبراهيم ولوط، إلا أن الموآبيين قرروا تدمير إسرائيل لو استطاعوا لذلك سبيلا، ولذلك كانوا على ثقة– دون أي مبرر للشك– من أن إسرائيل بدورها تريد دمارهم. ولقد أخبروا جيرانهم– شيوخ مديان– بهذه المخاوف، وأنه يجب الاتفاق على القيام معا ببعض الإجراءات التي تكفل سلامتهما معا. كان لديهم مبرر لأن يسعوا لصداقة إسرائيل، ومساعدتها، غير أنهم إذ تركوا ديانة لوط أبيهم، وغرقوا في الوثنية، فمن ثَمَّ كرهوا شعب إله إبراهيم.

ثانيا: الخطة التي وضعها ملك موآب للعن إسرائيل، هي أن يعمل على أن يجعل الله ضدهم. وكان يثق في فنون السحر بأكثر مما يثق في قوة جيشه، ولقد تخمرت في ذهنه فكرة، مفادها أنه لو استطاع أن يجد نبيا أو آخر، يطلب الشر لبني إسرائيل، وينطق بالبركة له هو وقواته، فإنه في هذه الحالة، وعلى الرغم من ضعفه البالغ، فإنه سيستطيع مواجهتهم. لقد جاءته هذه الفكرة:

(١) نتيجة بقايا معتقدات ديانة ما، لأنها تعترف بالاتكال على بعض القوى المرئية ذات السيادة والتي تتحكم في شئون الناس.

(٢) من بقايا الديانة الحقيقية، لأنه لو لم ينسلخ هؤلاء المديانيون والموآبيون عن إيمان وعبادة جديهما التقيين إبراهيم ولوط، لما تخيلوا أنه بمقدورهم إلحاق الأذى بلعناتهم لشعب تمسك بعبادة الإله الحقيقي، والذين تمردوا هم أنفسهم على عبادته.

ثالثا: محاولته استخدام بلعام بن بعور، وكان عرافا شهيرا– لكي يلعن إسرائيل. وكان بلعام هذا يعيش في أرض بعيدة جدا، في البلاد التي جاء منها إبراهيم، وحيث عاش لابان، ولكي يكسبه إلى صفه فإنه:

(١) جعله صديقا له.

(٢) بل في واقع الأمر جعله إلها له، وذلك بالقوة العظيمة التي نسبها لكلمته.

رابعا: القيد الذي وضعه الله على بلعام، حيث منعه من لعن إسرائيل. وقد استضاف بلعام المبعوثين وطلب مهلة ليلة لكي يفكر فيما ينبغي عليه عمله، ولكي يتلقى تعليمات من الله (ع ٨). ولقد جاءه الله ليلا، ولعل ذلك في حلم، وسأله ما الذي يطلبه منه هؤلاء الغرباء الذين يستضيفهم. كان الله يعرف ماذا يريدون، ولكنه أراد أن يعرف ذلك منه. ولقد عرفه بلعام سبب حضورهم (ع ٩– ١١)، وهنا أمره الله ألا يذهب معهم، أو يحاول أن يلعن ذلك الشعب المبارك (ع ١٢). ولقد أُمر بلعام ألا يذهب إلى بالاق وأيضا ألا يحاول لعن هذا الشعب؛ الأمر الذي ربما حاول أن يُتممه من على بعد، والسبب الذي قُدم لذلك هو: «لأنه مبارك».

خامسا: عودة المبعوثين بدون بلعام: لم يكن بلعام أمينا في إخبار هؤلاء المبعوثين برد الله عليه (ع ١٣). لأنه اقتصر على قوله: «لأن الرب أبى أن يسمح لي بالذهاب معكم». ولم يقل لهم– وهذا كان من واجبه– إن إسرائيل شعب مبارك، ولا يجب لعنهم بأي حال من الأحوال.

عدد ١٥ – ٢١

أُرسل وفد ثان إلى بلعام ليحضره لكي يلعن إسرائيل.

أولا: الإغراء الذي وضعه بالاق أمام بلعام: أغراه بالإحسانات العظيمة التي يخلعها عليه، ووضع له طُعما، ليس بالنسبة لطمعه وجشعه فحسب، بل بالنسبة لكبريائه وطموحه. ونرى هنا كيف دبر بالاق لغواية بلعام بكل ذكاء:

(١) الرسل الذين أوفدهم كانوا «أكثر وأعظم» (ع ١٥).

(٢) كان الطلب مُلحا. فهذا الرئيس القوي يتوسل الآن إليه ولذلك بعث إليه يقول: «لا تمتنع من الإتيان إليَّ» (ع ١٦)، لا تسمح لأي شيء بأن يحول بينك وبين الحضور إليَّ، حتى وإن كان الله، أو الضمير، أو بسبب الخوف من الخطية أو العار.

(٣) قدم له عرضا رائعا: «لأني أكرمك إكراما عظيما وكل ما تقول لي أفعله».

ثانيا: مقاومة بلعام الظاهرة لهذا الإغراء، ولو أنها في الحقيقة كانت مستسلمة له. وبوسعنا أن نلمس هنا صراعا يدور داخل بلعام بين إيمانه ومفاسده.

(١) كان إيمانه يلزمه بأن يتمسك بما أمره به الله، وقد تكلم بلعام بما يعبر عن هذا الإيمان (ع ١٨). وما كان في وسع أي رجل أن يقول أفضل مما قاله: «ولو أعطاني بالاق ملء بيته فضة وذهبا»، وهذا أكثر مما يستطيع أن يعطيه، ومما أستطيع أن أطلبه، «لا أقدر أن أتجاوز قول الرب إلهي».

(٢) وكان فساده في ذات الوقت يدفعه بشدة لعمل النقيض لما أمر به الله. وقد بدا أنه رفض الإغراء (ع ١٨). غير أنه حتى مع هذا لم يعبر عن مقته لها، كما فعل الرب يسوع حين قُدمت له ممالك العالم، حيث قال (اذهب يا شيطان)، وكما فعل بطرس حين عرض عليه سيمون الساحر نقودا: «لتكن فضتك معك للهلاك». غير أنه يبدو (من آية ١٩) أنه كانت لديه رغبة قوية ليقبل هذا العرض، لأنه عرض أن يسأل الله ثانية ليعرف ماذا سيقول الله له، على أمل أنه قد يغير الله رأيه ويسمح له بالذهاب. وكان هذا فكرا شريرا من ناحية الله القدير، كما لو أنه من الممكن أن يغير رأيه. ويجب أن نعرف أنها إهانة بالغة لله، ودليل دامغ على فساد القلب، أن نطلب منه السماح لنا بعمل الخطية.

ثالثا: سماح الله له بالذهاب (ع ٢٠). لقد جاءه الله، ولعل ذلك بواسطة ملاك، وقال له إن بوسعه الذهاب مع رسل بالاق إذا أراد، وبذلك أعطاه الله «شهوة قلبه». وكما أن الله في محبة إحيانا يستجيب لصلوات شعبه، فإنه في غضب يستجيب لرغبات الشرير بالموافقة في أحيان أخرى.

عدد ٢٢ – ٣٥

إشارة إلى مقاومة الله لبلعام في رحلته إلى موآب.

أولا: نرى هنا غضب الله على بلعام لقيامه بهذه الرحلة: «فحمي غضب الله لأنه منطلق» (ع ٢٢). ومما تجدر ملاحظته هنا:

(١) لا يجب الاعتقاد بأن خطية الخطاة لا تغضب الله لأنه سمح بها.

(٢) ولا شيء يغضب الله أكثر من التآمر الخبيث ضد شعبه، فمَنْ يمسُهم يمس حدقة عينه.

ثانيا: الأسلوب الذي اتبعه الله ليعرف بلعام غضبه منه: «وقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه».

(١) أُعطي بلعام تنبيها بغضب الله منه، وذلك بواسطة الأتان، ولكن ذلك لم يفزعه. «فأبصرت الأتان ملاك الرب» (ع ٢٣). وكم كان تفاخر بلعام باطلا حين كان يقول عن نفسه إنه «الرجل المفتوح العينين»، وإنه «يرى رؤيا القدير» (عد ٢٤: ٣ و٤)، مع أن الأتان التي كان يركبها رأت أكثر مما رآه هو، لأن الطمع والشهوة أعما عينيه. ليتنا لا ننتفخ بغرور الرؤى والإعلانات الإلهية فها نحن نرى أتانا ترى ملاكا ولكي تنقذ نفسها وراكبها فنجد أنها:

أ. «مالت الأتان عن الطريق» (ع ٢٣). وكان يتعين على بلعام أن يتخذ من هذا إشارة له، ويراجع نفسه، هل مال هو عن طريق واجبه؟ ولكنه عوضا عن ذلك «ضرب... الأتان ليردها إلى الطريق». وهكذا نرى أولئك الذين بإصرارهم على الخطية، يندفعون نحو الهلاك ويغضبون من أولئك الذين يحاولون منعهم من السير في طريق هلاكهم.

ب. لم تمش سوى خطوات إلا ورأت الملاك ثانية، وهنا، ولكي تتفاداه «زحمت الحائط وضغطت رجل

بلعام بالحائط» (ع ٢٤ و٢٥). كان ضغط رجل بلعام في الحائط، على الرغم من أنه أنقذ حياته، سببا في غضبه الشديد حتى إنه ضرب الأتان مرة ثانية.

ج. في المواجهة الثانية مع الملاك، سقطت الأتان تحت بلعام (ع ٢٦ و٢٧). وهنا وللمرة الثالثة ضرب بلعام الأتان، على الرغم من أنها الآن قدمت له أعظم خدمة في حياتها، حيث أنقذته من الملاك، وبسقوطها علمته أن يعمل مثلها.

د. وحين لم يفلح معه كل هذا، فتح الله فم الأتان، وكلمته أكثر من مرة، ولكن دون جدوى. ونلاحظ أن الشيطان حين جرب أبوينا الأولين لإيقاعهما في الخطية، استخدم الحية الماكرة، ولكن الله، حين أراد أن يقنع بلعام، استخدم أتانا غبية، وهي حيوان معروف بغبائه وكسله الشديدين.

◄ اشتكت الأتان من قسوة بلعام (ع ٢٨): «ماذا صنعت بك حتى ضربتني؟» ومما تجدر ملاحظته هنا أن الله البار لا يسمح بالإساءة إلى أضعف المخلوقات وأقلها قيمة، ومن ثَمَّ يعطيها القدرة على أن تتكلم دفاعا عن نفسها، وإما أنه بطريقة أو بأخرى يتكلم عنها. ولكن غضبه الذي اتسم بالقسوة والغباء أعماه حتى أنه لم يلحظ أو يفكر في غرابة هذا الأمر. ولا شيء يضفي على الناس غباء أكثر من الغضب المطلق العنان.

◄ ولقد تناقشت معه الأتان في الأمر (ع ٣٠). والله لم يعط القدرة على الكلام لحيوان أعجم فحسب، بل ورغم أنه حيوان غبي إلا أنه جعله ينطق بكلام سديد.

(٢) وأخيرا، أخبر الملاك بلعام أن الله غاضب عليه، وهذا بالفعل ما أفزعه. وحين فتح الله عينيه «أبصر ملاك الرب» (ع ٣١)، وهنا «خر ساجدا على وجهه». ولدى الله طرق كثيرة لإذلال القلب المتصلب والمتعجرف.

أ. وبخه الملاك بسبب قسوته (ع ٣٢ و٣٣): «لماذا ضربت أتانك؟»

ب. بدا بلعام عندئذ أنه تاب (ع ٣٤): «أخطأت»، أخطأت لقيامي بهذه الرحلة، وأخطأت إذ اندفعت هكذا بعنف، لكنه انتحل عذرا من ناحية أنه لم ير الملاك، ومع ذلك، فأنه إذ رآه بالفعل، فقد كان راغبا في العودة ثانية. ولم نر هنا أية علامة على أن قلبه قد تغير، ولكن فيما أن يديه كانتا مغلولتين، فلم يكن له خيار وهكذا فإن كثيرين لا يتركون خطاياهم سوى لأن خطاياهم هي التي تركتهم، ويبدو حينئذ أن هناك تجديدا للحياة، ولكن هل ينجح الإصلاح دون تجديد القلب؟

ج. ومع ذلك استمر تصريح الملاك له: «اذهب مع الرجال» (ع ٣٥). اذهب إذا كنت مصمما على أن تكون غبيا، وأن يلحق بك العار أمام بالاق وجميع رؤساء موآب: «وإنما تتكلم بالكلام الذي أكلمك به فقط»، سواء كنت تريد ذلك أم لا، لأن هذا لا يبدو أنه أمر، بل نبوة عن الحدث، إذ أنه لن يكون فقط غير قادر على أن يلعن إسرائيل، بل إنه سيُرغم على أن يباركهم.

عدد ٣٦- ٤١

نقرأ في هذه الفقرة عن الاجتماع الذي تم بين بالاق وبلعام، وهما العدوان المتحالفان ضد إسرائيل، غير أنهما يبدوان مختلفين حول توقعاتهما بالنسبة للنجاح.

(١) يتكلم بالاق بثقة لا يداخله معها شك في أنه سيحقق ما يصبو إليه مادام بلعام قد جاء إليه.

(٢) يتكلم بلعام متشككا، ويطلب من بالاق ألا يعول عليه كثيرا بالنسبة لهذا الأمر (ع ٣٨): «ألعلي الآن أستطيع أن أتكلم بشيء؟» إنه لمما يسعدني أن ألعن إسرائيل، غير أنه لا ينبغي لي أن أفعل، ولن أستطيع ذلك لأن الله لن يسمح لي بذلك.

(٣) لقد تخاطبا معا مباشرة في المهمة: وقد أُكرم بلعام بالاستضافة في الليلة السابقة، وقُدمت ذبيحة شكر لآلهة موآب لسلامة وصول هذا الضيف الذي استُقبل بكل ترحاب، كما أُقيمت وليمة على شرفه (ع ٤٠). وفي الصباح التالي، وحتى لا يضيع أي وقت، أخذ بالاق بلعام في مركبته إلى مرتفعات مملكته. وكان بلعام شغوفا بالفعل لإرضاء بالاق على قدر ما تظاهر بأنه يريد إرضاء الله.

الأصحاح الثالث والعشرون

هنا نجد بالاق وبلعام منهمكين في العمل على إيذاء إسرائيل، ويبدو أنه لم يكن لدى موسى ولا شيوخ إسرائيل علم بهذا الأمر، غير أن الله أحبط المحاولة دون أي وساطة أو تخطيط من قلبهم.

ويتضمن هذا الأصحاح:

أولا: المحاولة الأولى للعن إسرائيل:

(١) الاستعداد لذلك بذبيحة (ع ١– ٣).

(٢) التعليمات العكسية التي أصدرها الله لبلعام (ع ٤ و٥).

(٣) البركة التي اضطر أن يبارك بها بلعام إسرائيل بدلا من لعنها (ع ٧– ١٠).

(٤) خيبة أمل بالاق العظيمة (ع ١١ و١٢).

ثانيا: المحاولة الثانية، وقد عُملت بنفس الطريقة، وأُحبطت بالطريقة عينها (ع ١٣– ٢٦).

ثالثا: اتُخذت الترتيبات لمحاولة ثالثة (ع ٢٧– ٣٠)، نقرأ عن نتيجتها في الأصحاح التالي.

عدد ١ – ١٢

أولا: اتُخذت استعدادات كبيرة للعن إسرائيل. والهدف من ذلك هو حمل إله إسرائيل على التخلي عنهم، أو أن ينحاز إلى جانب موآب، أو يقف على الحياد، كما لو كان لحم الثيران أو دم كباش يقبلها من يد بلعام. إنها لحماقة وسخافة أن يفتكر بلعام أن هذه سترضي الله، وتكسب رضاه. ومع أنها لا تتضمن أية ممارسة للإيمان والطاعة. إلا أنها قدمت لإله السماء، الإله الأسمى، وليس إلى آلهتهم المحلية.

ثانيا: تحويل اللعنة إلى بركة، بقوة الله القادرة، في محبة لإسرائيل. وهذا ما تحدث عنه موسى (في تثنية ٢٣: ٥).

(١) وضع الله البركة في فم بلعام. وفيما كانت الذبائح تُوقد، انسحب بلعام: «انطلق إلى رابية»، في مكان مظلم على قمة المرتفعة (ع ٣). وكان يعرف أن الخلوة تتيح فرصة طيبة للشركة مع الله. ولكن بلعام انتحى جانبا وقد خامرته الشكوك، وراودته الظنون في إمكانية لقائه بالله، غير أنه إذ كان يشعر بإثمه في قرارة نفسه، وإذ كان يعرف أن الله تقابل معه منذ فترة وجيزة في غضبه، فمن ثَمَّ كان لديه ما يبرر قوله متشككا: «لعل الرب يوافي للقائي» (ع ٣). غير أنه، أيا كان ما يرمي إليه، فإن الله عزم على أن يمجد ذاته من خلاله، «فوافى الله بلعام» (ع ٤). وسوف يجبره الله على أن ينطق باعتراف، يؤول لمجد الله وإسرائيل، حتى أن الذين يرفعون السلاح في وجوههم يكونون بلا عذر. وحين أدرك بلعام أن الله قد وافاه، تفاخر بما صنع: «قد رتبت سبعة مذابح وأصعدت ثورا وكبشا على كل مذبح». ومع ذلك، وعلى الرغم من أن الذبيحة كانت مكرهة لله، إلا أنه انتهز فرصة توقعات بلعام، «فوضع الرب كلاما» في فمه (ع ٥).

(٢) نطق بلعام بالبركة على مسمع من بالاق. أعلن سلامة إسرائيل وسعادتها، وهكذا باركهم.

أ. أعلن سلامتهم، وأنهم أبعد من أن تطولهم سهامه المسمومة.

◄ اعترف بأن الهدف كان لعنهم، وأن بالاق استدعاه من بلاده، وأنه جاء لهذا الغرض (ع ٧).

◄ اعترف بإخفاق هدفه وعجزه عن تحقيقه. بل إنه ما استطاع أن يقول عنهم كلمة رديئة واحدة أو يتمنى لهم أمنية سيئة: «كيف ألعن مَنْ لم يلعنه الله» (ع ٨). وليس هذا هو سبب عزوفه عن لعنهم، بل السبب هو أنه لا يستطيع ذلك. وهذا اعتراف عادل:

> عن ضعف قدرته السحرية وعجزها.

> اعتراف بسيادة الله وقدرته الإلهية. فقد اعترف أنه ليس بوسعه عمل أي شيء إلا ما يسمح به الله.

> اعتراف أن سلامة شعب الله لا يمكن أن تُنتهك.

ب. وقد أعلن غبطتهم من جهة ثلاثة أمور:

◄ سعداء من ناحية خصوصيتهم وتميزهم عن بقية الأمم: «من رأس الصخور أراه» (ع ٩). ويبدو أن المفاجأة العظيمة بالنسبة له، هي أنه، على الرغم من أنه ربما قيل له إنهم شعب همجي غير متحضر، يغزو ما حوله من أراضي في مجموعات هوجاء، إلا أنه وجدهم متحدين في معسكر متناسق يسوده النظام وحسن الترتيب ويُلاحظ أنه من واجب وكرامة أولئك الذين كُرسوا لله أن ينعزلوا عن العالم. والذين كُلفوا بواجبات خاصة، سوف يجدون تعزية في المزايا الخاصة بهم.

◄ سعداء في أعدادهم، فلم يكونوا قليلي العدد ومُزدرى كما صورهم له، بل وجدهم جماعة لا تُحصى، الأمر الذي أضفى عليهم الاحترام والرهبة (ع ١٠): «مَنْ أحصى تراب يعقوب ؟» وعدد الشعب كان الأمر الذي يقلق بالاق (عد ٢٢ : ٣)، ومن ناحية العدد لاحظ الآتي:

> «تراب يعقوب»، أي شعب يعقوب، الذي جاءت النبوة بأنه سيكون كتراب الأرض من حيث العدد (تك ٢٨ : ١٤).

> «رُبع إسرائيل»، وهذه إشارة إلى محلتهم، التي كانت تضم أربعة أقسام، وتحت أربع رايات.

ج. سعداء بالنسبة لآخرتهم: «لتمت نفسي موت» أبرار إسرائيل الذين هم في عهد مع الله، «ولتكن آخرتي (أو حالتي المستقبلية) كآخرتهم»، أي مكافأتي في العالم الآخر. ونلاحظ هنا:

> إنه أمر مُسلَّم به أن الموت هو نهاية جميع البشر، بل إن الأبرار أنفسهم لابد وأن يموتوا، وجيد لنا أن نفكر في هذا مع تطبيقه على أنفسنا كما فعل بلعام هنا إذ تحدث عن موته شخصيا.

> واصل حديثه عن خلود النفس، ووجود حالة مختلفة بعد الموت، وتُعد هذه شهادة عظيمة لهذه الحقيقة، ودليلا على أنها أمر معروف ومعترف به منذ القديم.

> أعلن أن الأبرار مباركون حقا، ليس في حياتهم فقط، بل حينما يموتون.

> أوضح أن فكره عن الديانة أفضل من تمسكه بها. وهناك كثيرون ممن يريدون أن يموتوا موت الأبرار، لكنهم لا يحاولون أن يحيوا حياتهم. يسعدون إذا ما كانت آخرتهم مثل الأبرار، ولكنهم لا يريدون أن يسلكوا سلوكهم. يريدون أن يكونوا قديسين في السماء، ولكن ليس على الأرض.

ثالثا: ذُكر لنا هنا:

(١) كيف كان بالاق قلقا بشأن هذا الموضوع (ع ١١). لقد تظاهر بأنه يكرم الله بذبائحه، وأنه سينتظر الإجابة التي سيبعث بها الله، ومع ذلك، حين لم تأت متفقة مع ما يدور بذهنه، نسي الله.

(٢) كيف أُجبر بلعام على قبول ذلك. لقد رضخ لأنه لم يستطع أن يعمل شيئا.

عدد ١٣ - ٣٠

أولا: عُملت الاستعدادات مرة ثانية- على غرار المرة السابقة- وذلك للعن إسرائيل.

(١) تم تغيير المكان (ع ١٣).

(٢) كُررت الذبائح، وبُنيت مذابح جديدة، وأُصعدت ثور وكبش على كل مذبح، وقام بالاق بالخدمة كالمعتاد (ع ١٤ و١٥).

(٣) جدد بلعام انتظاره لله، وقابله الله للمرة الثانية، وجعل في فمه كلاما آخر، ليس لينقض كلامه السابق، بل ليصادق عليه (ع ١٦ و١٧).

ثانيا: للمرة الثانية تُحول اللعنة إلى بركة، بقوة الله المسيطرة، وهذه البركة أكبر وأقوى من البركة السابقة، وتقطع كل رجاء في تغييرها. وإذ كان بالاق متلهفا على معرفة ما الذي قاله الرب (ع ١٧) وجه بلعام له الآن الكلام بصفة خاصة (ع ١٨): «قم يا بالاق واسمع».

(١) أخبر بلعام بالاق بأمرين من خلال حديثه هذا:

أ. إنه ليس ثَمة مبرر يحمله على الرجاء بأنه سيدمر إسرائيل.

◄ ستفشل أية محاولة لدمار الإسرائيليين.

> لأن الله لا يتغير. وهو لا يغير فكره إطلاقا، ولذلك لا يلغي أبدا وعده.

> لأن إسرائيل كانت في ذلك الحين بلا لوم. فلم تكن هناك وثنية بينهم، والتي تُسمى إثما وضلالا. وكان بلعام يعرف أنه لا يمكن أن يفصلهم شيء عن الله سوى الخطية.

> لأن الرب إلهه معه. وهتاف ملك فيه. كانت لديهم ميزة تواجد الله في وسطهم. وكانوا يسعدون بهذا، وكانوا دائما ينتصرون نتيجة هذا الامتياز.

◄ من كل هذا استنتج أنه لا جدوى إطلاقا من التفكير في إلحاق الأذى بهم بأية وسائل سحرية مهما كانت (ع ٢٣). ولعنات جهنم لا يمكنها إطلاقا أن تحل محل بركات السماء.

ب. عرَّفه بلعام أنه لديه أكثر من سبب يدعوه إلى الخوف من أن يُحطَّم على أيديهم، لأنه من المحتمل أنهم سيهجمون على جيرانهم، وإذا ما نجا هو وبلاده

منهم، فلن يكون ذلك لأنهم لم يقدروا عليه، بل لأنه لم يقع في إطار مهمتهم (ع ٢٤).

(٢) ولكن، ماذا كانت نتيجة خيبة أمله؟

أ. يأس كل من بالاق وبلعام من هذا الأمر. بالاق يريد الآن أن يُخرس هذا الرائي. إذا لم تكن تستطيع أن تلعنهم، فإني أطلب منك ألا تباركهم. لا يزال بلعام يريد الاعتراف بأنه مُجبر ومضطر، واستشهد بما سبق أن قاله في بداية هذه المهمة (عد ٢٢: ٣٨): «كل ما يتكلم به الرب فإياه أفعل» (ع ٢٦).

ب. ومع ذلك أصرا على عمل محاولة أخرى. والمكان الذي أخذ بالاق بلعام إليه هذه المرة هو «رأس فغور»، أعلى مرتفعة في كل أرضه، حيث من المحتمل أن البعل كان يُعبد فيه، ولذلك سُمي بعل فغور.

الأصحاح الرابع والعشرون

يواصل هذا الأصحاح قصة فشل مشورات بالاق وبلعام ضد إسرائيل ثم يختتمها، ولم تفشل بالقوة أو بالقدرة بل بروح الرب.

وقد تضمن هذا الأصحاح

أولا: ما هي البركة التي تحولت إليها اللعنة المقصودة (ع ١– ٩).

ثانيا: كيف طرد بالاق بلعام من خدمته (ع ١٠– ١٣).

ثالثا: التنبؤات التي تركها بلعام وراءه والتي تتعلق بإسرائيل وببعض الأمم المجاورة (ع ١٤– ٢٥).

عدد ١ – ٩

تماثل البركة التي أعلنها بلعام على إسرائيل نفس البركتين اللتين ورد ذكرهما في الأصحاح السابق، لكن المدخل إليها جاء مختلفا.

أولا: طريقة التصرف هنا مختلفة. لقد تخلى بلعام عن السحر الذي كان يعتمد عليه حتى ذلك الحين، فلم يستعمل تعاويذ أو أحجبة، أو أي من فنون السحر، إذ لم تنفعه في شيء، ولم تكن ثَمة فائدة للتعامل مع الشيطان، طالما أن الله قرر أن يبارك (ع ١). ولم ينسحب إلى مكان منعزل حسبما كان يفعل قبلا، بل توجه مباشرة إلى البرية حيث تقع محلة إسرائيل. «فكان عليه روح الله»، أي روح النبوة. وقد استخدم الآن مقدمة مختلفة عن تلك التي استعملها من قبل (ع ٣ و٤)، ومع ذلك كان يُشتم منها رائحة الغرور والمجد الزائف، إذ ينسب إلى نفسه فضل هذه النبوة، ويمجد نفسه كما لو كان من ضمن هيئة مستشاري السماء. وحين حاول لعن إسرائيل، اعترف بأنه مخطئ، أما الآن فقد بدأ يرى خطأه، ومع ذلك استمر في عمى شهواته وطموحه، تلك الشهوات الحمقاء المؤذية. وكثيرون عيونهم مفتوحة ولكن قلوبهم ليست كذلك.

ثانيا: ومع ذلك فالبركة في جوهرها لا تختلف عن البركات السابقة. وقد أشاد بعدة أشياء في إسرائيل:

(١) جمالهم (ع ٥): «ما أحسن خيامك يا يعقوب». فعلى الرغم من أنهم لم يكونوا يسكنون القصور الفاخرة، بل الخيام الخشنة البسيطة، وهذه بلاشك، كانت تتعرض لضربات الطقس، إلا أن بلعام رأى فيها جمالا، لنظامها العجيب، الذي تم طبقا لأسباطهم (ع ٢). ولا شيء يذكي الديانة ويعطي عنها إنطباعا حسنا لدى أولئك الذين ينظرون إليها من بعيد، قدر وحدة معتنقيها واتساقهم معا (مز ١٣٣: ١).

(٢) إثمارهم وإكثارهم. ولعل هذا هو المقصود بتلك التشبيهات (ع ٦) بالأودية والحدائق والأشجار، وكذلك بتلك التعبيرات (ع ٧): «يجري ماء من دِلائه»، بمعنى أن الله سيرويها ببركته مثل المطر من السماء، وعندئذ «يكون زرعه على مياه غزيرة».

(٣) كرامتهم وإرتقاؤهم: وكما أن كثرة عدد الشعب تعطي كرامة للقائد، هكذا أيضا تعطي عظمة القائد كرامةً للشعب. ولذلك تنبأ بلعام أن ملكهم «يتسامى ملكه على أجاج» الذي غالبا ما كان أقوى ملك في تلك الأنحاء.

(٤) قوتهم وانتصارهم (ع ٨).

أ. رجع بفكره إلى ما سبق أن عملوه، أو بالأحرى ما عُمل لهم: «الله أخرجه من مصر»، وسبق أن تحدث عن ذلك من قبل (عد ٢٣: ٢٢).

ب. ينظر إلى قوتهم الحالية.

ج. تطلع إلى انتصاراتهم المستقبلية.

(٥) شجاعتهم وأمنهم: «جثم كأسد رَبَضَ» (ع ٩). والأسود لا تنسحب إلى أماكن المأوى لتنام، بل تربض في أي مكان، إذ تعرف، أنه ما من أحد يجرؤ على التحرش بها.

(٦) خيرهم، وتأثيرهم على جيرانهم. كان أصحابهم، وكل مَنْ تحالفوا معهم سعيدي الحظ.

عدد ١٠ – ١٤

نجد هنا نهاية المحاولة الفاشلة للعن إسرائيل، والتخلي عنها تماما.

(١) كانت عاقبة ذلك سيئة بالنسبة لبالاق. فقد انفجر في ثورة غضب ضد بلعام (ع ١٠). منعه من الحضور أمامه وطرده من أرضه، وانتقده بشدة وعرّفه كيف أنه حرم نفسه من المكافآت العظيمة التي كان يعتزم أن يعطيها له، ولكنه بالطبع لن يفعل ذلك الآن (ع ١١).

(٢) عمل بلعام قدر استطاعته على التكفير عما فعل:

أ. حاول أن يجد عذرا لما حدث من إحباط. لم يكن بوسع بالاق القول بأنه خدعه، لأنه كان قد عرفه تماما بالالتزام الواقع عليه.

ب. حاول تعويض ذلك (ع ١٤). سوف يشبع غريزة حب الاستطلاع فيه، وذلك ببعض النبوات الخاصة بالشعوب المحيطة به. وطمأنه مؤكدا بأنه مهما كان في قدرة هذا الشعب الهائل أن يعمله بالنسبة لشعبه. فلن يحدث ذلك إلا في الأيام الأخيرة. وسوف يعرّفه طريقة يلحق بها الأذى بإسرائيل دون اللجوء إلى التعاويذ واللعن. فنظرا إلى أن الله منعه من لعنهم، فقد عرفه بطريقة يحصل بها على معونة الشيطان لتجربتهم.

عدد ١٥ – ٢٥

كان عمل الأنبياء مزدوجا، أن يباركوا ويتنبأوا باسم الرب.

أولا: قام بتجسيد شخصية نبي حقيقي بشكل رائع. ولقد سمح له الله وأرشده إلى أن يعمل ذلك، لأنه أيا كانت حقيقته، فإن النبوة ذاتها كانت حقيقية. فإنه رأى «رؤيا القدير»، ولكنه لم يتغير «إلى تلك الصورة». وقد وصف الله بأنه «القدير». ومع ذلك لم يكن يشعر نحوه بخوف حقيقي، أو محبة صادقة، أو إيمان به، وقد يقطع الإنسان شوطا كبيرا نحو السماء، ومع ذلك لا يصل إليها.

ثانيا: نرى هنا نبوته عن ذاك الذي سيكون تاج شعبه إسرائيل ومجدا له، والذي هو:

(١) داود، وهو الذي يصنع قوات إسرائيل «ببأس» (ع ١٨). وقد تحققت هذه النبوة حين هزم داود موآب (٢صم ٨: ٢). وفي نفس الوقت أُخضع الأدوميين أيضا لإسرائيل (ع ١٤)، غير أنه أيضا يقصد:

(٢) ربنا يسوع المسيّا المنتظر، هو الذي أُشير إليه بصفة رئيسية، فهو المرموز إليه، وكانت نبوة واضحة عنه. وكانت إرادة الله أن تُعطى إشارة كهذه عن مجيئه، قبل أن يأتي بفترة طويلة، وليس ذلك لشعب اليهود فقط، بل وللشعوب الأخرى، لأن إنجيله وملكوته يجب أن يمتدا بعيدا جدا خارج حدود أرض إسرائيل. وقد كانت النبوة هنا:

أ. أنه سيمضي وقت طويل على مجيئه: «أراه ولكن ليس الآن» أراه بالفعل في رؤيا، ولكن من على بعد سحيق، بفترة فاصلة تبلغ ١٥٠٠ سنة على الأقل.

ب. وسيبرز من يعقوب، وإسرائيل، ككوكب وقضيب. الكوكب يشير إلى مجده وبهائه، ككوكب الصبح المنير. أما القضيب، فيرمز إلى قوته وسلطانه، وهو الذي «يتسلط».

ج. سيكون ملكوته شاملا، وينتصر على كل مقاومة. وقد رُمز إلى ذلك بانتصارات داود على موآب وأدوم. وسوف يملك المسيح، ليس على يعقوب وإسرائيل فحسب، بل على العالم كله.

ثالثا: نقرأ هنا عن نبوته الخاصة بعماليق والقينيين، وهي جزء من بلاده، ولعلها هي التي يُشير إليها الآن.

(١) كان «عماليق» في ذلك الحين «أول الشعوب» (ع ٢٠). ويؤكد بلعام هنا مصير عماليق، الأمر الذي سبق أن أشار إليه موسى (خر ١٧: ١٤، ١٦).

(٢) كان القينيون أكثر الشعوب أمنا، فموقعهم يوحي بأن الطبيعة كانت تعمل لخيرهم، وقد حصنتهم بكل قوة: «وعشك (مثل النسر) موضوعا في صخرة» (ع ٢١) تعتقد أنك آمن، «لكن يكون قاين للدمار» (ع ٢٢) وشيئا فشيئا يضمحلون إلى أن يقوم الأشوريون بسبيهم، الأمر الذي تم عند سبي الأسباط العشرة. فحتى العش الذي في صخرة لن يكون آمنا دائما.

رابعا: هنا نبوة تتطلع للمستقبل البعيد، إلى اليونانيين والرومان، لأنه من المفترض أنهم المشار إليهم بعبارة «ناحية كتيم» (ع ٢٤).

(١) مقدمة هذا المثل، هذا الجزء من نبوته جدير بالملاحظة (ع ٢٣): «آه مَنْ يعيش حين يفعل ذلك؟» وقد يعني به:

أ. هذه الأحداث ستقع بعيدا جدا، ولا يزال أمامها وقت طويل لتتحقق، حتى أنه يصعب القول «مَنْ يعيش حين يفعل ذلك»، وإما...

ب. ستكون كئيبة للغاية، وتُحدث خرابا كبيرا، حتى إنه بالكاد يستطيع أحد أن يهرب منها أو يُترك على قيد الحياة.

(٢) النبوة نفسها تستحق الاعتبار. ولكل من اليونان وإيطاليا شواطئ كثيرة، ولذلك فإن جيوشهما أُرسلت في مجموعها بواسطة السفن. ويبدو أنه هنا يتنبأ بالآتي:

أ. قوات اليونانيين سوف تذل الأشوريين وتقهرهم، هؤلاء الذين اتحدوا مع الفرس، وقد تحقق ذلك حين اكتسح الإسكندر الأراضي الشرقية.

ب. قواتهم وقوات الرومان سوف تنتصر على العبرانيين، أو اليهود، الذين أُشير إليهم بعبارة «عابر». وقد تحقق هذا جزئيا، أثناء اعتداءات الامبراطورية اليونانية على الأمة اليهودية، غير أن هذا تحقق بصفة أساسية حين حطمتها الامبراطورية الرومانية، إلا أنه...

ج. «كتيم»، أي الامبراطورية الرومانية، التي ابتُلع فيها اليونانيون أخيرا، سوف تُدمر هي ذاتها، حين نجد أن الحجر الذي قُطع من الجبل بلا أيدي قد أباد كل هذه الممالك ولا سيما القدمين «اللتين من حديد وخزف» (دا ٢: ٣٤). وهكذا فإنه عوض أن يلعن بلعام شعب إسرائيل، لعن عماليق، أول أعداء إسرائيل، وروما آخر أعدائها.

الأصحاح الخامس والعشرون

وإذ نجت إسرائيل من لعنة بلعام، نجدها هنا تعاني كثيرا من الأذى واللوم نتيجة مشورة بلعام، الذي يبدو أنه قبل أن يترك بالاق أخبره بخطة أكثر فعالية من تلك التي فكر فيها بالاق ليبعد إسرائيل عن إلههم. ولا يُفتن أحد إلى حد الهلاك قدر أولئك الذين تفتنهم شهواتهم.

ونقرأ في هذا الأصحاح:

أولا: خطية إسرائيل، فقد أغوتهم بنات موآب للوقوع في براثن الفسوق والوثنية (ع ١– ٣).

ثانيا: معاقبة هذه الخطية بمعرفة القاضي (ع ٤ و٥)، وعلى يد الله مباشرة (ع ٩).

ثالثا: الغيرة المقدسة التي تملكت فينحاس فقتل زمري وكزبي، وهما خاطئان متبجحان (ع ٦، ٨، ١٤و١٥).

رابعا: امتداح الله غيرة فينحاس (ع ١٠– ١٣).

خامسا: قيام العداوة بين الإسرائيليين والمديانيين– الذين جربوهم– على غرار تلك التي قامت أولا بين المرأة والحية (ع ١٦– ١٨).

عدد ١ – ٥

أولا: خطية إسرائيل التي أغوتهم إليها بنات موآب ومديان، وقد اتهموا بالفسوق من الناحيتين الجسدية والروحية، لأنه قد «تعلق إسرائيل ببعل فغور» (ع ٣). ولم يكن ذلك بالنسبة لجميع إسرائيل أو غالبيتهم، بل كثيرين جدا منهم هم الذين وقعوا في هذا الفخ. ويُلاحظ في هذا الشأن أن الفسوق والوثنية كانا يسيران جانبا إلى جنب. فالفسوق ينجس ضمائرهم ويفسدها، وذلك بالفسوق مع النساء، وبعد ذلك كان من السهل أن يستميلهم إلى أن يسجدوا لأوثانهن، وذلك استجابة لهؤلاء النساء واحتقارا لإله إسرائيل. وكان من المرجح أن يفعلوا ذلك– وكما يُفترض عادة ويبدو أنه محتمل أن النجاسة التي تنجم عن تلاحمهما كانت جزء من العبادة والخدمة التي تُقدم لبعل فغور. وكان مما زاد من بشاعة الخطية أن «أقام إسرائيل في شطيم»، حيث

كانت أرض كنعان على مرمى بصرهم، وكانوا على أهبة الاستعداد لدخولها وامتلاكها.

ثانيا: غضب الله العادل ضدهم بسبب هذه الخطية. وفسوق إسرائيل حقق ما لم تقدر على تحقيقه تعاويذ بلعام وسحره.

(١) انتشر وباء مباشرة. والأمراض الوبائية هي العقاب العادل للخطية الوبائية، حيث إن العدوى تتبع الأخرى.

(٢) أُمر بأن تُوقع عقوبة الموت على قادة هذا الفساد، وذلك على يد العدالة، وكان هذا هو السبيل الوحيد لإيقاف هذا الوباء (ع ٤). ويجب على القضاة أن يصدروا الأمر أولا لهم بأن «اقتلوا» (ع ٥) هؤلاء بالسيف، كما يجب أن تُعلق جثثهم، حتى يتملك الإسرائيليين الحمقى شعور بشر الخطية.

عدد ٦ – ١٥

هنا صراع عجيب بين الشر والبر، ولقد انتصر فيها البر، كما سوف ينتصر بلا شك في النهاية.

أولا: لم تكن الرذيلة عارية الوجه مثلما كانت في زمري «رئيس بيت أب من الشمعونيين» (ع ١٤). ذلك أنه ظهر علانية وهو يقود امرأة مديانية على مرأى من موسى، وكل رجال إسرائيل الأتقياء. وكان هذا يمثل إهانة للعدالة، ويشجع على تحديها. كما كان الأمر يمثل إهانة لديانة الأمة ويبعث على احتقارها.

ثانيا: ولم تكن الفضيلة مملوءة بالجرأة مثلما كانت في فينحاس. فإذ علم بوقاحة زمري، وفي غضب مقدس ضد المسيئين، قام من صلاته، وأخذ رمحه بيده، وتتبع هذين الخاطئين المتبجحين إلى داخل خيمتهما، وطعنهما وقضى عليهما معا (ع ٧ و٨). وليس من الصعوبة تبرير فينحاس فيما فعل، لأنه إذ يبدو أنه كان الوريث الذي سيتولى منصب رئيس الكهنة، فليس ثَمة شك في أنه كان أحد قضاة إسرائيل الذين أمرهم موسى– بتكليف إلهي– بأن يقتلوا كل الذين انضموا لبعل فغور. ولقد أظهر الله استحسانه لغيرة فينحاس المقدسة. وأكرم الله فينحاس على الرغم من أنه لم يفعل أكثر مما كان يمليه عليه واجبه كقاضي، ومع ذلك، ونظرا لأنه أتى هذا العمل بحماسة غير عادية ضد الخطية، في الوقت الذي استسلم القضاة الآخرون للخوف احتراما لشخصية زمري كرئيس، فقد أظهر الله رضاه عليه بصفة خاصة «فحُسب له ذلك برا» (مز ١٠٦: ٣١). وعلى الرغم من أن فينحاس كان لا يزال شابا، إلا أنه في هذه المناسبة أُعلن أنه الوطني الذي يحب بلاده وهو أفضل صديق لها (ع ١١). وأُعطي الكهنوت بناء على عهد لعائلته. وكان لديه الوعد بالكهنوت من قبل، أما الآن فقد تثبت له هذا الوعد.

عدد ١٦ – ١٨

عاقب الله بني إسرائيل على خطيتهم بالوباء، فهو كأب يؤدب أولاده بعصاه. والضرر الذي ألحقه المديانيون بإسرائيل بغوايتهم إلى الفساد الأخلاقي يجب أن يُذكر ويُعاقب بنفس الشدة التي تمت في العمالقة حين حاربوا إسرائيل بعد خروجهم من مصر (خر ١٧: ١٤).

الأصحاح السادس والعشرون

سُمي هذا السفر «عدد» نسبة إلى إحصاء بني إسرائيل، حيث يذكر السفر أعدادهم. وقد أُحصوا مرة عند جبل سيناء في السنة الأولى بعد خروجهم من مصر، الأمر الذي نجده في الأصحاحين ١ و٢ وهنا تم عدهم مرة ثانية في عربات موآب، قبل دخولهم كنعان مباشرة.

ويتضمن هذا الأصحاح البيانات الخاصة بهذا التعداد.

أولا: الأوامر التي صدرت بخصوص ذلك (ع ١– ٤).

ثانيا: تسجيل للعائلات ولعدد كل سبط (ع ٥– ٥٠)، والعدد الاجمالي (ع ٥١).

ثالثا: التوجيهات الخاصة بتقسيم الأراضي بينهم (ع ٥٢– ٥٦).

رابعا: عائلات وأعداد اللاويين منفردين (ع ٥٧– ٦٢).

خامسا: ذُكرت إشارة إلى تنفيذ التهديد الخاص بموت كل الذين تم عدهم أولا (ع ٦٣– ٦٥)، ويبدو أنه أُولي لهذا اعتبار خاص عند إتمام هذا الإحصاء وتسجيله.

عدد ١ – ٤

لم يقم موسى بعد الشعب إلا حين أمره الله بذلك. أما داود فعندما قام بهذا العمل في أيامه دون أمر دفع الثمن غاليا نتيجة ذلك. وقد أمر الله الآن بأن يعدهم. وكُلف ألعازار معه في هذه المهمة، كما سبق أن كُلف هارون في مهمة مماثلة، والله بهذا ثبت خلافة ألعازار له. وكان عليهما أن يلتزما الآن بنفس القواعد التي اتُبعت في العدد السابق، حيث لا يشمل العد إلا أولئك القادرين على الخروج للقتال، لأن هذا هو العمل الذي ينتظرهم الآن.

عدد ٥– ٥١

هذا هو سجل الأسباط بحسب ما تم عمله، وبنفس الترتيب الذي تم عدهم به في الأصحاح الأول.

أولا: والعدد الذي سُجل هنا لعائلات كل سبط، لا يجب أخذه بمعنى العائلة في مفهومنا نحن، أي الذين يعيشون معا في بيت واحد، بل المقصود هو ذرية الأبناء العديدين للآباء. وعائلات الأسباط الاثني عشر تم عدهم على هذا النحو: لم تعُد لدان سوى عائلة واحدة، لأنه لم يكن لدان سوى ابن واحد، ومع ذلك كان هذا السبط أكثرهم عددا باستثناء يهوذا (ع ٤٢ و٤٣). وقُسم زبولون إلى ثلاث عائلات. أما أفرايم فقُسم إلى أربع عائلات وكذلك الحال بالنسبة ليساكر، ونفتالي، ورأوبين. أما يهوذا وشمعون وأشير فلكل خمس عائلات. ولكل من جاد وبنيامين سبع عائلات، ومنسى ثماني، كما جاء بنيامين بعشرة أبناء إلى مصر (تك ٤٦: ٢١)، إلا أنه يبدو أن ثلاثة منهم ماتوا دون أن يرزُقوا نسلا، وإما أن عائلاتهم كانت قد انقرضت، لأننا لا نجد هنا سوى سبعة فقط من هذه الأسماء.

ثانيا: عدد كل سبط. ونلاحظ بالنسبة لهذا العدد:

(١) كل الأسباط الثلاثة التي كانت تخيم تحت راية يهوذا، الذي هو الجد الأكبر للمسيح، قد زاد عددها.

(٢) لم يزد عدد أي سبط على النحو الذي حدث بالنسبة لسبط منسى، الذي كان في التعداد السابق أقل من كافة الأسباط، ولم يتجاوز ٣٢,٢٠٠ نسمة، بينما نجده هنا من الأسباط الكبيرة العدد.

(٣) لم ينقص عدد أي سبط بالشكل الذي حدث بالنسبة لسبط شمعون حيث كان ٥٩,٣٠٠ وأصبح ٢٢,٠٠٠، أكثر قليلا من ثلث عدده الأول. والبعض يقول إن معظم الـ ٢٤,٠٠٠ الذين قُضي عليهم بواسطة الوباء بسبب إثم فغور، كانوا من هذا السبط الذي منه زمري قائد المتمردين في هذا الإثم.

ثالثا: بالنسبة لسبط رأوبين، ورد ذكر التمرد الذي قاده داثان وأبيرام، اللذان كانا ينتميان إلى هذا السبط، بالتضامن مع قورح وهو من اللاويين (ع ٩– ١١).

عدد ٥٢– ٥٦

وإذا سأل سائل، لماذا احتُفظ بهذه البيانات الدقيقة لأسباط بني إسرائيل وعائلاتهم والأعداد الخاصة بها، والإجابة هي، أنه فيما كانوا يتزايدون، كانت تُوزع عليهم حصصهم، ليس عن طريق التدبيرات العادية، بل بحسب الوعد. وبغية إظهار كرامة الإعلان الإلهي، فإن الله كان لابد وأن يفي بالوعد الذي كان يُتمم في زيادة عددهم وفي ميراثهم.

عدد ٥٧– ٦٢

كان لاوي هو سبط الرب، ولم يُعط أي ميراث في أرض كنعان مثل الباقين، وعلى ذلك لم يُعد معهم، بل أُحصي بمفرده، ولذلك تم عده في بداية هذا السفر عند جبل سيناء، ولذلك ينطبق عليه الحكم الذي صدر ضد الذين تم عدهم في ذلك الحين، بأنهم لن يدخلوا أرض كنعان (ما عدا كالب ويشوع)، لأن من اللاويين الذين لم يُعدوا معهم، ولم يخرجوا معهم للحرب، كان ألعازار وإيثامار، وربما آخرين مما كانوا فوق العشرين في ذلك الحين (كما يبدو مما جاء في عد ٤: ١٦، ٢٨) وهؤلاء دخلوا كنعان، ومع ذلك فإن هذا السبط، في تعداده الثاني زاد بمقدار ١٠٠٠، وكان ما يزال من أصغر الأسباط.

عدد ٦٣- ٦٥

مما هو جدير بالملاحظة في خاتمة هذه القصة هو تنفيذ الحكم الذي صدر ضد المتذمرين (عد ١٤: ٢٩)، «وفي هؤلاء لم يكن إنسان من الذين» تم عدهم «في برية سيناء» من ابن عشرين سنة فصاعدا، ممن دخلوا أرض كنعان ما عدا كالب ويشوع. وفي الإحصاء الذي عُمل الآن، يبدو أنه لم يكن من بين من شملهم العد أي شخص ممن سبق أن عُدوا في سيناء ما عدا كالب ويشوع (ع ٦٤ و٦٥). وقد ظهر في هذا:

(١) عدل الله وأمانته بالنسبة لما يقضي به، عندما يصدر منه الأمر.

(٢) صلاح الله بالنسبة لشعبه، على الرغم من تذمراتهم. وعلى الرغم من أن العدد كان أقل بقليل مما كان عليه عند جبل سيناء، إلا أن الذين تم عدهم عندئذ، كانوا يتميزون جميعا بأنهم في منتصف العمر ما بين العشرين والستين سنة، وبذلك يكونون في مستهل زمن الخدمة، وخلال فترة تيههم التي بلغت ثماني وثلاثين سنة في البرية، كانت لهم فرصة التعرف على نواميس الله وأحكامه.

الأصحاح السابع والعشرون

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: حسم موضوع بنات صلفحاد (ع ١- ١١).

ثانيا: إخبار موسى باقتراب موعد موته (ع ١٢- ١٤).

ثالثا: اتُخذت الترتيبات لإيجاد خليفة له في قيادة الشعب.

(١) بصلوات موسى (ع ١٥- ١٧).

(٢) وبتعيين من الله (ع ١٨- ٢٣).

عدد ١- ١١

سبق أن جاء ذكر بنات صلفحاد في الأصحاح السابق (ع ٣٣). وكانت حالة فريدة، فلم يسبق أن عُرضت في إسرائيل في ذلك الحين حالة مماثلة كان فيها رأس العائلة بلا أولاد ذكور، بل إناث فقط. وقد نوقشت حالتهن ثانية (عد ٣٦) وطبقا للحكم الذي صدر في حالتهن، نجد أنهن قد أُعطين مُلْكا (يش ١٧: ٣ و٤). ويمكن الظن بأن صفاتهن الشخصية أعطت ثقلا لقضيتهن. وهنا نلاحظ الآتي:

أولا: هن اللواتي عرضن قضيتهن، والتماسهن رُفع إلى أعلى محكمة للعدالة. ولا نجد أنه كان لهن أي محام يتحدث باسمهن، ولكنهن تولين قضيتهن ببراعة وذكاء، وقد تمكن من هذا لأن قضيتهن كانت واضحة وعادلة وتتحدث عن نفسها.

(١) ما الذي كن يلتمسنه: أن يعطين مُلكا في أرض كنعان بين إخوة أبيهن (ع ٤). وكان الله قد سبق وقال لموسى(عد ٢٦: ٥٣) أن تُقسم أرض كنعان بين أولئك الذين تم عدهم الآن، وطبقا لهذه القاعدة، كان عليهن ألا يتوقعن ميراثا. ولو كان لهن أخ، لما احتجن للرجوع إلى موسى للحصول على أمر بأن يرثن معه. غير أنه إذا لم يكن لهن أخ، فقد التمسن أن يعطين مُلكا.

(٢) ماذا كانت حجتهم: توفى والدهم دون أي عارض يمكن الظن أنه أفسد نفسه وخسر ملكه، لكنه «بخطيته مات» (ع ٣)، أي أنه متهم بالآثام العامة للبشر جميعا، والتي بها، هو «لمولاه يثبت أو يسقط»، ولكنه لم يكن قد أتى بما يعرضه للمساءلة القضائية أمام موسى والشيوخ.

ثانيا: تم حسم قضيتهن بحسب ما أمر به الله.

(١) تمت الاستجابة إلى التماسهن (ع ٧).

(٢) تم حسم الأمر بالنسبة للحالات المماثلة مستقبلا. وبنات صلفحاد هؤلاء، عملن، ليس من أجل نفعهن وسمعة عائلتهن فحسب، بل من أجل كرامة وسعادة بنات جنسهن أيضا، لأنه بهذه المناسبة الخاصة صدر قانون عام، بأنه في حالة الرجل الذي ليس له ابن، يؤول ملكه إلى بناته (ع ٨)، وليس إلى أكبرهن، كما هو الحال بالنسبة للابن الأكبر، بل إليهن جميعا، كشريكات في الميراث بقدر متساو. إذا مات رجل دون أن يكون له نسل «تعطوا ملكه لإخوته. وإن لم يكن له إخوة، تعطوا ملكه لإخوة أبيه. وإن لم يكن لأبيه إخوة، تُعطوا ملكه لنسيبه الأقرب إليه من عشيرته».

عدد ١٢ - ١٤

عرف الله موسى بخطئه، حيث تكلم بحماقة عند ماء مريبة حيث لم يتكلم- كما كان ينبغي له أن يفعل بكل حرص- عن اهتمامه البالغ بكرامة الله أو بكرامة إسرائيل (عد ١٤: ٢). وأخطر موسى عن دنو أجله. وجاء الكلام بطريقة تلطف الحكم وتجعله مقبولا عنده.

(١) يجب أن يموت موسى، غير أنه يجب أن تتاح له قبل ذلك فرصة رؤية أرض الموعد ليرتاح فؤاده (ع ١٢).

(٢) يجب أن يموت موسى، ولكن الموت لا يقطعه عن شعبه، بل على العكس من ذلك يضمه إلى قومه، ويتيح له أن يرتاح مع الآباء القديسين الذين سبقوه.

(٣) يجب أن يموت موسى، ولكن بالشكل الذي مات به هارون من قبله (ع ١٣). وسبق لموسى أن رأى كيف أن هارون بكل راحة وابتهاج خلع أولا كهنوته ثم بعد ذلك جسده، ولذلك لم يكن لموسى أن يخاف الموت، لأنه ما هو إلا ضمه إلى قومه، كما كان الحال بالنسبة لهارون.

عدد ١٥ - ٢٣

أولا: صلى موسى من أجل تدبير خليفة له. والنفوس الحاقدة لا ترحب بمن يليها، ولكن موسى لم يكن واحدا من هؤلاء. ويجب أن نظهر اهتمامنا، سواء في صلواتنا، أو جهودنا، من أجل الجيل التالي، لكي تزدهر الديانة. وقد عبر موسى في صلاته هذه عن:

(١) اهتمامه القلبي بشعب إسرائيل: «لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها».

(٢) إيمانه الذي يستند على الله: صلى موسى إلى الله كإله أرواح البشر. لم يصل إلى الله لكي يرسل ملاكا، بل «ليوكل... رجلا على الجماعة»، أي ليعين رجلا يؤهله ويقيمه حاكما لشعبه إسرائيل.

ثانيا: واستجابة لصلاته، عين له الله خليفة، وهو يشوع، والذي سبق أن جعل لنفسه اسما لشجاعته في حرب عماليق، وتواضعه في خدمته لموسى، وإيمانه وإخلاصه، في دحض تقرير الجواسيس الأشرار.

(١) وجه الله موسى إلى ما يتعين عمله لضمان خلافة يشوع له.

أ. عليه أن يُعينه: «ضع يدك عليه» (ع ١٨). وقد عُمل هذا كإشارة إلى أن موسى قد نقل السلطة إليه، كما أن وضع اليد على الذبيحة مكان مقدمها وعوضا عنه، كانت أيضا رمزا لإضفاء الله بركة الروح عليه، الأمر الذي حصل عليه موسى بالصلاة. وقد قيل في تثنية ٣٤: ٩ «ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه». وطقس وضع الأيادي هذا نجده مستخدما في العهد الجديد عند إفراز خدام الإنجيل، الأمر الذي يشير إلى تعيينهم للخدمة وإلى رغبة حارة في أن يؤهلهم الله لها ويقبلهم فيها. وهذه العملية هي تقديمهم للمسيح وكنيسته كذبائح حية.

ب. يجب أن يقدمه لألعازار والشعب، ويوقفه قدامهم، حتى يعرفوا أنه الذي عينه الله لهذه الأمانة العظيمة وليعطوا قبولهم لهذا التعيين.

ج. عليه أن يوصيه أمام أعينهم (ع ١٩).

د. عليه أن يجعل من هيبته عليه (ع ٢٠).

هـ. عليه أن يعين ألعازار رئيس الكهنة، بصدريته النحاسية الخاصة بالقضاء، أن يكون مشيره (ع ٢١). وكان هذا توجيها ليشوع، فإنه على الرغم من أنه ممتلئ بالروح، وخُلع عليه كل هذا الشرف، إلا أنه مع ذلك عليه ألا يفعل شيئا دون أن يطلب مشورة الله، وألا يعتمد على فهمه. وهكذا كانت السلطة في إسرائيل في ذلك الحين إلهية خالصة، لأن تعيين رؤسائها وتوجيههم كان يتم بمعرفة الله.

(٢) عمل موسى بحسب هذه التوجيهات (ع ٢٢ و٢٣)، وبكل فرح عين يشوع.

أ. على الرغم من أن ذلك كان معناه تقليص سلطانه، بل يكاد الأمر يصل إلى تنحيه عن السلطة.

ب. على الرغم مما قد يبدو أن الأمر يتضمن إهانة لعائلته، فقد رُسم ألعازار رئيسا للكهنة، وبعد ذلك عُين يشوع الحاكم الرئيسي، وهو من سبط آخر، أي أن أولاده لم يحصلوا على أية امتيازات بالمرة، بل تُركوا في مرتبة اللاويين العاديين.

وكان موسى في هذا مثالا في إنكار الذات والخضوع لمشيئة الله، وكان في هذا مجد له بأكثر

مما كان يحصل عليه لو أن أفراد عائلته حصلوا على أفضل المناصب.

الأصحاح الثامن والعشرون

بعد أن تم إحصاء الشعب، وصدرت الأوامر لتقسيم الأرض، وتم تعيين وتكليف قائد عام للقوات، فكان من المتوقع أن يبدأ الأصحاح الثاني بتاريخ الحروب؛ لكنه تضمن فرائض العبادة، وعرَّفهم – وهم على وشك الدخول إلى كنعان– أنه عليهم التأكد من أن يأخذوا ديانتهم معهم، وعليهم ألا ينسوا هذا فيما هم يتابعون حروبهم (ع ١ و٢). كُررت الشرائع هنا وأُجرت الفرائض الخاصة بالذبائح التي يتعين عليهم تقديمها.

أولا: بصفة يومية (ع ٣– ٨).

ثانيا: بصفة أسبوعية (ع ٩ و١٠).

ثالثا: الذبائح الشهرية (ع ١١– ١٥).

رابعا: والسنوية.

(١) الفصح (ع ١٦– ٢٥).

(٢) في الخمسين (ع ٢٦– ٣١). أما الأصحاح التالي فيختص بالإحتفالات السنوية التي تُقام في الشهر السابع.

عدد ١ – ٨

أولا: نظام عام بخصوص التقدمات التي تُقدم لله في مواعيدها (ع ٢). ولقد رأى الله أنه من المناسب الآن أن يكرر شريعة الذبائح:

(١) لأن معظم هذا الجيل من الرجال لم يكونوا قد وُلدوا بعد حينما صدرت التشريعات السابقة.

(٢) لأنهم الآن على وشك الدخول في الحرب، وقد يتعرضون لإغراء فكرة أنهم ماداموا منخرطين في القتال، فلديهم عذرهم في عدم تقديم الذبائح– فالشريعة ليس لها اعتبار كبير بين صليل السيوف. لقد كانوا مهتمين بالأكثر بأن يكون لهم سلام مع الله حينما يكونون في معمعة الحرب مع أعدائهم.

(٣) لأنهم سوف يمتلكون الآن أرض الموعد، تلك الأرض التي تفيض لبنا وعسلا، وسوف يكون لديهم وفرة من كل الأشياء الجيدة. ويقول لهم الله الآن: حينما تصنعون ولائمكم لا تنسوا أن تقدموا خبز إلهكم.

ثانيا: الشريعة الخاصة بالذبيحة اليومية، خروف في الصباح وآخر في المساء، وبالنظر إلى أنه مطلوب تقديمها كل يوم فقد سُميت «محرقة دائمة» لكل يوم (ع ٣)، الأمر الذي يُفهم منه أنه حينما أمرنا بأن «نصلي كل حين» وأن نصلي بلا انقطاع كان المقصود بذلك أن نصلي على الأقل كل صباح وكل مساء، حيث نرفع صلواتنا وتسبيحنا لله.

عدد ٩– ١٥

رؤوس الشهور والسبوت كثيرا ما يأتي الكلام عنهما معا، باعتبار أنهما أعياد كبيرة في العبادة اليهودية. وقد حُددت الذبائح هنا على النحو التالي:

(١) بالنسبة للسبوت: يجب مضاعفة التقدمة كل سبت.

(٢) بالنسبة لرؤوس الشهور: البعض يقول حيث إن حفظ السبت يُراعى على ضوء ما حدث عند خلق العالم، هكذا أيضا قُدست رؤوس الشهور بسبب العناية الإلهية التي صنعت «القمر للمواقيت» وتتحكم في دوران الزمن وتغيراته.

عدد ١٦– ٣١

تعيين ذبائح الفصح، ليس الذبيحة الأساسية، التي هي خروف الفصح (ذلك أنه سبق أن أُعطيت تعليمات كافية بهذا الخصوص)، بل الذبائح التي يجب تقديمها في الأيام السبعة الخاصة بعيد الفطير، والتي تلي الفصح مباشرة (ع ١٧– ٢٥). وأول هذه الأيام السبعة وآخرها، يجب أن تُقدس كسبوت. وذلك براحة مقدسة واجتماعات دينية، ويجب أن يكونوا أسخياء في تقديم ذبائحهم في كل يوم من هذه الأيام السبعة، وذلك تعبيرا عن شكرهم العظيم والمستمر من أجل خلاصهم من العبودية في مصر. كذلك عُينت الذبائح التي يجب أن تقدم في عيد الخمسين، الذي سُمي هنا «يوم الباكورة» (ع ٢٦). وفي عيد الفطير يقدمون «حزمة أول» حصيدهم «إلى الكاهن» (لا ٢٣: ١٠)، كمقدمة للمحصول، أما الآن، أي بعد ذلك بسبعة أسابيع تقريبا، كان عليهم أن يقربوا «تقدمة جديدة للرب»، وذلك مع نهاية المحصول. وفي هذا العيد كان انسكاب «الروح القدس» (أع ٢:

١- ٤)، وحيث تجدد الآلاف نتيجة كرازة الرسل، وقُدموا للمسيح، ليكونوا «باكورة من خلائقه».

الأصحاح التاسع والعشرون

يعين هذا الأصحاح التقدمات التي يجب أن تُقرب للرب بالنار في الاحتفالات الكبرى الثلاثة في الشهر السابع.

أولاً: في عيد الأبواق في الأول من الشهر (ع ١- ٦).

ثانيا: في يوم الكفارة في العاشر من الشهر (ع ٧- ١١).

ثالثا: في عيد المظال في الخامس عشر من الشهر، والأيام السبعة التالية (ع ١٢- ٣٨)، وبعد ذلك ختام هذه الفرائض (ع ٣٩ و٤٠).

عدد ١ - ١١

يتضمن الشهر السابع احتفالات مقدسة أكثر من أي شهر آخر من شهور السنة، ليس فقط لأنه كان يُنظر إليه على أنه الشهر الأول حتى الخروج من مصر، بل لأنه استمر كالشهر الأول عند حساب سنوات اليوبيل وسنوات الإطلاق، ولأنه أيضا وقت الإجازة بين موسم الحصاد وموسم بذر البذار، حيث يتوافر لهم وقت كثير لحضور المقدس.

نجد هنا تعيين الذبائح التي يجب تقديمها في اليوم الأول من الشهر، وهو «يوم هتاف بوق»، والذي كان إعدادا للاحتفالين العظيمين، للحزن المقدس يوم الكفارة، والفرح المقدس في عيد المظال. وفي «يوم الكفارة» نفسه، إلى جانب كل الخدمات المتعلقة بهذا اليوم، التي أُشير إليها في لاويين ١٦، نجد أيضا أنه أُمر بتقديم محرقات (ع ٨- ١٠).

عدد ١٢- ٤٠

بعد يوم الكفارة، ذلك اليوم الذي يذلل الناس فيه نفوسهم، يتبعه عيد المظال، والذي كانوا يفرحون فيه أمام الرب، لأن «الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج». وبالنسبة للتشريعات السابقة الخاصة بهذه العيد، والتي وردت في لاويين ٢٣: ٣٤- ٤٤، أُضيف إليها هنا توجيهات عن «محرقة وقود»، عليهم أن يقدموها للرب أثناء «سبعة أيام... للرب» (لا ٢٣: ٣٦)، ويُلاحظ هنا:

(١) أيام فرحهم كانت هي أيام ذبائح للرب.

(٢) كل أيام سكناهم في الخيام كان عليهم أن يقدموا ذبائح.

(٣) الذبائح الخاصة بكل يوم من الأيام السبعة، على الرغم من أنها لا تختلف إلا من حيث عدد الثيران فقط، حُدد بصورة خاصة ودقيقة.

(٤) تناقص عدد الثيران كل يوم. وهذا الحشد من الذبائح، لابد أن ينتهي بذبيحة عظيمة واحدة، وهي أعظم بما لا يقاس من كل هذه الذبائح. إنه في آخر يوم من أيام هذا العيد، وبعد أن قُدمت كل هذه الذبائح، وقف ربنا يسوع وصرخ ينادي العطاش إلى البر (إذ كان يعرف عدم كفاية هذه الذبائح لتبريرهم) لكي يأتوا إليه ويشربوا (يو ٧: ٣٧).

(٥) تقدمات النوافل والسكيب تصاحب كل الذبائح.

(٦) يجب أن تُقدم كل يوم ذبيحة خطية، كما لاحظنا بالنسبة للأعياد الأخرى.

(٧) وحتى بعد أن تُقدم كل هذه الذبائح، فإن المحرقة الدائمة لا يجب التغاضي عن تقديمها صباحا ومساء، بل يجب تقديم ذبيحة في الصباح وأخرى في المساء. لا يجب أن تحل أية خدمات خاصة محل عبادتنا المنتظمة.

(٨) وعلى الرغم من أن كل هذه الذبائح مطلوب تقديمها من قبل الجماعة وعلى الحساب العام، إلا أنه، إلى جانب هذه الذبائح فإن الناس كفرادى عليهم أن يمجدوا الله بنذورهم ونوافلهم (ع ٣٩).

الأصحاح الثلاثون

يتضمن هذا الأصحاح شريعة خاصة بالنذور، التي ذُكرت في نهاية الأصحاح السابق،

أولا: وُضعت هنا قاعدة عامة بأنه يجب الاهتمام بالوفاء بالنذور (ع ١ و٢).

ثانيا: بعض الاستثناءات الخاصة لهذه القاعدة.

(١) نذور البنات لا تصبح ملزمة إلا إذا وافق عليها الأب (ع ٣- ٥).

(٢) وكذلك نذور الزوجات إلا إذا وافق عليها الأزواج (ع ٦- ١٦).

عدد ١ و٢

سُلمت هذه الشريعة لرؤساء الأسباط، حتى يبلغوها بدورهم إلى أولئك الذين تحت رعايتهم.

(١) والحالة التي افتُرضت هنا هي لشخص نذر نذرا للرب، وأشهد الله على هذا الوعد. وموضوع النذر افتُرض أنه شيء شرعي: وليس من حق أي إنسان أن يلزم نفسه بوعد قطعه هو إذا كانت الشريعة سبق وأن حرمت عليه عمله. والذي نذر هنا قيل إنه «يلزم نفسه بلازم». إنه نذر لله الذي هو روح، والذي يجب أن تلتزم أمامه النفس بكل قواها. والوعد لإنسان هو قيد على الممتلكات، غير أن الوعد لله هو قيد على النفس.

(٢) الأمر الذي صدر هو أن تُوفي هذه النذور بأمانة.

عدد ٣- ١٦

إنه لمن المسلم به هنا أن كل الأشخاص، الذين يتمتعون بحرية التصرف، ومن ذوي الفهم الصحيح والذاكرة السليمة، ملزمون بالوفاء بما قطعوا على أنفسهم من نذور مشروعة وممكنة. لكن، إذا كان الشخص تحت سلطان وتحت إمرة شخص آخر، فهنا الأمر يختلف. وقد عُرضت هنا حالتان متشابهتان وتم وصفهما وتثبيتهما:

أولا: حالة الابنة التي في عصمة أبيها. والقاعدة العامة هي أنه إذا نذر شخص نذرا عليه أن يوفيه. أما بالنسبة للابنة فقد قيل إن النذر يُبطل أو يُوقف حتى يعلم به أبوها، ويعرفه منها. وحين يعلم بالأمر فمن حقه إما الموافقة عليه أو إلغاؤه. غير أنه لصالح النذر نفسه فإنه:

(١) حتى سكوته يُعد كافيا لإقرار النذر: «فإن سكت... ثبتت كل نذورها» (ع ٤)، فالسكوت علامة الرضا، غير أن...

(٢) اعتراضه على النذر يبطله تماما، لأنه قد يكون من شأن هذا النذر أن يضر بالعائلة. لقد أظهرت حسن نيتها بعملها هذا النذر، وإذا كانت نواياها بالنسبة لهذا النذر طيبة، فسوف تكون مقبولة لدى الله، وستُعتبر إطاعتها لوالديها أفضل من ذبيحة.

ثانيا: والشيء نفسه ينطبق على حالة الزوجة. أما بالنسبة للمرأة الأرملة أو المطلقة، فليس لها أب أو زوج يسيطر عليها، وعلى ذلك فكل ما تنذره عليها أن تلتزم به «فكل ما ألزمت نفسها به يثبت عليها» (ع ٩)، وإذا نكصت بنذورها عليها أن تتحمل العواقب الوخيمة التي ستترتب على ذلك.

الأصحاح الحادي والثلاثون

هذا الأصحاح ينتمي إلى «كتاب حروب الرب». ومن المحتمل أنه ورد فيه. إنه سرد لحرب مقدسة مع مديان.

أولا: أمر إلهي بالحرب (ع ١ و٢).

ثانيا: تنفيذ الأمر والقيام بالحرب (ع ٣- ٦).

ثالثا: الانتصار المجيد الذي حققوه في الحرب (ع ٧- ١٢).

رابعا: رجوعهم من الحرب منتصرين.

(١) الاحترام الذي أولاه موسى للجنود (ع ١٣).

(٢) توبيخهم لعفوهم عن النساء (ع ١٤- ١٨).

(٣) التوجيهات التي أصدرها إليهم فيما يختص بتطهير أنفسهم وغنائمهم (ع ١٩- ٢٤).

(٤) توزيع الغنيمة التي استولوا عليها، النصف للجنود، والنصف الآخر للجماعة، مع إخراج عشور للرب من كل منهما (ع ٢٥- ٤٧).

(٥) النوافل التي قدمها الرؤساء (ع ٤٨- ٥٤).

عدد ١- ٦

أولا: أصدر رب الجنود أوامره إلى موسى ليشن حربا على المديانيين. والمديانيون من نسل إبراهيم من قطورة (تك ٢٥: ٢)، ولقد أقام بعضهم جنوبي كنعان، وعاش وسطهم يثرون، وقد احتفظوا بعبادة الإله الحقيقي، ولكن أولئك الذين أقاموا شرقي كنعان، في براثن الوثنية، حيث كانوا جيرانا للموآبيين وفي تحالف معهم. وقد أعطوا لأنفسهم صورة مقيتة بإرسالهم النساء الفاسدات بينهن لكي يجروهم إلى الفساد والوثنية. كان هذا هو الاستفزاز الذي قامت من أجله

المعركة. وعن هذا (يقول الله): «انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين» (ع ٢).

(١) الله يريد عقاب المديانيين. ولم ينتقم بنو إسرائيل من عماليق الذين حاربوا ضدهم إلا بعد مُضي وقت طويل، أما نزاعهم مع مديان الذين جروهم إلى الفساد، فقد تم الانتقام منه على نحو من السرعة، لأنهم أُعتبروا أشد الأعداء ضراوة وحقدا.

(٢) يريد الله أن يتم ذلك على يد موسى، في حياته، حتى يرضيه برؤية الانتقام الإلهي من أولئك الذين سببوا له هذه الإساءة العظيمة.

ثانيا: أصدر موسى الأوامر للشعب بالاستعداد لهذه الحملة (ع ٣).

ثالثا: ولذلك تم تكوين كتيبة لهذا الغرض «ألفا واحدا من كل سبط»، أي أن المجموع يبلغ اثني عشر ألفا، وهذا عدد صغير بالمقارنة مع العدد الذي يستطيعون إرساله. ولكن الله يريد أن يُعلمهم أنه سيان عنده «أن يخلص بالكثير أو بالقليل» (١صم ١٤: ٦).

رابعا: أُرسل فينحاس بن ألعازار معهم. ولما كانت الحرب مقدسة فقد أصبح فينحاس رئيسها العام. وعلى ذلك أخذ معه الأدوات المقدسة، أو الأواني المقدسة، ولعل ذلك شمل الأوريم والتميم (الموضوعان على الصدرة النحاسية الخاصة بالقضاء)، اللذان بهما يمكن استشارة الله عند الضرورة.

عدد ٧– ١٢

(١) نزول هذا الجيش الإسرائيلي الصغير على أرض مديان. ومن المحتمل جدا أنهم نشروا تحذيرات علنية عن مقاصدهم، مبينين أسباب الحرب، حيث طالبوهم بتسليم المتسببين الرئيسيين في هذا الأذى إلى القضاء، فهكذا كانت الشريعة بعدئذ (تث ٢٠: ١٠)، وهكذا كان يتم التصرف (قض ٢٠: ١٢ و١٣).

(٢) المهمة العسكرية التي نفذوها في هذا الهجوم:

أ. «قتلوا كل ذكر» (ع ٧)، أي كل ما قابلوه أثناء زحفهم، فقد عملوا السيف في الجميع دون شفقة أو رحمة.

ب. «وملوك مديان قتلوهم»، وهم الذين أُطلق عليهم «شيوخ مديان» (عد ٢٢: ٤)، «أمراء سيحون» (يش ١٣: ٢١). وقد ذُكرت أسماء خمسة من هؤلاء الأمراء، من بينهم «صور»، وربما هو نفسه الذي كانت ابنته تُسمى «كزُبي» (عد ٢٥: ١٥).

ج. وقد قتلوا بلعام. وأيا كان سبب تواجده هنا، فإن عناية الله المتسيدة هي التي أحضرته، وهناك كان ينتظره الانتقام العادل.

د. سبوا «نساء مديان وأطفالهم» (ع ٩).

هـ. «وأحرقوا جميع مدنهم... وجميع حصونهم» (ع ١٠).

و. نهبوا البلاد، وأخذوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم، وكل ما له قيمة، وهكذا عادوا إلى محلة إسرائيل وقد غنموا غنيمة عظيمة جدا (ع ٩، ١١ و١٢).

عدد ١٣– ٢٤

عودة جيش إسرائيل منتصرا من الحرب مع مديان، ونجد هنا:

أولا: استُقبلوا بحفاوة بالغة (ع ١٣).

ثانيا: وُبخوا بشدة لتركهم النساء أحياء. وكانت الحرب لها علاقة بهذه الجريمة التي ارتكبها هؤلاء النسوة وذلك بجرهم إلى عبادة بعل فغور. ومن السهل استنتاج أنه لم يكن ينبغي ترك هؤلاء النسوة أحياء، وهن كُن المتهمات الأساسيات. إنه من الخطر تركهن أحياء، لأنهن سيواصلن إغراء الإسرائيليين على النجاسة، وبذلك تتحول الأسيرات إلى منتصرات، ويدمروهم ثانية.

ثالثا: حُملوا على أن يطهروا أنفسهم طبقا لطقوس الشريعة، ويظلوا خارج المحلة سبعة أيام، حتى يكتمل تطهيرهم. وبهذا يحفظ الله في ذاكرتهم الخوف من الجريمة والازدراء بها.

رابعا: عليهم أيضا أن يطهروا الغنيمة التي اغتنموها (ع ١٩)، وكل الأشياء الثمينة (ع ٢١– ٢٣). وما يحتمل النار يجب أن يُعبر في النار، وما لا يتحملها يُغسل بالماء.

عدد ٢٥ – ٤٧

توزع الغنائم التي تم الاستيلاء عليها في هذه الحرب.

أولا: أُمر بأن تُقسم الغنيمة إلى قسمين، أحدهما للرجال الاثني عشر ألفا، الذين خاضوا المعركة، والنصف الآخر للشعب– ويبدو أن الغنيمة التي قُسمت اقتصرت على المسبيين والماشية، أما بالنسبة للأحجار الكريمة والمجوهرات وما إلى ذلك فكل رجل احتفظ بما أخذ، وهذا ما لُمح إليه في الأعداد ٥٠– ٥٣. فما وُزع هو ما سيكون له نفع بالنسبة للأرض الطيبة التي هم ذاهبون إليها.

ثانيا: كان يجب أن تُقدم منها جزءا للرب، كاعتراف بسيادته عليهم بصفة عامة، وأنه هو ملكهم الذي تستحق له الجزية.

عدد ٤٨ – ٥٤

نرى هنا مثالا رائعا للتقوى والإخلاص بالنسبة لرؤساء الجيش. فقد اتوا إلى موسى باعتباره قائدهم العام، وبكل خضوع واحترام خاطبوه بقولهم: «عبيدك...».

بادرة التقوى التي سرت فيهم نتيجة صلاح الله العجيب معهم في حملتهم العسكرية الأخيرة، وذلك ليس بحفظ حياتهم هم فقط، بل وحياة جميع المحاربين الذين كانوا تحت رئاستهم أيضا، حتى إنه عند تلاوة أسماء الجنود، تبين أنه لم ينقص منهم ولا واحد (ع ٤٩). وقد نظروا إلى الأمر على أنه رحمة بهم أنه لم يُصب أحد ممن كانوا تحت إمرتهم. وعوض المجيء إلى موسى لطلب مكافأة للإنجاز الرائع الذي حققوه بانتقامهم «نقمة لبني إسرائيل من المديانيين»، أو لإقامة تذكارات لتخليد أسمائهم، نراهم قد جاءوا «للتكفير عن أنفسهم أمام الرب».

الأصحاح الثاني والثلاثون

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: الطلب المتواضع الذي تقدم به سبطا رأوبين وجاد بأن يُعطوا ميراثا على ذلك الجانب من الأردن حيث وضع الإسرائيليون خيامهم حينئذ (ع ١– ٥).

ثانيا: سوء فهم موسى لطلبهم (ع ٦– ١٥).

ثالثا: تفسيرهم لطلبهم حيث عرضوه على نحو سليم (ع ١٦– ١٩).

رابعا: إجابتهم إلى طلبهم في ظل الشروط والحدود التي اقترحوها هم أنفسهم (ع ٢٠– ٤٢).

عدد ١ – ١٥

نُصبت خيام إسرائيل الآن في سهول موآب. حيث كانوا يلتقطون أنفاسهم، وتم توزيع الأراضي التي حصلوا عليها بالفعل نتيجة غزواتهم، ليس نتيجة أمر أو تعيين إلهي، بل بالالتماس الخاص والطلب الذي تقدم به سبطان من الأسباط، وموافقة موسى عليه.

أولا: هنا اقتراح تقدم به بنو رأوبين وبنو جاد، بأن الأراضي التي حصلوا عليها مؤخرا، والتي تنتمي إلى إسرائيل بصفة عامة بناء على الغزو، يمكن أن تُعطى لهم ميراثا بصفة خاصة. وثمة أمران شائعان في العالم أغريا هذين السبطين على اختيارهما هذا، والتقدم بهذا الطلب أساسه «شهوة العيون وتعظم المعيشة» (١يو ٢: ١٦).

(١) شهوة العيون. فالأرض التي اشتهوها لم تكن جيدة. من أجل موضعها، وبهجة للعيون، بل كانت جيدة من ناحية انتاج الطعام للإنسان والماشية، وقد كانت لديهم كمية كبيرة من الماشية أكثر من الأسباط الأخرى. وإذ أصبحت لديهم هذه القطعان الكبيرة اشتهوا الأرض المناسبة لها.

(٢) ربما كان الأمر يتضمن بعض التباهي. وكان رأوبين بكر إسرائيل، لكنه فقد حقوق البكورية. وهو هنا يضع يده على الجزء الأول، على الرغم من أنه كان خارج كنعان، وبعيدا جدا عن الخيام. وسبط جاد كان نسل بكر زلفة، ولذلك كانوا على قدر المساواة مع رأوبين في المطالبة بهذا الحق. كما كان منسى بكرا أيضا، ولكنه كان يعرف بأن أخاه الأصغر أفرايم لابد وأن يفوقه، ولذلك اشتهى هو أيضا أن يحصل على الأسبقية.

ثانيا: امتعاض موسى من هذا الاقتراح، والتوبيخ العنيف الذي وجهه لأصحابه باعتباره قائدا مخلصا ونبيا.

(١) يجب الاعتراف بأن هذا الاقتراح يبدو سيئا من الوهلة الأولى، ولا سيما العبارة الختامية في التماسهم: «ولا تعبرنا الأردن» (ع ٥). بدا الأمر وكأنه استند إلى مبدأ شرير، وأنه يتضمن احتقارا لأرض الموعد. ثم بدا أنه يتضمن شهوة، لأن ما يصرون عليه هو أن الأرض جيدة بالنسبة لمواشيهم. ثم أنه يُستشف من الاقتراح أيضا إهمالهم لإخوتهم، كما لو كان لا يهمهم ما يؤول إليه مصير إسرائيل، ماداموا قد حصلوا هم على ما يبغون.

(٢) ولذلك غضب منهم موسى غضبا شديدا.

أ. بين لهم ما يعتبره شرا في هذا الاقتراح، بأنه سيثبط من همة إخوتهم (ع ٦ و٧).

ب. ذكرهم بالعواقب الوخيمة الناجمة عن عدم إيمان آبائهم وتراخيهم، حين كانوا على أهبة الاستعداد لدخول كنعان، كما يفعلون هم الآن. وقد سرد لهم القصة على نحو من التفصيل (ع ٨– ١٣).

ج. حذرهم بشكل عادل من المتاعب التي ستنجم عن انفصالهم الذي هم بصدد عمله حيث يفصلون أنفسهم عن بقية محلة إسرائيل، وسوف يكون ثَمة خطر في أن عملهم هذا سيجلب غضب الله على الجماعة كلها، وسوف يكون من شأنه أن يعيدهم ثانية للتيه في البرية (ع ١٤ و١٥).

عدد ١٦– ٢٧

نجد هنا الاتفاق الذي تم التوصل إليه بشأن هذا الموضوع بين موسى والسبطين، بشأن استقرارهم في ذلك الجانب من الأردن. وبعد بعض المداولات، عادوا بهذا العرض، وهو أن رجال القتال في سبطيهما سيذهبون ويساعدون إخوتهم في غزو كنعان، وسوف يتركون عائلاتهم ومواشيهم في هذه الأرض، ولن يقع أي ضرر.

أولا: اقتراحهم اتسم بالعدل والكرم البالغ، وأنهم عوض أن يثبطوا من عزيمة إخوتهم فإنهم سيشجعونهم.

(١) سوف يتجردون «مسرعين قدام بني إسرائيل» إلى أرض كنعان.

(٢) سيتركون وراءهم عائلاتهم ومواشيهم (والذين كانوا سيشكلون عبئا على المحلة)، وبذلك يكونون أكثر نفعا لإخوتهم (ع ١٦).

(٣) لن يرجعوا إلى ممتلكاتهم إلا بعد أن يتم غزو كنعان (ع ١٨).

(٤) لن يتطلعوا إلى أي نصيب في الأرض التي لم تُخضع بعد (ع ١٩).

ثانيا: وهنا وافق موسى على اقتراحهم، شريطة أن يلتزموا بمقترحاتهم.

(١) أصر بشدة على أنهم لن يتركوا سلامهم إلا بعد أن يفعل إخوتهم هذا. وقد وعدوا بأن يذهبوا مسلحين «قدام بني إسرائيل» (ع ١٧). كلا، قال موسى، سوف تذهبون مسلحين «أمام الرب» (ع ٢٠ و٢١). إن الأمر يتعلق بالله أكثر مما يتعلق بإخوتكم.

(٢) بناء على هذا الشرط أعطاهم هذه الأرض ملكا لهم، غير أنه:

(٣) حذرهم من خطورة عدم الوفاء بتعهداتهم، إذا لم توفوا بتعهداتكم «فإنكم تخطئون إلى الرب» (ع ٢٣)، وليس ضد إخوتكم فقط، «وتعلمون خطيتكم التي تصيبكم». ويُلاحظ أن الخطية لابد وأن تكشف عن الخاطئ إن عاجلا أم آجلا. ولذلك حري بنا أن نكتشف خطايانا، حتى يتسنى لنا التوبة عنها وتركها، حتى لا تكشفنا خطايانا وتعرضنا للهلاك والارتباك.

ثالثا: وافقوا بالإجماع على شروط المنحة وظروفها، وقدموا– إذا جاز لنا القول– ضمانا لقيامهم بما تعهدوا به، وذلك بوعد أكيد «عبيدك يفعلون كما أمر سيدي» (ع ٢٥).

عدد ٢٨– ٤٢

(١) أنهى موسى هذا الأمر مع ألعازار ويشوع اللذين سيخلفانه، لأنه كان يعرف أنه هو نفسه لن يعيش حتى يراه وقد تحقق (ع ٢٨– ٣٠). وقد أعطاهم ملكية مشروطة. وترك الأمر ليشوع– أنه في حالة استيفائهم الشروط، يعلن عن هذه الملكية لهم. عندئذ كرروا وعدهم بالبقاء مع إخوتهم (ع ٣١ و٣٢).

(٢) أعطاهم موسى الأرض التي طلبوها للإقامة فيها. وهنا نجد أول مرة يُذكر فيها نصف سبط منسى،

حيث يُعطى له نصيب معهم. وبخصوص سكنى هذه الأسباط، نلاحظ الآتي:

أ. قاموا ببناء المدن، أي أصلحوها.

ب. غيروا أسماءها (ع ٣٨)، ذلك أن «نبو»، «بعل» كانا من أسماء آلهتهم، وكان محرما عليهم أن يذكروها (خر ٢٣: ١٣)، وهم بتغييرهم أسماء هذه البلدان، حاولوا أن يدفنوها في طي النسيان.

الأصحاح الثالث والثلاثون

يتضمن هذا الأصحاح:

أولا: بيانا مفصلا عن تحركات بني إسرائيل والجهات التي عسكروا فيها، بدءا من هروبهم من مصر وحتى دخولهم إلى كنعان، وكلها اثنان وأربعون، مع بعض الأحداث البارزة التي حدثت في بعض هذه المواقع (ع ١– ٤٩).

ثانيا: صدر لهم أمر قاطع بأن يطردوا جميع سكان أرض كنعان التي سيقهرونها الآن ويمتلكونها (ع ٥٠– ٥٦). ولذلك فإن الجزء الأول من الأصحاح يتناول الرحلات التي سبق أن قاما بها عبر البرية، أما الجزء الثاني فيتطلع إلى الأمام، إلى سكناهم في كنعان.

عدد ١ – ٤٩

هنا نجد عرضا مختصرا وتكرارا موجزا لرحلات بني إسرائيل عبر البرية.

أولا: تم تسجيل ما يتعلق برحلاتهم: «وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم» (ع ٢). وقد تكون ثَمة فائدة للمسيحيين كأفراد، ولمن يشغلون منهم وظائف عامة في الكنيسة، أن يسجلوا كتابةً وبصفة خاصة معاملات الله وعنايته بهم، وسلسلة المراحم الدائمة التي اختبروها، ولا سيما التغييرات والتطورات التي أضفت الروعة على بعض من أيام حياتهم. ذلك أن ذاكرتنا خادعة وتحتاج إلى هذه المساعدة، حتى «نتذكر كل الطريق التي فيها سار» بنا الرب إلهنا في القفر (تث ٨: ٢).

ثانيا: ما الذي تناوله هذا السجل: لقد بدأ بخروجهم من مصر، وواصل تسجيل رحلاتهم في البرية، وانتهى بسهول عربات موآب، حيث يقيمون الآن خيامهم.

(١) لُوحظ بعض الأمور هنا بالنسبة لرحيلهم من مصر، كانوا يُذكرون بها في كل مناسبة، كعمل معجزي لا يمكن نسيانه. «خرجوا من أرض مصر بجنودهم» (ع ١)، ضباط الصف والجنود، كجيش براياته. ولم يتسللوا خفية (إش ٥٢: ١٢)، بل في تحد لأعدائهم، الذين جعلهم الله لهم بمثابة عبء ممل حتى إنهم أصبحوا لا يستطيعون مقاومتهم أو اعتراضهم، بل وما حاولوا ذلك.

(٢) بخصوص رحلاتهم صوب كنعان، فما تجدر ملاحظته أنهم:

أ. كانوا يتحركون بصفة مستمرة. وهذا هو حالنا في هذا العالم، فليس لنا مدينة باقية.

ب. معظم طريقهم كان يقع في برية، غير مسكونة، وغير مطروقة، وتفتقر إلى أبسط ضروريات الحياة، الأمر الذي يمجد حكمة الله وقوته، الذي بقيادته العجيبة وسخائه لم يظل فقط الآلاف من بني إسرائيل على قيد الحياة مدة أربعين سنة في هذه البرية الموحشة، بل خرجوا منها على الأقل بنفس الأعداد الكبيرة، ونفس الحيوية التي كانوا عليها حين دخلوها. في البداية أقاموا خيامهم «في طرف البرية» (ع ٦)، ولكنهم بعد ذلك انتقلوا إلى عمقها، فبأقل صعوبات يعد الله شعبه لأمور أعظم.

ج. كانو يُقادون جيئة وذهابا، للأمام وللخلف، كما في متاهة، ومع ذلك كانوا طوال الوقت تحت توجيه عمود السحاب والنار. والطريق الذي اتخذه الله لكي يأتي بشعبه إليه هو دائما أفضل الطرق، على الرغم من أنه لا يبدو لنا دائما أقربها.

عدد ٥٠– ٥٦

وفيما كان بنو إسرائيل في البرية، فإن انفصالهم التام عن جميع الشعوب الأخرى حفظهم من الوقوع في تجربة الوثنية. أما وأنهم الآن في سبيلهم إلى عبور الأردن، فإنهم سيدخلون ثانية في هذه التجربة، وعليه:

(١) أُمروا هنا وبكل شدة أن يُدمروا تماما كل أثر للوثنية.

(٢) تم التأكيد لهم، أنهم إذا ما فعلوا ذلك، فإن الله سوف يعطيهم الملكية الكاملة لأرض الموعد تدريجيا (ع ٥٣ و٥٤).

(٣) هُددوا بأنهم إذا ما أبقوا على الأوثان أو الوثنيين، فسوف يُضربون بنفس ضربتهم، ومن المؤكد أن خطيتهم ستكون هي عقوبتهم. فما لم نطرد الخطية، فسوف تطردنا الخطية، وما لن نمت عن شهواتنا، فسوف تكون شهواتنا سبب موت نفوسنا.

الأصحاح الرابع والثلاثون

في هذا الأصحاح الله يوجه موسى، الذي بدوره يوجه إسرائيل،

أولا: بخصوص تخوم أرض كنعان وحدودها (ع ١– ١٥).

ثانيا: بخصوص تقسيم الأرض وتوزيعها على أسباط إسرائيل (ع ١٦– ٢٩).

عدد ١ – ١٥

أمامنا هنا مخطط تمهيدي عن الخط الذي قيست به أرض كنعان وحُددت على أساسه تخومها وحدودها من جميع الجهات. والأرض التي وُعدوا بها كانت أكبر من ذلك بكثير، وفي الوقت المناسب سيمتلكونها كلها إذا ما أمتثلوا بطاعة الله، وهي أرض تمتد حتى نهر الفرات (تث ١١: ٢٤). بل إن هذا ما خضع بالفعل لسيادة إسرائيل على عهدي داود وسليمان (٢أخ ٩: ٢٦). ولكن ما وُصفت هنا هي كنعان فقط، والتي هي من نصيب التسعة أسباط ونصف السبط، لأن السبطين ونصف السبط الأخرى سبق أن أُعطوا نصيبهم بالفعل (ع ١٤ و١٥)، وبالنسبة لحدود كنعان نلاحظ الآتي:

أولا: كانت في إطار حدود معينة.

(١) عليهم أن يعرفوا من هم الذين سيمتلكون منهم الأرض، وإلى أي مدى تمتد المهمة التي كُلفوا بها (عد ٣٣: ٥٣)، وأن عليهم أن يطردوا «كل سكان الأرض».

(٢) وعليهم أن يعرفوا ما الذي سيمتلكونه هم أنفسهم.

ثانيا: إنها تقع في مساحة صغيرة جدا نسبيا، وبالشكل الذي حُددت به هنا فقد وُجد أن طولها يبلغ ١٦٠ ميلا، وعرضها خمسون ميلا تقريبا، ولعل مساحة أرضها لم تكن تزيد عن نصف مساحة انجلترا، ومع ذلك فهذه هي الأرض التي وُعد بها آباء المؤمنين، وأُعطيت ملكا لنسل إسرائيل. وكانت هذه البقعة الصغيرة من الأرض، وحدها، ولأجيال كثيرة، التي كان الله معروفا فيها و«اسمه عظيم» (مز ٧٦: ١). ومما تجدر ملاحظته:

(١) مدى صغر ذلك الجزء من العالم الذي اختص الله به نفسه.

(٢) كيف أن الله كثيرا ما يعطي شعبه نصيبا صغيرا من هذا العالم.

ثالثا: يجب ملاحظة ما كانت عليه حدودها وتخومها.

(١) كنعان نفسها كانت «فخر الأراضي» (هكذا وُصفت في دانيال ٨: ٩)، ومع ذلك تتاخمها البرية والبحار، وتحيط بها عديد من المواقع الكئيبة.

(٢) كثير من حدودها كانت دفاعاتها وحصونها الطبيعية.

(٣) بلغ تخومها إلى «وادي مصر» (ع ٥)، فربما يذكرهم رؤية هذا البلد من خلال حدودهم، عبوديتهم هناك، وخلاصهم العجيب منها.

(٤) حدودها هنا اتُخذت على أنها تبدأ من طرف «بحر الملح» (ع ٣) وتنتهي عنده (ع ١٢). ذلك الوادي الجميل المثمر والذي كانت هذه المدن تقع فيه أصبح بحيرة، وهي التي لم تحركها أية رياح، ولم تُر فيها أية مراكب، ولم توجد بها أية أسماك، أو أية كائنات حية من أي نوع، ولذلك سُمي «البحر الميت».

(٥) تخمها الغربية هي «البحر الكبير» (ع ٦) والذي يُسمى الآن البحر الأبيض المتوسط.

عدد ١٦ – ٢٩

عيَّن الله هنا الوكلاء الذين يقومون بتقسيم الأراضي بينهم. ذلك أن غزوها والاستيلاء عليها

اعتُبر أمرا مفروغا منه، على الرغم من أنه حتى الآن لم يحدث أو وُجهت إليها ضربة واحدة.

(١) الوكيلان الرئيسيان، وهما من نفس النخبة المختارة كانا «ألعازار» و«يشوع» (ع ١٧).

(٢) وإلى جانب هذين، وحتى لا تكون أية شبهة في المحاباة، عُين رئيس من كل سبط لكي يحضر القرعة ويتفحص الأمر، ويتأكد من أن السبط الذي يمثله لم يتعرض لأي أذى.

الأصحاح الخامس والثلاثون

سبق أن أُعطيت الأوامر الخاصة بتقسيم كنعان بين الأسباط العلمانية (كما أسميها أنا)، أما هنا فتتركز العناية على تدبير نصيب كامل بالنسبة لسبط لاوي، الذين يخدمون الأمور المقدسة،

أولا: يجب أن تخصص لهم ثمان وأربعون مدينة بضواحيها، جزء منها في كل سبط (ع ١– ٨).

ثانيا: من بين هذه تخصص ست مدن للملجأ، لكل من قتل شخصا بغير عمد (ع ٩– ١٥). وبالنسبة للتشريع الخاص بهذه الأمور، نلاحظ الآتي:

(١) لم يكن يُسمح بالملجأ في حالة القتل العمد (ع ١٦– ٢١).

(٢) ما هي الحالات التي يُسمح فيها بذلك (ع ٢٢– ٢٤).

(٣) ما هي الشريعة الخاصة بأولئك الذين يحتمون بمدن الملجأ هذه (ع ٢٥– ٣٤).

عدد ١ – ٨

أتاحت الشريعة الخاصة بالعشور والتقدمات إعالة كريمة جدا للاويين، ولكن لا يجب الاعتقاد، بل، وليس من المصلحة العامة أن يعيشوا جميعا حول خيمة الاجتماع بعد المجيء إلى كنعان كما كان حالهم أثناء تواجدهم في البرية، ولذلك يجب أن تُولى عناية كبيرة لأن تُقدم لهم المساكن الخاصة بهم، والتي يمكنهم أن يعيشوا فيها براحة، وأن يكونوا نافعين لشعبهم. وهذا هو موضوع الاهتمام في هذا الأصحاح.

أولا: خُصصت لهم مدن، مع مراعيها (ع ٢). ولم يُعطوا أية أراضي للزراعة.

(١) وقد خُصصت المدن لهم، حتي يعيشوا على مقربة من بعضهم البعض، ويتبادلوا الحديث عن الناموس، وحتى يستشيروا بعضهم البعض في الحالات التي هي موضوع شك.

(٢) هذه المدن لها المراعي الملحقة بها من أجل مواشيهم (ع ٣) وقد سُمح لهم بألف ذراع من سور المدينة كبناء منفصل، وذلك لحفظ مواشيهم فيها خارج منطقتهم السكنية، ثم ألفي ذراع أخرى كحقول ترعى فيها الماشية (ع ٤ و٥).

ثانيا: وتُعطى لهم هذه المدن من ممتلكات كل سبط (ع ٨).

(١) بهذا يعبر كل سبط عن اعترافه البالغ بفضل الله عليه.

(٢) وبهذا تُتاح لكل سبط فرصة الانتفاع بخدمات اللاويين الساكنين وسطهم، لكي يعلموهم معرفة الرب الصالحة.

ثالثا: العدد الذي خُصص لهم هو في مجموعه ثمان وأربعون مدينة أربع مدن من كل سبط من الأسباط الاثني عشر.

عدد ٩ – ٣٤

تتضمن هذه الفقرة الأوامر الخاصة بمدن الملجأ. وفي هذا الجزء من التشريع نجد الكثير من القانون العادل، والوصايا النقية.

أولا: نرى هنا الكثير من القانون العادل، بالنسبة للقاتل والقتل.

(١) القتل المتعمد يجب أن يُعاقب بالموت، ولا يُسمح في هذه الحالة باللجوء إلى مدن الملجأ، أو تُقبل فدية، أو أي تغيير في العقوبة المفروضة. وعندما يقع أي ضرر يجب التعويض عنه، وحيث إن القاتل لا يستطيع استعادة الحياة التي اغتالها بظلمه، فيتحتم أن تُؤخذ حياته هو بدلا منها، وليس ذلك (كما تخيل البعض) من أجل إرضاء روح الشخص الذي قُتل، بل لإعمال الناموس وأحكام العدالة الخاصة بالأمة، ولكي يكون في ذلك تحذير للآخرين ألا يرتكبوا جريمة القتل. وقد أُوكل لولي الدم ليس الاتهام فقط، بل تنفيذ العقوبة في القاتل أيضا. فكما كان عليه أن يفتدي أملاك قريبه في حالة رهنها، هكذا أُريد له

أيضا أن يكون هو الذي «يقتل القاتل» (ع ١٩): «ولي الدم يقتل القاتل».

(٢) ولكن إذا لم يكن القتل مقصودا، أو تم عند عمد، وإذا كان «بلا عداوة» (ع ٢٢)، وإذا لم يكن قد رأى الشخص ولم يكن «طالبا أذيته» (ع ٢٣)، وهي الحالة التي يسميها قانوننا «حادثة»– أو القتل بغير قصد، في مثل هذه الحالات كانت هناك مدن الملجأ لكي يهرع إليها القاتل. وفيما يختص بمدن الملجأ، ينص التشريع:

أ. إذا ما قتل رجل شخصا آخر، فهو آمن إذا لجأ إلى هذه المدن حيث يحظى بحماية القانون إلى أن تتم محاكمته أمام الجماعة، أي أمام القضاة في محاكمة علنية.

ب. وإذا ثبت من المحكمة أن الحالة تتضمن قتلا عمدا، لا تصبح مدينة الملجأ حماية له، لأنه سبق الحكم في ذلك: «فمن عند مذبحي تأخذه للموت» (خر ٢١: ١٤).

ج. إذا وُجد أن القتل جاء خطأ أو بسبب حادث غير متعمد، وأن الضربة وقعت دون سابق تآمر على حياة الشخص الذي قُتل، أو على غيره، هنا يظل القاتل آمنا في مدينة الملجأ، ولا يجوز لولي الدم أن يتعرض له بأي شكل كان (ع ٢٥). ويظل منفيا هناك بعيدا عن بيته وممتلكاته إلى أن يموت رئيس الكهنة. وهنا يريد الله الآتي:

◄ بحفظ حياة القاتل يعلمنا الله أن الناس لا يجب أن يتألموا بسبب جريمة لم يقصدوا ارتكابها.

◄ بنفي القاتل من مدينته وحبسه في مدينة الملجأ، يعلمنا الله أن نخاف ونرتعب من الشعور بالذنب بسبب القتل، وأن نحرص كل الحرص على ألا نتسبب في قتل أحد.

◄ تحديد فترة إقامة القاتل إلى موت رئيس الكهنة، إنما فيه إضفاء الكرامة على هذا المركز الديني. ولما كانت كل مدن الملجأ هي مدن اللاويين، ورئيس الكهنة يُعد رئيس هذا السبط، فإن أولئك الذين تحدد إقامتهم فيها يعتبرون أسرى لديه، ومن ثَمَّ فإن موته يتبعه الإفراج عنهم.

ثانيا: نجد هنا كثيرا من صلاح الشريعة كامنا في ما ترمز إليه أو تصوره مدن الملجأ، والتي يبدو أن الرسول كان يشير إليها حين تحدث عن التجائنا «لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا» (عب ٦: ١٨)، وعن وجودنا في المسيح (في ٣: ٩).

(١) كانت هناك مدن ملجأ كثيرة، وقد رُسم أن تكون في أجزاء عديدة من البلاد، حتى يتاح للقاتل، في أي جهة من أرض إسرائيل أن يصل إلى أي من مدن الملجأ في نصف يوم، وهكذا، فإنه على الرغم من أنه لا يوجد سوى مسيح واحد نلجأ إليه، إلا أنه حيثما كنا، فإنه ملجأ قريب لنا، ومعونة جاهزة وفي متناول يدنا، لأنه «عندنا الكلمة» والمسيح في الكلمة.

(٢) كان القاتل آمنا في أي من هذه المدن، وهكذا فإنه في المسيح، كل المؤمنين الذين يلوذون به، ويستريحون فيه، يجدون حماية من غضب الله ولعنة الناموس. «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو ٨: ١).

(٣) كانت جميعها مدنا للاويين، وكانت شفقة بالسجين المسكين أن يواسيه اللاويون ويشجعوه، ويرحبوا به، وهكذا فمن عمل خدام الإنجيل أن يرحبوا بالخطاة المساكين باسم المسيح، وأن يساعدوا ويقدموا المشورة لأولئك الذين هم بالنعمة في المسيح.

(٤) بمقدور الغرباء والمسافرين– وعلى الرغم من أنهم ليسوا مواطنين إسرائيليين، الاستفادة من مدن الملجأ هذه (ع ١٥). وهكذا أيضا فإنه في المسيح يسوع لا فرق بين يوناني ويهودي.

(٥) وحتى تخوم المدينة أو حدودها كانت كافية لأن توفر الأمن لهذا المذنب (ع ٢٦ و٢٧). وهكذا كانت هناك ثَمة قوة حتى في طرف ثوب المسيح كانت تقدم الشفاء للمرضى المساكين.

الأصحاح السادس والثلاثون

هذا الأصحاح يتناول القرار الذي اتُخذ في ناحية أخرى أُثيرت في موضوع بنات صلفحاد. فقد أمر الله بأن يكون لهن حق الميراث (عد ٢٧: ٧).

أولا: فقد قُدمت شكوى عن ضرر ينجم إذا ما تزوجن من سبط آخر (ع ١– ٤).

ثانيا: ولقد جاء الأمر الإلهي بأن يتزوجن من نفس

السبط الذي تنتمين إليه (ع ٥– ٧)، وقد اتخذ هذا كمبدأ يطبق في الحالات المماثلة (ع ٨ و٩)، وبالفعل تزوجن من بين أقاربهن على هذا الأساس (ع ١٠– ١٢)، وبهذا يُختتم السفر (ع ١٣).

عدد ١– ٤

أمامنا هنا الالتماس المتواضع الذي تقدم به رؤساء سبط منسى إلى موسى ورؤوس الآباء بالنسبة للأمر الذي صدر أخيرا بشأن بنات صلفحاد.

(١) خضعوا بكل أمانة للأمر السابق الذي صدر بشأن هذه الحالة، ولم يكونوا يرغبون في إلغاء الأمر بل كانوا على استعداد تام لتقبله. (ع ٢).

(٢) عرضوا الضرر الذي قد ينجم نتيجة احتمال زواج بنات صلفحاد من أحد رجال الأسباط الأخرى (ع ٣). وثمة أمران كانوا يرمون إليهما في عرضهم لهذا الموضوع:

أ. سوف يشكل هذا انتهاكا للترتيب الإلهي إذا ما انتقل جزء كبير من نصيب سبط منسى– نتيجة زواجهن– إلى أي سبط آخر.

ب. لمنع الصراعات في العائلة، إذا دخل بينهم أي من الأسباط الأخرى، لأن هذا قد يثير بعض النزاعات.

عدد ٥– ١٣

أولا: حُسمت المسألة بأمر صريح من الله ينهي الخلاف بين بنات صلفحاد وبقية سبط منسى. وقد تمت الموافقة على هذا الالتماس، وعُمل اللازم لمنع الضرر الذي كانوا يخشونه: «بحق تكلم سبط بني يوسف» (ع ٥).

(١) لم يحدد لهن أشخاصا بعينهم، فمجال الاختبار كبير في عشيرة أبيهن: «من حسن في أعينهن يكن له نساء». وكما أن الأبناء يجب أن يحافظوا على سلطة والديهم، وألا يتزوجوا ضد رغبتهم، فهكذا أيضا يتعين على الآباء أن يتشاوروا مع أبنائهم عند ترتيب زواجهم، وألا يرغموهم على الزواج بمن لا يحبوهم. فالزيجات بالإكراه غالبا ما لا تنجح.

(٢) اقتصر زواجهن على رجال أقاربهن حتى لا ينتقل ميراثهن لسبط آخر.

ثانيا: القرار الذي اتُخذ في هذه الحالة الخاصة تحول إلى قاعدة عامة ومستديمة.

ثالثا: خضوع بنات صلفحاد لهذا القرار.

رابعا: ختام هذا السفر كله، وبالإشارة إلى الجزء الأخير منه: نتعلم منه أن مهما كانت الحالة التي تأتي بنا عناية الله إليها، يتحتم علينا أن نتوسل إليه أن يعلمنا ما هو واجبنا حيالها، وأن يعطينا القدرة على عمله، حتى نعمل عمل اليوم بيومه، وفي موضعه.

التَّثْنِيَة

هذا السفر هو إلى حد كبير تكرار لكل من التاريخ والشرائع الموجودة في الكتب الثلاثة السابقة وليس به سرد تاريخي جديد إلا وفاة موسى في الأصحاح الأخير، ولكن الشرائع السابقة مكررة ومفسرة، ومشروحة بتوسع، مضافا إليها بعض الوصايا الخاصة، مع مبررات وافرة لتأكيدها. ويُسمي المفكرون اليونان هذا السفر باسم «ديوتيرونومي» الذي يعني «الناموس الثاني» أو طبعة ثانية للناموس، ولكن بلا تعديلات لأنه لم يكن محتاجا إلى تعديلات، أو إضافات، كإرشادات جديدة للشعب في أحوال مختلفة لم تُذكر من قبل:

أولا: كان لكرامة الناموس الإلهي أن يُكرر بهذا الأسلوب.

ثانيا: قد يكون هناك سبب خاص لتكراره عندئذ؛ فإن الرجال الذين أُعطي لهم الناموس أولا قد ماتوا كلهم وقد خرجت إلى الوجود أجيال جديدة، أراد الله أن يكرر لهم الناموس على لسان موسى نفسه، حتى- إذا أمكن- يكون له طابع لا يُمحى عليهم. والآن وهم على وشك امتلاك أرض كنعان، فكان يجب على موسى أن يقرأ عليهم نصوص العهد، حتى يستطيعوا أن يدركوا ما هي الشروط والاتفاقيات التي على أساسها سيمتلكون الأرض ويتمتعون بها.

ثالثا: من المفيد للشعب أن هذه الأجزاء من الناموس- التي تهتم بصفة مباشرة وتحكم سلوكهم- تكون بين أيديهم؛ إذ أن القوانين الخاصة بالكهنة واللاويين، لا تتكرر هنا. إن حقائق الإنجيل العظمى والتي يحتاج إليها الشعب، يجب أن يُركز عليها خدام المسيح. يقول الرسول بولس: «كتابة هذه الأمور إليكم ليست عليَّ ثقيلة وأما لكم فهي مؤمنة» (في ٣: ١). ما قاله الله مرة نحتاج إلى سماعه مرتين، بل عدة مرات، وسيكون من الأفضل، بعد كل هذا إذا فهمناها وراعيناها جيدا.

يعتبر سفر التثنية.. الناموس الثاني.. الناموس العلاجي.. الناموس الروحي.. ناموس الإيمان.

يبدأ سفر التثنية بمذكرة موجزة لأهم الحوادث التي حدثت للإسرائيليين منذ خروجهم من جبل سيناء. ونجد في الأصحاح الرابع تشجيعا قويا ومشددا على الطاعة. وفي الأصحاح الثاني عشر إلى الأصحاح السابع والعشرين تتكرر بعض النواميس الخاصة الملزمة (أصحاح ٢٧ و٢٨) مع المواعيد والتهديدات، البركات واللعنات، موضوعة في صيغة عهد، (أصحاح ٢٩ و٣٠) لاستمرار تذكر هذه الأمور بينهم (أصحاح ٣١) بواسطة نشيد (أصحاح ٣٢). وهكذا يُنهي موسى السفر ببركة (أصحاح ٣٣). كل هذا أعطاه موسى لإسرائيل في الشهر الأخير من حياته. عندما أراد مخلصنا أن يرد على تجارب الشيطان بالمكتوب، أخذ كل اقتباساته من هذا السفر، (متى ٤: ٤ ، ٧ ، ١٠).

الأصحاح الأول

يبدأ الجزء الأول من عظة موسى الوداعية بهذا الأصحاح، ويستمر إلى الجزء الأخير من الأصحاح الرابع. ولنا في الخمسة الأعداد الأولى من هذا الأصحاح تاريخ العظة والمكان والوقت اللذين أُلقيت فيهما (ع ١ و٢، ٥)، (ع ٣ و٤) والحديث في هذا الأصحاح يذكرهم بـ:

أولا: الوعد الذي أعطاه الله لهم بشأن أرض كنعان (ع ٦– ٨).

ثانيا: تعيين القضاة من أجلهم (ع ٩– ١٨).

ثالثا: عدم إيمانهم وتذمرهم بسبب تقرير الجواسيس (ع ١٩– ٣٣).

رابعا: الحكم الذي صدر ضدهم لهذا السبب والتصديق على ذلك الحكم (ع ٣٤– ٤٦).

عدد ١ – ٨

نجد هنا:

أولا: تاريخ هذه العظة التي ألقاها موسى على شعب إسرائيل:

(١) المكان الذي كانوا يعسكرون فيه عندئذ هو الصحراء، في تخوم موآب (ع ١، ٥) حيث كانوا على وشك الاستعداد لدخول كنعان والانشغال في حرب الكنعانيين، ولكنه لم يكن يتحدث إليهم بشأن الأمور الحربية بل بشأن واجبهم نحو الله.

(٢) وأما الوقت فكان قرب نهاية السنة الأربعين منذ خروجهم من مصر. والآن إذ أن مشهدا جديدا وأكثر بهجة كان وشيك الحدوث مبشرا بالخير نجد موسى يكرر على مسامعهم الشريعة.

ثانيا: الحديث نفسه، بصفة عامة تكلم موسى إليهم بكل ما أمره الله به (ع ٣) ويبدأ حديثه من جبل سيناء (ع ٦) ويقص هنا:

(١) الأوامر التي أعطاهم الله إياها بالارتحال والتقدم في سيرهم (ع ٦ و٧) لقد مكثوا في هذا الجبل مدة كافية «كفاكم قعود في هذا الجبل» لقد أتى بهم الله إلى هذا المكان ليذلهم، وبمخاوف الشريعة يعدُهم للدخول إلى أرض الموعد– ورغم أن الله يأتي بشعبه إلى المتاعب الروحية والآلام الجسدية إلا أنه يعرف متى ينبغي خروجهم منها، وسيجد بالتأكيد الوقت الذي يخرجهم فيه من رعب روح العبودية إلى راحة روح التبني (انظر رومية ٨: ١٥).

(٢) يعرض أمامهم مستقبلا سعيدا واستقرارا وشيكا في كنعان. عندما يأمرنا الله بالتقدم في حياتنا الروحية المسيحية، فإنه يضع أمامنا كنعان السماوية لتشجيعنا.

عدد ٩ – ١٨

هنا يذكرهم موسى بالتكوين السعيد لحكومتهم، والتي وُليت بحيث تجعلهم كلهم آمنين وسعداء، ما لم تصدر منهم أخطاء (تُفسد هذا النظام). في هذا الجزء من القصة يُلمح لهم بالآتي:

أولا: أنه فرح جدا لزيادة أعدادهم، معترفا باتمام مواعيد الله لإبراهيم (ع ١٠) «أنتم اليوم كنجوم السماء في الكثرة الرب إله آبائكم يزيد عليكم مثلكم ألف مرة». إن كانت قوة الله وصلاحه بلا حدود، فلماذا يكون إيماننا ورجاؤنا محدودين. يجب أن يكون إيماننا عظيما على قدر عظم وعد الله. كان يتمنى أن يكونوا ألف ضعف ما كانوا حينئذ، وقد كانوا في ذلك الحين أكثر عشرة آلاف مرة عما كانوا حين نزلوا إلى مصر.

ثانيا: إنه لم يكن طامعا في احتكار شرف السلطة فيحكمهم هو وحده كحاكم مستبد (ع ٩).

ثالثا: وأنه لم يكن يريدهم أن يعتمدوا عليه وحده، بل تُرك الأمر للشعب لكي يختاروا قضاتهم بأنفسهم، ولهؤلاء سوف يسلم مقاليد الأمور، وهو يوجههم ليختاروا «رجالا حكماء وعقلاء ومعروفين»، الذي يزكيهم استحقاقهم الشخصي.

رابعا: أنه كان في هذا الأمر راغبا في إرضاء الشعب، وقد وافقوا على الاقتراح، والقيادات التي تشاجروا معها هي نفس القيادات التي وافقوا عليها.

خامسا: كان يقصد تعليمهم، في نفس الوقت الذي قصد فيه إرضاءهم:

(١) عيَّن رجالا ذوي صفات جيدة (ع ١٥) «رجالا حكماء ومعروفين» رجال يكونون مخلصين لما عهد إليهم وللمصلحة العامة.

(٢) أعطى لهؤلاء وصية طيبة (ع ١٦ و١٧):

أ. نصحهم أن يكونوا مجتهدين وصبورين وأن يسمعوا كلا الجانبين (المتقاضيين) يسمعونهما بانتباه، ويستمعون لكل ما يقولونه بإصغاء؛ فالطبيعة قد زودتنا بأذنين، إذ إن الأذن المصغية هامة للسان المعلِّم.

ب. أن يكونوا عادلين وغير متحيزين. لا يجب أن يأخذوا بالوجوه في القضاء، وأن يكونوا غير مرتشين وغير متعصبين، ويجب أن العدالة تسبق الحكم.

ج. أن يكونوا حازمين وشجعانا، فأنتم وكلاء الله وتعملون من أجله ولذلك يجب أن تسلكوا مثله؛ فأنتم ممثلوه. ولكن إذا لم تحكموا بالعدل فإنكم تسيئون تمثيله.

(٣) أجاز لهم بأن يأتوا بكل القضايا الصعبة إليه، وهو سيكون دائما مستعدا لأن يسمع ويقرر، وأن يجعل كلا من القضاة والشعب سعداء.

عدد ١٩ – ٤٦

يقص عليهم موسى هنا حديثا طويلا عن المصير المهلك الذي واجههم بسبب خطاياهم، وهي قصة مشهورة نقرأها في سفر العدد ١٣ و١٤ ولكن توجد بعض الملابسات المذكورة هنا وغير موجودة هناك.

أولا: يذكرهم بسيرهم من حوريب إلى قادش برنيع (ع ١٩) «ذلك القفر العظيم المخوف»- يذكر هذا ليجعلهم يدركون عظمة صلاح الله العظيم نحوهم، في قيادتهم خلال قفر عظيم مثل هذا. فذكرى الأخطار التي اجتزنا فيها يجب أن تملأ قلوبنا بالشكر من أجل نجاتنا منها.

ثانيا: يريهم كيف كانت لهم الحرية في دخول كنعان في ذلك الوقت (ع ٢٠ و٢١) لقد جعلهم يرون كيف كانوا قريبين من الاستقرار السعيد، حين وضعوا هم عارضة أغلقوا بها الباب على أنفسهم.

ثالثا: يضع عليهم اللوم في إرسال الجواسيس، وهذا لا يظهر واضحا في سفر العدد ١٣: ١ و٢ حيث يقال هناك إن الرب أرشد وأشرف على إرسال الجواسيس، ولكننا نجد هنا أن الشعب أراد ذلك، والله إذ سمح به، أسلمهم إلى مشورتهم «وقلتم دعنا نرسل رجالا قدامنا» (ع ٢٢) مع أن موسى كان قد أعطاهم كلمة الله (ع ٢٠ و٢١) ولكنهم لم يجدوا في قلوبهم رغبة في الاستناد إليها، لقد فضلوا السياسة البشرية على الحكمة الإلهية وأحسوا بحاجتهم إلى إضاءة شمعة في وجود نور الشمس!

رابعا: إنه يكرر التقرير الجيد الذي جاء به الجواسيس عن جودة الأرض التي أُرسلوا لاستطلاعها (ع ٢٤ و٢٥) ولكنهم تصوروا أن الصعوبات التي تحول دون امتلاكها لا يمكن تخطيها (ع ٢٨).

خامسا: يذكرهم بمعاناته معهم لتشجيعهم، حين قال إخوتهم الكثير بقصد تثبيطهم (ع ٢٩). أكد لهم أن الله كان موجودا معهم وللبرهان على قدرته أمام أعدائهم ذكرهم بما فعله الرب في مصر، ولإثبات إرادة الله الصالحة من نحوهم ذكرهم بما رأوه في الصحراء (ع ٣١، ٣٣) التي خلالها قادهم الله بعناية ولطف لم يُظهرا لطفل وليد يحمله أبوه هل بعد ذلك هناك مكان لعدم الثقة في هذا الإله؟

سادسا: أدانهم بالخطية التي أذنبوا بها في تلك المناسبة:

(١) عدم طاعة الله والتمرد ضد ناموسه.

(٢) أفكار تتنافى مع صلاح الله.

(٣) أساس كل هذا قلب غير مؤمن: «لستم واثقين بالرب إلهكم» (ع ٣٢)

سابعا: يكرر الحكم الصادر ضدهم:

(١) حكم عليهم جميعا أن يموتوا في البرية، وأن لا يدخل واحد منهم كنعان إلا كالب ويشوع (ع ٣٤– ٣٨). لم يكن نقض أي وصية من الناموس هو الذي منعهم من الدخول إلى كنعان، كلا ولا حتى العجل الذهبي، لكن عدم إيمانهم بذلك الوعد– الذي كان رمزا لإنجيل النعمة؛ فهو يشير إلى أنه لا توجد خطية تدمرنا إلا خطية عدم الإيمان التي هي خطية بلا علاج.

(٢) موسى نفسه تعرض لغضب الله بسببهم من كلمة تعجل بها لسانه بعدما أثاروه «وعلي أيضا غضب الرب بسببكم» (ع ٣٧)

(٣) إلا أننا هنا نجد الرحمة ممتزجة بالغضب.

أ. ولو أن موسى لن يدخلهم إلى كنعان ولكن يشوع سوف يفعل (ع ٣٨).

ب. ولو أن هذا الجيل لن يدخل كنعان ولكن الجيل التالي سيدخل (ع ٣٩).

ثامنا: إنه يذكرهم بمحاولتهم الغبية غير المثمرة، أن يبطلوا الحكم الصادر ضدهم بعد فوات الأوان.

(١) حاولوا ذلك بتغيير أنفسهم في هذه الحالة بالذات، فبينما رفضوا أن يحاربوا الكنعانيين في أول الأمر، الآن يريدون أن يذهبوا، ولكن هذا الأمر الذي أخذ صورة الإصلاح ثبت أنه تمرد آخر- لقد تبعهم أعداؤهم وأهلكوهم.

(٢) حاولوا بصلواتهم ودموعهم أن يلغوا الحكم الصادر ضدهم: «فرجعتم وبكيتم أمام الرب» (ع ٤٥).. كانت هذه دموع التوبة والاتضاع أمام الرب، «ولم يسمع الرب لصوتكم ولا أصغى إليكم» لأنكم لم تصغوا إليه.

الأصحاح الثاني

يستمر موسى في هذا الأصحاح في ذكر تدبيرات عناية الله من نحو إسرائيل في طريقهم إلى كنعان، لكنه لا يذكر أي شيء حدث أثناء سيرهم الشاق رجوعا إلى البحر الأحمر (الجزء الشرقي منه وليس الجزء الغربي) حيث أُنهكوا حوالي ثماني وثلاثين سنة، لكن يبدأ حديثه عندما اتجهوا نحو كنعان ثانية (ع ١- ٣) واقتربوا إلى البلاد المليئة بالسكان- والتي يعطيهم الرب تعليمات بشأنها.

أولا: البلاد التي يجب ألا يزعجوها:

(١) الأدوميين (ع ٤- ٨).

(٢) الموآبيين (ع ٩) والتي يقص موسى شيئا عن تاريخ هذه البلاد القديم، ومع الأدوميين حيث يقدم بعض التقارير (ع ١٠- ١٢). وهنا يتحدث عن عبورهم وادي زارد (ع ١٣- ١٦).

(٣) العمونيين حيث يعطي بعض التلميحات عنها (ع ١٧- ٢٣)

ثانيا: البلاد التي يجب أن يهاجموها ويأخذوها، ويجب أن يبدأوا بسيحون ملك الأموريين (ع ٢٤ و٢٥)، وتبعا لهذا:

(١) أُعطوا سببا عادلا لمحاربته. (ع ٢٦- ٣٢)

(٢) أعطاهم الله نصرة كاملة عليه (ع ٣٣- ٣٧).

عدد ١- ٧

أولا: قصة مختصرة عن بقاء إسرائيل في البرية «ودرنا بجبل سعير أياما كثيرة» (ع ١)- تجولوا في الصحراء ما يقرب من ثماني وثلاثين سنة في صحراء سعير- وربما مكثوا في بعض الأماكن عدة سنوات.

ثانيا: أعطيت لهم الأوامر بالاتجاه إلى كنعان.

ثالثا: تحذير لهم ألا يزعجوا الأدوميين.

(١) يجب ألا يظهروا نحوهم أية عداوة: «لا تهجموا عليهم» (ع ٤ و٥).

(٢) يجب أن يتاجروا معهم كجيران: تشترون منهم الطعام والماء وتدفعون ثمن ما يقدمونه (ع ٦). يجب ألا يكون الدين أبدا رداء للتستر على الظلم.

عدد ٨- ٢٣

من الملاحظ أن موسى حين يتحدث عن الأدوميين (ع ٨) يدعوهم «إخوتنا» نسل عيسو، رغم أنهم كانوا قساة على إسرائيل، عندما رفضوا مرورهم بسلام داخل أرضهم، ومع ذلك فهو يدعوهم إخوة، ولنا في هذه الأعداد:

أولا: النبذة التي يذكرها موسى بشأن أصل الموآبيين والأدوميين والعمونيين وهو يخبرنا كيف جاءوا إلى تلك البلاد التي وجدهم بنو إسرائيل فيها، فلم يكونوا هم السكان الأصليين أو الزراع الأوائل ولكن:

(١) سكن الموآبيون في أرض كانت مملوكة لأجناس عديدة من الجبابرة تسمى الإيميين (أي المرعبين) طوال كالعناقيين وربما أقوى منهم (ع ١٠ و١١).

(٢) والأدوميون أيضا طردوا الحوريين وأبادوهم من قدامهم وأخذوا بلادهم (ع ١٢)، وأيضا (ع ٢٢) والذين نقرأ عنهم في تكوين ٣٦: ٢٠.

(٣) والعمونيون أيضا امتلكوا أرضا كان يسكنها قبلا جبابرة يدعون الزمزميين، رجالا محتالين أو أشرارا (ع ٢٠ و٢١)، وربما هم نفسهم الذين يسمون الزوزيين (تك ١٤: ٥). وهو يوضح هذه الملحوظات بمثال أقدم من كل هؤلاء.. وهم الكفتوريون (الذين كانوا أقارب للفلسطينيين) (تك ١٠: ١٤) الذين أبادوا العويين وأخذوا أرضهم (ع ٢٣). وربما

كان هؤلاء العويون قد استقروا في أشور، وهم نفس الشعب الذين نقرأ عنهم تحت هذا الاسم في ٢ ملوك ١٧: ٣١.

ثانيا: الرحلات التي قام بها إسرائيل في تقدمهم نحو كنعان: «تحولنا ومررنا في طريق برية موآب» (ع ٨) ثم عبروا وادي زارد (ع ١٣). وهنا يلاحظ موسى إتمام الكلمة التي تكلم بها الله عنهم، أي أنه لا يرى أحد من أولئك الذين كانوا معدودين في جبل سيناء، الأرض التي وعد بها الرب (عد ١٤: ٢٣).

ثالثا: تحذيرهم ألا يضايقوا الموآبيين أو العمونيين الذين يجب ألا يحرموهم من أرضهم، أو يزعجوهم في ممتلكاتهم «لا تعاد موآب ولا تثر عليهم حربا» (ع ٩)، «لا تعادوهم ولا تهجموا عليهم» (ع ١٩). ولكن لماذا يجب ألا يضايقوا الموآبيين والعمونيين؟

(١) لأنهم كانوا نسل لوط (ع ٩، ١٩) البار الذي احتفظ بكماله في سدوم.

(٢) لأن الأرض التي امتلكوها كانت هي التي أعطاهم الله إياها، ولم يشأ أن يعطيها لإسرائيل.

عدد ٢٤ – ٣٧

لقد اختبر الله إنكار الذات الذي أبداه شعبه في منعهم من أن يضايقوا الموآبيين والعمونيين، ورأى كيف أنهم مروا بهذه البلاد الغنية، ورغم تفوقهم في العدد لم يهجموا عليهم قط، فها هو يعوضهم على طاعتهم له بأن يمتلكوا أرض سيحون ملك الأموريين.

أولا: يعطيهم أمرا بأن يستولوا على أرض سيحون ملك حشبون (ع ٢٤ و٢٥)، كانت هذه هي طريقة الله في التخلص من الممالك، ولكن مثل هذه المنحة الخاصة لا يمكننا أن نتبعها الآن، أو أن يدعيها أحد.

ثانيا: يرسل موسى إلى سيحون رسالة سلام، ولا يطلب إلا السماح بالمرور خلال أرضه، مع الوعد بألا يزعجوا بلاده، والسماح بشراء الطعام بالنقود من شعب كبير مثل هذا (ع ٢٦– ٢٩).

ثالثا: سيحون يبدأ الحرب (ع ٣٢).

رابعا: انتصار إسرائيل.

(١) قتلوا الأموريين بحد السيف، الرجال والنساء والأطفال (ع ٣٣ و٣٤) فماتوا ليس كأعداء إسرائيل ولكن كضحايا العدالة الإلهية، وأُستخدم إسرائيل في تقديم هذه الذبائح كمملكة كهنة.

(٢) امتلكوا كل ما كان لهم.. مدنهم (ع ٣٤) وممتلكاتهم (ع ٣٥) وأرضهم (ع ٣٦).

الأصحاح الثالث

يقص موسى في هذا الأصحاح:

أولا: غزو عوج ملك باشان وامتلاك بلاده (ع ١– ١١).

ثانيا: تقسيم هذه البلاد المستولى عليها لسبطين ونصف سبط (ع ١٢– ١٧) تحت حدود وشروط خاصة (ع ١٨– ٢٠).

ثالثا: التشجيعات المعطاة ليشوع ليتمم الحروب التي بدأت بشكل مجيد (ع ٢١ و٢٢).

رابعا: طلب موسى العبور إلى كنعان (ع ٢٣– ٢٥) مع رفض هذا الطلب، ولكنه منحه أمرا معادلا لطلبه (ع ٢٦– ٢٩).

عدد ١ – ١١

بلد شجاع آخر يسلم إلى يد إسرائيل، هو باشان:

أولا: كيف تغلبوا على عوج وهو ملك مخيف جدا.

(١) كان قويا جدا، لأنه كان من سلالة الجبابرة (أي الرفائيين) (ع ١١). عندما يدافع الله عن قضية شعبه فهو يستطيع أن يتعامل مع الجبابرة كما يفعل مع الجزء الصغير، فلا تستطيع قوة أي رجل أن تحميه ضد الله القادر على كل شيء. كان جيش عوج قويا جدا، لأنه كان يحكم ستين مدينة محصنة، عدا القرى التي لا أسوار لها (ع ٥).

(٢) كان شجاعا وجسورا، ووثق في قوته الشخصية وتقسى لخراب نفسه. وأمر الله موسى ألا يخافه (ع ٢). وإذا كان موسى نفسه قوي الإيمان ولا يحتاج إلى هذا التنبيه، إلا أنه ربما كان الشعب

محتاجا إليه، ومن أجلهم قُصد هذا التأكيد الجديد «لأني قد دفعته ليدك».

ثانيا: كيف امتلكوا باشان، وهي بلد محط الأنظار جدا. أخذوا كل المدن (ع ٤) وكل الغنائم منهم (ع ٧)، وأخذوها ملكا لهم (ع ١٠)، وبهذا أصبحوا يمتلكون كل البلاد المثمرة الواقعة شرق الأردن «من وادي أرنون إلى جبل حرمون» (ع ٨).

عدد ١٢ – ٢٠

بعد أن بيَّن كيف أُخذت البلاد التي كانوا فيها، الآن يظهر لنا في هذه الأعداد كيف قُسمت للرأوبينيين والجاديين ونصف سبط منسى، وقد سمعنا القصة قبل الآن (انظر سفر العدد ٣٢).

(١) موسى يحدد الأجزاء الخاصة من البلاد التي وُزعت على كل سبط، خصوصا تقسيم نصيب نصف سبط منسى، وهنا نجدر ملاحظة تقسيم السبط نفسه.

(٢) يكرر شروط المنحة التي سبق أن وافقوا عليها (ع ١٨– ٢٠)، ألا وهي أن يُرسلوا فصيلة قوية منهم عبر الأردن ليعينوا الفرق الأولى في غزو كنعان، وهؤلاء لا يعودون إلى بيوتهم إلا بعد أن يروا إخوتهم قد امتلكوا تماما نصيبهم كما امتلكوا هم نصيبهم. إن الرجل الصالح لا يستطيع أن يفرح كثيرا براحة أسرته ما لم ير «سلام على إسرائيل» (مز ١٢٨: ٦)

عدد ٢١ – ٢٩

هنا نجد:

أولا: التشجيعات التي قدمها موسى ليشوع، الذي كان سيخلفه في القيادة (ع ٢١ و٢٢).. أمره ألا يخاف. أمران أراد أن يهتم بهما يشوع لتشجيعه:

(١) ما سبق الله أن فعله: لقد رأى يشوع النصرة التامة التي أعطاها الله لقوات إسرائيل على هذين الملكين، ولا يجب أن يستنتج فقط أن الرب يستطيع أن يفعل هذا مع الجميع لأن يده لم تقصر، ولكن يجب أن يعرف أن الله سيفعل هذا، لأن مقصده لم يتغير وأن الذي ابتدأ عملا صالحا سيتمم.

(٢) ما وعد الله به «لأن الرب إلهكم سيحارب عنكم». والقضية التي سيتولى رب الجنود الحرب عنها لابد وأن تكون منتصرة.

ثانيا: الصلاة التي صلاها موسى من أجل نفسه والجواب الذي أعطاه الله أياه عن هذه الصلاة:

(١) كانت صلاته، إن كانت إرادة الله تسمح أن يذهب أمام إسرائيل عبر الأردن إلى كنعان «دعني أعبر وأرى الأرض الجيدة» ولم يقل «دعني أعبر لأكون أميرا وحاكما هناك» فلم يكن يطلب كرامته هو، إذ كان راضيا بتسليم الحكم ليشوع ولكن «دعني أعبر وأرى» وأكون شاهدا على مراحمك نحو إسرائيل، لأرى ما أُؤمن به بشأن جودة الأرض، أرض الموعد.

(٢) جواب الله على هذه الصلاة شمل خليطا من الرحمة والحكم، حتى ما يمكنه أن يُسبح الرب من أجلهما كليهما.

أ. كان هناك حكم قضاء بشأن طلبه، ممزوج بالغضب أيضا: «الرب غضب عليَّ بسببكم» (ع ٢٦). ولكن كيف غضب الله على موسى بسبب إسرائيل؟ إما:

◄ بسبب تلك الخطية التي أثاروه لفعلها (انظر مزمور ١٠٦: ٣٢ و٣٣) أو..

◄ أن عزل موسى في هذا الوقت– حين كان الأمر يستدعي وجوده جدا– كان توبيخا لكل إسرائيل وعقابا على خطيتهم، رغم أن موسى وهو أحد خلفاء يعقوب المجاهدين، لم يسع باطلا، ولكنه لم يتمتع بالشيء ذاته الذي كان يتطلع إليه. قد يقبل الله صلواتنا، ولكنه لا يمنحنا ما صلينا من أجله.

ب. كانت هناك رحمة ممتزجة بهذا الغضب ظهرت في أمور كثيرة:

◄ هدَّأ الله روح موسى «كفاك» اقترنت هذه الكلمة بلا شك بقوة إلهية لتهدئ موسى فيرضى بإرادة الله وتجعله مقتنعا بها، إذا كان الله في عنايته لا يعطينا ما نريد، ولكنه بنعمته يجعلنا مكتفين بدونه فالنتيجة تصبح واحدة.

◄ احترام الرب صلاة موسى بارشاده بألا يلح في طلبه «لا تعد تكلمني أيضا في هذا الأمر».

◄ وعده بمنظر يرى فيه كنعان من رأس الفسجة (ع ٢٧) فرغم أنه لن يمتلك أرض كنعان إلا أنه سوف يرى منظرا لها؛ لا لإغاظته، بل المنظر الذي

سيقدم له ترضية حقيقية، ويمكنه من تكوين فكرة واضحة ومرضية لتلك الأرض الموعود بها.

◄ قدم الله لموسى خليفة، شخص يؤكد كرامة موسى ويستمر في العمل المجيد الذي انشغل به قلب موسى ويكمله، أي أن يأتي بإسرائيل إلى كنعان ليستوطنوا هناك (ع ٢٨).

الأصحاح الرابع

لنا في هذا الأصحاح:

أولا: تحريض حماسي ومؤثر للطاعة، مسنود بإثباتات، متكرر مرارا ومرارا، يضعها أمامهم في أعظم صورة مثيرة ومؤثرة يمكن تخيلها (ع ١– ٤٠).

ثانيا: تعيين مدن الملجأ في شرق الأردن (ع ٤١– ٤٣).

ثالثا: وصف خاص للمكان الذي سلم فيه موسى التكرار التالي للناموس(ع ٤٤– ٤٩).

عدد ١– ٤٠

هذا الحديث الحيوي والممتاز يتكرر مرارا:

أولا: بصفة عامة إنها الاستفادة من خبرات الماضي وتطبيقها عمليا. ويجب أن نتذكر نحن أيضا عناية الله بنا، مما يجعلنا نتنبه ونلتزم بواجباتنا وطاعتنا.

ثانيا: الهدف لحديثه هذا والقصد منه هو حملهم على أن يكونوا قريبين من الله ومن خدمته وألا يتركوه لعبادة أية آلهة أخرى.

(١) انظر هنا كيف يحضهم ويأمرهم ويريهم ما يطلبه الله منهم:

أ. يطلب منهم الانتباه الجاد إلى كلمة الله « فالآن يا إسرائيل اسمع»، وهو لا يقصد بأن يعطوه الآن فقط آذانا صاغية، بل أن يكونوا دائما مصغين لكتاب الناموس حينما يُقرأ لهم أو حين يقرأونه هم.

ب. يوصيهم بأن يحفظوا الناموس الإلهي نقيا وكاملا بينهم، (ع ٢) احفظوه نقيا، ولا تزيدوا عليه، احفظوه كاملا ولا تنقصوا منه.

ج. يوصيهم بأن يحفظوا وصايا الله (ع ٢)؛ لكي تعملوا بها (ع ٥، ١٤)، وأن يحفظوها بعناية (ع ٦) وأن يعملوا بالعهد (ع ١٣)؛ فالاستماع لابد أن يؤدي إلى العمل، والمعرفة تؤدي إلى الممارسة.

د. يطلب منهم أن يكونوا مدققين في طاعتهم للناموس وحفظه بكل عناية (ع ٩) «احترز واحفظ نفسك جيدا» «فاحتفظوا جدا لأنفسكم» (ع ١٥) «احترزوا من أن تنسوا» (ع ٢٣)

هـ. ويوصيهم بصفة خاصة بأن يحترسوا من خطية الزنا. وهو يحذرهم من نوعين من الزنا:

◄ عبادة الأصنام، مهما استخدموها كوسيلة يقصدون بها عبادة الله الحي، كما فعلوا بالعجل الذهبي، وهكذا يبدلون حق الله بالكذب، ومجده بشيء مخزٍ. والوصية الثانية موجهة تحديدا ضد هذا، وهنا أُسهب فيها (ع ١٥– ١٨). إن تمثيل إله غير محدود بصورة، والخالق العظيم بهيئة مخلوق هي أعظم إهانة نوجهها إلى الله، وأكبر خداع نخدع به أنفسنا، وكبرهان ضد عملهم تماثيل لله يؤكد لهم بقوة أن الله عندما عرفهم بنفسه في جبل حوريب، عمل هذا بصوت كلمات رنت في آذانهم لتعلمهم بأن الإيمان يأتي بالاستماع وأن الله قريب منا في كلمته، ولكن لم يقدم أمام عيونهم أي تمثال؛ لأن رؤية الله في مجده أمر محفوظ لسعادتنا في العالم الآخر، ورؤية الله في غير ما هو عليه (التمثال) سيؤذينا بشدة في هذا العالم. «لم تروا صورة» (ع ١٢)، «لم تروا صورة ما» (ع ١٥).

◄ وعبادة الشمس والقمر والنجوم نوع آخر من الوثنية، التي يُحذرون منها هنا (ع ١٩). هذه كانت أقدم أنواع الوثنية والأكثر قبولا، واستحسانها جعلها أكثر خطرا. عندما ترون الشمس والقمر والنجوم، ستُعجَبون بارتفاعهم وضيائهم، وحركتهم المنتظمة وتأثيرهم القوي، ستُجربون بقوة بأن تُمجدوهم بالمجد الواجب للذي صنعهم. يبدو أنه كانت هناك حاجة شديدة لقدر كبير من التصميم ليسلحهم ضد هذه التجربة، إذ كان إيمانهم في إله غير منظور وعالم غير منظور ضعيفا. هذه الآلهة المزعومة، الشمس والقمر والنجوم، كانت مجرد بركات قسمها الرب إلههم لكل الشعوب، فمن الحماقة عبادتها، لأنها في خدمة البشر؛ فقد صُنعوا وتعينوا ليعطوا ضوءا على الأرض.

و. يوصيهم بأن يعلموا أبناءهم بأن يحفظوا ناموس

الرب «علمها أولادك وأولاد أولادك» (ع ٩) «ويعلموا أولادهم» (ع ١٠)

ز. يوصيهم بألا ينسوا واجبهم «احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم» (ع ٢٣).

(٢) دعونا الآن نرى الدوافع أو البراهين التي يدعم بها هذه النصائح:

أ. ينبههم بعظمة الله ومجده وصلاحه. لو أننا تأملنا في أي إله هو الذي معه أمرنا، لأدركنا تماما واجبنا نحوه، ولما تجرأنا على أن نخطئ ضده. وهو يذكرهم هنا أن الرب يهوه هو الإله الحي الوحيد والحقيقي. وكل آلهة الأمم آلهة مزيفة ومغتصبة، ولم يدَّع واحد منها أنه متسلط على السماء أو الأرض، ولكنها مجرد آلهة محدودة، أما الإسرائيليون الذين لم يعبدوا إلا الإله الروح الأعظم سيكونون بلا عذر إذا غيروا إلههم أو تجاهلوه. احذروا من أن تغضبوه لأنه يطلب كل عواطفكم نحوه وكل عبادتكم له، ولا يحتمل أن يكون له منافس بأي حال من الأحوال. وحتى في العهد الجديد، نجد نفس الأمر ملزما لنا كسبب لماذا يجب أن نخدم الله بخشوع (عب ١٢: ٢٨ و٢٩)، لأنه رغم كونه إلهنا، ونور وبهجة للذين يخدمونه بأمانة، إلا أنه نار آكلة للذين يستخفون به، إلا أنه «إله رحيم» (ع ٣١) وهذا التعبير يُذكر كتشجيع للتوبة، ولكن يمكن أن يستخدم كمحفز للطاعة، وسبب هام مناسب لمنع ارتدادهم.

ب. يقنعهم بعلاقتهم بهذا الإله، وسلطانه عليهم، والتزامهم نحوه، فهو «الرب إله آبائكم» (ع ١) لذلك فأنتم له بالميراث، كان آباؤكم ملكا له، وأنتم وُلدتم في بيته هو «الرب إلهكم» (ع ٢) فأنتم له باختياركم الحر هو «الرب إلهي» (ع ٥) لذلك فإني أتعامل معكم باعتباري وكيله وسفيره.

ج. يقنعهم بحكمة التدين.. «لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب» (ع ٦) فهناك أشياء عظيمة قد يرجوها الناس من أولئك الذين ينقادون بالإعلانات الإلهية، والذين استؤمنوا على الوحي الإلهي.

د. يذكرهم بالامتيازات الفريدة، التي لا مثيل لها والتي تمتعوا بها بفضل الفرائض والأحكام السعيدة التي يعيشون في ظلها (ع ٧ و٨). شركتنا مع الله (التي هي أعلى درجات الكرامة والسعادة التي نستطيع أن نتمتع بها في هذا العالم) تُحفظ بالكلمة والصلاة؛ وفي كليهما كان إسرائيل أسعد أهل العالم الذين تحت السماء، لأن ناموس الله أكثر تميزا بكثير من كل شرائع الأمم التي ليس بها قانون يوافق العدالة الطبيعية والمطالب غير المتحيزة للمنطق السليم، كما أنه لا يعارض نفسه، مما يؤدي إلى خير البشر ونفعهم، مثل الناموس الكتابي (مز ١١٩: ١٢٨). الذين يُعظِمون الشريعة سوف يُعظَمون بواسطة الشريعة.

هـ. يُذكرهم بظهور الله المجيد لهم على جبل سيناء عندما أعطاهم هذا الناموس، ويؤكد هذا بشدة اذكروا «اليوم الذي وقفت فيه أمام الرب إلهك في حوريب» (ع ١٠). فما نراه من عظمة الله، يُعطي لنا أساسا كافيا لنؤمن بأنه كائن ذو قوة وكمال غير محدودين، وبالتالي فليس هناك سبب يجعلنا نشك في إمكانية أخذه جسدا كجسدنا. ماذا سمعوا عند جبل سيناء؟ (ع ١٢): «فكلمكم الرب» بصوت واضح، بلغتكم أنتم، وسمعتموه. فالرب يعلن نفسه لكل العالم بأعمال خليقته التي بلا كلام أو لغة، ومع ذلك فصوتها يُسمع (مز ١٩: ١– ٣)، ولكنه عرَّف نفسه لإسرائيل بالكلام وباللغة التي تتناسب مع حالة الشعب.

و. يقنعهم بظهورات الله الكريمة لهم في إخراجهم من مصر من كور الحديد، حيث كانوا يعملون في النار، وجعل منهم شعبا، ثم أخذهم ليكونوا شعبه الخاص «تكونوا له شعب ميراث» (ع ٢٠) ويكرر هذا ثانية في الأعداد ٣٤، ٣٧ و٣٨ لقد قصد الله أن يكون لهم استقرارا سعيدا في كنعان (ع ٣٨).

ز. يقنعهم بظهور عدل الله ضدهم أحيانا بسبب خطاياهم، ويذكر بنوع خاص أمر فغور (ع ٣ و٤) وكان هذا الأمر قد حدث في عهد قريب جدا، وقد رأت عيونهم في الأمس القريب الخراب المفاجئ لأولئك الذين التصقوا ببعل فغور، ونجاة أولئك الذين تمسكوا بالرب، الأمر الذي منه يستطيعون أن يستنتجوا خطر الارتداد عن الله ومكاسب الذين يتمسكون بالرب.

ح. يذكر لهم بعض مزايا الطاعة.

ط. يذكرهم بالنتائج القاتلة لارتدادهم عن الله فإنه بلا شك سيؤدي إلى خراب الشعب، ويستفيض في هذا في الأعداد ٢٥– ٣١. لاحظ هنا:

◄ في أي مكان نتواجد فيه نستطيع منه أن نطلب الرب إلهنا، مهما كان المكان بعيدا عن أرضنا. ليس هناك جزء في هذا العالم معزولا عن السماء بهوة عميقة.

◄ أولئك، وأولئك فقط، الذين يطلبون الله بكل قلوبهم، سيجدون فيه عزاء لهم.

◄ تُرسل الضيقات إلينا لتوقظنا لنطلب الله، وإذ تعمل نعمة الله مع هذه الضيقات، يرجع كثيرون إلى عقولهم. والآن لنضع كل هذه البراهين معا، ونسأل بعد هذا، أليس للدين براهينه وأسبابه التي تسانده؟ فلا يوجد أحد يرفض أن يُحكم بناموس الله سوى ذاك الذي يتخلى أولا عن الإدراك والتمييز الصحيحين.

عدد ٤١– ٤٩

نجد هنا:

(١) تسمية مدن الملجأ في الجانب الشرقي من الأردن حيث سكن إسرائيل حينذاك، وتعين لهذا الغرض ثلاث مدن. أحداها في نصيب رأوبين والأخرى في نصيب جاد، والثالثة في نصيب نصف سبط منسى (ع ٤١– ٤٣).

(٢) مقدمة لعظة أخرى ألقاها موسى على شعب إسرائيل، نجدها في الأصحاحات التالية– وربما تكون هذه العظة قد أُلقيت في السبت التالي، عندما تجمع الشعب ليتلقوا التعليمات– سبق له أن حضهم عموما على الطاعة في الأصحاح السابق، وهنا يكرر الشريعة التي يجب أن يعملوها، لأنه يطلب طاعة شاملة وليس طاعة ضمنية. فكيف نستطيع أن نقوم بالواجب الذي علينا إن لم نعرف الطاعة؟ لذلك يضع أمامهم الناموس كالقاعدة التي كان يجب أن يعملوا بمقتضاها.

الأصحاح الخامس

في هذا الأصحاح نجد الوصايا العشر مرة ثانية:

أولا: القصد العام لها. كانت الوصايا تتمشى مع طبيعة العهد بين الله وإسرائيل (ع ١– ٥).

ثانيا: الوصايا الخاصة تكررت (ع ٦– ٢١) مع تسليمها مرتين، مرة بالكلام وأخرى بالكتابة (ع ٢٢).

ثالثا: تأسيس العلاقة التي ستظهر فيما بعد، بين الله وإسرائيل. بواسطة موسى وخدمته.

(١) كانت طلبة إسرائيل المتواضعة أن يكون الأمر هكذا (ع ٢٣– ٢٧).

(٢) وكانت هبة الله الكريمة هي التي حققت هذه العلاقة (ع ٢٨– ٣١)، ومن هذا يستنتج موسى التزام الشعب بالطاعة (ع ٣٢ و٣٣).

عدد ١– ٥

هنا نجد:

(١) موسى يدعو الجماعة– «دعا موسى جميع إسرائيل» (ع ١).

(٢) طلب منهم الاستماع.

(٣) يُذكرهم بالعهد الذي قطعه معهم في حوريب، الذي به يجب أن يحكموا أنفسهم. لاحظ التواضع العجيب للنعمة الإلهية، في تحويل الوصية إلى عهد. لاحظ أيضا:

أ. أطراف هذا العهد: «عُمل العهد معنا، أو مع آبائنا المباشرين، الذين مثلونا، أمام جبل سيناء، وعملوه من أجلنا.»

ب. إعلان هذا العهد: الله نفسه هو الذي قرأ البنود لهم (ع ٤) «تكلم إليكم وجها لوجه وكلمة كلمة» هكذا في الآرامية.

ج. وسيط العهد: وقف موسى بين الله وبينهم أسفل الجبل (ع ٥) في هذا كان موسى رمزا للمسيح، الذي يقف بين الله والناس، ليرينا كلمة الرب، وسيط مبارك الذي وضع يديه على كلينا، حتى نستطيع أن نسمع من الله ونتكلم إليه دون إرتعاد.

عدد ٦– ٢٢

هنا تكرار الوصايا العشرة، ونلاحظ:

(١) رغم أنه قد أُشير إليها سابقا، وكُتبت، إلا أنها تكررت ثانية.

(٢) يوجد بعض الاختلاف هنا عما سجل في خروج ٢٠.

(٣) وأهم تغيير هو ما جاء بخصوص الوصية

الرابعة ففي خروج ٢٠ السبب المضاف (لتقديس السبت) مأخوذ من خلق العالم، أما هنا فهو مأخوذ من خلاصهم من مصر، لأن هذا كان رمزا لفدائنا بواسطة الرب يسوع المسيح، وفي ذكراه يحفظ السبت المسيحي «واذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك» (ع ١٥) ولذلك:

أ. فمن العدل أن يتمتع عبيدك براحة السبت، لأنك تعرف قلب الأجير، وكيف يبدو يوم راحة بعد عمل ستة أيام.

ب. من الواجب أن يكرم إلهك بما يعمل يوم السبت وبالخدمات الدينية في ذلك اليوم، في مقابل الأشياء العظيمة التي عملها من أجلك. بقيامة المسيح أُتي بنا إلى حرية مجد أولاد الله «بيد شديدة وذراع ممدودة»، لذلك نحن نُوصى بأن نحافظ على اليوم الأول من الأسبوع تذكارا لعمل القوة والنعمة المجيدة.

(٤) يضاف في الوصية الخامسة «لكي يكون لك خير» تلك الإضافة التي يقتبسها الرسول في أفسس ٦: ٣ «لكي يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض».

(٥) الوصايا الخمس الأخيرة متصلة أو مرتبطة معا، الأمر غير الوارد في سفر الخروج.. لا تقتل ولا تزن ولا تسرق... إلخ. مما يفهم منه أن وصايا الله كلها لا تتجزأ.

(٦) أن هذه الوصايا أُعطيت بقدر عظيم من الجدية التي تُوحي بالرهبة (ع ٢٢).

عدد ٢٣ – ٣٣

أولا: يذكرهم موسى أن كلا الطرفين اللذين يتعاملان مع بعضهما البعض قد اتفقا على أن يكون موسى هو الوسيط بينهما.

(١) نرى الانزعاج الذي اجتاز فيه الشعب بسبب ذلك الرعب الشديد الذي أُعطي فيه الناموس. واقروا بأنهم لا يستطيعون أن يتحملوا أكثر مما احتملوا «هذه النار العظيمة تأكلنا إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضا نموت» (ع ٢٥)

(٢) طلبهم المُلح، بأن يتكلم الرب فيما بعد عن طريق موسى، مع الوعد بأن يستمعوا إلى ما يقوله كما لو كان من فم الله نفسه، وأن يعملوا بما يسمعون (ع ٢٧)

(٣) موافقة الله على طلبهم، فعين موسى ليكون رسولا إليهم، ليتسلم الناموس من فم الرب ويوصله إليهم (ع ٣١). الله كلمنا عن طريق بشر مثلنا، عن طريق موسى والأنبياء، وعن طريق الرسل والمبشرين، وإذا كنا لا نصدق هؤلاء فلن نقتنع حتى لو تكلم الله إلينا كما فعل قديما لإسرائيل على جبل سيناء.

ثانيا: ثم يختم بمطالبتهم بأن يحفظوا ويعملوا كل ما أوصاهم الله به (ع ٣٢ و٣٣).

الأصحاح السادس

في هذا الأصحاح يستمر موسى في وصيته لإسرائيل بأن يتأكدوا أن يكونوا محتفظين بعبادتهم في كنعان– ويشبه تماما ما جاء في أصحاح ٤

أولا: تقديمه نصيحة مقنعة بالطاعة (ع ١– ٣).

ثانيا: يضع المبادئ العظيمة للطاعة.. الحق الأول الذي يجب الإيمان به أن الله واحد (ع ٤) الواجب الأول الذي يجب عمله، أن نحبه من كل قلوبنا (ع ٥).

ثالثا: يصف الطريق للمحافظة على الديانة (ع ٦– ٩).

رابعا: يحذرهم من الأشياء التي قد تكون هدامة للدين– إساءة استخدام الوفرة (ع ١٠– ١٢) الميل إلى عبادة الأصنام (ع ١٤ و١٥) ويعطيهم بعض الوصايا العامة (ع ١٣، ١٦– ١٨).

خامسا: يخبرهم عن التعاليم التي يعطونها لأولادهم (ع ٢٠– ٢٥).

عدد ١ – ٣

نلاحظ هنا:

(١) أن موسى علم الشعب كل ما أمره الله أن يعلمهم إياه فقط دون زيادة (ع ١) هكذا يجب على

خدام المسيح أن يعلموا الشعب كل ما أمرهم به، لا أكثر ولا أقل (متى ٢٨: ٢٠).

(٢) إن الهدف من تعليمهم هو أن يعملوا بما عُلموا به أن يحفظوا وصايا الله (ع ٢) وأن يحترزوا ليعملوا بها (ع ٣).

(٣) أن موسى بذل كل الجهد ليضمنهم لله وللصلاح، لأنهم قد أصبحوا على وشك الدخول إلى أرض كنعان.

عدد ٤ – ١٦

هنا نجد:

أولا: خلاصة مختصرة للدين تحوي المبادئ الأولية للإيمان والطاعة (ع ٤ و٥) يعتبر اليهود هذين العددين من أفضل الأجزاء الكتابية المختارة، فهم يكتبونها في تمائمهم وأحرازهم، ويحسبون أنفسهم، ليسوا ملزمين فقط بترديدهما مرتين على الأقل كل يوم، بل سعداء جدا بهذا الالتزام، ولهم هذا القول فيما بينهم: مباركون نحن، الذين في كل صباح وكل مساء نقول «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد».

(١) ما الذي نتعلمه نحن هنا عن الله: إن الرب يهوه إلهنا إله واحد.

أ. الله الذي نعبده هو يهوه، كائن سرمدي وذو كمال مطلق، كائن بذاته، ومكتف بذاته.

ب. إنه الإله الواحد الحي والحقيقي، هو وحده الإله، وهو واحد فقط.. الإيمان الواثق بهذه الحقيقة الثابتة سوف يُسلحهم ضد عبادة الأوثان تسليحا كافيا وفعالا. تلك العبادة التي جاءت نتيجة لذلك الخطأ الأساسي القائل بأن هناك آلهة كثيرة. سعداء هم الذين لهم هذا الرب الواحد إلها لهم، إذ لن يكون لهم إلا سيدا واحدا يطيعونه، ومحسن واحد يطلبونه. من الأفضل أن يكون لنا نبع مياه واحد أفضل من ألف صهريج. إله كلي الكفاية خير من ألف لا نجد فيهم كفايتنا.

(٢) ما الذي نتعلمه هنا بشأن الواجب الذي يطلبه الله من الإنسان. يتلخص كله في هذا الأساس «تحب الرب إلهك من كل قلبك». هل حدث قط أن أصدر أمير قانونا يلزم رعاياه أن يحبوه؟ هكذا شاءت نعمة الله أن تكون هذه هي أول وأعظم وصية في ناموس الله أن نحبه وأن ننجز كل واجباتنا الأخرى نحوه بدافع من مبدأ المحبة، بمحبة مدركة واعية، فهكذا جاء الإيضاح في إنجيل مرقس ١٢: ٣٣ أن نحبه من كل القلب، ومن كل الفهم يحب أن نعرفه، ولذلك نحبه كأناس يجدون سببا جيدا لمحبته.

ثانيا: يقدم هنا الوسائل التي بها يتم حفظ العبادة والتمسك بها في قلوبنا وبيوتنا، حتى لا نذبل أو نفنى... وهي كالآتي:

(١) التأمل «ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك» (ع ٦)

(٢) التعليم الديني للأولاد (ع ٧) «وقصها على أولادك» وبتوصيل معلوماتكم للآخرين تزداد هذه المعلومات. انتهز كل فرصة للتحدث في الأمور الإلهية للذين حولك، ليست الأسرار غير المعلنة، ولا الأشياء التي يدور حولها النقاش غير اليقيني، بل بحقائق الله الواضحة ونواميس الله، والأمور التي تتصل بسلامنا، وكلما تحدثنا بهذه الأمور، زاد إعجابنا بها وتأثرنا بها، وبهذا نكون أداة لتوصيل النور الإلهي والحرارة الإلهية. قال لهم الرب، على الأقل للوقت الحاضر، أن يكتبوا بعض الجمل المختارة من الناموس ذات الثقل والأهمية على حوائط منازلهم، أو على رقائق من الجلد يلبسونها على المعصم؛ ويظن البعض أنه من هنا نشأت صناعة التمائم المنتشرة بكثرة بين اليهود، وقد لام المسيح الفريسيين، ليس على لبس هذه العصائب، بل على رغبتهم في أن يُعرضونها أكثر من كل الناس (مت ٢٣: ٥). كان من الحكمة والتقوى التي امتلأ بها المصلحون الأوائل في الكنيسة الإنجليزية، عندما كانت الكتب المقدسة نادرة أن بعض الأجزاء المختارة من الكتاب المقدس تُكتب على جدران وأعمدة الكنائس، حتى يتعرف عليها الشعب.

ثالثا: هنا تحذير يقدم بألا ينسوا الله في يوم اليسر والرخاء (ع ١٠– ١٢)، هو يرتفع بتوقعاتهم في صلاح إلههم، كقضية مسلم بها أنه سيأتي بهم إلى الأرض الجيدة التي وعدهم بها (ع ١٠) وأنهم لن يعيشوا فيما بعد في خيام كالرعاة أو الرحل الفقراء،

بل سيستقرون في مدن عظيمة ومُزدهرة لن يجولوا فيما بعد في برية جرداء، بل سيتمتعون ببيوت مجهزة جيدا وحدائق وافرة الزرع.. «مدن عظيمة جيدة لم تبنها، وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها...» (ع ١٠ و١١).

رابعا: بعض الوصايا والمحظورات: يجب في كل الظروف أن يكرموا الله (ع ١٣). باسمه تحلف في كل المعاهدات والعهود مع الشعوب المجاورة، ولا يجاملونهم إلى الدرجة التي بها يحلفون بآلهتهم. ويجب أن يحترسوا ألا يهينوا اسم الرب بتجربته (ع ١٦). يجب تحت أي ظروف ألا تتزعزع ثقتنا في قوة وحضور وعناية الله.

عدد ١٧ – ٢٥

أولا: يوصيهم موسى بأن يحفظوا وصايا الله. احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته (ع ١٧– ١٩).

ثانيا: يوصيهم بأن يعلموا أولادهم وصايا الله ليس فقط لكي يشتركوا –في سنواتهم الغضة عقليا وعاطفيا– في الطقوس الدينية، ولكن لكي يحفظوا في أيامهم المقبلة الدين، ويحملوه لمن سيأتون بعدهم، والآن:

(١) هنا سؤال صائب قد يسأله الأولاد (ع ٢٠): ما معنى هذه الشروط والوصايا والشرائع؟ ما معنى الأعياد التي نحتفل بها والذبائح التي نقدمها، والعادات الكثيرة الخاصة التي لنا؟ نلاحظ:

أ. كل نظام إلهي له معنى خاص به، وهناك شيء عظيم مقصود به.

ب. يهمنا نحن أن نعرف ونفهم معناها حتى نؤديها بفهم، ولا نقدم الأعمى ذبيحة.

(٢) هنا الجواب الكامل الذي يوضع في أفواه الآباء للرد على هذا السؤال الجيد. إذا سأل الأبناء عن معنى ناموس الله فليُخبروا أنه أُعطي ليطاع:

أ. في تذكر إحسانات الله السابقة بشكر، وبصفة خاصة إنقاذهم وإخراجهم من مصر (ع ٢١– ٢٣).

ب. كشرط للحصول على إحساناته المقبلة: «فأمرنا الرب أن نعمل جميع هذه الفرائض ونتقي الرب إلهنا ليكون لنا خير» (ع ٢٤). إذا استطعنا أن نتمم تلك الوصية الواحدة بأن نحب الله بكل قلوبنا وأنفسنا وقوتنا، واستطعنا أن نقول «لم نفعل قط خلاف ذلك»– فسيجعلنا هذا أبرارا بما يضمن لنا الاستمتاع بمكاسب عهد الإبراء.. أي أننا لو استمررنا في عمل كل شيء مكتوب في الناموس، لبررنا الناموس. لكننا لا نستطيع أن ندعي هذا؛ لذلك فإن طاعتنا المخلصة ستُقبل عن طريق «وسيط».

الأصحاح السابع

موسى في هذا الأصحاح يحث إسرائيل:

أولا: بصفة عامة أن يحفظوا وصايا الله (ع ١١ و١٢).

ثانيا: وبصفة خاصة أن يحفظوا أنفسهم أنقياء من أي اختلاط بعبدة الأصنام.

(١) يجب أن يبيدوا بالكامل الشعوب السبعة التي سُلمت لهم (ع ١ و٢، ١٦، ٢٤).

(٢) لا يجب بحال من الأحوال التزاوج مع الباقين منهم (ع ٣ و٤).

(٣) يجب أن يزيلوا ويحرقوا مذابحهم وأصنامهم ولا يأخذوا ذهب هذه الأصنام ولا فضتها لاستخدامها في أعمالهم الخاصة (ع ٥، ٢٥ و٢٦) ولتأكيد هذه الوصية، أوضح لهم أنهم ملزمون بأن يفعلوا ذلك:

أ. كواجب واضعين في الاعتبار:

- اختيار الرب لهم (ع ٦).
- سبب ذلك الاختيار (ع ٧ و٨).
- الشروط التي على أساسها يتعاملون مع الله (ع ٩ و١٠).

ب. لفائدتهم. وقد وُعدوا هنا:

- عموما، إن كانوا يعبدون الله فإنه سيباركهم وينجحهم (ع ١٢– ١٥).
- بصفة خاصة إنهم إن طردوا الشعوب، حتى لا يكونوا معثرة لهم، فإن الله سيطردهم، حتى لا يزعجوهم فيما بعد (ع ١٧– ٢٦).

عدد ١ – ١١

أولا: تحذير صارم جدا ضد أية صداقة أو شركة

مع الأصنام وعبدة الأصنام.

(١) ذُكر هنا أسماء وأعداد الشعوب التي سيسلمها الله لهم (ع ١) وقد تحددت أسماؤهم ليعرف إسرائيل حدود مهمتهم. وتحديد هذه المهمة في هؤلاء الشعوب المذكورة هنا يشير بوضوح بأن الأجيال القادمة لا يمكن أن يأخذوا ذلك كسابقة يُقتدى بها؛ كما يؤكد أن هذا ليس مبررا لاستخدام القوانين البربرية التي لا تتصف بالرحمة. فإذا كان الله قد طردهم، فيجب ألا يسترجعهم إسرائيل، ولا حتى كأجراء، أو عبيد أو خدم. وعند ذاك كان إثم الأموريين قد اكتمل. وكلما زاد الإثم يزيد الانتقام عندما يأتي أخيرا. فشعوب هذه الأرجاس لا يجب أن تختلط مع الشعب المقدس، وإلا أفسدتهم. هذا ما يجب أن نفعله مع شهواتنا التي تحارب نفوسنا، وقد أسلمها الله إلى أيدينا بهذا الوعد «الخطية لن تسودكم». إلا إذا كان الأمر باختيارك. فدعونا لا نقيم عهودا معهم، ولا نظهر لهم أية رحمة، ولكن يجب أن نعاقبهم ونصلبهم ونبيدهم تماما.

(٢) لا يجب أن يقيموا أية علاقات زواج مع أولئك الذين نجوا من حد السيف (ع ٣ و٤). هناك أساس للخوف من الزواج المختلط إذ أنه يفسد الصالح، ولا يصلح الفاسد. وهناك شرح أرامي يضاف هنا يقول، كسبب لهذا الأمر (ع ٤) إن مَنْ يتزوج بعابد صنم فهو في الواقع يتزوج بصنمه.

(٣) يجب أن يبيدوا كل آثار أصنامهم (ع ٥).. مذابحهم وأعمدتهم وسواريهم وتماثيلهم، يجب أن يبيدوا الكل، وذلك بدافع الغضب المقدس ضد عبادة الأصنام، وأيضا لمنع انتقال عدوى الوثنية إليهم.

ثانيا: هناك أسباب أخرى جيدة لتأكيد هذا التحذير:

(١) اختيار الله لهذا الشعب فصار خاصته.

(٢) مجانية تلك النعمة التي أقامت هذا الاختيار؛ فالله وجد سبب هذا الاختيار في ذاته (ع ٨). فكل مَنْ يحبه الله إنما يحبه مجانا (هو ١٤ : ٤).

(٣) مضمون العهد الذي احتواهم، يتلخص في أنه. كما كانوا لله، كذلك يكون الله لهم.

عدد ١٢ – ٢٦

أولا: يكرر هنا التحذير ضد عبادة الأصنام، وكذلك التحذير ضد الاختلاط بعبدة الأصنام، وهنا أيضا تكرار بوجوب إزالة التماثيل (ع ٢٥ و٢٦). كانت التماثيل (الأصنام) التي عبدها الوثنيون مكرهة للرب، ويجب أن تكون كذلك أيضا لهم، فكل الذين يحبون الله حقا يكرهون ما يكرهه هو.

ثانيا: يستفيض هنا في وعد الله أن يحسن إليهم إذا ما كانوا مطيعين– يعطي لهم هنا كل تأكيد ممكن. دعونا نثبت في أداء واجباتنا وعندئذ لن نستطيع أن نشك في ثبات مراحم الله. إذا حفظوا أنفسهم أنقياء من أصنام مصر، فإن الله سيحفظهم من أمراض مصر (ع ١٥). ويبدو أن الإشارة هنا ليست إلى الضربات التي أُخرجوا من مصر بقوتها، ولكن الإشارة إلى بعض الأوبئة المستوطنة (كما نسميها) التي تذكروا أنها كانت منتشرة بين المصريين والتي ضربهم الله بها بسبب خطاياهم الجماعية. دعهم لا يحبطون بسبب التقدم البطيء لجيشهم، وألا يظنوا أن الكنعانيين لن يُخضعوا إذا لم يخرجوا في السنة الأولى. لا، إنهم سوف يُطردون قليلا قليلا وليس دفعة واحدة (ع ٢٢) يجب علينا ألا نظن أنه بسبب تأخر نجاة الكنيسة من أعدائها، وعدم هلاكهم سريعا، أن الأمر سيستمر هكذا. فالله يعمل عمله بطريقته هو، وفي وقته هو، ولنتأكد أن هذا هو الأفضل. بهذا يخرج الفساد من قلوب المؤمنين قليلا قليلا– فعمل التقديس يتم بالتدريج؛ والقضاء سيأتي أخيرا بالنصرة الكاملة.

الأصحاح الثامن

كان موسى قد سبق وأوصى الآباء أن يعلموا أولادهم لتثبيت كلمة الله فيهم (أصحاح ٦ و٧) بتكرارها مرارا كثيرة، وها هو هنا يتبع نفس الطريقة في تعليم الإسرائيليين كأولاده فهو يُلقنهم نفس الوصايا والتحذيرات.

في هذا الأصحاح يعطيهم موسى:

أولا: نصائح عامة للطاعة (ع ١ و٦).

ثانيا: استرجاع لما فعله الله معهم في الصحراء، كإقناع جيد للطاعة (ع ٢– ٥) و(ع ١٥ و١٦).

ثالثا: نظرة مستقبلية للأرض الجيدة التي سيُدخلهم

الله إليها (ع ٧- ٩).

رابعا: تحذير ضروري ضد إغواءات الرفاهية. (ع ١٠- ١٤، ١٧ و١٨).

خامسا: تحذير عادل من العواقب الوخيمة للارتداد عن الله (ع ١٩ و٢٠).

عدد ١ - ٩

الأمر المعطى لهم هنا هو كالسابق.. أن يحفظوا ويعملوا بوصايا الله، فهو يرشدهم للآتي:

أولا: أن يتأملوا فيما حدث لهم قبلا في البرية التي قادهم الرب خلالها، فالآن وقد تقدموا في الأيام، وهم على وشك أن يدخلوا إلى ميراثهم، فيجب أن يتذكروا التأديبات التي مروا بها في أوقات عدم نضجهم والطريقة التي استخدمها الله لإعدادهم لنفسه. كانت البرية هي المدرسة التي ظلوا يقيمون ويتعلمون فيها لمدة أربعين سنة، على يد معلمين قضاة. وقد حان الوقت الآن أن يُعاد كل هذا إلى ذاكرتهم. وهنا دعونا نضع حجر المعونة.

(١) يجب أن يذكروا الضيقات التي مروا بها أحيانا:

أ. لقمع كبريائهم.

ب. لإظهار عنادهم - لقد امتحنهم الله بهذا حتى يرى ما إذا كانوا يثقون بمواعيده- الكلمة التي أمر بها إلى ألف جيل- وبالتالي يحفظون وصاياه.

(٢) يجب أن يتذكروا الإمدادات التي كانت تمنح لهم دائما، ورغم أن الله قد عين أن يكون الخبز لتقوية قلب الإنسان- وهو عادة من أساسيات الحياة، إلا أن الله يستطيع عندما يريد أن يوفر الدعم والغذاء بدونه، وأن يجعل شيئا آخر غير متوقع يؤدي نفس الغرض أيضا. فنحن نستطيع أن نحيا على الهواء، إذا تقدَّس لهذا الغرض بكلمة الله. ويقتبس مخلصنا هذا النص الكتابي ردا على تجربة الشيطان «قل أن تصير هذه الحجارة خبزا» ويجيب الرب ما الحاجة إلى هذا؟ يستطيع أبي السماوي أن يبقيني حيا بدون الخبز (مت ٤: ٣ و٤). ويمكن تطبيق هذا روحيا؛ فكلمة الله بما أنها إعلان لإرادة الله ونعمته، عندما تُقبل في حينها، ويستضيفها الإيمان في القلب تكون هي غذاء للروح. والحياة التي تتغذى بهذه الكلمة هي الحياة الحقيقية، وليس فقط تلك التي يسندها الخبز. وكان «المن» رمزا للمسيح «خبز الحياة». إنه «كلمة الله» الذي نحيا به.

(٣) يجب أن يتذكروا أيضا التوبيخات التي وقعت عليهم (ع ٥) ففي سني تعليمهم وقعوا تحت تأديب شديد، ولم يكن هذا بلا ضرورة؛ فقد وقعوا تحت التأديب لكي لا يُدانوا، وعوقبوا بعصي الناس، ليس كمن يجرح عدوه ويذبحه قاصدا هلاكه، بل كما يؤدب الإنسان ابنه بقصد سعادته وصالحه - هكذا أدبهم إلههم، إنه أدبهم وعلَّمهم (مز ٩٤: ١٢).

ثانيا: هو يوجههم لينظروا إلى الأمام إلى كنعان، إلى حيث كان الرب عندئذ آتيا بهم. دعونا ننظر إلى حياتنا، سواء نظرنا إلى الماضي أو تطلعنا إلى المستقبل، فسوف نرى معاملات نعمة الله مما يدعونا لطاعته.

عدد ١٠ - ٢٠

بعد أن ذكر موسى الخير الجزيل الذي سيجدونه في أرض كنعان، يجد أنه من الضروري أن يحذرهم من إساءة استخدام هذه الوفرة، وهي الخطية المعرضون لها الآن إذ جاءوا إلى كرْم الرب رأسا من برية قاحلة.

أولا: يوجههم إلى واجباتهم في حالة الرخاء (ع ١٠) مهما كانت راحتهم فيها، فإن المجد يجب أن يرجع لله كما علمنا مخلصنا أن نشكر قبل أن نأكل (مت ١٤: ١٩ و٢٠). كذلك نحن هنا نتعلم أن نشكر أيضا بعد تناول الطعام.. هذه هي «أوصنا» التي نهتف بها.. الرب يبارك؛ وهذه هي هللويا.. مبارك هو الرب. فيجب أن نشكر في كل الظروف. ومن هذا القانون اقتبس اليهود المتدينون ممارسة ممدوحة لمباركة الرب، ليس فقط عند واجباتهم الرسمية بل في كل المناسبات الأخرى؛ فإذا شربوا كأسا من الخمر رفعوا أيديهم وقالوا: مبارك هو الذي خلق ثمر الكرمة لبهجة القلب، وإذا أعجبتهم رائحة زهرة قالوا مبارك الذي خلق هذه الزهرة الجميلة.

ثانيا: إنه يسلحهم ضد تجارب الرخاء والرفاهية.

(١) احذروا من الكبرياء.. عندما تتسع ممتلكات إنسان فإن القلب عرضة لأن يرتفع معها، في غرور، وفي رضا عن الذات، والثقة بالنفس.

(٢) «احترز من أن تنسى الرب إلهك» (ع ١١).. عندما يغتني الناس قد يظنون أن التدين شيء لا حاجة بهم إليه؛ فهم سعداء بدونه. يظنونه شيئا دونهم، وأمرا ثقيلا عليهم؛ فتمنعهم عزة نفوسهم من أن ينحنوا، وتمنعهم حريتهم من أن يتعبدوا.

الأصحاح التاسع

قصد موسى في هذا الأصحاح أن يقنع الشعب الإسرائيلي بعدم استحقاقهم بالمرة لأن يقبلوا من الله هذه الإحسانات العظيمة التي كانت وشيكة أن تُمنح لهم:

أولا: إنه يؤكد لهم النصرة على أعدائهم (ع ١- ٣).

ثانيا: يحذرهم من أن ينسبوا نجاحهم إلى استحقاقهم الشخصي، بل لعدالة الله. التي كانت موجهة ضد أعدائهم، ولأمانته التي تعهد بها لآبائهم (ع ٤- ٦).

ثالثا: ليبرهن لهم أنهم لا حق لهم بأن يفخروا ببرهم الذاتي، فيذكر أخطاءهم. فهم على وجه العموم كانوا شعبا متمردا بصفة دائمة (ع ٧- ٢٤). وبصفة خاصة:

(١) في أمر العجل الذهبي، القصة التي يذكرها باستفاضة (ع ٨- ٢١).

(٢) يذكر أمثلة أخرى لتمردهم (ع ٢٢ و٢٣).

(٣) ثم يرجع في آية ٢٥ ليتحدث عن الشفاعة التي قام بها من أجلهم في حوريب ليمنع إهلاكهم بسبب العجل الذهبي.

عدد ١ – ٦

يدعوهم للانتباه في آية ١: عبارة «اسمع يا إسرائيل» تشير إلى أن هذا حديث جديد.

أولا: يظهر موسى للشعب قوة أعدائهم العظيمة الذين سوف يقابلونهم الآن (ع ١). وهذا التصوير هو إلى حد كبير نفس ما قاله الجواسيس الأشرار (عد ١٣: ٢٨، ٣٣) ولكن قيل بقصد يختلف تماما، فقول الجواسيس كان المقصود منه إبعادهم عن الله، وإضعاف رجائهم فيه، وأما قول موسى فلكي يقربهم إلى الله وأن يقوي رجاءهم فيه.

ثانيا: يؤكد لهم الانتصار بحضور الله معهم بغض النظر عن قوة العدو (ع ٣).

ثالثا: يحذرهم ألا يراودهم أي فكر عن برهم الشخصي، كما لو كان هو سبب هذا الإحسان من الله. لاحظ أن امتلاكنا لكنعان السماوية، كما أنه ينسب إلى قوة الله وليس إلى قوتنا نحن، كذلك أيضا يُنسب إلى نعمة الله وليس إلى استحقاقنا الشخصي.

رابعا: يفضي إليهم بالأسباب الحقيقية التي من أجلها يأخذ الله هذه الأرض الجيدة من أيدي الكنعانيين ويعطيها لإسرائيل.

عدد ٧– ٢٩

يريهم موسى هنا أية معجزة للرحمة في كونهم لم يهلكوا منذ زمن طويل في الصحراء حتى لا يكون لديهم أي ميل للتفكير بأن الله قد أتى بهم إلى كنعان «بسبب برهم». «اذكر لا تنس كيف أسخطت الرب إلهك في البرية» (ع ٧) لذلك فقد ابتعدتم عن نوال إحساناته. أتيتم بأنفسكم مرارا تحت وطأة غضبه. لقد كانوا شعبا متمردا منذ خرجوا من مصر رغم أن القصة التي يذكرها موسى الآن لا تسجل إلا القليل عن حوادث السنة الأولى والأخيرة من الأربعين سنة، إلا أنه يبدو من هذا التاريخ العام أن بقية السنين لم تكن أفضل، بل كانت تمردا مستمرا.

الآن ليستنتجوا من هذا كله أي إحسان يبديه الله معهم، من إخضاع أعدائهم وتملكهم لأرض كنعان فهو ليس بسبب برهم. من الجيد لنا مرارا أن نقف ضد أنفسنا، بالحزن والخجل من خطايانا السابقة، وأن نستعرض السجل الذي يحفظه ضميرنا عن هذه الخطايا، لنرى كم نحن مديونين للنعمة المجانية، ونعترف بتواضع أننا لم نستحق قط شيئا من الله إلا الغضب واللعنة.

الأصحاح العاشر

يضع موسى أمامهم في هذا الأصحاح مراحم الله العظمى بالرغم من تمردهم.

أولا: يذكر علامات كثيرة من إحسان الله، ومصالحته لهم التي لا تنسى.

(١) تجديد لوحي الشريعة (ع ١- ٥).

(٢) إعطاؤه الأوامر بالتقدم نحو كنعان (ع ٦ و٧).
(٣) اختياره سبط لاوي لنفسه (ع ٨ و٩).
(٤) استمرار الكهنوت بعد موت هرون (ع ٦).
(٥) قبول شفاعة موسى من أجلهم (ع ١٠ و١١).

ثانيا: يستنتج موسى من هذا الالتزامات التي فُرضت عليهم أن يخافوا الله ويحبوه، ويخدموه (ع ١٢- ٢٢).

عدد ١ - ١١

هناك أربعة أشياء أظهر الله فيها وبها أنه قد تصالح مع إسرائيل وجعلهم عظماء وسعداء بحق.

أولا: أعطاهم الله شريعته، أعطاها لهم كتابة كتعهد دائم لنعمته- لاحظ أن وضع الله لشريعته داخل قلوبنا، وكتابته لها في كياننا الداخلي، تعطينا أقوى دليل على مصالحته لنا، والضمان الأكيد لسعادتنا فيه. يرسل الله شريعته وإنجيله إلى أصحاب القلوب المستعدة كتابوت العهد لاستلامها. والمسيح هو التابوت الذي فيه يُحفظ خلاصنا بأمان، حتى لا يُفقد كما حدث مع آدم الأول، عندما كان خلاصه في يده هو- وهذان اللوحان بعد أن نحتا وضعا بأمانة في التابوت «فكانا هناك» كما قال موسى، وربما كان يشير إلى الأقداس (ع ٥) وهذا الشيء الجيد الذي أُعطي له، سلمه لهم، وتركه نقيا وكاملا في أيديهم، والآن فليلتفتوا إليه في وقت المحن. وهكذا نستطيع نحن أن نقول للأجيال المقبلة «لقد ائتمننا الله على الكتب المقدسة، وأقواله الصالحة، وها هي بين أيديكم، نسلمها لكم» (٢تي ١: ١٣ و١٤).

ثانيا: قادهم متوجها إلى كنعان، مع أنهم في قلوبهم رجعوا إلى مصر، وكان في إمكانه بعدل أن يختار ضلالهم (ع ٦ و٧).

ثالثا: عيَّن لهم خدمة مستمرة فيما بينهم، لتعمل نيابة عنهم في الأمور المقدسة. لاحظ أن الخدمة المنظمة هي بركة عظيمة للشعب، وعلامة خاصة على إحسان الله- وفي ظل الناموس كان هناك تسلسل في الخدمة، أولا بإعطاء الخدمة لسبط خاص وأسرة معينة، ولكن الآن في ظل الإنجيل، وقد صار إعطاء الروح القدس أكثر في قوته ووفرته فإن التسلسل يُحفظ بعمل الروح القدس في قلوب الناس، مُعدا بعض الناس لذلك العمل وجاذبا إياهم من كل جيل.

رابعا: قبل الله موسى كشفيع لهم، ولذلك جعله لهم رئيسا وقائدا (ع ١٠ و١١) «ثم قال لي الرب قم اذهب للارتحال أمام الشعب»، وكان وجود صديق مثل هذا أمين للذي عينه ولأولئك الذين عُين من أجلهم بمثابة رحمة لهم.

عدد ١٢- ٢٢

تشجيع مؤثر جدا على الطاعة:

أولا: إننا هنا ننقاد بكل وضوح إلى واجبنا نحو الله، ونحو قريبنا ونحو أنفسنا.

(١) نحن هنا نتعلم واجبنا نحو الله، يجب أن نتقي الرب إلهنا (ع ١٢)، وأيضا في آية ٢٠ نخافه كإله عظيم ورب، ونحبه كإله صالح وأب محسن، ويجب أن نعبده «تعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك» (ع ١٢) وما نفعله لله يجب أن نفعله بسرور ورغبة صادقة «وتحفظ وصايا الرب وفرائضه» (ع ١٣).

(٢) نحن هنا نتعلم واجباتنا لقريبنا (ع ١٩) «أحبوا الغريب» فإذا أحببنا الغريب، فبالأكثر جدا نحب إخوتنا كأنفسنا، ويُقدم لنا هنا برهانين يشددان على هذا الواجب:

أ. عناية الله الشاملة تمتد إلى كل الشعوب، فهي كلها مصنوعة من دم واحد. الله يحب الغريب (ع ١٨) أي أنه «يعطي الجميع حياةً ونفسا وكل شيء»، حتى للأمم وللغرباء عن رعوية إسرائيل وعن إله إسرائيل.

ب. حالة المعاناة التي اجتاز فيها إسرائيل أنفسهم عندما كانوا غرباء في مصر. والذين كانوا هم أنفسهم في ضيق، ثم تمتعوا برحمة الله، يجب أن يتعاطفوا بكل أحاسيسهم مع الذين هم في ضيقة مماثلة لتلك التي كانوا فيها، وأن يكونوا مستعدين ليظهروا الرحمة لهم. كان لشعب اليهود كراهية عميقة للأمم، وهذا ما أدى بهم أخيرا إلى الخراب.

(٣) نحن هنا نتعلم واجبنا نحو أنفسنا (ع ١٦) «فاختتنوا غرلة قلوبكم» أي اعزلوا منكم كل عاطفة فاسدة وكل ميل شرير يعوقكم عن خوف

الرب ومحبته؛ فختان القلب يجعله مستعدا للخضوع لله والتسليم لمشيئته.

ثانيا: نحن هنا نقتنع برقة شديدة بالقيام بواجبنا: عندما نحتكم إلى المنطق سنحتكم إلى الدين أيضا.

(١) تأملوا في عظمة الله ومجده، ثم اتقوه لهذا السبب، ومن هذا المبدأ اخدموه وأطيعوه.

(٢) تأملوا في صلاح الرب ونعمته، ولهذا أحبوه ومن هذا المبدأ اخدموه وأطيعوه. فصلاحه هو مجده وعظمته.

الأصحاح الحادي عشر

بهذا الأصحاح يختتم موسى مقدمته في تكرار الفرائض والأحكام التي يجب أن يحترزوا ليعملوها. وهو يكرر الوصية العامة (ع ١) وإذ بدأ في نهاية الأصحاح السابق في ذكر الأشياء العظيمة التي عملها الله بينهم، وهو في هذا:

أولا: يحدد العديد من أعمال الله العظيمة التي عملها أمام عيونهم (ع ٢– ٧).

ثانيا: يضع أمامهم من أجل المستقبل. الحياة والموت، البركة واللعنة.

ثالثا: يخبرهم عن الوسائل التي يستخدمونها، حتى يحفظوا ناموس الله (ع ١٨– ٢١) ويختم الكل بمطالبتهم بأن يختاروا إما البركة أو اللعنة (ع ٢٦– ٣٢).

عدد ١ – ٧

تحفظون مطالبه، أي وصاياه وفرائضه، التي اؤتمنوا عليها والتي كانوا مسئولين عنها. وهو اصطلاح يستخدم كثيرا عن وظيفة الكهنة واللاويين، لأن كل إسرائيل كان مملكة كهنة وشعب مقدس. لاحظ العلاقة بين هذين الاثنين: «أحب الرب إلهك» واحفظ حقوقه. المحبة ستظهر في الطاعة، والطاعة المقبولة هي تلك التي تنبع من مبدأ المحبة (١يو ٥: ٣).

عدد ٨– ١٧

مازال موسى يدافع عن نفس الموضوع، كما لو كان غير راغب في أن يختم كلامه إلا بعد أن يبين قصده تماما «ولكي تطيلوا الأيام على الأرض» (ع ٩).

إن كنتم تريدون أن تدخلوا كنعان، التي هي رمز هذه الحياة، وتجدوها أرضا جيدة لكم «فاحفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم». أحبوا الله واعبدوه بكل قلوبكم.

إنه لا يتحدث معلما إياهم فنون الحرب.. كيف يشدون القوس، وكيف يستخدمون السيف ويحفظون صفوفهم منتظمة، حتى يكونوا أقوياء، ليدخلوا ويمتلكوا الأرض. لا بل يدعوهم أن يحفظوا وصايا الله، ويتعبدوا له بأمانة. فعندما يكونون أمناء في الوصية، عندئذ ستكون هي قوتهم وأمانهم في نجاحهم. الخطية تقود إلى تقصير أيام بعض الأشخاص وإلى تقصير أيام ازدهار الأمم، ولكن الطاعة ستكون سببا في استمرار اطمئنانهم. لاحظ كلما حسنت عناية الله ظروفنا الخارجية لراحتنا وسهولة حياتنا، يجب أن نكثر من خدمتنا له. وكلما قل عملنا من أجل أجسادنا يجب أن يزيد عملنا من أجل الله ومن أجل نفوسنا. ولكي يوقظهم موسى فينتبهوا ليخبرهم بوضوح بأنهم إذا التفتوا إلى آلهة أخرى:

(١) سوف يثيرون غضب الله ضدهم.

(٢) ستتحول الخيرات عنهم، فتمنع السماء مطرها وبالتالي لن تعطي الأرض ثمرها.

عدد ١٨ – ٢٥

أولا: يكرر موسى الإرشادات التي سبق أن أعطاها لإرشاد الشعب ومساعدته في طاعتهم لله. دعونا نحن أيضا نسترشد بالثلاث قواعد المعطاه هنا:

(١) لتمتلئ قلوبنا بكلمة الله «فضعوا كلماتي هذه على قلوبكم ونفوسكم» (ع ١٨).

(٢) لتثبت عيوننا على كلمة الله: «اربطوها علامة على أيديكم»، حتى تكون أمامكم دائما (إشعياء ٤٩: ١٦) «ولتكن عصائب بين عيونكم».

(٣) لتتكلم ألسنتنا بكلمة الرب، لتكن موضوع حديثنا حيثما كنا، خاصة مع أولادنا.

ثانيا: يكرر التأكيدات التي سبق أن أعطاها لهم، وذلك باسم الرب، بالازدهار والنجاح إذا ما كانوا مطيعين. لا شيء يساهم في جعل أمة ما جديرة بالاعتبار، نافعة لأصدقائها، مخوفة من أعدائها أكثر من سيادة الدين فيها. لأنه مَنْ يستطيع أن يقف ضد

الذين هم لله؟ والله بالتأكيد مع الذين هم له مخلصين (أم ١٤: ٢٤ –٢٦).

عدد ٢٦– ٣٢

يختم موسى حثهم على الطاعة:

أولا: يلخص كل مناقشاته عن الطاعة في كلمتين، البركة واللعنة (ع ٢٦) متمسكا بالرجاء والخوف، اللذان يمسكان بالنفس ويديران شئونها.

ثانيا: يحدد إعلانا عاما مهيبا، عن البركة واللعنة، اللتين وضعهما أمامهم، على جبلي جرزيم وعيبال (ع ٢٩ و٣٠)، وهناك إرشادات أدق لهذا الاحتفال في أصحاح ٢٧: ١١– ٢٦ وقصة هذا الاحتفال ترد في يشوع ٨: ٣٣– ٣٥، الذي كان يجب أن يُعمل وقد عُمل فعلا، فور دخولهم إلى كنعان، حتى إذا ما امتلكوا تلك الأرض يعرفون أية شروط يجب أن يتمموها.

الأصحاح الثاني عشر

يأتي موسى في هذا الأصحاح إلى الفرائض الهامة التي كان يجب عليه أن يوضحها لإسرائيل، ويبتدئ بتلك الخاصة بعبادة الله، وخصوصا تلك التي توضح الوصية الثانية، وهي التي يغار الرب بشأنها بشكل خاص.

أولا: يجب أن يبيدوا تماما كل بقايا ومخلفات عبادة الأوثان (ع ١– ٣).

ثانيا: يجب أن يكونوا قريبين من خيمة الاجتماع (ع ٤ و٥). فالوصية الأولى قصد بها منع أية عبادة زائفة، والوصية الثانية قُصد بها الاحتفاظ بالعبادة التي فرضها الله.

عدد ١– ٤

نرى من خلال هذه الحقائق العظيمة الأساسية أنه يوجد إله وإنه لا يوجد إلا إله واحد، أصدر تلك الشرائع الأساسية العظيمة؛ وأن هذا الإله يجب أن يُعبد، وأن يُعبد وحده، ولذلك لا يجب أن يكون لنا آلهة أخرى أمامه، هذه هي الوصية الأولى، والثانية تأكيد لها، أو سياج حولها، ولمنع أية تحول إلى عبادة الآلهة الكاذبة، فقد مُنعنا من أن نعبد الله الحقيقي بمثل تلك الطرق والحالات التي عُبدت بها الآلهة الكاذبة، وقد أُمرنا أن نلاحظ الشرائع الموضوعة لنا للعبادة حتى نتمسك بها، لهذا السبب يطيل موسى في شرحه للوصية الثانية وكل ما يحويه هذا الأصحاح والأصحاحات الأربعة التالية يشير في الغالب إلى ذلك.

أولا: لقد أُوصوا هنا بأن يبيدوا ويخربوا كل تلك الأشياء التي عبد بها الكنعانيون أصنامهم (ع ٢ و٣) الأماكن التي استخدمت، والتي يجب أن تُهدم الآن فقد كانت أماكن خاصة لعبادتهم على الجبال والتلال (كما لو كان ارتفاع الأرض، يفيد في صعود تعبدهم) وتحت الأشجار الخضراء، إما لأن منظرها مُسر، وإما لأنها توحي بالمهابة. يبدأ موسى الفرائض التي تتصل بالعبادة الإلهية بهذا لأنه يجب أن تكون هناك كراهية لما هو شرير قبل أن يكون هناك التصاق قوي لما هو حسن (رو ١٢: ٩). يجب أن يقام ملكوت الله، سواء في الأشخاص أو الأماكن على أنقاض مملكة إبليس، لأنه لا يمكن أن يقاما معا، كما لا يمكن أن تكون هناك شركة بين المسيح وبليعال.

ثانيا: إنهم مطالبون بألا ينقلوا طقوس عبدة الأصنام وممارساتهم إلى عبادة الله؛ كلا ولا حتى تحت ادعاء تجميل وتطوير العبادة (ع ٤).

عدد ٥– ٣٢

ليست هناك وصية واحدة (على ما اذكر) في كل ناموس موسى، مؤكدة ومثبتة كتلك التي أُلزموا بها جميعا بتقديم ذبائحهم على المذبح الموجود في فناء خيمة الاجتماع. هناك يؤدون كل طقوس عبادتهم [أما بالنسبة للواجبات الأخلاقية (الأدبية) حينذاك، فلا شك أنه كما يحدث الآن، حيث يستطيع الناس أن يُصلوا في كل مكان، هكذا كانوا يفعلون في مجامعهم] والوصية بعمل هذا، والنهي عن عمل العكس، يُكرر هنا:

- بسبب ذلك الميل الغريب الذي كان موجودا في قلوب الشعب إلى عبادة الأصنام والخرافات.
- بسبب المنفعة الكبرى عندما يتمسكون بهذه الوصية في حفظ الوحدة بينهم والمحبة الأخوية، وذلك باجتماعهم في مكان واحد حتى يستمروا في طريق

واحد وفي نفس الوقت بقلب واحد.

• بسبب أهمية هذه الوصية يجب أن يتمسكوا بمكان واحد، كعلامة لإيمانهم بهذين الحقين العظيمين، اللذين نجدهما معا في ١ تيموثاوس ٢: ٥ أنه «يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس». دعونا الآن نختصر هذه الوصية الطويلة في عناوينها المناسبة:

أولا: هنا يُقدم الوعد بأنهم عندما يستقرون ويستريحون من كل أعدائهم ويعيشون في أمان، سوف يختار الله مكانا معينا، يحدده هو ليكون مركز وحدتهم، يأتون إليه بكل تقدماتهم (ع ١٠ و١١). فالله لا يحدد المكان الآن، كما عين جبل جرزيم وجبل عيبال، للنطق بالبركات واللعنات (تث ١١: ٢٩) ولكنه يؤجل تعيين المكان فيما بعد. حتى بهذا ينتظرون إرشادا جديدا من السماء، وقيادة إلهية بعد أن يُرفع موسى من وسطهم. وكان التابوت علامة على حضور الله، وحيثما وضع التابوت كان الله يضع اسمه، وكان ذلك المكان مسكنه. والمكان الأول الذي اختاره الله ليستقر فيه التابوت كان شيلوه، وبعد أن أهينت كرامته فيه نجده في قرية يعاريم وأماكن أخرى، وأخيرا في عصر داود وضع التابوت في أورشليم، وقال الله من جهة هيكل سليمان بأكثر ايضاح مما قال بشأن أي مكان آخر «اخترت هذا المكان لي بيت ذبيحة» (٢أخ ٧: ١٢) قارن ٢أخبار ٦: ٥. والآن ونحن في ظل الإنجيل ليس لدينا هيكل يقدس الذهب، ولا مذبح يقدس الذبيحة، ولكن المسيح فقط، وأما من جهة مكان العبادة، فقد تنبأ الأنبياء بأن البخور الروحي يمكن أن يُقدم في أي مكان (ملا ١: ١١) وقد أعلن مخلصنا أن الذين يقبلون كعابدين حقيقيين هم الذين يعبدون الله بالروح والحق، بدون اهتمام بهذا الجبل أو بأورشليم (يو ٤: ٢٣).

ثانيا: أُوصوا بأن يحضروا محرقاتهم وذبائحهم إلى ذلك المكان الذي سوف يختاره الله (ع ٦، ١١)

ثالثا: أُوصوا بأن يحتفلوا بمقدساتهم أمام الرب بفرح مقدس. فإذا كنا نمجد الله فإننا نبني أنفسنا ونُهذب عقولنا من خلال نعمة الله بازدياد معرفتنا وإيماننا، والرغبة في حياة التقوى، والتأكيد على العادات والقرارت الصالحة؛ وهكذا تتغذى النفس.

والآن بما أنهم أمام الرب فيجب أن يفرحوا (ع ١٢). إن إرادة الرب أن نعبده بسرور، لم يغضبه شيء أكثر من الذين غطوا مذبحه بالدموع (ملا ٢: ١٣). انظروا ما أطيب ربنا الذي نخدمه، الذي جعل من واجبنا أن نخدمه مرنمين.

يبدو أنهم أثناء وجودهم في البرية، لم يأكلوا لحوم الذبائح الحيوانية، إلا تلك التي ذُبحت عند باب الخيمة، والتي أُعطي جزء منها لله كذبيحة سلامة (لا ١٧: ٣ و٤)، ولكن عندما جاءوا إلى كنعان، حيث لزم أن يعيشوا على بعد من الخيمة، كانوا يذبحون كل ما يريدون لاستخدامهم الخاص من الأغنام والماشية دون إحضار أجزاء منها إلى لمذبح. كان يجب ألا يأكلوا الدم (ع ١٦، ٢٣) وعندما كانوا لا يستطيعون أن يأتوا بالدم إلى المذبح، ليسكبوه هناك أمام الرب باعتباره ملكا له، كان يجب عليهم أن يسفكوه على الأرض، كشيء لا يخصهم، لأنه كان الحياة، اعترافا منهم بأنه ملكٌ لمن يُعطي الحياة وككفارة عمن أُخذت منه الحياة. ربما كان سبب منعهم القاطع من أكل الدم، لمنع خرافات عبدة الأصنام القدامى عن دماء ذبائحهم، الذين ظنوا أن شياطينهم تُسر به، وأنه بأكلهم منه كانوا يظنون أنه ستكون لهم شركة معهم.

لم يكن هناك قط حاكم أفضل من موسى. وقد نظن أنه لم تكن هناك فرصة أفضل للنظام والانضباط، أكثر مما هو حادث في ذلك الوقت الذي نحن بصدده، في شعب إسرائيل، عندما كانوا يعسكرون متجاورين تحت رعاية حاكمهم، ومع ذلك فقد كانت هناك بعض الأخطاء المتعددة، فقد دخل وتسلل بعض التشويش إليهم. ولكن (كما يقول موسى) عندما تدخلون كنعان «لا تعملوا حسب كل ما نحن عاملون هنا اليوم» (ع ٨). لاحظ عندما يكون شعب الله في حالة عدم استقرار، قد يحدث تساهل وإهمال لبعض الأشياء التي لا يُسمح بها في الظروف الأخرى. كان موسى عندئذ على وشك أن يسلم حياته وحكمه، وكان مما يعزيه أن يتنبأ بأن بني إسرائيل سيكونون في حالة أفضل تحت الحكم المقبل عما كانوا في حكمه.

الأصحاح الثالث عشر

في هذا الأصحاح يحذرهم ضد قيام عبادة الأصنام من بينهم، فيجب أن يحترسوا لئلا يسوقهم أحد إلى عبادة الأصنام.

أولا: بادعاء النبوة (ع ١– ٥).

ثانيا: تحت ادعاء القرابة والصداقة (ع ٦– ١١).

ثالثا: بادعاء العدد الكثير (ع ١٢– ١٨).

عدد ١ – ٥

أولا: افتراض غريب جدا (ع ١ و٢).

(١) إنه لأمر غريب أن يقوم من بينهم وبصفة خاصة مَنْ يدَّعي الرؤيا والنبوة ويحرضهم ليذهبوا وراء آلهة أخرى لم يعرفوها. فهل يمكن لأي إسرائيلي أن يُتهم بمثل هذا الارتداد؟ وها نحن نراه الآن في أيامنا هذه؛ لذلك قد لا نرى الأمر غريبا؛ فكثيرون يدعون العلم والدين، ومع ذلك يقنعون أنفسهم وآخرين ليس فقط بعبادة الله في شكل تماثيل وصور، ولكنهم يؤلهون قديسين وملائكة أيضا. لذلك هنا:

(٢) يحصنهم ضد خطر الخداع والعجائب الكاذبة (٢تس ٢: ٩).

ثانيا: يعطيهم وصية ضرورية جدا:

(١) ألا يستجيبوا لهذا الإغواء «فلا تسمع لكلام ذلك النبي» (ع ٣). ليس فقط ألا تفعلوا الشيء الذي يريدكم أن تفعلوه، بل يجب ألا تعطوه أذنا صاغية التي بها تسمعون هذا الإغواء، بل أرفضوها بكل ازدراء وكراهية، وتمسكوا بواجبكم، فتبتعدون عن طريق الضرر. فالله لا يتركنا قط حتى نتركه نحن.

(٢) لا تبقوا على حياة النبي الكاذب (ع ٥)، إذ يجب أن تُمنع العدوى من الانتشار عن طريق بتر الطرف الفاسد وإبعاد مثيري المتاعب؛ فالأمراض الخطرة كهذه يجب أن توقف في الحال.

عدد ٦– ١١

نص آخر يقدم لهذا الجزء من الوصية ضد قبول عدوى الوثنية عن طريق أولئك المقربين والمحبوبين لنا؛ فقد جرب الشيطان آدم بحواء وجرب المسيح ببطرس.

عدد ١٢– ١٨

هنا تنتقل القضية إلى افتراض أن مدينة ما ثارت ضد الولاء لإله إسرائيل لعبادة آلهة أخرى:

أولا: يُفترض أن الجريمة قد أُقتُرفت فعلا:

(١) بواسطة إحدى مدن إسرائيل الخاضعة والواقعة في حدود نفوذهم، والمدينة المفروض هنا أنها صارت وثنية، هي مدينة سبق لها أن عبدت الإله الحقيقي، ولكنها الآن اتجهت نحو آلهة غريبة، الأمر الذي يدل على بشاعة الجريمة.

(٢) أُفتُرض أن هذه الجريمة اقترفها غالبية سكان المدينة.

(٣) أُفترض أنهم انجذبوا إلى الوثنية بتأثير رجال أشرار «بنو بليعال» وبليعال يرمز إلى الشيطان (٢كو ٦: ١٥) وبنو بليعال هم أبناؤه.

ثانيا: أُعطيت التعليمات بأن تفحص القضية باهتمام كبير (ع ١٤) «فحصت وفتشت وسألت جيدا».

ثالثا: إذا ثبتت الجريمة، ولم يكن في الإمكان إصلاح المخطئين، تخرب المدينة بالكامل، أما إذا كان بين السكان رجال أبرار، فبلا شك لابد أن ينتقلوا هم وأسرهم من ذلك المكان الخطر. فعبيد الإله الحقيقي الأمناء يجب أن ينتهزوا كل فرصة ليظهروا غضبهم ضد عبادة الأصنام، وبالأكثر ضد الإلحاد والكفر ورفض الله. قد يظنون أن هذا إجراء غير صحيح وضد مصلحة الوطن أن تُخرب مدينة بجملتها من أجل جريمة لا تختص إلا بالدين، وأنهم يجب أن يحافظوا أكثر على الدم الإسرائيلي: ولكن موسى يقول:

«لا تخشوا من هذا، الله سيضاعفكم أكثر. إن جسد شعبكم لن يفقد كثيرا بفقدان هذا الدم الفاسد». ورغم أن هؤلاء الوثنيين قد ينجون من عقاب البشر (هذا القانون لا يُلزمنا الآن حرفيا في ظل الإنجيل) إلا أن الرب إلهنا لن يسمح لهم بالهروب من دينونته العادلة.

الأصحاح الرابع عشر

يعلمهم موسى في هذا الأصحاح:

أولا: أن يميزوا أنفسهم عن جيرانهم بنوع من التفرد.

(١) في أحزانهم (ع ١ و٢).

(٢) في طعامهم (ع ٣– ٢١).

ثانيا: أن يكرسوا أنفسهم لله، وكعلامة لهذا أن يعطوه حقه من ممتلكاتهم، العشور السنوية وعشور كل ثلاث سنوات، لإقامة أعيادهم الدينية وإعالة اللاويين والفقراء (ع ٢٢– ٢٩).

عدد ١ – ٢١

موسى هنا يخبر شعب إسرائيل:

أولا: كيف أن الله قد ميزهم كشعب خاص، بثلاثة امتيازات:

(١) هنا الاختيار: «قد اختارك الرب» (ع ٢).. لم يخترهم لأنهم كانوا شعبا خاصا له فوق جميع الشعوب بفضل تكريسهم وخضوعهم له، لكنه اختارهم حتى يكونوا هكذا بنعمته.

(٢) وهنا التبني: «أنتم أولاد للرب إلهكم» (ع ١).. كونهم كشعب واعترف بهم كشعبه الخاص، بل كأسرته، شعب قريب منه أقرب من أي شعب آخر.

(٣) وهنا التقديس: «لأنك شعب مقدس للرب إلهك» (ع ٢).. منفصل ومخصص له، ومكرس لخدمته ومعين لتسبيحه، يحكمه ناموس مقدس، ومنعم عليه بمسكن مقدس وفرائض مقدسة مقترنة به.

ثانيا: كيف يجب أن يميزوا أنفسهم بتفرد واع عن كل الشعوب المجاورة لهم «أنتم أولادا للرب إلهكم» هكذا تقرأ في الترجمة السبعينية كأمر، بمعنى «تصرفوا كما يحق لأولاد الله، ولا تعملوا شيئا يهين كرامة ويصادر امتيازات هذه العلاقة.» يجب أن يميزوا أنفسهم في أمرين بصفة خاصة:

(١) في أحزانهم: «لا تخمشوا أجسامكم» (ع ١). هكذا يمنعهم (كما يظن البعض) ليس فقط من تقطيع أنفسهم في المآتم –إما للتعبير عن حزنهم وإما لاسترضاء وتهدئة آلهة العالم السفلي– لكن أيضا من تجريح وتشويه أنفسهم كما يفعل الوثنيون في عبادة آلهتهم، وكما فعل أنبياء البعل (١مل ١٨: ٢٨). إنهم ممنوعون من أن يرتبكوا أو يعذبوا عقولهم بحزن مفرط بسبب فقدان الأقارب أو الأعزاء. ونحن الذين لنا إله نرجوه، وسماء ننتظرها، يجب أن نعزي أنفسنا بهذا الرجاء تحت أي ثقل من هذا النوع.

(٢) يجب أن يتفردوا عن غيرهم في طعامهم، لاحظ:

أ. هناك كثير من الأطعمة الصحية والتي كان يأكلها الآخرون، ولكنهم يجب أن يمتنعوا عنها كشيء نجس.

◄ بخصوص البهائم: هنا سرد تفصيلي لتلك المسموح بأكلها عما ذُكر في سفر اللاويين.

◄ بخصوص الأسماك: فهناك قاعدة واحدة عامة أُعطيت. فالذي ليس له زعانف وقشور (حرشف) (مثل المحاريات وثعبان الماء والعلق، والحيوانات الأخرى المائية التي لا تصلح للأكل) هذه كانت نجسة ومحرمة (ع ٩ و١٠).

◄ وليست هناك قواعد محددة بالنسبة للطيور، ولكن الطيور التي ذُكرت بصفة خاصة هي الطيور المحرمة لهم والنجسة، وهناك القليل وربما لا يوجد شيء من التي حُرمت تُؤكل الآن بصفة عامة.

◄ وهم– فضلا عن ذلك– مُنعوا:

> من أن يأكلوا لحم حيوان مات من تلقاء ذاته لأن دمه لم يخرج منه، عدا الطقوس الخاصة بالنجاسة التي يقع تحتها مثل هذا الحيوان (لاويين ١١: ٣٩)، كما أنه ليس طعاما صحيا.

> من طهي جدي صغير بلبن أمه، إما لتحقيق رفاهيتهم ظانين أنه طعام فاخر أو امتثالا لبعض العادات الخرافية للوثنيين.

ب. والآن بالنسبة لكل هذه الوصايا الخاصة بطعامهم:

◄ واضح في الشريعة نفسها أنها خاصة باليهود فقط، ولم تكن وصايا أخلاقية (أدبية) أو ذات استخدام مستمر، لأنها لم تكن لها صيغة الإلزام العام. لأن الأشياء التي منعوا هم عن أكلها كانوا يعطونها للغرباء، أو يبيعونها لأجنبي، أي أممي جاء إلى بلدهم للتجارة (ع ٢١).

◄ واضح أن هذه الوصايا قد حققت ما ترمز إليه، أما في الإنجيل فالأمر يختلف «لأن كل خليقة الله

جيدة ولا يرفض شيء» (١تي ٤: ٤)، وليس هناك ما ندعوه «شيئا دنسا أو نجسا» (أع ١٠: ١٤).

عدد ٢٢- ٢٩

يرد هنا جزء من الفرائض الخاصة بالعشور. كان إنتاج الأرض يُعشر مرتين، فإذا جمعنا الاثنين معا، كان خُمس دخلهم مقدسا لله، وأربعة أجزاء، فقط من خمسة أجزاء كانت لاستخدامهم العام. وكان العُشْر الأول لإعالة اللاويين، ولكن العشر الثاني هنا هو موضوع الحديث، وهو الذي يُؤخذ من الباقي بعد أخذ اللاويين لنصيبهم.

أولا: أوصاهم أن يعزلوه، ويضعوه جانبا لله.. «تعشيرا تعشر كل محصول زرعك الذي يخرج من الحقل سنة بسنة» (ع ٢٢).

ثانيا: أرشدهم هنا كيف يستخدمون هذا العشر بعد فصله. والعشر الثاني يستخدم:

(١) في أعمال التقوى، في مدة السنتين بعد سنة الإبراء (العتق).

(٢) كل ثلاث سنوات يستخدم هذا العشر في أعمال الخير (ع ٢٨ و٢٩) «تضعه في أبوابك» وليعط للفقراء «فيأتي اللاوي.. والغريب واليتيم والأرملة... ويأكلون ويشبعون».

الأصحاح الخامس عشر

يصدر موسى في هذا الأصحاح أوامر:

أولا: بخصوص إلغاء الديون، كل سنة سابعة (ع ١- ٦) مع التحذير بأن هذا لا يجب أن يكون عائقا عن العطاء بسخاء (ع ٧- ١١).

ثانيا: بشأن إطلاق سراح العبيد بعد السنة السابعة للخدمة (ع ١٢- ١٨).

ثالثا: بخصوص تقديس أبكار غنمهم لله (ع ١٩- ٢٣).

عدد ١- ١١

نجد هنا:

أولا: قانون لإعفاء المستدينين الفقراء من ديونهم. في آخر كل سبع سنوات كانت هناك سنة إبراء، فيها كانت الأرض تستريح من الحرث، وفيها كان العبيد يُطلقون أحرارا من عبوديتهم. ومن بين أعمال النعمة الأخرى، كان هذا الأمر الآتي: إن أولئك الذين سبق لهم أن استدانوا أموالا، ولم يكونوا قادرين على دفع ديونهم (قبل سنة الإبراء)، يُعفون في تلك السنة منها ومع ذلك فإن كانوا قادرين، فليوفوا الديون فيما بعد، بدافع من الضمير، إلا أنه آنذاك لا يمكن لصاحب الدين أن يسعتيد نقوده بحكم القانون، ويظن كثير من المفسرين أنه يُحرم استرداد الديون في هذه السنة -سنة الإبراء- لأنه لم يكن في هذه السنة حصاد يجمع، فلم يكن من المتوقع أن تُدفع ديونهم في هذه السنة، ولكن فيما بعد يمكن المقاضاة طلبا للدين واستعادته. وبهذا لا تكون سنة الإبراء قد ألغت الدين، ولكنها أجَّلته لبعض الوقت. لكن بعض المفسرين يظنون أن هذا إبراء من الدين إلى الأبد؛ وهذا الفكر يُفضل على سابقه ولا يقصد بالقانون أن صاحب الدين لن يأخذ دينه إذا ما كان المدين بإمكانه أن يدفعه، ولكن القصد أنه لن يأخذه عنوة بإجراء قانوني. أما أسباب هذا القانون فهي:

(١) لاحترام السنة السابعة «لأنه قد نودي بإبراء للرب» (ع ٢).

(٢) كان ذلك القانون يهدف إلى منع أي إسرائيلي من الوقوع في فقر مدقع، هكذا يُقرأ الهامش (ع ٤).

(٣) ضمان الله يُعطى لهم هنا بوعد مقدس، أنه مهما كان مقدار خسارتهم بسبب المديونين لهم فهذا سيعوض لهم ببركة الله على كل ما يمتلكون وما يفعلون (ع ٤- ٦).

ثانيا: هذا القانون في صالح المستدينين الفقراء، حتى ينجون من الخراب بسبب هذا القانون.

(١) من المسلم به أنه سيكون هناك فقراء بينهم الذين قد تضطرهم الظروف ليستدينوا (ع ٧). ولن يأتي وقت يخلوا من أشخاص يحتاجون لأعمال الخير (ع ١١).

(٢) في مثل هذه الحالة نحن أُمرنا بأن نُقرض أو نعطي، حسب طاقتنا وحسب الضرورة التي تلزمها الحالة «لا تُقس قلبك ولا تقبض يدك» (ع ٧).

بل بالحري «إفتح يدك له وأقرضه مقدار ما يحتاج إليه» (ع ٨). في بعض الأحيان يكون هناك قدر من الإحسان في الإقراض مثل العطاء تماما، لأن الإقراض يرغم المقترض على الاجتهاد والأمانة، وقد يمكنه من أن يساعد نفسه. إن سنحت لنا الفرصة للإقراض فلنقرض بسخاء، وإن كنا لا نستطيع أن نثق في المستدين، فيجب أن نثق بالله ونقرض، غير راجين شيئا في هذا العالم، متوقعين أنه سيعوض لنا في قيامة الأبرار. (لو ٦: ٣٥؛ ١٤: ١٤).

ثالثا: هنا أمر أن تعطي بسرور.. في أي شيء تعطيه «أعطه ولا يسؤ قلبك عندما تعطيه» (ع ١٠).

عدد ١٢ – ١٨

نجد هنا:

أولا: تكرارا للقانون الذي أُعطي سابقا بخصوص العبيد العبرانيين الذين باعوا أنفسهم أو باعهم آباؤهم بسبب الفقر الشديد، أو بيعوا بواسطة القضاء بسبب بعض الجرائم التي اقترفوها، وكان القانون ينص على:

(١) ألا يشتغل هؤلاء العبيد أكثر من ست سنوات وفي السابعة يجب أن يُعتقوا (ع ١٢) (قارن خروج ٢١: ٢) وإذا جاءت سنة اليوبيل قبل أن يستكملوا هذه السنين الست، فتكون سنة اليوبيل موعد إطلاق سراحهم.

(٢) عندما تنتهي الست سنوات ولا يكون العبد راغبا في أن يتحرر، بل يريد أن يستمر في الخدمة، فإنه يضع نفسه تحت إلزام بأن يخدم إلى الأبد، أي طوال حياته، وذلك بثقب أذنه في الباب (ع ١٦ و١٧).

ثانيا: هنا إضافة إلى هذا القانون، يوصيهم بأن يعطوا بعض الزاد لعبيدهم، بها يبنون حياتهم المقبلة وذلك عندما يطلقونهم من خدمتهم (ع ١٣ و١٤).

عدد ١٩ – ٢٣

أولا: تكرارا للشريعة الخاصة بأبكار أغنامهم وماشيتهم.

ثانيا: إضافة لذلك القانون، وإيضاحات أخرى له، لإرشادهم لما يجب أن يفعلوه بشأن الأبكار.

(١) الذكور: «لا تشتغل على بكر بقرك ولا تجز بكر غنمك» (ع ١٩).

(٢) ولكن ماذا يفعلون بالحيوان الذي فيه عيب «عيب ما رديء» (ع ٢١). سواء كان ذكرا أم أنثى، فإنه لن يُقرب إلى المقدس، ولا يستخدم كذبيحة في عيد مقدس لأنه لا يصلح لإكرام الرب به. كم نشكر الله لأننا لسنا تحت هذا النير! إننا لسنا خاضعين لنفس النظم الغذائية التي كانوا تحتها، فنحن ليس لدينا فرق بين أبكار العجول أو الخراف وبين بقية مَنْ يولدون بعدهم. دعونا إذا نفهم المعنى الإنجيلي لهذا القانون، وهو تقديس أنفسنا وأبكار أوقاتنا وقوتنا لله كنوع من باكورات خليقته.

الأصحاح السادس عشر

في هذا الأصحاح:

أولا: تكرار للقوانين الخاصة بالأعياد السنوية الثلاثة، خصوصا عيد الفصح (ع ١– ٨)، وعيد الخمسين (ع ٩– ١٢) وعيد المظال (ع ١٣– ١٥) والقوانين العامة بخصوص حضور الشعب لهذه الأعياد (ع ١٦ و١٧).

ثانيا: تعيين قضاة وعرفاء، وتعليمات لإصدار أحكام عادلة تقدم للذين سيحتلون هذه المراكز (ع ١٨– ٢٠).

ثالثا: تحذير ضد السواري والأنصاب (ع ٢١ و٢٢).

عدد ١ – ١٧

كثير من المناسبات الدينية كانت تتجلى فيها الشركة بين الله وشعبه، تلك التي كان يمارس فيها الشعب العبادة عن طريق الأعياد الثلاثة السنوية، وقد تقابلنا مرارا مع تأسيسهما والقوانين الخاصة بهما، وها هي تتكرر هنا:

أولا: شريعة الفصح – نظرا للاحتفالات العظيمة التي كانت تُجرى بهذه المناسبة جعلت الشهر كله الذي في منتصفه يقع العيد له مكانة ملحوظة «احفظ شهر أبيب» (ع ١). رغم أن أسبوعا واحدا فقط من هذا الشهر الذي كان يُحفظ كعيد، ولكن الاستعدادات السابقة كانت هامة وانعكاساتها على العيد، والتطبيق الروحي له فيما بعد خطير إلى درجة تصل إلى تقديس الشهر كله. والقوانين الخاصة به هي:

(١) أن يتأكدوا أن يذبحوا الفصح في المكان الذي سوف يختاره الله (ع ٢) وليس في مكان آخر (ع ٥– ٧).

(٢) أن يأكلوا فطيرا غير مختمر لمدة سبعة أيام، ولا يوجد خبز مختمر في كل أرضهم (ع ٣ و٤، ٨) ويعطينا الرسول المعنى الإنجيلي لعيد الفطير هذا في ١كورنثوس ٥: ٧ و٨ «فصحنا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا» ونحن إذ اشتركنا في الثمار المباركة لتلك الذبيحة لراحتنا، «إذًا لنعيِّد» بسيرة مقدسة خالية من «خميرة الشر والخبث» نحو إخوتنا ومن الرياء نحو الله، وبفطير بلا خمير.. «فطير الإخلاص والحق» والمحبة.

ثانيا: بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح كان يُحتفل بعيد الخمسين، ويأتون بتقدمة للرب إلههم (ع ١٠)، وهي تسمى هنا «على قدر ما تسمح يدك أن تعطي كما يباركك الرب إلهك».. لم يحدد الناموس مقدار العطاء، ولكن الأمر كان متروكا لكرم كل واحد ليُحضر ما يختار، ولكن مهما كان ما يقدمه فيجب أن يقدمه بسرور، ولذلك يسمى «نافلة» أو «تبرعا».

ثالثا: يجب أن يحفظوا عيد المظال (ع ١٣– ١٥) عندما نفرح نحن بالرب، يجب أن نبذل جهدنا لجعل الآخرين يفرحون أيضا به بتعزية الحزانى وسد حاجة المحتاجين، حتى يجب أن يفرح معنا الغريب واليتيم والأرملة (انظر أيوب ٢٩: ١٣) وأولئك الذين يجعلون الله موضوع فرحهم سوف يفرحون في الرجاء، لأن الذي وعد أمين.

رابعا: أُوجزت القوانين الخاصة بالأعياد الثلاثة الهامة في العددين ١٦ و١٧ والأوامر العامة المختصة بهذه الأعياد هي:

(١) أن كل الذكور يجب أن يظهروا شخصيا أمام الرب.

(٢) ألا يظهر أحد أمام الرب خالي اليدين ولكن يحضر كل واحد معه تقدمة ما.

عدد ١٨– ٢٢

أولا: الاهتمام الواجب بتحقيق العدالة بينهم، حتى تُسوى المنازعات وتصلح الاختلافات، وأن ينال المُساء إليه حقه وينال المسيئ جزاءه. لما كانوا في خيام في البرية كان لهم قضاة وقادة حسب أعدادهم، رؤساء ألوف ورؤساء مئات (خر ١٨: ٢٥) ولكن حين أتوا إلى كنعان كان يجب أن يكون هؤلاء حسب مدنهم وبلادهم، في كل أبوابهم، لأن مجالس القضاء كانت تجتمع عند الأبواب.

ثانيا: الاحتراس من مشابهتهم للعادات الوثنية للأمم (ع ٢١ و٢٢) لا يجب أن يقيموا سواري بالقرب من مذبح الله، لئلا يجعلوه مشابها لمذابح الآلهة الكاذبة. ليس هناك شيء يعمل على إفساد عقول الناس وأسرها بالغواية، أكثر من تمثيل الله الذي هو روح غير محدود وأبدي، وعبادته في صورة تمثال.

الأصحاح السابع عشر

الوصية في هذا الأصحاح هي:

أولا: بخصوص نقاء وكمال الحيوانات التي تقدم كذبائح (ع ١).

ثانيا: بخصوص عقاب مَنْ يعبدون الأصنام (ع ٢– ٧).

ثالثا: رفع الدعاوي من المحاكم الابتدائية إلى المجلس الأعلى (السنهدريم) (ع ٨– ١٣).

رابعا: بخصوص اختيار الملك وواجباته (ع ١٤– ٢٠).

عدد ١– ٧

أولا: قانون للاحتفاظ بكرامة عبادة الله باشتراط ألا يقدم كذبيحة أي حيوان فيه عيب (ع ١)، فقد كانت ذبائح العهد القديم رموزا للمسيح بصورة خاصة. الذي هو «حمل بلا عيب ولا دنس» (١بط ١: ١٩). فقد حدث في أيام الأمة اليهودية الأخيرة– عندما تم شفاؤهم من عبادة الأصنام عن طريق السبي في بابل– أنهم اُتهموا بانتهاك حرمة العبادة بكسر هذا القانون بتقديمهم الأعمى والأعرج والسقيم ذبائح (ملا ١: ٨).

ثانيا: قانون لعقاب الذين يعبدون آلهة كاذبة: وأقدم أنواع العبادات الوثنية وأكثرها قبولا وجاذبية والتي تُذكر هنا بالذات هي عبادة الشمس والقمر

والنجوم. فإذا كان هذا الأمر مكروها؛ فكم بالحري تكون عبادة الخشب والحجر، أو تماثيل الحيوانات، أو الحيوانات الدنيا والمحتقرة. ومهما كانت بشاعة هذه الجريمة فلا يجب أن أن يعاقبوا أحدا بسببها إلا إذا قام عليه دليل صحيح بشهادة شاهدين على الأقل. ويكون العقاب عظيم كالموت، والموت عظيم كالرجم. يجب أن يُوقَّع العقاب على عابد الأصنام سواء كان رجلا أو امرأة؛ لأن خطأ الجنس الأضعف لن يكون مبررا (ع ٥). وأيدي الشهود في هذه الحالة كما في الحالات الأخرى، يجب أن تكون أولا ضد المخطئ، أي أن يلقوا الحجر الأول عليه، وبذلك يثبتون صدق شهادتهم، وكأنهم يستنزلون اللعنات على أنفسهم بأن يحل ذنب دم المحكوم عليه بالرجم عليهم إذا ما كانت أدلتهم كاذبة، وهذه العادة قد تكون ذات فائدة في منع الناس من الشهادة الكاذبة.

عدد ٨- ١٣

جاء الأمر بأن تقام مجالس القضاء في كل مدينة (تث ١٦: ١٨) وأُعطيت لهم السلطة أن يسمعوا ويحكموا في القضايا حسب الناموس، سواء كانت قضايا خاصة بالشعب كله أو منازعات بين طرفين متخاصمين، ونحن نفترض أنهم حكموا في الأمور التي أحضرت أمامهم وكان حكمهم نهائيا، ولكن من المُسلَّم به أنه قد تأتي المحاكم الصغرى إلى قضية صعبة جدا بحيث لا يستطيع القضاة الأقل خبرة أن يبتُّوا فيها، هذه القضايا التي كانت تُحال سابقا إلى موسى حسب نصيحة يثرون حميه. فكانت بعد موت موسى تُعرض على السلطة العليا في المكان الذي تقام فيه، سواء كانت ممثلة في قاضٍ (عندما كان يوجد شخص مميز يُعين لهذا الأمر وهو مؤهل لهذه الخدمة العظيمة مثل عثنيئيل، ودبورة وجدعون... إلخ) أو في رئيس الكهنة (عندما يكون مدعوا من الله ليتولى الشئون العامة بسبب تفوق مواهبه مثل عالي الكاهن). أو إذا لم يكن هناك شخص متفرد تم تعيينه من الله لهذه الكرامة إذًا فالكهنة واللاويون يتولونها.

عدد ١٤- ٢٠

بعد القوانين الخاصة بالرعايا، جاءت مباشرة القوانين الخاصة بالملوك، لأن أولئك الذين يحكمون الآخرين يجب أن يذَّكِروا أنفسهم أنهم أيضا تحت سلطان. وهنا نجد القوانين المعطاة:

أولا: إلى ناخبي الأمبراطورية.. ما هي القواعد التي يجب أن يسيروا بمقتضاها في اختيارهم (ع ١٤ و١٥).

(١) أُفترض هنا أن الشعب بَمرور الزمن سيرغب في أن يكون له ملك، ظانين أن عظمته وقوته ستجعل وطنهم عظيما بين جيرانهم.

(٢) وهنا قُدمت لهم الإرشادات التي تساعدهم على الاختيار. فإذا كان سيحكم ملك عليهم، كما سبق الله فرأى أنهم سيفعلون هذا (رغم أنه لم يظهر هذا الاقتراح إلا بعد أربعمائة سنة بعد هذا) فيجب عليهم إذا:

أ. أن يطلبوا المشورة من الله، وأن يملِّكوا عليهم مَنْ يختاره الله، وبناء على ذلك، فعندما أراد الشعب ملكا طلبوا ذلك من صموئيل نبي الله، وبعد ذلك داود وسليمان ويربعام وياهو وغيرهم اختارهم الأنبياء.

ب. لا يجب أن يختاروا أجنبيا ملكا، تحت إدعاء تقوية تحالفهم، لئلا يأتي الملك الغريب بعادات غريبة أو ممارسات غريبة.

ثانيا: أُعطيت هنا قوانين للحاكم الذي قد يُنتخب لإدارة السلطة:

(١) يجب أن يتحاشى بكل حرص الأشياء التي قد تبعده عن الله وعن العبادة، فالثروة والكرامة والمسرات هي العوائق الثلاثة العظمى التي تعوق التقوى (شهوة الجسد، شهوة العيون وتعظم المعيشة) خاصة لذوي المراكز العالية، لذلك يُحذر الملك هنا من هذه الأمور.

(٢) يجب أن يُخضع نفسه لناموس الله بكل تدقيق وأن يجعله قاعدة لحياته، ويجب أن يكون هذا بالنسبة إليه أفضل من الغنى والكرامة والمسرات، أفضل من الخيل الكثيرة والنساء الكثيرات وآلاف الذهب والفضة.

أ. يجب أن يكتب لنفسه نسخة من الناموس من

النسخة الأصلية التي كانت في حراسة الكهنة حراس القدس (ع ١٨). لاحظ من المفيد جدا لكل واحد منا أن يكتب ما يلاحظ أنه مؤثر وبنَّاء لنا من الكتاب المقدس والكتب الأخرى الجيدة، ومن المواعظ التي نسمعها. فالقلم الحكيم قد يسهم بشدة في علاج ضعف الذاكرة، ويملأ كنوز رب البيت الصالح بجدد وعتقاء.

ب. لا تكون كتابته وقراءته شيئا إذا لم يتواضع فيمارس ما كتب وقرأ (ع ١٩ و٢٠)، ليعرف أية سلطة يجب أن تكون لديانته عليه، وأي تأثير يجب أن يكون لها عليه:

◄ يجب أن تملأه بإجلال ووقار وخوف أمام العظمة الإلهية وسلطانها.

◄ يجب أن تُلزمه بحفظ دائم لناموس الله، وطاعة واعية له، نتيجة لهذا الخوف.

◄ يجب أن تحفظه ديانته متواضعا مهما كان تقدمه، ويجب أن يحفظ نفسه متضعا، ويجب أن يكون خوف الله مانعا له من أن يحتقر إخوته.

الأصحاح الثامن عشر

في هذا الأصحاح:

أولا: تقرير حقوق وإيرادات اللاويين، وقوانين بشأن خدمتهم وإعالتهم (ع ١– ٨).

ثانيا: تكرار التحذير ضد العادات الوثنية الكريهة (ع ٩– ١٤).

ثالثا: وعد يُعطي لهم باستمرار روح النبوة بينهم، لتتمركز أخيرا في المسيح الكاهن الأعظم (ع ١٥– ١٨).

رابعا: الغضب على أولئك الذين يحتقرون النبوة (ع ١٩)، أو يزيفون النبوة (ع ٢٠) وقاعدة لاختبار النبوة (ع ٢١ و٢٢).

عدد ١ – ٨

القضاء والخدمة الدينية هما وظائف إلهية ذات فائدة عظمى في تعضيد مملكة الله بين البشر وتقدمها– والقوانين الخاصة بالأولى سبق أن رأيناها في ختام الأصحاح السابق– والإرشادات الموجودة في هذا الأصحاح هي خاصة بالأمر الثاني. فهناك حدود مبينة موضوعة هنا للتفرقة بين ممتلكات الكهنة وممتلكات الشعب.

أولا: يؤخذ في الاعتبار ألا يرتبك الكهنة بأمور هذه الحياة، أو أن يغتنوا بثروة هذا العالم، فلديهم أمور أفضل ينشغلون بها.

ثانيا: الاهتمام أيضا بوجوب كفايتهم من وسائل الراحة ومستلزمات هذه الحياة، فرغم أن الله الذي هو روح هو ميراثهم، ولكن ليس معنى هذا أنهم يحيون على لا شيء، إذ يجب أن يتكفل الشعب بهم، يجب أن يحصلوا على نصيبهم «من الشعب» (ع ٣) ولكن إعالتهم لا يجب أن تتوقف على ما يجود به الشعب ولكن يجب أن يأخذوا ما يستحقون بحكم القانون.

عدد ٩– ١٤

قد يظن المرء أنه لم تكن هناك حاجة ماسة كما يبدو، لتسليح شعب إسرائيل ضد عدوى العادات الوثنية الكنعانية، ولكن بعد الكثير من التحذيرات يوصيهم هنا بألا يمارسوا رجاسات تلك الشعوب (ع ٩).

أولا: بعض الأشياء الخاصة تذكر تحديدا:

(١) تكريس أولادهم لمولك، وهو صنم يمثل الشمس يجعلهم يمرون في النار، وفي بعض الأحيان يحرقهم كذبيحة في النار (ع ١٠) «منْ يجيز ابنه أو ابنته في النار» انظر القانون المعطى عن هذا الأمر فيما سبق (لا ١٨: ٢١).

(٢) استخدام طرق قراءة الغيب لمعرفة الأمور المستقبلية مثل العرافة والسحر والرقية... إلخ.

ثانيا: بعض الأسباب لماذا يجب ألا يتمثلوا بعادات الأمم:

(١) لأنها ستجعلهم مكروهين لدى الله.

(٢) لأن هذه الممارسات الكريهة كانت سبب خراب الكنعانيين، ذلك الخراب الذي لم يشاهدوه بنو إسرائيل بعيونهم فقط بل كانوا الأداة التي بها تم تنفيذه.

(٣) لأنهم عرفوا تعليما أفضل (ع ١٣ و١٤)، إنها حجة كتلك التي كلم بها الرسول بولس المسيحيين

الذين سلكوا كما سلك الأمم (أف ٤: ١٧ و١٨، ٢٠) «لم تتعلموا المسيح هكذا».

عدد ١٥ – ٢٢

أولا: الوعد بالنبي الأعظم، مع الأمر بقبوله والاستماع إليه:

(١) يظن البعض أن هذا وعد بتعاقب الأنبياء الذي سيظل في إسرائيل لسنوات كثيرة، وإلى جانب الكهنة واللاويين، خدامهم العاديين. الذين كان واجبهم تعليم بني إسرائيل الناموس. فيجب أن يكون لهم أنبياء وهم بمثابة خدام متميزون، يوبخونهم على أخطائهم، ويذكرونهم بواجباتهم، ويخبرونهم عن أمور ستحدث في المستقبل، وأحكام لتحذيرهم ورسائل تعزية لهم.

(٢) وسواء كان ما جاء في هذا الوعد هو تعاقب الأنبياء أم لا، فإننا واثقون أن هذا الوعد مقصود به قبل كل شيء بأنه وعد بالمسيح، وهو أوضح وعد عنه موجود في كل ناموس موسى. وهو ينطبق على المسيح بوضوح كالمسيا الموعود به (أع ٣: ٢٢؛ ٧: ٣٧). وكان الشعب يضعون هذا الوعد أمام عيونهم عندما قالوا عنه «إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم» (يو ٦: ١٤)، وكان روحه هو الذي تكلم على فم الأنبياء (١بط ١: ١١)، وهنا أيضا وصية وأمر لكل الشعب ليسمع ويؤمن، ليسمع ويطيع هذا النبي العظيم الموعود به هنا «له تسمعون» (ع ١٥)، وكل من لا يسمع له سيحاسب بكل تأكيد وبقسوة لإحتقاره إياه (ع ١٩) «أنا أطالبه».

ثانيا: هنا تحذير من الأنبياء الكذبة: كل ما هو لا يتماشى مع المنطق السليم والبصيرة والضمير الطبيعي وكلمة الله الواضحة، فلنتأكد أن الله لم يتكلم به؛ وبالمثل كل ما يعطي تصريحا وتشجيعا للشر، وكل ما يميل بوضوح تجاه إفساد التقوى وعمل الخير.

الأصحاح التاسع عشر

كل القوانين التي سبق وكررها موسى حتى الآن، وألح في تأكيدها كانت إلى حد كبير تختص بأعمال الدين والعبادة نحو الله، لكنه هنا يأتي بأكثر تفصيل ليوضح واجبات البر بين الإنسان وأخيه الإنسان.

وهذا الأصحاح يختص:

أولا: بالوصية السادسة «لا تقتل» (ع ١– ١٣).

ثانيا: وبالوصية الثامنة «لا تسرق» (ع ١٤).

ثالثا: ثم بالوصية التاسعة «لا تشهد... شهادة زور» (ع ١٥– ٢١).

عدد ١ – ١٣

كان من إحدى الوصايا التي أُعطيت لنوح أن «سافك دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمه».. أي بواسطة المنتقم للدم (تك ٩: ٦) وهنا تقف الشريعة بين دم ودم، بين دم المقتول وبين دم القاتل. ومما يؤخذ في الاحتياط ما يلي:

أولا: إن مدن الملجأ ستكون حماية لكل إنسان قتل آخر دون تعمد، فلا يموت من أجل جريمة لم تكن بإرادته، لكنها حدث مؤسف.

(١) تعيين ثلاث مدن لهذا القصد في أرض كنعان: قُسمت الأرض إلى ثلاثة أقسام وكانت مدينة الملجأ تقع وسط كل قسم، حتى تكون إحدى هذه المدن في متناول أي إنسان.

(٢) استخدامات هذه المدن (ع ٤– ٦).

أ. قد يحدث أن يتسبب إنسان ما في موت قريبه دون أية موآمرة ضده، أو غضب مفاجئ أو حقد سابق، ولكن بسبب أمر طارئ فقط، مثل إنفلات رأس الفأس نحو القتيل، وهو المثال المعطى هنا لكي يُقارن به كل سبب آخر ويُحكم بمقتضى هذه المقارنة.

ب. ويفترض أن أحد أقرباء القتيل يريد أن يثأر لدم قريبه. فعلى الرغم من أن الناموس لم يسمح بأخذ الثأر (عن طريق القتل) لأي ضرر أو إهانة أخرى. إلا أن ولي الدم المنتقم لدم قريبه لديه عذر كبير بسبب غضبه على مثل هذا الاستفزاز. وقتله للقاتل، حتى لو كان غير متعمد، لا يُحسب جريمة قتل إذا لم يستطع الوصول لمدينة الملجأ.

ج. وفي حالة إذا تجاوز ولي الدم حدود المنطق فطلب تعويضا للدم مسفوك دون تعمد، عندئذٍ تقوم مدينة الملجأ بحماية هذا القاتل.

(٣) تعيين ثلاث مدن أخرى لهذا الغرض فيما إذا وسع الله تخومهم فيما بعد، وإذا امتد نفوذ سلطتهم الدينية، حتى تتمتع كل الأماكن التي تصبح تحت سلطان ناموس موسى بفوائد هذا القانون في هذه الحالة (ع ٨ – ١٠).

ثانيا: وضع في الاعتبار ألا تكون مدن الملجأ ملاذا لمن يقتل مع سبق الإصرار، بل إنه حتى من هناك يؤخذ ويسلم إلى ولي الدم (ع ١١– ١٣). قبل حركة الإصلاح الديني كانت هناك بعض الكنائس والبيوت الدينية (كما كانوا يسمونها) التي كانت تُعد ملاجئ لحماية كل أنواع المجرمين الذين يلجأون إليها، ولم يكن يُستثنى القتلى مع سبق الإصرار، وبهذا لم تكن الكنائس تتبع ناموس موسى بل قوانين رومولُس (القانون الروماني) ولم يصدر قرار بإلغاء الملاجئ للقتلة المتعمدين وما يتمتعون به من إمتياز إلا قرب نهاية حكم هنري الثامن.

عدد ١٤– ٢١

هنا شريعة لمنع الخداع واليمين الحانثة والشهادة الزور، لأن الشريعة الإلهية تهتم بحقوق الإنسان وممتلكاته، وتحيطهم بسياج الرعاية.

أولا: قانون ضد الغش والاحتيال (ع ١٤).

(١) هنا توجيه ضمني يعطى للزارعين الأولين لكنعان ليقيموا حجارة تحدد أملاكهم، حسب توزيع الأرض على الأسباط المتعددة، والعائلات على أساس القرعة.

(٢) قانون واضح لذريتهم ألا ينقلوا هذه الأحجار. فهو يمنع:

أ. التعدي على حقوق أي إنسان. وإغتصابنا لأنفسنا ما ليس لنا بأي وسيلة غاشة أو ممارسات خادعة، مثل التزوير أو إخفاء الوثائق أو إتلافها أو تفسيرها (التي هي حجارة الحدود والتي يُرجع إليها) أو بنقل الأسيجة أو حجارة الأسوار أو حدود الملكية.

ب. نه يمنع زرع الخصومات بين الجيران وعمل أي شيء يسبب العراك والمقاضاة.

ثانيا: قانون ضد القسم الكاذب (الحنث) وشهادة الزور، ويُشرع أمرين:

(١) ألا تقبل شهادة شاهد واحد كدليل في جريمة ما، لكي يصدر الحكم بناء على شهادته (ع ١٥).

(٢) أن يقع على شاهد الزور نفس العقاب الذي كان يجب أن يوقع على الشخص الذي يتهمه (ع ١٦– ٢١).

الأصحاح العشرون

في هذا الأصحاح نرى القوانين والشرائع الخاصة بالحرب.

أولا: ما يختص بالجنود.

(١) لابد من تشجيع الجنود الذاهبين للمعركة (ع ١– ٤).

(٢) عودة أولئك الذين تستدعى أمورهم الخاصة بقائهم في منازلهم (ع ٥– ٧) أو الذين يجعلهم خوفهم وضعف قلبهم غير أكفاء للحرب (ع ٨ و٩).

ثانيا: ما يختص بالعدو الذي يحاربونه:

(١) المعاهدات التي يعملونها إنما تكون مع المدن البعيدة عنهم (ع ١٠– ١٥).

(٢) تدمير سكان البلاد التي سيدخلون إليها (أرض كنعان) (ع ١٦– ١٨).

(٣) الحرص الذي يجب أن يتوخوه في حصار المدن حتى لا يتلفوا الأشجار المثمرة (ع ١٩ و٢٠).

عدد ١– ٩

كان إسرائيل حتى ذلك الوقت يُعتبر معسكرا أكثر منه مملكة، سيدخل إلى أرض عدو ولم يستقر بعد في بلد خاص وبالإضافة إلى الحرب التي هم داخلون إليها قريبا كوسيلة لاستقرارهم، ولن يستطيعوا حماية أو زيادة حدود ممتلكاتهم دون سماعهم نواقيس الحرب، فكان من الضروري إذًا أن يحصلوا على إرشادات تُعطى لهم بخصوص شئونهم الحربية.

أولا: أولئك الذين سيدخلون الحرب يجب أن يتم تشجيعهم وتعضيدهم حتى لا يخافوا.

(١) حضور الله معهم «لأني معك... لأني إلهك» لذلك فأنت لست في خطر، ولست مضطرا لأن تخاف (انظر إشعياء ٤١: ١٠).

(٢) الاختبار الذي كان لهم ولآبائهم لقوة الله وصلاحه في إخراجهم من مصر متحديا فرعون وكل أجناده «لا تضعف قلوبكم» أو تلين (هكذا معنى الكلمة) فتتقبل كل انطباعات الخوف. ولكن دعوا ثقتكم وإيمانكم في قوة الله ووعده يُقوي قلوبكم «لا تخافوا ولا ترتعدوا لا ترهبوا وجوههم». لا تعطوا مكانا للرعب ولا تتسرعوا (هكذا تعني الكلمة)، لأن المؤمن لا يتحرك بالسرعة المناسبة. «لا تتسرعوا باندفاع لتنالوا امتيازات أو تهربا من كل مشكلة". إعطاء هذا التشجيع من قبل الكاهن، أحد خدام الرب، يشير إلى:

أ. أنه من الصواب جدا أن يكون للجيوش خدام دين، لا ليصلوا من أجلهم فقط، بل أيضا ليعظوهم موبخين إياهم على كل ما يعطل نجاحهم، وأن يزيدوا أملهم في الانتصار.

ب. من عمل خدام المسيح أن يشجعوا جنوده الصالحين في حربهم الروحية ضد العالم والطبيعة الشريرة، وأن يؤكدوا لهم الحصول على النصرة، بل ما هو أكثر من النصرة بواسطة المسيح الذي أحبنا.

ثانيا: أولئك غير المستعدين للحرب يجب أن يتم تسريحهم.

(١) يتفق كتبة اليهود على أن إعطاء الحرية للرجوع عن الحرب كان يُسمح به فقط في الحروب التي كانوا يدخلونها بإرادتهم وليست تلك التي كانت تجري بالأمر الإلهي ضد عماليق والكنعانيين، حيث كان كل رجل ملزما بالاشتراك فيها.

(٢) إذا كان نفور إنسان من الحرب ناتجا عن ضعفه وجبنه الكامنين في نفسه، فكان مصرحا له بالرجوع من الحرب (ع ٨). وكان هذا شفقة عليه أن يتم تسريحه (رغم ما في هذا من خزي إلا أنه كان راحة لهم)؛ لكن كان هذا بالأكثر إشفاقا على بقية الجيش، الذي سوف يتخلص بهذا من إعاقة غير النافعين وغير القادرين. وكذلك فإن هذا الأمر سيمنع سريان عدوى الجبن والهرب فيما بينهم.

ثالثا: يؤمر هنا بأنه بعد أن يخرج كل الجبناء (١)، حينئذ تُرشح أسماء رؤساء الجيش (ع ٩) لأنه- بصورة ما- كان لابد أن يكون قادة الجيش ورؤساؤه رجالا شجعانا.

عدد ١٠- ٢٠

إرشادات خاصة بالوسائل التي يتعاملون بها مع المدن التي يحاربونها (هذه مذكورة في آية ١٠ فقط، ولكن بلا شك فإن المقصود أيضا الجيوش في الميدان والشعوب التي كان عليهم أن يتعاملوا معها). لا يجب أن يهاجموا مدينة ما من جيرانهم دون تقديم إنذار عادل إليهم، ببيان علني أو إعلان يبين فيه أساس النزاع بينهم.

أولا: ويجب حتى مع إعلان الحرب أن ترفق دعوة إلى السلام؛ فربما قبلوا الصلح بشروط عادلة عند عرضه عليهم. وهذا يوضح لنا:

(١) نعمة الله في معاملته مع الخطاة: مع أنه يستطيع أن يفنيهم- وبعدل يفعل- بكل سهولة ولكنه إذ لا يسر بموتهم فإنه يعلن سلامه ويطلب منهم أن يتصالحوا معه.

(٢) ويوضح لنا واجبنا في معاملتنا تجاه إخوتنا؛ فإذا نشب عراك فلنكن ليس فقط مستمعين إلى مبادرات السلام، بل أن نتوق إلى تتميم مثل هذه المبادرات.. فيجب ألا نلجأ إلى «القضاء» إلا بعد أن نحاول حل الأمور بالطرق الودية المختلفة، بدون نفقات ومتاعب كثيرة. يجب أن نتخذ خيار السلام، أيا كان من يتخذ خيار الحرب.

ثانيا: إذا لم تُقبل عروض الصلح، فيجب أن يعجلوا بالحرب.

ثالثا: تُستثنى شعوب كنعان من إجراءات الرحمة التي أتاحها هذا القانون. قد تُترك هناك بعض البقايا من المدن البعيدة جدا (ع ١٥)؛ لأن بني إسرائيل لم يكونوا في خطر كثير من العدوى بالوثنية، ولكن المدن التي أُعطيت لإسرائيل ميراثا لا يجب أن يبقى أحد من سكانها (ع ١٦)؛ لأنه لم يكن من المنتظر أن يُشفوا من وثنيتهم، فإذا ما تركوا هذا الوبأ القاتل فيما بينهم، فقد يصاب شعب الله بهذه العدوى التي كانوا معرضين وبشدة للإصابة بها.

رابعا: يجب الاحتراس عند حصار هذه المدن، ألا تُقطع أية شجرة مثمرة (ع ١٩ و٢٠) والقصد الإلهي في كثير من الوصايا هي أن تمنعنا من أن نفسد الأشياء التي فيها حياتنا وطعامنا. وألا يُسمح للجيوش ولا لقادتها أن يخربوا ما يشاءون في البلاد التي هي

ساحات للحرب، فلا تقطع شجرة إلا إذا كانت غير مثمرة، لأنها تتلف الأرض. أي شخص يحطم الأواني أو يمزق الثياب، أو يردم الآبار، أو يهدم المنازل أو يتلف الطعام، إنما يتعدى على هذا القانون «لا تتلف».

الأصحاح الحادي والعشرون

في هذا الأصحاح يقدم الشروط:

أولا: لنزع ذنب الدم البريء من الأرض، إذا كان سافك الدم قد هرب من العدالة (ع ١– ٩)

ثانيا: لحفظ كرامة المرأة الأسيرة (ع ١٠– ١٤).

ثالثا: لحفظ حق البكر، رغم كونه ليس محبوبا (ع ١٥– ١٧).

رابعا: لردع وعقاب الابن العاق (ع ١٨– ٢١).

خامسا: للاحتفاظ بكرامة الجسم البشري، حيث لا يجب أن يُعلق بالسلاسل، بل يُدفن بوقار حتى أجساد أشر الخطاة (ع ٢٢ و٢٣).

عدد ١– ٩

سبق توجيه الاهتمام في قوانين سابقة بشأن المحاكمة القوية العادلة للقتل الإرادي (تث ١٩: ١١– ١٤) فقتل القاتل كان يعني إزالة ذنب الدم عن الأرض؛ ولكن إذا لم يكن في الإمكان عمل هذا، لأن القاتل لم يُعرف، فلا يجب أن يظنوا أن الأرض لم تعد في خطر من وجود أي فساد، لأن عدم عقاب القاتل لم يكن راجعا إلى أي إهمال منهم؛ كلا، فهناك إجراء عظيم يجب اتخاذه لإزالة الذنب، وهذا الإجراء تعبير منهم عن خوفهم من هذه الخطية وكراهيتهم لها.

أولا: القضية المعروضة هي أنه وجد إنسان مقتولا، ولا يُعرف من قتله (ع ١).

ثانيا: تُعطى التوجيهات بشأن ما يجب عمله في هذه الحالة. يصلي الكهنة لله من أجل البلاد والشعب طالبين أن يرحمهم الله، وألا تقع عليهم العقوبة التي يستحقها فاعل خطية القتل.

عدد ١٠– ١٤

بهذا القانون يستطيع الجندي أن يتزوج إحدى الأسيرات. فمن أجل قساوة قلوبهم أعطاهم موسى هذا التصريح، لأنه إذا لم تُعط لهم الحرية في أن يتزوجوا من أولئك، لأخذوا الحرية في تدنيس أنفسهم معهن، الأمر الذي يكدر المحلة. والمفترض أن تكون للرجل زوجة سابقة، فيأخذ هذه كزوجة ثانية، كما يسميها الناموس. وهذا الانغماس الشهواني المتسبب عن إنحراف قلوب الرجال وراء شهوات عيونهم، غير مقبول بحال من الأحوال في ناموس المسيح، ففي هذه الحالة، وحالات أخرى مماثلة يفوق الإنجيل في مجده ناموس موسى.

عدد ١٥– ١٧

هذا القانون يمنع الرجال من حرمان أبنائهم الأبكار من ميراثهم ميلا مع الهوى وبدون وجه حق.

أولا: القضية المعروضة هنا (ع ١٥) بناءة جدا وحافلة بالتعليم:

(١) إنها تُبين الضرر البالغ الذي يتسبب عن زواج الرجل بأكثر من امرأة واحدة، الأمر الذي لم يمنعه ناموس موسى.

(٢) يُظهر لنا كيف أن العناية الإلهية تقف غالبا إلى جانب الأضعف– لأن الابن البكر المقصود به هنا هو ابن المرأة المكروهة؛ وكان الأمر هكذا في أسرة يعقوب، إذ أن الرب قد رأى أن ليئة لم تكن محبوبة (تك ٢٩: ٣١).

ثانيا: مازال هذا القانون حتى اليوم ملزما للآباء؛ إذ يجب أن يعطوا أولادهم حقوقهم بلا تحيز، ففي القضية المعروضة، فإن الابن الأكبر، ولو أنه ابن الزوجة المكروهة، يجب أن ينال امتياز البكورية الذي كان نصيب اثنين من ثروة أبيه، لأنه كان أول قوته. يجب ألا يهمل الأب ابنه ما لم يتضح أنه متروك من الله، الأمر الذي يصعب قوله مادامت هناك حياة.

عد ١٨– ٢٣

هنا نجد:

أولا: قانون لمعاقبة الابن المتمرد– فكما جاء في القانون السابق ألا يحرم الآباء أبناءهم من حقوقهم، فمن اللائق أن يتضمن بعد هذا ألا يمتنع الأبناء عن

تقديم الإكرام والواجب نحو والديهم.

(١) وصف المدان كما جاء هنا: «ابن معاند ومارد» (ع ١٨). لا يوجد ابن يلقى الظلم من أجل ضعف مقدرته، أو بطء فهمه أو غباوته، ولكن لأجل عناده وتصلّبه– وبصفة خاصة عندما يكون مسرفا وسكيرا (ع ٢٠) وهذا يعني أنه إما:

أ. أن أبواه قد سبق وأنذراه عن هذه الخطايا بصفة خاصة، أو:

ب. أن كونه مُسرفا وسكيرا كانا سبب وقاحته وعناده نحو والديه. عندما يعتاد الناس السكر فإنهم ينسون القانون، ينسون كل قانون (انظر أمثال ٣١: ٥) حتى ذلك القانون الأساسي الخاص بإكرام الوالدين.

(٢) الاجراءات التي تتخذ ضد هذا المجرم: يكون أبوه وأمه هما أول المدعين عليه (ع ١٩ و٢٠).

ثانيا: قانون لدفن أجساد المجرمين الذين عُلقوا على خشبة (ع ٢٢)، أو أولئك الذين رجموا إلى الموت. كان من المعتاد، بناء على أوامر القضاة، أن يُعلقوا على خشبة لمدة من الوقت كمنظر للعالم، لإظهار عار الجريمة وهنا يُشترط أنه مهما كانت المدة التي يبقون فيها معلقين، فإنهم عند غروب الشمس يجب أن يُنزلوا ويدفنوا، وبهذا:

(١) يحفظ الله كرامة الأجساد البشرية وتظهر شفقته نحو أشر المجرمين.

(٢) يتضح أن هناك أمرا طقسيا فحسب ناموس موسى فإن لمْس جسم ميت أمرا ينجس الإنسان، لذلك فإن الأجساد المائتة لا يجب أن تبقى معلقة في الأرض، لأنه على أساس نفس القاعدة، فإن هذا ينجس الأرض.

(٣) ولأن المعلق على خشبة ملعون من الله– أي أن هذه أعلى درجات العار والمهانة التي يمكن أن تحيق بالإنسان– وإعلان بأنه تحت لعنة من الله بصورة أعظم من أية طريقة أخرى من طرق العقاب الخارجي. فالذين يرونه معلقا بين السماء والأرض، يعتبرونه مطرودا من كليهما وغير مستحق لأيهما، لذلك لا يجب أن يبقى معلقا طوال الليل، لأن هذا إفراط في العقاب.

الأصحاح الثاني والعشرون

تقدم قوانين هذا الأصحاح:

أولا: ما يكفي لحفظ المحبة وحسن الجيرة في الاهتمام بالحيوانات الضالة أو الواقعة في الطريق (ع ١– ٤).

ثانيا: لحفظ النظام والتمييز بين الجنسين يجب ألا يلبس الرجل والمرأة ثياب أحدهما الآخر (ع ٥) وأن يُمنع أي اختلاط بين الجنسين بدون مبرر (ع ٩– ١١).

ثالثا: للمحافظة على الطيور (ع ٦ و٧).

رابعا: للمحافظة على الحياة (ع ٨).

خامسا: حفظ الوصايا (ع ١٢).

سادسا: حفظ سمعة زوجة يساء إليها، إذا ما كانت بريئة (ع ١٣– ١٩) ولكن لعقابها إذا كانت مذنبة (ع ٢٠ و٢١).

سابعا: لحفظ عفة الزوجات (ع ٢٢) والعذارى المخطوبات (ع ٢٣– ٢٧) أو غير المخطوبات (ع ٢٨ و٢٩).

وأخيرا ضد زنا المحارم (ع ٣٠).

عدد ١– ٤

الشفقة التي يجب أن تُظهر من جهة العدو (خر ٢٣: ٤ و٥) يُطالب هنا أن تُمارس بالأكثر كثيرا نحو الجار رغم أنه ليس إسرائيليا.

أولا: الحيوانات الشاردة يجب أن ترجع إما إلى أصحابها وإما إلى المرعى الذي خرجت منه (ع ١ و٢). إذا كان مثل هذا الاهتمام يجب أن يظهر نحو ثور أو حمار ضل، فكم بالحري الاهتمام بالإنسان نفسه الذي ضل عن الله وعن واجبه، يجب أن نبذل كل الجهد لتجديده (يع ٥: ١٩)، وإرجاعه ملاحظين أنفسنا نحن أيضا (غل ٦: ١).

ثانيا: كل الأشياء المفقودة يجب أن تعاد إلى أصحابها (ع ٣).. يقول اليهود من وجد شيئا مفقودا عليه أن يُعلن عنه ثلاث أو أربع مرات أمام الجمهور.

عدد ٥– ١٢

تحتوي هذه الأعداد على قوانين مختلفة تبدو وكأنها تنزل لمستوى متدنيٍّ وتشير إلى أمور شائعة ودقيقة:

أولا: يجب أن يُحفظ التمييز بين الأجناس في الملبس، للمحافظة على عفتنا وعفة جيراننا (ع ٥).

(١) يظن البعض أن هذا يشير إلى العادات الوثنية بين الأمم؛ في عبادة ڤينوس (الزهرة) فتظهر النساء في ثياب حربية ويظهر الرجال في ثياب النساء.

(٢) هذا يمنع اختلال العواطف والميول والنزعات لدى الجنسين.

(٣) ربما كان تبادل الثياب يستخدم لاغتنام الفرص لاقتراف الأعمال النجسة، ولهذا حُرم.

ثانيا: عند أخذ بيض عش، يجب أن تطلق الأم حرة (ع ٦ و٧).. ولكن هل الله تهمه الطيور؟ (١كو ٩: ٩). نعم بالتأكيد، وربما كانت إشارة مخلصنا الرب إلى هذا القانون في لوقا ١٢: ٦ «أليست خمسة عصافير تباع بفلسين وواحد منها ليس منسيا أمام الله» وهذا القانون:

(١) يمنعنا من أن نكون قساة على الحيوان الأعجم أو أن نُسر بإهلاكهم.

(٢) أنه يعلمنا الرحمة لبني جنسنا وأن نكره كل ما هو وحشي وقاسي وكل ما هو شرس وسيئ الطبع، خاصة نحو الجنس الأضعف والأكثر رقة الذي يجب أن يُعامل بكل احترام مراعين تلك الآلام التي يعانينها عند الحبل بالأولاد.

ثالثا: عند بناء بيت يجب الاهتمام بأن يكون آمنا، وألا يتأذى أحد بالسقوط من فوقه (ع ٨). كانت أسطح بيوتهم مسطحة ليمشي الناس فوقها، فيجب أن يحيطوها بجدار (وكما يقول اليهود) يجب أن يكون ارتفاعه ثلاثة أقدام ونصف. انظر هنا:

(١) كيف أن حياة الناس ثمينة عند الله الذي يحميها ليس فقط بعنايته بل أيضا بنواميسه.

(٢) لذلك كم يجب أن تكون ثمينة بالنسبة إلينا. وأن نهتم برفع أي شيء تتعرض بسببه حياة الناس للخطر فمثلا نغطي الآبار ونصلح الجسور وما إلى ذلك.

رابعا: يحرم هنا الخلط الشاذ للأشياء (ع ٩ و١٠) وقد قابلنا أمثال هذا كثيرا من قبل (لا ١٩: ١٩). ويبدو أنه لا توجد أية شبهة شر في هذه الأشياء، ولذلك فنحن الآن لا نحتاط إذا ما زرعنا القمح والشعير والحرث بالخيل والثيران معا. وفي ارتداء ملابس مصنوعة من الصوف والقطن معا، ولكن ما حُرم هنا هو:

(١) التوافق مع العادات الوثنية الأممية.

(٢) وكل ما هو مخالف لبساطة الإسرائيلي وطهارته. فلا يجب أن يرضوا غرورهم وحب استطلاعهم بجمع تلك الأشياء معا والتي أمر الخالق في حكمته غير المحدودة بأن تنفصل عن بعضها البعض.

خامسا: تُكرر هنا الشريعة التي كانت لنا قبلا بخصوص أهداب الثياب ووسائط تذكرة الوصايا (عد ١٥: ٣٨ و٣٩) (ع ١٢) وبهذا تميزوا عن الشعوب الأخرى، حتى أنه يمكن أن يقال من النظرة الأولى: هذا إسرائيلي.

عدد ١٣ – ٣٠

هذه القوانين تتصل بالوصية السابعة، فوضعت بعض الضوابط بفرض عقوبات على تلك الشهوات الجسدية التي تحارب النفس.

أولا: إذا كان هناك رجل يشتهي امرأة أخرى غير زوجته، فلكي يتخلص من زوجته يتهمها كاذبا ويشهر بها، فعند إثبات كذبه يُعاقب (ع ١٣– ١٩). وكلما كان الشخص قريبا منا، كانت خطية اتهامنا الكاذب له، ومحاولة تلطيخ سمعته أكثر شناعة.

ثانيا: إذا وُجدت المرأة التي تزوجت باعتبارها عذراء أنها خلاف ذلك فإنها تُرجم بالحجارة أمام بيت أبيها حتى الموت (ع ٢٠ و٢١). والآن:

(١) هذا الأمر أعطى تحذيرا قويا للفتيات للهروب من الزنا لأنه وإن أمكنهن إخفاء الزنا قبل الزواج فلم يُكتشف بحيث لا يمنع زواجهن، إلا أنه من الممكن جدا أن يكتشف بعد الزواج، مما يؤدي إلى عارهن الأبدي وهلاكهن التام.

(٢) في هذا إشارة إلى الآباء أن يحفظوا طهارة أبنائهم بكل طريقة ممكنة، بإبداء النصح لهن دائما وتأديبهن– وبكونهم مثالا طيبا لهن وحفظهن من المعاشرات الرديئة، والصلاة من أجلهن ووضعهن تحت الضوابط الضرورية.

ثالثا: إذا اضطجع رجل سواء كان متزوجا أم لا، مع امرأة متزوجة يقتلان كلاهما (ع ٢٢) وقد كان هذا القانون أمامنا من قبل في سفر اللاويين ٢٠: ١٠.

رابعا: إذا كانت فتاة مخطوبة ولكنها لم تتزوج بعد، ولم تكن تحت رعاية من سيصير زوجا لها، فهي وطهارتها يكونان تحت رعاية الناموس وحمايته.

الأصحاح الثالث والعشرون

تقدم لنا قوانين هذا الأصحاح:

أولا: ما يلزم لحفظ نقاوة وكرامة أسر إسرائيل بابعاد من قد يكونون عارا لهم (ع ١– ٨).

ثانيا: لحفظ طهارة وكرامة محلة إسرائيل عندما توجد خارج حدودها (ع ٩– ١٤).

ثالثا: لإطعام ومعاونة وإيواء العبد الذي هرب إليهم (ع ١٥ و١٦).

رابعا: ضد العهارة (ع ١٧ و١٨).

خامسا: ضد الربا (ع ١٩ و٢٠).

سادسا: ضد عدم الإيفاء بالنذور (ع ٢١– ٢٣).

سابعا: مدى الحرية التي يستمتع بها الإنسان في حقل غيره وكرم غيره (ما يجب وما لا يجب) (ع ٢٤– ٢٥).

عدد ١ – ٨

يختلف المفسرون هنا في معنى القول «لا يدخل... في جماعة الرب».

الأمر الممنوع هنا على المخصيين وأبناء الزنا والعمونيين والموآبيين إلى الأبد أما الأدوميون والمصريون فيدخلون في الجيل الثالث.

(١) يظن البعض أنهم بهذا محرومون من مشاركة شعب الرب في خدماتهم الدينية.

(٢) ويظن آخرون أنهم بهذا القانون محرومون من تولى الوظائف في المحفل المقدس.

(٣) يظن آخرون أنهم محرومون فقط من الزواج من بني اسرائيل. يبدو أن رجال إسرائيل مسموح لهم أن يتزوجوا من بنات هذه الشعوب (رغم بعدهن عن شعوب كنعان) إذا ما كن قد تحولن تماما إلى الديانة اليهودية، ولكن كان محرما على رجال هذه الشعوب أن يتزوجوا من بنات إسرائيل وما كان في استطاعة هؤلاء الرجال أن يحصلوا على الجنسية اليهودية.

عدد ٩– ١٤

كان شعب إسرائيل في هذا الوقت يقيمون في خيام، وكان هذا الجيش الكبير على وشك الدخول إلى الحرب، الأمر الذي كان يستلزم بقاءهم معا زمنا طويلا. لذلك كان من المناسب أن تُعطى لهم إرشادات خاصة لتنظيم معسكرهم تنظيما جيدا– وتتلخص الوصية في كلمة واحدة هي أن يكونوا «أنقياء». يجب أن يتخذوا حذرهم بأن يحفظوا ذلك المعسكر نقيا من كل فساد أخلاقي أو طقسي أو طبيعي.

أولا: من الفساد الأخلاقي (ع ٩) «إذا خرجت في جيش على أعدائك فاحترز من كل شيء رديء».

(١) يجب أن يحترس الجنود لأنفسهم من الخطية، لأن الخطية تخمد القوة. والإثم يجعل الرجال جبناء، يجب أن يحفظ الجنود أنفسهم من الأصنام، أو الأشياء المحرمة التي قد يجدونها في المعسكرات التي يسلبونها.

(٢) وحتى أولئك الذين بقوا في وطنهم، يجب أن يحترزوا في ذلك الوقت بصفة خاصة أن يحفظوا أنفسهم من كل شيء شرير، يجب أن تكون أزمنة الحرب، أزمنة إصلاح وتجديد، وإلا فكيف نتوقع أن يستجيب الله صلواتنا طلبا للنجاح والنجاة؟ (مز ٦٦: ١٨؛ انظر ١صموئيل ٧: ٣).

ثانيا: من الفساد الطقسي: فبسبب الضيق والتوبيخ اللذان قد يتعرض لهما الإنسان حتى بسبب النجاسة غير الإرادية، تعلموا أن يخافوا خوفا شديدا من الشهوات الجسدية.

ثالثا: من الفساد الطبيعي. محلة الرب لا يجب أن يكون فيها شيء كريه (ع ١٢– ١٤). إن كان كل هذا الاهتمام لحفظ الجسد نقيا، فبالأحرى أن نحفظ العقل أيضا نقيا– ونُعطى هنا السبب: «لأن الرب إلهك سائر في وسط محلتك» في تابوته وهو العلامة الخاصة بحضوره. وبالنظر إلى ذلك الرمز الخارجي فإن الطهارة الخارجية مطلوبة وهي تعلمنا أن نحفظ

طهارة النفس الداخلية ناظرين إلى عين الرب التي هي علينا باستمرار.

عدد ١٥- ٢٥

تُعطى هنا أوامر بشأن خمسة أمور مختلفة ليس لها علاقة أحدها بالآخر:

أولا: صارت أرض إسرائيل هنا قُدسا أو مدينة ملجأ، للعبيد الذين أُسيء إليهم من سادتهم ثم هربوا ملتجئين إليها من البلاد المجاورة (ع ١٥ و١٦).

(١) إنه شيء مشرف أن نأوي ونحمي الضعفاء بشرط ألا يكونوا أشرارا، لقد طلب الملاك من هاجر أن تعود ثانية إلى سيدتها، وأعاد بولس أنسيموس إلى سيده فليمون، لأنه لم يكن هناك سبب لأي منهما للهرب، ولم يكن أي منهما معرضا للخطر عند رجوعه.

(٢) فإذا ظهر أن العبد قد أسيء إليه، فلا يجب أن يحموه فقط، بل إذا فرض أنه أراد أن يعتنق ديانتهم، فيجب أن يقدموا له كل التشجيعات التي تساعده على أن يستقر بينهم.

ثانيا: يجب ألا تكون أرض إسرائيل ملجأ للدنسين، فلا يجب أن تكون هناك زانية أو مأبون يسمح لهم بالعيش بينهم (ع ١٧ و١٨). لا زانية ولا من يستخدم الزواني، ولا يجب أن تكون هناك أماكن لممارسة الدعارة.

ثالثا: هنا يُبت في أمر الربا (ع ١٩ و٢٠).

(١) لا يجب أن يقرضوا بربا لإسرائيلي.. كان من النادر بل من المستحيل أن يقترضوا مبالغ كبيرة، إلا ما كان ضروريا لإعالة أسرهم عندما تُصيب ثمار حقولهم كارثة أو ما شابه ذلك، وحينما يحقق المقترض ربحا أو يتوقع ربحا فمن العدل أن يشترك المقرض في الفائدة؛ ولكن لمن يستدين لطعامه الضروري يجب أن تُظهر له الرحمة، ونحن يجب أن نقرض دون أن نتوقع ربحا في المقابل، ما دامت لدينا الإمكانية أن نفعل هذا (لوقا ٦: ٣٥).

(٢) يجوز أن يعطوا الأجنبي الذي يعيش بالتجارة قروضا بالربا و(كما يقال) بأنه يربح بما يقترضه وقد جاء بينهم على رجاء أن يفعل هذا. من هذا يبدو أن الفائدة ليست في ذاتها ظلما لأنهم أُمروا بألا يظلموا الغريب ومع ذلك سُمح لهم بأن يأخذوا منه فائدة.

رابعا: يُطلب هنا أن نفي بالنذور التي ألزمنا أنفسنا بها:

(١) نحن هنا نُترك على حريتنا إن نذرنا أو إن لم ننذر. لقد سبق الله وأعلن استعداده أن يقبل أية تقدمة سبق أن نذرت حتى لو كانت قليلا من الدقيق الناعم (لا ٢: ٤- ١٠) ولكن خوفا من أن يبتلع الكهنة الشعب وهم أصحاب النصيب الأكبر من هذه النذور والتقدمات، بإلزام الشعب بإقامة هذه النذور وجعلها واجب عليهم، بما يفوق قدرتهم ورغبتهم، هم الآن يُخبرون بوضوح بأنه لا يحسب خطية على الإنسان حتى إذا لم ينذر على الإطلاق.

(٢) ولكننا هنا ملزمون تماما، بأننا إذا ما نذرنا نذرا أن نفي به، وأن نتممه بسرعة.

خامسا: سُمح لهم هنا بأنهم إذا ما اجتازوا حقل حنطة أو كرما أن يقطفوا ويأكلوا مما جاور الطريق من الحنطة أو الكرم، وهنا نرى:

(١) أنه كان عليهم أن يفهموا من هذا القانون القدر العظيم من الحنطة والكروم التي سيجدونها في كنعان.

(٢) أنه قد أُعطى هذا القانون ليمد المسافرين الفقراء بما يحتاجون للتخفيف من مشاق رحلتهم.

(٣) أنه يعلمنا ألا ندقق بشأن ممتلكاتنا البسيطة، والتي من السهل أن نقول عنها «ما هذا بيني وبينك؟"

(٤) أن هذا القانون عودهم على الكرم.

الأصحاح الرابع والعشرون

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: السماح بالطلاق (ع ١- ٤).

ثانيا: إعفاء المتزوجين حديثا من الخدمة العسكرية (ع ٥).

ثالثا: قوانين بخصوص الرهونات (ع ٦، ١٠- ١٣، ١٧).

رابعا: ضد الاختطاف (ع ٧).

خامسا: بشأن مرض البرص (ع ٨ و٩).

سادسا: ضد ظلم السادة لخدمهم (ع ١٤ و١٥)

القضاء في القضايا الهامة (ع ١٦) والشئون المدنية (ع ١٧ و١٨).

سابعا: بشأن الإحسان إلى الفقراء (ع ١٩– ٢٢).

عدد ١ – ٤

هذه هي الإجازة التي أشار إليها الفريسيون باعتبارها وصية (مت ١٩: ٧) «أوصى موسى أن يعطي الرجل كتاب طلاق»، ولكن الأمر لم يكن هكذا، فيقول لهم مخلصنا إن موسى سمح بذلك فقط لئلا يسيئوا معاملة زوجاتهم إذا لم تكن لهم حرية طلاقهن، وهذا ربما يكون بمثابة الموت بالنسبة لهن. وربما كان الطلاق معروفا قبل هذا (الطلاق كان مأخوذا كقضية مسلم بها) (لا ٢١: ١٤) وقد رأى موسى أنه من الضروري هنا أن يقدم بعض القواعد المختصة بالطلاق:

(١) لا يطلق الرجل امرأته إلا إذا وجد فيها «عيب شيء» (ع ١)، وليس كافيا أن يُقال أنه لم يعد يحبها أو إنه أحب واحدة أفضل منها، ولكن يجب أن يبين سببا لكراهيتها.

(٢) يجب أن يتم الطلاق ليس بكلام الفم، إذ قد يكون الكلام عن تسرع، بل بالكتابة، على أن يوضع هذا بصورة لائقة، مع الإعلان عنه بصورة جادة، أمام شهود حتى يكون عمله وفعله الشخصي، الذي تم عن تروٍ وقد استغرق الوقت الكافي، وفرصة للتأمل حتى لا يكون الأمر قد تم باندفاع.

(٣) يجب أن يُسلم الزوجة كتاب الطلاق في يدها ويرسلها لحال سبيلها. ويظن البعض أن هذا يعني بأنه ملزم بأن يمنحها هبة.

(٤) ومتى طُلقت فيجوز لها أن تتزوج بآخر (ع ٢) إذ قد حل الطلاق رباط الزوجية كما يحل الموت هذا الرباط؛ لذلك فهي حرة في أن تتزوج ثانية كما لو كان زوجها الأول قد مات.

(٥) وإذا مات زوجها الثاني أو إذا طلقها فتستطيع أن تتزوج بزوج ثالث، ولكن لا يمكن لزوجها الأول أن يتزوجها ثانية قط (ع ٣ و٤). ويقول الكتبة اليهود أن هذا كان لمنع ممارسة شريرة جدا ورديئة، كان يعملها الوثنيون باستبدال زوجاتهم.

عدد ٥– ١٣

نجد هنا:

أولا: احتياط يُؤخذ للمحافظة على الحب بين المتزوجين حديثا وتثبيت هذا الحب (ع ٥). وهذا يتبع قانون الطلاق، الذي كان يمكن أن يمنع فيما إذا كان الحب بين الطرفين قد تأسس في البداءة، فإنه إذا ابتعد الزوج كثيرا عن زوجته في السنة الأولى، فإن محبته لها يمكن أن تفتر أو ينصرف إلى غيرها ممن قد يقابلهن في الخارج. لذلك فإن خدمته لبلده في الحرب أو في سفره أو أية مأمورية عامة تستدعي ابتعاده عن وطنه يجب أن تُلغى، و«يكون في بيته سنة واحدة ويُسر امرأته التي أخذها».

(١) دوام المحبة بين الزوج والزوجة له نتائج عظيمة.

(٢) من واجبات تلك العلاقة أن يُسر كل من الطرفين الطرف الآخر في وقت المحن والهموم، التي تقابلهما، كمعين يُفرح أحدهما الآخر؛ لأن القلب المسرور له تأثير طيب كالدواء.

ثانيا: قانون ضد الخطف (ع ٧). لم يكن الموت حسب الناموس عقابا لمن يسرق المواشي أو أية ممتلكات أخرى، بل كان الموت عقابا لمن يسرق طفلا أو شخصا ضعيفا وبسيطا أو أي رجل يمتلكه رجل آخر ويحول المسروق إلى سلعة تجارية. هذه كانت جريمة عظمى (جريمة تستحق الإعدام)؛ فهي حرمان الإنسان من حريته – حرية إسرائيل المولود حرا– التي تلي في أهميتها الحياة بالنسبة له.

ثالثا: تذكرة فيما يختص بأمراض البرص (ع ٨ و٩) فالقوانين الخاصة بالبرص يجب أن تراعى بعناية وقد رأينا سابقا هذه القوانين (لا ١٣ و١٤).

رابعا: بعض الأوامر الضرورية بشأن الرهونات لضمان الأموال التي تُقرض.

(١) لا يجب أن يأخذوا الرحى رهنا (ع ٦)، لأن بها يطحنون القمح الذي هو طعام الأسرة، وكذلك يمنع ارتهان أي شيء ضروري لحياة الإنسان (أي أنه إذا حرم منه الإنسان تحطمت حياته) ويتفق هذا مع القانون العام الإنجليزي الذي يمنع أن يحرم الدائن المدين من أدوات حرفته كفأس الفلاح أو كتب العالم. فالدائن

الذي لا يبالي إذا كان المدين وأسرته يموتون جوعا مادام هو يحصل على أمواله، فإنه يسلك ضدا ليس لناموس المسيح فقط بل حتى لناموس موسى أيضا.

(٢) لا يجب أن يدخل الدائن بيت المدين ليأخذ الرهن، فالمفروض ألا يأخذ ما يختار هو ولكن ما يستطيع المقترض أن يستغنى عنه، فغطاء فراش رجل لا يجب أن يؤخذ رهنا (ع ١٢ و١٣) وقد سبق أن رأينا هذا (خر ٢٢: ٢٦ و٢٧) فإذا أُخذت هذه الأشياء في الصباح يجب أن تُرد في المساء، وتفسير هذا في الواقع أنها لا تؤخذ بالمرة.

عدد ١٤ – ٢٢

أولا: يُؤمر السادة بأن يكونوا عادلين مع خدَّامهم الفقراء (ع ١٤ و١٥).

(١) لا يجب أن يظلموهم «واذكر أنك كنت عبدا في مصر» (ع ١٨) وأنت تعرف كم هو محزن أن يُظلم الإنسان، لذلك لا يجب أن نستغل الأجير.

(٢) يجب أن يكونوا أمناء في إعطائهم أجرتهم في الوقت المحدد، فيُفترض أن الذين يشتغلون نظير أجر يومي يحيون عيشة الكفاف، أي أمر يوم بيومه، ولا يستطيع الواحد منهم أن يشتري طعام الغد لأسرته إن لم يحصل على أجر اليوم.

ثانيا: يؤمر الحكام والقضاة أن يكونوا عادلين في إدارة شئون البلاد.

ثالثا: يؤمر الأغنياء أن يترفقوا بالفقراء. وأن يحسنوا إليهم. وهناك طرق مختلفة يُنصحون بها عن طريق ناموس موسى أن يكونوا معطائين. والمثل الخاص بالإحسان الذي يُوصف هنا ألا يكونوا طماعين في جمع قمحهم وكرومهم وزيتونهم، فلا يتركوا شيئا وراءهم، ولكن بإرادتهم يجب أن يتغاضوا عن فضلات الحصاد ليأخذها الفقراء (ع ١٩– ٢٢).

الأصحاح الخامس والعشرون

نجد هنا:

أولا: قانون لتخفيف ضرب المجرم (ع ١– ٣).

ثانيا: قانون بخصوص الثور الذي يدرس القمح (ع ٤).

ثالثا: للتشهير بالرجل الذي يرفض أن يتزوج أرملة أخيه (ع ٥– ١٠).

رابعا: عقاب المرأة غير المحتشمة (ع ١١ و١٢).

خامسا: للموازين والمكاييل الصحيحة (ع ١٣– ١٦).

سادسا: للقضاء على عماليق (ع ١٧– ١٩).

عدد ١– ٤

أولا: توجيه للقضاة بشأن جلد المجرمين (ع ١– ٣). لدينا عدد كبير من الوصايا التي قابلناها وليس هنا عقاب محدد بالنسبة لها، وكان عقاب كسر معظم هذه الوصايا تبعا للممارسات اليهودية المستمرة يتم بالجلد، والتوجيهات المعطاة هنا لجلد المجرمين هي:

(١) يجب أن يجرى الجلد بهيبة وليس بضجيج في الشارع، بل في ساحة مفتوحة أمام القضاة، وبتروٍ كاف حتى تُحصى الضربات. ويقول اليهود إنه بينما ينفذ الحكم فإن رئيس القضاة في المجلس يقرأ سفر التثنية ٢٨: ٥٨ و٥٩؛ ٢٩: ٩ ثم يختم بهذه الكلمات (مز ٧٨: ٣٨) «أما هو فرؤوف يغفر الإثم ولا يُهلك وكثيرا ما رد غضبه ولم يُشعل كل سخطه» وبهذا تحولت هذه العملية إلى ممارسة دينية، وكأنما هي بمثابة إصلاح للمخطئ نفسه وتحذير للآخرين.

(٢) أن تكون العقوبة على قدر الجريمة.

(٣) إنه مهما كانت الجريمة عظيمة فإن عدد الجلدات يجب ألا يزيد عن أربعين جلدة (ع ٣). وكانت الطريقة المعتادة أربعين جلدة إلا واحدة، كما يظهر من ٢كورنثوس ١١: ٢٤. وهم يحذفون جلدة خوفا من أن يكون هناك خطأ في العد، أو لكي لا يصلوا إلى نهاية الجلدات أو لأن الجلدات كانت تجري باستخدام كرباج له ثلاثة فروع، فلذلك فإن ثلاثة عشرة جلدة (كل جلدة تحسب ثلاث جلدات) كونت تسعا وثلاثين، ولكن ضربة أخرى بهذا الحساب يصير العدد أثنين وأربعين.

ثانيا: وصية للفلاحين ألا يمنعوا الماشية من الأكل أثناء عملهم إذا ما كان الطعام في متناولهم (ع ٤).

عدد ٥ – ١٢

نجد هنا:

أولا: قانون يُسَن بشأن زواج أرملة الأخ: يتضح من قصة أسرة يهوذا أن تلك كانت عادة قديمة (تك ٣٨: ٨). والقضية المعروضة كثيرا ما حدثت، عن رجل مات بدون أولاد، بينما إخوته مازالوا في سن الشباب، وغير متزوجين وفي هذه الحالة:

(١) لا تتزوج الأرملة من شخص آخر خارج الأسرة إلا إذا رفض أن يتزوج بها كل أعضاء أسرة زوجها حتى لا تذهب الأملاك التي أُعطيت لها إلى خارج الأسرة.

(٢) أخو الزوج أو أقرب الأقربين إليه، يجب أن يتزوج بها، أولا احتراما لها، إذ قد نسيت شعبها وبيت أبيها فيجب أن تنال كل شفقة ولطف من الأسرة التي تزوجت فيها، ثم أيضا من باب الاحترام للزوج المتوفي الذي رغم كونه قد مات ورحل إلا أنه لا يجب أن يُنسى أو يُحذف اسمه من سلسلة نسب السبط، لأن الابن البكر الذي سيلده الأخ أو القريب الأقرب من الأرملة سيُنسب إلى المتوفي، ويدخل في سلسلة النسب ابنا له (ع ٥ و٦) ولكن...

(٣) إذا امتنع الأخ أو القريب الأقرب عن القيام بهذا العمل الصالح لتخليد ذكرى المائت. فما الذي يُفعل في هذه الحالة؟

أ. إنه لن يُرغم على فعل هذا (ع ٧).

ب. ولكنه سيُهان علنا لعدم القيام بهذا العمل.

ثانيا: قانون لمعاقبة المرأة المستبيحة (ع ١١ و١٢).

عدد ١٣ – ١٩

هنا نجد:

أولا: قانون ضد المكاييل والمقاييس الغاشة، فلا يجب فقط ألا يستعملوها ولكن لا يجب أيضا أن يقتنوها وإلا فسيكونوا تحت إغراء استخدامها. لا يجب أن يكون لهم موازين ومكاييل كبيرة يشترون بها، وأخرى صغيرة يبيعون بها، لأن هذا غش من الوجهتين «وزن صحيح وحق يكون لك ومكيال صحيح وحق» (ع ١٥).

ثانيا: قانون لمحو ذكر عماليق.

(١) فالأذى الذي سببه عماليق لإسرائيل يجب أن يُذكر الآن (ع ١٧ و١٨). فلم يكن لدى عماليق أي سبب للحرب مع إسرائيل، ولم يقدموا لهم أي إنذار حرب، بإعلان عام أو إشهار حرب؛ ولكنهم أخذوهم على غفلة منهم حين كانوا خارجين توا من العبودية، وكل ما رأوه فيهم أنهم إنما كانوا خارجين ليذبحوا لله في البرية.

(٢) وهذا الضرر يجب أن يُنتقم له في الوقت المناسب (ع ١٩). وكان أنه بعد نحو أربعمائة سنة بعد هذا أن أُمر شاول بتنفيذ هذا الحكم (١صم ١٥) ورُفض من الله لأنه لم يفعله على الوجه الأمثل.

الأصحاح السادس والعشرون

بهذا الأصحاح ينهي موسى الفرائض الهامة التي ظنها مناسبة ليعطيها لإسرائيل بمناسبة رحيله عنهم. وما يلي إنما هو للموافقة والتصديق على ما قيل.

أولا: يعطيهم موسى صيغة للاعتراف الذي يتلوه من يقدم السل الذي يحوي باكوراته (ع ١– ١١).

ثانيا: الإعلان المهيب والصلاة التي تُرفع بعد تقديم عشور السنة الثالثة (ع ١٢– ١٥).

ثالثا: يلزمهم بكل الوصايا التي أعطاها لهم:

(١) بالسلطان الإلهي «هذا اليوم قد أمرك الرب إلهك– لا أنا– أن تعمل بهذه الفرائض والأحكام» (ع ١٦).

(٢) بالعهد المتبادل بين الله وبينهم (ع ١٧– ١٩).

عدد ١ – ١١

هنا نجد:

أولا: عمل صالح يوصى بتنفيذه، وهو تقديم سل يحمل أوائل ثمارهم كل سنة (ع ١ و٢) عندما يذهب الواحد منهم إلى حقله أو كرمه عند نضج الثمار، فإنه يحدد أكثر الأجزاء نضوجا، ويعزلها كباكورات، الحنطة والشعير والكروم والتين والرمان والزيتون والتمر، ويضع جزء من كل نوع في نفس السل، مع بعض أوراق الشجر لتفصل بين كل نوع لتُقدم إلى الرب في المكان الذي يختاره.. نستطيع

نحن الآن أن نتعلم من هذا القانون:

(١) أن نقر ونعترف بأن الله هو المعطي لكل الخيرات التي هي أساس حياتنا المادية وراحتنا.

(٢) أن ننكر ذواتنا.. إننا عادة مغرمون بما ينضج أولا، فغالبا ما يتوق الناس إلى التمتع بأوائل الثمار باعتبارها الأفضل والأحسن.

(٣) أن نقدم لله أول وأفضل ما عندنا، فأولئك الذين يكرسون لله أيام شبابهم، ومقتبل أوقاتهم لخدمة الله وتمجيده، إنما هم يقدمون باكورات ثمارهم.

ثانيا: كلمات صالحة توضع في أفواههم أثناء قيامهم بهذا العمل الصالح، ولهذا الغرض يجب أن يعترفوا بأمرين:

(١) الحالة المتواضعة التي كان عليها جدهم الأكبر «أراميا تائها كان أبي» (ع ٥). ويعقوب هنا هو المسمى «أراميا» أو سوريا لأنه عاش عشرين سنة في فدان آرام.

(٢) الحالة البائسة لشعبهم في بدايته فقد تغربوا في مصر، واشتغلوا هناك كعبيد (ع ٦).

عدد ١٢ – ١٥

بشأن تقديم عشور السنة الثالثة، رأينا القانون سابقا في تثنية ١٤: ٢٨ و٢٩ كانت تصرف العشور الثانية للسنتين الأخرتين في عيد خاص، وكانت تصرف في السنة الثالثة في بيوتهم لتقديم ما يلزم للفقراء.

أولا: أن يعلنوا في وقار عن هذا المضمون (ع ١٣ و١٤).

(١) لم أُخف شيئا من المُقدس «قد نزعت المُقدس من البيت» ولم يبق في بيتي شيء إلا نصيبي أنا.

(٢) الفقراء، وبصفة خاصة فقراء الخدام والغرباء وفقراء الأرامل، قد أخذوا نصيبهم حسب الوصية.

(٣) لم أستخدم أي جزء من هذه العشور بطريقة نجسة، ولم أُسئ استخدامها. يقول اليهود أن هذا الإعلان عن استقامتهم كان يقال بصوت منخفض، لأنه يأخذ صورة لوم الذات ولكن الاعتراف السابق الخاص بصلاح الله كان يقال بصوت مرتفع لمجد الله، ومن لم يذكر هذا الإعلان كان عليه أن يأتي بذبيحة إثمه (لا ٥: ١٥).

ثانيا: إلى هذا الإعلان الوقور، يجب أن يضيفوا صلاة خاشعة (ع ١٥). ليس لأنفسهم بصفة خاصة، بل لشعب الله إسرائيل عامة، لأنه في تقدم ونجاح الشعب كله، ينجح الفرد ويكون في سلام.

عدد ١٦ – ١٩

يأتي موسى هنا بأمرين لإلزامهم بكل هذه الوصايا:

(١) إنها كانت وصايا الله (ع ١٦) فهي لم تكن إملاء حكمته هو، ولا وضعت بأي سلطة منه ولكن الحكمة الأزلية هي التي وضعتها، وقوة ملك الملوك هي التي تلزمهم بإطاعتها «قد أمرك الرب إلهك».

(٢) إن عهدهم المقام مع الله يلزمهم بحفظ هذه الوصايا.

الأصحاح السابع والعشرون

بعد أن وضع موسى، بشكل شامل وباستفاضة، أمام الشعب واجبهم، وبعد أن وضعهم تحت الإلتزام بالوصية وبالعهد يأتي في هذا الأصحاح ليصف لهم بعض الوسائل الخارجية.

أولا: لمساعدة ذاكرتهم.. يجب أن يكتبوا كل كلمات هذا الناموس على حجارة (ع ١– ١٠).

ثانيا: لتوجيه عواطفهم حتى لا يكونوا غير مبالين بالناموس، أو يعتبرونه شيئا تافها. فعندما يأتون إلى كنعان، فإن البركات واللعنات، والتي كانت هي الجزاءات التي يعرضها الناموس، كانت تُقرأ في وقار في مسامع كل إسرائيل ويقول كل الشعب آمين موافقا عليها (ع ١١– ٢٦).

عدد ١ – ١٠

هنا يوجد:

أولا: أمر عام للشعب أن يحفظوا وصايا الله. ويُقدِّم لهم هذا بكل سلطان. «موسى وشيوخ إسرائيل»، قادة كل سبط (ع ١)، ثم ثانية «موسى والكهنة اللاويون» (ع ٩) أمروا شعبهم بحفظ ناموس الله.

ثانيا: توجيه خاص وجادٌ جدا بأن يسجلوا كلمات الناموس حالما يصلون إلى كنعان. كان هناك تصديقا مهيبا على العهد بين الله وإسرائيل هناك في جبل سيناء، عندما نُصب مذبح باثني عشر عمودا، وُضع كتاب العهد (خر ٢٤: ٤) وهذا الأمر الذي يعنيه (موسى) الآن هو إجراء شبيه بالسابق:

(١) يجب أن يقيموا نصبا تذكاريا يكتبون عليه كلمات هذا الناموس.

(٢) يجب أيضا أن يقيموا مذبحا، فبواسطة الكلمات المكتوبة على اللوحين تكلم الله إليهم، وبواسطة المذبح والذبائح المقدمة عليه، تكلموا هم إلى الله، وهكذا ظلت الشركة بينهم وبين الله قائمة.

عدد ١١ – ٢٦

يبدو أنه قد كان في كنعان، ذلك الجزء الذي صار فيما بعد من نصيب سبط أفرايم (سبط يشوع). فقد كان هناك جبلان قريبان من بعضهما، بينهما وادٍ، أحد الجبلين يدعى «جرزيم» والآخر «عيبال» على جانبي هذين الجبلين اللذين كانا يواجه أحدهما الآخر، وقفت كل الأسباط، ستة على كل جبل، وعندما يسود الصمت ويُسترعى الانتباه، يقف أحد الكهنة ويصيح بصوت مرتفع، بإحدى اللعنات الموجودة هنا، وكل الناس الموجودين على سفوح جبل عيبال يقولون «آمين».. ثم يُنادى بالبركة المقابلة «مبارك هو الذي لا يفعل كذا وكذا» فالذين يقفون على سفح جبل جرزيم يقولون «آمين».

أولا: هناك شيء جدير بالملاحظة عموما فيما يختص بهذا الاحتفال، الذي كان يجب أن يُجرى مرة واحدة فقط ولكن كانوا سيخبرون به الأحفاد.

(١) لقد عين الله أي الأسباط ستقف على جبل جرزيم وأيها تقف على جبل عيبال (ع ١٢ و١٣) وكل الأسباط الستة الذين سيقفون للبركة كانوا جميعا أبناء الحرة، لأن الموعد هو لمثل هؤلاء (غل ٤: ٣١)، ويوضع لاوي بين الباقين، ليعلم الخدام أن يطبقوا على أنفسهم البركات واللعنات التي ينادون بها للآخرين، وبالإيمان يقولون «آمين» عليها.

(٢) وعن تلك الأسباط التي ستقول «آمين» قيل وقفوا «لكي يباركوا الشعب» ولكن قيل عن الآخرين «يقفون... للعنة» دون أن يذكروا اسم الشعب، كارهين أن يفترضوا أن أيا من هذا الشعب الذي إختاره الله وصار له، يمكن أن يضعوا أنفسهم تحت اللعنة.

(٣) اللاويون أو الكهنة، المعينون منهم لهذا الغرض، كان عليهم أن ينطقوا باللعنات وبالبركات أيضا.

(٤) اللعنات هنا مذكورة بوضوح، ولكن ليس كذلك البركات. وفي موعظة المسيح على الجبل– الذي كان جبل جرزيم الحقيقي لنا– قيلت البركات فقط (مت ٣: ٥– ٤٨).

(٥) كان الشعب يجيب بعد كل لعنة بالقول «آمين». كان لدى اليهود قولا لتشجيع الشعب ليقول آمين للصلوات العامة، «إن من يجيب بآمين بعد الذي يبارك، فإنه يكون مثل الذي يبارك». ولكن كيف يقولون آمين للعنات؟ إنهم عندما يقولون آمين. فهم في الواقع لا يقولوا فقط بالتأكيد سيحدث هذا، بل من العدل أن يحدث هذا.

ثانيا: دعونا نلاحظ الآن ما هي الخطايا المحددة التي صدرت اللعنات بشأنها.

(١) خطايا ضد الوصية الثانية.. إن هذا السيف الملتهب مسلول لحفظ هذه الوصية أولا (ع ١٥). الملعونون هم ليس الذين يعبدون الأصنام فقط، بل الذين يصنعونها أو يحتفظون بها، إذا ما كانت تلك التماثيل (أو مثلها) تشبه تلك التي يستخدمها الوثنيون في عبادة آلهتهم.

(٢) ضد الوصية الخامسة (ع ١٦). إن احتقار الآباء خطية شنيعة حتى إنها تذكر بعد خطية احتقار الله نفسه.

(٣) ضد الوصية الثامنة، وهنا تُعلن لعنة الله:

أ. ضد الجار الظالم الذي «ينقل تخم صاحبه» (ع ١٧) (انظر تثنية ١٩: ١٤).

ب. ضد المرشد الظالم.

ج. القاضي غير العادل الذي «يعوج حق الغريب، واليتيم والأرملة» الذين كان يجب أن يحتويهم ويدافع عن حقوقهم (ع ١٩).

(٤) ضد الوصية السابعة.. إن الزنا بالأقارب

خطية ملعونة، مع الأخت أو زوجة الأب أو الحماة (ع ٢٠، ٢٢، ٢٣).

(٥) ضد الوصية السادسة.. نوعان من أشر أنواع القتل مذكوران هنا تحديدا:

أ. القتل في الخفاء (غير منظور): ليس كما يقابل الإنسان عدوه كغريم ويعطيه فرصة للدفاع عن نفسه. (ولكن الملعون هنا) يقتل عدوه سرا (خفية) (ع ٢٤) باستخدام السم أو غيره، حيث لا يرى القتيل من الذي يؤذيه (انظر مزمور ١٠: ٨ و٩).

ب. القتل تحت ستار القانون، ملعون إذًا مَنْ يُستأجر، أو يرتشي ليتهم أو يستذنب أو يحكم على إنسان، فهو بهذا يقتل شخصا بريئا (ع ٢٥) (انظر مزمور ١٥: ٥).

(٦) ويختتم هذا المحفل المهيب بلعنة عامة لكل «من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها» (ع ٢٦). بإطاعتنا للناموس فإننا نختم بصدقه وبهذا نثبته، كما أن عصياننا للناموس معناه إننا نبطله ونلغيه (مز ١١٩: ١٢٦).

الأصحاح الثامن والعشرون

هذا الأصحاح هو شرح مستفيض لكلمتين وردتا في الأصحاح السابق؛ البركة واللعنة.

أولا: يصف البركات التي ستأتي عليهم لو كانوا مطيعين؛ بركات شخصية وبركات عائلية وبركات قومية بصفة خاصة، لأنه عن طريق هذه الصفة يتعامل الله معهم (ع ١– ١٤).

ثانيا: يصف وصفا مفصلا اللعنات التي قد تأتي عليهم إذا كانوا غير مطيعين مثل:

(١) ضيقهم الذي لا حد له (ع ١٥– ٤٤).

(٢) خرابهم الكامل وهلاكهم أخيرا (ع ٤٥– ٦٨) وهذا الأصحاح يشترك في أشياء كثيرة مع لاويين ٢٦– واضعا أمامهم الحياة والموت، الخير والشر، والوعد في خاتمة هذا الأصحاح عن تجديدهم عندما يتوبون، يتكرر هنا بأكثر استفاضة كما في أصحاح ٣٠.

عدد ١– ١٤

توضع البركات هنا قبل اللعنات لتدل على أن:

• الله بطيء الغضب، ولكنه مسرع في إظهار رحمته لقد قال وأقسم إنه يرغب بالأولى أن نطيع فنحيا من أن نخطئ فنموت.

• إن الطاعة التي تنبع من مبدأ الابتهاج والتلذذ بصلاح الله هي التي تسره بالأكثر.

خصائص هذه البركات:

أولا: أُعطي الوعد بأن عناية الله ستجعلهم مثمرين في كل شئونهم الخارجية، وقيل أن هذه البركات ستأتي عليهم (ع ٢). وهكذا ستحل البركات على الأبرار في اليوم العظيم الذين سوف يقولون «يارب متى رأيناك جائعا فأطعمناك» (مت ٢٥: ٣٧).

(١) ذكرت عدد من الأمور التي ستباركهم عناية الله فيها:

أ. سيكونون آمنين ومستريحين، وتحل البركة على نفوسهم حيثما كانوا «في المدينة» و«في الحقل» (ع ٣). يكونون محفوظين فردا فردا، وستنجح كل أعمالهم التي يمارسونها.

ب. ستكثر أسرهم بالبنين الكثيرين.

ج. سيكونون أغنياء، ولهم وفرة من خيرات الحياة الحاضرة. فالوعد بالبركة هو:

◄ لكل ما لهم خارج بيوتهم من الحنطة والماشية في الحقل (ع ٤، ١١) وخصوصا البقر والغنم.

◄ على كل ما لهم داخل البيوت في السلة والمخزن (ع ٥) في المخازن أو الأجران (ع ٨) نحن نعتمد على الله في بركاته، ليس فقط من محصول القمح السنوي، ولكن أيضا من أجل خبزنا اليومي من سلتنا ومخزننا، ولذلك يعلمنا الرب أن نصلي من أجله كل يوم.

د. سينجحون في كل أعمالهم، وسيرضى الله على أعمالهم «يبارك كل عمل يدك» (ع ١٢).

هـ. ستكون لهم كرامة بين جيرانهم (ع ١). أمران يساعدان على جعلهم عظماء بين الشعوب:

◄ ثروتهم: (ع ١٢) «فتُقرض أمما كثيرة» (بالربا الأمر الذي سمح لهم به مع الشعوب المجاورة) «وأنت لا تقترض».

◄ قوتهم: (ع ١٣) «يجعلك الرب رأسا لا ذنبا وتكون في الارتفاع فقط ولا تكون في الانحطاط».

تشرعون لكل من حولكم، وتفرضون الضرائب وتحلون كل منازعاتهم. فانتشار الديانة بينهم، وحلول بركة الله عليهم يجعلهم رعبا لكل جيرانهم، مرهبين كجيش بألوية.

(٢) نتعلم من هذا كله (ويا ليت الناس يؤمنون بهذا) أن الدين والتقوى هما أفضل الطرق للنجاح في الحياة الحاضرة، ورغم أن البركات الزمنية ليس لها المكان الكافي في مواعيد العهد الجديد، كما هو حادث في مواعيد العهد القديم، ولكن يكفي أن الرب يسوع قد قال كلمته (وبالتأكيد نحن نثق بكلامه) بأننا إن طلبنا أولا ملكوت الله وبره فالأشياء الأخرى كلها تزاد لنا، كما يحسن في عيني الحكمة الأزلية، ومن ذا الذي يطلب أكثر من هذا؟ (مت ٦: ٣٣).

ثانيا: وُعد أيضا بأن نعمة الله تقيمهم شعبا خاصا مقدسا (ع ٩). وهذا الأساس الديني الذي لهم سيكون هو أساس شهرتهم (ع ١٠).

عدد ١٥ – ٤٤

إذ قد تأملنا الجانب المشرق من هذه السحابة، المتجه نحو الطائعين، يُعرض علينا الآن الجانب المظلم الذي يتجه نحو العُصاة. إن كنا لا نطيع وصايا الله، فإننا لن نحرم فقط من البركات الموعودة لكننا سنضع أنفسنا تحت اللعنة، المشتملة على كل التعاسة، كما شملت البركات كل السعادة.

أولا: عدالة اللعنة: إنها ليست لعنة بلا سبب أو بسبب أمر تافه. إن الله لا يفتش عن قضية ضدنا، ولا يرضى بأن يخاصمنا، وما هو مذكور هنا كسبب للعنة هو:

(١) احتقار الله ورفض الاستماع إلى صوته (ع ١٥)، الذي ينم عن أكبر احتقار ممكن.

(٢) عصيانه.. عدم الحرص على تنفيذ جميع وصاياه.

(٣) تركه.. إن الله لا يتخلى عنا إلا بعد أن نتخلى نحن عنه.

ثانيا: مدى وتأثير هذه اللعنة:

(١) يعلن لنا بصفة عامة «تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتُدركك» مهما حاولت أن تهرب منها. ليس هناك هروب من الله إلا في الهروب إليه، وليس هناك هروب من عدالته إلا في الالتجاء إلى رحمته. أما الذين قد تنجس ذهنهم وضميرهم فكل شيء نجس لهم (تي ١: ١٥). وهذه اللعنة هي العكس تماما للبركة المذكورة في الجزء الأول من الأصحاح.

(٢) يُسرد هنا بعض الأحكام الخاصة التي يمكن أن تكون ثمرة هذه اللعنة. لاحظ أن أحكام الله، تستطيع أن تصل إلى عقول البشر، وتملأها بالظلام والرعب كما تصل إلى أجسادهم وممتلكاتهم، وأردأ الأحكام تلك التي تجعل الناس رعبا لأنفسهم، وتجعلهم مدمرين لذواتهم.

عدد ٤٥ – ٦٨

قد يظن المرء أنه قد قيل ما يكفي ليتملكهم الرعب من «غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم»، ولكن لإظهار المزيد المذخر في ذلك الغضب فإنه لا يزال يتبقى هناك غضب أكثر وأردأ. فإن موسى، حين يظن الإنسان أنه قد أنهى هذا الموضوع الكئيب، إذ به يبدأ ثانية، ويضيف إلى قائمة اللعنات كلمات كثيرة أخرى مشابهة، كما فعل إرميا في سفره (إر ٣٦: ٣٢)، فهناك في هذا الجزء الختامي، يتنبأ عن خرابهم الأخير على يد الرومان، وتشتيتهم في ذلك الوقت. والحالة المؤسفة الحالية للشعب اليهودي، وكل من اقترن بهم، باعتناق ديانتهم، تتطابق تماما وبالضبط مع النبوات الواردة في هذه الأعداد، حتى إنها لتشهد كبرهان لا يقبل الجدل على صدق النبوة، وبالتالي على السلطان الإلهي للكتاب المقدس. وهذا الخراب الأخير، الذي يوصف لنا، كأشد هولا من السابق، إذ يظهر لنا إن خطيتهم في رفض المسيح والإنجيل كانت أكثر قبحا، وتحت هذا الخراب الأخير، فقد ظلوا حتى الآن– أي قرابة عشرين قرنا– كارهين للرب يسوع.

أولا: إنه لمن العجب أن الشعب الذي ظل زمانا طويلا مفضلا عند السماء يُرفض بالكامل ويُطرح، وأن شعبا كان مترابطا جدا يتشتت هكذا إلى كل بقاع العالم، ومن المدهش في نفس الوقت أن شعبا مشتتا في كل الشعوب يحتفظون بأنفسهم متميزين ولا يختلطون بأحد، بل هم مثل قايين يظلون لاجئين

ومشردين، ومع ذلك لهم علامة يُعرفون بها.

ثانيا: يوصف هنا الخراب المهدد به: يتحدث موسى هنا عن نفس الموضوع المحزن الذي يتحدث عنه الرب يسوع في عظته الوداعية للتلاميذ (مت ٢٤) ؛ أي خراب أورشليم والشعب اليهودي.

(١) تم التنبؤ هنا عن خمسة أمور كمراحل لخرابهم:

أ. أن تغزوهم أمة أجنبية (ع ٤٩ و٥٠)، «أمة من بعيد» أي الرومان «كما يطير النسر»، ينقض مسرعا إلى فريسته، ويستخدم الرب يسوع هذا التشبيه، عندما يتنبأ عن هذا الخراب «حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور» (مت ٢٤: ٢٨). ونحن نلاحظ أن شعار الجيوش الرومانية هو النسر.

ب. إن البلاد ستترك خرابا، وأن كل ثمارها سيأكلها هذا الجيش الأجنبي، وهذا نتيجة طبيعية للغزو، خاصة عندما يكون الغزو عقابا للمتمردين، كما كان الحال بالنسبة لليهود.

ج. أن تُحاصر مدنهم وسيكون عناد المُحاصرين شديدا، وكذلك قوة الذين يحاصرونهم ستكون عنيفة، حتى إنهم يضعفون إلى أقصى حد، وأخيرا يسقطون في أيدي أعدائهم (ع ٥٢).

د. أن جموعا غفيرة منهم سيهلكون، فيصبحون نفرا قليل العدد (ع ٦٢).

هـ. أن البقية الباقية سوف تتشتت في شعوب العالم (ع ٦٤).

(٢) أما عن الأمر إجمالا:

أ. فإن إتمام هذه النبوات عن الشعب اليهودي، تثبت أن موسى تكلم بروح الله.

ب. دعونا جميعا، لهذا، أن نهاب الله ولا نخطئ. سمعت عن رجل شرير، الذي حينما قرأ التهديدات الموجودة في هذا الأصحاح ثار جدا إلى درجة إنه مزق الورقة من الكتاب المقدس، كما مزق يهوياقيم درج السفر الذي كتبه إرميا، ولكن ما الفائدة من تشويه نسخة بينما الأصل مازال مسجلا في مشورة الله الحتمية التي تؤكد أن «أجرة الخطية هي موت»، سواء سمع الناس أم رفضوا أن يسمعوا.

الأصحاح التاسع والعشرون

تصف الكلمات الأولى من هذا الأصحاح محتويات الأصحاح «هذه هي كلمات العهد» (ع ١) أي ما يأتي بعد هذا وهنا نجد:

أولا: سرد لمعاملات الله معهم حتى يأتي بهم إلى هذا العهد (ع ٢– ٨).

ثانيا: وصية صارمة لهم بأن يحفظوا كلمات هذا العهد (ع ٩).

ثالثا: خلاصة العهد نفسه (ع ١٢ و١٣).

رابعا: تحديد الأفراد الداخلين في العهد (ع ١٠ و١١، ١٤ و١٥).

خامسا: إشارة اعتراضية إلى التصميم الرائع لهذا العهد، ضد الوثنية (ع ١٦ و١٧).

سادسا: إنذار خطير ومخيف بغضب الله ضد الأشخاص الذين يعدون أنفسهم بالسلام بينما هم يسلكون في الخطية (ع ١٨– ٢٨).

سابعا: ختام هذه المعاهدة مع التمييز بين الأشياء السرية والأشياء المعلنة (ع ٢٩).

عدد ١– ٩

الآن وقد انتهى موسى من تكرار الوصايا بالتفصيل، التي كانت على الشعب أن يحفظوها باعتبارها ما يخصهم في العهد، وكذلك المواعيد والتهديدات التي سيتممها الله (حسب سلوكهم هم أنفسهم) كنصيبه هو من العهد، فنجده يلخص الكل هنا في اتفاق ملزم لكلا الطرفين، فالعهد الذي سبق أن أُقيم يُجدد هنا مرة أخرى. وموسى الذي كان وسيطا فيما مضى مازال وسيط هذا العهد أيضا. فقد أمر الرب موسى أن يعمله (ع ١). وفي الأغلب أن بعض الأحياء حتى هذه اللحظة من الآباء، كانوا لعلمهم بعهد حوريب قادرين على الموافقة عليه ضمنيا، ومع ذلك نجده هنا يجدد العهد معهم؛ لأنه كانت هناك غالبية من الجيل الجديد، لذلك يجب أن يُقام العهد من جديد معهم.. لأنه من الصواب أن يُجدد العهد مع أبناء العهد.

أولا: من المعتاد في الاتفاقات الرسمية أن تبدأ بمقدمة نثرية، وهذا ما عمل هنا بذكر الأشياء العظيمة

التي عملها الله معهم.

(١) تشجيعا لهم بأن الله سيكون بحق إلها لهم، لأنه ما كان يعمل تلك الأشياء العظيمة، إن لم يكن يقصد أن يعمل أكثر، حتى إن ما سبق وعمله معهم لم يكن إلا مقدمة فقط.

(٢) كحافز لهم ليكونوا له شعبا مطيعا، كما سبق أن عمل لهم.

ثانيا: إثباتا لما يقدمه.. هنا يستشهد بعيونهم (ع ٢) «أنتم شاهدتم ما فعل الرب أمام أعينكم». فحواسهم كانت برهانا لا يقبل الجدل لحقيقة الأمر «فاحفظوا كلمات هذا العهد» (ع ٩).

ثالثا: وهو يخص هذه الأشياء بالذكر لإظهار قوة الله وصلاحه في ظهوراته لهم:

(١) في نجاتهم بالخروج من أرض مصر (ع ٢ و٣).

(٢) في سيره معهم خلال البرية لمدة أربعين سنة (ع ٥ و٦). وقد اقتادهم وكساهم وأطعمهم بمعجزات. وبهذه المعجزات، عرفوا أن الرب هو الله، وبهذه المراحم، علموا أنه كان إلههم.

(٣) النصرة التي حصلوا عليها حديثا على سيحون وعوج والأرض الجيدة التي امتلكوها (ع ٧ و٨).

رابعا: استنتاجا من هذه الذكريات، يرثي موسى غباوتهم «ولكن لم يعطكم الرب قلبا لتفهموا وأعينا لتبصروا وآذانا لتسمعوا إلى هذا اليوم» (ع ٤) ولنلاحظ أن:

(١) الأذن السامعة، والعين المبصرة، والقلب الفاهم هي هبات من الله.

(٢) الله لا يعطي فقط طعاما وثيابا، بل ثروة وممتلكات عظيمة، لكثيرين ممن لم يعطهم نعمة. وكثيرون يتمتعون بالعطايا وليس لديهم قلب يدركون به من هو المعطي، وما هو القصد الحقيقي من العطايا وكيفية استخدامها.

(٣) استعداد الله ليحسن إلينا في أشياء أخرى لهو برهان واضح على أنه إذا لم يكن لنا نعمة – وهي أفضل العطايا– فهذا بسببنا نحن وليس هو.

عدد ١٠ – ٢٩

يبدو من طول الجمل المستخدمة هنا، ومن قوة التعبيرات وحدتها، أن موسى، وقد اقترب من نهاية حديثه، كان متحمسا جدا وراغبا جدا في أن يطبع ما يقوله في أذهان هذا الشعب عديم التفكير. ولكي يربطهم بقوة نحو الله وخدمته، يختم هنا باتفاق بينهم وبين الله في عهد أبدي. وهو لا يريد موافقتهم الصريحة، ولكنه يضع الأمر بوضوح أمامهم، ثم يترك الأمر بين الله وضمائرهم.

أولا: طرفا هذا العهد:

(١) إنه الرب إلههم الذي يقيمون العهد معه (ع ١٢).

(٢) وكلهم يدخلون في العهد معه، فقد دعوا كلهم ليسمعوا (ع ٢):

أ. بما فيهم عظماؤهم، ورؤساء أسباطهم، وشيوخهم وقادتهم، ولا يحسبونه مُحطا لقدرهم أن يضعوا أعناقهم تحت نير هذا العهد، ويلتزموا به.

ب. وليس الرجال فقط، بل نساؤهم وأولادهم يجب أن يأتوا إلى هذا العهد أيضا (ع ١١).

ج. وليس رجال إسرائيل فقط، بل الغريب الذي كان في محلتهم، على فرض أنه كان قد اعتنق ديانتهم وترك كل الآلهة الكاذبة– وهذا إشارة مبكرة على نعمة الله للأمم، والرحمة التي كان يذخرها لهم.

د. وليس الأحرار فقط، بل أيضا محتطبي الحطب ومستقي الماء، وأحقر الطبقات بينهم.

هـ. وليس أولئك فقط الذين كانوا حاضرين أمام موسى في هذا الاجتماع الهام، بل أولئك أيضا الذين لم يكونوا معهم، دخلوا أيضا في العهد (ع ١٥) أي:

◄ أولئك الذين بقوا داخل بيوتهم يشملهم العهد، رغم أنهم أعيقوا عن الحضور إما بسبب المرض أو أعمال ضرورية.

◄ تضمن العهد أيضا الأجيال القادمة، وهكذا إذ نأخذ هذا العهد كرمز لعهد النعمة فهو شهادة سامية لوسيط ذلك العهد الذي «هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد».

ثانيا: خلاصة هذا العهد: كل الوصايا وكل المواعيد الخاصة بالعهد متضمنة في العلاقة بين الله

وبينهم (ع ١٣).

ثالثا: الهدف الرئيسي في تجديد هذا العهد في هذا الوقت هو تقويتهم ضد تجارب الوثنية، فإن عبدة الأصنام مثل السكارى منتمون بقوة لأصنامهم، ويتحرقون شوقا لجذب الآخرين إليهم. والخلاعة مقترنة دائما بعبادتهم للأوثان (١ بط ٤: ٣) ولهذا فإن هذا يستدعي لعنة على السكارى. السكر خطية تقسي القلب، وتفسد الضمير، كأي خطية أخرى. خطية يُجرب بها البشر بكيفية غريبة، حتى وإن استشعروا الضرر الذي تسببه، وهم مغرمون بشكل غريب بجذب الآخرين إليها.

قد تكون عبادة الأصنام سبب خراب الشعب؛ فإنها تجلب لعنة الله على الأرض التي احتضنت جذور المرارة وقبلت العدوى. وبقدر انتشار الخطية سيكون شمول الدينونة أيضا. ليس لنا أن نسأل عن مشورات الله الخفية، ولكن هناك جواب مقنع لمن يتساءلون لماذا فعل الرب هكذا بهذه الأرض. هذا الجواب يكفي لتبرير الله ولتحذيرنا. ولكن إذا سأل أحد كيف يعمل الله هذه المعجزات الكثيرة، لتكوين شعب كهذا، وقد سبق أن عرف ارتدادهم وخرابهم بوضوح، لماذا لم يمنع هذا بنعمته القادرة على كل شيء؟ أو ما الذي ينوي أن يفعله لهم بعد؟ فليعلم مثل هذا السائل أن هذه أسئلة لا يمكن إجابتها، (انظر يوحنا ٢١: ٢٢؛ أعمال ١: ٧؛ كو ٢: ١٨) نحن نُرشد ونُشجع بقوة أن نبحث باجتهاد في الأمور التي أعلنها لنا الله «المعلنات لنا ولبنينا» لاحظ:

(١) رغم أن الله احتفظ بالكثير من مشوراته سرا، ولكن هناك الكثير المعلن الذي يكفي لخلاصنا- فهو لم يؤخر شيئا من الفوائد إلا وأخبرنا به (راجع أعمال ٢٠: ٢٠).

(٢) يجب أن نعرف نحن ونُعرف أولادنا أيضا بالأشياء الخاصة بالله والتي أعلنها، إن في ذلك نفعنا وفائدتنا. إنها القواعد التي نسلك بمقتضاها، والعطايا التي نعيش عليها، لذلك يجب أن نحفظها نحن باجتهاد وأن نعلمها باجتهاد لأولادنا أيضا.

(٣) كل معرفتنا يجب أن تقود إلى الممارسة؛ لأن هذا هو غاية كل الوحي الإلهي، ليس لإعطائنا موضوعات تشبع حب الاستطلاع والتأمل والأحاديث، وبها نسلي أنفسنا وأصدقاءنا، ولكن لكي نتبع كلمات هذا الناموس ونتبارك في أعمالنا.

الأصحاح الثلاثون

قد يظن الإنسان أن التهديدات الموجودة في آخر الأصحاح السابق، قد أنهت على شعب إسرائيل تماما، وتركتهم في حالة ميئوس منها إلى الأبد، ولكن في هذا الأصحاح نجد إشارة واضحة إلى الرحمة التي ذخرها الله لهم في الأيام الأخيرة، وبهذا نجد أن «الرحمة تفتخر على الحكم» في النهاية، وتكون لها الكلمة الأخيرة.

وهنا نجد:

أولا: مواعيد عظيمة وثمينة لهم عندما يتوبون ويرجعون إلى الله (ع ١- ١٠).

ثانيا: البر الذي بالإيمان يعرض عليهم في بساطة وسهولة الوصية المعطاة لهم الآن (ع ١١- ١٤).

ثالثا: إشارة واضحة إلى أن الأمر برمته متروك لاختيارهم (ع ١٥- ٢٠).

عدد ١- ١٠

يمكن أن تعتبر هذه الأعداد إما كوعد مشروط أو كنبوءة مطلقة.

أولا: يمكن اعتبارها أصلا كوعد مشروط، وأنها تختص بكل الأشخاص وكل الشعوب، وليس لإسرائيل فقط، والقصد من هذه الأعداد أن تؤكد لنا أن أشر الخطاة إذا تابوا ورجعوا إلى الله ستغفر خطاياهم، وسيعودون إلى الإحسان الإلهي- وهذا معنى عهد النعمة، فهو يترك مكانا للتوبة في حالة العصيان، ويعد بالغفران للتوبة- لاحظ هنا:

(١) كيف وُصفت التوبة التي هي شرط لكل هذه المواعيد:

أ. إنها تبدأ بالتفكير الجاد (ع ١) «فإن رددت في قلبك» ما نسيتموه أو لم تبالوا به لاحظ: إن التفكير الجاد هو الخطوة الأولى نحو الرجوع إلى الله (إش ٤٦: ٨) «اذكروا هذه.. أيها العصاة». رجع الابن الضال إلى نفسه أولا، ثم رجع إلى أبيه. وما يجب أن يتذكروه هو البركة واللعنة. إذا كان الخطاة يتأملون في السعادة التي فقدوها بسبب الخطية، والبؤس الذي

أدخلوا أنفسهم فيه، وأنهم بالتوبة يمكنهم أن يهربوا من هذا البؤس ويستعيدوا تلك السعادة، فلن يتأخروا عن الرجوع إلى الرب إلههم- تذكر الابن الضال البركات واللعنات عندما تأمل في فقره الحالي، والطعام الوفير في بيت أبيه (لو ١٥: ١٧).

ب. إنها تتكون من التغيير الصادق، فإن تأثير إعمال الفكر والتأمل لن ينتج إلا حزنا وخجلا (حز ٦: ٩؛ ٧: ١٦)، ولكن إن «رجعت إلى الرب إلهك» (ع ٢) الذي هو حياة وجوهر التوبة، وبدونه أعظم تعبيرات الحزن ما هي إلا مزاح. «إذا رجعت.. بكل قلبك وبكل نفسك» (ع ١٠).

ج. تتبرهن التوبة بالطاعة المستمرة لإرادة الله المقدسة:

◄ هذه الطاعة يجب أن تضع الله نصب عينيها «تسمع لصوت الرب» (ع ٨، ١٠).

◄ يجب أن تكون مخلصة وبفرح وشاملة «بكل قلبك وبكل نفسك» (ع ٢).

◄ مصدرها المحبة. وهذه المحبة يجب أن تكون «من كل قلبك ومن كل نفسك» (ع ٦).

(٢) ما هو الإحسان الموعود به مع هذه التوبة. فرغم أنهم رجعوا إلى الله بسبب أتعابهم وكروبهم في البلاد التي سيقوا إليها (ع ١)، إلا أن الله في جوده يقبلهم رغم هذا؛ لأن الضيقات إنما تأتي لهذا الغرض، لتأتي بنا إلى التوبة.. «كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله». نجد هنا هذه المواعيد:

أ. أن الله سيرحمهم كأشخاص موضوع شفقته (ع ٣).

ب. أن الله سوف يرد سبيهم ويعيد إليهم ثروتهم ويجمعهم ثانية من كل الشعوب الذين بددهم إليها (ع ٣) مهما كانت هذه الشعوب بعيدة (ع ٤).

ج. يأتي بهم إلى أرضهم ثانية (ع ٥)، لاحظ أن الخطاة التائبين لا يُنقذون فقط من شقائهم، ولكنهم يرجعون إلى السعادة الحقيقية في رضا الله.

ثانيا: يمكن أن تعتبر هذه الأعداد نبوءة عن توبة شعب اليهود ورجوعهم: «ومتى أتت عليك كل هذه الأمور البركة واللعنة » (ع ١) البركة أولا، ثم اللعنة بعد هذا، ثم تأتي الرحمة المذخرة لتأخذ مكانها. فحتى لو صارت قلوبهم قاسية جدا بالشر، إلا أن نعمة الله تستطيع أن تُلينها وتغيرها، وحتى لو صارت حالتهم بائسة جدا إلا أن عناية الله تشفي كل أحزانهم. الآن نرى:

(١) أنه من المؤكد أن هذا تحقق بعودتهم من سبي بابل فقد كانت توبتهم وتجديدهم حادثا عجيبا حتى أن أفرايم الذي كان «موثقا بالأصنام" ترك الأصنام وقال «ما لي أيضا وللأصنام؟». وقد شفاهم ذلك السبي شفاء تاما من عبادة الأصنام، ثم غرسهم الله ثانية في أرضهم وأحسن إليهم.. ولكن،

(٢) يظن البعض أن هذه النبوءة ستكمل برجوع اليهود المشتتون الآن، وبتوبتهم عن خطية آبائهم بصلب المسيح، وسيكون رجوعهم إلى الله عن طريق إيمانهم بالمسيح، ثم بانضمامهم إلى الكنيسة المسيحية.

عدد ١١- ١٤

يطالبهم موسى هنا بالطاعة نظرا لبساطة الوصية وسهولتها:

أولا: هذا صحيح بالنسبة لناموس موسى. لا يمكن أن يجدوا عذرا لعدم طاعتهم بأن الله قد فرض عليهم أمرا غير مفهوم وغير عملي، وتستحيل معرفته أو عمله (ع ١١) «ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك».. أي:

(١) ليست عالية عليك أي.. لا تحتاج أن ترسل رسلا إلى السماء (ع ١٢) لتسأل عما يجب عمله لإرضاء الله، ولا تحتاج أن تعبر البحر (ع ١٣) كما فعل الفلاسفة، الذين سافروا إلى بلاد مختلفة وبعيدة جريا وراء المعرفة.

(٢) «وهي ليست صعبة جدا أو ثقيلة» هكذا قُرئت في الترجمة السبعينية (ع ١١)، فهناك شيء في داخلكم يصادق «الناموس أنه حسن» (رو ٧: ١٦) فليس لديكم إذًا سببا للشكوى من أية صعوبة لا تقهر في حفظه.

ثانيا: هذا صحيح أيضا بالنسبة لإنجيل المسيح.. فيطبق الرسول هذا الكلام، ويجعله حديثا عن البر الذي بالإيمان (رو ١٠: ٦- ٨)، إن أمر الله لنا

الآن في الإنجيل أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح (١يو ٣: ٢٣) ولكن الكلمة قريبة منا، والمسيح هو تلك الكلمة، لذلك فإننا إن آمنا بقلوبنا بمواعيد تجسد وقيامة المسيا، على أنها تمت في الرب يسوع، ثم نقبله بناء على هذا، ونعترف به بأفواهنا، عندئذ يكون المسيح معنا ونخلص.. إنه قريب.. قريب جدا ذاك الذي يبررنا. لقد كان الناموس بسيطا وسهلا، ولكن الإنجيل أكثر بساطة وسهولة.

عدد ١٥– ٢٠

يختم موسى كلامه هنا بضوء لامع جدا وبنار قوية جدا، حتى ما كان يعظ به يجد مدخلا إلى فهم وعواطف هذا الشعب غير المفكر:

أولا: هو يشرح القضية بوضوح تام:

(١) إنه يقول لكل إنسان يرغب في أن يحصل على الحياة والخير وأن يتحاشى الموت والشر.. يشتاق إلى السعادة ويخشى الشقاء. يقول موسى: «أنظر، لقد جعلت قدامك الطريق للحصول على السعادة التي تتوق إليها، وتتجنب كل الشقاء. فكن مطيعا، حتى يصير كل شيء حسنا بلا نقصان».

(٢) وكل إنسان يتحرك في أعماله يسيطر عليه بالرجاء والخوف، الرجاء في الخير والخوف من الشر، سواء أكان الخوف حقيقيا أم ظاهريا. فيقول موسى: الآن لقد جربت كلا الطريقين؛ فإذا كنتم تنقادون إلى الطاعة بالنظر إلى فوائدها، أو تنقادون إليها ناظرين إلى الخراب الذي يؤدي إليه عدم الطاعة.. إذا انقدتم بأي الطريقين (الرغبة في فائدة الطاعة أو الخوف من الدمار الناتج عن العصيان) ستكونون قريبين من الله، ولكن إن لم تفعلوا، فأنتم بلا عذر إطلاقا.

ثانيا: بعد أن أوضح القضية ووضعها في هذه الصورة يقدم لهم ضرورة الاختيار، وهو يرشدهم لاختيار الأفضل.

ثالثا: وفي العدد الأخير يريهم باختصار ما هو واجبهم، بأن يحبوا الله، وأن يحبوه لأنه هو الرب، الكائن المحبوب أكثر من الكل، وكإلههم، الإله الذي في عهدٍ معهم «لأنه هو حياتك، والذي يطيل أيامك... على الأرض».

الأصحاح الحادي والثلاثون

في هذا الأصحاح نري موسى بعد أن أنهى عظته:

أولا: يشجع كلا من الشعب الذي سيدخل إلى كنعان (ع ١– ٦) ويشوع الذي سوف يقودهم (ع ٧ و٨، ٢٣).

ثانيا: يهتم بأن يحتفظوا بهذه الأشياء دائما في ذاكرتهم بعد موته، وذلك:

(١) بكتاب الناموس الذي:

أ. كُتب.

ب. سُلم إلى حراسة الكهنة (ع ٩، ٢٤– ٢٧).

ج. أُمروا بأن يقرأوه كل سبع سنوات (السنة السابعة) (ع ١٠– ١٣).

(٢) بواسطة النشيد الذي أمر الله موسى أن يعده لتعليمهم وتحذيرهم:

أ. يدعو الرب موسى ويشوع إلى باب خيمة الاجتماع (ع ١٤ و١٥).

ب. يذكر مقدما إرتداد إسرائيل على امتداد الزمن والدينونات التي سوف يجلبونها على أنفسهم (ع ١٦– ١٨).

ج. يصف النشيد الذي سوف يُتلى بأنه شاهد عليهم (ع ١٩– ٢١).

د. كتبه موسى (ع ٢٢) وسلمه إلى إسرائيل مع الإشارة إلى الهدف منه، بعد أن تسلمه من الرب (ع ٢٨– ٣٠).

عدد ١ – ٨

يقولون في الأمثال إن كاره الفراق يكثر من تحيات الوداع. هذا ما فعله موسى مع شعب إسرائيل، ليس لكونه غير راغب لأن يذهب إلى الله، ولكن لكونه غير راغب في تركهم، خوفا من أنه بعد أن يتركهم يتركون الله، والآن يدعوهم جميعا ليعطيهم كلمة تشجيع. لقد كان ترك موسى لهم– في وقت هم كانوا في أمس الحاجة إليه– أمرا يملأ قلوبهم بالإحباط، ولو أن يشوع كان سيحارب من أجلهم في الوادي، إلا أنهم كانوا يريدون أن يشفع فيهم موسى فوق الجبل، كما فعل من قبل (خر ١٧: ١٠).

• كان قد صار ابن مائة وعشرين سنة. وقد حان الوقت الذي يفكر في التنحي عن خدمته والرجوع إلى مكان راحته.

• كان خاضعا لحكم إلهي: «لا تعبر هذا الأردن».

أولا: هو يشجع الشعب: ولم يستطع قط أي قائد أن يقوي عزائم جنوده على مثل هذه الأسس الجيدة التي شجع بها موسى إسرائيل.

(١) فهو يؤكد لهم حضور الله المستمر معهم (ع ٣) «الرب إلهك هو عابر قدامك». الرب إلهكم نفسه الذي قادكم وحفظكم حتى الآن سيعبر أمامكم. يطبق الرسول هذا على كل المؤمنين، لتشجيع إيمانهم ورجائهم «لا أهملك ولا أتركك» (عب ١٣: ٥).

(٢) يزكي يشوع لهم كقائد. فقد سبق أن اختبروا سلوكه وشجاعته ومحبته المخلصة لخيرهم، رجل أقامه الله وعينه ليكون قائدهم، ولذلك فإن الله سيعترف به ويباركه وسيكون بركة لهم. (انظر سفر العدد ٢٧: ١٨).

(٣) هو يؤكد لهم نجاحهم بأمرين يقويان رجاءهم في هذا:

أ. الانتصارات التي حققوها بالفعل على سيحون وعوج (ع ٤) ومن هذه الانتصارات يجب أن يدركوا كلا من قوة الله– أي أنه يستطيع أن يعمل ما سبق أن عمل– وقصد الله أي أن ينجز ما بدأ يعمله.

ب. الأمر الذي أعطاهم الله إياه أي أن يفنوا الكنعانيين (تث ٧: ٢؛ ١٢: ٢) ومنه يجب أن يستنتجوا إنه بلاشك سيقوي أيديهم ليفعلوا هذا.

ثانيا: هو يشجع يشوع (ع ٧ و٨)، لاحظ:

(١) كان يشوع قائدا ذا خبرة وبسالةٍ مشهود لها، ويُسرُ جدا بأن ينصحه موسى بأن يتقوى ويتشجع.

(٢) يعطيه التكليف في حضور كل إسرائيل لكي يشاهدوا ذاك الذي تم تنصيبه في محفل مهيب كهذا.

(٣) ويعطيه نفس التأكيدات التي أعطاها للشعب بالحضور الإلهي وبالتالي بنجاح مجيد.

عدد ٩– ١٣

«الناموس بموسى أُعطي» هكذا قيل في يوحنا ١: ١٧، ولم يؤتمن موسى على تسليم الناموس لذلك الجيل فقط، بل على توصيله إلى الأجيال القادمة؛ وهنا يظهر جليا أنه كان أمينا لتلك الوديعة.

أولا: كتب موسى هذا الناموس (ع ٩):

(١) لكي يكرره مرارا من سمعوه ويسترجعوه في أذهانهم.

(٢) حتى يسلم بأمان إلى أحفادهم. نلاحظ هنا، أن الكنيسة استفادت فائدة عظيمة من الكتابة والتدوين، كما استفادت من التبشير والوعظ الشفهي عن الأمور الإلهية. فالإيمان لا يأتي عن طريق الإستماع فقط بل أيضا عن طريق القراءة. فشكرا لله إذ أن نفس العناية التي كانت للناموس، كانت للإنجيل أيضا، فحالما بُشر به دُون حتى يصل إلى أولئك الذين تنتهي إليهم أواخر الدهور.

ثانيا: بعد أن كتبه عهد به إلى عناية وحراسة الكهنة والشيوخ، وقد سلمه نسخة أصلية للكهنة، ليوضع بجوار التابوت (ع ٢٦)؛ ليبقى هناك كمقياس يحكم بمقتضاه على أية نسخة أخرى.

ثالثا: عين قراءة جهارية لهذا الناموس في اجتماع عام يجمع كل شعب إسرائيل في كل سنة سابعة. وغالبا ما كان اليهود الأتقياء يقرأون الناموس يوميا على مسامع أسرهم– «لأن موسى منذ أجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به، إذ يُقرأ في المجامع كل سبت» (أع ١٥: ٢١) ولكن قراءة الناموس مرة كل سبع سنوات تجعل الناموس مُعظما ومبجلا، ويجب أن يقرأ في اجتماع عام. وهنا يقدم إرشادات:

(١) متى تتم هذه القراءة المهيبة، لكيما يكون الزمن متمشيا مع جديتها؟ يجب أن تتم:

أ. في سنة إلغاء الديون، وفي تلك السنة كانت الأرض تستريح، حتى يتوافر لديهم الوقت لحضور هذه الخدمة. ويجب أن يدرك العبيد الذين تحرروا، والفقراء الذين تحرروا من ديونهم، وتمتعوا بفوائد الناموس، أنه من العدل أن يُنتظر منهم أن يخضعوا له، ولذلك يسلمون أنفسهم ليكونوا عبيدا لله، لأنه فك رُبُطهْم. وسنة إلغاء الديون كانت رمزا لإنجيل النعمة، الذي سُمي بسبب هذا «سنة الرب المقبولة»، لأن غفراننا وتحريرنا عن طريق المسيح يلزمنا بأن نحفظ وصاياه (لو ١: ٧٤ و٧٥).

ب. في عيد المظال في تلك السنة. وفي ذلك

العيد كان مطلوبا منهم بصفة خاصة أن «تفرحون أمام الرب إلهكم» (لا ٢٣: ٤٠).

(٢) لمن يجب أن يُقرأ الناموس: لكل إسرائيل (ع ١١) الرجال والنساء والأطفال والغرباء (ع ١٢). لم تكن النساء والأطفال ملزمين لحضور الأعياد الأخرى، بل هذا العيد فقط حيث يُقرأ الناموس.

(٣) من الذين يجب أن يقرأوه «تقرأ هذه التوراة» (ع ١١) أنتم يا إسرائيل. يقرأها شخص خاص يُعين لهذا الغرض أو أنت يا يشوع رئيسهم الأعلى وبناء على هذا نراه يقرأ الناموس بنفسه (يش ٨: ٣٤ و٣٥) وهكذا فعل يوشيا (٢أخ ٣٤: ٣٠) وعزرا (نح ٨: ٣).

(٤) ما هو القصد من هذه القراءة المهيبة؟ لكي يحتفظ الجيل الحاضر بمعرفتهم بناموس الرب (ع ١٢) يجب أن يسمعوا لكي يحفظوا، لكي تخافوا الرب إلهكم وتحرصوا أن تعملوا بجميع كلمات هذا الناموس. انظر هنا ما الذي نقصده نحن بسماع الكلمة؛ يجب أن نسمع، لكي نعرف وننمو في المعرفة. وكلما قرأنا الكتاب المقدس سنجد أن هناك المزيد نحتاج أن نتعلمه منه.

عدد ١٤- ٢١

نجد هنا:

أولا: تم استدعاء موسى ويشوع للوقوف أمام الحضرة الإلهية في باب خيمة الاجتماع (ع ١٤). موسى يُخبر ثانية بأنه يجب أن يموت، ويجب أن يحضر يشوع معه، ليُقدم إلى الله كخلف له، وليتلقى مهمته وتكليفه.

ثانيا: الله بنعمته يأتي إلى المقابلة.. «فتراءى الرب في الخيمة في عمود سحاب» (كما اعتادت الشكينة أو الشاكيناه أن تظهر) (ع ١٥).

ثالثا: يخبر الرب موسى أنه بعد موته، فإن العهد الذي تحمل كثيرا من الآلام ليقيمه بينهم وبين إلههم سيتحطم بالتأكيد.

(١) أن بني إسرائيل سيتركون الله (ع ١٦). فعبادة آلهة الكنعانيين تعد نقضا للعهد وهكذا المتمردون ضد المسيح، الذين إما أن يجعلوا من أموالهم آلهة حين يتسلط الطمع عليهم، أو أن يجعلوا من بطونهم آلهة بسماحهم للشهوة الجسدية أن تتسلط عليهم. أولئك الذين يتجهون إلى آلهة أخرى (ع ١٨) يخسرون المراحم المعدة لهم.

(٢) عندئذ سيترك الله إسرائيل، وبحق سينبذ أولئك الذين تركوه (ع ١٧)، وسيجد أولئك الذين أخطأوا ضد إلههم وأخرجوه من محضرهم أنهم بهذا العمل سيجلبون على رؤوسهم كافة أنواع الأذى.

رابعا: يوجه الله موسى بأن يعطيهم نشيدا، يُنظم بناءً على وحي من الله، والذي سيبقى شاهدا على أمانة الله معهم إذ يحذرهم به. إن حكمة الإنسان ابتكرت طرقا كثيرة لتوصيل معرفة الخير والشر، فالقوانين والقصص، والنبوات والأمثال، وكذلك بالأغاني ولكل من هذه مميزاتها. وقد استخدمت حكمة الله هذه كلها في الكتاب المقدس، لكي يكون الجهلاء وعديمي المعرفة واللامبالون بلا عذر.

(١) إذا استخدم هذا النشيد بطريقة صائبة، فربما يكون وسيلة لمنع ارتدادهم.

(٢) إذا لم ينفع هذا النشيد في منعهم من الارتداد، إلا أنه سيساعدهم بالإتيان بهم إلى التوبة. عندما تأتي إليهم المتاعب، فلن يُنْسى هذا النشيد. ولكن قد يُستخدم كمرآة تريهم وجوههم، حتى يتواضعوا، ويرجعوا إلى الذي تمردوا عليه. لاحظ: أولئك الذين يُزخر الله لهم النعمة، قد يسمح لهم بالسقوط، إلا أنه سيعطي الوسيلة التي بها يُشفون، فلقد أعد الدواء مقدما لشفائهم.

عدد ٢٢- ٣٠

نجد هنا:

أولا: أُعطي التكليف ليشوع، الذي قال الله (ع ١٤) أنه سيعطيه إياه. لقد سمع يشوع من الله الكثير عن شر الشعب الذي كان سيقوده، الأمر الذي قد يكون محبطا له، ولكن الله يقول «لا» مهما كانت رداءتهم، فأنت ستتمم مهمتك، لأني سأكون معك، لذلك «تشدد وتشجع».

ثانيا: يُروى هنا ثانية عن تسليم كتاب الناموس للاويين، ليوضع بجوار التابوت (ع ٢٤- ٢٦). فقط هنا يُرشدون أين يحتفظون بهذه النسخة الأصلية، ليس

داخل التابوت، (فقد كان داخل التابوت. لوحا الشريعة فقط) ولكن في صندوق آخر بجوار التابوت. ومن الممكن أن يكون هذا هو نفس الكتاب الذي وُجد في بيت الرب (بعد أن وضع بطريقة أو أخرى في غير مكانه) في أيام يوشيا (٢أخ ٣٤: ١٤).

ثالثا: يُسلم هنا النشيد الذي سيُذكر في الأصحاح التالي إلى موسى، ومنه إلى الشعب.

(١) يوضح قلة أوقات الفرح التي تمتع بها وهو معهم (ع ٢٧) وهو لا يذكر تمردهم عليه، فقد غفره لهم ونسي، ولكنهم يجب أن يذكروا تمردهم ضد الله حتى يتوبوا عنه ولا يعودوا إليه ثانية.

(٢) ما أضعف آماله فيهم الآن وهو وشيك أن يفارقهم، «لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون». وهكذا فعل الرب يسوع، قبل موته بقليل إذ تنبأ بقيام مسحاء كذبة وأنبياء كذبة كثيرين (مت ٢٤: ٢٤) ورغم هذا، (رغم الارتداد في الأيام الأخيرة) نستطيع أن نثق أن أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة لأن «أساس الله الراسخ قد ثبت» (٢تي ٢: ١٩).

الأصحاح الثاني والثلاثون

لنا في هذا الأصحاح:

أولا: النشيد الذي سلمه موسى إلى بني إسرائيل، وكتب بأمر إلهي:

(١) المقدمة (ع ١ و٢).

(٢) صفات الله السامية، وعكس هذا، الصفات الرديئة لشعب إسرائيل (ع ٣- ٦).

(٣) سرد للأعمال العظيمة التي عملها الرب لهم، وفي المقابل لها حصر لسلوكياتهم الرديئة تجاهه (ع ٧- ١٨).

(٤) التنبؤ بالدينونات المدمرة والمهلكة التي سوف ينزلها الله بهم بسبب خطاياهم (ع ١٩- ٣٣).

(٥) الوعد بخراب أعدائهم ومضطهديهم.

أخيرا الخلاص المجيد لبقية إسرائيل (ع ٣٦- ٤٣).

ثانيا: النصائح التي صاحبت إعطاء هذا النشيد بواسطة موسى (ع ٤٤- ٤٧).

ثالثا: الأمر الذي أعطاه الرب لموسى ليصعد إلى جبل «نبو» ويموت (ع ٤٨- ٥٢).

عدد ١ - ٦

هنا نجد:

أولا: تمهيد أو مقدمة لنشيد موسى في صيغة الأمر (ع ١ و٢):

(١) استشهاد خطير بالسماء والأرض بخصوص صدق وأهمية ما هو مزمع أن يقوله للشعب، وعدالة الإجراءات الإلهية ضد الشعب المتمرد والمرتد. ستكونا السماء والأرض شاهدتين ضد الخطاة، شاهدتين على التحذيرات التي أعطيت لهم وعلى رفضهم أن يقبلوا التحذير (انظر أيوب ٢٠: ٢٧).

(٢) تطبيق خطير لما سوف يقوله للشعب (ع ٢) «يهطل كالمطر تعليمي»، سيكون مطرا ضاريا كاسحا للمتمردين. هكذا يفسر الجزء الأول في إحدى التعليقات الآرامية قد يُرسل المطر أحيانا للدينونة، وبينما تكون كلمة الله منعشة للبعض- «رائحة حياة لحياة»- ولكنها تكون مرعبة لآخرين- ستكون كالندى الحلو المعزي لأولئك المستعدين حقا لاستقبالها. لاحظ أن:

أ. موضوع هذا النشيد تعليمي، لقد سبق أن أعطاهم أغنية حمد وشكر (خر ١٥)، ولكن هذا نشيد تعليمي- لأننا في المزامير والتراتيل والأغاني الروحية، لا نعطي مجدا لله فقط ولكن نتعلم وننذر بعضنا بعضا (كو ٣: ١٦) لذلك صنفت الكثير من مزامير داود بأنها قصائد تعليمية.

ب. هذا التعليم يشبه بحق المطر الهاطل من الأعالي لكي تثمر الأرض.

ج. الوعد هنا بأن تعليمه يهطل ويقطر كالندى، والمطر المتأخر الذي ينزل بسكون دون صوت. فالكلمة المكروز بها، يمكن أن تثمر عندما تأتي بلطف، وبحلاوة لتشبع قلوب وعواطف السامعين.

د. المطلوب هنا أن يقبلوا ويهتموا بهذا التعليم.

ثانيا: إعلان مهيب عن عظمة الله وبره (ع ٣ و٤).

(١) يبدأ بهذا الإعلان ويضعه كمبدأه الأول- ليظهر أن الله عادل في معاملته معهم؛ ونحن يجب أن نتمسك به، أي أن الله بار حتى حين تكون عدالته

مثل اللجة العظيمة (مز ٣٦: ٦؛ إر ١٢: ١).

(٢) يُعدُّ موسى نفسه هنا ليعلن اسم الرب (ع ٣)؛ حتى لا يصبح بنو إسرائيل حمقى إلى درجة معها يستبدلونه بآلهة كاذبة. من المفيد جدا لنا للامتناع عن الخطية ولحفظ واجباتنا، أن نحتفظ دائما بأفكار سامية وعالية عن الله، وأن ننتهز كل فرصة لإظهارها وتوضيحها «أعطوا عظمة لإلهنا». فعندما أراد موسى أن يظهر عظمة الله، فهو يفعل هذا، ليس بتوضيح أزليته وعدم محدوديته، أو بإظهار بهاء مجده في الأعالي بل بإظهار أمانة كلمته وكمال أعماله، وحكمة وعدالة تدبيراته؛ لأنه في هذه يضيء مجده بأكثر وضوح لنا، وهذه هي الأشياء المعلنة عنه، التي لنا ولأبنائنا (تث ٢٩: ٢٩).

أ. «هو الصخر»: الله صخر، لأنه لا يتغير في ذاته، ولا يتزعزع، وهو حصن منيع لكل الذين يطلبونه ويسرعون إليه وحجر الأساس الأبدي لكل الذين يثقون به.

ب. «الكامل صنيعه»: هكذا كان عمله كخالق الكل «حسن جدا»، وأعمال عنايته هي حسنة أيضا، أو ستظهر هكذا في الوقت المناسب- وعندما يكمل سر الله سيظهر لكل الناس كمال أعماله- لا شيء مما يعمله الله يمكن أن يتغير (جا ٣: ١٤)- والآن يكمل الله ما سبق أن وعد به وبدأ بعمله لشعبه إسرائيل.

ج. «جميع سبله عدل»: القصد من أعماله كلها بر، وهو حكيم في اختيار السبل المؤدية إلى هذه المقاصد. وكلمة «عدل» تتضمن الحكمة والعدل.

د. «إله أمانة»: نستطيع أن نصدق كلمته، ونستند عليها لأنه صادق في كل مواعيده فلا يمكن أن يكذب، ولا يمكن أيضا أن تسقط تهديداته إلى الأرض.

هـ. «لا جور فيه»: لم يخدع قط أي إنسان وثق به، ولم يظلم أي شخص التجأ إلى عدالته، ولم يكن قاسيا قط على أي ممن ألقوا بأنفسهم على مراحمه.

و. «صديق وعادل هو»: فهو لن يخطئ إلى شخص ما بعقابه بأكثر مما يستحق. وكذلك لن يقصر عن أن يجازي كل من يخدمونه أو يتألمون من أجله.

ثالثا: اتهام خطير يوجه ضد شعب الله، الذين كانت صفاتهم من كل جهة ضد إله إسرائيل (ع ٥).

(١) سلكوا بالفساد.

(٢) أفسدوا علامة كونهم أولاد الله. إذ حتى أولاد الله لهم عيوبهم، طالما هم في حالة عدم الكمال الحالية، لأننا إن قلنا إنه ليس لنا خطية، وليس لنا عيب فإننا نخدع أنفسنا، ولكن خطية إسرائيل لم تكن من هذا النوع، فلم تكن ضعفا جاهدوا ضده، وسهروا وصلوا من أجله، لكنه كان شرا صمتت قلوبهم على فعله؛ لذلك،

(٣) كانوا جيلا «أعوج ملتو»، تحركه روح المقاومة؛ ولذلك يعملون ما هو ممنوع، فقط لكونه ممنوعا.

رابعا: عتاب مؤثر مع هذا الشعب المتمرد لجحودهم (ع ٦) «ألرَّبَّ تكافئون بهذا».

(١) هو يذكِّرهم بالالتزامات التي وضعها الله عليهم ليخدموه، وأن يلتصقوا به، لقد كان أبا لهم. أليست التزاماتنا كمسيحيين مُعمَدين بمثل هذه العظمة والقوة نحو خالقنا الذي صنعنا وفادينا الذي اشترانا، ومُقدسنا الذي ثبتنا؟

(٢) من هنا يستنتج شر تركهم إياه وتمردهم عليه لأنه:

أ. كان نكرانا عظيما لإحساناته.

ب. وكان غباوة بالغة.

عدد ٧- ١٤

بعد أن قدم موسى الله لهم بصفة عامة كالمحسن العظيم إليهم، فهو في هذه الأعداد يقدم بعض الأمثلة على صلاح الله لهم واهتمامه بهم:

• بعض هذه الأمثلة كان قديما، ولإثباتها يستشهد بالسجلات (ع ٧) «اذكر أيام القدم».. لاحظ أن القصص الموثقة للأزمنة القديمة لها فائدة على المستوى الشخصي، خاصة تاريخ شعب الله في بدايته سواء في العهد القديم أو كنيسة العهد الجديد.

• بعض هذه الأمثلة كان أكثر حداثة، ولإثباتها يحتكم إلى آبائهم وشيوخهم، الذين كانوا بعد أحياء معهم.

ثلاثة أمور تذكر هنا بالتفصيل كأمثلة لصلاح الله لشعبه إسرائيل:

أولا: تخصيص أرض كنعان منذ القدم ميراثا لهم لأنها في هذا كانت رمزا وصورة لميراثنا السماوي الذي كان معينا ومُعدا منذ القدم في مشورات الله (ع ٨)، لاحظ أنه:

(١) عندما قُسمت الأرض بين بني البشر، كان اسرائيل في فكر الله.

(٢) السبب الذي يؤكد اهتمام الله بهذا الشعب، قبل أن يولدوا أو يخطروا على البال (إن جاز هذا التعبير) في عالمنا، يُجسم بصورة أعظم رأفة الله التي تتطلب شكرا عظيما (ع ٩) «إن قِسم (نصيب) الرب هو شعبه».

ثانيا: تكوينه كشعب؛ حتى يكونوا أهلا للدخول إلى هذا الميراث، كوريث بالغ، في الوقت المحدد من الآب- وفي هذا أيضا فإن كنعان كانت صورة للميراث السماوي، لأنها منذ الأزل مُجهزة ومُعينة لكل شعب الله الروحي حتى إنهم في الوقت المحدد يتأهلون ويتجهزون لها (كو ١: ١٢)، وقد بذل الكثير لصياغة وتشكيل هذا الشعب في قالب خاص ولإعدادهم للأشياء العظمى المعدة لهم في أرض الموعد.

(١) «وجده في أرض قفر» (ع ١٠).. هذا يشير بلا شك إلى الصحراء التي قادهم خلالها إلى كنعان، والتي فيها عانى المشقات معهم.. لقد سُميت «الكنيسة في البرية» (أع ٧: ٣٨)، وُلدت، وترعرعت، وتعلَّمت.

أ. كانت حالتهم بائسة، كانت مصر بالنسبة لهم أرض مقفرة صحراء وبرية خالية خاوية لأنهم كانوا عبيدا فيها.

ب. كان استعدادهم وميولهم لا يبشران بالخير، فقد كانت غالبيتهم جاهلة بالنسبة للأمور الإلهية، وكانوا أغبياء وغير مؤهلين لقبول تأثيرها عليهم. كانوا معاندين ومتقلبي المزاج، حتى يمكن القول بأنهم أرض جرداء مقفرة.

(٢) «أحاط به ولاحظه»: عندما أوجدهم الله في البرية لم يقدهم مباشرة إلى أرض كنعان، بل جعلهم يدورون حولها في مسافات بعيدة، وبهذا علمهم، لأن المتعلمين يحتاجون لوقت كاف للتعلُم. وبهذه الطريقة اختبر إيمانهم وصبرهم واعتمادهم عليه، ودربهم على مصاعب البرية. وهكذا علمهم. وفي كل مرحلة مروا بها كان هناك شيء يتعلمونه. ولنا أن نتخيل كيف أن هذا الشعب لم يكن مؤهلا لدخول كنعان إن لم يكن قد اجتاز في هذا التأديب والتهذيب في البرية.

(٣) «وصانه كحدقة عينه».. بكل العناية واللطف الممكن، من أضرار العيش في العراء ومخاطر الصحراء الجرداء، وكان عمود السحاب وعمود النار، مرشدين وحاميين لهم.

(٤) فعل لهم ما تفعله أنثى النسر بعش صغارها (ع ١١ و١٢)، وقد لُمح إلى هذا التشبيه في خروج ١٩: ٤ «حملتكم على أجنحة النسور». وذُكر هنا بتوسع ويلاحظ أن النسر له عاطفة قوية نحو صغاره فهو يحميهم ويقدم لهم ما يلزمهم، بتدريبهم وتعليمهم الطيران- ولهذا القصد فإنها تحركهم خارج العش حيث ينامون، وترفُ فوقهم لتريهم كيف يجب أن يستخدموا أجنحتهم، ثم تدربهم أن يطيروا فوق أجنحتها إلى أن يتعلموا الطيران بأجنحتهم هم. وبهذه المناسبة فهذا مثال للوالدين لتدريب أبنائهم على العمل، ولا يتركوهم ينغمسون في الكسل وحب الراحة. فقد فعل الله هكذا مع إسرائيل؛ عندما أحبوا عبوديتهم، وكانوا غير راغبين في تركها، حركهم الله بواسطة موسى ليتنسموا الحرية، فحملهم خارج مصر، وقادهم في الصحراء والآن في النهاية قادهم عبرها إلى أرض كنعان.

ثالثا: استقرارهم في أرض جيدة، تم هذا جزئيا فعلا، في ذلك الغرس السعيد للسبطين والنصف كوعد لما سيحدث بسرعة، وبالتأكيد لبقية الأسباط بوفرة عظيمة لكل شيء جيد. عسلا من حجر، وزيتا من صوان الصخر. إن وفرة الأشياء الجيدة في كنعان هي صورة إلى وفرة ثمار ملكوت المسيح والتعزيات القوية التي لكلمته وروحه، فلأبناء ملكوت المسيح الزبد واللبن، لبن كلمة الله النقي، وأيضا الطعام القوي للبالغين مع عصير الكرمة الذي يفرح القلب.

عدد ١٥- ١٨

لنا هنا وصف إرتداد إسرائيل عن الله، الذي سيحدث سريعا، والذي كان لديهم فعلا الميل إليه.

هنا مثالان عظيمان لشرهم.

أولا: الشعور بالأمان والشهوانية، والكبرياء والغطرسة وغير ذلك من نتائج سوء استخدام الرخاء واليُسر (ع ١٥) «رفس» صاروا متكبرين ومتغطرسين ورفعوا أعقابهم حتى ضد الله نفسه. رفسوا المناخس كعجلة غير مروضة، أو كثور صغير لم يتعود على النير، وفي غضبهم اضطهدوا الأنبياء وتحدوا العناية الإلهية نفسها.

ثانيا: كانت عبادة الأصنام هي المثل الواضح لارتدادهم، لأنها قادتهم لأن يسأموا ديانتهم، وجعلتهم معاندين ومغرمين بالتغيير. لاحظ أن:

(١) نوعية الآلهة التي اختاروها وقدموا لها الذبائح، عندما تركوا الله الذي صنعهم (ع ١٦) وعملوا لها نفس الخدمات التي كان يجب عليهم أن يعملوها لله الحق.

أ. آلهة غريبة: لا يمكن أن تدعي أنها فعلت لهم أي صلاح.

ب. آلهة ظهرت حديثا: إله جديد! هل يمكن أن يكون هناك سخف أبشع من هذا؟

ج. كانوا بلا وجود حقيقي؛ لهم أسماء من اختراع خيالات الإنسان، وتماثيلهم عمل أيدي الناس. فضلا عن ذلك:

د. كانوا شياطين: وهم أبعد من أن يكونوا آلهة فهم في الحقيقة كانوا مدمرين (هذا معنى الكلمة) كل قصدهم أن يجلبوا الشر.

(٢) يا لها من إهانة عظمى ليهوه إلههم.

أ. وهذا معناه حرفيا نسيانه (ع ١٨) «نسيت الله الذي أبدأك».

ب. وقد أُستنكر هذا كخطأ لا عذر له.

عدد ١٩ – ٢٥

أُسلوب هذا النشيد يتبع أسلوب النبوات الموجودة في الأصحاح السابق.

أولا: كان مسرورا بهم، ولكنه الآن سيرفضهم.

لاحظ أنه: كلما اقترب الإنسان إلى الله ظاهريا، بينما يتنجس في طريق الشر صار بالأكثر مكرهة لله (مز ١٠٦: ٣٩ و٤٠).

ثانيا: لقد أعطاهم علامة حضوره معهم وإحسانه لهم، ولكنه الآن سيتراجع «أحجب وجهي عنهم» (ع ٢٠). وحجبه وجهه يظهر استياءه العظيم، لكن هنا يشير أيضا إلى بطء تنفيذ الله لدينونته عليهم.

(١) إنهم غير مطيعين.

(٢) كانوا خائنين: شعب لا يمكن الوثوق به.

ثالثا: لقد عمل كل شيء لإرضائهم، ولكن العقاب هنا يتناسب مع الخطية (ع ٢١).

(١) لقد أغاظوا الله بآلهة حقيرة لم تكن آلهة قط.

(٢) لذلك سيضربهم الله بأعداء خسيسة: كلما زادت حقارة الشعب الذي يستعبدهم، كانوا أكثر بربرية فليس هناك من هو أكثر غطرسة من شحاذ يركب حصانا.

رابعا: لقد غرسهم في أرض جيدة، وأشبعهم بكل الخيرات، ولكنه الآن سيحرمهم من كل وسائل راحتهم- ها هو يأتي بهم إلى الدمار. والدينونات موضوع التهديدات هنا هي:

(١) الجوع.

(٢) الوبأ.

(٣) أذى الحيوانات الدنيا: «أنياب الوحوش مع حُمة زواحف الأرض» (ع ٢٤).

(٤) الحروب ونتائجها المهلكة (ع ٢٥).

عدد ٢٦ – ٣٨

بعد تهديدات كثيرة مخيفة عن غضب وانتقام يستحقونه، نجد هنا إيماءات مدهشة إلى الرحمة، الرحمة غير المستحقة، التي تفتخر على الحكم، والتي بها يظهر أن الله لا يسر بموت الخطاة، بل بأن يرجعوا ويحيوا.

أولا: في غيرة على مجده، لن ينهي وجودهم (ع ٢٦– ٢٨)، فتسود الرحمة لنجاة بقية، وخلاص شعب لا يستحق إلا الفناء التام. «لو لم أخف من إغاظة العدو»، وهو تعبير بشري، فمن الواضح أن الله لا يخاف من غضب إنسان، ولكنه هنا يأخذ دور الخائف منه، إنه لا يحتاج إلى موسى ليصلي من أجلهم ولكنه هو من ذاته يذكر نفسه بماذا يقول المصريون؟ ومهما

كان القدر من العار الذي نستحقه نحن، لكن الله لا يرضى بأن يهان عرش مجده.

ثانيا: ولسعادتهم ولخيرهم، فهو يريد بقوة رجوعهم. لا يسر الله بأن يهلك الخطاة أنفسهم ولكنه يُسر بأن يراهم يعملون الخير أنفسهم، فإذا فعلوا فهو مستعد أن يساعدهم إذا ما أرادوا. ومما يساعد كثيرا على رجوع الخطاة إلى الله، عندما يتأملون باجتهاد النهاية الأخيرة أو الحالة التي سيكونون عليها في المستقبل. وهذا الكلام يُقصد به بصفة خاصة ما أعلنه الله عن يد موسى، بخصوص هذا الشعب في الأيام الأخيرة ولكن يمكن تطبيقه بصفة عامة.

ثالثا: يدعوهم إلى التفكير في الأمور العظيمة التي سبق أن عملها من أجلهم، كسبب يعلل لماذا لا يطرحهم نهائيا- ويبدو أن هذا هو معنى ع ٣٠ و٣١. كيف كان الإسرائيلي الواحد أقوى جدا من ألف كنعاني، كما كان ذلك يحدث مرارا كثيرة، وما ذلك إلا لأن الله الذي هو أقوى من كل الآلهة، حارب من أجلهم. وهذا يقابل ما جاء في إشعياء ٦٣: ١٠ و١١ «فتحول لهم عدوا وهو حاربهم» من أجل خطاياهم (كما في هذه الحالة). «ثم ذكر الأيام القديمة موسى وشعبه، أين الذي أصعدهم من البحر مع راعي غنمه» سريعا كان يخضع أعداءهم (مز ٨١: ١٤) ولكن شر إسرائيل أسلمهم إلى أعدائهم.

رابعا: هو يصمم أن يفني أخيرا مضطهديهم وظالميهم. إن الله في الوقت المناسب يهزم أعداء الكنيسة:

(١) في غضبه ضد شرورهم، التي يلاحظها (ع ٣٤ و٣٥). بعضهم يفهمون هذا بأنه يعني خطية إسرائيل، خصوصا اضطهادهم للأنبياء، الأمر الذي كان مخزونا لهم منذ دم هابيل البار (مت ٢٣: ٣٥). وعلى كل حال فإن هذا يعلمنا أن شر الأشرار أيا كانوا مخزونا عند الله.

(٢) الله سيفعل هذا شفقة على شعبه، الذين رغم أنهم أغاظوه كثيرا، ولكنهم مازالوا قريبين إليه وبؤسهم أظهر مراحمه (ع ٣٦). وهذا يشير بوضوح إلى الخلاص الذي صنعه الله لإسرائيل على أيدي القضاة الذين باعهم إليهم بسبب خطاياهم (انظر قض ٢: ١١- ١٨) وكيف أنه ضاقت نفسه بسبب مشقة إسرائيل (قض ١٠: ١٦) وذلك عندما وصلوا إلى أقصى حدود القهر. لقد أعانهم الله في الوقت الذي لم يستطيعوا فيه أن يعينوا أنفسهم.

(٣) هو سيفعل هذا احتقارا وتوبيخا للآلهة الوثنية (ع ٣٧ و٣٨) «أين آلهتهم». يمكن فهم هذا بطريقتين:

أ. أن الله يستطيع أن يفعل لشعبه ما لم تستطع الأصنام التي عبدوها أن تصنعه لهم- أو:

ب. أن الله سيصنع ضد أعدائه ما لا تستطيع الأصنام التي عبدوها أن تخلصهم منه. لقد تحدى بوقاحة كل من سنحاريب ونبوخذ نصر إله إسرائيل بأنه غير قادر على إنقاذ عابديه (إش ٣٧: ١٠؛ دا ٣: ١٥). وقد أنقذهم الله فعلا، مما حيَّر أعداءهم. لكن إله إسرائيل تحدى بيل (بعل) ونبو لينقذا عابديهما ويقوما لمعونتهم وحمايتهم (إش ٤٧: ١٢ و١٣)؛ لكنهما كانا أبعد ما يكونان عن إنقاذهم حتى إنهما هما أنفسهما (أي صورهما أو تماثيلهما) -أو ما تبقى منهما- أُخذا إلى السبي (إش ٤٦: ١ و٢).

عدد ٣٩- ٤٣

خاتمة هذا النشيد تتحدث عن ثلاثة أمور:

أولا: المجد لله (ع ٣٩). الإله العظيم هنا يستحق المجد.

(١) الكائن بذاته «أنا أنا هو» وبهذا يختم موسى باسم الله الذي سبق أن عُرف به (خر ٣: ١٤) أنا «أهْيه الذي أهْيه».. أنا هو الذي كان والذي سأكون، الذي وعد أن يكون، والذي يُهدد بأن يكون؛ سيجدني الكلُ أمينا لكلمتي. ويلخص ترجوم «أوزيا ليدس» هذا بالقول: «عندما يُستعلن الله الكلمة ليفدي شعبه، سيقول لكل الشعوب: انظروا إليَّ الآن ما أنا وما كنت، وما سأكون». ونحن نعرف يقينا كيف نطبق هذا القول على مَن قال ليوحنا إنه هو «الكائن والذي كان والذي يأتي» (رؤ ١: ٨). عبارة «أنا هو» تقابلنا مرارا في تلك الأصحاحات من إشعياء التي فيها يشجع الله شعبه ليرجوا خلاصهم من بابل (إش ٤١: ٤؛ ٤٣:

١١، ١٣، ٢٥؛ ٤٦: ٤).

(٢) السيادة له وحده: «ليس إله معي»، ليس من يعين معي، ليس من يضاهيني (انظر إشعياء ٤٣: ١٠ و١١).

(٣) السلطان المطلق: قوة شاملة «أنا أُميت وأُحيي».

(٤) ذو قوة لا تقاوم.

ثانيا: رعب لأعدائه (ع ٤٠- ٤٢).. رعب حقيقي للذين يكرهونه، وهذا ما يفعله الذين يعبدون آلهة أخرى، الذين يُصرون على العصيان الإرادي للناموس الإلهي، والذين يكرهون ويضطهدون عبيده الأمناء. ولكيما يخيف هؤلاء ليتوبوا:

(١) يؤكد الحكم الإلهي بقسم (ع ٤٠). فهو يرفع إلى السماء يده مسكن قدسه؛ فقد كانت علامة قديمة وذات دلالة تستخدم في القسم (تك ١٤: ٢٢). إن خطية الخطاة ستكون لهلاكهم إذا أصروا عليها.

(٢) الاستعدادات للتنفيذ «إذا سننت سيفي البارق» (انظر مزمور ٧: ١٢).

(٣) التنفيذ نفسه سيكون مخيفا جدا.

ثالثا: تعزيات لشعبه: «تهللوا أيها الأمم (مع) شعبه» (ع ٤٣). يختم النشيد بكلمات فرح إذ توجد بقية في شعب الله نهايتها سلام- وسيفرح شعب الله أخيرا، وسيفرحون فرحا أبديا- يذكر هنا ثلاثة أمور هي موضوع الفرح:

(١) اتساع حدود الكنيسة، ويطبق الرسول الكلمات الأولى لهذا على رجوع الأمم (رو ١٥: ١٠) «تهللوا أيها الأمم مع شعبه».

(٢) الانتقام لنزعات الكنيسة مع مقاوميها.

(٣) المراحم التي يذخرها الله لكنيسته ولكل الذين ينتمون إليها: ويصنع كفارة لأرضه وشعبه «ويصفح عن أرضه وعن شعبه» أي عن كل الذين يخافونه ويعبدونه في كل مكان.

عدد ٤٤- ٥٢

أولا: تقديم هذا النشيد في حفل مهيب لشعب إسرائيل (ع ٤٤ و٤٥).. تكلم موسى بهذا النشيد إلى كل الذين استطاعوا أن يسمعوه بينما كان يشوع في اجتماع آخر في نفس الوقت يتكلم به إلى أكبر عدد يمكن أن يسمعه- ورغم أن قادتهم قد تغيروا ولكن ليس هناك تغيير لأمور الله، فكل من موسى ويشوع سيكونان شاهدين عليهم إذا تركوا الله.

ثانيا: وصية جادة لهم ليهتموا بهذه الكلمات وبكل الكلمات الطيبة الأخرى التي سبق أن قالها موسى لهم.

(١) الواجبات التي يضعها عليهم هي:

أ. الإصغاء لهذه الكلمات «وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات»، والفرائض والمواعيد، والإنذارات البركات واللعنات، وأخيرا إلى هذا النشيد.

ب. أن يوصلوا بأمانة هذه الأشياء للذين سيأتون بعدهم. فالصالحون لا يمكنهم إلا أن يرغبوا في أن يكون أولادهم مثلهم.

(٢) الحجج التي يستخدمها ليقنعهم بأن يهتموا بالدين ويجعلوه مشغوليتهم وأن يثابروا عليه، وهي:

أ. الأهمية القصوى لذات الأشياء التي أوصاهم بها (ع ٤٧) «لأنها ليست أمرا باطلا عليكم بل هي حياتكم». هي ليست أشياء تافهة ولكنها ضرورية جدا.

ب. الامتياز الكبير الذي سيحصلون عليه: «وبهذا الأمر تطيلون الأيام على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها» إلى كنعان التي هي وعد رمزي للحياة الأبدية التي أكدها المسيح لنا، بأن الذين يحفظون وصايا الله سيدخلون إليها (مت ١٩: ١٧).

ثالثا: أوامر معطاة لموسى بشأن موته، الآن وقد أنهى هذا الشاهد ذائع الصيت شهادته لله، فيجب أن يذهب إلى جبل «نبو» ويموت.. وقد أُعطيت الأوامر لموسى في نفس اليوم (ع ٤٨). الآن وقد أنهى عمله، لماذا يرغب بأن يحيا يوما آخر؟ لقد سبق فعلا أن صلى طالبا أن يعبر الأردن ولكنه الآن قانع تماما، وكما سبق أن أمره الله لا تعد تكلمني في هذا الأمر:

(١) يذكره الله هنا بالخطية التي أذنب بها، والتي من أجلها حُرم من كنعان (ع ٥١).

(٢) ويذكره بموت أخيه هرون ليجعل موته هو أسهل في حدوثه وأقل في رهبته (ع ٥٠).

(٣) يرسله إلى جبل عالٍ، منه يستطيع أن يُلقي نظرة على أرض كنعان ثم يموت (ع ٤٩ و٥٠) وربما تذكُر خطيته يجعل الموت مرعبا ولكن المنظر الذي أعطاه الله له عن كنعان أزال رعب الموت، فكان هذا كعلامة لمصالحة الله معه، ودلالة واضحة له على أنه ولو أن خطيته منعته من الدخول إلى كنعان الأرضية، إلا أنها لن تحرمه من الدخول إلى تلك الأرض الأفضل التي لا يمكن أن تُرى في هذا العالم إلا بعين الإيمان.

الأصحاح الثالث والثلاثون

لم ينته أمر موسى مع بني إسرائيل، لقد قدم لهم عظة الوداع، وبعد العظة تلا مزمورا، ولم يبق شيء بعد إلا أن يصرفهم ببركة. وهو يعلن هذه البركة في هذا الأصحاح باسم الرب وهكذا يتركهم.

أولا: يعلن أنهم كلهم مباركون بما فعله الله معهم فعلا، خصوصا في إعطائهم ناموسه (ع ٢– ٥).

ثانيا: ينطق ببركة لكل سبط والتي هي صلاة ونبوة في نفس الوقت، عن سعادتهم:

(١) رأوبين (ع ٦).
(٢) يهوذا (ع ٧).
(٣) لاوي (ع ٨– ١١).
(٤) بنيامين (ع ١٢).
(٥) يوسف (ع ١٣– ١٧).
(٦) زبولون ويساكر (ع ١٨ و١٩).
(٧) جاد (ع ٢٠ و٢١).
(٨) دان (ع ٢٢).
(٩) نفتالي(ع ٢٣).
(١٠) أشير (ع ٢٤ و٢٥).

ثالثا: ينطق عليهم جميعا بالبركة إذا كانوا مطيعين (ع ٢٦– ٢٩).

عدد ١ – ٥

العدد الأول هو عنوان الأصحاح– إنه بركة. في الأصحاح السابق أرعد ضد إسرائيل برعب الرب بسبب خطاياهم. والآن حتى لا يبدو أنه سيفارقهم غاضبا، يُضيف هنا بركة. وهكذا كان آخر عمل عمله المسيح أنه بارك تلاميذه (لو ٢٤: ٥٠) مثل موسى هنا الذي أراد أن يفارقهم كأصدقاء– فباركهم موسى:

- كنبي: رجل الله.
- كأب لإسرائيل: وهكذا يفعل الأمراء الصالحون لرعيتهم. وقد بارك يعقوب أولاده وهو على سرير موته (تك ٤٩: ١) واتباعا لمثاله يبارك موسى هنا الأسباط الذين تناسلوا من أولاد يعقوب تمنى لهم السعادة، رغم أنه سيموت ولن يشترك في هذه السعادة.

يبدأ البركة بوصف سامٍ لظهورات الله المجيدة لهم في إعطائهم الناموس، والامتيازات العظمى التي حصلوا عليها:

أولا: كانت هناك رؤية منظورة وباهرة للجلالة الإلهية، تكفي لإقناع منكري اللاهوت وغير المؤمنين، وتفحمهم إلى الأبد، ولتوقظ وتؤثر في أولئك الذين كانوا أغبياء وغافلين، وتخزي كل الميول والنزعات لعبادة الآلهة الأخرى (ع ٢). وكان موكبه مجيدا.. جاء مع ربوات قديسيه، كما سبق أخنوخ أن تنبأ منذ زمن بعيد بأنه سيأتي في اليوم الأخير لدينونة العالم (يه ١٤). لذلك يقال عن الناموس إنه أُعطي «بترتيب ملائكة» (أع ٧: ٥٣؛ انظر أيضا عبرانيين ٢: ٢).

ثانيا: أعطاهم ناموسه الذي:

(١) يسمى ناموسا ناريا «نار شريعة» لأنه أُعطي لهم «وسط النار» (تث ٤: ٣٣) لأنه يعمل مثل النار إذا ما قُبِل، فإنه يذيب ويدفئ وينقي، ويحرق زغل الفساد، وأما إذا رُفض فإنه يقسي ويلفح ويعذب ويهلك. والروح جاء في ألسنة من نار لأن الإنجيل أيضا ناموس ناري.

(٢) ويقال أيضا إنه يأتي من يمينه، ليشير إلى القوة ونشاط الناموس والقوة الإلهية التي ترافقه، حتى لا يرجع فارغا. لقد جاء الناموس كهبة لهم، وقد كان فعلا هبة ثمينة جدا وبركة نفيسة.

(٣) كان دليلا على الرأفة الخاصة التي كانت لديه من نحوهم «فأحب الشعب» (ع ٣). بالتأكيد أنت هو الذي أحب الشعب لذلك فرغم كونه ناموسا ناريا، إلا أنه قيل «أشرق لهم» (ع ٢) أتى لخيرهم.. لاحظ أن ناموس الله المكتوب في القلب هو برهان أكيد على محبة الله المنسكبة فيه– يجب أن نعتبر أن ناموس الله هو إحدى عطايا نعمته «جميع قديسيه

في يدك». هم في يده ليخبئهم ويحميهم، يستخدمهم ويوجههم كما كانت الكواكب السبع في يد المسيح (رؤ ١: ١٦).

ثالثا: جعلهم مستعدين أن يقبلوا الناموس الذي أعطاه لهم «وهم جالسون عند قدمك».. كتلاميذ عند قدمي معلمهم- كعلامة للاحترام - في انتباه وخضوع متواضع لموضوع التعليم. وهكذا جلس إسرائيل عند جبل سيناء ووعدوا أن يسمعوا ويطيعوا كل ما كان الله سيقوله، وتهيأ كل واحد منهم واستعد لتسلم كلام الله، وفعلوا هذا مرة أخرى عند قراءة الناموس عليهم كما في يشوع ٨: ٣٤.

(١) تعلموا أن يتكلموا باحترام عظيم عن الناموس ويسمونه «ميراثا لجماعة يعقوب» (ع ٤).

(٢) تعلموا أن يتحدثوا باحترام عظيم عن موسى، وكانوا ملتزمين أكثر للمحافظة على اسم موسى، إنه لم يُعمل شيئا للمحافظة عليه عن طريق أسرته؛ فلم يُطلق على نسله اسم «أبناء موسى» كما سُمي الكهنة «أبناء هرون».

عدد ٦ و٧

نجد هنا:

أولا: بركة رأوبين: رغم أن رأوبين قد فقد حق كرامة البكورية، إلا أن موسى يبدأ به لأنه لا يجب أن نهين الذين أصابهم الخزي، ولا أن نستبقي علامات العار على أحد (ع ٦) فمن أمنيات موسى ونبواته:

(١) بقاء هذا السبط: رغم أنه سبط موجود على الحدود في الجانب الآخر من الأردن ولكنه يقول «ليحيَ رأوبين ولا يمت» ولا يهلك بسبب جيرانه أو يضيع بينهم. وربما هو يشير إلى أولئك الرجال المنتخبين من السبط، فبعد أن عرفوا نصيبهم المحدد لهم فعلا تركوا أسرهم، وأصبحوا الآن مستعدين للعبور ليحاربوا أمام الرب (عد ٣٢: ٢٧).

(٢) زيادة عدد هذا السبط «ولا يكن رجاله قليلين» ليكن رجاله كثيرين... «ليعش رأوبين ولا يموت، رغم أن رجاله كانوا قليلين»، هكذا يمكن قراءتها- وكل التفسيرات الآرامية (المسماه بالترجوم) تشير بهذا إلى العالم الآخر، دع رأوبين يعيش في الحياة الأبدية، ولا يموت الموت الثاني وهكذا قال (ترجوم انكليوس) «دع رأوبين يحيا في هذا العالم ولا يموت ذلك الموت الذي يموته الأشرار في العالم الآتي»- هكذا ترجوم يوناثان وترجوم أورشليم.

ثانيا: بركة يهوذا: الذي وضع قبل لاوي لأن ربنا قد جاء من سبط يهوذا (ع ٧) وقد تشير البركة إلى:

(١) السبط كله عموما. يصلي موسى ويتنبأ عن تقدم هذا السبط العظيم، ومن المُسلَّم به أن هذا السبط سيكون سبطا مصليا ونشيطا أيضا.. أو

(٢) قد تكون الإشارة بصفة خاصة إلى داود كصورة للمسيح، بأن يسمع الله صلاته وأن يعطه نصرة على أعدائه، وأن يعطه نجاحا في ما يقوم به- وأن تلك الصلاة «وأتِ به إلى قومه» يبدو أنها تشير إلى نبوة يعقوب عن شيلوه- أي أن يخضع الشعوب له (تك ٤٩: ١٠). وقد حذف سبط شمعون من البركة لأن يعقوب تركه تحت لعنة، ولم يعمل شيئا قط كما فعل لاوي ليستعيد كرامته- وكان عدده في البرية أقل من عدد أي سبط آخر- وزمري صاحب السمعة الرديئة في مسألة بعل فغور كان من هذا السبط- أو ربما (لم يذكر اسمه في البركات) لأن نصيب شمعون كان ضمن نصيب يهوذا، ولذلك تضمنت بركة يهوذا بركته.

عدد ٨- ١١

في بركة موسى لسبط لاوي فإنه يوضحها بإسهاب ليس لكونه سبطه هو (لأن موسى لا يبالي بعلاقته به) بقدر ما أن هذا السبط هو سبط الله، فبركة لاوي تشير:

أولا: إلى رئيس الكهنة وهو يسمى هنا مقدس لله (الصديق) (ع ٨) لأن وظيفته كانت مقدسة، ويرمز إليها بما كُتب على جبهته «قدس للرب».

(١) يبدو كأنما هو يعترف بأن الله قد عزل هرون ونسله بسبب خطيته عند مريبة (عد ٢٠: ١٢)، وهذا ما يفهمه كثيرون- ولكن يبدو لي أنه على العكس فهو يقدم إلى الله غيرة وأمانة هرون وشجاعته في وقف تيار تذمر الشعب في مريبة الثانية (خر ١٧: ٧). وتتفق

كل التفسيرات الآرامية على أنها كانت تجربة وُجد فيها كاملا ومخلصا.

(٢) يصلي أن تظل خدمة رئيس الكهنة إلى الأبد «تُميمك وأوريمك لرجلك الصديق»، لقد أُعطيت لعمل فائق وممتاز كما يبدو في ملاخي ٢: ٥ «يا رب لا تجعلها تؤخذ منه». ومع ذلك فهذه البركة، الأوريم والتميم فُقدت في السبي، ولم تعد ثانية عند بناء الهيكل الثاني. التميم تشير إلى الكمالات والأوريم تشير إلى الأنوار لتبقيا مع قديسك، أي «يا رب اجعل رئيس كهنتك دائما مستقيما ورجلا ذا فهم» وهي صلاة جيدة حين تُصلى من أجل خدام الإنجيل، لكي تكون لهم الأذهان المستنيرة والقلوب الأمينة؛ فالإستنارة والإخلاص يخلقان الخادم الكامل.

ثانيا: تشير هذه النبوة إلى الكهنة المرؤوسين واللاويين (ع ٩- ١١).

(١) يمتدح غيرة هذا السبط لله عندما وقفوا بجانبه (وبالتالي مع الله) ضد الذين عبدوا العجل الذهبي (خر ٣٢: ٢٦-٢٩). وأولئك الذين لا يحفظون أنفسهم فقط من الشرور العادية الخاصة بالأزمنة والأماكن التي يعيشون فيها، ولكن أيضا على قدر استطاعتهم، يشهدون ضدها ويثورون من أجل الله ضد الأشرار، سينالون درجة خاصة من الكرامة. ربما كان في ذهن موسى بني قورح الذين رفضوا أن ينضموا إلى أبيهم في مقاومته (عد ٢٦: ١١) وأيضا فينحاس الذي نفذ حكما فأوقف الوبأ.

(٢) هو يثبت المهمة الممنوحة لهذا السبط ليخدموا في الأشياء المقدسة، الأمر الذي كان جزاء لغيرتهم وإخلاصهم (ع ١٠).

أ. هم يتعاملون مع الناس نيابةً عن الله «يعلمون يعقوب أحكامك وإسرائيل ناموسك». كوعاظ في اجتماعاتك الدينية يقرأون ويفسرون الناموس (نح ٨: ٧ و٨) وكقضاة يبتُون في الحالات محل الشك، التي تُعرض عليهم (٢أخ ١٧: ٨ و٩).

ب. كان عليهم أن يتعاملوا مع الله نيابة عن الشعب «يضعون بخورا في أنفك ومحرقات على مذبحك» لمدح وتمجيد الله، ويقدمون الذبائح للتكفير عن الخطية ولنوال الرضا الإلهي، كان هذا هو عمل الكهنة ولكن اللاويين حضروا وساعدوا فيه.

(٣) هو يصلي من أجلهم (ع ١١):

أ. حتى يباركهم الله في ممتلكاتهم، «بارك يا رب قوته وارتض بعمل يديه» ويقرأها البعض: بارك ممتلكاته- بارك فضيلته. يا رب زد نعمك بينهم، وأجعلهم أكثر فأكثر لائقين لعملهم.

ب. أن يقبلهم (الله) في خدماتهم «ارتض بعمل يديه»- يقبلهم هم والشعب الذي يخدمونه.

ج. أن يقف معه ضد كل أعدائه.

عدد ١٢- ١٧

نجد هنا:

أولا: بركة بنيامين (ع ١٢): يوضع بنيامين بعد لاوي لأن الهيكل- حيث يخدم الكهنة- كان موجودا بجوار حدود هذا السبط مباشرة. وقد جاء قبل يوسف بسبب عظمة أورشليم (التي كان جزء منها في حدود هذا السبط) وأعظم من السامرة التي كانت في نصيب أفرايم، ولأن بنيامين التصق ببيت داود وبهيكل الرب، بينما تركهما بقية الأسباط وانضموا إلى يربعام.

(١) يسمى بنيامين هنا «حبيب الرب» كما كان أبو هذا السبط ابن يعقوب المحبوب، «ابن يمينه» كان شاول الملك الأول وبولس الرسول العظيم من هذا السبط.

(٢) وهو هنا يعطي له تأكيدا بالحماية الإلهية «يسكن لديه آمنا».

(٣) يشير هذا الكلام إلى أن الهيكل الذي سوف يسكن فيه الله يجب أن يُبنى على حدود هذا السبط، وقد كانت أورشليم المدينة المقدسة ضمن نصيب هذا السبط (يش ١٨: ٢٨)، ورغم أن صهيون مدينة داود كانت ملكا ليهوذا، إلا أن جبل المريا الذي بُني عليه الهيكل كان في نصيب بنيامين، لذلك يقال «حبيب الرب... بين منكبيه يسكن» لأن الهيكل استقر فوق هذا الجبل كرأس رجل بين كتفيه.

ثانيا: بركة يوسف تشمل كلا من منسى وأفرايم. عندما بارك يعقوب (تك ٤٩) أبناءه. فكانت بركة يوسف هي الأكبر، وكذلك هي هنا، ومن هناك يستعير اللقب الذي يعطيه ليوسف (ع ١٦) المفصول أو المنعزل عن إخوته؛ فقد عزله إخوته عنهم بجعلهم

إياه عبدا ولكن الله ميزه عنهم وجعله أميرا.

(١) وفرة عظيمة (ع ١٣- ١٦).. بصفة عامة «مباركة من الرب أرضه». لقد كانت الأراضي التي وقعت في نصيب أفرايم ومنسى مثمرة جدا، إلا أن موسى يصلي طالبا أن تروى ببركات الله.

أ. هو يعدد كثيرا من الأشياء بالذات التي يصلي لكي تعمل على زيادة ثروة ووفرة هذين السبطين. فهو يصلي من أجل:

◄ الأمطار في مواسمها، والندى «نفائس السماء بالندى» وهي ثمينة للغاية لأنه رغم كونها مجرد مياه نقية لكن بدونها يمتنع ثمر الأرض.

◄ كثرة الينابيع التي تساعد على إثمار الأرض وهي تسمى هنا «اللجة الرابضة تحت».

◄ للتأثيرات اللطيفة للأجسام السماوية (ع ١٤) «نفائس مُغلات الشمس ونفائس منبتات الأقمار».

◄ إثمار حتى تلالهم وجبالهم، التي هي في العادة عقيمة بلا ثمر في البلاد الأخرى (ع ١٥).

◄ لأجل ثروات الأراضي المنخفضة (ع ١٦) «من نفائس الأرض» رغم أن الأرض في حد ذاتها تبدو بلا فائدة لا قيمة لها، كُتلة من المادة إلا أن هناك أشياء نفيسة يمكن أن تؤخذ منها لإعالة وإراحة الحياة البشرية- بعضهم يفسر هذه النفائس التي يُصلى من أجلها على أنها صورة للبركات الروحية في السماويات في المسيح مثل هبات الروح ونعمته وتعزياته.

ب. هو يتوج الكل بالإرادة الصالحة أو القبول المنعم من الساكن في العليقة (ع ١٦)، أي من الله ذلك الإله الذي ظهر لموسى في العليقة التي كانت مشتعلة بالنار دون أن تحترق (خر ٣: ٢)؛ ليكلفه بمهمة إخراج بني إسرائيل من مصر، ورغم أن مجد الله ظهر هناك لفترة وجيزة، ولكن يقال إنه يسكن هناك «رضى الشكينة في العليقة» هكذا يمكن أن تُقرأ.. لأن كلمة شكينة تعني الذي يسكن- لقد ظهر الله لموسى مرارا، ولكنه الآن وهو موشك أن يموت يبدو أنه الآن يمتلك أحلى الذكريات لذلك الظهور الأول، حيث بدأ أول تعارف له برؤية القدير- كان ذلك وقت محبة لا تنسى، لذلك فإنه حين يصلي عن رضى الساكن في العليقة الملتهبة، فهو يضع أمام نظره العهد الذي تجدد حينئذٍ، والذي يجب أن يبنى عليه كل رجائنا في إحسانات الله.

(٢) يوسف هنا يُبارك بقوة عظيمة (ع ١٧).. هنا تذكر ثلاثة حالات لقوته:

أ. سلطانه بين إخوته: في الجلال هو مثل ثور بكر أو ثور صغير- وهو مخلوق فخم بهيبة ولذلك كان قديما يرمز إليه بالجلال الملكي.

ب. قوته ضد أعدائه وانتصاره عليهم «قرناه قرنا رئم» (ثور وحشي) أي أن القوى التي سيأتي بها للميدان ستكون قوية جدا ومخيفة «بهما ينطح الشعوب».

ج. عدد شعبه: حيث تفوّق يوسف عددا رغم أنه الأصغر سنا، وقد تنبأ يعقوب بنفس الشيء وهو يعكس يديه (تك ٤٨: ١٨) «هما ربوات أفرايم وألوف منسى».

عدد ١٨- ٢١

يرد هنا:

أولا: بركة زبولون ويساكر مقترنين معا لأنهما كانا ابني يعقوب من ليئة، وكانا جارين حسب نصيبهما. والنبوة لهما:

(١) سيكون لكليهما استقرار وعمل مُرضيان (ع ١٨). فيجب أن يفرح زبولون؛ حيث إن لديه أسبابا تفسر فرحته، وموسى يصلي أن يكون له سبب في خروجه، سواء إلى الحرب أو إلى البحر لأن زبولون كان مرفأ للسفن (تك ٤٩: ١٣)، ويجب أن يفرح يساكر في حياته أي في عمله وفي مقره، في الزراعة التي كانوا مرتبطين بها بصفة عامة.

أ. هذه أعمال عناية الله التي تحتم بحدود مساكن الناس المختلفة، بعضهم في المدن وبعضهم في الريف، بعضهم في الموانيء وبعضهم في المدن الداخلية، وهكذا تحدد ميول الناس للأعمال المختلفة. عبقرية بعض الناس تقودهم إلى كتاب، وتقود غيرهم إلى البحر وغيرهم إلى السيف (الحرب). بعض الناس تميل إلى الأعمال الريفية وغيرهم للتجارة بينما يفضل غيرهم الأعمال الميكانيكية- وهذا أمر حسن لأنه «لو كان كل الجسد عينا فأين السمع؟» (١كو ١٢: ١٧). فكان خيرا لإسرائيل عموما أن يكون رجال زبولون

تجارا بينما يكون رجال يساكر فلاحين.

ب. في أي مكان كنا وفي أي عمل عملنا فمن الحكمة والواجب أن نتكيف معهما، ومن السعادة العظمى أن نكون مسرورين بهما.

(٢) أن يكون كل منهما نافعا في مكانه لمجد الله ولفائدة الوطن (ع ١٩). لقد لوحظ مرارا أن أولئك الذين يسكنون مع زبولون في مواني السفن وهي أماكن تلاقي البشر، لهم عادة الاستنارة الدينية بينما أولئك الذين يسكنون مع يساكر في الريف في الخيام يتمتعون بالحياة الدينية وحرارتها.

أ. النبوة هنا بأن كلا من هذين السبطين سيكون غنيا. فزبولون الذي سيخرج يرتضع «من فيض البحار» التي هي مصدر يفيض بالخير للتجار. بينما يساكر، الذي سيبقى في مساكنه سيغني نفسه من «ذخائر مطمورة في الرمل» وهذا يعني إما ثمر الأرض وإما الكنوز التي تحت الأرض كالمعادن وغيرها، أو الأشياء الثمينة التي يقذفها البحر، لأن نصيب يساكر وصل إلى شاطئ البحر.

ب. النبوة أن هذين السبطين، إذ اغتنيا على هذا الأسلوب فيجب أن تُحرم (تقدس) «غنيمتهم للرب وثروتهم لسيد كل الأرض» (مي ٤: ١٣).

ثانيا: تأتي بعد هذا بركة سبط جاد (ع ٢٠ و٢١): وهو أحد الأسباط التي استقرت فعلا على جانب الأردن حيث كان موسى موجودا في ذلك الوقت.

(١) تنبأ ماذا سيكون عليه هذا السبط (ع ٢٠):

أ. سيتسع لأنه أخذ الآن نصيبا واسعا. نجد أن هذا السبط كان قد اتسع بنجاحهم في حرب قاموا بها كما يبدو بحماس شديد ضد الهاجريين (١أخ ٥: ١٩ و٢٠، ٢٢).

ب. أنه سيكون سبطا قويا ومنتصرا، وأنه لو تُرك وحده سيحيا آمنا وبلا خوف كالأسد، ولكنه إذا أُثير فكأسد كان يفترس «الذراع مع قمة الرأس»، أي سيمزق إربا كل من يقف في طريقه. كل من الذراع (أي القوة) والرأس (أي السياسة والسلطة) لعدوه.

(٢) وهو يمتدح هذا السبط لما سبق أن فعلوه وما يفعلونه الآن (ع ٢١).

عدد ٢٢ – ٢٥

هنا نجد:

أولا: بركة دان (ع ٢٢): فقد شبهه يعقوب عند بركته إياه بحية أو أفعوان لمكره، ولكن موسى يقارنه بأسد لشجاعته وثباته– وأي شيء يستطيع أن يقف أمام أولئك الذين لهم رأس ثعبان وقلب أسد؟ وهو يقارنه بالأسود التي تثب من باشان (جبل مشهود بالأسود المفترسة) ومن هذا الجبل جاءوا لينقضوا على فريستهم في السهول، وفريق من الدانيين عندما وصلتهم الأنباء عن أمان مدينة «لايش» التي تقع في أقصى حدود كنعان شمالا، فاجأوها وحالا جعلوا أنفسهم سادةً لها (انظر قضاة ١٨: ٢٧) وجبال باشان ليست بعيدة عن هذه المدينة، وربما منها نزلوا عليها، لذلك يقال إنه «يثب من باشان».

ثانيا: بركة نفتالي (ع ٢٣) هو ينظر إلى هذا السبط بدهشة ويمدحه: يا نفتالي أنت سعيد وستكون هكذا وليتك تكون هكذا إلى الأبد! لقد وصف يعقوب هذا السبط بكونه– بصفة عامة– مجاملا كريما، يتفوه بكلمات حسنة مثل أيلة (تك ٤٩: ٢١). والآن ما الذي ينالونه من كونهم هكذا؟ يخبرهم موسى هنا أنهم سيستفيدون بمحبة جيرانهم ويشبعون بالرضا. ويقول اليهود: [إن نصيب سبط نفتالي كان جميلا جدا وحاصلاتهم تنمو مبكرة، رغم وقوعه في الشمال، وأناس هذا السبط كانوا يأتون إلى الهيكل بأوائل ثمارهم قبل غيرهم، فلذلك ينالون باكورة بركات الكاهن التي كانت بركة الرب]. وتقع مدينة كفر ناحوم التي سكن فيها المسيح بصفة عامة في نصيب هذا السبط.. «أملك الغرب والجنوب» أي «البحر» هكذا يمكن أن تُقرأ، أي ذلك البحر الذي سوف يقع جنوب نصيبكم، وكان هذا هو بحر الجليل، الذي نقرأ عنه مرارا في الأناجيل، وشمال هذا البحر مباشرة نصيب هذا السبط، والذي كان سبب امتيازات كثيرة لهذا السبط، ويشهد على ثروة كفر ناحوم وبيت صيدا.

ثالثا: بركة أشير (ع ٢٤ و٢٥) أربعة أمور يصلي من أجلها ويتنبأ عنها بشأن هذا السبط الذي يحمل البركة في اسمه لأن ليئة اطلقت اسم والد هذا السبط

«أشير» قائلة «بغبطتي لأنه تُغبطُني بنات. فدعت اسمه أشير» (تك ٣٠: ١٣).

(١) زيادة أعدادهم.

(٢) اهتمامهم بجيرانهم «ليكن مقبولا من إخوته».

(٣) غنى أرضهم:

أ. فوق الأرض «يغمس في الزيت رجله».

ب. تحت الأرض «حديد ونحاس مزاليجك»، أي سيكون لك قدر كبير من هذه المعادن في أرضك. في التفسير الآرامي يُفهم هذا رمزيا «ستكون قويا ولامعا مثل الحديد والنحاس».

(٤) استمرار قوتهم وشدتهم: وكأيامك قوتك كثيرون يفسرونها هكذا «قوة أيام شيخوختك ستكون مثل قوة شبابك؛ ولن تشعر بانحطاط ولن تصير إلى أردأ بسبب التعب والارهاق ولكنك، ستجدد شبابك؛ كما لو لم تكن أحذيتك فقط من الحديد والنحاس بل عظامك أيضا». هل تعين لهم عمل؟ فإنه ستكون لهم القوة لإنجازه- هل وُضعت عليهم أثقال؟ ستكون لهم القوة لتحملها ولن يُجربوا فوق ما يستطيعوا أن يحتملوا.

عدد ٢٦- ٢٩

موسى، رجل الله، مع آخر أنفاسه يُعظم كُلاً من إله إسرائيل وشعب إسرائيل.

أولا: «ليس مثل الله يا يشورون» (ع ٢٦). ليس بين آلهة الأمم من كان كفؤا لأن يعمل لعابديه ما عمله يهوه لهم.

(١) قدرته الفائقة وسلطانه «يركب السماء». عندما يريد أن يعمل شيئا لشعبه فهو يركب السماء ليعمله، لأنه يفعله بسرعة وبقوة، فلا يستطيع أي عدو أن يسبقه أو يعترض تقدم من يركب السماء.

(٢) أبديته وأزليته غير المحدودة- هو الإله القديم وأذرعه أبدية (ع ٢٧)، أما آلهة الوثنيين فهي مخترعات حديثة وتهلك حالا، وأما إله يشورون فهو أزلي أبدي، فقد كان قبل كل العالمين وسيبقى حين ينتهي الزمان والأيام (انظر عبرانيين ١: ١٢).

ثانيا: ليس هناك شعب، مثل شعب الله. بعدما تنبأ لكل سبط بالسعادة يعلن الآن في النهاية أنهم كلهم سعداء جدا؛ سعداء جدا من كل جهة حتى إنه لا يوجد شعب تحت الشمس يُقارن بهم (ع ٢٩) فإذا أكرم إسرائيل الله باعتباره الإله الوحيد فهو سيحسن إليهم ويجعلهم شعبا فريدا. وما يقال هنا عن شعب إسرائيل فبالتأكيد ينطبق على كنيسة الأبكار المكتوبين في السموات، الكنيسة المسيحية هي إسرائيل الله كما يسميها الرسول بولس في غلاطية ٦: ١٦.

(١) لم يكن هناك شعب مستقر ومحمي (ع ٧٢) كإسرائيل. «الإله القديم ملجأ» أو تعني الكلمات: «مسكنك أو ربعك.. حيث تكونون آمنين قانعين ومستريحين كإنسان في بيته الخاص» . كل إسرائيلي في الواقع يكون في محل راحته في الله، ترجع إليه النفس وتستريح فيه كمكان راحة (مز ١١٦: ٧)، وستر لها (مز ٣٢: ٧).

(٢) لم يكن هناك شعب آخر عُضد ورُفع مثله.. «الأذرع الأبدية من تحت» أي قوة الله القدير، العهد الأبدي والتعزيات الأبدية التي تصدر منه، هي بالحقيقة أذرع أبدية، بها يُعضد المؤمنين ويظلوا فرحين في أردأ الأزمنة، فالنعمة الإلهية تكفيهم (٢كو ١٢: ٩).

(٣) لم يكن هناك شعب كانت له قيادة جيدة كقادته في الحروب «فطرد من قدامك العدو». بقوة قدرته التي ستفسح لك مكانا، لذلك يعظم انتصار المؤمنين، إذ هم أعظم من منتصرين على أعدائهم الروحيين، في المسيح الذي أحبهم. إن رئيس خلاصنا أزاح العدو من أمامنا عندما غلب العالم، وفي الصليب انتصر على القوات والرؤساء.

(٤) لم يكن قط هناك شعب آمن ومحفوظ مثلهم (ع ٢٨) «فيسكن إسرائيل آمنا وحده». الذين يسكنون في الله ويجعلون اسمه برجا حصينا لهم يعيشون في أمان، ويكون ملجأهم حصون الصخور (إش ٣٣: ١٦). يعيشون في أمان وحدهم.

أ. رغم أنهم وحدهم فإنهم لا يعقدون معاهدات تحالف مع جيرانهم.

ب. ولأنهم وحدهم، فسيعيشون في أمان طالما ظلوا أنقياء وغير مختلطين بالوثنيين.

(٥) لم يكن هناك شعب قد أعاله الله مثله:

ذرية يعقوب (أي الجيل الحاضر من ذلك الشعب، الذي هو كينبوع لكل الجداول التي ستخرج منه فيما بعد وتُشتق منه) ستستقر الآن في أرض جيدة. «عين يعقوب» (أو العين البشرية) كما يمكن أن تُقرأ، لأن نفس الكلمة يمكن أن تعني ينبوع الماء أو العين البشرية آمنة في «أرض حنطة وخمر»، أمام وجوههم في الجانب الآخر من الأردن.

(٦) لم يكن شعب قط نال مساعدة مثلهم، فإذا وقعوا في أي ضيقة فإن الله يركب السماء لمعونتهم (ع ٢٦)، وينقذهم (ع ٢٩).

(٧) لم يُسلَّح شعب مثلهم قط. الله نفسه كان درع معونتهم، به تسلحوا دفاعيا، وكان سيفهم المجيد الذي تسلحوا به هجوميا وصاروا مخيفين.

(٨) لم يكن هناك شعب قط أُعطي تأكيدا بالنصرة على أعدائه مثلهم: «فيتذلل لك أعداؤك» أي أعدائهم سيُرغمون على أن يخضعوا قسرا لهم رغم إرادتهم، وإذا ظهر أن أعداءكم كانوا مخادعين لكم سوف «تطأ مرتفعاتهم».

الأصحاح الرابع والثلاثون

بعد أن قرأنا كيف أنهى موسى شهادته، نُخبر هنا كيف انتهت حياته بعد هذا مباشرة، قد سبق لنا أن عرفنا كلماته التي سبقت موته. والآن عندنا ما عمله عند موته، ذلك العمل الذي لابد أن نعمله قريبا، ويجب أن يتم بصورة جيدة.

هنا نجد:

أولا: المنظر الذي تمتع به موسى لأرض كنعان قبيل موته (ع ١– ٤).

ثانيا: موته ودفنه (ع ٥ و٦).

ثالثا: عمره (ع ٧).

رابعا: مناحة إسرائيل عليه (ع ٨).

خامسا: خليفته (ع ٩).

سادسا: صفاته (ع ١٠– ١٢).

عدد ١ – ٤

أولا: موسى يصعد عاليا نحو السماء، مرتفعا إلى قمة (رأس الفسجة) ليموت هناك لأنه المكان المعين (تث ٣٢: ٤٩ و٥٠). كان إسرائيل مخيما على الأرض المستوية في سهول موآب، ومن هناك صعد موسى حسب الأمر المعطى له، إلى جبل نبو إلى أعلى نقطة أو حافة لذلك الجبل الذي كان يسمى «الفسجة» (ع ١) وكلمة «فسجة» كلمة عامة تطلق على كل قمة كهذه. ونفهم أن موسى صعد إلى هذه القمة وحده، بدون مساعدة فإنه بعد انتهائه من مباركة إسرائيل، لنا أن تفترض أنه ودع يشوع وأليعازر وبقية أصدقائه بهدوء، الذين ربما ساروا معه إلى أسفل الجبل، ثم أمرهم كما أمر إبراهيم عبديه عند أسفل جبل آخر: ابقوا أنتم ههنا إلى أن أذهب هناك وأموت وذلك:

(١) لإظهار أنه كان مستعدا للموت، فعندما عرف مكان موته، فما كان أبعده عن أن يتحاشاه بل صعد الجبل المنحدر جدا فرحا ليصل إليه.

(٢) لإظهار أنه نظر إلى الموت بأنه صعوده؛ فإن نفس الإنسان الصالح عندما تترك الجسد تصعد إلى أعلى (جا ٣: ٢١). عندما يُستدعى رجال الله من العالم فالاستدعاء يكون هكذا «اصعد ومُت».

ثانيا: إذ ينظر موسى ثانية نحو الأرض ليرى كنعان الأرضية التي لن يدخلها قط، لكنه بالإيمان ينظر إلى كنعان السماوية التي هو موشك على أن يدخلها:

(١) ومع أنه صعد وحيدا إلى الفسجة ولكنه لم يكن وحده لأن الآب كان معه (يو ١٦: ٣٢).

(٢) لنلاحظ أن الرجاء السار الذي لنا في الوطن الأفضل إنما نحن مدينون به لنعمة الله، إنه هو الذي يعطي روح الحكمة، كما يعطي روح الإعلان، هو يعطي العين ويعطي ما تراه العين.

(٣) رآه عن بعد، مثل المنظر الذي يراه المؤمن الآن من خلال النعمة، من أفراح وأمجاد حالته المستقبلة. والكلمة والوصايا بالنسبة له، هي كما كان جبل الفسجة لموسى.

(٤) رآها ولكنه لن يتمتع بها– يتحدث (الناس) عن أشياء مجيدة عن ملكوت المسيح في الأيام الأخيرة؛ تقدمه، واتساعه وحالته المزدهرة، نحن نراها مقدما ولكن من غير المرجح أننا سوف نراها فعلا في حياتنا، أما أولئك الذين سيأتون بعدنا، فنرجو أنهم سيدخلون

أرض الموعد، التي هي عزاؤنا.

(٥) كنعان هي أرض عمانوئيل (إش ٨: ٨)، ولذلك فإن موسى وهو ينظر إليها فإنما ينظر إلى البركات التي نتمتع بها في المسيح.

عدد ٥ – ٨

نجد هنا

أولا: موت موسى (ع ٥): «فمات هناك موسى عبد الرب». كان من الصعب على موسى أنه بعد اجتيازه في كل أتعاب البرية أن يُحرم من التمتع بمباهج كنعان، «أما الرجل موسى كان حليما جدا»– كان هذا ما يريده الله فما عليه إلا أن يخضع فرحا.

(١) يُسمى هنا «عبد الرب»، ليس فقط كرجل صالح (كل القديسين عبيد الله) بل كرجل نافع، نافع إلى درجة عظمى. فقد تمم مشورة الله في إخراج إسرائيل من مصر وقيادتهم في البرية.

(٢) مع ذلك فإنه يموت.. لا تقواه ولا منفعته تجعله يُستثنى من شوكة الموت. عبيد الله يجب أن يموتوا لكي يستريحوا من أتعابهم ويأخذوا مجازاتهم ويتركوا مكانهم لآخرين، وعندما يؤخذ عبيد الله ولا يستطيعون أن يخدموه على الأرض، فإنهم سيذهبون ليخدموه خدمة أفضل، يخدمونه ليلا ونهارا في هيكله. وهو يموت «حسب قول الرب» (ع ٥). والكلمة أصلا تعني بفم أو على فم الرب– ويقول اليهود «بقبلة من فم الرب». لاحظ: أن عبيد الرب بعد أن يُؤدوا كل أعمالهم يجب أن يموتوا أخيرا، إطاعةً لسيدهم، وهم راغبون بمحض إرادتهم أن يرجعوا إلى وطنهم عندما يرسل في طلبهم (أع ٢١: ١٣).

ثانيا: دفنه (ع ٦): إن الله يهتم بأجساد عبيده، وكما أن موتهم عزيز عنده كذلك أجسادهم، وسيحفظ العهد لهم. مات ودفن في وادٍ في أرض موآب مقابل بيت فغور. إذا كانت النفس في راحة مع الله فليس الأمر ذا أهمية أين يوضع الجسد. أما المكان المحدد فهو غير معروف لئلا يحتفظ به شعب إسرائيل ثم يعبدونه، وهم ميالون جدا لعبادة الأصنام، فيعبدون جسد موسى المؤسس العظيم والمحسن لشعبهم.

ثالثا: عمره (ع ٧).. كانت حياته طويلة.

(١) إلى سن الكبر، كان عمره ١٢٠ سنة، ولو أن عمره كان أقصر بكثير من أعمار الآباء، إلا أنه كان أطول من أعمار معاصريه– كانت حياة موسى تنقسم إلى ثلاثة أربعينات– الأربعون الأولى عاشها كعضو في الأسرة الملكية (في مصر)، في راحة وعز، والأربعون الثانية عاشها كراعٍ فقير منعزل في مديان، والأربعون الأخيرة عاشها ملكًا في يشورون في كرامة وقوة، ولكن محاط بقدر كبير من الهم والعناء.

(٢) كانت شيخوخته جيدة «لم تكل عينه» (مثل إسحق تك ٢٧: ١؛ ويعقوب تك ٤٨: ١٠) «ولا ذهبت نضارته» (أي قوته).

رابعا: المناحة التي أقيمت له (ع ٨).. نلاحظ هنا:

(١) من الذين ناحوا: بنو إسرائيل.

(٢) مدة مناحته (بكائهم): ثلاثون يوما. إلا أن انتهاء وقت بكاء مناحة موسى إشارة لنا بأننا، مهما كانت خسارتنا عظيمة فلا يجب أن نستسلم للحزن المفرط، يجب أن نسمح للجرح أن يندمل مع الوقت. إذا كنا نرجو أن نذهب إلى السماء فرحين، فلماذا نُصر على أن نذهب إلى القبر حزانى؟

عدد ٩ – ١٢

ثناء مشرف لكل من موسى ويشوع، نال كل منهما مديحه وكان يستحق أن يناله، ليتمجد الله في كليهما.

أولا: يُمدح يشوع كرجل يُعدُ بشكل فائق للعمل الذي دُعي إليه (ع ٩). أتى موسى بإسرائيل إلى حدود كنعان ثم مات وتركهم ليدل على أن «الناموس لم يكمل شيئا» (عب ٧: ١٩)؛ فهو يأتي بالناس إلى برية التبكيت، ولكنه لا يأتي بهم إلى كنعان الراحة والسلام الثابت فهذا شرف يدخَّر ليشوع (أي لربنا يسوع الذي كان يشوع رمزا له) ليتمم «ما كان الناموس عاجزا عنه، في ما كان ضعيفا بالجسد.» (رو ٨: ٣) إذ فيه ندخل إلى الراحة، الراحة الروحية للضمير والراحة الأبدية في السماء. فهناك أمران اجتمعا معا ليوضحا دعوة يشوع لهذه المأمورية العظيمة:

(١) الله أعده لها «قد امتلأ روح حكمة» فالسلوك القويم مطلوب في القائد مثل الشجاعة تماما.

(٢) أقامه موسى بناء على تعيين إلهي لهذه المهمة. «إذ وضع موسى عليه يديه»، وهكذا أنابه عنه ليكون خليفته، مصليا إلى الله ليجعله مؤهلا للخدمة التي دُعي إليها.

ثانيا: مُدح موسى (ع ١٠- ١٢) لأسباب عادلة:

(١) لقد كان في الواقع رجلا عظيما جدا، وبصفة خاصة لسببين:

أ. علاقته الحميمة بإله الكون: فقد تكلم الله معه وجها لوجه.. وهكذا عرف الله (انظر سفر العدد ١٢: ٨).

ب. قدرته في مملكة الطبيعة. فمعجزات الدينونة (الضربات) التي أجراها في مصر أمام فرعون، ومعجزات الرحمة التي أجراها في البرية أمام إسرائيل، عملت على إظهار أنه كان محبوبا ومفضلا من السماء وأن لديه تفويضا فوق العادة أن يفعل ما فعل على هذه الأرض. لم يكن هناك قط رجل كان لدى إسرائيل سببا أعظم لحبه، أو كان لأعداء إسرائيل سببا لخشيته مثل موسى.

(٢) كان أعظم من كل نبي آخر من أنبياء العهد القديم، رغم أنهم كانوا أناسا عظماء في السماء ولهم تأثير عظيم على الأرض، ومع ذلك فلم يكن هناك واحد يقارن بهذا الرجل العظيم، ولم يكن هناك رجل آخر نفذ أو تمم مهمة من السماء كما فعل موسى. ويبدو أن هذا الوصف قد كتب بعد موته بمدة طويلة، وحتى هذا التاريخ (الذي كُتب فيه هذا المديح) لم يظهر نبي مثل موسى. فبموسى أعطى الله الناموس وشكل شعب الله، أما عن طريق الأنبياء الآخرين فأرسل بعض التوبيخات والإرشادات والنبوءات. ويختم آخر أنبياء العهد القديم نبوته بالقول «اذكروا شريعة موسى» (ملا ٤: ٤). وقد رجع المسيح نفسه إلى كتابات موسى، وأقر له بأنه شاهد، كواحد رأى يومه من بعيد وتكلم عنه. كان موسى أمينا كخادم، أما المسيح فكابن. وينتهي تاريخ موسى به مدفونا في سهل موآب، وينتهي بانتهاء مدة حكمه، وأما تاريخ مخلصنا فينتهي به جالسا في يمين العظمة في الأعالي، وقد تأكد لنا «لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية».

www.difa3iat.com

لأكثر من ثلاثمائة عام كان -ولا يزال- تفسير «متى هنري» رائدًا في مجال شرح كلمة الله. وأكثر ما يميز هذا المرجع الكتابي الفريد أنه يشرح الآيات الكتابية بأسلوب عميق يرتبط بقرينة النص، وينتقل بالدارس إلى تطبيقات حياتية تخاطب التحديات التي يعايشها المسيحي في عالم اليوم. لقد أثر هذا المرجع في منبر الكنيسة، وأثبت بجدارة أنه مصدر روحي غني لكنيسة المسيح في أنحاء العالم.